مفتاح السعادة

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه
محمد تقى النقوى القاينى

www.haydarya.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مفتاح السّعادة

فى

شرح نهج البلاغة

المجلد الثالث عشر

لِمؤلّفه سيد محمد تقى النّقوى

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ١٠٧٥٤٥
التاريخ ٩/٨/١١

قائن
انتشارات قائن

نقوی قائنی، محمد تقی، ۱۳۰۸ -
مفتاح السعادة فی شرح نهج البلاغه [علی بن ابی‌طالب علیه‌السلام] تألیف محمد تقی نقوی القائنی.- تهران: قائن، ۱۳۸۳.
ج ۱۳.
ISBN - SET : 964 - 94687 - 5 - 7: (دوره).
ISBN : 964 - 8981 - 03 - 5: (ج ۱۳).
فهرست‌نویسی بر اساس اطلاعات فیپا.
عربی.
کتابنامه.
۱. علی‌بن ابی‌طالب علیه‌السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - نهج البلاغه - نقد و تفسیر. ۲. علی‌بن ابی‌طالب علیه‌السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - کلمات قصار. ۳. علی‌بن ابی‌طالب علیه‌السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - خطبه‌ها. الف. علی بن ابی‌طالب علیه‌السلام، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - نهج البلاغه. شرح. ب. عنوان. ج. عنوان: نهج البلاغه. شرح.

BP۳۸/۰۲/ن۷ ۲۹۷/۹۵۱۵
۱۳۸۳
کتابخانه ملی ایران ۳۴۵۷۱-۸۳م

مفتاح السعادة فی شرح نهج البلاغة - المجلد الثالث عشر

المؤلف: محمد تقی نقوی قائنی
الکمیة: ۱۰۰۰
الطبعة: الاولی
تاریخ الطبع: ۱۳۸۴ ش. - ۱٤۲٦ ق.
تنسیق الصفحات: نشرقائن - ۸-٤٤٤٤٦٥٢٧
لیتوغرافی: نوین
المطبعة: زنبق
انتشارات : قائن
تهران: شارع جنت‌آباد، هاتف: ۸-۴۴۴۴۶۵۲۷

جمیع الحقوق محفوظة للناشر

با مشارکت و حمایت معاونت امور فرهنگی وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی
شابک: ٥ - ۰۳ - ۸۹۸۱ - ۹٦٤ ISBN : 964 - 8981 - 03 - 5
شابک دوره: ۷ - ٥ - ۹٤٦۸۷ - ۹٦٤ ISBN-SET : 964 - 94687 - 5 - 7

مكتبة الروضة الحيدرية
النجف الأشرف

ومن خطبة له عليه السلام (١٩١)

وقد تسمىٰ بالقاصعة وهي ابسط خُطَب النهج واطولها

الفصل الاوّل:

▫ قوله عليه السلام: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي لَبِسَ الْعِزَّ وَالْكِبْرِيَاءَ وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ وَجَعَلَهُمَا حِمىً وَحَرَماً عَلَىٰ غَيْرِهِ وَاصْطَفَاهُمَا لِجَلاَلِهِ وَجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَىٰ مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذٰلِكَ مَلاَئِكَتَهُ لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ وَمَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلاَّ إِبْلِيسَ اِعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَافْتَخَرَ عَلَىٰ آدَمَ بِخَلْقِهِ وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ فَعَدُوُّ اللّٰهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ وَنَازَعَ اللّٰهَ رِدَاءَ الْجَبْرِيَّةِ وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ اَلاَ تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللّٰهُ بِتَكَبُّرِهِ وَوَضَعَهُ بِتَرَفُّعِهِ فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَدْحُوراً وَأَعَدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ سَعِيراً؟!

وَلَوْ أَرَادَ اللّٰهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ وَيَبْهَرُ الْعُقُولَ رُوَاؤُهُ وَطِيبٍ يَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ عَرْفُهُ لَفَعَلَ وَلَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ الْأَعْنَاقُ خَاضِعَةً وَلَخَفَّتِ الْبَلْوَىٰ فِيهِ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ تَمْيِيزاً بِالاِخْتِيَارِ لَهُمْ وَنَفْياً لِلاِسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ وَإِبْعَاداً

لِلْخُيَلاَءِ مِنْهُمْ.

فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللّٰهِ بِإِبْلِيسَ إِذْ اَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ وَجَهْدَهُ الْجَهِيدَ وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللّٰهِ سِتَّةِ آلاَفِ سَنَةٍ لاَ يُدْرَىٰ اَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا اَمْ مِنْ سِنِي الْاٰخِرَةِ عَنْ كِبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ فَمَنْ ذَابَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللّٰهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ كَلاَّ مَا كَانَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَراً بِاَمْرٍ اَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكاً إِنَّ حُكْمَهُ فِي اَهْلِ السَّمَاءِ وَاَهْلِ الْاَرْضِ لَوَاحِدٌ وَمَا بَيْنَ اللّٰهِ وَبَيْنَ اَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ فِي إِبَاحَةِ حِمىً حَرَّمَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ.

◁ اللغة

(القاصعة) من قصع فلان فلاناً اي حقّره (حِمىً) الحمىٰ ما حمية عن وصول الغير اليه والتّصرف فيه.

(ادَّرَعَ) لبَس الدّرع (قِنَاعَ) بالكسر ما تقنع به المراة (رُواءَه) الرُوَاء بالضّم ثم الفتح حُسن المنظر (عَرْفُهُ) العرف بالفتح الرّائحة، (هَوَادَةٌ) بفتح الهاء اللّين والرّخصة:

◁ المعنىٰ

(اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذي لَبِسَ الْعِزَّ وَالْكِبْرِيَاءَ وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ) لعَدم لياقة الخلق لهما (وَجَعَلَهُمَا) اى العِزّ والكِبرياء (حِمىً وَحَرَماً عَلَىٰ غَيْرِهِ) من خلقه فلا ينبغى لهم الدّخول فى حِمىٰ اللّه وَحَرَمه (وَاصْطَفَاهُمَا) العِزّ والكِبرياء (لِجَلاَلِهِ) فانّه تعالىٰ حقيق بالإتصاف بهما (وَجَعَلَ) اللّه تعالىٰ (اللَّعْنَةَ عَلَىٰ مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا) اي فى العِزّ والكِبرياء (مِنْ عِبَادِهِ) كائناً من كان (ثُمَّ) بعد ما جعَلهما لنفسه (اخْتَبَرَ) وإمتحن (بِذٰلِكَ) الجعل (مَلاَئِكَتَهُ) المُقَربين (لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ) منهم (فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ وَمَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ) ومستوراتها، فلم يكن ذلك الإختبار منه تعالىٰ لجهله بما فى قلوب عباده ﴿إِنّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ، فَإِذا

سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُولَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ اَجْمَعُونَ إِلاّ إِبْلِيسَ﴾(١) وهذا دليل على كونه من الملائكة (اِعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ) اى عَرَض التَّعصب عليه (فَافْتَخَرَ) اِبليس (عَلَىٰ آدَمَ بِخَلْقِهِ) حيث انّه خُلق من نار وآدم من طين (وَتَعَصَّبَ) اِبليس (عَلَيْهِ) على آدم (لِاَصْلِهِ) الّذى خُلق منه وهو النّار (فَعَدُوُّا اللّهِ) اعنى به اِبليس كان (اِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ) ومُقتداهم (وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ) ومقّدمهم (الَّذِي وَضَعَ) فى عباده (اَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ وَنَازَعَ اللّهَ رِدَاءَ الْجَبْرِيَّةِ) وشرك نفسه فيه بزعمه الباطل (وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ) الّذي لَم يكن له ولا لِغيره من الخلق (وَخَلَعَ) عن نفسه (قِنَاعَ التَّذَلُّلِ) والخضوع فى جنب عظمته (اَلاَ تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللّهُ) اى صَغّر اِبليس بسبب (بِتَكَبُّرِهِ وَوَضَعَهُ) وخَذَله (بِتَرَفُّعِهِ) اى بسَبَب تَرفّعه على آدم (فَجَعَلَهُ) اللّه (فِي الدُّنْيَا مَدْحُوراً) ملعُوناً (وَاَعَدَّ لَهُ فِي الآخِرَةِ سَعِيراً) وناراً فى جَهنّم وساء سَعيراً (وَلَوْ اَرَادَ اللّهُ اَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ) اي ضياء ذلك النُّور (وَيَبْهَرُ الْعُقُولَ) ويدهشها (رُوَاؤُهُ) وحُسن مَنظَره (وَطِيبٍ يَاْخُذُ الأَنْفَاسَ عَرْفُهُ) اي ريحه وعطره (لَفَعَلَ) اي لو شاء اللّه لَفعل (وَلَوْ فَعَلَ) ذلك (لَظَلَّتْ) وصارت ذلّة (لَهُ الأَعْنَاقُ خَاضِعَةً وَلَخَفَّتِ الْبَلْوَىٰ فِيهِ) فلَم يثقل علىٰ إبليس خلق آدم.

(وَلَكِنَّ اللّهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي) وإمتحَن (خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ اَصْلَهُ تَمْيِيزاً بِالاِخْتِيَارِ لَهُمْ) ليُمّيز الخبيث من الطيب والشّقى من السّعيد (وَنَفْياً لِلاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ) فلا يستكبر احد على غيره (وَإِبْعَاداً لِلْخُيَلاَءِ مِنْهُمْ) عن مقام قُربه وعبُوديّته (فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللّهِ بِإِبْلِيسَ) فلا تكونوا مثله ولا تقتدوا بعمله (اِذْ اَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ وَجَهْدَهُ الْجَهِيدَ وَكَانَ) إبليس (قَدْ عَبَدَ اللّهَ سِتَّةَ آلاَفِ سَنَةٍ لاَ يُدْرَىٰ اَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا اَمْ مِنْ سِنِي الآخِرَةِ) وانّما احبَط ذلك لغُروره وتَمرّده عن طاعة اللّه النّاشئ (عَنْ كِبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ) واذا

١- ص ٧٢و٧٣

كان الأمر بالنّسبة اليه على هذا المنوال (**فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللّٰهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ**) بل حاله حالة (**كَلاَّ مَا كَانَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَراً بِاَمْرٍ اَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكاً**) وهو الإستكبار فلا يكون لِلمُتكبر فيها مَقَراً ولا مَقاماً وذلك (**اِنَّ حُكْمَهُ**) تعالىٰ (**فِي اَهْلِ السَّمَاءِ وَاَهْلِ الْاَرْضِ لَوَاحِدٌ**) فيفعل بهم ما فعل بهم (**وَمَا بَيْنَ اللّٰهِ وَبَيْنَ اَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ**) ورخصة (**فِي اِبَاحَةِ حِمىً حَرَّمَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ**) فمن دَخل فيه هَلَك كما هَلَك إبليس:

◁ الشرح

▫ **قوله ﷺ:اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذي لَبِسَ الْعِزَّ وَالْكِبْرِيَاءَ وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ...**

اعلم انّ هذه الخُطبة تُسمّىٰ بالقاصعة من قَصع فلان فلاناً اي حَقَّره او من قَصَع الماء عطشه اذا ازاله فعلىٰ الأوّل وجه التّسمية بها تحقير الخَلق وتضعيفهم فيها وعلىٰ الثّاني فلأنّ سامعها لو كان مُتكبراً ذهب تاثيرها بكِبره كما يذهب الماء بالعَطش وهى اطول الخُطب وابسطها فى النّهج مُتضَمِنة لِذَم إبليس علىٰ إستكباره وتركه السّجُود لآدم ﷺ وانّه اوّل من اظهر العَصَّبية وتَبع الحَمّية وتحذير النّاس من سلُوك طريقته وقد تَكلّم ﷺ فى هذا الأمر فى الخُطبة الأُولىٰ إجمالاً وحيث انّا فَصَّلنا الكلام هناك وذكرنا كَيفية خلق آدم وإبليس وتبَينا حقيقتهما بقدر طاقتنا فلا نطول الكلام بذكر ما ذكرناه وتَفصّيل ما فَصّلناه ومع ذلك كلّه لا بدّ لنا من التّكلم حَول الخُطبة علىٰ سبيل الأعمال اذ الحوالة علىٰ ما مضىٰ توجب الملالة والضّلالة مُضافاً الىٰ انّ الخُطبة التّى نبحث عنها تَتَضمن ما لا يوجد فى غيرها.

فنقول قد مضىٰ الكلام فى معنىٰ الحمد غير مَرّة وهكذا اسم الجلالة وامّا العِزّ والكبرياء فهما وصفان ثابتان له تعالىٰ علىٰ سَبيل الحَقيقة ولغيره علىٰ سَبيل المجاز، امّا العِزّ بكسر العين فهو حالة مانعة للموجُود من ان يعذب من قولهم ارضٌ عزاز اي صُلبة.

وهذا اعنى كونه مانعاً عن العذاب هو السّر فى عدم اطلاقه على المخلوق حقيقة فانّ الحالة المانعة عن كون الموجود مُعذباً لا توجد فى غير اللّه تعالىٰ فهو الّذي لا يُعذّب اذ لا يقدر احد على تعذيبه لكونه فى مقام القَدرة وهو القاهر فوق عباده فلو امكن لاحدٍ تعذيب اللّه يلزم كونه مَقهُوراً للمُعذِب وكلّ مَقهُورٍ ضعيف وكلّ ضعيفٍ مخلُوق وكلّ مخلوقٍ ممكن والمفروض انّه واجب الوجود فلا يكون مُعذّباً فهو العزيز حقّاً هذا **اوّلاً**.

وثانياً: لو فرضنا وجوده فى غيره تعالىٰ فلا يخلو امّا ان تكون العِزّة فى غيره منه تعالىٰ او من عند نفسه كما فى الواجب فان كانت العِزّة من اللّه فما فرضناه عزيزاً يكون مخلوقاً فالعِزّة فيه ليست على سَبيل الحقيقة بل تكون على طريق المجاز لكونها من غيره وان كانت من عند نفسه فهو ايضاً واجب الوجُود وقد نفيناه بادلّة التّوحيد فالعِزّة لا تكون إلّا له تعالىٰ.

وثالثاً: انّ العُزة الحقّيقية تكون ثابتة دائمة وامّا الزائلة فلا تكون لغيره حقيقتاً ومن المعلوم انّ العِزّة الثّابتة الدائمة الّتى لا تَتَغير ولا تَتَبدل لا تكون إلّا فيه تعالىٰ وامّا غيره فهو مخلوق له فَعِزُّه وعِلمُه وقدرته بل وجوده من غيره وهذا ممّا لا شك فيه وقد وردت الآيات ايضاً مُصرحة به قال تعالىٰ: **﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾** (١)

و : **﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾** (٢)

و : **﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾** (٣)

و : **﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** (٤)

و : **﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** (٥) وغيرها من الآيات.

والكِبرياء، بكسر الكاف العظمة والتّجبر وقيل هو التّرفع عن الإنقياد وذلك لا يستحقة غير اللّه تعالىٰ ويدّل عليه العقل والنّقل ايضاً:

١- يونس- ٦٥
٢- الفاطر- ١٠
٣- الصافات- ١٨٠
٤- البقرة- ٢٢٠ و ٢٦٠
٥- البقرة- ٢٢٨ و ٢٤٠

امّا العقل: فلأنّ التّرفع عن الإنقياد لا يمكن عقلاً لغيره تعالىٰ وذلك لأنّ الغير كائناً من كان مخلوق وكلّ مخلوق فهو مُنقاد لخالقه وإلّا لا يكون مخلوقاً فالتّرفع عن الإنقياد لا معنىٰ له فى حقّ الخلق وهو المطلوب:

وثانياً: لو كان التّرفع من عند ذاته يلزم كونه شريكاً للواجب وفى غيره يلزم كونه من غيره فهو فى حقّه لا يصّح علىٰ الحقيقة وان أُطلق عليه مُجازاً.

وثالثاً: انّ غيره تعالىٰ مخلوق له والمخلّوق ضعيف لا محالة والضّعف الذّاتي ينافى التّرفُع لكونه ضدّاً له والضّدانّ لا يجتمعان فلو كان الموجود ضعيفاً فى ذاته لا يكون رفيعاً ولو كان رفيعاً لا يكون ضعيفاً حقيراً اللّهم إلّا علىٰ سبيل الإطلاق المجازيّ ولا بحث لنا فيه ومن النّقل قوله تعالىٰ: **﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِى السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**(١) وقد ثبت انّ تقديم الظّرف يفيد الحصر كما فى قولهم فى الدّار زيد يفيد الحصر بخلاف زيد فى الدّار ففى الآية الشّريفة قال تعالىٰ: وله الكِبرياء ولم يقل الكِبرياء له وهو دليل علىٰ انّ الكِبرياء له تعالىٰ لا لِغيره ، وقال رسُول اللّه ﷺ عنه تعالىٰ:الكِبرياء رِدائى **والعظمة ازاري فمن نازعنى فيهما قصمتَه** انتهىٰ ومن اسمائه تعالىٰ المُتكبر قيل هو ذو الكِبرياء وهو المُلك قال اللّه تعالىٰ: **﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾**(٢) ثُمّ انّ فى قوله عليه السلام: **لَبِسَ الْعِزَّ وَالْكِبْرِيَاءَ** إشارة الىٰ عَدم إنفكاكهما عنه تعالىٰ وملازمتهما له فهو سُبحانه وتعالىٰ فى مقام ذاته مُتّصف بهما كما انّه مُتّصف بغيرهما من الصّفات وحيث إنّا قد اثبتنا عينيّة الصّفات للذّات فهو بتمام ذاته العِز والكِبرياء كما انّه بتمام ذاته العلم والقدرة والإرادة وغيرها لا انّ الذّات شيئ والصّفة شيئ آخر وعليه فالتّعبير باللّبس الّذي هو من لوازم الجسم إشارة الىٰ اللّزوم فقط علىٰ سبيل الإستعارة كما عرفت فى الحديث القُدسى حيث قال تعالىٰ الكِبرياء رِدائى والعظمة ازاري.

١- الجاثية.٣٧ ٢- الحشر.٢٣

□ قوله ﷺ: **وَجَعَلَهُمَا حِمىً وَحَرَماً عَلَىٰ غَيْرِهِ وَاصْطَفَاهُمَا لِجَلاَلِهِ...**

اي اختار اللّه تعالىٰ العِزّ والكِبرياء لنفسه دون خلقه وقد عرفت وجهه وانّ اللائق بهما هو تعالىٰ لا غيره عقلاً ونقلاً وفى قوله ﷺ: **وَجَعَلَهُمَا حِمىً وَحَرَماً عَلَىٰ غَيْرِهِ**، إشارة الىٰ كون هذين الوصفين حِمىٰ اللّه وحَرَمه فلا يجوز لغيره الدّخول فيهما وقوله ﷺ: **وَاصْطَفَاهُمَا لِجَلاَلِهِ** يدّل علىٰ انـهما مـن صـفات جلاله وعظمته وهو ظاهر.

□ قوله ﷺ: **وَجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَىٰ مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ...**

اللّعن فى الاصل الطّرد والإبعاد علىٰ سبيل السَّخط وذلك عقوبة من اللّه فى الآخرة وإنقطاع من رَحمته وتوفيقه فى الدّنيا وامّا من الإنسان فهو دعاءٌ علىٰ غيره ومن المعلوم انّ اوّل من نازعه فيهما هو إبليس فجعَلَ اللّه اللّعنة عـليه وحيث انّ حكم الأمثال واحد فهذا اللّعن يشمل كلّ من يحذو حَذوه الىٰ يوم القيٰمة اذ لا خصّوصية لإبليس بل الحكم ثابت لكلّ مـن نـازعه فـيهما إلّا انّ إبليس كان مُؤسّساً لهذا الأساس فصار مُخاطباً به فى كتابه الكريم فقال تعالىٰ: ﴿وَانَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِى اِلىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (١)

و: ﴿لَعَنَهُ اللّهُ وَقَالَ لَاَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾ (٢)

□ قوله ﷺ: **ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذٰلِكَ مَلاَئِكَتَهُ لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ...**

اي ثُمّ امتَحَن اللّه بهذين الوَصفين المَذكورين مـلائكته المُـقرَبين لـيُمَيز المُتواضع منهم عن المُستكبر فانُ عند الإمتحان يُكرم الرّجل او يُـهان وفـيه إشارة الىٰ كون إبليس قبل الطّرد واللّعن كان من المُقربين اذ المُصَرح به فى كلامه ﷺ هو انّ الإختبار كان لهم دون غيرهـم وهو احد الأقوال فى المسالة كما عرفت فى الخُطبة الأُولىٰ تفصّيلاً واللّام فى قوله ﷺ: **(لِيُمَيِّز)** لِلتّعليل اي انّما فعل ذلك لأجل تَمييز المُتواضع المُنقاد عن المُستكبر المُتمرد الظّالم مع

١- ص-٧٨

٢- النّساء-١١٨

كونه تعالىٰ عالماً به قبل الإختبار كما قال عليه السلام:

▫ **قوله عليه السلام: فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ وَمَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ...**

قال الله تعالى: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ﴾(1)

قوله عليه السلام: **وَهُوَ الْعَالِمُ** الخ إشارة الى انّ هذا الإختبار لَم يكن ليعلم اللّه المُتواضع من المُستكبر لأنّه كان عالماً قبل الإختبار بكل المُضمرات والمَحجُوبات كما عرفت فى مباحث عِلمه بل الغرض الأصلى من هذا الإختبار هو إخراج ما فى ضمائرهم لتنكشف عليهم حقيقة الحال فانّ الإختبار تارةً يكون مُوجباً لعلم المُختبِر بحال المُختبَر وأُخرىٰ يكون مُوجباً لعلم المُختبر بحاله وخروجه عن جهل المَركب وما نَحن فيه من هذا القبيل لكونه تعالىٰ مُنَزهاً عن الجهل فلا يعزُب عن عِلمه مثقال ذرةٍ لا فى الأرض ولا فى السَّماء ظاهراً وباطناً فهو العالم بالضّمائر كما انّه عالم بالظّواهر وقد فرغنا عن البحث فيه وامّا البحث فى كيفية خلق آدم ونفخ الرّوح فيه وبيان حقيقة الرّوح وماهيّة السّجدة الّتى أُمروا بها وأنّ إبليس ما هُو حقيقته ووجه تَسميته به وغير ذلك من الأبحاث فقد مَرَّ الكلام فى هذه الأُمور فى شرحنا للخُطبة الأُولىٰ ان شئت فراجعه:

▫ **قوله عليه السلام: إِعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَافْتَخَرَ عَلَىٰ آدَمَ بِخَلْقِهِ وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ...**

الْحَمِيَّةُ بفتح الحاء وكسر الميم والياء المُشدّدة المفتوحة علىٰ وزن بليّة وعَطِيّة، فى اللّغة الأنفة والنّخوة قاله الرّاغب فى مفرداته وعُبّر عن القُوّة الغَضبية اذا ثارت وكثرت بالحَمِيّة فقيل حميتُ علىٰ فلان اي غضبتُ عليه انتهىٰ والمعنىٰ انّ الحَمِيّة اعترضت عليه فافتخر علىٰ آدم حيث قال خلقتنى

---

١ - ص ٧٢/٧٣

من نار وخلقته من طينٍ وتعصّب إبليس على آدم لأصله فانّ النّار بزعمه كانت اشرف وافضل من الطّين ولَم يعلم انّ الأمر بالعكس وقد اثبتنا ذلك فى الخُطبة الأُولىٰ بما لا مزيد عليه.

▫ قوله ﷺ: **فَعَدُوُّ اللّٰهِ اِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ الَّذِي وَضَعَ اَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ وَنَازَعَ اللّٰهَ رِدَاءَ الْجَبْرِيَّةِ وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ...**

امّا انّه عدّو اللّه فلقوله تعالىٰ: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللّٰهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (١)

و: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ (٢)

وامّا انّه إمام المُتعصبين وسَلَف المُستكبرين فالوجه فيه اظهر لأنّه اوّل من اسَّس اساس التّعصب والتّكبر فى عباده كما قال ﷺ: **الَّذِي وَضَعَ اَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ**، وايضاً هو الّذي نازع اللّه رِداء الجّبرية والعظمة وادّرع لباس التّعزز والحال انّ العِزّة لِلّه ولرسُوله ولِلمؤمنين وخَلَع قناع التّذلل والعبُودية مع انّ الخُضُوع والخُشُوع والحقارة فى جنب عظمة اللّه من لوازم ذات المخلوق لكونه مُمكناً والمُمكن فقير محتاج وعظمته وعزّته فى تذلّله وعبُوديته.

▫ قوله ﷺ: **اَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللّٰهُ بِتَكَبُّرِهِ وَوَضَعَهُ بِتَرَفُّعِهِ فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَدْحُوراً وَاَعَدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ سَعِيراً...**

وهذا هو جزاء المُتكبر المُترفع فانّ من تواضع لِلّه رَفعه اللّه ومن تكبّر وَضعه اللّه وحيث انّ الشّيطان تكبّر فلا محالة صار فى مَعرض الحقارة والخِفة فَجعله اللّه فى الدّنيا مدحوراً مَطرُوداً واعَدّ له فى الآخرة سَعيراً امّا كونه مَطرُوداً فى الدّنيا فلقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً﴾ (٣)

و: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (٤)

و: ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (٥)

١- الانفال-٦٠ ٢- الممتحنة-١
٣- الاعراف-١٨ ٤- ص-٧٧
٥- الاعراف-١٣

واَمّا عذابه في الآخرة فلقوله تعالىٰ: ﴿اَوَلَوكَانَ الشَّيطَانُ يَدعُوهُمْ اِلىٰ عَذابِ السَّعِيرِ﴾ (١)

و: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ اِنَّهُ مَنْ تَولّاهُ فَاِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ اِلىٰ عَذابِ السَّعِيرِ﴾ (٢)

و: ﴿اِنَّما يَدعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِن اَصحابِ السَّعِيرِ﴾ (٣)

و: ﴿وَجَعَلْناها رُجُوماً لِلشَّياطِينِ وَاَعْتَدْنا لَهُمْ عَذابَ السَّعِيرِ﴾ (٤) ومن كان اصحابه واتباعه من اصحاب السَّعير فهو اولىٰ به والسَّعِير بفتح السّين وكسر العين النّار ولَهيبُها من قولهم سَعرت النّار سَعراً وأَسعَرتها أوقَدتها.

▫ قوله عليه السلام: **وَلَوْ اَرادَ اللّٰهُ اَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الْأَبْصارَ ضِياؤُهُ وَيَبْهَرُ الْعُقُولَ رُواؤُهُ وَطِيبٍ يَأْخُذُ الْأَنْفاسَ عَرْفُهُ لَفَعَلَ وَلَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ الْأَعْناقُ خاضِعَةً وَلَخَفَّتِ الْبَلْوىٰ فِيهِ عَلَى الْمَلائِكَةِ...**

البَهر بفتح المُوحدة فالسّكون العُجب يقال بَهر لفلانٍ اي عجباً له ما ابهَره ذلك اي ما اعجَبه والرّواء بفتح الراء حُسن المَنظر والعَرف بفتح العين الرّائحة والمعنىٰ انّ اللّه تعالىٰ لو اراد ان يخلق آدم من نورٍ يخطف ويغلب الأبصار ضياؤه من شدّة النّورانية ويَبهر ويَدهش العقول رواؤه وحُسن منظره وَطيبٌ يأخذ الأنفاس عرفه ورائحته لَفَعل ذلك لكونه قادراً علىٰ كلّ شيْ وقد ثبت عمُوم قدرته إذ لو لَم يقدر عليه لكان عاجزاً والعجز يُنافي الوجوب ومن المعلُوم انّه تعالىٰ لو فَعل ذلك لَظلّت وصارت له الأعناق خاضعة في جنب قدرته ولَخفَّت البلوىٰ فيه علىٰ الملائكة فلَم يقدر إبليس ان يقول خلقتني من نار وخلقته من طين وذلك لأنّ المخلُوق لضعف علمه لا يرىٰ إلّا المَحسُوس او ما هو قريب منه فلا، يقدر علىٰ الإحاطة بجميع الجوانب والإطلاع علىٰ كُنه الأشياء وهذا هو الباعث علىٰ اشتباه إبليس وغيره مِمّن تبعه في جميع الموارد ضرورة انّه لو علم ما في بطن آدم وادرك ما ودَّعه اللّه من نفائس الأسرار فيه وانّ فيه إنطوىٰ العالم الأكبر وانّه لائقٌ بمقام الخلافة والأصطِفاء وبالجُملة هو

١- لقمان ـ٢١ ٢- الحج ٤
٣- الفاطر ـ٦ ٤- الملك ـ٥

الّذي أندمَج فيه العالم الكبير وغير ذلك من المواهب الإلٰهية لَما قال خَلقتَني من نارٍ وخلقته من طينٍ وحيث انّه استّدل علىٰ شرفه بظاهر الخِلقة اعنى به نورانيّة النّار وظلمانيّة التّراب علمنا انّه كان غافلاً عن بطن الأمر وحقيقة آدم ومن كان كذلك كان كذلك مُضافاً الىٰ انّ حياة آدم وشرفه بروحه لا بجسمه وإبليس لَم يَر إلّا جسمه وغفل عن رُوحه ولأجل هذا استَدل علىٰ مُدّعاه بمادّة الخِلقة وهى النّار ولم يعلم انّ الّذي صار مُوجباً لشرف آدم هو روحه الّذي قال تعالىٰ:﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (١) وبهذا صار مَسجُوداً لِلملائكة كما هو ظاهر الآية علىٰ إنّا قد اثبتنا فيما مضىٰ افضلية التّراب علىٰ النّار ايضاً بالأدلّة القاطعة العقلّية فانّ شرف الموجود بالآثار المُترتبة عليه والآثار علىٰ التّراب اكثر وانفع وافضل من الآثار المُترتبة علىٰ النّار اضعافاً كثيرة ولا شك انّ آدم مُركّب من الرّوح والبَدَن والرُّوح من عالم المَلكُوت والبَدن من عالم العناصر وقياس النّار بهما قياسٌ مع الفارق فضلاً عن كونها اشرف وافضل فما قاله إبليس واستند اليه يحكى عن جهله وكبره ومَنشا التّكبُر ايضاً الجَهل ونحن نُشير فى المقام الىٰ افضلية التّراب علىٰ النّار عقلاً علىٰ سبيل الإجمال لتعلم حقيقة الحال وامّا افضلية روح آدم فلا خلاف فيها مُضافاً الىٰ انه لَم يستّدل به ولم يذكره فى كلامه وحيث سَكَت إبليس عنه فنحن ايضاً لا نَتكلم فيه فانّ شرف الرّوح مَفرُوغٌ عنه فنقول التّراب افضل من النّار لوجوهٍ:

احدها: انّ طبيعة التّراب تقتضى التّواضع والخُشوع وطَبيعة النّار التّكبُر والتّرفُع والتّواضع احسن من التّكبّر عَقلاً وشَرعاً فالتّراب افضل من النّار وهو المطلوب.

بيان ذلك انّ آدم بمُقتضىٰ طَبيعته التّرابية تواضع لِللّه وقال ظَلَمنا انفُسنا، وإبليس بمُقتضىٰ طَبيعته النّارية تَكبّر وقال انا خيرٌ منه خلقتنى من نارٍ وخلقتَه من طينٍ.

١- الحجر ٢٩.

وثانيها: انّ النّار وان كانت مُضيئة بحسب الظّاهر إلّا انّها مُظهرة للعُيوب كاشفة ايّاها وهذا بخلاف التّراب فانّه ستّارٌ لها والسّتّار خير من الهتّاك فهو خير منها الا ترىٰ انّ اللّه تعالىٰ ستّارُ العيُوب وبيان ذلك واضح:

وثالثها: انّ التّراب يطفئ النّار ويُعدمها ويغلب عليها والنّار لا تغلب عليه اصلاً والغالب افضل من المغلُوب فالتّراب افضل من النّار وهو المطلُوب وبيانه واضح.

ورابعها: انّ التّراب وان كان ظلّمانياً فى الظّاهر إلّا انّه نورانى فى الباطن الا ترىٰ انّ اللّه تعالىٰ جَعَل نُور المعرفة فيه وظلمة الكفر فيها فهو كالمؤمن الّذي صُورته قبيحة وسيرته حَسَنة وهى كالكافر الّذي صُورته حَسَنة وسيرته سيّئة قبيحة فالتّراب حاوٍ لنُور المعرفة والنّار حاوية لِلكفر والإلحاد كما ترىٰ فى آدم وإبليس.

وخامسها: انّ التّراب يُزيد فى الشّئ والنّار لا تزيد بل تُفنيه ولا شك انّ الّذي يُزيد خير من الّذي يُعدم ويُفنى فالتّراب خير من النّار وهو المطلُوب.

بيانه انّ الحبّة اذا سلمّتها الىٰ التّراب تصير سبع مِائة حبّة كما قال اللّه فى كتابه: **﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ اَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾** (١)

ثم انّ هذه الحَبّة بعينها لو سَلَّمتَها الىٰ النّار تُعدمها وتُفنيها وهو ظاهر.

وسادسها: انّ التّراب امين والنّار خائنة والأمين خير من الخائن فالتّراب خير منها بيانه، قوله تعالىٰ فى التّراب: **﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾** (٢) ومعلوم انّ النّار ليست كذلك فهو افضل منها وهو المطلوب.

وسابعها: انّ التّراب مُطَهِر لغيره وطاهر بنفسه والنّار طاهرة بنفسها إلّا انّها غير مُطَهرة وما هو طاهر بنفسه مُطَهِر لغيره افضل من الطّاهر فقط فالتّراب افضل منها امّا انّ التّراب طاهر ومُطَهِر فلقوله تعالىٰ: **﴿فَلَمْ تَجِدُو مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾** (٣)

١- البقرة ـ ٢٦١ ٢- الاعراف ـ ٥٨
٣- النساء ـ ٤٣

واذا ثبت كونه مُطَهِّراً ثبت كونه طاهراً بنفسه بطريق اولىٰ، وامّا النّار فليست بمُطَهِّرة وان كانت طاهرة بنفسها ولأجل هذا لَم تعَدّ من المُطَهِّرات نعم الإستحالة عُدّت منها سواء كانت بها او بغيرها وقول الشّافعى بانّ الإستحالة بالنّار ايضاً لا يكون من المُطَهِّرات فليس بشيٍ يُعتمد عليه.

ثامنها: انّ النّار وان كانت مُضيئة بظاهرها إلّا انّ ما يُتولد منها ليس كذلك الا ترىٰ انّ النّار اذا اثّرت فى شئٍ تَجعله اسوداً والتّراب بالعكس والدّليل عليه وجود النّباتات والجواهر والإنسان والحيوان وغيرها ومن المعلُوم انّ قيمة الشّئ بآثاره.

تاسعها: انّ النّار تاكل كثيراً وتموت قريباً والتّراب لا ياكل شيئاً ومع ذلك ياكل منه الإنسان والحيوان وما هو انفع والقىٰ خير ممّا ليس كذلك فهو افضل منها وهو المطلوب.

والادلّة كثيرة وفيما ذكرناه عبرة لأُولى الألباب وتذكرة لطالب الرّشاد هذا كلّه فى التّراب الّذي هو مادّة خلقة آدم بالقياس الىٰ النّار التّى هى مادّة خلقة إبليس وامّا روحه فقد قلنا انّه خارج عن البحث فعلاً ولا يقاس به شئ ولنِعم ما قيل بالفارسية:

ما زنده بنور كبريائيم	بيگانه وسخت آشنائيم
نَفس است چه گرگ ليک‌در وَى	چون يوسف مصر پادشاهيم
مَه توبه كند ز خويش بينى	گر ما رُخ خود بذُو نمائيم
سُوزد پَر وبال قرص خورشيد	چون ما پر وبال بر گشائيم
اين هيكل آدم است رو پُوش	ما قبلة جملة سجده هائيم
آدم منگر ببين در آن دَم	تا جانت بلطف بر گشائيم
ابليس نظر جدا جدا داشت	پند داشت كه ما ز حق جدائيم
ما را ز چه شاهى وگدائى	شاديم كه شاه را سزائيم
هر گه كه ز نور با خدائيم	وآن گه بخدا كه با خود آئيم

دانم که بجز خدا ندآند	سِّر سخنان که ما سرائیم
هیچیم بصورت وبه معنی	مائیم که هر چه هست مائیم
هم گوهر کان لَم یَزالیم	هم قطرة بَحر کبریائیم
چون‌هستی ما حجاب‌یار است	آن به که به نیستی درآئیم
ما ذّره ودوست آفتاب است	تا ظّن نَبری کز او جدائیم
ای جان‌جهان کجاست چشمی	تا طلعت خود بدو نمائیم

▫ **قوله عليه السلام: وَلٰكِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ اَصْلَهُ تَمْيِيزاً بِالِاخْتِيَارِ لَهُمْ وَنَفْياً لِلاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ وَاِبْعَاداً لِلْخُيَلاَءِ مِنْهُمْ...**

استدرك عليه السلام ما قاله سابقاً فكانّه قيل له عليه السلام ولِمَ لَم يَفعل اللّه ذلك ولَم يَخلق آدم من نور كذا وكذا فقال عليه السلام: **وَلٰكِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ** ابتلیٰ وإمتَحن خَلقه ببعض ما يَجهلُون اصله ولا يعلمُون حقيقته لأمور ثلاثة احدها تمييزهم بسبب الإختبار ليمَيز المُحسن من المُسيئ والسَّعيد من الشَّقي والمُطيع من العاصي، وثانيها نفي الإستكبار عنهم فلا يَتكبّر احد منهم علىٰ الآخر بالأُمور الظّاهرية مع غفلته عن حقيقة الحال، وثالثها ابعاد الخيلاء منهم عن مقام قُربه وطردهم عن رحمته فى الدّارين كما فَعَل بإبليس ومن المعلُوم انّه لو لَم يكن كذلك لَما يُعلَم من حقائق الأمور ما عُلم بعد الإختبار فانّ إبليس مثلاً قبل الإختبار كان يَتَّخيل انّه من المُقَربين الصّالحين وبعد الإختبار علم خلاف ما ظنّه سابقاً وهذا الأصل يجري فى جميع المراحل وبالنّسبة الىٰ جميع النّاس نعوذ باللّه منه والخُيلاء بضَم الخاء وكسرها الكبر وقد ورد فى الحديث لا يدخل الجنّة شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء، واختال الرّجل فى مَشيه اي تجّبر كما يفعله المُتكبرون.

▫ **قوله عليه السلام: فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللّٰهِ بِإِبْلِيسَ اِذْ اَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ وَجَهْدَهُ الْجَهِيدَ وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللّٰهِ سِتَّةِ آلاَفِ سَنَةٍ لاَ يُدْرَىٰ اَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا اَمْ مِنْ سِنِي الْاٰخِرَةِ عَنْ كِبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ...**

ثُمّ أَمَرهم بالإعتبار عمّا كان من فعل إبليس من استكباره عن سجود آدم وكونه مطروداً مدحوراً فقال عليه السلام فاعتبروا يا أُولى الأبصار من فعله وحَبط عَمله الطَّويل وجَهده الجَهيد فلم ينفعه عَمله وجَهده اصلاً والحال انّه قد عَبد اللّه قبل الإِستكبار سِتة الاف سنة وهو لا يدري امِن سِنَى الدّنيا أَم مِن سِنَى الآخرة ومنشاؤه كبر ساعةٍ واحدةٍ وهنا أُمور لا بدّ لنا من التّنبيه عليها.

احدها: انّ قوله لا يدري هل هو بصيغة المعلوم او بصيغة المجهول او بصيغة المُتّكلم مع الغير والأوّل هو المختار عندنا والثّانى مختار المُعتزلى والثّالث اختاره البحرانى فعلىٰ المختار يصير المعنىٰ لا يدري إبليس وعلىٰ الثّانى والثّالث لا يدري احَدٌ حتّىٰ هو عليه السلام نفسه وهو بعيد وامّا عدم علم إبليس بعُمره فلا غرو فيه كما ورد فى جبرئيل ايضاً فانّ اللّه تعالىٰ خلق الملائكة وهو العالم بإبتداء خلقهم ومدّة عُمرهم وامّا الملائكة فمن اين لهم العِلم به نعم لو أعلَمهم اللّه بعُمرهم فهم عالِمون وهو أوّل الكلام وكلامه عليه السلام يدّل على عَدَمه ولا اقل فى حقّ إبليس وامّا القول بعدم علمه عليه السلام وعلم غيره من الأنبياء والمعصُومين بذلك فهو مُخالف لما نعتقده فيهم فتامل.

وثانيها: انّ قوله عليه السلام: اذا حَبط عَمَله الطَّويل، يدّل علىٰ جواز الإحباط بل وقوعه وقد انكره كثير من المُحقّقين بل قاطبتهم لكونه مخالفاً للعقل والنّقل.

امّا العقل: فلأنّه يُوجب جواز الظّلم علىٰ اللّه تعالىٰ وتقريره انّ العبد يعبده مدّةً معّينة مثلاً ثُمّ يعصيه او يُشرك به والإحتمالات فى الجزاء والثّواب والعقاب لا تخلُو من ثلاثة.

احدها: عقابه من اوّل تكليفه الىٰ آخر عُمره ، وثانيها: ثوابه كذلك ، وثالثها: القول بالتّفصيل الثّواب لِلعبادة والعقاب لِلمعصّية والشّقُوق عقلية، امّا الأوّل والثّانى فلا سبيل اليهما بحسب العقل للزومه العقاب علىٰ العبادة وغيرها فى الصّورة الأُولىٰ مع انّ العبادة تُوجب الثّواب وهو كما ترىٰ وايضاً يلزم علىٰ الثّانى الثّواب علىٰ المعصية وهو ايضاً خلاف العقل فيبقىٰ فى المقام الشّق

الثّالث وهو القول بالفَصل الثّواب على الطّاعة والعقاب على المَعصية وهذا هو الّذي يقتضيه العقل.

واما النّقل: فلقوله تعالى: **﴿اَنّي لااُضيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ﴾**(١)

و: **﴿اِنّا لانُضيعُ اَجْرَ مَنْ اَحسَنَ عَمَلاً﴾**(٢)

و: **﴿اِنّا لانُضيعُ اَجْرَ المُصْلِحينَ﴾**(٣)

و: **﴿مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِه وَمَنْ اَساءَ فَعَلَيْها وَ ما رَبُّكَ بِظَلّامٍ لِلْعَبيدِ﴾**(٤) **يَوْمَ**

و: **﴿تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً﴾**(٥)

و: **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾**(٦) وغيرها من الآيات، وانت ترى انّ هذه الآيات قد صَرّحت ولا سيّما الأخيرة منها بالتّفصيل والقول بالإحباط ينافيها اذا عرفت هذا فاعلم انّ إبليس عَبد اللّه ستّة الاف سنة او اقل او اكثر على اختلاف الرّوايات وظاهر كلامه عليه السلام فى المقام بل صريحه يدّل على حَبط عَمله بعد استكباره واللّه تعالى يقول فى كتابه: **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾**(٧) و: **﴿اَنّي لا اُضيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ﴾**(٨) و غيرها من الآيات فكيف يمكن الجمع بين قوله عليه السلام ونَصّ القرآن فان قلنا بكلامه عليه السلام فلا بدّ لنا من القول بحبط عمل إبليس فى مدّة ستة الاف سنة وان قلنا بظاهر الكتاب فهو ماجُور مثاب بعبادته ومعاقب غداً بمعصيته وحيث كان كذلك ترى الشّراح قد قنعوا فى المقام بشرح الفاظه وعباراته ولَم يكشفوا القناع عن وجوه استاره كما هو دابهم فى المُعضلات وسيرتهم فى حلّ المُشكلات فيفّرون منها فرار الشّاة من الذّئب مع انّ العُمدة فى الشّرح هو شرح العَويصات والمُعضّلات ولا سيّما فى الآيات والأخبار وامّا غيرها فلا خفاء فيه لوضوح لغات الكتاب وكيف كان فلابدّ لنا من بيان حقيقة الحال فنقول.

١- آل عمران ـ١٩٥ ٢- الكهف ـ٣٠
٣- الاعراف ـ١٧٠ ٤- فصلت ـ٤٦
٥- آل عمران ـ٣٠ ٦- الزلزلة ـ٧/٨
٧- الزلزلة ـ٧ ٨- آل عمران ـ١٩٥

اعلم انّ الإحباط فى عرف المُتكّلمين عبارة عن إبطال الحَسَنة بعدم ترتّب ما يتوقع منها عليها ويقابله التّكفير وهو اسقاط السّيئة بعدم جريان مقتضاها عليها فهو فى المعصية نظير الإحباط فى الطّاعة وقد إشتَهر بين المُتكلمين انّ الوَعيدية من المُعتزلة وغيرهم يقولون بالإحباط والتّكفير دون من سواهم من الأشاعرة وغيرهم وهذا على اطلاقه غير صحيح فانّ اصل الإحباط والتّكفير ممّا لا يمكن انكاره لأحدٍ من المُسلمين فلابدّ من ان يحرر مقصود كلّ طائفة ليتّبين ما هو الحقّ فنقول لا خلاف بين من يعتّد به من اهل الأسلام فى انّ كلّ مؤمن صالح يدخل الجنّة خالداً فيها حقيقتاً وكلّ كافر يدخل النّار خالداً فيها كذلك وانّما الخلاف فى المؤمن الّذي خَلط عملاً صالحاً بعملٍ غير صالح فاختلفوا فيه، فذهب بعض المرجئة الىٰ انّ الإيمان يحبط الزّلات فلا عقاب علىٰ الزّلة مع الإيمان كما لا ثواب لطاعة مع الكُفر وذهب الأخرون الىٰ ثبُوت الثّواب والعقاب فى حقّه، امّا المُعتزلة فبعنوان الإستحقاق المعلوم عقلاً بإعتبار الحسن والقبيح العقلّيين وشرعاً بإعتبار الآيات الدّالة عليه من الوَعد والوعيد، وامّا الأشاعرة فبعنوان الإتفاق يقولون انه لا يجب علىٰ اللّه شئ فلا يستحق المُكلّف ثواباً منه تعالىٰ فان اثابه فَبفضله وان عاقبه فَبِعَدله بل له إثابة العاصى وعقاب المُطيع ايضاً فعلىٰ قول المُعتزلة يكون المؤمن الخارج من الدّنيا بغير توبة عن كبيرة ارتكبها مُستَحقاً لِلخلود فى النّار ولكن يكون عقابه اخف من عقاب الكُفّار، امّا مطلق الإستحقاق فلما عرفت وامّا الخلود فى النّار فللعمومات المُتاولة عند غيرهم بتَخصصها بالكُفّار وحمل الخلُود علىٰ المَكث الطّويل كقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَه فَإِنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها﴾ (١) وقوله: ﴿وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ ناراً خالِداً فِيها ﴾ (٢) فلهذا حكموا بانّ كبيرة واحدة تحبط جميع الطّاعات فانّ الخلُود الموعُود مُستلزم لذلك هذا قول جمهورهم فى اصل الإحباط وامّا الجبائيين ابا علّى وابنه ابا هاشم منهم

١- الجنّ ـ٢٣ ٢ـ النساء ـ١٤

علىٰ ما نقل عنهما فى شَرح الامدي ذهبا الىٰ اشتراط الكثرة فى المُحبط بمعنىٰ انّ من زادت معاصيه علىٰ طاعته احبطت معاصيه طاعاته وبالعكس لكنهما اختلفا فقال ابو علّى فَيحبط النّاقص برُمتّه من غير ان ينتقص من الزّائد شيئ وقال ابو هاشم بل ينتقص من الزّائد ايضاً بقدره ويبقىٰ الباقى اذا عرفت هذا فنقول:

اعلم انّ ما ذكره اصحابنا من نفى الإحباط والتّكفير مع ورود الآيات الكثيرة والأخبار المُستفيضة بل المُتواترة بالمعنىٰ فى كلّ منهما ممّا يفضى منه العجب مع انّه ليس لهم علىٰ ذلك إلّا بعض الشُّبه الضّعيفة المذكُورة فى كتب الكلام كالتّجريد وغيره.

ولكن بعد التّامل والتّحقيق يظهر انّ الّذي ينفونه فيهما لا يُنافى ظاهر الآيات والأخبار كثيراً بل يرجع الىٰ مُناقشة لفظية كالقول بانّ التّوبة ترفع العقاب وانّ المَوت علىٰ الكُفر يبطل الثّواب لكنّ الأكثر يقولون ليس هذا بالإحباط بل بإشتراط المُوافاة علىٰ الإيمان فى استحقاق الثّواب علىٰ القول بالإستحقاق وفى الوَعد بالثّواب علىٰ القول بعدم الإستحقاق وكذا يمكنهم القول بانّ الإستحقاق او الوَعد مشروط بعدم صدُور تلك المعصية من غير قول بالحَبط والبحث طويل وكتابنا هذا ليس موضُوعاً له ولأمثاله ومع ذلك لا بدّ لنا من بيان مذهب المُختار طبقاً للآيات والأخبار والألباب فنقول الحَبط بفتح الحاء وسكون الباء والطاء مصدر قولك حَبط يَحبط حبطاً وهو علىٰ ما قال الرّاغب فى المُفردات ماخوذ من الحَبط وهو انّ تَكثُر الدّابة اكلاً حتّىٰ يَنتفخ بطنها قال ابو عبيدة المُحنبطي بالهمزة العظيم البطن المُنتفخ من قولهم احنَبطاء انتفخ جوفه اذا امتلىٰ غيظاً والحنبطىٰ القصير البَطن انتهىٰ وقال فى المَجمع الحَبط البُطلان يقال حبط عمله اي بَطَل اذا عرفت معنىٰ الحَبط فقد عرفت انّ الإحباط مصدر قَولك أحَبط وهو الإبطال وعليه حُمل قوله تعالىٰ حَبطت أعمالهم أي بَطلَت وأمّا كون الحَبط بمعنىٰ المَحُو والعَدم ليكُون

الإحباط معناه الإمحاء والإعدام فلَم أَرَ هذا فى كلامهم وعليه فالإحباط فى لسان الآيات والأخبار يُحمل على الإبطال وعَدم الأَجر قال بعض المُحقّقين فى تصّوير محلّ النّزاع ما حاصله انّ استحقاق الثّواب فى الأصل مشروط بالمُوافاة وليس على اطلاقه كما ربّما يتوهم واستدّل على مُدّعاه بقوله تعالى: ﴿لَئِنْ اَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾(١)

و : ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كافِرٌ فَاُولئِكَ حَبِطَتْ اَعْمالُهُمْ﴾(٢)

قال وهذه الآيات تدل على اصل الإحباط فمن كان من اهل المُوافاة ولم يلبس إيمانه بظلم كان مِمّن يستحق الثّواب الدّائم مُطلقاً، ومن كان من اهل الكُفر وبات على ذلك استحق العقاب الدّائم كذلك، ومن كان مِمّن خلط عَملاً صالحاً وآخر سيّئاً فان وافى بالتّوبة استحق الثّواب مطلقاً، وان لم يُواف بها فَلا يخلو امّا ان يستحق ثواب إيمانه او لا، والثّانى باطل لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾(٣) فتعين الأوّل وهو استحقاق الثّواب وعليه فامّا ان يُثاب ثم يُعاقب او يُعاقب ثم يُثاب لا سَبيل الى الأوّل لأنّ من يدخل الجنّة لا يخرج منها فتّعين الثّانى وهو العقاب اوّلاً فى النّار ثُمّ الخُروج منها والدّخول فى الجنّة كما وردت به الرّوايات.

وانّهم يخرجون من النّار كالحِمم او كالفحم فيراهم اهل الجنّة فيقولون هؤلاء الجهنّميّون فيؤمر بهم فيغمسُون فى عين الحياة فيخرجون كالبدر ليلة تمامه انتهى مُلّخصاً وانت ترى انّ الإحباط والموازنة لا يساعدانه اذ الإحباط المُطلق عبارة عن ابطال ما عَمله العامل سابقاً بالكلّية وهذا القائل لا يقول به لإستدلاله لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾(٤) كما عرفت والفرق بين الإحباط والموازنة هو انّ الإحباط عبارة عن سقوط النّاقص بالكلّية وبقاء الزّائد بتمامه كما لو فرضنا احد الإستحقاقين خمسة والآخر عشرة فانّ الخمسة

١- الزمر ـ ٦٥
٢- البقرة ـ ٢١٧
٣- الزلزلة ـ ٧/٨
٤- الزلزلة ـ ٧ و ٨

تسقط وتبقىٰ العَشرة فلو عصىٰ العبد بمعصية كان عقابها خمسة مثلاً ثُمّ اطاع بطاعةٍ كان ثوابها عشرة فعلىٰ الإحباط فهو يستّحق العَشرة وتبطل الخمسة راساً، واَمّا الموازنة فهى ان تسقط من الزّائد بقدر النّاقص وبقى الباقي بحاله ففى المثال المذكُور تَسقط خمسة وتَبقىٰ خمسة بلا مُعارض والأوّل قول ابى علّى الجَبائى والثّانى قول ابى هاشم ولنا فى المَقام بحث مع ابى علّى وهو انّه لو فَرضنا الأمر بالعَكس فاتىٰ المُكلّف بطاعةٍ ثُمّ ذلك بمَعصيةٍ فكما انّ الطّاعة تَحبط المَعصية كذلك المَعصية تَحبط الطّاعة او لا يكون كذلك فانّ ما نحن فيه من هذا القبيل لأنّ إبليس اطاع اوّلاً وعَصىٰ ثانياً وكلامه خال عنه والّذي نقول فى المقام تَبعاً لأكثر المُحقّقين هو القَول بعَدم الإحتياط والتّكفير بالمعنىٰ الّذي ذَكروه اعنى به سقُوط الثّواب المُتقدم بالمَعصية المُتاخرة او تكفير ذنُوب المُتقدمة بطاعة المُتاخرة والدّليل علىٰ بُطلان الإحتياط هو ما ذكرناه فى صَدر المَبحث من انّه يَستَلزم الظّلم فانّ من اساء واطاع وكانت إساءَته اكثر من إطاعته يكون بمَنزلةٍ من لَم يُحسن وان كان إحسانه اكثر يكون بمَنزلةٍ من لَم يسئ وان تَساويا يكون مُساوياً لِمن يَصدر عنه احدهما هذا من جِهة العَقل.

واَمّا النّقل فلقوله تعالىٰ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾ (١) واَمّا المُوازنة فهى ايضاً لا معنىٰ لها وذلك لأنّا اذا فَرضنا استَحقاق المُكَلّف خمسة اجزاء من الثّواب مثلاً وعَشرة اجزاء من العِقاب فَليس إسقاط احدىٰ الخمسيين من العِقاب الخمسة من الثّواب اولىٰ من الأُخرىٰ وعليه فامّا ان يَسقطا مَعاً وهو خلاف مَذهبه ولا يَسقط شيئ منهما وهو المطلوب ولو فَرضنا انّه فَعَل خَمسة اجزاء من الثّواب وخَمسة من العِقاب فانّ تَقّدم إسقاط احدهما لِلآخر لَم يَسقط الباقي بالمعدوم لإستحالة تاثير المعدوم وان تَقارنا فى السّقُوط لزم وجودهما معاً لأنّ وجود احدهما ينفى وجود الآخر فَيلزم وجودهُما حال عَدمهما وذلك جمع بين النّقيضين وان لَم يَسقطا معاً فهو المطلوب فَثبت

١ ـ الزلزلة ـ ٨/٧

بُطلان المُوازنة ان قلت، علىٰ ما ذكرت من بُطلان القول بالإحباط والتّكفير والمُوازنة فما تقول في الآيات والأخبار المُصرحة بالإحباط ومنها كلامه عليه السلام في هذا المقام ومن الآيات قوله تعالىٰ:﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾[1] و : ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2]

و : ﴿فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾[3]

و : ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾[4]

و : ﴿أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾[5] وغيرها من الآيات قلتُ يمكن التّنصي عن هذا الإشكال بوجوهٍ.

احدها: تَخصيصها بالكُفر بمعنىٰ ثبوت الإحباط في الكُفر بعد الإيمان ويَدّل عليه قوله تعالىٰ:﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[6]

وثانيها: حَمل الإحباط علىٰ عَدم صدور الحَسَنات قبل السيّئات لِللّه تعالىٰ بمعنىٰ انّ العامل لَم يَعمل لِللّه تعالىٰ ففي المقام نقُول انّ إبليس لَم يَعبد اللّه واقعاً من اوّل الأمر وان عَبَده ظاهراً ومن المعلُوم انّ العَمَل اذا لَم يَكن لِللّه تعالىٰ فلا ثواب لِلعامل من قِبَله وانّما يلزم الثّواب علىٰ من عَمِل له كما وَردت الأخبار به وعليه فالإحباط مَعناه الإعلام بكون العَمَل هَباءً مَنثُوراً وبعبارةٍ أُخرىٰ إعلام البُطلان لا الإبطال والفَرق واضح وقد روي انّه يُؤتى يوم القيامة برجلٍ فيُقال له بِمَ كان إشتغالك قال بقراءة القرآن فيُقال له قد كُنتَ تَقرا لِيُقال هو قارئٌ وقد قيل ذلك فَيُؤمر به الىٰ النّار وغير ذلك من الوجوه.

ثُمّ انّه عليه السلام افاد انّ مَنشا ذلك كلّه كان كِبر إبليس وإمتناعه عن السّجود الّذي قد أُمِر به وفيه دلالة علىٰ كون الكِبر من اعظم المُهلكات وحيث انجر الكلام اليه لا باس بالإشارة الىٰ حقيقته وما وَرد في ذمّه علىٰ سَبيل الإجمال فنقول:

الكِبْرُ بكسر الكاف وسكون الباء والرّاء وقَد يُروىٰ بضَم الكاف مُعظم الشّيء

١- المائدة ـ٥   ٢- هود ـ١٦

٣- البقرة ـ٢١٧   ٤- المائدة ـ٥٣

٥- الاحزاب ـ١٩   ٦- الزّمر ـ٦٥

وكَبُر الشَيْ من باب قَرُب، عَظُمَ فهو كبير وفي القاموس، كَبر كَكَرُمَ، كَبَر كَعِنَب وكُبراً بالضَم وكَبارة بالفتح نقيض صِغر فهو كبير انتهىٰ.

وقد عَرَّف فى علم الأخلاق بالرَكُون الىٰ رؤية النَفس فوق الغير وبعبارةٍ اوضح هو عِزَةٌ وتَعظيم يُوجب رؤيـة النَفس فـوق الغـير وإعـتقاد المَـزيَة والرَجحان عليه وبه يَنفَصل عن العُجب اذ العُجب مُجَرد إستعظام النَفس من دون إعتبار رؤيتها فوق الغَير، فالعُجب سبب الكِبر والكِبر من نتائجه وثَمراته، ثُمَ انّ الكِبر خُلقٌ فى الباطن يقتضى اعمالاً فى الظّاهر هى ثمراته وتُسمّىٰ تلك الأعمال تَكبُراً وكيف كان فلا شك انّه آفة عظيمة وغائلة هـائلة اذ بـه هَـلَك خواص الأنام فَضلاً عن غيرهم من العَوام وهو الحجاب الأعظم للوصُول الىٰ اخلاق المُؤمنين اذ فيه عِزٌ يَمنع عن التَواضـع وكـظم الغَـيظ وقـبُول النُـصح والدَوام علىٰ الصَدق وتَرك الغَضب والحِقد والحَسَد والغيبة والأزراء بالنَاس فما من خُلقٍ مذمُوم إلّا وصاحب الكِبر مُظَطر اليه ليحفظ به عِزّه وما من خُلقٍ محمُود إلّا وهو عاجزٌ عنه خوفاً من فوات عِزّه ولذلك وَرد فى ذَمّه ما وَرد فى الآيات والأخبار، قال اللّه تعالىٰ: ﴿كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (١)

و: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾ (٢)

و: ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَىٰ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٣) وغيرها من الآيات.

وقال رسُول اللّه ﷺ لا يَدخل الجنّة من كان فى قلبه مِثقال حَبَةٍ من خَردل من كِبر انتهىٰ...

وقال ﷺ: من تعظّم فى نفسه واختال فى مَشيته لَقىٰ اللّه وهو عليه غضبان انتهىٰ...

وقال ﷺ: لا يَنظر اللّه الىٰ رجلٍ يَجّر ازاره بطراً انتهىٰ...

١-الغافر - ٣٥ ٢-الأعراف - ١٤٦

٣- غافر - ٧٦

وقال الباقر عليه السلام الكِبر رِداء اللّه والمُتَكبر يُنازع رِداءَه انتهىٰ...

وقال عليه السلام - العِزّ رِداء اللّه والكِبر ازاره فمن تناول شيئاً منه أكَبَّه اللّه في جَهنّم انتهىٰ...

والأحاديث ايضاً كثيرة ثُمّ انّ التّكبُّر قد يكون علىٰ اللّه كما كان لِنمرود وفِرعون وسَببه الطّغيان ومحض الجَهل وهو افحش انواع الكِبر ولذا تكَررت الآيات في ذمّه قال اللّه تعالىٰ: ﴿انَّ الَّذِينَ يَستَكبِرُونَ عَنْ عِبادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّم داخِرِينَ﴾ (١)

و: ﴿ومن يَستَنكف عن عِبادته ويستكبر فَسَيحشرهم اليه جَميعاً﴾ (٢)

و: ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شيعَةٍ اَيُّهُمْ اَشَدُّ عَلَىٰ الرَّحْمٰنِ عِتِياً﴾ (٣) وغيرها من الآيات وقد يكون علىٰ الرُّسُل من حيث تَعزّز النّفس وتَرَفعها عن إنقيادهم كما حكىٰ اللّه تعالىٰ في كتابه حيث قال: ﴿اَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنا﴾ (٤)

و: ﴿اَنْتُمْ إلاّ بَشَرٌ مِثْلُنا﴾ (٥) وامثالها من الآيات: وقد يكون علىٰ العباد وهذا وان كان دون الأوّلين إلّا انّه ايضاً من المُهلكات العظيمة فاعظم المَراتب في القُبح والظّلم وشدة العذاب هو المَرتبة الأولىٰ اعني الكِبر علىٰ اللّه تعالىٰ ويَتلُوه الكِبر علىٰ الرُّسُل واهوَنها الكِبر علىٰ العباد ولِتَفصيل الكلام في الكِبر واقسامه وعلاجه محلّ آخر والمقصود هنا انّ إبليس ابىٰ من السّجود علىٰ آدم تَرَفعاً وتَكبراً وصار مَطرُوداً به في الدّنيا والآخرة والظّاهر انّ كِبر إبليس كان من اهوَن المَراتب وهو الكِبر علىٰ العباد لا علىٰ اللّه ولا علىٰ الرُّسُل فاذا كان عاقبة هذا الكِبر هكذا فما ظنّك بمن تَكبّر علىٰ اللّه وعلىٰ رُسُله وبعبارةٍ أُخرىٰ تَرك السّجود لآدم صار مُوجباً لطرده عن جوار رحمة اللّه في الدّارين فتَرك السّجود لِللّه تعالىٰ اشدّ واعظم نعوذ باللّه من شرُور انفسنا بحقّ مُحمّدٍ وآله الطّاهرين.

١- الغافر - ٦٠ ٢- النساء - ١٧١

٣- مريم - ٦٩ ٤- المؤمنون - ٤٧

٥- إبراهيم - ١٠

□ قوله عليه السلام: **فَمَنْ ذَابَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللّٰهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ كَلاَّ مَا كَانَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَراً بِاَمْرٍ اَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكاً اِنَّ حُكْمَهُ فِي اَهْلِ السَّمَاءِ وَاَهْلِ الْاَرْضِ لَوَاحِدٌ وَمَا بَيْنَ اللّٰهِ وَبَيْنَ اَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ فِي إِبَاحَةِ حِمىً حَرَّمَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ...**

كلمة (مَن) لِلإستفهام الإنكاري اي لا يَسلم بعد إبليس احَد من عقابه اذا صَدر عنه ما صَدر عنه ولأجل هذا اتىٰ عليه السلام بكلمة (كلاّ) اي حاشا وكلاّ ان يسلم العاصى بمعصيته من عقابه وذلك لانّه تعالىٰ لا يُدخل الجنّة بَشراً بامرٍ اخرج اللّه من الجنّة مَلَكاً به والمُراد بالأمر ليس إلّا الكِبر وبعبارةٍ أُخرىٰ أخرج اللّه تعالىٰ إبليس من جنتّه لِكِبره فكيف يُدخل المُتكبر فيها والمَفروض انّ حُكمه تعالىٰ فى اهل السّماء اعنى المَلائكة واهل الأرض لواحدٍ لا فَرق فيه من هذه الجهة فكما انّ المَلَك يَخرج من الجنّة عن كِبر ساعةٍ كذلك الإِنسان المُتّكبر لا يَدخلها اصلاً اذ الجنّة ليست بمثوىً للمُتكبرين هذا اوّلاً وثانياً انّه ليس بينه تعالىٰ وبين احَد من خَلقه مَلَكاً كان او غَيره هَوادة ورخصة فى إباحة حِمىً حرّمه اللّه علىٰ العالمين والتّكبر من هذا القبيل.

الفصل الثّانى منها

□ قوله عليه السلام: **فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللّٰهِ اَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ وَاَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ بِنِدَائِهِ وَاَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوَّقَ لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ وَاَغْرَقَ لَكُمْ بِالنَّزْعِ الشَّدِيدِ وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ فَقَالَ رَبِّ بِمَا اَغْوَيْتَنِي لَاُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْاَرْضِ وَلَاُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ قَذْفاً بِغَيْبٍ بَعِيدٍ وَرَجْماً بِظَنٍّ مُصِيبٍ صَدَّقَهُ بِهِ اَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ وَاِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ وَفُرْسَانُ الْكِبْرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ حَتَّى اِذَا انْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ وَاسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَةُ مِنْهُ فِيكُمْ فَنَجَمَتِ الْحَالُ مِنَ السِّرِّ الْخَفِيِّ اِلَى الْاَمْرِ الْجَلِيِّ اِسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ وَدَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ**

فَاَقْحَمُوكُمْ وَلَجَاتِ الذُّلِّ وَاَحَلُّوكُمْ وَرَطَاتِ الْقَتْلِ و أَوْطَاؤُكُمْ إِثْخَانَ الْجِرَاحَةِ طَعْناً فِي عُيُونِكُمْ وَحَزاً فِي حُلُوقِكُمْ وَدَقّاً لِمَنَاخِرِكُمْ وَقَصْداً لِمَقَاتِلِكُمْ وَسَوْقاً بِخَزَائِمِ الْقَهْرِ إِلَى النَّارِ الْمُعَدَّةِ لَكُمْ فَاَصْبَحَ اَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ حَرْجاً وَاَوْرَىٰ فِي دُنْيَاكُمْ قَدْحاً مِنَ الَّذِينَ اَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ وَعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ وَلَهُ جِدَّكُمْ فَلَعَمْرُ اللّٰهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَىٰ اَصْلِكُمْ وَوَقَعَ فِي حَسَبِكُمْ وَدَفَعَ فِي نَسَبِكُمْ وَاَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ وَقَصَدَ بِرَجِلِهِ سَبِيلَكُمْ يَقْتَنِصُونَكُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ لَا تَمْتَنِعُونَ بِحِيلَةٍ وَلَا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ فِي حَوْمَةِ ذُلٍّ وَحَلْقَةِ ضِيقٍ وَعَرْصَةِ مَوْتٍ وَجَوْلَةِ بَلَاءٍ فَاَطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ وَاَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ فَاِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ وَنَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ وَاعْتَمِدُوا وَضْعَ التَّذَلُّلِ عَلَىٰ رُؤُسِكُمْ وَاِلْقَاءَ التَّعَزُّزِ تَحْتَ اَقْدَامِكُمْ وَخَلْعَ التَّكَبُّرِ مِنْ اَعْنَاقِكُمْ وَاتَّخِذُوا التَّوَاضُعَ مَسْلَحَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ اِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ فَاِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُوداً وَأَعْوَاناً وَرَجِلاً وَفُرْسَاناً وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَىٰ ابْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَهُ اللّٰهُ فِيهِ سِوَىٰ مَا اَلْحَقَتِ الْعَظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ وَقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي اَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبْرِ الَّذِي اَعْقَبَهُ اللّٰهُ بِهِ النَّدَامَةَ وَاَلْزَمَهُ آثَامَ الْقَاتِلِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

◁ اللغة

(يُعْدِيكُمْ) من أعدَىٰ يُعدي اذا أصاب (يَسْتَفِزَّكُمْ) مُضارع من استفز أي يَستنهضكم لما يُريد (بِخَيْلِهِ) اي رِكبانه (وَرَجِلِهِ) بفتح الرّاء وسكون الجيم وهو ضدّ الفارس)اغرَق استوفىٰ (النَّزْعِ) في القَوس مدّها (الْجَامِحَةُ) يقال جَمَح الفَرس اذا اعتزّ راكبه وغَلبه (الطَّمَاعِيَّةُ) مُبالغة في الطمع (نَجَمَتِ) ظَهرت وبَرَزت (إِسْتَفْحَلَ) اي قَوِي واشتَد (دَلَفَ) دلفاً ودلفافاً الدَّلف مشى المُقيّد، (اَقْحَمُوكُمْ) الإقحام الإدخال اي ادخلوكم (وَلَجَاتِ) بالتّحريك جمع

وَلَجة بالتّحريك ايضاً كهفٌ يُستتر فيه المّارة من مَطرٍ ونحوه (أَوطاؤوكم) أوطأ فرَسه اذا حَمَله عليه فوطأه وأَوطاؤوهم جَعلوهم يُوطئون فهراً وقيل أَوطأَه أي أركَبه (اِثْخَانَ) يقال أَثخن في القَتل إِثخاناً اذا أكثر فيه (حَزّاً) الحزّ بالحاء المُهملة المفتوحة والزّاء المُشدّدة بعدها القَطع (حُلُوقِكُمْ) جمع حَلق (بِخَزَائِمِ الْقَهْرِ) الخَزائم جمع خزامة ككتابة وهي حلقة تُوضع في وترة انف البعير فيُشدّ فيها الزّمام (اَوْرَىٰ) بالألِف اخرج ناره يقال ورَىٰ يَرىٰ وريَاً، خرجت ناره (بنان) البَنان الأصابع (نَخَوَاتِهِ) النَّخوة التَكبُر (نَزعاته) النَّزعة المرّة (نَفَثَاتِهِ) النَفثة النَّضخة (مَسْلَحَةً) بفتح الميم وسكون السّين وفتح إلّام علىٰ وزن مَلعَبة الثّغر الّذي يُدافع العدّو عنده والقوم ذوو السّلاح.

◁ **المعنىٰ**

(فَاحْذَرُوا) الشّيطان يا (عِبَادْ اللّٰهِ اَنْ يُعْدِيَكُمْ) ويُصيبكم (بِدَائِهِ) اى بشيءٍ مـن داءه بـالمُخالطة (وَاَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ بندائه) ويَستَنهِضكم (بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ) بركبانه وغيرها (فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوَّقَ) الشّيطان (لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ) اي وضع فوق سَهمه علىٰ الوتر (وَاَغْرَقَ لَكُمْ بِالنَّزْعِ الشَّدِيدِ) اى استَوفىٰ مدّ القَوس وبالغ في نَزعها (وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) لأنّه يجري من ابن آدم مَجرىٰ الدَّم (فَقَالَ رَبِّ بِمَا اَغْوَيْتَنِي) الآية (قَذْفاً بِغَيْبٍ بَعِيدٍ) اى رَمياً بامرٍ غائبٍ مُتوهم (وَرَجْماً بِظَنٍّ مُصِيبٍ) وذلك لأنّه اصاب فيما قال من الإضلال والإغواء (صَدَّقَهُ) اى صدّق الشّيطان (بِهِ) اى بما قال (اَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ) الجاهلّية (وَاِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ وَفُرْسَانُ الْكِبْرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ) اي هـؤلاء صـدّقوه وتـبعوه (حَتَّىٰ اِذَا انْقَادَتْ) واطاعت (لَهُ الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ) وهُم الّذين تَقدّم ذكرهم من ابناء الحَمِيّة والعَصّبية (وَاسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَّةُ مِنْهُ فِيكُمْ) بسبب مَزيد انقيادكم له (فَنَجَمَتِ) وظَهرت (الْحَالُ مِنَ السِّرِّ الْخَفِيِّ اِلَىٰ الْاَمْرِ الْجَلِيِّ) اي خرج ما بالقُوّة الىٰ ما بالفِعل (اِسْتَفْحَلَ) اى قَوى واشتّد (سُلْطَانَهُ عَلَيْكُمْ وَدَلَفَ) اي نَهض (بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ فَاَقْحَمُوكُمْ) اى ادخلوكم (وَلَجَاتِ الذُّلِّ) اي كهُوفها

المَسْتُورة (وَاَحَلُّوكُمْ وَرَطَاتِ الْقَتْلِ) اى انزلوكُم فى مَهالك القتل والهلاكـة (وَأَوْطَأَوُكُمْ اِثْخَانَ الْجِرَاحَةِ) أي أركَـبُوكُم الجـراحـات البالغة (طَعْناً فِى عُيُونِكُمْ وَحَزاًّ) وقطعاً (فِى حُلُوقِكُمْ وَدَقّاً لِمَنَاخِرِكُمْ) وهو كناية عن إحاطته بالأعضاء جميعها (وَقَصْداً لِمَقَاتِلِكُمْ) اي قَصدوا قَصداً لمَحَال قتلكم (وَسَوْقاً بِخَزَائِمِ الْقَهْرِ اِلَى النَّارِ المُعَدَّةِ لَكُمْ) اي ساقُوكم اليها (فَاَصْبَحَ) إبليس (اَعْظَمَ فِى دِينِكُمْ حَرْجاً وَاَوْرَىٰ) واشدَ قَدحاً لِلنَار فِى دُنْيَاكُمْ قَدْحاً مِنَ الَّذِينَ اَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ) اي نصبتُم لهم العَدَاوة، (وَعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ) ومُجتمعين (فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ) علىٰ إبليس (حَدَّكُمْ) بالحاء المُهملة اي غَضبكم وحـدّتكم (وَلَهُ جَدَّكُمْ) بالجيم المَفتوحة اي قطعكم (فَلَعَمْرُ اللّٰهِ لَقَدْ فَخَرَ) إبليس (عَلَىٰ اَصْلِكُمْ) وهو الطِّين الَّذي خُلقتُم منه (وَوَقَعَ فِى حَسَبِكُمْ) فقال انا خير منه (وَدَفَعَ فِى نَسَبِكُمْ) فإدعىٰ انَّ نَسَبه خَيرٌ من نَسَبكم (وَاَجْلَبَ بِخَيْلِهِ) وركبانه (عَلَيْكُمْ وَقَصَدَ بِرَجِلِهِ سَبِيلَكُمْ) ليمنعوكم عن الحقّ واتباعه.

(يَقْتَنِصُونَكُمْ) ويتَصيدونكم (بِكُلِّ مَكَانٍ وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ) اى يَضربُون اطراف اصابعكم (لَا تَمْتَنِعُونَ) مِن ضَربهم (بِحِيلَةٍ وَلَا تَدْفَعُونَ) ضرَهم ومَكرهم (بِعَزِيمَةٍ) وقصدٍ (فِى حَوْمَةِ ذُلٍّ وَحَلْقَةِ ضِيقٍ وَعَرْصَةِ مَوْتٍ وَجَوْلَةِ بَلاَءٍ) هذه اوصاف الدّنيا (فَاَطْفِئُوا مَا كَمَنَ) وستَر (فِى قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ) العَربية (وَاَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ) الّتى امحاها الإسلام (فَاِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ) المُهلكة (فِى الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ وَنَزَغَاتِهِ) اي تَكبُره وإفسادَه (وَنَفَثَاتِهِ) ونـفخاته (وَاعْتَمِدُوا وَضْعَ التَّذَلُّلِ عَلَىٰ رُؤُسِكُمْ) فانَّ مَن تواضَع لِللّه رَفعه اللّه (وَاِلْقَاءَ التَّعَزُّزِ) والتَكبُر (تَحْتَ اَقْدَامِكُمْ وَخَلْعَ التَّكَبُّرِ مِنْ اَعْنَاقِكُمْ) لَكون التَكبر مذموماً عقلاً وشرعاً (وَاتَّخِذُوا التَّوَاضُعَ مَسْلَحَةً) اي ثغراً يدافع الحدود عنده (بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ) مـن الجـن والإنس (فَاِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ اُمَّةٍ جُنُوداً وَأَعْوَاناً) انـصاراً (وَرَجِلاً وَفُرْسَاناً) ركباناً وغيرها (وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَىٰ ابْنِ اُمِّهِ) أي لا تكونوا

مثل قابيل الّذي تكبّر علىٰ اخيه هابيل مع كونهما من اب وأمّ واحد (مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَهُ اللّٰهُ فِيهِ سَوىٰ مَا اَلْحَقَتِ الْعَظَمَةُ) والكبرياء (بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ) نشات (الْحَسَدِ وَقَدَحَتِ) واخرجت (الْحَمِيَّةُ) والعصبية (فِى قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِى اَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبْرِ الَّذي اَعْقَبَهُ اللّٰهُ بِهِ النَّدَامَةَ) علىٰ مافعل، (وَالْزَمَهُ آثَامَ الْقَاتِلِينَ) وأوزارهم (اِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) انتهىٰ.

◁ الشرح

▫ قوله عليه السلام: فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللّٰهِ اَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ وَاَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ بِنِدَائِهِ وَاَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ...

والتقدير يا عباد اللّه، أمرهم بالحذر عن إبليس ومكائده فقال أحذروا من أن يُعديكم ويُصيبكم بشئٍ من داءه بالمُخالطة كما يُعدي الأجرب السّليم وان يستّفزكم ويستّنهضكم بنداءه لما يريد منكم وان يُجلب عليكم بركبانه ومشاته وفى هذه الكلمات إشارة الىٰ مداخله ومكائده وقدرته وشوكته كالسّلطان الّذي يهجم علىٰ الأعداء بخيله ورجله والىٰ هذا المعنىٰ أُشير فى الكتاب حيث قال تعالىٰ:﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَاَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجِلِكَ﴾(١)

فقوله عليه السلام: وَاَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ بِنَدَائِهِ، إشارة صدر الآية وقوله عليه السلام: وَاَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ الخ الىٰ ذيلها والرَّجْل بفتح الرّاء وسكون الجيم اسم للرّاجل كالرّكب اسم للرّاكب والصَّحب لِلصّاحب والرّاجل من يمشى علىٰ رِجله ضِدّ الرّاكب:

▫ قوله عليه السلام: فَلَعَمْرِى لَقَدْ فَوَّقَ لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ وَاَغْرَقَ لَكُمْ بِالنَّزْعِ الشَّدِيدِ وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ...

ثم اقسم عليه السلام بنفسه الشّريفة وقال فلعمري اي أُقسم بنفسى لقد فوّق الشّيطان لكم سَهم الوَعيد اي وَضَع فوق سَهمه علىٰ الوتر او انّ المراد جَعَل لسَهمه فوقاً وكيف كان فهو كناية عن استعداده وانّه غير غافلٍ عَنكم وامّا قوله

١- الاسراء-٦٤.

ﷺ واغرق لكم بالنزع الشديد يقال اغرق النازع اذ استوفى مدّ قوسه والمعنى انّ الشيطان مدّ قوسه ليرميكم بها وقوله ﷺ: **وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ**، إشارة الى قرب إبليس من اولاد آدم وذلك لأنّه يجري من ابن آدم مجرى الدّم وعليه فرميه ايّاه يكون من مكانٍ قريب فلا خطا فيه قطعاً كما قال تعالى حكاية عنه: **﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُم فِى الأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُم أَجْمَعِينَ،إلاّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾** (١)

و : **﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾** (٢)

و : **﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾** (٣) وإسناده الإغواء اليه تعالى بناءً على مذهبه فانّه اوّل من قال بالجبر كما ثبت فى محلّه.

□ قوله ﷺ: **قَذْفاً بِغَيْبٍ بَعِيدٍ وَرَجْماً بِظَنٍّ مُصِيبٍ...**

قال الشارح المُعتزلى والعرب تقول للشئ المُتوهم على بُعدٍ هذا قذفٌ بغيبٍ بعيد وعليه فالمُراد انّ إبليس يرمى رَمياً بامرٍ بعيد المَرمى غائب عن النّظر وهذا الكلام ماخوذ من القرآن قال اللّه تعالى فى قُريش: **﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾** (٤) ثُمّ انّ القذف تارة يكون فى الحقّ وأُخرى فى الباطل فأن كان فى الباطل فهو يكون بالغَيب من مكانٍ بعيد كما فى المقام وان كان فى الحقّ فلا يكون فى المُتوهم كما قال اللّه تعالى فى كتابه: **﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾** (٥)

و : **﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾** (٦)

وامّا قوله ﷺ: **وَرَجْماً بِظَنٍّ مُصِيبٍ** فهو إشارة الى انّ إبليس قد اصاب فيما قال: **﴿لأغوينّهم اجمعين﴾** والى إصابته أُشير فى الكتاب حيث قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾** (٧) كما قال ﷺ :

١-الحجر ـ٤٠/٣٩   ٢-اعراف ـ١٦.
٣- ص ـ٨٢   ٤- سبا ـ٥٣
٥- الانبياء ـ١٨   ٦- سبا ـ٤٨
٧- سبا ـ٢١/٢٠

▫ قوله ﷺ: صَدَّقَهُ بِهِ اَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ وَاِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ وَفُرْسَانُ الْكِبْرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ...

اي صَدَق إبليس في إغوائه ابناء الحَمِيّة واخوان العَصَبية وفُرسان الكِبر والجاهلَية والمقصود انّ هؤلاء الفرق صَدّقوه واتّبعوه فيما اراد وذلك لأنَّ الحَمِيّة والعَصَّبية والكِبر اصُول الكفر والإلحاد والشّقاق والنّفاق ورؤس الخطايا والمَعاصي فمن كان خارجاً عنها لا يتّبع الشّيطان اصلاً وليس له عليهم سُلطان ابداً وقد وَرَد الذّم بها في الآيات والأخبار.

(في الآيات والاخبار الواردة فيها) قال اللّه تعالىٰ: ﴿يَظُنُّونَ بِاللّٰهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾(١)

و: ﴿اَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ اَحْسَنُ مِنَ اللّٰهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(٢)

و: ﴿اِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾(٣)

وفي البحار باسناده عن ابي عبد اللّه ﷺ قال ﷺ من تَعَصّب او تُعصّب له فقد خلع ربقة الإيمان من عُنقه انتهىٰ...

وقال في النهاية في معنىٰ العَصَّبية، العصبي من يعين قومه علىٰ الظّلم الىٰ ان قال والعُصبة الأقارب من جهة الأب لأنّهم يعصبونه ويُعتصب بهم اي يحيطُون به ويشتدّ بهم ومنه الحديث ليس منّا من دعا الىٰ عَصبيته او قاتل عصبيته والتّعَصب المحامات والمدافعة انتهىٰ «ج ١٥ ص ١٣٨ الثالث من الايمان والكفر»...

وقال الطّبرسي في تفسير قوله تعالىٰ في قلُوبهم الحَمِيّة حَمِيّة الجاهلّية، الحَمِيّة الأنفة والإنكار يقال فلان ذو حَمِيّة منكرة اذا كان ذا غَضب وانَفَة اي حَميّت قلُوبهم بالغَضب كعادة ابائهم في الجاهلّية اي لا يذعنُوا لأحَدٍ ولا ينقادوا له انتهىٰ وقال الرّاغب عُبّر عن القُوّة الغَضبية اذا ثارت بالحَمِيّة فقيل

١- آل عمران ـ١٥٤ـ
٢- المائدة ـ٥٠ـ
٣- الفتح ـ٢٦ـ

حميت علیٰ فلان اذا غضبت انتهیٰ...

روي فی البحار باسناده عن الصّادق عليه السلام قال قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله من كان فی قلبه حبّة من خردل من عَصَّبية بَعثه اللّه تعالیٰ يوم القيامة مع اعراب الجاهلّية انتهیٰ «ص ١٣٩»...

وباسناده عنه عليه السلام قال كان رسُول اللّه صلى الله عليه وآله يتّعوذ فی كلّ يوم من سَت، من الشك والشّرك والحَميّة والغَضَب والبغی والحَسَد انتهیٰ «ص ١٤٠»...

وباسناده عن امير المؤمنين عليه السلام قال انّ اللّه عزّ وجلّ يُعذّب ستّة بسَت، العرب بالعَصَّبية، والدّهاقنة بالكِبر، والأُمراء بالجَور، والفُقهاء بالحَسَد، والتّجار بالخيانة واهل الرّستاق بالجَهل انتهیٰ «ص ١٤٠»...

وايضاً عنه عليه السلام قال من تَعَصب عَصبّه اللّه عزّ وجلّ بعصابةٍ من نار انتهیٰ «ص ١٤١»...

وباسناده عن علّی عليه السلام قال من صَنع شيئاً للمفاخرة حَشره اللّه يوم القيامة أَسود انتهیٰ «ص ١٤١»...

وباسناده عن الباقر عليه السلام قال لمّا كان يوم فتح مكّة قام رسُول اللّه صلى الله عليه وآله فی النّاس خطيباً فحَمد اللّه واثنیٰ عليه ثُمّ قال: ايّها النّاس ليبلغ الشّاهد الغائب انّ اللّه تبارك وتعالیٰ قد أَذهَب عنكُم بالإسلام نَخوة الجاهلّية والتّفاخر بآبائها وعشائرها أيّها النّاس انكم من آدم وآدم من طين الا وانّ خيركم عند اللّه واكرمكم عليه اليوم اتقاكم واطوعكم الا وانّ العرّبية ليست باب ولكنّها لسان ناطق فمَن طعن بينكم وعلم انه يبلغه رضوان اللّه حسبه الا وانّ كلّ دمٍ او مَظلَمة او اخَبة كانت فی الجاهلّية فهی تظّل تحت قدمی الیٰ يوم القيامة انتهیٰ...

والاحاديث الواردة فی ذَمّ العَصَبية والحَميّة كثيرة وامّا الكِبر فقد مَرّ الكلام فيه وكيف كان لا شك فی شناعتها وقُبحها عقلاً ونقلاً فلا نحتاج الیٰ تفصيل الكلام فيها.

وينبغي التّنبيه على أُمورٍ، أحدها أنّ هذه الأوصاف القَبيحة كثيراً ما تجدها في الأعراب ظنّاً منهم انّ نسل العرب أَفضَل وأشرَف من غيرهم ولَم يعلموا أنّ شَرف الإِنسان بالتّقوى كما قال اللّه تعالى: ﴿إِنّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثَى وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَ قَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَاللهِ أَتْقَيكُمْ﴾(1) وعليه فلا مجال لإِحدٍ البحث في هذه الأوهام الفاسدة والظّنون الكاسدة النّاشئة عن محض الجهل والحماقة والتّعصب واللّجاجة ولا عَجَب منهم فانّهم كانوا من اوّل الأمر كذلك كما حكى اللّه تعالى في كتابه حيث قال: ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً﴾(2) وغيرها من الآيات الواردة في سُوء سَريرتهم وخبث طينتهم وامّا غيرهم من المِلل المُختلفة في العالم فلَم نسمع منهم التّفوه بهذه الهَفوات والتّكلم بهذه الموهُومات التّي يَضحك بها الثّكلى وللبحث فيه مقام آخر.

▫ قوله ﷺ: **حَتَّى إِذَا انْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ وَاسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَّةُ مِنْهُ فِيكُمْ...**

يقال جمح الرّجل اذا رَكَب هواه وأسرع الى الشّيء فلم يمكن ردّه وعليه فالمعنى حتّى اذا انقادت واطاعت له اي للشّيطان الجامِحة منكم اي العاصية الطّاغية وقيل معناه استعان إبليس ببعضكُم على من لَم يطعه منكم هذا بناء على قراءة الجامِحة بالحاء المهملة وامّا على القراءة بالخاء المعجمة فمعناها الفاخرة المتكبرة وقوله ﷺ: **وَاسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَّةُ مِنْهُ** اي من إبليس منكُم وخلاصة الكلام انقيادكم له واستّحكام طمعه فيكم يصير باعثاً لما سيذكره قريباً.

▫ قوله ﷺ: **فَنَجَمَتِ الْحَالُ مِنَ السِّرِّ الْخَفِيِّ إِلَى الأَمْرِ الْجَلِيِّ...**

اي فظهرت الحال من القُوّة الى الفعل وبعبارةٍ أُخرى يظهر ما في ضميره وليس هو إلّا الإِغواء والإِضلال الّذي كان إبليس قد اضمَره في قلبه بعد طرده عن جَوار رحمته وحيث انّ إخراج ما في الضّمير يحتاج الى وجود الشّرائط

١- الحجرات. ١٣
٢- التوبة. ٩٧

المُقتضية له فَعدَّ عليه السلام منها انقياد الجامِحة له وذلك لأنّه لو لَم يطعه احَد لما يقدر على ابراز ما اراد واظهاره.

□ **قوله عليه السلام: إسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ وَدَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ فَأَقْحَمُوكُمْ وَلَجَاتِ الذُّلِّ...**

اي بعد ظهور الأمر بإنقياد الجامِحة له استَفحل اي قوي واشتَد سلطانه عليكم ودَلَف ونَهض بجنُوده خيلاً ورَجلاً نحوكم ليَصطادوكم ويخرجُوكم عن الصّراط السّوي وذلك لأنّ سُلطانه على الغاوين العاصين كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (١)

و : ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٢)

و : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ (٣) وعلى هذه الآيات فليس له سلطان إلّا على المُنقادين المُطيعين له ولازم ذلك أُمُور أشار عليه السلام اليها:

١ـ **قوله عليه السلام: فاقحَموكم وَلَجات الذَل** وضمير الجَمع بإعتبار جنُوده اي انّ إبليس وجنُوده اقحَموكم وَلَجات الذُّل وادخلوكم فى زوايا الإستتار والحقارة فانّ الوَلجات جمع وَلَجة بالتّحريك وهى كهف مُستتر فيه المَارة من مطرٍ ونحوه ومغلوب الشّيطان يكون كذلك كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ (٤)

٢ – **قوله عليه السلام: وَأَحَلُّوكُمْ وَرَطَاتِ الْقَتْلِ**

هذا هو الثّانى من لوازم سُلطانه والوَرْطات جمع وَرطة بفتح الواو وسكون الرّاء وهى المَهلكة والمراد انّه وجنُوده احَلوكم وانزلُوكم مَهالك القَتل والهَلاكة:

□ **قوله عليه السلام: و أَوْطَأُوكُمْ إِثْخَانَ الْجِرَاحَةِ طَعْناً فِي عُيُونِكُمْ وَحَزّاً فِي**

١-الحجر ـ ٤٢
٢-النحل ـ ٩٩
٣-الاسراء ـ ٦٥
٤-آل عمران ـ ١٧٥

حُلُوقِكُمْ وَدَقّاً لِمَنَاخِرِكُمْ وَقَصْداً لِمَقَاتِلِكُمْ وَسَوْقاً بِخَزَائِمِ الْقَهْرِ اِلَى النَّارِ الْمُعَدَّةِ...

٣ - قوله عليه السلام: و **أَوْطَأوُكُمْ إِثْخَانَ الْجِرَاحَةِ** اي اركَبُوكم الجراحات البالغة وهو كناية عن إشعال الفِتنة بينهم حتّىٰ يُقاتلوا وقوله عليه السلام: **طَعْناً فِي عُيُونِكُمْ** الىٰ آخر ما قال عليه السلام إشارة بل كناية عن صدماتهم وإحاطتها بالأعضاء جميعها وانّه لا تسلم منها العين والحَلق والمَنخَر وفيه دلالة علىٰ كمال سُلطانه علىٰ اوليائه واتباعه وآخر الكلام سوق إبليس ايّاهم الىٰ النّار المُعدّة لهم بخزائم القهر والخزائم جمع خِزامة علىٰ وزن كتابة وهى حلقة تُوضع فى وترة انف البَعير فَيشتد فيها الزّمام، شبّه عليه السلام اولياء الشّيطان بالبَعير وهو بالرّاكب، والصّاحب ثم اثبت لهم الأنف الّذي فيه وترة، ومكائد الشّيطان بمنزلة الحَلقة التى تُوضع فيها ووجه الشّبه تسلّطه عليهم بحيث لا يمكن لهم الفَرار من حكومته وقصده كما انّ البَعير الموتورة كذلك فكما انّ صاحب البَعير يجّره الىٰ حيث اراد وشاء كذلك إبليس يجّر اوليائه الىٰ النّار المُعدّة لهم ولأجل هذا ورَد النّهى عن متابعته فى الكتاب والسُّنّة فانّ عداوته لنا معلومة، قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً﴾ (١)

و: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيداً﴾ (٢)

و: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ (٣)

و: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً﴾ (٤)

و: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً﴾ (٥)

□ قوله عليه السلام: **لَكُمْ فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ حَرْجاً وَأَوْرَىٰ فِي دُنْيَاكُمْ قَدْحاً مِنَ الَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ وَعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ وَلَهُ جَدَّكُمْ...**

١- النساء ـ ٣٨
٢- النساء ـ ٦٠
٣- الاعراف ـ ٢٧
٤- الفرقان ـ ٢٩
٥- الفاطر ـ ٦

اي اذا سُلّط عليكم وصُرتم مُنقادين له فاصبح الشّيطان اعظم في دينكم جرحاً وقَدحاً واورىٰ اي واصبح اشد قدحاً للنّار في دنياكم وبعبارةٍ أخرىٰ صار دينكم به مجروحاً ودنياكم به مقدوحاً خسر الدّنيا والآخرة وذلك هو الخُسران المُبين وقوله ﷺ: **مِنَ الَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ وَعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ** مراده ﷺ انّ الشّيطان اضر عليكم من الّذين كنتم لهم مُناصبين اي مجاهرين بالعداوة وعليهم مُتالبّين اي مُجتمعين وحاصل المعنىٰ انه أضَر عليكم بوساوسه ومكائده من أخوانكم الّذين أصبحتم لهم مُعاندين ومُتالبين فَاجعلوا عليه اي علىٰ إبليس وجنُوده جدّكم اي غضبكم وحِدتكم وله جدّكم اي قطعكم والمقصُود قطع الوصلة بينكم وبينه والحبّ لِللّه والإعتصام بحَبله.

▫ قوله ﷺ: **فَلَعَمْرُ اللّهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَىٰ أَصْلِكُمْ وَوَقَعَ فِي حَسَبِكُمْ وَدَفَعَ فِي نَسَبِكُمْ وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ وَقَصَدَ بِرَجِلِهِ سَبِيلَكُمْ يَقْتَنِصُونَكُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ...**

اي أُقسم باللّه تعالىٰ لقد فَخر إبليس علىٰ أصلكم وهو آدم أو الطّين الّذي خُلق منه فقال انا خيرٌ منه خَلقتني من نارٍ وخَلقته من طينٍ، ووقَع في حَسبكم فظنّ انّ حَسبَه خير من حَسبكم ودَفَع في نَسبكم فقال: **﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾**[1] وأجلَب بخيله عليكم وقَصد برَجله سَبيلكم، فَصاح فرسانه واجمعهم عليكم بالإغواء والإضلال وقَصد مع راجليه سبيلكم ليضلوكم عن طريق الحقّ فهُم يقتنصونكم ويتصّيدونكم لا محالة بكلّ مكانٍ ويضربون منكم اطراف اصابعكم في اذاكم واستئصالكم فلا مفَرّ لكم إلّا بعون اللّه وقوته منه ومن جُنوده كما قال ﷺ:

▫ قوله ﷺ: **لَا تَمْتَنِعُونَ بِحِيلَةٍ وَلَا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ فِي حَوْمَةِ ذُلٍّ وَحَلْقَةِ ضِيقٍ وَعَرْصَةِ مَوْتٍ وَجَوْلَةِ بَلَاءٍ...**

فلا يقدرون علىٰ الإمتناع من ضرّهم وضربهم بالحيلة ولا يمكن دفعهم

---

١ - الاسراء ٦١.

بعزيمةٍ وقصدٍ والحال انّكم فى حَومةِ ذُلٍ وحَلقةِ ضيقٍ وعَرصة مَوتٍ وجَولة بلاءٍ، وهذه كلّها اوصاف الإنسان فى الدّنيا والمقصود انّ الإنسان مع كونه فى الدّنيا كذلك فكيف يمكن له الفَرار من حكمه اللّهم إلّا ان يخرج منها بروحه وان كان فيها بجسمه كما قال ﷺ مُوتوا قبل ان تموتوا ولا يصل الىٰ هذا المقام إلّا بتوفيقٍ من اللّه تعالىٰ والإستعاذة به.

▫ **قوله ؑ: فَاطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ وَاَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ...**

اي اذا اردتم الخَلاص من شره والنّجاة من كيده فاطفِئوا نار العَصَّبية المستُورة فى قلوبكم فانّها راس كلّ خطيئة واصل كلّ بلّية والأحقاد الجاهليّة التى دَعَتكم الىٰ مُتابعته وأبعَدكم عن إطاعة ربّكم فقولوا نعوذ باللّه منه قولاً وعَملاً.

▫ **قوله ؑ: فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ وَنَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ...**

كلمة (انّما) تفيد الحصر والمراد انّ تلك الحَميّة الثّابتة فيكم وفى كلّ مُسلم لا تكون من قِبل نفس المُسلم بل من خطرات الشّيطان ونَخواته وإفساده ونَفَخاته ووَساوسه.

▫ **قوله ؑ: وَاعْتَمِدُوا وَضْعَ التَّذَلُّلِ عَلَىٰ رُؤُسِكُمْ وَإِلْقَاءَ التَّعَزُّزِ تَحْتَ اَقْدَامِكُمْ وَخَلْعَ التَّكَبُّرِ مِنْ اَعْنَاقِكُمْ...**

اي واعتمِدوا واقصدوا فى مَشيكم الىٰ مقام القُرب علىٰ أُمور ثلاثة هى أساس العبُوديّة احدها وضع التَذلل علىٰ رؤوسكُم اي اجعلوا التّواضع والتّذلل بمنزلة التّيجان علىٰ رؤوسكم وثانيها، إلقاء التّعزز تحت اقدامكُم وهو كناية عن عدم التّلبس به وثالثها، خَلع التّكبر من الأعناق اي عدم الإتّصاف به فانّ من تَواضع لِللّه وتجَنب عن التّعزز والتّكبر فقد سَدَّ مداخل الشّيطان كلّها.

▫ **قوله ؑ: وَاتَّخِذُوا التَّوَاضُعَ مَسْلَحَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ اِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ...**

أَمَرهم بإتخاذ التَواضع والتَذلل مَسْلَحة وثغراً بينهم وبين أعدائـهم أعـنى إبليس وجُنوده فانّ الحرب مع إبليس وجنُوده لا يمكن إلّا بهذا السَلاح وهو ظاهر.

▫ قوله ﷺ: **فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُوداً وَأَعْوَاناً وَرَجِلاً وَفُرْسَاناً...**

استَدل ﷺ علىٰ ما قال بانّ له اي لِلشَيطان من كلَ أمّة مـن الأُمَـم جُنوداً وأعواناً ورَجلاً وفُرساناً اي جنوده كثيرة مختلفة مُتشتة فى كلَ عصرِ وزمان.

▫ قوله ﷺ: **وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَىٰ ابْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَهُ اللَّهُ فِيهِ...**

اي ولا تكونوا مثل قابيل الّذي تكبر علىٰ اخيه هابيل من غير فضلٍ جَعَله اللّه فيه وكلمة (ما) زائدة معنىٰ وان جئ بها لفظاً بحَسب القاعدة وانّما قال ﷺ علىٰ ابن أُمّه ولَم يقل علىٰ اخيه حَذواً لقوله تعالىٰ حكاية عن مُوسىٰ حيث قال لأخيه هارون: **﴿يا بْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي﴾**(١) ولَم يقل يا أخى مثلاً وقد علّلوه بكونه أبلغ فى الإستعطاف.

▫ قوله ﷺ: **سِوَىٰ مَا أَلْحَقَتِ الْعَظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ وَقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبْرِ الَّذِي أَعْقَبَهُ اللَّهُ بِهِ النَّدَامَةَ وَأَلْزَمَهُ آثَامَ الْقَاتِلِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ...**

كلمة (سوىٰ) بمنزلة استثناءٍ مُنقطع اي لم يكن لقابيل فضلٌ علىٰ هابيل غير انّه أُلحَقت العَظمة والكبرياء بنفسه الخبيثة من عَداوة الحَسَد وقَدحت نـار الحَمِيَة فى قلبه من نار الغَضب ونَفخ الشَيطان فى انفه من ريح الكِبر فصار متكبراً ونتيجة ذلك النَدم علىٰ ما فَعَل وإلزام اللّه ايّاه آثام القاتلين واوزارهم الى يوم القيامة وذلك لقوله تعالىٰ: **﴿مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾**(٢)

١- الأعراف ـ١٥٠.   ٢- المائدة ـ٣٢.

روي عن الصّادق عليه السلام أنه لمّا أكلت النّار قربان هابيل ولَم تأكل قربان قابيل فأتاه إبليس لَعَنه اللّه فقال ياقابيل انّ هذا الأمر الّذي انت فيه ليس بشيءٍ لأنّه انّما انت واخوك فلو وَلَد لكما وَلَد وكثر نَسلكما افتَخر علىٰ نسلك بما خصّه به ابوك لقبول النّار قربانه وتركها قربانك وانّك ان قَتلته لم يجد ابوك بُدّاً من ان يخصّك بما دَفعه اليه قال عليه السلام فوَثب قابيل الىٰ هابيل فقَتله ثُمّ قال إبليس انّ النّار التّي قَبلت القربان هى العَظمة فعظّمها واتّخذها بيتاً واجعل لها اهلاً واحسن عبادتها والقيام اليها (عليها) والحديث طويل ذكر عليه السلام فيها اسرار الخباية «بحار الانوار ج ٥ ص ٦٢»...

وحيث انّا قد تكلّمنا فى قصّة آدم وقَتل قابيل هابيل وعلّة القتل وغيرهما ممّا هو مربوط بها عند شرحنا الخُطبة الأُولىٰ فلا نطُول الكلام بذكره ثانياً والّذي حَصَل لنا فى المقام علىٰ طريق اللّب هو الإحتراز عن مكائد الشّيطان وغوائله والإجتناب عن حبائله ووساوسه من الكِبر والحَسد والتّعصب والحَميّة وغيرها من رذائل الأخلاق وذمائم الصّفات ولا يمكن ذلك إلّا بالتّوكل علىٰ اللّه والإستعاذة به فى جميع المراحل من طريق العمل بكتاب اللّه وسنّة نبّيه فانّ اللّه تعالىٰ قد أوضح فى الكتاب سُبل الرّشاد وحذّرنا عن الشّيطان ومتابعته فى غير واحدٍ من الآيات وفصّلها النّبى والأئمّة فى الأخبار والآثار:(ليَهلك من هَلك عن بيّنة ويحيىٰ من حيّ عن بيّنة وما ربّك بظلّامٍ لِلعبيد)، وليعلَم ايضاً انّ مداخل الشّيطان ومَنافذه كثيرة مختلفة متشتّة لا يمكن انحصارها فى موردٍ او موارد مُعيّنة فينبغى لِلإنسان المُراعات فى كلّ الأعمال والأقوال وان لا يعجب بنفسه فانّ العُجب من المُهلكات وان إستعاذ باللّه فى جميع المقامات فانّ التّخلص من شّر الشّيطان صَعبٌ عسيرٌ لا يمكن لأحدٍ إلّا بتَوفيق منه تعالىٰ كما قال اللّه فى كتابه:﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ (١)

١ـ الاعراف ـ٢٧.

و : ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾[1] والآيات كثيرة وفيما ذكرناه منها في المقام وما ذكره ﷺ من الكلام كفاية لأولي الألباب.

الفصل الثالث

□ قوله ﷺ: أَلاَ وَقَدْ أَمْعَنْتُمْ فِي الْبَغْيِ وَأَفْسَدْتُمْ فِي الْأَرْضِ مُصَارَحَةً لِلَّهِ بِالْمُنَاصَبَةِ وَمُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحَارَبَةِ فَاللَّهِ اللَّهِ فِي كِبْرِ الْحَمِيَّةِ وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مَلاَقِحُ الشَّنَآنِ وَمَنَافِخُ الشَّيْطَانِ الَّتِي خَدَعَ بِهَا الْأُمَمَ الْمَاضِيَةَ وَالْقُرُونَ الْخَالِيَةَ حَتَّىٰ أَعْنَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ وَمَهَاوِي ضَلاَلَتِهِ ذُلُلاً عَنْ سِيَاقِهِ سُلُساً فِي قِيَادِهِ أَمْراً تَشَابَهَتِ الْقُلُوبُ فِيهِ وَتَتَابَعَتِ الْقُرُونُ عَلَيْهِ وَكِبْراً تَضَايَقَتِ الصُّدُورُ بِهِ.

أَلاَ فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمُ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ وَأَلْقَوُا الْهَجِينَةَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَجَاحَدُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا صَنَعَ بِهِمْ مُكَابَرَةً لِقَضَائِهِ وَمُغَالَبَةً لِآلاَئِهِ فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ وَسُيُوفُ اعْتِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلاَ تَكُونُوا لِنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَضْدَاداً وَلاَ لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَّاداً وَلاَ تُطِيعُوا الْأَدْعِيَاءَ الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ وَهُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ وَأَحْلاَسُ الْعُقُوقِ اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلاَلٍ وَجُنْداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَىٰ أَلْسِنَتِهِمْ اسْتِرَاقاً لِعُقُولِكُمْ وَدُخُولاً فِي عُيُونِكُمْ وَنَفْثاً فِي أَسْمَاعِكُمْ فَجَعَلَكُمْ مَرْمَىٰ نَبْلِهِ وَمَوْطِئَ قَدَمِهِ وَمَأْخَذَ يَدِهِ.

فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الْأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَصَوْلاَتِهِ وَوَقَائِعِهِ وَمَثُلاَتِهِ وَاتَّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ

١- البقرة ـ ٢٠٨

وَاسْتَعِيذُوا بِاللّهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ كَمَا تَسْتَعِيذُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ فَلَوْ رَخَّصَ اللّهُ فِي الْكِبْرِ لِأَحَدٍ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ وَلٰكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ فَأَلْصَقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ وَعَفَّرُوا فِي التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ كَانُوا قَوْماً مُسْتَضْعَفِينَ قَدِ اخْتَبَرَهُمُ اللّهُ بِالْمَخْمَصَةِ وَابْتَلَاهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ وَامْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ وَمَخَضَهُمْ بِالْمَكَارِهِ فَلَا تَعْتَبِرُوا الرِّضَىٰ وَالسُّخْطَ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ جَهْلاً بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ فِي مَوْضِعِ الْغِنَىٰ وَالِاقْتِدَارِ فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ (أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ، نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ) فَإِنَّ اللّهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ.

وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَىٰ ابْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ عليهما السلام عَلَىٰ فِرْعَوْنَ وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ فَقَالَ أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هٰذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ وَاحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ.

◁ **اللغة**

(**أَمْعَنْتُمْ**) الإمعان الجدّ والدّقة يقال أمعن النّظر اذا جدّ فيه (**مُصَارَحَةً**) صارح يُصارح مُصارحةً صارح بما في نفسه اي ابداه (**الْحَمِيَّةِ**) العداوة (**مَلَاقِحُ**) جمع مَلقح، الفحول التي تلقح الأُناث وتتولد الأولاد (**مَنَافِخُ**) جمع منفخ (**الشَّنَآنِ**) البُغض (**حَنَادِسِ**) جمع حِندس بكسر الحاء الظّلام الشّديد (**مَهَاوِي**) جمع مَهواة الهواة التي يتردىٰ فيها الصّيد (**ذُلُلاً**) جمع ذلول من الذّل بالضّم ضدّ الصعُوبة (**سُلُساً**) السُلُس بضمّتين جمع سَلِس ككتِف السّهل (**الْهَجِينَةَ**) بفتح الهاء وكسر الجيم الفعلة القبيحة (**اعْتِزَاءِ**) الفخر بالنّسب (**الْأَدْعِيَاءَ**) جمع دَعي وهو من ينتسب الىٰ غير ابيه (**أَحْلَاسُ**) جمع حِلس

بالكسر كساءٌ رقيق يكون على ظهر البعير (الْعُقُوقِ) العصيان (نَبْلِهِ) النَبل بالفتح السّهام، (مَثُلاَتِهِ) المَثُلات بفتح الميم وضَم الثاء العقوبات (مَثَاوِى) جمع مثوىٰ بمعنىٰ المنزل (مَصَارِعِ) جمع مَصرَع (لَوَاقِحِ) لواقح الكِبر محدثاته فى النّفوس (الْمَخْمَصَةِ) الجُوع (الْمَجْهَدَةِ) المشَقة (مَخَضَهُمْ) يقال مخض اللّبن اذا حرّك ليخرج زبدة (مَدَارِعُ) جمع مِدرعة بالكسر، يقال تدَرع الرّجل المَدرَعة اذا لبَس المَدرعة (الْعِصِيُّ) كعِصى بكسر العين جمع عصاء:

◁ **المعنىٰ**

(اَلاَ وَقَدْ اَمْعَنْتُمْ فِى الْبَغْىْ) والظّلم (وَاَفْسَدْتُمْ فِى الْأَرْضِ) وصرتُم مُفسدين فيها (مُصَارَحَةً لِلّٰهِ بِالْمُنَاصَبَةِ) مُعلناً عداوته بالتّرفع والتّكبر (وَمُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحَارَبَةِ) اي حاربتموهم لأجل المُبارزة (فَاللّٰهِ اللّٰهِ) اي اتّقوا اللّه (فِى كِبْرِ الْحَمِيَّةِ وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ) لأنهما ليسا من اوصاف المُسلم المُومن (فَإِنَّهُ) اي الكِبر والفَخر (مَلاَقِحُ الشَّنَانِ) اي سَبَب تَوليد البغض والعداوة (وَمَنَافِخُ الشَّيْطَانِ) اي محّال نفخاته ونفثاته (الَّتِى خَدَعَ بِهَا الْأُمَمَ الْمَاضِيَةَ وَالْقُرُونَ الْخَالِيَةَ) فانَّ الشّيطان اهلكهم بالكِبر وامثاله من رذائل الصّفات (حَتَّىٰ اَعْنَقُوا فِى حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ) وغالبُوا فى ظُلمات ضلالته (وَمَهَاوِى ضَلاَلَتِهِ) التّى دخلوا فيها ولَم يقدروا علىٰ الخُروج منها (ذُلُلاً عَنْ سِيَاقِهِ سُلُساً فِى قِيَادِهِ) حال كونهم ذليلَين لَسوقه سهل الإنقياد لَقوده (اَمْراً تَشَابَهَتِ الْقُلُوبُ فِيهِ) اي تشابهت القلوب فى قبول الكِبر (وَتَتَابَعَتِ الْقُرُونُ عَلَيْهِ وَكِبْراً تَضَايَقَتِ الصُّدُورُ بِهِ) اي تتابعوا علىٰ التّسليم والإنقياد له ولَم تَسع الصُّدور لإخفائه (اَلاَ فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمْ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ) وذلك لما فى التّكبر من الآفة (وَاَلْقَوُا الْهَجِينَةَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ) ونَسبوا القبائح الىٰ اللّه تعالىٰ (وَجَاحَدُوا اللّٰهَ عَلَىٰ مَا صَنَعَ بِهِمْ) بإنكارهم ما أحسَن اللّه اليهم (مُكَابَرَةً لِقَضَائِهِ وَمُغَالَبَةً لِآلاَئِهِ).

يعني انّ إنكارهم كان مُكابرةً ومُعاداةً لِقضاء اللّه ومُغالبةً لآلائه ونعمائه (فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ) وبهم قوام الكِبر والحَمِيّة (وَدَعَائِمُ أَرْكَانَ الْفِتْنَةِ) اي انّ الفِتنة كانت قائمة بهم (وَسُيُوفُ اعْتِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ)لتفاخرهم بانسابهم (فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَلاَ تَكُونُوا لِنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَضْدَاداً) بالبغي والكِبر المُوجبين لكفران النّعمة (وَلاَ لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَّاداً) فانّ الحَسَد مَذموم لا يليق بالمُسلم (وَلاَ تُطِيعُوا الْأَدْعِيَاءَ) المُنتحلين الى الإسلام كمعاوية وابن العاص وامثالهما (الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ) اي خلُوصاً في إخلاصكم بكِدَر نفاقهم (وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ) اي سلامة اخلاقكم مَرض اخلاقهم (وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ) وإيمانكم بنفاقهم وإلحادهم (وَهُمْ) والحال انّهم (أَسَاسُ الْفُسُوقِ) واصلها (وَأَحْلاَسُ الْعُقُوقِ) وملازموا العصيان (اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلاَلٍ) ومراكبها (وَجُنْداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ) فيضلّهم عن سبيل الحقّ (وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَىٰ أَلْسِنَتِهِمْ) فهو يتكلم بكلامهم واقعاً (إِسْتِرَاقاً لِعُقُولِكُمْ وَدُخُولاً فِي عُيُونِكُمْ وَنَفْثاً فِي أَسْمَاعِكُمْ) اي انّما يفعل ذلك لأجل التّسلط على عقولكم وعيونكم واسماعكم وبعبارةٍ أُخرىٰ إستخدامها (فَجَعَلَكُمْ) الشّيطان (مَرْمَىٰ نَبْلِهِ) وهَدَفاً لسهامه (وَمَوْطِئَ قَدَمِهِ وَمَأْخَذَ يَدِهِ) فصرتم بذلك ذليلاً حقيراً (فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الْأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللّٰهِ وَصَوْلاَتِهِ وَوَقَائِعِهِ وَمَثُلاَتِهِ) اي فاعتبروا بما اصابهم اللّه من عذابه وعقوباته لأجل إستكبارهم (وَاتَّعِظُوا بِمَثَاوِي) ومنازل (خُدُودِهِمْ) اي مواضعها من الأرض بعد موتهم (وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ) ومطارحها علىٰ التّراب (وَاسْتَعِيذُوا بِاللّٰهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ) ومحدثاته في النّفوس (كَمَا تَسْتَعِيذُونَهُ) به تعالىٰ (مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ) وحوادثه (فَلَوْ رَخَّصَ اللّٰهُ) اي جوّز اللّه (فِي الْكِبْرِ لِأَحَدٍ) من عباده (الرَّخَّصَ) وجوّز (فِيهِ) في الكِبر (لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ) لكونهم افضل واشرف من غيرهم (وَلٰكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ) والتّعزز (وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ) والخشوع (فَأَلْصَقُوا) اي الأنبياء والأولياء (بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ) في جنب

عـظمته (وَعَفَّرُوا فِي التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ) مـن خشـيته (وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ) تواضعاً، (لِلْمُؤْمِنِينَ) دون الكافرين والحـال انـهم (كَانُوا قَوْماً مُسْتَضْعَفِينَ) لكـونهم مخلوقين له وكـلّ مخلوق ضـعيف لا محالة (قَدِ اخْتَبَرَهُمُ اللَّهُ) وامتحنهم (بِالْمَخْمَصَةِ) والجـوع (وَابْتَلاَهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ) والمشـقة (وَامْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ) والأهاويل (وَمَخَضَهُمْ بِالْمَكَارِهِ) والشّدائد (فَلاَ تَعْتَبِرُوا الرِّضَى وَالسُّخْطَ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ) لعدم كونهما مـلاكين لهـم (جَهْلاً بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ) والإختبار (فِي مَوْضِعِ الْغِنَى وَالاقْتِدَارِ) والفـقر (فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى): ﴿أَيَـحْسَبُونَ أَنَّـمَا نُـمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ، نُسَارِعُ لَـهُمْ فِي الْـخَيْرَاتِ بَلْ لا يَشْـعُرُونَ﴾[1] (فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ) ويـمتحن (عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ) هل ينظرون اليهم بعين الرّحمة والشّفقة او لا (وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى ابْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ عليه السلام عَلَى فِرْعَوْنَ) لإرشاده وهدايته (وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ) وهو من أخشَن اللّباس (وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ) العـصا (فَشَرَطَا لَهُ) لفـرعون (إِنْ أَسْلَمَ) فـرعون عـلى يـديهما (بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ فَقَالَ) فـرعون لأصـحابه (أَلاَ تَعْجَبُونَ مِنْ هذَيْنِ) مُوسى واخوه انـهما (يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ) ومُعطي الشّئ لا يكـون فـاقداً له (فَهَلاَّ أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ وَاحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ) اي انّما قال فرعون ما قال لكون الذّهَب عنده عظيماً والصّوف حقيراً ولم يعلم انّ الأمر ليس كذلك:

◁ الشرح

▫ قوله عليه السلام: أَلاَ وَقَدْ أَمْعَنْتُمْ فِي الْبَغْيِ وَأَفْسَدْتُمْ فِي الْأَرْضِ مُصَارَحَةً لِلَّهِ بِالْمُنَاصَبَةِ وَمُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحَارَبَةِ...

يقال امعَنَ الفَرس اذا تباعَدَ في عَدوه والبَغْي بفتح الباء وسكون الغين

١ـ المؤمنون ـ ٥٥

المعجمة التّجاوز عن الحَدّ يقال بَغَت السّماء اي تجاوز في المَطَر المحتاج اليه وجاء بمعنىٰ التّكبر ايضاً وذلك لتّجاوز المتّكبر منزلته الىٰ ما ليس له والمراد انّكم تباعدتم وافرطتم في التّكبر والتّجاوز عن الحَدّ الّذي اثبته الشّارع لكم وهو مذموم عقلاً وشرعاً قال اللّه تعالىٰ في كتابه في ذَمّ الباغين: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (١)

و: ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (٢)

و: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾ (٣)

و: ﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (٤)

و: ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ (٥)

و: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ (٦) وغيرها من الآيات ثُمَّ انّ البَغي ليس علىٰ اطلاقه مذموماً بل هو علىٰ ما قيل محمودٌ ومذمومٌ.

والأوّل: كالتّجاوز من العَدل الىٰ الإحسان ومن الفرض الىٰ التّطوع.

والثّاني: كالتّجاوز من الحقّ الىٰ الباطل ولأجل ذلك قال تعالىٰ: ﴿وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (٧) وهو دليل علىٰ انّ البَغي بالحقّ لا إشكال فيه بل هو مَمدوح كما في عفو ولّي الدّم بالنّسبة الىٰ القاتل الّذي حقّه القَصاص فانّ العدول عن القَصاص الّذي هو عَين العدالة الىٰ العَفو يُسمّىٰ بغياً ممدوحاً، إلّا انّ المُراد منه في كلامه ﷺ هو البَغي المذمُوم لا غيره لأنّه ﷺ في مقام ذمّ اصحابه ولقوله ﷺ: **وَأَفْسَدْتُمْ فِي الْأَرْضِ** بَعده والحاصل انهم لبغيهم صاروا مفسدين اذ لا نعني بالفساد إلّا هذا فالواو في قوله ﷺ: **وَأَفْسَدْتُمْ فِي الْأَرْضِ** في الحقيقة للتّفسير والتّوضيح فانّ الفساد من شعُوب البَغي او هو نفسه.

وقد يفرق بينهما بانّ البَغي هو التّجاوز باطناً والفَساد هو التّجاوز ظاهراً

١- المائده ـ ٥٠
٢- يونس ـ ٢٣
٣- الكهف ـ ١٠٨
٤- ص ـ ٢٤
٥- التوبة ـ ٤٨
٦- القصص ـ ٧٦
٧- الشورى - ٤٢

فمن اراد القتل بغير حقّ باغ واذا تحقّق منه ما اراد فهو مفسد فى الأرض ولعلّه لأجل هذه الدّقيقة يسمّىٰ المرائى والحَسود والبخيل والمتكبر وغيرها من رذائل الأخلاق بالباغى والقاتل والمُظهِر للحَسد والبُخل وغيرهما بالمُفسِد وعليه فالفرق بينهما بالقُوّة والفعل وَسِرّه انّ البَغى ما لَم يظهر فى الخارج لا يدخل فى الفساد فى الأرض الّذي حكمه القتل او الصَلْب وقطع الأيدي وغيرها هذا كلّه بالنّسبة الىٰ الدّنيا وامّا بالنسبة الىٰ الآخرة فَطَورٌ آخر وكيف كان فالفساد فى الأرض ايضاً مذموم بل هو اشَدّ قَدحاً بنَص الكتاب قال اللّه تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَه وَيَسْعَوْنَ فِى الْأَرْضِ فَسَاداً اَنْ يُقَتَّلُوا﴾(١)

و: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْاٰخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاٰ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِى الْأَرْضِ وَلاٰ فَسَاداً﴾(٢)

و: ﴿وَلاٰتَعْثَوْا فِى الْاَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾(٣)

و: ﴿وَاللّهُ لاٰ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾(٤)

و: ﴿فانظرو كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾(٥) والآيات كثيرة:

وامّا قوله ﷺ: **مُصَارَحَةً لِلّٰهِ بِالْمُنَاصَبَةِ وَمُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحَارَبَةِ،** فالمراد انّكم فَعَلتم ذلك لأجل المُصارحة لِلّه تعالىٰ والمبارزة للمؤمنين فالبَغى للمُصارحة والإفساد للمُبارزة والمُحاربة وتوضيحه انّ البغى لا يكون إلّا علىٰ اللّه تعالىٰ فانّ الكِبر مثلاً رداء اللّه فَمَن اتّصف به فهو فى الحقيقة يُنازعه فى ردائه وهو من اكبر مصاديق البغى فَمَن بغىٰ فانّما بغىٰ علىٰ اللّه كما رايت فى الآيات واذا كان كذلك فالبغى لا يكون إلّا لأجل المُصارحة والمواجهة له سُبحانه بالمعاداة وهذا معنىٰ قوله ﷺ: **مُصَارَحَةً لِلّٰهِ بِالْمُنَاصَبَةِ،** فانّ المُصارحة فى الأصل المُجاهرة والمُواجهة والإظهار عمّا فى الضّمير يقال صارح بما فى نفسه، ابداه واظهره والمُناصبة الإقامة يقال ناصبه مناصبة قاوَمَه

١- المائدة-٣٣ ٢- القصص-٨٣

٣- البقرة-٦٠ ٤- المائدة-٦٤

٥- الاعراف-٨٦

ويقال ناصبه مناصبة، عاداه، فالمُناصبة الإقامة والعداوة وعليه يصير محصل المعنىٰ في الجملة المبحوث عنها انّ بغيكم يكون لأجل المُواجهة له تعالىٰ والمُعاداة له ايضاً وبعبارةٍ أُخرىٰ بغيكم يكون علىٰ اللّه تعالىٰ بسبب عداوتكم ايّاه وامّا فسادكم في الأرض يكون لأجل المُبارزة للمؤمنين بسبب المُحاربة وهو ظاهر:

▫ قوله عليه السلام: **فَاللّٰهِ اللّٰهِ فِي كِبْرِ الْحَمِيَّةِ وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مَلاَقِحُ الشَّنَآنِ وَمَنَافِخُ الشَّيْطَانِ الَّتِي خَدَعَ بِهَا الْأُمَمَ الْمَاضِيَةَ وَالْقُرُونَ الْخَالِيَةَ...**

اي احذروا اللّه في كِبَر الحَمِيّة وفَخر الجاهلّية فانّه اي الكِبر والفَخر ملاقح الشّنان وسبب توليد البغض والعداوة ومنافخ الشّيطان اي محّال نفخاته ونفثاته وماكان كذلك ينبغي الحَذَر عنه اذ فيه خُسران الدّارين وهلاك النشاتين كما مَرَّ الكلام فيه كيف والأُمم الماضية، كلّهم هَلكوا بالفَخر والكِبر ومتابعتهم الشّيطان وتسّلطه عليهم وحكم الأمثال واحد:

▫ قوله عليه السلام: **حَتَّىٰ أَعْنَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ وَمَهَاوِي ضَلاَلَتِهِ ذُلُلاً عَنْ سِيَاقِهِ سُلُساً فِي قِيَادِهِ...**

اي لا زال الشّيطان خَدَعهم في الأعصار السّالفة حتّىٰ اعنقوا واسرعوا في ظلمات جهالته ومهاوي اي مهالك ضلالته ولَم يقدروا علىٰ الفرار من مَكره وخُدعته حال كونهم ذليلين لسَوقه وَسَهل الإنقياد لقوده والحاصل انّهم صاروا مُطيعين مُنقادين له: ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً﴾ (١) نعوذ باللّه من شَره ومكره:

▫ قوله عليه السلام: **أَمْراً تَشَابَهَتِ الْقُلُوبُ فِيهِ وَتَتَابَعَتِ الْقُرُونُ عَلَيْهِ وَكِبْراً تَضَايَقَتِ الصُّدُورُ بِهِ...**

قال الشّارح المُعتزلي (امراً) منصوب بتقدير فعل اي اعتمدوا امراً وكبراً معطوف عليه او ينصب كبراً علىٰ المصدر بان يكون اسماً واقعاً موقعه كالعطاء

١- النساء- ٣٨

موضع الإعطاء ثمّ نقل عن الرّاوندي انه قال (امرا) منصوب لأنه مفعول به وناصبه المصدر الّذي هو سياقه وقياده، وردّه المُعتزلي بانّ مفعول هذين المصدرين محذوف وتقديره عن سياقه ايّاهم وقياده ايّاهم ونقل عنه ايضاً انه يجوز ان يكون (امراً) حالاً، وقال هذا ايضاً ليس بشيٍ لأنّ الحال وصف هيئته الفاعل او المفعول و(امراً) ليس كذلك انتهىٰ.

وامّا الخُوئى ﷺ فقال فى شرحه (امراً) اي الىٰ امرٍ اي جبرّته وتكبر وهكذا قال فى كبر اي الى كِبرٍ اقول وعليه فالأمر منصوب بنزع الخافض هذه كلماتهم فى المقام والّذي يقوي فى نفسى هو انه مفعول به لقوله ﷺ وقد امعنتم وافسدتم والتّقدير انّكم امعنتم فى البغى وافسدتم فى الأرض امراً تشابهت القلُوب فيه الخ.

وقوله ﷺ: **كِبراً** معطوف عليه والعلم عند اللّه وكيف كان فالمراد انّ هذا الأمر ممّا تشابهت القلُوب فيه فى كلّ عصرٍ وزمانٍ وتتابعت القرون عليه اي علىٰ هذا الأمر فهو كان سبباً فى هلاكهم وكِبراً تضايقت الصّدور به معناه انّهم لم يقدروا علىٰ إخفائه وكتمانه فصارت الصُّدور عاجزة عن حمله لشدّته وغليانه فيها.

□ قوله ﷺ: **اَلاَ فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمْ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ...**

لَمّا كان مَنشا كِبرهم اتّباعهم رؤسائهم وساداتهم حَذّرهم ﷺ عن طاعتهم كلّ الحَذَر وقال الحَذَر الحَذَر اي احذَروا واحذروا والتّاكيد يدّل علىٰ اهمّيته فانّ ساداتهم كانوا مُتكبرين فى احسابهم ومُترفعين فوق انسابهم وهذا هو الّذي كان سبباً لهلاكهم فى الدّنيا والآخرة وقد حكىٰ اللّه تعالىٰ فى كتابه حيث قال:﴿**اِنَّا وَجَدْنَا آبَائَنَا عَلَىٰ اُمَّةٍ وَاِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ**﴾(١)

وغفلوا عن قوله تعالىٰ حيث قال:﴿**أَوَ وَلَوْكَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ**

١-الزخرف-٢٣

لايَهْتَدُونَ﴾ (١)

فالكِبر مذموم فى حدّ نفسه عقلاً وشرعاً والتّقليد فيه اشنع وأفحَش وتحذيره ايّاهم يشمل المقامين اذ التّقليد فى الخيرات والحَسَنات لا ذمّ فيه بل هو مرغوب اليه فالحذر عنه يدّل علىٰ ذمّه فى نفسه بطريق اولىٰ وكلامه عليه السلام هـذا إشـارة الىٰ قـوله تـعالىٰ حكـايةً عـن المُـتكبرين يـوم القـيامة حـيث يقولون: **﴿رَبَّنَا إِنَّا اَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَائَنَا فَاَضَلُّونَا السَّبِيلاَ، رَبَّنَا اٰتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً﴾** (٢) والىٰ هذه النّدامة يوم القيامة اشار اللّه فى كتابه حيث قـال: **﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى النَّارِ يَـقُولُونَ يـا لَـيْتَنَا اَطَـعْنَا اللّـهَ وَاَطَـعْنَا الرَّسُولاَ﴾** (٣)

▫ قوله عليه السلام: **وَأَلْقَوُا الْهَجِينَةَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَجَاحَدُوا اللّهَ عَلَىٰ مَا صَنَعَ بِهِمْ مُكَابَرَةٍ لِقَضَائِهِ وَمُغَالَبَةً لِآلاَئِهِ...**

وَصفَهم بانّهم نَسَبوا وانتحلوا القبائح من الأعمال الصّادرة عنهم الىٰ اللّـه تعالىٰ وقالوا هذا فعل اللّه صَدَر علىٰ ايدينا مثلاًكما يقول به اهل الجَبَر وانكَروا ما صَنَع اللّه بهم من الخيرات ونسبُوها الىٰ انفسهم كلّ ذلك مكابرة ومعاداةً لقضائه الّذي قضىٰ فيهم ومغالبةً لآلائه ونِعمه التّى انعَم اللّه بها عليهم وقال المُعتزلى نسبُوا ما فى الأنساب من القبيح بزعمهم الىٰ ربّهم مثل ان يـقولوا للرّجل انت عجمى ونحن عرب فانّ هذا ليس الىٰ الإنسان بل هو الىٰ اللّه فايّ ذنبٍ له فيه انتهىٰ وانت ترىٰ انّ ما ذهب اليه من تخصيصه الكلام الىٰ الأنساب لا دليل عليه فانّ الكلام مطلق نعم هو من مصاديقه هذا اوّلاً وثانياً ايّ دليل دّل علىٰ انّ العربى او العَجمى من الهَجينة والحاصل انّ التّقيد والتّخصيص يحتاج الىٰ دليل.

▫ **قوله عليه السلام: فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ اَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ وَدَعَائِمُ اَرْكَانَ الْفِتْنَة وَسُيُوفُ**

١- البقرة ـ ١٧٠ ـ المائده ـ ١٠٤   ٢- الاحزاب ـ ٦٧/٦٨
٣- الاحزاب ـ ٦٦

اعْتِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ...

يعني بهم قوام الكِبر النّاشي عن العَصَّبية لأنّهم فيها بمنزلة القواعد بالنّسبة الىٰ الأساس وبَمنزلة الدّعائم لأركان الفِتنة وسيوف تفاخر الجاهلّية بانسابهم فشبّه ﷺ العَصّبية بشيٍ له قواعد والفِتنة بَبيت له اركان ودعامة وشبّههم بالقواعد تارةً وبالدّعائم أخرىٰ فكما أنّ قوام البيت مثلاً بدعائمه كذلك قوام العَصَبية والفِتنة بهم وثالثاً شبّههم بالسّيُوف في قاطعيتها للوصُول الىٰ المَقصد في الحُروب او لأنّ كثيراً ما ينجّر التّفاخر الىٰ الحرب فالفخر بمنزلة السّيف وكيف كان لا شك في انّ الكِبر والفَخر والعَصّبية وامثالها من رسوم الجاهلّية التّي امحاها الأسلام وتوّعد من اتّصف بها الوبال في الدّنيا والعذاب في الآخرة نعوذ باللّه منها.

وقد روي انّ رسُول اللّه ﷺ صَعد المنبر يوم فتح مكّة فقال :ايّها النّاس انّ اللّه قد اذهب عنكم نَخوة الجاهلّية وتفاخرها بآبائها الا انكم من آدم وآدم من طين الا انّ خير عباد اللّه عبدٌ اتّقاه انتهىٰ «جامع السعادات ج ١ ص ٣٦٧»...

(وقال رسُول اللّه ﷺ آفة الحَسَب الإفتخار والعُجب انتهىٰ «ص ٣٦٧»...

وقد اتىٰ رسُول اللّه ﷺ رجل فقال يا رسُول اللّه انا فلان ابن فلان حتى عدّ تسعة فقال رسُول اللّه ﷺ امّا انك عاشرهم في النّار انتهىٰ « ص ٣٦٧»...

ونُقل انّ قُرَيشاً تفاخروا عند سلمان فقال سلمان ولكنّي خُلقت من نطفةٍ قذرة ثُمّ اعود جيفة فتنة ثُمّ الىٰ الميزان فان ثقُل فانا كريم وإن خفّ فانا لئيم انتهىٰ« ص ٣٦٨»...

□ قوله ﷺ: فَاتَّقُوا اللّهَ وَلاَ تَكُونُوا لِنَعِمِه عَلَيْكُمْ اَضْدَاداً وَلاَ لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَّاداً...

وذلك لأنّ النّعمة تُوجب الشكر عقلاً وشرعاً ومن تكبّر فقد كفر بها ولأجل هذا قال ﷺ: وَلاَ تَكُونُوا لِنَعِمِه اضداداً وايضاً لا تكونوا لِفضله عندكم حُساداً اذا وُجد في غيركم ويمكن ان يكون المراد لا تكونوا حُساداً في إعطاء النّعمة

الىٰ الغير فانّ المُتَكبر يكون حَسُوداً بكلا المَعنيين فهو بإعتبار عدم الشكر يكون ضدّاً له وبإعتبار عدم الإعطاء يكون حَسُوداً وعليه فالحَسَد من فروع الكِبر وهو كذلك اذ المتّواضع ليس بحسُود قطعاً.

□ **قوله ﷺ: وَلاَ تَطِيعُوا الأَدْعِيَاءَ الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ...**

الأدعياء جمع دَعي بفتح الدّال وهو من ينتسب الىٰ غير ابيه والمراد من الأدعياء فى المقام معناه العامّ اعنى به الأخساء المُنتسبين الىٰ الأشراف والأشرار المُنتسبين الىٰ الأخيار هكذا قال بعض شارحى كلامه وعليه فالمراد بها النَسَب الغير الحقيقة سواء كانت حقيقتاً او مجازياً فمن يُنتسب الىٰ الأشراف والعُظماء وليس منهم واقعاً فقد نُسب الىٰ غير ما هو له كما انّ من يُنسب الىٰ غير ابيه كذلك فالمعنىٰ لا تَطيعوا السّادات والأشراف الّذين اثبتوا بزعمهم لأنفسهم ما ليس لهم واقعاً تَكَبراً وإفتخاراً وتَعَصُباً بما هو اوهَن من بيت العنكبوت فانّه يُورث النّدم فى الدّنيا والآخرة كما حكىٰ اللّه تعالىٰ عن المُطيعين لهم يوم القيامة: **﴿رَبَّنا إِنَّا اَطَعْنا سادَتَنا وَكُبَرائَنا فاَضَلُّونا السَّبيلا﴾**(1) ثمّ وَصَفهم بامرين احدهما انّهم شربوا بصفوهم كِدَرهم وثانيهما انّهم خلطوا بصّحتهم مَرَضهم، والمراد بالصّفو صفاء باطنهم وبقوله كِدَرهم كَدر باطنهم اي صفاء المقلدين وخباثة الأدعياء وهكذا صحتّهم كناية عن سلامة قلبهم ومَرضهم كناية عن مرض الأدعياء قلباً ويصير المعنىٰ هكذا، لا تطيعُوا الأدعياء الّذين شَربتم كِدَر نفاقهم بصافى إخلاصكم ومَرَض اخلاقهم بسلامة اخلاقكم ظنّاً منكم صلاحهم وسدادهم وصدق اقوالهم مَعَ انّ الأمر ليس كذلك وانّما قال ﷺ ذلك لأنّ الإنسان اذا كان صادقاً يظنّ النّاس ايضاً كذلك فَمن قلّد هؤلاء وتبعهم فى اقوالهم واعمالهم يزعم رشده وصلاحه فيه وهذا شان العوام فى تقليدهم ومتابعتهم لغيرهم فى اكثر الموارد وليست لهم

1-الاحزاب -67.

قوّة التّشخيص كاملاً وهذا هو الدّاء الّذي لا دواء له غالباً فانّ العوام لا ذنب لهم في الحقيقة إلّا جهلهم بالموضوعات وبُعدهم عن الوّاقعيات وعدم تمييّزهم الحقّ من الباطل ولأجل هذا ترىٰ الآيات والأخبار مشحُونة بفضيلة التّعليم والتّعلم فانّ العلم دواء ذلك الجهل قطعاً ولا يكفي حُسن الظّن النّاشئ عن صدق النّية في جميع الموارد بل يجب علىٰ كلّ مُسلم ومُسلمةٍ التّفحُص الكامل في إمامه ومقتداه وانّه عمّن ياخذ دينه كما قيل بالفارسية:

اى بسا ابليس آدم رو كه هست　　　بس بهر دستى نبايد داد دّست

□ قوله ﷺ: **وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ وَهُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ وَأَحْلَاسُ الْعُقُوقِ...**

الواو للعطف اي وادخلتم بمتابعتكم اياهم باطل هؤلاء الأدعياء في حقكم فخلطتم بذلك الحقّ مع الباطل والحال انّهم اي الأدعياء اساس الفسُوق وأُصُولها وعليهم ابتناؤها واحلاس العقُوق اي ملازمُوها لزوم الحَلس للبعير والمراد بالعقوق مخالفة الرّسُول والأوصياء بعده فانّ المُسلم بسبب مخالفتهم يصير عاقاً لهم والتّعبير بالأحلاس إشارة الىٰ شدّة المُلازمة بينهم وبين العقوق كما انّ الحَلس للبعير كذلك فالكلام خرج مخرج الإستعارة وانّما قال ﷺ: **وَهُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ**، لكونهم باعثين لخُروج النّاس عن دينهم ودخولهم في طاعة الشّيطان ومن كان كذلك فهو اساس الفسق واصله لأنّه ضّال في نفسه مُضِلٌّ لغيره والإنصاف انّ كلامه ﷺ حقّ لا مرية فيه فانّا بعد التّامل نجدهم اعوان الشّيطان وانصاره واعضاده واتباعه بحيث لولاهم لما كان في العالم فِسقٌ اصلاً ولا ظلم ابداً فانّ الإمام لا يخلو من قسمين عادل وظالم والأوّل لا يفسق ولا يامر به فمن تبعه يكون عادلاً لا محالة والثّاني بالعكس ولا شك انّ الأنبّياء والأوصياء ومن يحذو حَذوهم من قسم الأوّل، واتباع الشّيطان من الثّاني وسائر النّاس من العوام المُقّلدين لا يخلو حالهم من امرين، مُتابعة الأنبياء، ومتابعة الأشقياء، فان كان الأوّل فالأنبياء لا يامرهم بالفسق والعصيان

وهو ظاهر، وعلىٰ الثّانى فالأمر بالعكس فثَبت انّ اساس الفِسق، ائمّة الجَور وعلمائهم وكبرائهم وساداتهم هذا هو الأصل وغيره فرعٌ عليه وهو المطلوب.

□ **قوله ﷺ: اتَّخَذَهُمْ اِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلاَلِ وَجُنْداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَىٰ اَلْسِنَتِهِمْ...**

مطايا جَمع مَطيّة وهى المرّكب السّريع يقال مراكب تَمطُوا فى السّير كما قال الشاعر:

أَلَستم خير من ركب المَطايا وأَنـدىٰ العـالمين بـطُون راحِ

والمعنىٰ انّ إبليس اتّخذ هؤلاء المُتكبرين مطايا ضلال شَبّههم بالمراكب له لأنّ إبليس يستّمد بهم فى الوصول الىٰ المَقصد كما انّ الإنسان يستّمد من المَركب فى طى الطّريق سريعاً فى البلُوغ الىٰ هَدمَه ووجه الشبّه ظاهر، وثانياً جَعَلهم جُند إبليس واعوانه وانصاره بهم يستطيل علىٰ النّاس ليصرفهم عن طاعة الرّب الىٰ طاعته، وثالثاً جعلهم ترجمان كلامه فهو ينطق علىٰ أَلسَنَتهم وبعبارةٍ أُخرىٰ يتّكلم بلسانهم فهؤلاء شياطين الإنس.

□ **قوله ﷺ: إِسْتِرَاقاً لِعُقُولِكُمْ وَدُخُولاً فِى عُيُونِكُمْ وَنَفْثاً فِى اَسْمَاعِكُمْ...**

اىّ انّما اتّخذهم إبليس كذلك ليسّترق بذلك عقولكم ويدخل فى عُيونكم وينفث فى اسماعكم والمراد بإستراق العقل جَعله مُطيعاً وبالدّخول فى العين والسّمع تسلّطه عليهما حتّىٰ لا ترىٰ العين ولا يسمع السّمع إلّا ماشاء إبليس واراد واذا سُلّط إبليس علىٰ العقل والعَين والسّمع فحال الإنسان معلوم وانّما قال ﷺ لعقولكم وعُيونكم واسَماعكم بكاف المخاطب ولم يقل لعُقولهم وعُيونهم واسماعهم مع انّ البحث كان فى الأدعياء ولذا قال ﷺ فى الجُملة السّابقة اتّخذهم ولم يقل اتّخذكم، لِلإشارة الى انّ إبليس يَجعلكم كذلك بمتابعتكم لهؤلاء الأدعياء وامّا تسلّطه عليهم فهو مفروغ عنه قد اثبته ﷺ سابقاً فكانّه قال ﷺ اتّخذهم إبليس مطايا ضلال وليسّترق عقولكم الخ بسبب هؤلاء الأدعياء الّذين اطعتموهم فى دينكم ودنياكم.

- قوله ﷺ: **فَجَعَلَكُمْ مَرْمَىٰ نَبْلِهِ وَمَوْطِئَ قَدَمِهِ وَمَأْخَذَ يَدِهِ...**

الفاء للتفريع اي بعد إستراقه لعقولكم الىٰ آخر ما قال ﷺ فلا محالة جعلكم محلاً لرمى سهامه ومَوطئاً لقدمه ويأخذكم بيده والكلّ كناية عن تسلّطه الكامل عليهم بحيث لا يمكن لهم الفرار من حكومته فيَصيرون بذلك عَبَدة لِلشّيطان ويخرجُون عن طاعة الرّحمٰن فضلّوا واضلّوا كثيراً ذلك خزيٌ فى الدّنيا ولهم فى الآخرة عذاب مُهين.

- قوله ﷺ: **فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الْأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللّٰهِ وَصَوْلَاتِهِ وَوَقَائِعِهِ وَمَثُلَاتِهِ...**

اي فاعتبروا بما وقع علىٰ الأُمَم الماضية من انواع العذاب بسبب استكبارهم وإطاعتهم للشّيطان فانّ حكم الأمثال واحد وانّ اللّه لبالمرصاد وقد صّرح القرآن ببعض ما اصابهم.

فى الآيات الواردة فى الباب كما قال تعالىٰ فى قوم نوح: **﴿وَاَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا اِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً عَمِينَ﴾** (١)

و: **﴿وَاَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾** (٢)

و: **﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا اِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاَغْرَقْنَاهُمْ اَجْمَعِينَ﴾** (٣)

وقال تعالىٰ حكاية عن نوح: **﴿قَالَ رَبِّ اِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ. فَافْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً وَنَجِّنِى وَمَنْ مَعِىَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فَاَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ. ثُمَّ اَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ. اِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ اَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** (٤)

وقال تعالىٰ فى قصّة هُود النّبى وقومه: **﴿فَاَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾** (٥)

وقال تعالىٰ حكاية عن هُود: **﴿اِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّٰهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ اِلَّا**

١- الاعراف ـ ٦٤   ٢- يونس ـ ٧٣
٣- الانبياء ـ ٧٧   ٤- الشعراء ـ ١٢١=١١٧
٥- الاعراف ـ ٧٢

هُوَ اٰخِذٌ بِناٰصِيَتِهاٰ اِنَّ رَبّى عَلىٰ صِراٰطٍ مُسْتَقيمٍ، فَاِنْ تَوَلَّوا فَقَدْ اَبْلَغْتُكُمْ ماٰ اُرْسِلْتُ بِهِ اِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبّى قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاٰ تَضُرُّونَهُ شَيْئاً اِنَّ رَبّى عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفيظٌ، وَلَمّاٰ جاٰءَ اَمْرُناٰ نَجَّيْناٰ هُوداً وَالَّذينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنّاٰ وَنَجَّيْناٰهُمْ مِنْ عَذاٰبٍ غَليظٍ، وَتِلْكَ عاٰدٌ جَحَدُوا بِآياٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا اَمْرَ كُلِّ جَبّاٰرٍ عَنيدٍ، وَاُتْبِعُوا فى هٰذِهِ الدُّنْياٰ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِياٰمَةِ اَلاٰ اِنَّ عاٰداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ اَلاٰ بُعْداً لِعاٰدٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ (١)

و : ﴿اِنْ هِيَ اِلاّٰ حَياٰتُنَا الدُّنْياٰ نَمُوتُ وَنَحْياٰ وَماٰ نَحْنُ بِمَبْعُوثينَ، اِنْ هُوَ اِلاّٰ رَجُلٌ افْتَرىٰ عَلَى اللّٰهِ كَذِباً وَماٰ نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنينَ، قاٰلَ رَبِّ انْصُرْنى بِماٰ كَذَّبُونَ، قاٰلَ عَمّاٰ قَليلٍ لَيُصْبِحُنَّ ناٰدِمينَ، فَاَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْناٰهُمْ غُثاٰءً فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظّاٰلِمينَ﴾ (٢)

و : ﴿كَذَّبَتْ عاٰدٌ الْمُرْسَلينَ، اِذْ قاٰلَ لَهُمْ اَخُوهُمْ هُودٌ اَلاٰ تَتَّقُونَ، اِنّى لَكُمْ رَسُولٌ اَمينٌ، فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاَطيعُونِ﴾ (٣) الى ان قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَاَهْلَكْناٰهُمْ اِنَّ فى ذٰلِكَ لَآيَةً وَماٰ كاٰنَ اَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنينَ﴾ (٤) الى ان قال تعالى: ﴿فَاَمّاٰ عاٰدٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقاٰلُوا مَنْ اَشَدُّ مِنّاٰ قُوَّةً اَوَ لَمْ يَرَوْا اَنَّ اللّٰهَ الَّذى خَلَقَهُمْ هُوَ اَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكاٰنُوا بِآياٰتِناٰ يَجْحَدُونَ، فَاَرْسَلْناٰ عَلَيْهِمْ ريحاً صَرْصَراً فى اَيّاٰمٍ نَحِساٰتٍ لِنُذيقَهُمْ عَذاٰبَ الْخِزْيِ فِى الْحَيٰوةِ الدُّنْياٰ وَلَعَذاٰبُ الْآخِرَةِ اَخْزىٰ وَهُمْ لاٰ يُنْصَرُونَ﴾ (٥)

و : ﴿اِنّاٰ اَرْسَلْناٰ عَلَيْهِمْ ريحاً صَرْصَراً فى يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ، تَنْزِعُ النّاٰسَ كَاَنَّهُمْ اَعْجاٰزُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ، فَكَيْفَ كاٰنَ عَذاٰبى وَنُذُرِ﴾ (٦)

وفى قصّة صالح عليه السلام قال تعالى: ﴿كذّبت ثمود وعاد بالقارعة، فامّا ثمود فأهلكوا بالطّاغية، وامّا عاد فأهلكوا بريحٍ صرصرٍ عاتية﴾ (٧)

و : ﴿وَاَمّاٰ ثَمُودُ فَهَدَيْناٰهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمىٰ عَلَى الْهُدىٰ فَاَخَذَتْهُمْ صاٰعِقَةُ الْعَذاٰبِ الْهُونِ بِماٰ كاٰنُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٨)

١- هود ـ ٦٠=٥٦
٢- المؤمنون آيات ٤١=٣٧
٣- الشعراء ـ ١٢٦=١٢٣
٤- الشعراء ـ ١٣٩
٥- فصّلت ـ ١٥/١٦
٦- القمر ـ ١٩/٢٠/٢١
٧- الحاقة ـ ١٤/١٥/١٦
٨- فصلت ـ ١٧

قال الله تعالى في ثمود: ﴿إذ قيل لهم تمتّعوا حتّى حين. فعتوا عن أمر ربّهم فأخذتهم الصّاعقة وهم ينظرون﴾ (١) والآيات في هذا الباب كثيرة في قصص القرآن كقصّة فرعون ونمرود وقارون وكُفّار قُريش وغيرها وفي ذلك لعبرة لأُولي الألباب فإعتبروا يا أُولي الأبصار.

□ قوله ﷺ: **وَاتَّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ وَاسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ كَمَا تَسْتَعِيذُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ...**

المثاوي جمع مَثوىٰ وهو المسكن والمنزل والمصارع جمع مَصرَع وهو محل السقوط ومكانه والمعنىٰ اتَّعِظُوا بمنازل حدود هؤلاء المُستكبرين ومساقط جنوبهم وما هم عليه من غمّ الضّريح واستَعيذوا باللّه تعالىٰ من لواقح الكِبر وما يحدث منه في النّفس كما تستعيذون باللّه تعالىٰ من طوارق الدّهر ونوازله وآفاته وفي التّعبير بالمثاوي والمصارع إشارة الىٰ قوله تعالى: ﴿وَ ماواهُم النّارُ وَ بِئس مثوىٰ الظّالِمين﴾ (٢)

و: ﴿اُدْخُلوا أبْواب جهنّم خالِدين فيها فبِئْس مثْوىٰ المُتَكبِّرين﴾ (٣) أليس في و: ﴿جهنّم مثْوىً لِلْكافِرين﴾ (٤)

و: ﴿فإنْ يَصْبِرُوا فالنّارُ مثْوىً لهُمْ﴾ (٥) وامثالها من الآيات.

وفي قوله ﷺ: **وَاسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ** الخ إشارة الىٰ انّ الأُمور كلّها بيده فكما انّ الحوادث والنّوازل في الخارج لا تكون إلّا باذنه وإرادته ولابدّ للعبد فيها من الإستعاذة اليه تعالىٰ كذلك النّوازل البّاطنية من الكِبر والحَسَد والبُخل وغيرها لابدّ للعبد في الخلاص عنها من الإستعاذة اليه تعالىٰ وطلب التّوفيق منه فانّ العَبد مع قَطع النّظر عن تّوجه الرّب وإمداده لا يقدر علىٰ شيء فينبغي له الإستمداد والإستعانة من خالِقه في جميع شئونه ظاهراً وباطناً.

□ قوله ﷺ: **فَلَوْ رَخَّصَ اللَّهُ فِي الْكِبْرِ لِأَحَدٍ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ**

١- الذّاريات ـ٤٤/٤٣ ٢- آل عمران ـ ١٥١
٣- الغافر ـ ٧٦ ٤- العنكبوت ـ٦٨ الزمر ـ٢٢
٥- فصّلت ـ٢٤

وَاَوْلِيَائِهِ...

التّرخيص التّجويز والمعنىٰ لو جوّز اللّٰه فى الكِبر لأحدٍ فينبغى التّرخيص فيه لأنبيائه واوليائه وذلك لكونهم اشرف المخلوقات وافضل المُمكنات واقرب الخَلق اليه تعالىٰ فالتّكبر والتّعزز أَليَق بهم من غيرهم وحيث لَم يُرَخِص لهم فى الاِتّصاف به ففى غيرهم بطريق اولىٰ.

□ قوله عليه السلام: **وَلٰكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ اِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ...**

ولكنّ اللّٰه تعالىٰ مَنَعهم عن الكِبر ورضى لهم التّواضع الّذي هو ضدّ التّكبر وهو ادّل دليلٍ علىٰ كون التّواضع مَحبُوباً له تعالىٰ والتّكبر مبغوضاً فانّ رضىٰ اللّٰه تعالىٰ عن شيٍ يكشف عن وجود المَصلَحة فيه كما انّ كراهته عنه تكشف عن وجود المنَقَصة فيه وامّا اصل الحكم اعنى كراهية التّكبر ورضىٰ التّواضع فى حقّهم فهو ممّا لا ريب فيه لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾(١)

والحكم عامّ يشمل الكلّ وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾(٢)

و: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٣) وهذه الآيات وامثالها كما ترىٰ علىٰ عمُومها باقية ولم يدّل دليل علىٰ تخصيصها بغير الأنبياء والأولياء مُضافاً الىٰ قبحه الذّاتى عقلاً وكونه من الرّذائل والأنبياء منّزهون عنها وهو ظاهر كما قال عليه السلام:

□ قوله عليه السلام: **فَأَلْصَقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ وَعَفَّرُوا فِي التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ وَخَفَضُوا اَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ كَانُوا قَوْماً مُسْتَضْعَفِينَ...**

ثُمّ استّدل عليه السلام علىٰ كونهم مُتواضعين غير مُستكبرين بأُمور حسّية كلّها يثبت المُدّعىٰ.

احدها: انّهم اي الأنبياء والأولياء أَلصَقُوا بالأرض خُدودهم أي وضعُوها علىٰ الأرض تواضعاً منهم فى جنب عظمة اللّٰه وهو دليل علىٰ تواضعهم فانّ

١- النّحل ـ ٢٣ ٢- الغافر ـ ٢٧
٣- النّور ـ ١١

المُتكبر لا يفعل ذلك.

وثانيها: انّهم عفّروا فى التّراب وجوههم يقال عَفّر وجهه فى التّراب اذا مرّغه ودَسَّه فيه.

وثالثها: انّهم خَفضُوا اجنَحَتِهم للمؤمنين وهو ايضاً دليل علىٰ تواضعهم قال اللّه تعالىٰ مُخاطباً لنبيّه: **﴿وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾**(١) وقوله: **﴿وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾**(٢)

ورابعها: انّهم كانوا اقواماً مُستَضعَفين وهو دليل علىٰ تواضعهم فى حدّ انفسهم اذ لو لَم يكن كذلك لكانوا من المُستكبرين لعدم الواسطة بين المَقامين كما قال اللّه تعالىٰ حكاية عن هارون: **﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَ كَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾**(٣)

و : **﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾**(٤)

و : **﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾**(٥)

فالأنبياء والأولياء رؤساء المُستضعفين وساداتهم والشّيطان واوليائه رؤساء المُستكبرين وهو واضح.

□ **قوله ﷺ: قَدِ اخْتَبَرَهُمُ اللّهُ بِالْمَخْمَصَةِ وَابْتَلَاهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ وَامْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ وَمَخَضَهُمْ بِالْمَكَارِهِ...**

اي إختبر اللّه انبيائه واوليائه بالمَخمَصة والجُوع تارةً وبالمُجاهدة فى طريق الحقّ ثانياً وبالمَخاوف والأهاويل ثالثاً وبالمكاره والشّدائد رابعاً والكلّ ممّا لا خلاف فيه.

روي فى البحار فى سيرة النّبى ﷺ انّه قال انا عبدٌ اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد...

١- الشعراء ٢١٥.
٢- الحجرات ٨٨.
٣- الاعراف ١٥٠.
٤- القصص ٥.
٥- الاعراف ١٣٧.

وقال الصّادق عليه السلام ما اكل رسول اللّه متكئاً منذ بعثه اللّه عزّ وجلّ نبيّاً حتّى قبضه اللّه اليه متواضعاً لِلّه عزّ وجلّ وقال عليه السلام ما زال طعام رسول اللّه الشّعير حتى قبضه اللّه اليه...

ونقل عن كتاب روضة الواعظين انّ عيص ابن القاسم قال قلت للصّادق عليه السلام حديث يُروىٰ عن ابيك انّه قال: ما شبع رسُول اللّه من خبزٍ برٍ قط أَهُو صحيح قال عليه السلام لا بَل ما أَكَل رسُول اللّه خبز برٍ قط ولا شبع من خبزٍ شعير قط وقالت عائشة ما شبع رسول اللّه من خبز الشّعير يومين حتّىٰ مات...

وروي انّ رسُول اللّه صلى الله عليه وآله لَم ياكل علىٰ خوان قط حتّىٰ مات ولا اكل خبزاً مرققاً حتّىٰ مات انتهىٰ...

وقالت عائشة: ما زالت الدّنيا علينا عسيرة كدرة حتّىٰ قَبض رسُول اللّه فلمّا قبض صبّت الدّنيا علينا صبّاً «بحار الانوار ج ۶ ص ۱۵۳ و ۱۵۴» والاحاديث كثيرة...

وهكذا كان صلى الله عليه وآله فى جميع احواله فى مطاعمه ومشاربه الىٰ ان مات صلى الله عليه وآله وقس عليه باقى الصّفات المذكورة فى المتن (النّص) واذا كان النّبى صلى الله عليه وآله مع قُربه الىٰ اللّه وكونه افضل الأنبياء واشرفهم كذلك فما ظنّك بغيره وحكم الأمثال واحد.

ولو لا مَخافة خروج الكتاب عن طَوره لأشبَعناك ومن اراد الإطلاع علىٰ سيرة الأنبياء فعليه بكتب السّيرة وغيرها من كتب الأخبار والمُطوّلات.

▫ قوله عليه السلام: **فَلاَ تَعْتَبِرُوا الرِّضَىٰ وَالسُّخْطَ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ جَهْلاً بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ فِي مَوْضِعِ الْغِنَىٰ وَالاِقْتِدَارِ...**

اي لا تعتبروا رضىٰ اللّه وسخطه بالمال والوَلَد فلا تقولُوا انّ كثرة المال والأولاد تكشف عن رضا اللّه عنّا وعَدَمه يَكشف عن سخطه فتكون النّتيجة انّ اللّه تعالىٰ راضٍ عن الأغنياء ومن كثُر اولاده وإلّا لَما اعطاهم المال والوَلَد وساخط علىٰ الفُقراء ومن لَم يكن له وَلد وإلّا اعطاهم المال والوَلَد والدّليل

علىٰ عدم صحّة هذا الإعتبار هو الجهل بمواقع الفِتنة والإختبار وانّ اللّه لَم يعطهم ما أعطاهم من المال والوَلَد حُبّاً لهم ولا منع الفُقراء عن المال ومن لم يكن له وَلَد عن الوَلَد بُغضاً لهم بل الأصل فى الإعطاء وعدمه هو الإختبار والإمتحان فى مواضع الغنىٰ وعَدمه كما قال تعالىٰ: ﴿اَيَحْسَبُونَ اَنَّمَا نُمِدُّهُمْ مِنْ مَّالٍ وَّبَنِيْنَ، نُسَارِعُ لَهُمْ فِى الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾(١)

و : ﴿وَاعْلَمُوا اِنَّمَا اَمْوالُكُمْ وَاَولَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاَنَّ اللّهَ عِنْدَهُ اَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(٢)

و : ﴿وَاعْلَمُوا اِنَّمَا اَمْوالُكُمْ وَاَولَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللّهُ عِنْدَهُ اَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(٣)

▫ قوله ﷺ: **فَاِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِى اَنْفُسِهِمْ بِاَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِى اَعْيُنِهِمْ...**

اي انّ اللّه يَختبر المُستكبرين بالمُستضعفين فان نظروا اليهم بعين الحقارة والذّلة فأُولئك حزب الشّيطان وأن نظروا اليهم بعين الرّحمة والتّواضع فأُولئك حزب اللّه ألا انّ حزب اللّه هُم الغالبُون كما انّ حزب الشّيطان هُم الخاسرون وفى تعبيره ﷺ عن المُستضعفين بالأولياء دليل علىٰ كونهم مُقرّبين عنده والمؤمنين به ويكفيهم هذا المقام.

▫ قوله ﷺ: **وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَىٰ ابْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ اَخُوهُ هٰارُونُ ﷺ عَلَىٰ فِرْعَوْنَ...**

المُوسىٰ: بضّم الميم فى الأصل ما يُحلق به الراس يذّكر ويُؤنث واختلفُوا فى كون اللّفظ عرّبياً فمن قال بالعرّبية جَعله مَفعولاً من مُوسىٰ الحديد يقال اوسَيتُ راسه حَلَقته وعليه فهو من اوسىٰ يُوسى فهو مُوسىٰ وذاك مُوسىٰ وامّا علىٰ مذهب من قال بعدم كونه عرّبياً فهو لفظٌ قِبطى مُركّب من الماء والشّجر فانّ الماء علىٰ لغة القبط اسمه (مُو) والشّجر علىٰ لغتهم اسمه (سا) فركّبا وجُعلا اسماً لمُوسىٰ لأدنىٰ ملابسة.

١- المؤمنون ـ٥٥
٢- الانفال ـ٢٨
٣- التغابن ـ١٥

وانّما سُمّي مُوسىٰ به لكونه لقيط آل فرعون من البحر حيث أُلتِقط من بين الماء والشّجر وهو غير منصرف للألف المقصُورة علىٰ قولٍ ومنصرف علىٰ قولٍ آخر وعلىٰ الصّرف يُجمع علىٰ المواسى والمُوسيات كالجَليات والمراد منه في المقام هو مُوسىٰ ابن عمران الّذي كان من الأنبياء العِظام بل من أُولى العَزم منهم وهم آدم ونوح ومُوسىٰ وعِيسىٰ ومُحمّد، وبعضهم زاد إبراهيم الخليل ﷺ فصاروا ستّة وكيف كان فهو أَحَدهم بالإجماع ولا خلاف فيه.

امّا نَسَبه ﷺ: هو مُوسىٰ ابن عمران بن مَهيات بن ليوي بن يَعقوب ابن إسحاق بن خليل الرّحمٰن ﷺ وأُمّه يوكبد من طائفة بنى ليوي وكان مُلقباً بالكليم فيقال له كليم اللّه وكانت ولادته فى عهد قابوس بن مُصعب من فراعنة مِصر ومدّة إقامته عند فرعون كانت اربعين سنة وكان عُمره مِائتين واربعين سنة وقيل مِائة وعشرين سنة وكان بينه وبين إبراهيم ﷺ خمس مِائة عام قيل مات مُوسىٰ ﷺ فى التّيه وقيل غير ذلك وامّا اخوه هرون كان اكبر سنّاً منه علىٰ ما قيل وكان وزيره وخليفته إلّا انّه مات قبل مُوسىٰ وفِرعون بكسر الفاء وفتح العين اسم اعجَمى وقد اعتبر عرامته فقيل تَفَرعن فلان اذا تعاطىٰ فعل فِرعون كما يقال أبلَس وتبلّس ومنه قيل للطّغاة الفراعنة والأبالسة قاله الرّاغب فى المُفردات وقال بعض اهل اللّغة الواو والنّون زائدتان وهو لا ينصرف لأنّه اسم اعجَمى ومعرفة، عرف خفى حال تعريفه لأنّه نقل من الأسم العَلَم ولو عُرف فى حال تنكيره لإنصرف وجمعه فراعنة وقال ابن الجوزي وهو ثلاثة فرعون الخليل واسمه سنان وفرعون يوسف واسمه الرّيان بن الوليد وفرعون مُوسىٰ واسمه الوليد بن مَصعَب انتهىٰ:

وقالوا كلّ عاتٍ فرعون والعتاة الفراعنة وقد تَفرعَن وهو ذو فرعَنَة اي ذو دُهاءٍ ومكرٍ انتهىٰ وليعلم انّ فرعون الّذي دَخَل عليه مُوسىٰ وهرون هو وليد بن مصعب بن معاوية بن ابى نمير بن القلوص بن ليث بن هاران بن عمر بن عمليق بن عولج بن عاد وهو غير فرعون الّذي وُلد مُوسىٰ فى مُلكه اعنى به

قابوس بن مصعب الّذي مرّ ذكره وقد نقلوا انّه كان اخوه فلما مات قابوس ملك اخوه وليد بن مصعب وكان جبّاراً عنيداً وهو الّذي قال اللّه تعالىٰ في كتابه: ﴿وَقالَ فِرْعَوْنُ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يا هامانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلىٰ إِلٰهِ مُوسىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكاذِبِينَ﴾ (١)

و: ﴿وَقالَ فِرْعَوْنُ يا هامانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبابَ﴾ (٢)

و: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً﴾ (چ)

وامّا دخول موسىٰ وهٰرون عليه لإرشاده وهدايته فقد اشار الكتاب اليه في كثير من الآيات قال اللّه تعالىٰ: ﴿هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ مُوسىٰ، إِذْ ناداهُ رَبُّهُ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً، اذْهَبْ إِلىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغىٰ، فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلىٰ أَنْ تَزَكّىٰ، وَأَهْدِيَكَ إِلىٰ رَبِّكَ فَتَخْشىٰ، فَأَراهُ الْآيَةَ الْكُبْرىٰ، فَكَذَّبَ وَعَصىٰ، ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعىٰ، فَحَشَرَ فَنادىٰ، فَقالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلىٰ﴾ (٣)

و: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسىٰ بِآياتِنا إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ﴾ (٤)

و: ﴿وَأَخِي هٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِساناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي﴾ (٥)

و: ﴿اذْهَبْ إِلىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغىٰ، قالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي، وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي، هٰرُونَ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ (٦) وسيأتي الكلام فيه:

□ قوله ﷺ: **وَعَلَيْهِمَا مَدارِعُ الصُّوفِ وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ...**

اي فدخلا علىٰ فرعون ولم يكونا علىٰ هيئة الأشراف بل عليهما مدارع الصّوف وبايديهما العِصّي فشرطا له اي لِفرعون ان اسلم لِلّه ربّ العالمين بقاء ملكه ودوام عزّه:

□ قوله ﷺ: **فَقَالَ أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هٰذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ**

١- القصص ـ ٣٨

٢- الغافر ـ ٣٦

چ- القصص ـ ۴

٣- النازعات ـ ٢٤ - ١٥

۴- الزّخرف ـ ۴۶

٥- القصص ـ ٣٤

۶- طه ـ ٣٤/٣٢

وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُلِّ فَهَلاَّ أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ وَإِحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ...

فقال فرعون لِلملاءِ بعد استماعه مقالة موسىٰ، الا تعجبُون من هذين، مُوسىٰ وهٰرون، يشرطان لي ان أُسلِم دوام العِزّ وبقاء الملك والحال أنهما بما ترون من الفقر والذُلّ وسوء الهيئة فهلاّ أُلقي عليهما أساور من ذهبٍ وأنّما قال فرعون ذلك إعظاماً للذّهب وجمعُه عنده وإحتقاراً للصّوف ولُبسه لمُوسىٰ وهٰرون ولنختم الكلام في هذا الفَصل بذكر أُمورٍ.

احدها: كيْفية دخولهما علىٰ فرعون وما وقع منهما عند فرعون إجمالاً:

وثانيها: ما معنىٰ هذا الشّرط الّذي شَرطا له.

وثالثها: لِمَ تَعجَّب فرعون من كلامهما.

ورابعها: ما معنىٰ قوله فهلاّ أُلقي عليهما أساور من ذهب فنقول:

امّا الأمر الأوّل: فقد روي في البحار ما هذا لفظه، قال الثّعلبي قال العلماء باخبار الماضين لَمّا كلّم اللّه موسىٰ وبعثه الىٰ مِصر خرج ولا علم له بالطّريق وكان اللّه تعالىٰ يهديه ويدّله وليس معَه راد ولا سلاح ولا حوله ولا شئ غير عصاه ومِدرَعة صُوفٍ وقلنسوةٍ من صوفٍ ونعلين يظل صائماً ويُبيت قائماً ويَستعين بالصّيد ويعول الأرض حتّىٰ ورد مِصر ولَمّا قرب من مِصر اوحىٰ اللّه سبحانه الىٰ اخيه هٰرون يُبشّره بقدوم موسىٰ ويخبره انّه قد جعَله لمُوسىٰ وزيراً ورسولاً معه الىٰ فرعون وامرَه ان يَمُرَّ يوم السّبت لغرّة ذا الحجة مُتنكّراً الىٰ شاطئ النّيل ليلقي في تلك السّاعة موسىٰ قال فخرج هٰرون واقبل موسىٰ فإلتقيا علىٰ شط النّيل قبل طلوع الشّمس فإتفق انّه كان يوم ورود الأسد الماء وكان لفرعون اسد تحرسُه في غيضة محيطة بالمدينة من حولها وكانت ترد الماء غبّا وكان فرعون اذ ذاك في مدينة حصينة عليها سبعون سُوراً في كلّ سورٍ رساتيق وانهار ومزارع وارض واسعة في كلّ سورٍ سبعون الف مقاتل ومن وراء تلك المدينة غيضة تولّىٰ فرعون غرسها بنفسه وعمل منها وسقيها

بالنيّل ثُمّ اسكنها الأسد فَنسلت وتوالدت حتّىٰ كثرت ثُمّ اتّخذها جنداً من جُنوده تحرسه وجعل خلال تلك العنيضة طرقاً تقضى من يسلكها الىٰ ابواب من ابواب المدينة معلومة ليس لتلك الأبواب طريق غيرها فَمن اخطأ وقع فى الغنيضة فأكلته الأسد وكانت الأسُود اذا وردت النيّل ظلّت عليها يومها كلّها ثُمّ تصدر مع اللّيل قال فإلتقىٰ مُوسىٰ وهٰرون يوم ورودها فلما ابصَرتها الأسد مدّت اعناقها ورؤسها اليهما وشخصت ابصارها نحوهما وقذف اللّه فى قلوبها الرّعب فإنطلقت نحو الغيضة منهزمة هارية وساق الحديث الىٰ ان قال وقال مُحمّد بن اسحق بن يسار خرج مُوسىٰ لمّا بعثه اللّه سبحانه حين قدم مِصر علىٰ فرعون هو واخوه هٰرون حتّىٰ وقفا علىٰ باب فرعون يلتمسان الأذن عليه وهما يقولان إنّا رسُولا ربّ العالمين فاذنوا بنا هذا الرّجل فمكثا سنتين يغدوان الىٰ بابه ويروحان لا يعلم بهما ولا يجترء احد ان يخبره بشانهما حتّىٰ دخل عليه بطّال له يلعب عنده ويضحكه فقال له ايّها الملك انّ علىٰ بابك رجلاً يقول قولاً عظيماً يزعم انّ له إلٰهاً غيرك فقال ببابى ادخلوه فدخل موسىٰ ومَعه هٰرون علىٰ فرعون فلما اذن فرعون لمُوسىٰ وهرون دخلا عليه فلما وقفا عنده دعا موسىٰ بدعاء وهو لا إلٰه إلاّ اللّه الحليم الكريم لا إلٰه إلاّ اللّه العلى العظيم سُبحان اللّه ربّ السّمٰوات السّبع وربّ الأرضين السّبع وما فيهن وما بينهن وربّ العرش العظيم وسلام علىٰ المُرسلين والحمد لِللّه ربّ العالمين اللّهم انّى ادرؤك فى عِزّه واعوذ بك من شره واستعينك عليه فاكفِنِه بما شئت قال فتّحول ما بقلب موسىٰ من الخوف امناً وكذلك من دعا بهذا الدّعاء وهو خائف أمِن اللّه خوفه ونفّس كُربته وهّون عليه سكرات المَوت ثُمّ قال فرعون لموسىٰ من انت قال انا رسُول ربّ العالمين فتّامله فرعون فَعرِفه فقال له : **﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ، وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾** (١) فقال موسىٰ: **﴿فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾** (٢) المُخطئين ولم ارد

١- الشعراء ـ ١٩/١٨ ٢- الشعراء ـ ٢٠

بذلك القتل ففرّرتُ عنكم لمّا خفتكم فَوَهبَ لى ربّى حكماً اي نبُوة وجَعَلنى من المُرسلين ثُمّ اقبل موسىٰ ينكر عليه ما ذكر فقال وتلك نعمة تمنّها عليَّ ان عبدتُ بني إسرائيل اي اتّخذتهم عبيداً انتزع ابناؤهم من ايديهم تسترق من شئت انّما صيّرنى اليك ذلك قال فرعون وما ربّ العالمين قال ربّ السّمٰوات والأرض وما بينهما ان كنتم مؤمنين قال فرعون لمن حَوله الا تسمعون، إنكاراً لمُوسىٰ قال موسىٰ ربّكم وربّ آبائكم الأولين فقال فرعون انّ رسولكم الّذي أُرسل اليكم لمجنون يعنى هذا بكلامٍ صحيح اذ يزعم انّ لكم إلٰهاً غيري، قال موسىٰ ربّ المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون، فقال فرعون لمُوسىٰ، لأن اتّخذت إلٰهاً غيري لأجعلنّك من المسجونين قال او لو جئتك بشيءٍ مُبين تعرف به صدقي وكذبك وحقّي وباطلك، قال فرعون فاتِ به إن كنتَ من الصّادقين، فالقىٰ عصاه فاذا هي ثعبان مُبين، فاتحة فاها قد ملأت ما بين سماطى فرعون واضعة لحيتيها الأسفل فى الأرض والأعلىٰ فى سور القصر حتّىٰ راىٰ بعض من كان خارجاً من مدينة مِصر راسها ثُمّ توجهت نحو فرعون لياخذه فارفض عنها النّاس وزعر عنها فرعون وبثّ عن سَريره واحدث حتّىٰ قام به بطنه في يومه ذلك اربعين مَرّة وكان فيما يزعمون لا يسعل ولا يصدع ولا يصيبه آفة ممّا يُصيب النّاس وكان يقوم فى اربعين يوماً مَرّة وكان اكثر ما ياكل الموز لكيلا يكون له ثقل فيحتاج الىٰ القيام وكان هذا الأشياء ممّا زين له ان قال ما قال لأنّه ليس له من النّاس شبيه قالوا فلمّا قصدته الحيّة صاح يا موسىٰ انشدك باللّه وحُرمة الرّضاع إلّا اخذتها وكففتها عنى وانّى أُومن بك وأرسل معك بنى إسرائيل فأخذها موسىٰ فعادت عصا كما كانت ثُمّ نَزَع يَده من جيبه فاخرجها بيضاء ابيض من الثلج لها شعاع كشعاع الشّمس فقال له فرعون هذه يدك فلما قالها فرعون ادخلها موسىٰ جيبه ثُمّ اخرجها الثّانية لها نُور ساطع فى السّماء تكل منها الأبصار وقد اضاءت ما حولها يدخل نُورها فى البيوت ويرىٰ من الكوامن وراءِ الحجب فلم يستطيع فرعون النّظر

اليها ثُمّ ردّها موسىٰ الىٰ جيبه ثُمّ اخرجها فإذا هى علىٰ لَونها الأول قالوا فهَمَّ فرعون بتَصديقه فقام اليه هامان وجلس بين يديه فقال له بينا انت إلٰه تُعبد اذ انت تابع لعبدٍ فقال فرعون لِموسىٰ امهلنى اليوم الىٰ غدٍ واوحىٰ اللّه تعالىٰ الىٰ موسىٰ ان قل لِفرعون انّك اذا آمنتَ باللّه وحده عمّرتك فى مُلكِك وردّدت شاباً طرّياً فاستنظره فرعون فلمّا كان من الغَد دَخل عليه هامان فاخبره فرعون بما وَعَد مُوسىٰ من ربّه فقال له هامان واللّه ما يعدَل هذا عبادة هؤلاء لك يوماً واحداً ونَفَخ فى مَنخَره ثُمّ قال له هامان انا اردّك شاباً فاتاه بالوَشمة فخضّبه بها فلمّا دخَلَ عليه مُوسىٰ فرآه علىٰ تلك الحالة هاله ذلك فاوحىٰ اللّه تعالىٰ اليه لا يَهولنّك ما رايت فانّه ما يَلبث إلّا قليلاً حتّىٰ يعود الىٰ الحالة الأُوْلىٰ:

وقال ابن عبّاس قال فرعون لمّا راىٰ من سلطان اللّه فى اليَد وَالعصا انّا لا نغالب موسىٰ إلّا بمن هو مثله فاخذ غلماناً من بنى إسرائيل فبعث بهم الىٰ قرية يقال لها العزماء يعلّمونهم السّحر كما يعلم الصّبيان الكتاب فى الكتّاب فعلّموهم سحْراً كثيراً وواعد فرعون موسىٰ موعداً فَبعث فرعون الىٰ السّحرة فجاء بهم ومعهم مُعلمهم فقالوا له ماذا صَنَعت فقال قد علّمتهم (علّمتهم) سحْراً لا يطيقه سحْر اهل الأرض إلّا ان يكون امر من السّماء فانّه لا طاقة لهم به ثُمّ بعث فرعون الشّرطى فى مملكته فلم يترك فى سلطانه ساحْراً إلّا اتىٰ به واختلفوا فى عدد السّحرة الّذين جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين ساحْراً اثنان منهم من القبط وهما راسا القوم وسبعون من بنى إسرائيل والقصّة طويلة ومن اراد الإطلاع عليها تفصيلاً فعليه بكتب الموضوعة لهذه المباحث:

الأمر الثّاني: ما معنىٰ هذا الشرط الّذي شرطاه له:

وخلاصة الكلام فيه انّ الشّرط الّذي اشار به ﷺ فى كلامه من دوام العِزّ وبقاء الملك لو اسلَم فرعون انّما هو لإتمام الحجّة عليه او لأمرٍ آخر فنقول هنا إحتمالات:

احدها: إتمام الحجّة على فرعون فلِلّه الحجّة البالغة على خَلقه فحيث شرط موسىٰ له الشرط وهو بقاء ملكه ودوام عِزّه ومع ذلك لَم يُجبه فرعون فقد تمت الحجّة عليه فى الدّنيا والآخرة وذلك لأنّ فرعون ان كانت العلّة فى عدم إيمانه بمُوسىٰ هى الخوف من زوال مُلكه وتسليمه الى موسىٰ مثلاً فقد شرط مُوسىٰ عليه السلام له بقائه على الحكُومة كما كان وان كانت العلّة شقاوته وخبث ذاته وتمّرده وتفرعنه فى جنب عظمة اللّه كما هو كذلك فقد تمت الحجّة عليه بذلك فى زوال ملكه فى الدّنيا وعذابه فى الآخرة.

وثانيها: الإختبار والإمتحان لا ليعلم اللّه ما فى ضميره لأنّه تعالىٰ عالم بالضّمائر بل لأجل خروجه عن الإشتباه ليقطع بكفره وإلحاده فانّ الإختبار واقع لكلّ الأفراد قال تعالىٰ: **﴿الَمْ اَحَسِبَ النَّاسُ اَنْ يُتْرَكُوا اَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَايُفْتَنُونَ﴾**(١) فإذا كان المُسلم المؤمن فى معرض الإختبار فى الدّنيا فالكافر بطريق اولىٰ.

وثالثها: انّ فرعون كان مُدّعياً لِلإلوهية فقال انا ربّكم الأعلى، فقال موسىٰ له ما قال من الشّرط إيماءً الىٰ انه ليس علىٰ ما يدّعيه من الربّوبية اذ لو كان كما ادّعاه فلا مورد لهذا الشّرط وبعبارةٍ أُخرىٰ فَهمّه أنّه مخلوق محتاج الىٰ غيره فهو أعنى شرطه له فى الحقيقة إرشاد وتبليغ منه عليه السلام لما امر به او مقدمة له وفيه نُكتة لطيفة:

الأمر الثّالث: فى وجه تعجّب فرعون من كلامه عليه السلام وقوله الا تعجبُون من هذين وفيه ايضاً وجوه.

احدها: ان يكون كلامه هذا من تجاهل العارف وتقريره انّ فرعون كان عالماً عازماً بكونه مخلوقاً مصنوعاً لغيره وانّ موسىٰ عليه السلام الّذي قال الكلام رسُول اللّه وقوله حقّ وكلامه صِدق إلّا انّ فرعون بسبب ادّعائه الرّبُوبية وإشتهاره كذلك عَلِم انّ تصديق موسىٰ بالرّسالة يلازم تكذيب النّاس ايّاه فى

---

١ ـ العنكبوت ـ ٢.

ادّعائه بل خروجهم عليه ومطالبتهم الدّماء التّى سَفكها فرعون لإتمام دَعوته وحيث كان كذلك مُضافاً الىٰ الرّئاسة والحكومة التّى كانت فى مظنّة السّقُوط بزَعمه لو آمَن به فقال ما قال ونظائره كثيرة فى كلّ عصرٍ وزمانٍ كما هـو لا يخفىٰ علىٰ العاقل اللّبيب:

وثانيهما: ان لا يكون كذلك بل كانت مقالته هذه لجهله وحماقته وانّه لا إلٰه إلّا هو كما ادّعاه غير مَرّة ومن كان كذلك فصّح له ان يقول الا تـعجبُون مـن هذين الخ اي الا تعجبون من هذين يشرطان لى ما ليس لهما وهما بما ترون من الفَقر والذُلّ، وقد ثبت انّ معطى الشّيٰ لا يكون فاقداً له فمن كان فقيراً ذليلاً كيف يُعطي العِزّ والمُلك او يُبقيه.

وثالثها: انّه اي فرعون فهم من كلام موسىٰ انّ دوام العِزّ وبقاء المُلك بيده اذ هو الشّارط ظاهراً فقال ما قال فى جوابه تعجُباً وعلىٰ فرض كونهما مُسندين الىٰ اللّه وفَهمه كذلك فمعنىٰ كلامه انّ الأمر لو كان كذلك اي كما يقول موسىٰ فينبغى ان يُعطى اللّه العِزّ والمُلك لرسُوله وحيث انّه لم يُعطه فهو دليل علىٰ كذبه ولَم يعلم فرعون انّ ما هو فيه ليس بعِزٍّ اصلاً.

ورابعها: ان يكون المراد من كلامه هذا استخفافه بـموسىٰ وتـحقيره فـى الأنظار لئلا يرغب النّاس فى كلامه وهذا داب اكثر المُستكبرين فى كلّ زمانٍ:

الأمر الرّابع: ما معنىٰ قوله فهلاّ أُلقى عليهما أساور من ذهب وفيه أيـضاً وجوه من المُحتملات.

الأوّل: تفاخره بزينة الدّنيا وتَحملها وحيث انّ الدّرهم والدّنيار ولا سـيّما الذّهب فى راسها بل اصلها واساسها افرده بالذّكر مُشـعراً بـانّ مـن ليس له الذّهب مثلاً لا يُعبا به كما عَلّل ﷺ كلام فرعون بقوله إعظاماً للذّهب وجمعه وإحتقاراً للصّوف ولبسه:

الثّاني: انّ موسىٰ وهرون اتياه فى زِي الفقراء فاراد فرعون قلب الحقيقة بانّ عَرضَهما فى دعوتهما ايّاه هو المال فقال ما قال فى جوابهما مُشعراً بانّهما

ليسا من رُسل اللّه تعالىٰ وانّما دعاهما الىٰ ذلك الفُقر والإحتياج:

الثالث: انّ المُدّعى للرسالة ينبغى ان لا يكون من الفُقراء والمُستضعفين لأنّه رسُول ربّ العالمين الّذي له مُلك السَّمٰوات والأرض وهو الغنّى الحَميد وحيث كان موسىٰ فى زيّ الفقر فظنّ فرعون انّ إلٰه موسىٰ لا يقدر علىٰ اخراجه من هذه الهيئة امّا لِضعفه او لفقره وعلىٰ الحالين لا يليق بان يكون إلٰهاً خالقاً وغير ذلك من الوجوه المُحتملة:

الفصل الرابع

□ قوله ؑ: وَلَوْاَرَادَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ لِاَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ اَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذُّهْبَانِ وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ وَاَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرَضِينَ لَفَعَلَ وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلاَءُ وَبَطَلَ الْجَزَاءُ وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ وَلَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلِينَ وَلاَ اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ وَلاَ لَزِمَتِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا وَلٰكِنَّ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَىٰ الْأَعْيُنُ مِنْ حَالاَتِهِمْ مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلأُ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنىً وَخَصَاصَةٍ تَمْلأُ الْأَبْصَارَ الْأَسْمَاعَ اَذىً وَلَوْ كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ اَهْلَ قُوَّةٍ لاَ تُرَامُ وَعِزَّةٍ لاَ تُضَامُ وَمُلْكٍ تُمَدُّ نَحْوَهُ اَعْنَاقُ الرِّجَالِ وَتُشَدُّ اِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ لَكَانَ ذٰلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الْإِعْتِبَارِ وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي الْاِسْتِكْبَارِ وَلَاٰمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ اَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ فَكَانَتِ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً وَلٰكِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ اَرَادَ اَنْ يَكُونَ الاِتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ وَالتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ وَالْخُشُوعُ لِوَجْهِهِ وَالاِسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ وَالإِسْتِسْلاَمُ لِطَاعَتِهِ أُمُوراً لَهُ خَاصَّةً لاَ تَشُوبُهَا شَائِبَةٌ وَكُلَّمَا كَانَتِ الْبَلْوَىٰ وَالاِخْتِيَارُ اَعْظَمَ كَانَتِ الْمُثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ.

أَلاَ تَرَوْنَ أَنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ ؑ إِلَى الآخِرِينَ

مِنْ هٰذا الْعَالَمِ بِاَحْجَارٍ لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ وَلاَتُبْصِرُ وَلاَ تَسْمَعُ فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرامَ الَّذِی جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِياماً ثُمَّ وَضَعَهُ بِاَوْعَرِ بِقَاعِ الْأَرْضِ حَجَراً وَأَقَلِّ نَتَائِقِ الْأَرْضِ مَدَراً وَأَضْيَقِ بُطُونِ الْأَوْدِيَةِ قُطْراً بَيْنَ جِبالٍ خَشِنَةٍ وَرِمَالٍ دَمِثَةٍ وَعُيُونٍ وَشِلَةٍ وَقُرىً مُنْقَطِعَةٍ لاَ يَزْكُوبِهَا خُفٌّ وَلاَ حَافِرٌ وَلاَ ظِلْفٌ ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ وَوَلَدَهُ اَنْ يَثْنُوا اَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ فَصارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجَعِ اَسْفَارِهِمْ وَغَايَةً لِمُلْقَیٰ رِحَالِهِمْ تَهْوِیٰ اِلَيْهِ ثِمارُ الْأَفْئِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ وَمَهَاوِی فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ وَجَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ حَتَّیٰ يَهُزُّوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلاً يُهَلِّلُونَ لِلّٰهِ حَوْلَهُ وَيَرْمُلُونَ عَلَیٰ اَقْدَامِهِمْ شُعْثاً غُبْراً لَهُ قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَشَوَّهُوا بِاِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ اِبْتِلاَءً عَظِيماً وَاِمْتِحَاناً شَدِيداً وَاِخْتِبَاراً مُبِيناً وَتَمْحِيصاً بَلِيغاً جَعَلَهُ اللّٰهُ سَبَباً لِرَحْمَتِهِ وَوُصْلَةً اِلَیٰ جَنَّتِهِ وَلَوْ اَرَادَ سُبْحَانَهُ اَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرامَ وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ بَيْنَ جَنَّاتٍ وَاَنْهَارٍ وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ جَمِّ الْأَشْجَارِ دَانِیَ الثِّمَارِ مُلْتَفِّ الْبُنَیٰ مُتَّصِلَ الْقُرَیٰ بَيْنَ بُرَّةٍ سَمْرَاءَ وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ وَاَرْيَافٍ مُحْدِقَةٍ وَعِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ وَرِيَاضٍ نَاضِرَةٍ وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَیٰ حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلاَءِ وَلَوْ كَانَ الْأَسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا وَالْأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ وَنُورٍ وَضِيَاءٍ لَخَفَّفَ ذٰلِكَ مُصَارَعَةَ الشَّكِّ فِی الصُّدُورِ وَلَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ اِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ وَلَنَفَیٰ مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِاَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِاَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ اِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ وَاِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِی نُفُوسِهِمْ وَلِيَجْعَلَ ذٰلِكَ اَبْوَاباً فُتُحاً اِلَیٰ فَضْلِهِ وَاَسْبَاباً ذُلُلاً لِعَفْوِهِ.

◁ اللغة

(الذُّهْبَانِ) بضم الذال جمع ذَهَب (الْعِقْيَانِ) بكسر العين نوع من الذهب ينمو في معدنه (مَغَارِسَ) جمع مَغْرِس مكان غَرس الشجر (الْبَلاَءُ) الإمتحان (الْأَنْبَاءُ) جمع نَبأ وهو الخبر (تُرَامُ) من رامَ الشيء روماً اي طلب (تُضَامُ) من

ضَام ضيماً اي تُضَار (نَتَائِقِ) جمع نتيقة من الرَّفع وهو الرَّفع والجَذب وقيل النّتائق البقاع المُرتفعة (دَمِثَة) اي ليّنة (وَشِلَةٍ) بفتح الواو وكسر الشين اي قليلة الماءِ (قُرَىٍ) جمع قرية (خُفٍّ) بضّم الخاء اي ذوات الخُف كالإبل (حَافِرٌ) كالخيل والبغال (ظِلْفٌ) بكسر الظاء وسكون اللاّم كالبقر والغنم (يَثْنُوا) اي يَعطفُوا ويميلُوا (مَثَابَةً) اي مَرجعاً (مُنْتَجَعِ) مُنتجع الأسفار فوائدها (لِمُلْقَىٰ) مصدر يسمىٰ من اللقىٰ اي نهاية مقصدهم (تَهْوِىٰ) اي تَميل (مَفَاوِزِ) جمع مفازة وهى الفلاة (قِفَارٍ) جمع قفِر وهو الأرض التى لا ماء لها ولا كلاء (سَحِيقَةٍ) اي بعيدة (مَهَاوِى) اي الأرض المُنخفضة (فِجَاجِ) الفجاج الطّرق الواسعة (يَهُزُّوا) من هَزَّ يَهُز اي حَرّك (يُهَلِّلُونَ) اي يذكرون اللّه بكلمة لا إلٰه إلّا اللّه (يَرْمُلُونَ) اي يُهرولُون (شُعْثاً) اي اشعث الرؤوس (غُبْراً) اي مُغبّر الوجوه (السَّرَابِيلَ) الثّياب (شَوَّهُوا) اي قَبّحُوا (إعْفَاءِ) إعفاء الشّعُور تركها بلا حَلقٍ ولا قَصٍّ (جَمَّ) اي كَثُر (دَانِيَ الثِّمَارِ) اي سَهل التَناول (مُلْتَفِّ الْبُنَىٰ) جمع بُنية بضَم الباء وكسرها ما ابتَنيه والمُلتّف، المُشبك والمعنىٰ كثير العِمران او مشتبك العمارات (بُرّة) بضَم الباء الحنطة (سَمْرَاءَ) اجودها (أرْيَافِ) الأراضى الخصبة (عرائص) جمع عَرصة (مُغْدِقَةٍ) من اغدق المَطَر كثر ماؤه (فُتُحاً) بضّمتين اي مفتوحة واسعة والباقى واضح.

◁ **المعنىٰ**

(وَلَوْ أرَادَ اللّهُ سُبْحَانَهُ لِأنبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ) الىٰ النّاس (أنْ يَفْتَحَ لَهُمْ) لِلأنبياء (كُنُوزَ الذِّهْبَانِ) ومحّالها تيسيراً للوصُول اليها (وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ) وهى نوع من الذّهب يَنمُو فى معدنه (وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ) لينفقوا منها ويكونوا ذي سعةٍ (وَأنْ يَحْشُرَ) اللّه (مَعَهُمْ) مع الأنبياء (طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرَضِينَ) إجلالاً لشانهم وإحتشاماً لقدرهم (لَفَعَلَ) جواب اي لو اراد اللّه كذلك لَفعل لعموم قدرته (وَلَوْ فَعَلَ) ذلك (لَسَقَطَ الْبَلاَءُ) والإختبار فلا يتميز الخبيث من الطّيب (وَبَطَلَ الْجَزَاءُ) يوم القيامة (وَاضْمَحَلَّتِ) وعدمت (الْأَنْبَاءُ) والأخبار

التى أخبَر اللّه بسبب الأنبياء (وَلَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ) دعوة الأنبياء (أُجُورُ الْمُبْتَلِينَ) المُمتحنين بالشّدائد الصّابرين على المكاره (وَلاَ اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ) لعدم كون إيمانهم واعمالهم على وجه الإخلاص (وَلاَ لَزِمَتِ الأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا) لأنَ إطلاق المؤمن والمُسلم حينئذٍ بمُجَرد اللّفظ دون المعنىٰ مع انّ انفكاك المعنىٰ عن اللّفظ محال عقلاً (وَلٰكِنَّ اللّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ) بمقتضىٰ حكمته (رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ) فى تبليغ ما أُمروا به بقوّةٍ معنوية (وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَىٰ الأَعْيُنُ مِنْ حَالاَتِهِمْ) اي جَعَلهم اللّه فى ظاهر الأمر فاقدين لِلأسباب الماديّة الدّالة علىٰ القُدرة والشّوكة (مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلأُ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنىً) اي مع كونهم قانعين فى دنياهم قناعةً هى الغنىٰ فى الحقيقة (وَخَصَاصَةٍ تَمْلأُ الأَبْصَارَ الأَسْمَاعَ أَذىً) اي وفقرٍ وجوع تملأها اذىً وهو كناية عن شدّة الخصاصة والجوع بحيث استلزمت الأذىٰ (وَلَوْ كَانَتِ الأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ) وقدرةٍ (لاَ تُرَامُ) ولا تُقصد (وَعِزَّةٍ لاَ تُضَامُ) ولا تنقضى (وَمُلْكٍ تُمَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ) لشدّة إشتياقهم اليه (لَكَانَ ذٰلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الإِعْتِبَارِ وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي الاِسْتِكْبَارِ) فأنَ إجابة الفقير اصعَب من إجابة الغنى ولا سيّما علىٰ المُتكبرين المُتجبرين (وَلآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ) علىٰ الإيمان (أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ) اليه (فَكَانَتِ النِّيَّاتُ) اذاً (مُشْتَرَكَةً) بين اللّه وبين شهواتهم (وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً) بينه وبينها (وَلٰكِنَّ اللّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الاِتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ وَالتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ) السّماوية المُنزلة (وَالْخُشُوعُ لِوَجْهِهِ) الكريم (وَالاِسْتِكَانَةُ) والإطاعة (لأَمْرِهِ وَالاِسْتِسْلاَمُ) والإنقياد (لِطَاعَتِهِ أُمُوراً لَهُ خَاصَّةً) لا يشرك فيها غيره (لاَ تَشُوبُهَا) اي لا يشوب الأُمور ولا تخلطها (شَائِبَةٌ) وريبَة (وَكُلَّمَا كَانَتِ الْبَلْوَىٰ وَالاِخْتِبَارُ) للنّاس (أَعْظَمَ) وأشدّ (كَانَتِ الْمَثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ) اي أليق وأفضل (أَلاَ تَرَوْنَ أَنَّ اللّهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الأَوَّلِينَ) من الأُمم السّالفة.

(مِنْ لَدُنْ آدَمَ ﷺ إِلَىٰ الآخِرِينَ) منها (مِنْ هٰذَا الْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لاَ تَضُرُّ وَلاَ

تَنْفَعُ وَلاَتُبْصِرُ وَلاَ تَسْمَعُ) بحسب الظّاهر (فَجَعَلَهَا) اي الأحجار (بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذِى جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَاماً) لأحوالهم فى الدّنيا والآخرة (ثُمَّ وَضَعَهُ) اي البيت (بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الْأَرْضِ) وأغلظها من حيث الأحجار وعدم وجود الإمكانات (حَجَراً وَأَقَلِّ نَتَائِقِ الْأَرْضِ مَدَراً) اي أقلّها تراباً ومدراً أو أقلّها إرتفاعاً (وَأَضْيَقِ بُطُونِ الْأَوْدِيَةِ قُطْراً) من حيث النّواحى والجوانب (بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ) غليظة (وَرِمَالٍ دَمِثَةٍ) ليّنة (وَعُيُونٍ وَشِلَةٍ) قليلة الماء (وَقُرىً مُنْقَطِعَةٍ) بعضها عن بعضٍ (لاَ يَزْكُوبِهَا خُفٌّ وَلاَ حَافِرٌ وَلاَ ظِلْفٌ) اي لا يزيد ولا ينمو بها الحيوانات من الإبل والخيل والبقر (ثُمَّ أَمَرَ) اللّه تعالىٰ (آدَمَ وَوَلَدَهُ) الىٰ يوم القيامة (اَنْ يَثْنُوا) ويتوجهوا (اَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ) مُعرضين عن كلّ شيئٍ (فَصَارَ) البيت (مَثَابَةً)ومَرجعاً وملاذاً (لِمُنْتَجَعِ اَسْفَارِهِمْ) ومحلّ الفائدة منها (وَغَايَةً) ومقصداً (لِمُلْقَىٰ رِحَالِهِمْ) اي نهاية حطّ رحالهم عن ظهور إبلهم (تَهْوِىٰ) وتميل (اِلَيْهِ) الىٰ البيت (ثِمَارُ الْأَفْئِدَةِ) والقلوب (مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ) والأفلاء البعيدة (وَمَهَاوِى فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ) اي من الوهاد والطّرق العميقة الّتى بين الجبال (وَجَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ) بعضها عن بعضٍ (حَتَّىٰ يَهُزُّوا) ويُحرّكوا (مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلاً) حين الطّواف (يُهَلِّلُونَ لِلّٰهِ حَوْلَهُ) حول البيت (وَيَرْمُلُونَ) ويُهرولون (عَلَى اَقْدَامِهِمْ شُعْثاً غُبْراً لَهُ) اشعث الرّؤوس مُغبّر الوجُوه له تعالىٰ (قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ) حال الإحرام (وَشَوَّهُوا) وقبّحُوا ظاهراً (بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ) اي تركها بلا حلقٍ ولا قصّ (مَحَاسِنَ خَلْقِهِمُ اِبْتِلاَءً عَظِيماً وَاِمْتِحَاناً شَدِيداً وَاخْتِبَاراً مُبِيناً وَتَمْحِيصاً بَلِيغاً) اى إبتلاهم اللّه بما ذُكر إبتلاءاً عظيماً الخ (جَعَلَهُ اللّهُ سَبَباً لِرَحْمَتِهِ) فى الدّنيا (وَوُصْلَةً إِلَىٰ جَنَّتِهِ) فى الآخرة (وَلَوْ اَرَادَ سُبْحَانَهُ اَنْ يَضَعَ) ويجعل (بَيْتَهُ الْحَرَامَ وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ بَيْنَ جَنَّاتٍ وَاَنْهَارٍ وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ) من الأرض (جَمَّ الْأَشْجَارِ دَانِيَ الثِّمَارِ) اي اشجارها كثيرة سهل التّناول (مُلْتَفَّ الْبُنَىٰ) ومُشتبك العمارات (مُتَّصِلَ الْقُرَىٰ بَيْنَ بُرَّةٍ سَمْرَاءَ) اي الحنطة الجيدة

(وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ) ذات الخضرة والنَّضارة (وَأَرْيَافٍ مُحْدِقَةٍ) مُشتملة على البساتين (وَعِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ) ذات الماء الكثير والمطر (وَرِيَاضٍ نَاضِرَةٍ وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ) بكثرة المارّة فيها (لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلاَءِ) اي لو كان كذلك لكان كذلك على حسب ضعف الإمتحان (وَلَوْ كَانَ الأَسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا) البيت (وَالأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا) البيت (بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ وَنُورٍ وَضِيَاءٍ لَخَفَّفَ ذٰلِكَ) اي لو كان البيت كذلك لخفت وسَهُلت ذلك (مُصَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ) اي سرعته (وَلَوَضَعَ) وانحطّ (مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ) اي لو كان كذلك كانت مجاهدة إبليس في القلوب قليلة (وَلَنَفَى مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ) اي ينتفى إعتلاج الرّيب منهم قطعاً (وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ) والمكاره (وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ) والرّياضات (وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ) واقسامها كلّ ذلك (إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ وَإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ) اي لخروج التّكبر عن قلوبهم ودخول التّذلّل والخشوع في نفوسهم (وَلِيَجْعَلَ ذٰلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً) اي مفتوحة واسعة (إِلَىٰ فَضْلِهِ) وكرمه (وَأَسْبَاباً ذُلُلاً) مسهلة (لِعَفْوِهِ) ومغفرته.

◁ الشرح

▫ قوله ﷺ: وَلَوْأَرَادَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذُّهْبَانِ وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الأَرَضِينَ لَفَعَلَ...

الكُنوز بضّم الكاف جمع كَنز بفتح الكاف كَفلس وفُلوس كَنز المال من باب ضرَب اي جَمَعه وادّخَره وفى الحديث الصّلوة كنزٌ من كُنوز الجنّة، ولا حول ولا قوّة إلّا باللّه كَنز من كُنوز الجنّة، والعِقيان بكسر العين مثل الذّهب الخالص وقيل ما يَنبُت منه نباتاً وليس ممّا يحصل من الحجارة وقيل ما ينمُو من الذّهب والمعادن جمع معدن وهو مُستَقر الجوهر والفرق بين الكَنز والمَعدَن هو انّ الكَنز ما جُمع وادّخر تحت الأرض والمعدن ليس كذلك اذا

عرفت هذا فالمعنىٰ لو أَراد اللّه تعالىٰ بأنبيائه حيث بَعَثهم الىٰ النّاس لِلهداية والإرشاد انْ يفتح لهم كُنوز الذّهبان بان يجعلها خالصة لهم ليَتَّصرفوا فيها كيف شاؤوا ومعادن العِقيان اعنى الذّهب الخالص المَستُور تحت الأرض ومغارس الجنان اي محّال غرس الأشجار وانْ يحشر معهم اي مع الأنبياء طَير السَّماء ووحوش الأرض إحتشاماً وإعظاماً لقدرهم لَفَعل فقوله عليه السلام: **(لَفَعل)** جزاء لِلشّرط اعنى كلمة **(لَو)** وانّما قال عليه السلام هذا الكلام إيماءً الىٰ انّ فرعون لَم يعلم حقيقة الحال وظنّ انّ فقر مُوسىٰ كان ناشِئاً عن عَجز اللّه تعالىٰ او عدم لياقة موسىٰ والحال انّ كلّ ذلك لَم يكن وهكذا الجواب لكلّ من سَلَك او يسلك مَسلك فرعون فى إعظام الذّهب وإحتّقار الصّوف والفقر كما حكىٰ اللّه تعالىٰ عن الكُفّار فى كتابه حيث قالوا لنبّينا ذلك قال اللّه تعالىٰ: **﴿فلعَلَّكَ تارِكٌ بَعْضَ مايُوحَىٰ إلَيكَ وَضائِقٌ بِهِ صَدْرَكَ اَنْ يَقُولُوا لَوْلا اُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ اَوْ جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾** (١)

وقوله عليه السلام: **وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ** إشارة الىٰ قوله تعالىٰ حكاية عنهم حيث قال تعالىٰ: **﴿اَوْ يُلْقىٰ اِلَيْهِ كَنْزٌ اَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَاْكُلُ مِنْهَا﴾** (٢)

إن قلت – يظهر من كلامه عليه السلام انّ اللّه تعالىٰ لَم يفعل ذلك لمصلحةٍ رآها اي لم يفتح لهم الكُنوز والمعادن ولَم يحشر معهم الطّير فى السّماء والوحُوش فى الأرض ولكن يظهر من الأخبار والآيات تحقّق هذه الأُمور كلّها او بعضها لبعض الأنبياء كما ورد فى داوُود النّبى وسليمان حشمة اللّه ولا سيّما الأخير منهما فما معنىٰ قوله عليه السلام فى المقام ولم يستثنى احداً منهم:

قلت اما اوّلاً: فلأنّ الحكم بإعتبار الأعم الأغلب ولا يُنافيه خروج فَرد او فَردين منه كما هو الشان فى الأحكام غالباً فاذا قلنا كلّ انسان له عقل وشهوة وهو مُركّب منهما فهذا الحكم صحيح لا خلاف فيه بل هذا هو المُميز بين الإنسان والحيوان والمَلَك مع انّ بعض الأفراد من الإنسان لا عقل له من اوّل الأمر وعدَّ من المُجانين وبعض آخر فاقد للشّهوة اصلاً فلا يميل الىٰ النّساء، او

١- هود ـ ١٢ ٢- الفرقان ـ ٨

نقول كلّ إنسان له يدان ورجلان وفى كلّ يد خمسة اصابع وامثال ذلك وقد يُوجد مَن لا يكون كذلك ونَظائره كثيرة ولأجل هذا قيل الحكم بإعتبار الأَعمّ الأغلب بل قال بعض المُحقيقين لا يُوجد حكمٌ شامل لجميع الأفراد والمصاديق وما نحن فيه من هذا القبيل:

وثانياً: نقول انّ كلامه ﷺ مَحمولٌ على الظّاهر ولا شَك انّ الأنبياء فى ظاهر الأمر كانوا كغيرهم من الأفراد وحيث انّ اكثر النّاس يعلمون ظاهراً من الحياة الدّنيا فيَرون الفقر والغنى بإعتبار ما فى ايدي النّاس ظاهراً فيَرون ابناء الدّنيا مثلاً مُتنعمين فيها والأولياء والأخيار لا كذلك فيَحكمُون بفقر هؤلاء دون هؤلاء فقال ﷺ ما قال فى جوابهم وحاصله لو اراد اللّه سُبحانه ان يظهر لهم كذا وكذا لَفَعل فعلى هذا الإحتمال يكون المنفى ظهورها على ايديهم فى اعين النّاس لا اصل وجودها وتحقّيقها واقعاً ضرورة انّه كان حاصلاً لهم.

وثالثاً: لا يبعد ان يكون المراد نفى الإنحصار لا النّفى المُطلق بمعنى انّ اللّه تعالى لَم يَجعل الكُنوز والمعادن وغيرها تحت إختيارهم على وجه الحصر بحيث لا يكون لغيرهم من احاد النّاس على الكُنوز والمعادن تصَرفٌ وتسَلُطٌ وعليه فالمعنى لو اراد اللّه سُبحانه ان يفتح لهم دون غيرهم لَفَعل حتّى لا يقولوا نحن اغنياءٍ وهم فقراء وهذا الوجه اقرب الى الصّواب وذلك لأنّ الأنبياء عليهم السّلام كانوا كغيرهم فى الأكل والشّرب وغيرهما ممّا يحتاج اليه الإنسان وهكذا فى الإستفادة عن النّعم الظّاهرة والباطنة الطّبيعى منها والمعنوي وبالجُملة كلّ ما فى الوجُود ومَحصّل الكلام هو انّ اللّه لو شاء ان تكون الدّنيا وما فيها لهم على وجه الإنحصار لَفَعل لعمُوم قدرته وهو ظاهر:

□ قوله ﷺ: **وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلاَءُ وَبَطَلَ الْجَزَاءُ وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ وَلَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلِينَ وَلاَ اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ وَلاَ لَزِمَتِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا...**

اي لو فَعَل اللّه ذلك لَزِم منه أُمور كلّها ينافى أساس البعثة والتّكليف

والشّريعة بل الخِلقة والأغراض المُترتبة عليها فى نظام التّكوين والثّواب المتفَرع عليها فى التّشريع

احدها قوله عليه السلام: **لَسَقَطَ الْبَلَاءُ** اي ما به يتّميز الخَبيث من الطّيب وتوضيحه انّ البلاء والإختبار مِمّا يُتّميز به المُحسِن عن المُسيئ وقد صرّح القرآن بلزومه و وقوعه فى نظام الكلّ قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾**(١)

و: **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ﴾**(٢)

و: **﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾**(٣)

و: **﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾**(٤) وغيرها من الآيات.

ثُمّ انّ الإختبار فى هذه الدّنيا لا يحسن عقلاً وشرعاً إلّا بعد تحقّق امرين:

احدهما: كون العَبد مختاراً فيما يفعله.

وثانيهما: كون المُختبر به موجوداً عنده مُسلّطاً عليه وبعبارةٍ أُخرىٰ تحت قدرته واختياره وهذا ممّا لا كلام فيه ضرورة أنّ الغنى مثلاً يختبر بما له والرّئيس بمقامه والعالم بعلمه والكاسب بكسبه وهكذا فمن لم يكن مختاراً فى نفسه او كان ولكن ليس له شيئ من المال والمقام والعلم وامثالهما فكيف يُختبر بها ولازم ذلك ان لا تكون الدّنيا تحت اختيار شخصٍ واحدٍ او اشخاصٍ معيّنة فلو فرضنا كونها منحصرة فى اختيار الأنبياء دون غيرهم لَسَقط البلاء لا محالة بالنّسبة الىٰ غير الأنبياء هذا وفى المقام وجه آخر وهو انّه علىٰ المفروض لَم يكن الإيمان بالنّبى كاشفاً عن حُسن انتخاب المؤمن وحُسن عقيدته وانّه عرف الحقّ مثلاً بل كان لأجل الدّنيا وزخارفها ومقامها ونعمها اذ المفروض كون النّبى فى وضع يرجع اليه الكلّ فى الوصول الىٰ المُشتهيات

١- الأنبياء- ٣٥ ٢- البقرة- ١٥٥

٣- الكهف- ٧ ٤- الانعام- ١٦٥

النّفسانية فسَقَط الإختبار وهذا بخلافِ ما اذا كان النّبى فقيراً مُستضعفاً لا مال له ولا سلطنة ولا جُند ولا غير ذلك من الأسباب المّادية الجاذبة لأكثر النّاس بل لتمامهم فانّ الإيمان به يكون لمُجّرد الإعتقاد باللّه واليوم الآخر وبذلك تمّييز الخبيث الشّقى من الطّيب السّعيد وهو من اعظم الأسرار المودَعة فى بعثة الأنبياء كذلك.

وثانيهما قوله ﷺ: **وَبَطَلَ الْجَزَاءُ**، وبُطلانه قد ظهر مما ذكرناه فى سقُوط البلاء وذلك لأنّ ثبُوت الجزاء موقوف علىٰ الإختبار وانّ العَمَل صدر من عامله تقرّباً اليه تعالىٰ فى جميع الشئون ولأجل هذا قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**(١)

و: **﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**(٢)

و: **﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً﴾**(٣)

و: **﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**(٤) والآيات كثيرة فى الباب وقد عُلم بذلك ثبُوت الجزاء فى الشّريعة المُقدسة والشّرائع قبلها ومعلوم انّه يتوقف علىٰ العَمل النّاشئ عن اختيار المُكلّف وإرادته وكون المُختبر به من المال والقدرة والعلم وغيرها تحت سُلطته وان يكون العَمل ناشئاً عن الإيمان باللّه وبرسُوله بطبعه ومَيله من غير إضطرارٍ تكويناً او تشريعاً.

وثالثها قوله ﷺ: **وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ**، وتقريره انّ الأنبياء اخبَروهم بالجنّة والنّار والثّواب والعقاب ان خيراً فَخيراً وان شراً فَشراً وصحّة هذه الأخبار تَوقف علىٰ عدم فتح الكُنوز والمعادن لِلأنبياء فقط فانّ ذلك يُنافى الغَرض الأصلى من البَعث والرّسالة لوجوهٍ:

منها- انّهم بُعثوا لتزهيد النّاس وترغيبهم عن الدّنيا وتحريصهم علىٰ الآخرة فاذا كانوا مُتّنعمين فى الدّنيا مالكين لكنوزها ومعادنها مُتجملين

١- النحل- ٩٧
٢- الفصلت- ٢٧
٣- النّساء-١٢٣
٤- السباء- ٣٣

بزخارفها فكيف يمكن لهم إرشاد النّاس الىٰ خلافه.

ومنها- عدم الفَرق حينئذٍ بينهم وبين غيرهم من الرّاغبين الىٰ الدّنيا وهو ظاهر.

ومنها- انّ من كان كذلك فى الدّنيا لا يمكن للفقير ولا لغيره الإيمان به والإعتقاد بما يخبره به بل يكون إيمانه به لماله وثروته وسَلطنته وبالجُملة إحتياجه اليه فى الدّنيا وهو ينافى ما اخبروه به فى شرائعهم من ترك الدّنيا وعدم التّوجه اليها وانّها راس كلّ خطيئة.

وقال الشّارح الخُوئى فى شرح الجُملة اعنى اضمحلال الأنباء ما لفظه:

وذلك لأنّ الفرض الأصلى من بعثهم ورسالتهم ان يجذبوا الخلق الىٰ الحقّ الأوّل عزّ وجلَ ويُزهدوهم عن الدّنيا ويرّغبوهم فى الآخرة فاذا فتحت لهم ابواب الكُنوز والمعادن واشتغلوا بزخارف الدّنيا وكانوا بزّي اهلها لم يؤثر موعظتهم فى القلُوب ولم يبق وقع للرّسالة عند النّاس ولا وجدوا للمبعوثين اليهم مقالاً وتعريضاً عليهم بان يقولوا ياايّها الرّسُول لِم تقولون ما لا تفعلون انتم تزّهدونا عن الدّنيا وترغبون فيها وترّغبونا فى الآخرة واشتغالكم بغيرها فيبطل بذلك المقصُود الأصلى من البعث واضمَحلَت الرّسالة إذاً هذا انتهىٰ كلامه رفع مقامه ويتوجه الإشكال عليه من وجوه امّا اوّلاً فانّه ملازمة بين فتح الكُنوز والمعادن لشخصٍ او اشخاص وبين اشتغاله بزخارف الدّنيا وكونه بِزي اهلها فهذا سليمان ابن داود عليه السلام فُتحت الكُنوز والمعادن له وسخّر اللّه تعالىٰ له الجّن والإنس والوحوش والطّيور بريّة وبحريّة كما نطق به القرآن وتواترت به الآثار مع انّه عليه السلام لم يشتغل بزخارف الدّنيا ولم يكن بِزي اهلها وكانت موعظة مؤثرة فى القلوب وبقى لرسالته وقعٌ عند النّاس وغير ذلك ممّا رتّبه رحمه الله علىٰ كلامه وحكم الأمثال واحد.

فإذا فرضنا فتح الكُنوز والمعادن لهم وقلنا بالعصمة فيهم كما نقول بها فلا يلزم منه ما ذكره رحمه الله نعَم فتح الكُنوز والمعادن وغيرهما يؤثر فينا بعدم العصمة

ولا كلام لنا فيه واَمّا تاثير المَوعظة الّذي اشار ﷺ به وَفَرعَه علىٰ فتح الكُنوز والمعادن فهو ايضاً غير صحيح فانّ تاثير الكلام لا ربط له بالمال والمقام وغيرهما بل هو مربُوط بالقلب فانّ الكلام اذا خرج عن القَلب دخل فى القلب فقيراً كان المتّكلم او غنياً عالماً كان او جاهلاً وهذا ممّا لا ريب فيه والأنبياء لعصمتهم وتقّربهم الىٰ اللّه يؤثر كلامهم وفتح الكُنوز وعدمه لهم لا دخل له فى الباب كما انّ الفقر ايضاً لا خصوصية فيه، وقوله ﷺ ولا وجدوا للمبعُوثين اليهم مقالاً وتعريضاً عليهم بان يقولُوا ياايّها الرّسُل لِمَ تقولون ما لا تفعلون الىٰ آخر ما قال، ايضاً كلام بلا مُحصل وذلك لأنّ صحّة هذه المقالة تتوقف علىٰ كون الأنبياء مُشتغلين بالدّنيا وزخارفها وصيرورتهم بزي اهلها ففى هذه الصُّورة لو زهّدوا النّاس عن الدّنيا ورّغبُوهم الىٰ الآخرة كان من قبيل القول بلا عَمَل فصّح للمَبعُوثين ان يقولوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون، وهو اوّل الكلام لعدم الملازمة كما مَرَّ ذكره وحاصل الكلام انّ الأنبياء كانوا مُنّزهين عن الإشتغال بالدّنيا، والإنغمار فى زخارفها وامثال ذلك من الأُمور لكونهم معصومين مُقّربين عند اللّه تعالىٰ ولولا العَصمة فيهم فلا تَتّحقق النّبوة فالغنىٰ والفقر وفتح الكُنوز وعدمه وغيرها من الأمور لا دخل لها فى المقام فلا يصّح ان يقال انّ اللّه لَم يفتح لهم الكُنوز لأجل هذه الأُمور التى تُنافى اصل البعثة والأمر واضح ثُمّ قال الخُوئى ﷺ ما لفظه وقال المحقق البحرانى ﷺ فى وجه اضمحلال الأنباء ما محصّله انّ الأنبياء وان كانوا اكمل الخلق نفوساً واقواهم استَعداداً لقبُول الكمالات النّفسانية إلّا انّهم محتاجُون الىٰ الرّياضة التّامة بالإعراض عن الدّنيا وطيباتها وهو الزّهد الحقيقى فيكون تركهم الدّنيا شرطاً فى بلُوغ درجات الوحى والرّسالة وتلقى اخبار السّماء فلو خُلقُوا مُنغمسين فى الدّنيا وفُتحت عليهم ابوابها لإنعطفوا من جهة جلال اللّه واضمَحل بسبب ذلك عنهم الأنباء وانقطع عنهم الوحى وانحّطوا عن مراتب الرّسالة انتهىٰ ما ذكره:
وانت ترىٰ انّ هذا التّحقيق ايضاً منظُور فيه ولعلّ الشّارح الخُونى ﷺ اخذ

كلامه منه بتغييرٍ فى الفاظه وملخّص كلامنا معهم انّ البحث ليس فى خلق الأنبياء مُنغمسين فى الدّنيا وعَدمه ضرورة انّهم لو كانوا كذلك لم يكن فرق بينهم وبين غيرهم وبعبارةٍ أُخرىٰ لم يكونوا بأنبياء وهو خروجٌ عن محلّ البحث وأنّما الكلام فى فتح أبواب الكُنوز والمَعادن لهم وعَدمه وانّه لِمَ لَم يفتح لهم ثُمّ تعلّيله عليه السلام بلزوم سقُوط البلاء وبُطلان الجزاء واضمحلال الأنباء واي ربطٍ له بما ذكروه فى شروحهم ولعلّهم فهموا من كلامه عليه السلام ما لم نَفهمه والعلم عند اللّه:

ورابعها قوله عليه السلام: **وَلَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلِينَ**، وهو أيضاً ظاهر علىٰ ما اخترناه فانّ سقُوط البلاء والإمتحان لا يُبقى مورداً للمُبتلىٰ والمُبتلى به فلا يكون للقابلين وتصديقهم لِلرّسل مَوقِعاً للأجر لعدم إبتلائهم وإختبارهم علىٰ الفرض ومن المعلوم انّ الأجر الكامل موقوف علىٰ الإختبار واذ ليس فليس.

وخامسها قوله عليه السلام: **وَلاَ اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ**، والفرق بينهما انّ المؤمن من آمن باللّه وبرسوله وبكلّ ما جاء به من عند اللّه بقلبه ولسانه وعَمله فاذا كان عَمله خالصاً لوجه اللّه وتقرّباً اليه من غير رياءٍ وسُمعة فهو مُحسِن فالمُحسِن اخصّ من المؤمن واشرَف وافضل منه. قال اللّه تعالىٰ: ﴿لِلَّذِينَ اَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا اَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١)

و: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَ آمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَ اَحْسَنُوا وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢)

و: ﴿لِلَّذِينَ اَحْسَنُوا فِى هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَاَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةٌ﴾ (٣)

و: ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ اَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ﴾ (٤)

١- آل عمران ـ ١٧٢
٢- المائدة ـ ٩٣
٣- الزمر ـ ١٠
٤- النجم ـ ٣١

و: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١) والآيات كثيرة.

فلولا الإختبار لا يتّميز المؤمن المُحسن عن غيره فانّ صُورة العَمل فى الكلّ على حدٍ سواء.

وسادسها قوله عليه السلام: **وَلاَ لَزِمَتِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا**، وذلك لأنّ المؤمن والمُسلِم مثلاً اسمٌ لمعناه الخاصّ فالمؤمن معناه غير المُسلم وهو غير الكافر وهكذا فاذا فرضنا عدم الإختبار فى النّاس فلا يتّميز المؤمن عن غيره بل يطلق المؤمن على غير المؤمن لعدم المايز على الفرض فيطلق المؤمن المُسلم على من له صُورة الإسلام وبالعكس وهذا معنى عدم المُلازمة بين اللّفظ والمعنى وإنفكاك احدهما عن الآخر مع انّ العقل والعرف يحكمان بلزوم المعنى لِلإسم الدّال عليه:

□ قوله عليه السلام: **وَلَكِنَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالاَتِهِمْ مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلأُ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنىً وَخَصَاصَةٍ تَمْلأُ الْأَبْصَارَ الْأَسْمَاعَ اَذىً...**

بعد ما اشار عليه السلام الى علّة عدم فتح الكنُوز والمعادن وحَشر الطّير فى السّماء والوحُوش فى الأرض من اللّه تعالى لأنبيائه اشار الى ما اعطاهم اللّه من النّعم الباطنة التّى تُوجب تقوية الرّوح والإتصال الى الكَمالات النّفسانية والتّقرب الى اللّه وبالجُملة اعراضهم عن عالم المّادة وما يلحق بها ودخُولهم فى عالم المعنى اعنى به العالم الإلهى الرّبُوبى فانّه عظيمٌ جدّاً ثمين نفعاً وهو أُمورٌ:

احدها: انّ اللّه تعالى جَعَلهم أُولى قُوّة فى عزائمهم، فأزال عنهم الإضطراب والتّزلزل فى ما قصدوه من الإرشاد والهداية لِلنّاس وإعلاء كلمة الحقّ وإماتة كلمة الباطل كما قال اللّه فى كتابه: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ (٢)

١- البقرة- ١٩٥

٢- البقرة- ٦٣

و : ﴿فخُذها بقُوَةٍ وأمُر قومك يأخذوا بأحسنها﴾(١)

و : ﴿يا يَحْيىٰ خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ وَ اتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾(٢)

و : ﴿فاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ وَمَنْ تابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا﴾(٣)

و : ﴿فإذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(٤)

هذا كلّه مضافاً الىٰ ما ثبت لهُم من عَزمهم فى الأخبار والتّواريخ وهو اظَهر من الشَّمس ولا يَحتاج الىٰ تفصيل الكلام فيه فانّ الأنبياء عليهم السّلام انّما وصلُوا الىٰ اهدافهم بالعَزم الرّاسخ والإستقامة فى إجراء ما أُمروا به من نشر التّعاليم والأحكام وقتل المُخالفين والأشرار لا بإعطاء المال والمقام والتّهديد والوَعد وامثال ذلك من الأُمور الّتى يتوصل بها غيرهم من اهل الدّنيا ولا سيّما الملوك والسّلاطين والحُكّام فى الوصُول الىٰ مقاصدهم وهذا هو الفرق بينهم وبين ملُوك الدّنيا من هذه الجهة واظنّ انّه اي القُوّة المَعنَوية فيهم من اعظم مُعجزاتهم وافضل كراماتهم علىٰ صدق ما ادّعوه فى امر البعثة والرّسالة وذلك لما نرىٰ انّهم وُفّقوا فيما ارادوه وقصدوه من إجراء الحقّ وإرشاد النّاس مع فقد الإمكانات المادّية والأسباب الظّاهرية بل غَلبوا علىٰ طواغيت زمانهم مع قُدرة الطّواغيت ظاهراً فهذا مُوسىٰ ابن عمران غَلب علىٰ فرعون وبين القُدرتين فى الظّاهر بونٌ بعيد وهذا خليل الرّحمٰن مع طاغُوت زمانه نمرُود وهكذا حتّىٰ وصلت النّوبة الىٰ رسُول اللّه ﷺ مع كُفّار زمانه وقد قال ﷺ ما أُوذي نبيّ بمثل ما أُوذيتُ، ومَع ذلك فقد جَدَّ واجتّهد ﷺ فى امر الرّسالة الىٰ ما عَجزت الألسُن عن ذكره والأقلام عن كتابته وهكذاكان الأمر بالنّسبة الىٰ اوصيائه كما لا يخفىٰ علىٰ احدٍ ولنَذكر بَعض ما ورد فى شجاعتِه ﷺ رَوي المجلسى فى البحار عن عليّ عليه السلام انّه قال – لقد رايتَني يوم بَدر ونحنُ نلُوذ بالنّبى وهو اقربنا الىٰ العدُوّ وكان ﷺ من اشَدّ النّاس يومئذٍ باساً انتهىٰ...

١- الاعراف ـ٤٥ | ٢- مريم ـ١٢

٣- هود ـ١١٢ | ٤- آل عمران ـ١٥٩

وعنه قال ﷺ كنّا اذ اضمر الباس ولقىٰ القوم اتّقينا برسُول اللّه فما يكون احد اقرب الىٰ العدُّو منه انتهىٰ....

وعن انس ابن مالك قال كا ن بالمدينة فَزَع فَركب النّبى فَرس لأبى طلحة فقال ما راينا من شئٍ وان وجدناه لبَحر و بروايةٍ أُخرىٰ عن أنس قال كان رسُول اللّه ﷺ اشجَع النّاس واحَسن النّاس واجَود النّاس قال فَزع اهل المَدينة ليلة فإنطلق النّاس قبل الصّوف قال فتلقاهم رسُول اللّه وهو يقول لم تراعوا وهو علىٰ فرس لأبى طلحة وفى عنقه السّيف قال فَجعل يقول لِلنّاس لم تَراعوا وجدناه تجرا او انّه لبحر انتهىٰ بحار الأنوار ج ٦ ص ١٥١ وهكذا غيره من الأنبياء علىٰ مراتبهم ومقاماتهم.

وامّا عقلاً: فلأنّ النّبى يكون اكمل النّاس فى زمانه صُورةً وسيرةً ومن الكمالات الشّجاعة بل هى من اعلىٰ الفضائل النّفسانية كما ثبت فى محلّه وهى ليست إلّا قوّة القلب واستقامته علىٰ الأمر فالنّبى كما انّه اعلم النّاس واعَدَلهم كذلك اشَجعهم وهو المطلوب.

وامّا قوله ﷺ: **وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَىٰ الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ**، فهو إشارة الىٰ ظواهر امرهم وذلك لأنّ القوىٰ فى اعين النّاس الّذين لا يَرون إلّا المَادة ولواحقها ولا يكون لهم علمٌ بحقائق الأُمور عبارة عمّن كان له الأسباب الظّاهرية من المال والمقام والعشيرة والجُند وامثالها موجودةً وحيث انّ الأنبياء لَم يكونوا كذلك فكانوا فى اعين النّاس ضَعَفة لا محالة فنظروا اليهم بعين الحقارة ولم يعلموا انّ القُدرة المعنَوية اشدَ واعظم من القُدرة الظّاهرة المُنبعثة عن المّادة واسبابها الا ترىٰ انّ فرعون قال لملائه الا تَعجبون من هذين الخ.

وثانيها: انّ اللّه تعالىٰ جَعل لهم قناعة تملأ القلُوب والعُيون غنىً، وفيه إشارة الىٰ انّهم وان كانوا بحسب الظّاهر من الفُقراء الّذين لا مال لهم إلّا انّهم فى الحقيقة من اغنىٰ الأغنياء حيث انّ اللّه تعالىٰ جَعلهم قانعين بما رَزقَهم اللّه

بحيث انّ اهل الظّاهر يحسبهم الأغنياء وقد ثبت انّ القناعة كنزٌ لا يُفنى بل الغنى فى الواقع ليس إلّا القانع فانّ الإنسان ما لم يرضى بما رَزقه اللّه فهو فقير دائماً غنياً كان فى العُرف او فقيراً وامّا الأنبياء فلكونهم راضين قانعين بما فى ايديهم مُعرضين عمّا فى ايدي النّاس فكانوا فى راحةٍ واستراحةٍ.

فعن كتاب المحاسن عن ابى جعفر قال ﷺ قال رسُول اللّه ﷺ من اراد ان يكون اغنى النّاس فليكن بما فى ايدي اللّه اوثق منه فى ايدي غيره «مشكاة الانوار ص ١٣٠»...

وعنه ﷺ قال قال اللّه عزّ وجلّ :يابن آدم إرض بما اتيتك تكن من اغنى النّاس انتهى «ص ١٣١»...

وعن علّى ابن الحُسين ﷺ من قَنع بما قَسم اللّه له فَهو من اغنى النّاس انتهى « ص ١٣٢»...

ومن كتاب روضة الواعظين قال رسُول اللّه ﷺ القناعة مالٌ لا يُنفد وقال ﷺ القناعة كنزٌ لا يُفنى انتهى...

وثالثها: وجَعل اللّه لهم خصاصة وجوعاً تملأ الأبصار والأسماع اذىً، قالوا فى شرح العبارة اذ الجُوع المُفرط مُستلزم لأذىٰ هاتين القُوّتين لتَحلل الأرواح الحاملة وضعفهما فكانّ الأذىٰ حشو اسماعهم وابصارهم بحيث لا تتّسع لغيره كلّ ذلك طلباً لكمال الإستعداد لأنّ البطنة تُورث القَسوة وتذهب الفِطنة وتزيل الرّقة وتَستلزم رذائل كثيرة لا دواء لها إلّا الخصاصة انتهى ما ذكره البحرانى ﵀ مُلخصاً وتبعه الخُوئى ﵀ فيه:

ولقائلٍ ان يقول من أين استَظهرت هذا المعنىٰ من كلامه ﷺ ولا يُفهم منه هذا أبداً وذلك لأنّ ظاهر كلامه ﷺ انه جَعل اللّه لهم خصاصة تملأ الأبصار والأسماع اي ابصار غيرهم.

واسماع غيرهم لا ابصار الأنبياء واسماعهم ولو كان الأمر كما ذكروه لكان حقّ العبارة ان يُقال تملأ قلوبهم وعُيونهم ولم يقل ﷺ ذلك فَحمل الكلام

عليه من غير دليلٍ لا وجه له بل هو من خروج الكلام عمّا هو عليه وتفسير العبارة عن ظاهرها وليت شعري ما الّذي الجاهم الىٰ حَملِ العِبارة علىٰ هذا المعنىٰ الرّكيك المُبتَذل وعَدَّ الجُوع من الكمالات او من الأسباب الباعثة علىٰ طلب الكمال ولَم يدّل عليه دليل من العقل والنّقل نعم كثرة الأكل المُفرط تنفى الفِطنة وامّا اذا كان الأكل فى حدّ الوسط من غير إفراطٍ وتفريط فهو لا يُنافى الفِطنة وامّا الجُوع المُفرط الّذي يملأ الأبصار والأسماع اذىً بـالمعنىٰ الّـذي ذكروه اعنى إبصار الجائع وإسماعه فهو مذمومٌ مطرودٌ لأنّه من الإضرار علىٰ النّفس الّذي عُدّ من المُحرمات اذا كان عن عَمدٍ فضلاً عن مَدحه وكونه طلباً لكمال الإستعداد ألَيس النّبى مُعرضاً عن الإفِراط والتّفريط فى جميع المراحل حتّىٰ فى العبادات فضلاً عن الأكل والشّرب فكيف يـجُوز للـنّبى الجُـوع المُفرط الّذي يملأ بصره وسمعه اذىً عمداً أليس هذا يضر بالنّفس وانّما قلنا بالإفراط لأنّ الجوع اذا لم يصل الىٰ حَدّ الإفراط لا يملأ الأبصار والأسماع اذىً وهو واضح لا خفاء فيه هذا:

والّذي نقول فى شرح العبارة هو انّ المُراد بالإبصار والإسماع إبصار غير الأنبياء وإسماع غير الأنبياء والمعنىٰ انّ اللّه تعالىٰ جعل لرُسُله خـصاصة اي جوع يملأ ابصار النّاس واسماعهم اذىً اذا راوهم او سمعُوا بجوعهم اي انّ النّاس كانوا يتاذون من رؤيتهم مصفرّة الوجوه بابصارهم كما انّهم يتاذون فيما ينتقل لهم بعد مَوت النّبى او فى حياته باسماعهم اي اسماعهم لا تقدر علىٰ إستماع جُوع الأنبياء بسهولة وهذا الّذي ذكرناه يشهد به العقل والعُرف هذا اوّلاً وثانياً نقول لو كان المعنىٰ ما ذكروه لكان حقّ العبارة ان يقال تملأ بَصرهم وسَـمعهم حـتّىٰ يـرجـع الضّـمير اليـهم ولم يـقل ﷺ ذلك قـال اللّـه تعالى:﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِـهِمْ خَـصَاصَةٌ**﴾ (١) وقـالوا الخَـصاصة بالفتح الحاجة والفُقر ومنه شَملَتنى الخَصاصة واصل الخَصاصة الخَلل والفَرج

١- الحشر ـ ٩

ومنه خصاص الأصابع وامّا كون الخَصاصة بمعنىٰ الجُوع الّذي بَنوا عليه كلامهم فى المقام فلم أر فى كُتب اللّغة نعم قد يعبّر عن الجوع بها لكونه من لوازمها ولازم الشّيء غير معناه والحاصل انّ ما ذكروه فى شروحهم لا يساعده العقل والنّقل والعُرف واللّغة فافهم:

□ قوله ﷺ: **وَلَوْ كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لاَ تُرَامُ وَعِزَّةٍ لاَ تُضَامُ وَمُلْكٍ تُمَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ...**

لمّا نفىٰ ﷺ عن الأنبياء القُوّة والقُدرة الظّاهرة والسّلطنة القاهرة الغالبة علىٰ اساس المادّة والمادّيات واثبت لهم القُوّة المعنَوية الثّابتة لهم فى عزائمهم وقصُودهم وكانت هناك مَظنّة سؤال وهو انّه لِمَ جَعَل اللّه الأنبياء كذلك فاجاب ﷺ بما حاصله انّهم لو كانوا اهل قوّة ظاهرةٍ لا تُرام ولا تقصُد لبلوغها الغاية وعزّةٍ لا تُضام ولا تنقُص ومُلكٍ تمتّد وتميل اليه اعناق الرّجال وتشّد ويُسافر اليه مطايا الآمال.

□ قوله ﷺ: **وَتُشَدُّ اِلَيْهِ عُقْدُ الرِّحَالِ لَكَانَ ذٰلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الْاِعْتِبَارِ وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي الْاِسْتِكْبَارِ وَلَآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ اَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ فَكَانَتِ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً...**

اي لو كان الأمر علىٰ هذا المنوال لكان ذلك اهون علىٰ الخلق فى الإعتبار اي لكان ذلك اقَلّ إعتباراً وابعَد إستكباراً وَلأمِنُوا عن رهبةٍ قاهرةٍ لهم علىٰ الإيمان باللّه وبرسُوله او رغبةٍ مائلةٍ بهم اليه ومُحصّل الكلام انّه تترتب عليه أُمور أربعة فاسدة وقد ثبت انّ ما يترتب عليه الفساد فهو فاسداً فى ذاته فالقول بوجُود الأُمور المذكورة من القُوّة والعزّة وغيرهما فاسد باطل وهو المطلوب:

بيانه: –انّ الأنبياء لو كانوا اهل قوّة وعزّةٍ ومُلكٍ بالأوصاف المذكورة لكانوا مثل السّلاطين والملوك فى الخدم والحَشَم والتّجمل والزخارُف الدّنيوية وان لم يكونوا فى الظّلم والطّغيان والعصيان مثلهم لعِصمتهم وتَنَزهُهم عن هذه الأخباث ومع ذلك كلّه لكان ذلك اي التّزيُن بزينة الدّنيا باعثاً وسَبباً لقلّة إعتبار

المُعتَبرين وكونه أَهون عليهم وبعبارةٍ أُخرىٰ لكان ذلك أضعف تأثيراً فى القلُوب من جهة إعتبارها وإتعاضها وابعَد لهم اي اشّد تَوغّلاً بهم فى الإستكبار وذلك لأنّ الأنبياء يكونون قُدوة فى العظمة والكبرياء علىٰ ما هو المفروض واذا كان المُقتدىٰ كذلك اي فى زَي المُستكبرين فحال المُقتدي معلوم فى عدم إمكان الإستكبار له فانّ التكبر علىٰ الملُوك غير ممكن او بعيد وبعبارةٍ اوضح لو كان الأنبياء بزّي الملُوك فالتّكبر عليهم من النّاس كان ابعد بخلاف البائس الفقير فانّ التّكبر عليه اقرب فَمن لم يتكبر عليهم مع كونهم من سنخ الفقراء فهو المؤمن حقّاً وايضاً لو كان الأنبياء كذلك لم يكن إيمان المؤمن بهم خالصاً لِللّه بل اعظم الباعث عليه الرّهبة والرّغبة اي الخوف من سَطوَتهم او الميل الىٰ التّقرب بهم كما نرىٰ الأشخاص بالنّسبة الىٰ سلاطين الدّنيا فانّ إطاعة النّاس لهم لا تخلو من الرّهبة والرّغبة.

فَجَعلهم اللّه من المُستضعفين دون المُستكبرين ليكون إيمان النّاس بهم عن محض الإخلاص والتّقرُب الىٰ اللّه وقوله عليه السلام: **فَكَانَتِ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً** بمنزلة النّتيجة لما تقدم اي لو كان كذلك يلزم ما ذكرناه من المحذُورات وكانت النّيات بَين اللّه وبَين ما يامُلونه من الشّهوات غير خالصة له تعالىٰ وكذلك الحَسنات تكون مُشتركة بينه تعالىٰ وبين الشّهوات وذلك لأنّ المفروض انّ إيمانهم كان من رَهبَةٍ او رَغبَةٍ اليهم وحيث لا يكون الإيمان خالصاً له تعالىٰ فكيف تكون النّية فى الأعمال خالصة له:

□ قوله عليه السلام: **وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اَرَادَ اَنْ يَكُونَ الاِتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ وَالتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ وَالْخُشُوعُ لِوَجْهِهِ وَالاِسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ وَالإِسْتِسْلاَمُ لِطَاعَتِهِ أُمُوراً لَهُ خَاصَّةً لاَ تَشُوبُهَا شَائِبَةٌ...**

لمّا كان ما ذكره عليه السلام سابقاً مُوجباً وباعثاً لإشتراك النّيات كما عرفته تفصيلاً وهو خلاف الواقع إستَدرك عليه السلام وقال لكنّ اللّه سُبحانه لم يُرد إشتراك النّيات بل اراد ان يكون إتّباع النّاس لرُسله وتصديقهم بكُتبه السّماوية المنَزلة عليهم وخشُوعهم لوجهه الكريم فى مقام العُبودية والإستكانة والإطاعة لأمره

والإستسلام والإنقياد لطاعته أُموراً له تعالىٰ خاصّة لا يشوبها ولا يُخلطها من غيرها شائبة رغبةٍ أو رَهبةٍ وهذا هو الدّين الخالص الّذي ينبغي التّدين به كما قال تـعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ * أَلا لِلّٰهِ الدِّينُ الْخالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ﴾ (١)

و: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾ (٢)

و: ﴿قُلِ اللّٰهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي﴾ (٣)

و: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (٤) فـهذه الآيات وامثالها تُنادي باعلىٰ صَوتها انّ الدّين له تعالىٰ وهو المطلوب:

□ قوله عليه السلام: **وَكُلَّمَا كَانَتِ الْبَلْوَىٰ وَالإِخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتِ الْمَثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ...**

وذلك لأنّ افضل الأعمال احزَمَها واصعَبَها فالعمل اذا لم يكن عن إختبارٍ لا قيمة له وعليه فالملاك فى المثُوبة والجزاء فى الحَسَنات والسّيئات هو البلوىٰ والإختبار فكلّ عَمَل كانت البلوىٰ فيه اعظم يكون جزائه اعظم فمن اطاع اللّه مع القُدرة علىٰ المَعصية بوجُود شرائطها وفقدان موانعها ثوابه اكثر مِمّن اطاعه لا كذلك لأنّ الإختبار فيه اشّد من الأخر ولأجل هذا قالوا طاعة الملوك والأغنياء افضل من طاعة الفقراء اذا صدرت عنهما علىٰ وجهٍ سواءٍ فالصّلٰوة والصّوم والحجّ وغيرها من الواجبات والمندوبات اذا صَدَرت عن الملُوك مثلاً تامّ الأجزاء والشّرائط ثوابها اكثر منها اذا صَدَرت .

عن الفقير كذلك وليس ذلك إلّا لِعظم البلوىٰ والإختبار بالنّسبة اليهم دونه هذا:

□ قوله عليه السلام: **أَلاَ تَرَوْنَ أَنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ عليه السلام إِلَىٰ الآخِرِينَ مِنْ هٰذَا الْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ وَلاَتُبْصِرُ وَلاَ تَسْمَعُ**

١-الزّمر ـ٢/٣ ٢-الزّمر ـ١١
٣-الزّمر ـ١٤ ٤-الاعراف ـ٢٩

فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَاماً...

بعد ما افاد ﷺ انّ المَثوبَة والجزاء يتوقفان على البلوىٰ والإختبار شدّةً وضعفاً وكمالاً ونقصاً مثّل فى الإختبار بالكعبة فقال الا ترون انّ اللّه سبحانه إختَبر وإمتَحَن الأوّلين من النّاس من لدُن آدم ﷺ: إِلَىٰ الآخِرِينَ اي الىٰ يوم القيٰمة باحجارٍ لا تَضُر ولا تَنفَع فى الظّاهر ولا تَسمع ولا تُبصر كذلك فجعلها اي جعل الأحجار بيته الحرام الّذي جعله للنّاس قياماً يستقيم به شئونهم وأُمُورهم الدُّنيوية والآخرَوية فقال فى كتابه الكريم: ﴿جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ وَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾ (١) ثُمّ اوجَب عليهم حجّ بيته فى صُورة الإستطاعة فقال: ﴿و لِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ (٢)

و : ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَ عَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ (٣)

ففى علل الشّرائع باسناده عن مُحمّد ابن سنان انّ ابا الحسن على ابن مُوسىٰ الرّضا ﷺ كتب اليه فيما كتب من جواب مسائله انّ علّة الحجّ الوفادة الىٰ اللّه تعالىٰ وطلب الزّيادة والخروج من كلّ ما اقترف وليكون تائباً ممّا مضىٰ مستانفاً لما يستقبل وما فيه من استخراج الأموال وتَعَب الأبدان وخطرها عن الشّهوات واللّذات والتّقرب فى العبادة الىٰ اللّه عزّ وجلّ والخضُوع والإستكانة والذُّل شاخِصاً فى الحَرّ والبَرد والأمن والخَوف دائباً فى ذلك دائماً وما فى ذلك لجميع الخلق من المنافع والرّغبة والرّهبة الىٰ اللّه سبحانه وتعالىٰ ومنه ترك قَساوة القلب وخساسة الأنفس ونسيان الذّكر وانقطاع الرّجاء والأمل وتجديد الحقُوق وخطر الأنفس عن الفساد ومَنفعة مَن فى المشرق والمغرب ومَن فى البَرّ والبَحر مِمّن يَحجّ ومِمّن لا يَحجّ من تاجرٍ وجالب وبائع ومشتري وكاسب ومسكين وقضاء حوائج اهل

١- المائدة ـ ٩٧ ٢- آل عمران ٩٧
٣- حج ـ ٢٧

الأطراف والمواضع الممكن لهم الإجتماع فيها كذلك ليشهدوا منافع لهم انتهىٰ« ص ٤٠٥»...

وايضاً باسناده عن هشام ابن الحكم قال سالت ابا عبد اللّه عليه السلام فقلت له ما العلّة الّتى من اجلها كلّف اللّه العباد الحجّ والطّواف بالبيت قال عليه السلام انّ اللّه تعالىٰ خلق الخلق لا لعلّةٍ إلّا انّه شاء ففعَل فخلَقهم الىٰ وقتٍ مُؤجَّلٍ وامَرهم ونَهاهم ما يكون من امر الطّاعة فى الدّين ومَصلَحتهم من امر دنياهم فجعل فيه الإجتماع من المَشرق والمغرب ليتعارفوا ولِتربح كلّ قومٍ من التّجارات من بلدٍ الىٰ بلدٍ الحديث « ص ٤٠٥»...

وايضاً باسناده عن الفضل ابن يونس قال كان ابن ابى العوجاء من تلامذة الحسن البصري فانحرف عن التّوحيد فقيل له تركت مذهب صاحبك ودخلت فيما لا اصل له ولا حقيقة فقال انّ صاحبى كان مخلطاً كان يقول طَوراً بالقَدَر وطَوراً بالجبر وما اعلمه اعتقد مذهباً دام عليه قال ودخل مكّة تَمَّرداً وإنكاراً علىٰ مَن يَحجّ وكان يكره العلماء مسائلته ايّاهم ومجالسته لهم لخُبث لسانه وفساد سريرته فاتىٰ جعفر ابن مُحمّد فجلس اليه فى جماعة من نظرائه ثُمّ قال له يا ابا عبد اللّه انّ المجالس امانات ولابدّ لكلّ من به سؤال ان يسال افتاذن لى فى الكلام فقال ابو عبد اللّه عليه السلام تكّلم بما شئت فقال الىٰ كم تدوسون هذا البيدر وتلوذون بهذا الحَجر وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطّوب والمَدَر وتُهرولُون هَروَلَة البعير اذا نَفَّرانّ مَن فكر فى الأمر قد علم انّ هذا اسسّه غير حكيم ولا ذي نظير فقل فانّك راس هذا الأمر وسنامه وابوك أُسّه ونظامه فقال ابو عبد اللّه عليه السلام انّ من اضلّه اللّه واعمىٰ قلبه استوخم الحقّ فلم يستعذبه وصار الشّيطان ولّيه يُورده مناهل الهلكة ثُمّ لا يصدره وهذا بيتٌ استَعبد اللّه تعالىٰ به خَلقَه ليختَبر به طاعتهم فى إتيانه فَحثّهم علىٰ تعظيمه وزيارته وجَعَله محلّ انبيائه وقبلة للمُصّلين له فهو شُعبةٌ من رضوانه وطريقٌ يؤدي الىٰ غفرانه منصوبٌ علىٰ استواء الكمال

ومجتمع العظمة والجلال «الخبر ص ٤٠٣»...

وباسناده عن ابى بصير عن ابى عبد الله قال ﷺ لا يزال الدّين قائماً ما قامت الكعبة انتهىٰ« ص ٣٩٦»...

□ قوله ﷺ: **ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الْأَرْضِ حَجَراً وَأَقَلِّ نَتَائِقِ الْأَرْضِ مَدَراً وَأَضْيَقِ بُطُونِ الْأَوْدِيَةِ قُطْراً...**

ثُمّ وَضَع اللّه البَيت باوعَر بقاع الأرض اي اصعَبَ قِطَعها واغلَظَها من حيث الحَجَر فانّ الوَعر ضدّ السّهَل والبَيت كذلك وقوله اقلّ نتائق الأرض مَدراً، فقيل النّتائق البلدان والمُدن وقيل النّتائق جمع نتيقة وهى البُقعة المُرتفعة من الأرض ومَكّة مُرتفعة بالنّسبة لما انحّط عنها من البُلدان، والمَدَر قِطَع الطّين اليابس او العَلك الّذي لا رَمل فيه واقلّ الأرض مَدَراً لا ينبت إلّا قليلاً وكيف كان فالمعنىٰ انّ مكّة لم تصلح للزّرع والحَرث كاملاً كما حكىٰ اللّه عن الخليل حيث قال : ﴿رَبَّنَا إِنّي أَسْكَنتُ مِن ذُرّيَتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾(1)

واضيّق بطُون الأودية قُطراً، الأودية جمع وادي والمقصُود بيان ضيّقه من حيث النّاحية والجانب فانّ الوادي الّذي جعل البيت فيه ضَيق جدّاً كما هو المشاهد المحسوس فعلاً:

□ قوله ﷺ: **بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ وَرِمَالٍ دَمِثَةٍ وَعُيُونٍ وَشِلَةٍ وَقُرىً مُنْقَطِعَةٍ لاَ يَزْكُوبِهَا خُفٌّ وَلاَ حَافِرٌ وَلاَ ظِلْفٌ...**

اي انّ اللّه جَعَله بين جبالٍ غَليظة ورمالٍ دَمِثةٍ لَيّنةٍ وعيُونٍ وشِلة قليلة الماء وقُرىً مُنقطعة بعضها عن بعضٍ لا يزكو ولا ينمُو بها اي فيها ذو الخُفّ كالجمال ولا الحافر كالخيل ولا الظِلّف كالبقر.

والغَنَم من الحيوانات والمقصود انّ ارضها كما لا تصلح للزّرع كذلك لا تَصلح للحيوان وذلك لأنّ معايش الحيوانات من النّباتات فاذا فُقدت لا يقدر الحيوان علىٰ الإعاشة وإدامة الحَياة:

١- ابراهيم ـ ٣٧.

▫ قوله ﷺ: ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ وَوَلَدَهُ اَنْ يَثْنُوا اَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجَعِ اَسْفَارِهِمْ وَغَايَةً لِمُلْقَىٰ رِحَالِهِمْ...

الوَلَد بفتح الواو واللام المَولود يقال للواحد والجمع والصّغير والكبير قال اللّه تعالىٰ: ﴿فان لم يكن له وَلَد﴾ وقال انّىٰ يكون له وَلَدٌ هذا هو الموجود المَضبُوط فى النّسخ ويمكن ان يُقرا بضم الواو وسكون اللاّم وعليه فهو جُمع وَلَد كالأسد حمع أسود ويجوز ان يكون واحداً نحو بُخل وَبَخل وعُرب وَعَرب:

والأعطاف جمع عِطف بكسر العين وعطفا الإنسان جانباه من لدُن راسه الىٰ وَرَكه وهو الّذي يُمكنه ان يُلقيه من بَدنه يقال ثنىٰ عِطفه اذا عَرَض وجفا نحو (نایٰ بجانبه وَصَعَّر بَخَدَه) والمثابة المَرجع والمَلجا والمعنىٰ انّ اللّه تعالىٰ امَرَ آدم واولاده ان يعطفُوا ويميلوا بجانبهم نحو البيت حين الطّواف فصار البيت مرجعاً لمنافع اسفارهم وغايةً ومقصداً لنهاية حطّ رحالهم وفيما ذكره إشارة الىٰ امرين:

احدهما: وجوب الطّواف حَول البيت.

وثانيهما: المنافع المُترتبة علىٰ السّفر اليه كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾(١)

والىٰ الأوّل:

اعنى وجوب الطّواف اشار اللّه تعالىٰ وقال: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾(٢)

امّا الأمر الأوّل اعنى الطّواف فلا كلام فى وجوبه شرعاً بالكتاب والسُنّة والإجماع ولم يختلف فيه احد من المُسلمين وتفصيل الكلام فيه موكول الىٰ كتب الفقهية وامّا العلّة فى جَعله فنقول.

روي فى العِلَل باسناده عن محمد ابن سنان انّ الرّضا ؑ كتَب اليه فيما

١- البقرة ـ١٢٥ ٢- الحج ـ٢٩

كتَب من جواب مسائله انّ عَلّة الطّواف بالبيت انّ اللّه تبارك وتعالىٰ:﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾(١) فردّوا علىٰ اللّه تبارك وتعالىٰ هذا الجواب فعلموا انّهم اذنبوا فندموا فلاذوا بالعرش فاستغفروا فاحبّ اللّه ان يُتعبّد بمثل ذلك العباد فَوضع فى السّماء الرّابعة بيتاً بحذاء العرش يُسمّىٰ الضّراح ثُمّ وضع فى السّماء الدّنيا بيتاً يُسمّىٰ البيت المَعمُور بحذاء الضّراح ثُمّ وضع هذا البيت بحذاء البيت المَعمُور ثُمّ امَرَ آدم فطاف به فتابَ اللّه عليه وجرىٰ ذلك فى ولده الىٰ يوم القيامة انتهىٰ«ص – ٤٠٦»...

وباسناده عن ابى حمزة الثّمالى قال دخلت علىٰ ابى جعفر عليه السلام وهو جالس علىٰ الباب الّذي الىٰ المَسجد وهو ينظر الىٰ النّاس يطوفون فقال عليه السلام ياابا حمزة بما أُمِروا هؤلاء قال فلم أَدر ماأردّ عليه قال عليه السلام أنمّا أُمروا أن يطوفُوا بهذه الأَحجار ثُمّ ياتونا فيُعلّمونا ولايتهم انتهىٰ «ص– ٤٠٦»...

□ قوله عليه السلام: تَهْوِىٰ اِلَيْهِ ثِمَارُ الْأَفْئِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ وَمَهَاوِى فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ وَجَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ...

تهوي اي تَميل وتَشتاق الىٰ البيت ثمار الأفئدة والقلُوب شبّه عليه السلام القلُوب بالأشجار الّتى لها ثمار فكما انّ ثمار الأشجار مُتفاوتة بحسب تفاوت طبائع الأشجار كذلك ثمار القلُوب مُتفاوتة بحسب تفاوت القلُوب فى الأيمان والكُفر فالقلوب الطّيبة المُؤمنة ثمارها العلم والعدالة والتّقوىٰ وغيرها من الكمالات الإِنسانية وفى الأسفار السّفر الىٰ المشاهد المُشّرفة والبقاع المُتبركة يجمعها السّفر من الخلق الىٰ الحقّ ومن حَضيض الشّهوة الىٰ مقام العظمة والرّفعة ومن عالم المُلك الىٰ عالم الملكُوت ولا شكّ انّ السّفر الىٰ بيت اللّه فى الحقيقة هو السّفر اليه وامّا القلُوب الخبيثة القذرة (الكثيفة) الّتى لَم تؤمن باللّه طرفة عينٍ ولَم تُذِق حلاوة العبُوديّة فى السّير اليه تعالىٰ فثمارها الجهل

١- البقرة ـ ٣٠

والظّلم والنّفاق وغيرها من الرّذائل وفى الأسفار السّفر الىٰ ما تشتهيه النّفس الأمارة بالسُّوء من مراكز الفساد ومجامع الفحشاء فهذا القلب لا يميل الىٰ الكعبة وغيرها من الأماكن المُقدّسة وعلىٰ هذا ينبغى تخصيص كلامه ﷺ بغيرهم اعنى المؤمنين بقرينة الحال والمقام وان امكن لنا استخراجها من الآية الشّريفة التّى أخذ ﷺ كلامه هذا منها حيث قال تعالىٰ حكاية عن الخليل: **﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾**(١) تقريب الأستدلال بها هو انّه ﷺ قال افئدة من النّاس، وكلمة (من) للتّبعيض اي فاجعَل افئدة بعض النّاس تَهوي اليهم، وهو دليل علىٰ ما ذكرناه وعليه فلا يبعد حَمل اللاّمَ فى قوله ﷺ: **(الأفئدة)** علىٰ العهد الذّهنى لأنّه المُنساق الىٰ الذّهن فى باب الحَجّ او علىٰ العهد الذّكري بدليل الآية اي ثمار الأفئدة المذكورة فى الآية التّى قد عرفت انّ المراد بها البعض، وامّا قوله من مفاوز قفار سحيقة، اي من الأفلاء البَعيدة التّى لا ماء لها فانّ المفاوز جمع مفازة وهى الفلاة التّى لا ماء بها والقفار جمع قفر وهو الأرض التّى لا كلاء لها والسّحيقة البعيدة قال الشاعر:

وقــبر حَــرب بــمكانٍ قــفرٍ ... وليس قــرب قــبر حَــرب قــبر

وقوله ﷺ: **وَمَهَاوِي فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ** إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: **﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾**(٢) اي مَن الأراضى المُنخفضة والطُّرق الواسعة بين الجبال وجزائر بحار مُنقطعة اي الجزائر المُنفصِلة بعضها عن بعضٍ والمقصود انّ اللّه تعالىٰ جَعَل قلوب المؤمنين من هذه الأماكن البَعيدة التّى لا ماء لها ولا كلاء والمهاوي والجزائر المُنقطعة المُنفصلة وبالجملة من اقصىٰ نقاط العالم الىٰ البيت وفيه سِرٌّ عظيمٌ.

▫ **قوله ﷺ: حَتَّىٰ يَهُزُّوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلاً يُهَلِّلُونَ لِلَّهِ حَوْلَهُ وَيَرْمُلُونَ عَلَىٰ**

١- ابراهيم ـ٣٧.
٢- الحج ـ٢٧.

اَقْدَامِهِمْ شُعْثاً غُبْراً لَهُ...

اي حتّىٰ يُحرّكوا رؤس اكتافهم مُطيعين مُنقادين يُهلّلون لِللّه اي خالصاً لوجهه حَول البيت فى الطّواف ويَرملون اي يسيرون ضرباً من السّير فوق المشى ودون الجَري على اقدامهم شعثاً اي حال كونهم اشعث الرؤس مُنتشر الشّعُور مع تلّبدٍ فيها مُغبّر الوجوه ومُتّغير الألوان والأبدان وسَخ الأجساد وهذا إشارة الىٰ السّعى بين الصّفا والمرْوة، وفى بعض النّسخ يُهلّلون من أَهَل يُهَلُ ومصدره الأهلال ومعناه أنّهم يرفعون اصواتهم بالتلّبية وعليه فلا بدّ من تلخيص الكلام بغير المُتمتع والمُعتّمر بالعمرة المُفردة فانّهما يقطعان التلّبية اذا شاهدا بيوت مكّة او يدخلان الحَرَم، وامّا علىٰ الأوّل اعنى (يُهلّلون) من هَلّل، فلا يحتاج الىٰ التّخصيص اذ التّهليل حَسن فى كلّ حالٍ وهو ظاهر وامّا علّة الطّواف فقد مَرَّ ذكرها وامّا علّة الهَرولة:

فقد روي فى العِلل باسناده عن معاوية ابن عمار عن ابى عبد اللّه عليه السلام قال صار السّعى بين الصّفا والمروة لأنّ إبراهيم عليه السلام عرض له إبليس فامره جبرئيل عليه السلام فشّد عليه فَهَرب منه فَجرت به السّنة، يعنى الهَرولة انتهىٰ « ص ٤٣٢»...

وايضاً باسناده عن ابى عبد اللّه عليه السلام حيث سُئل عنه قال لأنّ الشّيطان تراىٰ لإبراهيم عليه السلام فى الوادي فَسعىٰ وهو منازل الشّيطان انتهىٰ « ص ٤٣٣»...

□ **قوله عليه السلام: قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَشَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ...**

السّرابيل الثّياب وإِعفاء الشّعُور تركها بلا حَلق ولا قَصّ والمعنىٰ قد طَرحوا السّرابيل علىٰ عواتقهم ومناكبهم علىٰ ما هو المَعهود المُتعارف فى لبس ثوب الأحرام وشَوّهُوا اي قَبّحُوا ظاهراً بسبب إِعفاء الشّعُور اي إكثارها وإِطالتها بلا حلقٍ ولا قصٍّ محاسِن خلقهم والخَلق بفتح الخاء.

▫ قوله عليه السلام: **إِبْتِلاَءً عَظِيماً وَاِمْتِحاناً شَدِيداً وَاِخْتِبَاراً مُبِيناً وَتَمْحِيصاً بَلِيغاً...**

اي إبتلاهم الله تعالىٰ بذلك إبتلاءً عظيماً لا صغيراً وإمتحاناً شديداً وإختباراً مُبيناً لا خفاء فيه وتَحميصاً بَليغاً كاملاً اي تخليصاً من الذّنوب وتطهيراً لهم عنها والغَرَض انّ الحجَ الّذي فَرَضه الله علىٰ عباده شانه كذا وكذا كما قال عليه السلام:

▫ قوله عليه السلام: **جَعَلَهُ اللّٰهُ سَبَباً لِرَحْمَتِهِ وَوُصْلَةً اِلَىٰ جَنَّتِهِ...**

اي جَعَل الله الحَجَ سَبباً لرحمَته الواسعة وَوُصْلةً اي مُوجباً للوصُول الىٰ جنّته التّى عرضها السّمٰوات والأرض التّى فيها ما تَشتهيه الأنفس وتلَذ الأعيُن ولِنشر الىٰ بعض ما ورد فى ثوابه:

روي فى البحار باسناده عن ابى جعفر قال عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله الحجّ ثلاثة فافضلهم نصيباً رجل غفر له ما تقّدم من ذنبه وما تاخّر ووقّاه اللّه عذاب النّار انتهىٰ«ج ٢٢ ص ٢»...

وباسناده عن ابى بصير قال سمعت ابا عبد اللّه عليه السلام قال :عليكم بحجّ هذا البيت فادمنوه فانّ فى إدمانكم الحَجّ دَفع مكاره الدّنيا واهوال يوم القيامة انتهىٰ« ص ٣»...

وباسناده عن معاوية ابن عمار عن ابى عبد اللّه عليه السلام قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله الحَجّ والعُمرة ينفيان الفَقر والذّنوب كما ينفى الكر خُبث الحديد انتهىٰ «ص ٣»...

وباسناده عن ابن حازم قال سالت ابا عبد اللّه عمَّن حَجّ اربع حُجج ما له من الثّواب قال عليه السلام يا منصور من حَجّ اربع حُجَج لم تُصبه ضغطة القبر ابداً واذا مات صَور اللّه الحَجّ الّذي حَجّ فى صُورة حَسنة من احَسن ما يكون من الصُّور بين عَينيه تُصلى فى جوف قبره حتّىٰ يَبعَثه اللّه من قبره ويكون ثواب تلك الصّلوٰة له انتهىٰ« ص ٤»...

وبأسناده قال أبو عبد اللّه قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله أنّ الحاج اذا أخَذ في جهازه لم يرفع شيئاً ولم يَضعه إلاّ كتب اللّه له عَشر حَسنات ومَحىٰ عنه عشر

سيئات ورفَع له عَشر درجات فاذا ركَب بَعيره لم يـرفع خـفاً ولم يَـضعه إلاّ كتب اللّه له مثل ذلك فاذا طاف بالبيت خرج من ذنوبه واذا سعىٰ بين الصّفا والمَروة خرج من ذنُـوبه واذا وَقـف بـعرفات خـرج مـن ذنُـوبه واذا وقـف بالمَشعر الحَرام خرج من ذنُوبه فَعَدَّ رسُول اللّه كذا وكذا مَوطناً كلّها (كـلّه) تخرجه من ذنوبه قال فأنّىٰ لك أن تبلغ ما بلغ الحاج انتهىٰ« ص ٦»...

▫ قوله ﷺ: أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرامَ وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ بَيْنَ جَنَّاتٍ وَأنْهارٍ وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ جَمَّ الْأَشْجَارِ دَانِيَ الثِّمَارِ مُلْتَفَّ الْبُنَىٰ مُتَّصِلَ الْقُوىٰ بَيْنَ بُرَّةٍ سَمْرَاءَ وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ وَأَرْيَافٍ مُحْدِقَةٍ وَعِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ وَرِيَاضٍ نَاضِرَةٍ وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَىٰ حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلاَءِ...

ولو أراد اللّه تعالىٰ أن يَضَع ويجعل بيته الحرام أعني الكَعبَة ومشاعره العِظام من السّعي والرّمي والمِنىٰ والعَرفات وغيرها بين جناتٍ عاليات وأنهارٍ جارية وسَهلٍ وقرارٍ من الأرض حال كون الجنّات جمّ الأشجار وكثيرها داني الثّمار في سهولة تناولهما ملتفّ البناء أي كثير العمران ومُشتبك العمارات متّصل القُرىٰ من كثرتها بين برّةٍ سَمراء أي الحنطة الجّيدة وروضةٍ خضراء، أي مُشتملة علىٰ الحدائق والبساتين وأريافٍ، أي الأراضي الخصبة المحُدقة المشّجرة وعراصٍ مُغدقة أي ذات الماء وكثير المَطر، والعَراص جمع عَرصة وهي السّاحة ليس بها بناء ورياضٍ ناضرة وطُرقٍ عامرةٍ بكثرة المّارة، لكان قد صغر بذلك قدِر الجزاء علىٰ حسب ضعف البلاء والإختبار والحاصل أنّ اللّه لو أراد أن يضع بيته في أحسن الأمكنة من حيث الأشجار والبناء والماء والهواء والفواكه والزّرع وغيرها لَفَعل اذ لا مانع له وهو علىٰ كلّ شيٍ قدير والأرض أَرضه ولكنّه لم يفعل ذلك لئلا يَصغر قدر الجزاء للحّاج.

والوَجه فيه ظاهر لأنّ أفضل الأعمال أحمَزَها فلو كان البيت علىٰ ما وَصَفه ﷺ لكان محّلاً للتّفريح والتّفرّج والإستفادة من المأكولات والمشرُوبات والثّمار وغيرها وبذلك قد صغر قدر الجزاء والمثُوبات علىٰ حَسب ضَعف

البلاء وقلّتها اذ لا مشقّة في أمثال هذه الأسفار وهذا بخلاف عكسه كما هو في زماننا هذا فأنّ السّفر اليه يلازم البلاء والصّعوبة بالنّسبة الىٰ غيره من الأمكنة وأن كانت مكّة المُكرّمة في هذا العَصر غيرها في الأعصار السّالفة وعلىٰ كلّ حالٍ الملاك كلّ الملاك في صِغر الجزاء وكثرته ما ذكره عليه السلام في المقام:

□ قوله عليه السلام: **وَلَوْ كَانَ الْأَسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا وَالْأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ وَنُورٍ وَضِيَاءٍ لَخَفَّفَ ذٰلِكَ مُصَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ وَلَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ وَلَنَفَىٰ مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ...**

بعد فراغه عليه السلام عن كَيَفية وضعه من حيث الماء والأشجار والزّرع وغيرها وبيان أنّه لو لم يكن كذلك لكان قد صغر قدر الجزاء شَرَع في بيان حقيقة أُخرىٰ وهي أنّ اللّه تعالىٰ لو أراد أن يَجعَل أساس البيت وما به قوامه والأحجار الّتي رُفع البيت بها كلّها من زمرّدةٍ خضراء وياقوتةٍ حَمراء ونُورٍ وضياءٍ من كثرة التّلألؤ واللّمعان لكان قادراً عليه إلّا أنّه كان باعثاً وسَبَباً لسهُولة سرعة الشّك في صَدور النّاس في أنّ البيت بيت اللّه أو صدق مقالة الأنبياء لكونه حينئذٍ أشبه شيٍ بقصُور الفراعنة الجبابرة بل أعلىٰ وأكمل منها اذ لم يُوجّد قصرٌ في العالم في قصورهم كان بهذه الأوصاف وأيضاً كان باعثاً لوضع مجاهدة إبليس عن القلوب وذلك لأنّ البيت اذا كان مبنياً بالجواهر النّفيسة من الياقوت والزّمرد والزّبرجد ونحوها بين جنّاتٍ وأنهار وأشجار في أرض سهل وقرار فالنّفوس لا محالة تميل اليه طَبعاً من غير حاجةٍ الىٰ أمر الشّارع وعليه فلا تبقىٰ الحاجة الىٰ المُجاهدات النّفسانية الشّيطانية في السّفَر اليه أصلاً وأنّما المُجاهدة تعقل في البيت المَبني بالطّوب والمَدر وغيرهما من الأوصاف المذكورة الباعثة علىٰ تحمّل المَشقات والصّعُوبات في التّوجه اليه والسّفر نحوه:

وثالثاً لا يبقىٰ مجال لوجود الرّيب والشّبهة في حقانّية البيت وأنّه بيت اللّه

بخلاف ما اذا كان مزّيناً بأنواع الزّينة فأنّ للرّيب فيه مجال واسع وحاصل هذه الكلمات بوجهٍ أخصّ هو أنّ البيت لو لم يكن على ما هو عليه الآن وكان من سنخ القصُور المتّزينة المتّحملة لِلَزِمَ منه أُمور ثلاثة كلّها فاسدة باطلة مُنافية للغرض الأصلي، أحدها وجود الشّك في صدُور النّاس، وثانيهما عدم المُجاهدة للنّفس، وثالثها عدم زوال الرّيب من النّاس.

□ قوله ﷺ: **وَلَكِنَّ اللَّهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ وَإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ...**

أي أنّ إختبار النّاس بأنواع الشّدائد والمشّقات وتَعَبّدُهم بأنواع المجاهد وإبتلائهم بأقسام المكاره النّفسانية أنّما يكون لإخراج التّكبُّر من قلوب المُتكبرين وإسكان الخشُوع والخضُوع في نفُوسهم وذلك لأنّ الأوامر والنّواهي الشّرعية على خلاف الطّبائع البشرية والغرائز الحَيْوانية غالباً فالتّعبّد بها والعَمَل على وِفق مقتضاها صَعبٌ على المكلّف جدّاً وهكذا الحوادث والبلايا من المَرض والمَوت والفقر وفقد الأحبّة وغيرها من المشاق لا تُلائم الطّبع والغريزة قهراً فالصّبَر عليها مشكل جدّاً وتجمعها العُبوديّة الواقعية والرّضا والتّسليم بقضائه وقدره وهذا المقام من أعلى المقامات وأسنى الدّرجات والكمالات ومعلوم أنّ المُتكبر بمعزلٍ عن هذه الأمور وأنّما هي شأن المُتواضعين الخاضعين اذ ليست حقيقة العَبودية إلّا الخضُوع والتّذلّل ولأجل هذا يقال أنّ الدّين كلّه ليس إلّا الإختبار والإبتلاء على تفاوت أحكامه وتمايز أغصانه وأنّما قال ﷺ ذلك لأنّ الله تعالى لا يحتاج الى ما سواه ولا الى عباداتهم وإذكارهم وهو ممّا لا شك فيه اذ هو غنّي على الإطلاق والإحتياج بأيّ نحوٍ كان ينافي غناه بكونه مساوقاً للإمكان المنافي لِلواجب فمن قال أو ظنّ أنّ الله محتاج الى عبادة عبيده فلم يعرفه حقّ المعرفة وشبّهه بالملوك

والسّلاطين في إحتياجهم الىٰ رعاياهم في جميع الشّؤون وإطاعتهم وإنقيادهم لأوامرهم ونواهيهم بحيث لو لا ذلك لَم تكن هناك سَلطَنة ولا حكومة أصلاً، ولم يعلم هذا الظّان أنّ اللّه كان ولم يكن معه شيئ والآن أيضاً كذلك فهو خالق الكلّ ومُوجدهم والخالق لا يحتاج الىٰ المخلوق كائناً من كان، وعليه فلا يبقىٰ شَك لنا في أنّ الأوامر والنّواهي ليست إلّا لأجل الإختبار والإمتحان في الطّاعة والعصيان ولازم ذلك هو رجوع الثّواب المُترتب علىٰ الطّاعة والعقاب المُترتب علىٰ المعصية الىٰ أنفسهم في الدّنيا والآخرة فلا ينفع اللّه إيمان المؤمنين وأعمالهم وطاعاتهم كما لا يضّره كفر الكافرين وعصيانهم وطغيانهم فمن أحسَنَ أحسَن لنفسه ومن أساءَ فعليها وحَيث أنّ العَبُودية الكاملة أنّما تُنشأ عن التّواضع وكَسر النّفس عن شهواتها فصّح أن يقال أنّ الإختبار بأنواع الشّدائد والتّعبد بأنواع المَجاهد والإبتلاء بضروب المكاره كلّها لإخراج التّكبر من القلُوب وإسكان التّواضع اللاّزم لِلعُبُودية فيها مكان التّكبر والحمد لِللّه ربّ العالمين:

□ قوله ﷺ: **وَلِيَجْعَلْ ذٰلِكَ اَبْوَاباً فُتُحاً اِلَىٰ فَضْلِهِ وَاَسْبَاباً ذُلُلاً لِعَفْوِهِ...**

أي ولَيجعَل اللّه ذلك الإختبار أبواباً فُتَحاً أي مفتوحة الىٰ فضله الواسع وأسباباً ذُلَلاً أي سهلة لعَفوه وغفرانه فمن أراد الدّخول من الأبواب المفتوحة والأسباب السّهلة الموجبة لعَفوه فَليفعل.

الفصل الخامس

□ قوله ﷺ: **فَاللّٰهَ اللّٰهَ فِى عَاجِلِ الْبَغْيِ وَآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ وَسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ فَاِنَّهَا مَصْيَدَةُ اِبْلِيسَ الْعُظْمَىٰ وَمَكِيدَتُهُ الْكُبْرَىٰ الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ فَمَا تُكْدِى اَبَداً وَلاَ تَشْوِىَ اَحَداً لاَ عَالِماً**

لِعِلْمِهِ وَلاَ مُقِلاًّ فِي طِمْرِهِ وَعَنْ ذٰلِكَ مَا حَرَسَ اللّٰهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَوَاتِ وَمُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ تَسْكِيناً لِأَطْرَافِهِمْ وَتَخْشِيعاً لِأَبْصَارِهِمْ وَتَذْلِيلاً لِنُفُوسِهِمْ وَتَخْفِيضاً لِقُلُوبِهِمْ وَإِذْهَاباً لِلْخُيَلاَءِ عَنْهُمْ وَلِمَا فِي ذٰلِكَ مِنْ تَعْفِيرِ عِتَاقِ الْوُجُوهِ بِالتُّرَابِ تَوَاضُعاً وَالْتِصَاقِ كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ بِالْأَرْضِ تَصَاغُراً وَلُحُوقِ الْبُطُونِ بِالْمُتُونِ مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلاً مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الْأَرْضِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ إِلَى الْمَسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ.

أُنْظُرُوا إِلَى مَا فِي هٰذِهِ الْأَفْعَالِ مِنْ قَمْعِ نَوَاجِمِ الْفَخْرِ وَقَدْعِ طَوَالِعِ الْكِبْرِ وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ يَتَعَصَّبُ لِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ تَحْتَمِلُ تَمْوِيهَ الْجُهَلاَءِ أَوْ حُجَّةٍ تَلِيطُ بِعُقُولِ السُّفَهَاءِ غَيْرَكُمْ فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرٍ مَا يُعْرَفُ لَهُ سَبَبٌ أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لِأَصْلِهِ وَطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خِلْقَتِهِ فَقَالَ أَنَا نَارِيٌ وَأَنْتَ طِينِيٌ.

وَأَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ الْأُمَمِ فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النِّعَمِ فَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاَداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ فَإِنْ كَانَ لاَبُدَّ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ وَمَحَامِدِ الْأَفْعَالِ وَمَحَاسِنِ الْأُمُورِ الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجَدَاءُ وَالنُّجَدَاءُ مِنْ بُيُوتَاتِ الْعَرَبِ وَيَعَاسِيبِ الْقَبَائِلِ بِالْأَخْلاَقِ الرَّغِيبَةِ وَالْأَحْلاَمِ الْعَظِيمَةِ وَالْأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ وَالْآثَارِ الْمَحْمُودَةِ فَتَعَصَّبُوا لِخِلاَلِ الْحَمْدِ مِنَ الْحِفْظِ لِلْجِوَارِ وَالْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ وَالْمَعْصِيَةِ لِلْكِبْرِ وَالْأَخْذِ بِالْفَضْلِ وَالْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ وَالْإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ وَالْإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ وَالْكَظْمِ لِلْغَيْظِ وَاجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ وَاحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثُلاَتِ بِسُوءِ الْأَفْعَالِ وَذَمِيمِ الْأَعْمَالِ فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ وَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ.

فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَالَيْهِمْ فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ الْعِزَّةُ بِهِ شَأْنَهُمْ وَزَاحَتِ الْأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ وَمُدَّتِ الْعَافِيَةُ بِهِ عَلَيْهِمْ وَانْقَادَتِ النِّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ

وَصَلَتِ الْكَرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلَهُمْ مِنَ الاِجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ وَاللُّزُومِ لِلأُلْفَةِ وَالتَّحَاضِّ عَلَيْهَا وَالتَّوَاصِي بِهَا وَاجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ وَأَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ مِنْ تَضَاغُنِ الْقُلُوبِ وَتَشَاحُنِ الصُّدُورِ وَتَدَابُرِ النُّفُوسِ وَتَخَاذُلِ الأَيْدِي وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمْحِيصِ وَالْبَلاَءِ أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ الْخَلاَئِقِ أَعْبَاءً وَأَجْهَدَ الْعِبَادِ بَلاَءً وَأَضْيَقَ الدُّنْيَا حَالاً اتَّخَذَتْهُمُ الْفَرَاعِنَةُ عَبِيداً فَسَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَجَرَّعُوهُمُ الْمُرَارَ فَلَمْ تَبْرَحِ الْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ الْهَلَكَةِ وَقَهْرِ الْغَلَبَةِ لاَ يَجِدُونَ حِيلَةً فِي امْتِنَاعٍ وَلاَ سَبِيلاً إِلَىٰ دِفَاعٍ حَتَّىٰ إِذَا رَأَىٰ اللَّهُ جِدَّ الصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَىٰ الأَذَىٰ فِي مَحَبَّتِهِ وَالاِحْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَايِقِ الْبَلاَءِ فَرَجاً فَأَبْدَلَهُمُ الْعِزَّ مَكَانَ الذُّلِّ وَالأَمْنَ مَكَانَ الْخَوْفِ فَصَارُوا مُلُوكاً حُكَّاماً وَأَئِمَّةً أَعْلاَماً وَقَدْ بَلَغَتِ الْكَرَامَةُ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَذْهَبِ الآمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ الأَمْلاَءُ مُجْتَمِعَةً وَالأَهْوَاءُ مُؤْتَلِفَةً وَالْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً وَالأَيْدِي مُتَرَادِفَةً وَالسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً وَالْبَصَائِرُ نَافِذَةً وَالْعَزَائِمُ وَاحِدَةً أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَاباً فِي أَقْطَارِ الأَرَضِينَ وَمُلُوكاً عَلَىٰ رِقَابِ الْعَالَمِينَ فَانْظُرُوا إِلَىٰ مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ وَتَشَتَّتَتِ الأُلْفَةُ وَاخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ وَالأَفْئِدَةُ وَتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ وَتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ قَدْ خَلَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ وَبَقِيَ قَصَصُ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبَراً لِلْمُعْتَبِرِينَ.

◁ **اللغة**

(الْبَغْيِ) الظّلم والعُلو (وَخَامَةِ) وخم وخامة الوخامة الثّقل (مَصْيَدَةُ) أن قُرءت بفتح الميم فهي ما يُصاد به قال في المُنجد المَصيد والمَصيدة ما يُصاد به انتهىٰ (مُسَاوَرَةَ) مصدر باب مفاعلة من تُساور القلُوب أي تواثبها وتقاتلها (تُكْدِي) من أكدىٰ يُكدِي يقال أكدىٰ الحافر اذا عجز عن التّأثير (تَشْوِىٰ) من أشوىٰ يُشوي يقال أشوت الضّربة اذا أخطأت (طِمْرِهِ) بكسر الطاء الثّوب

الخلق أو الكساء البالي (حَرَس) أي حفظ (أطرافهم) الأطراف الأيدي والأرجل (عِتَاقِ) جمع عتيق وعتاق الوجوه كِرامها (الْمُتُونِ) جمع مَتن وهو الظَّهر (قَمْعِ) القَمع القَهر (نَوَاجِمِ) من نَجَم اذا ظَهر وطَلَع (قَدْعِ) القَدع الكَف والمَنع (تَمْوِيَهَ) التّمويه التّدليس (تَلِيطُ) أي تَلصَق (مُتْرَفَةِ) علىٰ صيغة اسم المفعول المُوسّع له في النّعم (الْمُجَدَاءُ) بضّم الميم جمع مجيد مثل فقهاء وفقيه وهو الرّفيع العالي (النُّجَدَاءُ) بضّم النّون جمع نَجيد وهو الشّجاع (يَعَاسِيبِ) بفتح الياء جمع يَعسُوب وهو أمير النّحل ويستعمل مُجازاً في رئيس القوم (الْأَحْلَامِ) العقُول (الْجَوَارِحِ) بكسر الجيم المجاورة (الذِّمَامِ) العَهد (الْمَثُلَاتِ) بفتح الميم وضّم الثاء العقوبات (فِقْرَتَهُمْ) الفِقرة بكسر الفاء وسكون القاف ما إنتظم من عظم الصّلب من الكاهل الىٰ عجب الذّنب (مُنَّتَهُمْ) المُنّة بضّم الميم القُوّة (الْمُرَارَ) بضّم الميم شجر شديد المرارة (الْأَمْلَاءُ) جمع مَلأ بمعنىٰ الجماعة.

◁ المعنىٰ

(فَاللَّهَ اللَّهَ) أي إحذروه واتّقوه (فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ) والفساد (وَآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ) وثقله في الدّنيا والآخرة (وَسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ فَإِنَّهَا) أي البغي والظّلم والكِبر (مَصْيَدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَىٰ) أي أنها مصيدته العُظمىٰ الّتي بها يَصيد (وَمَكِيدَتُهُ الْكُبْرَىٰ الَّتِي) بها (تُسَاوِرُ قُلُوبَ) وتقاتلها (فَمَا تُكْدِي) المصيدة ولا تعجز (أَبَداً وَلاَ تُشْوِي) ولا تخطئ (أَحَداً) في رميها (لاَ عَالِماً لِعِلْمِهِ وَلاَ مُقِلاًّ) وفقيراً (فِي طِمْرِهِ) وثوبه البالي (وَعَنْ ذٰلِكَ) الخطَر (مَا حَرَسَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ) (بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَوَاتِ وَمُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ) أي أنّ اللّه تعالىٰ قد حَرس وحفظ عباده المؤمنين بهذه الأعمال (تسكيناً لِأَطْرَافِهِمْ) أيديهم وأرجلهم أو أعضائهم وجوارحهم (وَتَخْشِيعاً لِأَبْصَارِهِمْ وَتَذْلِيلاً) وتحقيراً (لِنُفُوسِهِمْ وَتَخْفِيضاً) وتواضعاً (لِقُلُوبِهِمْ وَإِذْهَاباً لِلْخُيَلَاءِ) والتّكبر (عَنْهُمْ وَلِمَا فِي ذٰلِكَ) المحروس به (مِنْ تَعْفِيرِ عِتَاقِ

(الْوُجُوهِ) أي كرائمها وشرائفها وأحرارها (بِالتُّرَابِ تَوَاضُعاً وَالْتِصَاقِ كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ بِالْأَرْضِ تَصَاغُراً) كما في السّجدة (وَلُحُوقِ الْبُطُونِ بِالْمُتُونِ مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلاً) وتخشّعاً (مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الْأَرْضِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ إِلَىٰ الْمَسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ) ليسّد بها جوعهم ويقضي بها حوائجهم (أُنْظُرُوا إِلَىٰ مَا فِي هٰذِهِ الْأَفْعَالِ) المُشار اليها (مِنْ قَمْعِ نَوَاجِمِ الْفَخْرِ) وهَدم أساسه (وَقَدْعِ طَوَالِعِ الْكِبْرِ) ومَنع ظهُوره وبُروزه (وَلَقَدْ نَظَرْتُ) في النّاس وحالاتهم (فَمَا وَجَدْتُ أَحَداً مِنَ الْعَالِمينَ يَتَعَصَّبُ لِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ) اذ كلّ معلول له علّة لا محالة (تَحْتَمِلُ) العلّة (تَمْوِيهَ الْجُهَلَاءِ) وتلبيس الأمر عليهم (أَوْ حُجَّةٍ) ودليلٍ (تَلِيطُ) وتلصق (بِعُقُولِ السُّفَهَاءِ غَيْرَكُمْ) فأنكم تَتعصبون بلا حجّةٍ ودليل كما قال ﷺ (فَأَنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرٍ مَا يُعْرَفُ لَهُ سَبَبٌ) ولا علّة (أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَىٰ آدَمَ لِأَصْلِهِ وَطَعَنَ عَلَيْهِ) علىٰ آدم (فِي خِلْقَتِهِ فَقَالَ) إبليس (أَنَا نَارِيٌّ وَأَنْتَ طِينِيٌّ) خلقتني من نار وخلقته من طين (وَأَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ الْأُمَمِ) أي المُترفين منهم (فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النِّعَمِ) التي أنعم اللّه بها عليهم (فَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً) من الفقراء ومن لم يكن له وَلَد (وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) في القيامة (فَإِنْ كَانَ لَابُدَّ) لأحدٍ منكم (مِنَ الْعَصَبِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ) دون غيرها (وَمَحَامِدِ الْأَفْعَالِ وَمَحَاسِنِ الْأُمُورِ) كالعلم والشّجاعة والعَدالة (الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجَدَاءُ وَالنُّجَدَاءُ) أي أُولوا الشرف والكرم (مِنْ بُيُوتَاتِ الْعَرَبِ وَيَعَاسِيبِ الْقَبَائِلِ).

أي رؤساؤها وساداتها (بِالْأَخلَاقِ الرَّغِيبَةِ) الحَسَنة كالسّخاوة والشّجاعة مثلاً (وَالْأَحْلَامِ) والعقول (الْعَظِيمَةِ) الجليلة (وَالْأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ) الشّريفة (وَالْآثَارِ الْمَحْمُودَةِ) عقلاً (فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ الْحَمْدِ) أي الصّفات المَمدُوحة المَحمُودة (مِنَ الْحِفْظِ لِلْجِوَارِ) أي حُسن المجاورة (وَالْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ) والعَهد (وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ) أي الخير (وَالْمَعْصِيَةِ لِلْكِبْرِ) بتركه (وَالْأَخْذِ بِالْفَضْلِ) والشّرف

(وَالْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ) والظلم (وَالْاَعْظَامِ لِلْقَتْلِ) وأنّه ذنبٌ عظيم (وَالْاَنْصَافِ لِلْخَلْقِ وَالْكَظْمِ لِلْغَيْظِ) في مواقع الغضب (وَاجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِي الْاَرْضِ) والتحرز منه (وَاحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْاُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثُلَاتِ) والعقوبات النازلة بهم (بِسُوءِ الْاَفْعَالِ) القبيحة (وَذَمِيمِ الْاَعْمَالِ) الخبيثة (فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ) فاتبعوا الخيرات واتركوا الشرور والسيئات (وَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ) لتحل بكم العقوبات كما حلّت بهم (فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَالَيْهِمْ) من الخير والشر (فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ الْعِزَّةُ بِهِ شَأْنَهُمْ) وهو فعل الخيرات (وَزَاحَتِ الْاَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ) أي زالت وبعُدت أعداؤهم عنهم لأجل ذلك (وَمُدَّتِ الْعَافِيَةُ بِهِ عَلَيْهِمْ) أي ما جرت العافية عليهم لأجله (وَانْقَادَتِ النِّعْمَةُ لَهُ) أي لأجله (مَعَهُمْ وَصَلَتِ الْكَرَامَةُ) والشرف (عَلَيْهِ حَبْلَهُمْ) (مِنَ الْاِجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ) والتشتت (وَاللُّزُومِ لِلْاُلْفَةِ) أي المحبّة والائتلاف (وَالتَّحَاضِّ عَلَيْهَا) أي الحثّ والترغيب على الألفة (وَالتَّوَاصِي) أي الوصية من الطرفين (بِهَا) بالألفة والرحمة (وَاجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ) وظهرهم (وَأَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ) وقوتهم (مِنْ تَضَاغُنِ الْقُلُوبِ) وتباغضها (وَتَشَاحُنِ الصُّدُورِ) وتكبرها وروي تشاحن الصدور أي إعلانها بالعداوة (وَتَدَابُرِ النُّفُوسِ) أي تقاطعها ومصارمتها وهجران بعضها عن بعض (وَتَخَاذُلِ الْاَيْدِي) بعدم نصرة بعضهم بعضاً (وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ) من الأمم السالفة (كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمْحِيصِ) والاختبار (وَالْبَلَاءِ) والامتحان (أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ الْخَلَائِقِ) في زمانهم (أَعْبَاءً) وأثقالاً (وَأَجْهَدَ الْعِبَادِ بَلَاءً) وإختباراً (وَأَضْيَقَ الدُّنْيَا حَالاً) في حياتهم (اتَّخَذَتْهُمُ الْفَرَاعِنَةُ عَبِيداً) لأنفسهم (فَسَامُوهُمْ) وكلفوهم (سُوءِ الْعَذَابِ) من القتل والحرق (وَجَرَّعُوهُمْ) وأذاقوهم (الْمُرَارَ) وشدّة العذاب (فَلَمْ تَبْرَحِ) ولم تزل (الْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ الْهَلَكَةِ وَقَهْرِ الْغَلَبَةِ) بأيدي الفراعنة (لَا يَجِدُونَ حِيلَةً) ووسيلة (فِي اِمْتِنَاعٍ) عن أوامرهم (وَلَا سَبِيلاً إِلَى دِفَاعٍ) عن عذابهم (حَتَّى اِذَا رَأَى

اللّٰهُ جِدَّ الصَّبْرِ مِنْهُمْ) مـن العباد (عَلَىٰ الْأَذَىٰ فِي مَحَبَّتِهِ) فـي مـحبة اللّـه (وَالْاَحْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَايِقِ الْبَلاَءِ فَرَجاً) فأزال عنهم الشّر وخلصهم عن الاشرار (فَأَبْدَلَهُمُ الْعِزَّ) والشرف (مَكَانَ الذُّلِّ) والحقارة (وَالْأَمْنَ) أي أبدلهم الأمن (مَكَانَ الْخَوْفِ) والوحشة (فَصَارُوا) بلطفه (مُلوكاً حُكَّاماً وَأَئِمَّةً أَعْلاَماً) للنّاس (وَقَدْ بَلَغَتِ الْكَرَامَةُ مِنَ اللّٰهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَذْهَبِ الْآمَالُ اِلَيْهِ بِهِمْ)

أي بلغت الكرامة لهم غاية الغايات (فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ الْأَمْلاَءُ) والجماعات (مُجْتَمِعَةً) غير مُتفرقة (وَالْأَهْوَاءُ مُؤْتَلِفَةً) غير مُختلفة (وَالْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً) متوسطة (وَالْأَيْدِي مُتَرَادِفَةً) متعاونة (وَالسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً وَالْبَصَائِرُ نَافِذَةً) ماضية غير مُترددة (وَالْعَزَائِمُ) والأرادات (وَاحِدَةً أَلَمْ يَكُونُوا) هؤلاء (أَرْبَاباً فِي أَقْطَارِ الْأَرَضِينَ وَمُلُوكاً عَلَىٰ رِقَابِ الْعَالَمِينَ فَانْظُرُوا اِلَىٰ مَا صَارُوا اِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ) والاختلاف بينهم (وَتَشَتَّتَتِ) وتفرقت (الْأُلْفَةُ) ووحدة الكلمة بينهم (وَاخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ وَالْأَفْئِدَةُ) والقلوب منهم (وَتَشَعَّبُوا) وتفرقوا (مُخْتَلِفِينَ وَتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ) أي وقعت المحاربة بينهم (قَدْ خَلَعَ اللّٰهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ) فأزال عنهم الشّرف (وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ) وسعتها (وَبَقِيَ) لنا (قَصَصُ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبَراً لِلْمُعْتَبِرِينَ) أن كنتم من أهله.

◁ الشرح

▫ قوله عليه السلام: فَاللّٰهَ اللّٰهَ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ وَآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ وَسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ...

أي إحذروا اللّه واتقوه وتأكيد اللّفظ يدل على أهمية الموضوع والعاجل بالعين الدّنيا والأجل بالألف الآخرة والبَغي بفتح الباء وسكون العين مجاوزة الحدّ ومنه حديث عمّار تقتله الفئة الباغية لأنّها عدلت وتجاوزت عن القصد والظُّلم بضم الظاء وضع الشيّ في غير محلّه كما أنّ العَدل وضع الشيّ في محله

فهما ضدّان وخصّ عليه السلام البغي بالعاجل والظّلم بالأجل لمجرد التفنّن لا للإختصاص كذا قال الخوئي في شرحه ويمكن الفرق بينهما بأنّ البغي وأن ساوق الظّلم إلّا إنّ عقوباته العاجلة أشدّ من عقوباته الأجلة والظّلم بالعكس فأنّ الظّلم أفحش وأقبح منه:

وكيف كان فقد حذّر النّاس عن البغي والظّلم والكبر وما أعدّ اللّه تعالى للمتّصف بها في الدّنيا والآخرة ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى وقد دلّ على قبحها العقل والنّقل أمّا العقل فظاهر لأنّها توجب الخروج عن حدّ الإعتدال وكلّما كان كذلك فهو مذموم وأمّا النّقل فمن الأيات الواردة في ذمّ البغي قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ (١)

و: ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾ (٢)

و: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ (٣)

و: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ (٤)

و: ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (٥)

و: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ (٦)

و: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (٧)

وممّا ورد في الظّلم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ (٨)

و: ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (٩)

و: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٠)

و: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ (١١)

و: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ (١٢)

١- القصص ـ ٧٦ | ٢- الحجرات ـ ٩
٣- الشورى ـ ٢٧ | ٤- القصص ـ ٧٧
٥- يونس ـ ٢٣ | ٦- النّحل ـ ٩٠
٧- الانعام ـ ١٤٦ | ٨- يونس ـ ١٣
٩- الاعراف ـ ١٦٥ | ١٠- الانعام ـ ٤٥
١١- النّساء ـ ١٦٨ | ١٢- هود ـ ١١٣

وغيرها منها وفي ذمّ الكبر، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾(١)

و: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْماً مُجْرِمِينَ﴾(٢)

و: ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِيراً﴾(٣)

و: ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾(٤) لأخبار الواردة في الباب من طرق العامّة والخاصّة فهي كثيرة جدّاً وقد ذكّرنا شطراً منها في تضاعيف أبواب الكتاب وسيأتي الكّلام في الظّلم وغيره في المُستقبل وأن كنا بعد حكم العقل بقبح أمثال هذه الصّفات ونَصّ القرآن عليه في فُسحَةٍ من ذكر الأخبار:

▫ **قوله ﷺ: فَأَنَّهَا مَصْيَدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَىٰ وَمَكِيدَتَهُ الْكُبْرَىٰ الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ...**

الضّمير في قوله ﷺ: **(فأنّها)** يُرجع الىٰ الثّلاثة المذكورة أعني البَغي والظّلم والكِبر وقوله ﷺ: (مَصيدة) أن كان بفتح الميم وسكون الصّاد وفتح الياء أو كسر الميم أو فتح الميم وكَسر الصّاد وسكون الياء معناها ما يصاد به أي آلة الصّيد قال في المنجد المِصيَد والمِصيَدة والمَصيدة والمَصيدة ما يصاد به جمع مصائد والحقّ أنّ اسم الآلة بكسر الميم كما قيل بالفارسية:

اسم آلت كه بر آلت دال است　　　مِفعَل ومِفعلة ومِفعال است

وعليه أن قرء الكلام بفتح الميم فهو مصدر مَيمي دَال علىٰ المكان والزّمان وكيف كان فالأمر سَهَل بعد وضوح المقصود وهو أنّ إبليس بسبب هذه الصّفات الخبيثة يضّل من يشاء فالمعنىٰ أنّ هذه المذكُورات وما شابَهها من أعظم وسائل إبليس لصَيد إيمان النّاس وأكبر مكائده الّتي يكيد بها لمقاتلة قلوب الرّجال مقاتلة السمُوم القاتلة وكنّىٰ بتساورها عن شدّة تأثيرها وحِدّتها

١- الاعراف ـ ٣٦
٢- الجاثية ـ ٣١
٣- الفرقان ـ ٢١
٤- الاحقاف ـ ٢٠

في القلُوب فالمُتّصف بها لا ينجو من القتل في أمر دينه أصلاً.

▫ قوله ﷺ: **فَمَا تُكْدِي أَبَداً وَلاَ تُشْوِيَ أَحَداً لاَ عَالِماً لِعِلْمِهِ وَلاَ مُقِلاً فِي طِمْرِهِ...**

أي أنّ السّمُوم القاتلة ما تكدي ولا تعجز عن التّأثير أبداً ولا تخطئ في إصابتها أحداً والحاصل أنّها شديد التّأثير جدّاً قطّعي الإصابة قطعاً فلا ينجو منها العالم لعلمه ولا المُقّل في طمره أي الفقير الّذي لبس الثّوب الخلق أو الكساء البالي وهو كناية عن شدّة فقره والغرض أنّ البَغي والظُّلم والكِبر هي آلات إبليس وأسلحته المهلكة لا ينجو من شَرّها العالِم فضلاً عن الجاهل ولا الفقير المِقّل فضلاً عن الغَنّي المُترِف المُسرِف فلا يحسب الجاهل أنّه بمَعزلٍ عن مَكيدته لجهله ولا الفَقير أنّه في راحةٍ من شّره لفقره فأنّ الشّيطان للإنسان عدّوٌ مُبين وعداوته لا تختّص بفرقةٍ دون فرقةٍ وصنفٍ دون صِنفٍ بل العالِم لِعلمه والغنّي لِماله خَطرهما أكثر من الجاهل والفقير لشدّة عناية الشّيطان بهما وكون العِلم والغِنىٰ من أَعظم وسائله وأسبابه لوجُود العُجب والغُرور فيهما أكثر من غيرهما مضافاً الىٰ حُبّ الدّنيا وشَهوة الثّروة والمقام وحُبّ الرّئاسة وغيرها ممّا لم يوجد في الجاهل والفقير إلّا قليلاً.

▫ قوله ﷺ: **وَعَنْ ذٰلِكَ مَا حَرَسَ اللّٰهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَوَاتِ وَمُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ تسكِيناً لِأَطْرَافِهِمْ وَتَخْشِيعاً لِأَبْصَارِهِمْ وَتَذْلِيلاً لِنُفُوسِهِمْ وَتَخْفِيضاً لِقُلُوبِهِمْ وَإِذْهَاباً لِلْخُيَلاَءِ عَنْهُمْ...**

أي ويُنشأ عن وجود هذه الرّذائل والخبائث الكامنة في جِبِلّة الإنسان من حيث حيَوانيته ما جَعل اللّه تعالىٰ من الصّلٰوة والزّكٰوة ومجاهدة الصّيام وبالجُملة أحكام الشّريعة الغرّاء له بعنوان الدّين وكلّفَه بها اذ في العَمل بها والمُواظبة عليها بشرائطها تسكينٌ لأطرافهم أي أيديهم وأرجلهم وتَخشيعاً لأبصارهم فلا يفعلون ما يقدرون عليه من الظّلم ولا ينظرون الىٰ ما يَرونه وتذليلاً وتَحقيراً لنفُوسهم فلا يتكبّرُون علىٰ أبناءِ نوعهم وتخفيضاً لقلوبهم فلا يُعجبون بها وإذهاباً للخيلاء عنهم فيتواضعُون وتوضيح ذلك يَستَدعي التّكلم

فيه إجمالاً فنقول:

لا شك أنّ الإنسان بمقتضىٰ جِبلّته وطَبيعَته الحيَوانية قرين الشّيطان وأنيس الشّهوات والهواجس النّفسانية وذلك لما فيه من القوىٰ المُقتضية لذلك كالغَضَب والشّهوة والحَسد والكِبر وغيرهما ممّا أُودع فيه لحيَوانيته وسُبعَيته والوجه هو أنّه لا فرق بينه وبين الحيوان من هذه الجهة وهو ممّا لا كلام فيه وأمّا بمقتضىٰ روحه القُدسي الملكوتي فليس كذلك بل هو من هذه الحيثية أنيس الملائكة المُقرّبين والأولياء الصّالحين فالإنسان لكونه معجُوناً مُركّباً من هاتين الحَيثيّتين المُختلفتين يكون دائماً في حال التّنازع فتارةً يصير مُطيعاً، لحيوانيّته وسَبعَيته بمُتابعة الشّهوة والغَضب وغيرهما من قوىٰ الحيَوانية الّتي تجُره الىٰ الخِسّة والدّنائة وتُبعّده عن الشّرف والفَضيلة الإنسانية فيصير في زمرة الحيوانات واقعاً وأن كان في صُورة الإنسان ظاهراً، وأُخرىٰ يتّبع روحه المَلكوتي ونفسه القُدسية بالإعراض عن رذائل الأخلاق والإنقياد لما يدعوا اليه العَقل السّليم عن شوائب الأوهام فهو في الصُّورة الأُولىٰ في أسفل السّافلين وفي الثّانية في أعلىٰ علّيين ولمّا لم يمكن له التّخلص من هذه الوَرطة المُوحشة بنفسه بل دائماً تكون حيثّيته الحيَوانية فيه أقوىٰ وأشدّ من حيثيّته الملكوتية لكونها أوفَق وأنسَب بطَبيعته وجِبلّته ولهذا يكون ميله اليها أشدّ وأعظم من ميله الىٰ ما يقتضيه العقل وجنوده بل كثيراً ما يكون عقله مغلوباً لشَهوته وَجَب علىٰ اللّه تعالىٰ بمُقتضىٰ لطفه وكرمه إرشاده الىٰ ما هو بصلاح دينه ودنياه ليهلك من هَلَك عن بيّنة ويحيىٰ من حيَّ عن بيّنة فأنّ ربّك ليس بظلام للعبيد، ومعلوم أنّ ترك اللّطف فيما يقتضيه ظُلمٌ في الحقيقة كما أنّ ترك إنقاذ الغريق ظُلمٌ عليه بل التارك شريك له في قتله ودَمه وهذا حكم يقتضيه العقل ولا ريب فيه فاقتَضَت المَصلحة الإلٰهية بجعل الشّرائع والأحكام وإرسال الرّسُل وإنزال الكُتب لتخليص النّاس من الحَيرَة والضّلالة وإرشادهم الىٰ ما هو بصلاحهم في الدّنيا والآخرة وهو من أحسن الألطاف وأفضل النّعم والبَركات

فالأحكام الشّرعية التّي وَصلت الينا بسبب الرّسُول وبعده بالكتاب والسّنة وأوضحها الوَصي واحداً بعد واحد فيها مصالح كثيرة ومنافع عظيمة لا يعلمها إلّا هو والكلّ يرجع الينا لا اليه تعالىٰ لعدم إحتياجه وأن كنّا لا نعلمها لما قد ثبت عندنا أنّ الأحكام الشّرعية تابعةٍ للمصالح والمفاسد الكائنة الكامنة فيها وبه قالت المُعتزله أيضاً وعليه فأن أحسنتم أَحسَنتم لأنفسكم وأن أساتم فعليها ولأجل هذه أشار ﷺ في كلامه بقوله وعن ذلك ما حرسَ اللّه الخ وتخصيصه الصّلٰوة والزّكٰوة والصّيام بالذّكر لكونهما أهم الأحكام أو لعموم البلوىٰ بها وإلّا فكلّ الأحكام كذلك وحيث أنّه ﷺ خصّ الكلام بها فنحن أيضاً نشرح ما ذكره ﷺ ولنُشر الىٰ بعض آثارها إجمالاً ليتّضح لك قوله ﷺ:
تسكيناً لِأَطْرَافِهِمْ وَتَخْشِيعاً لِأَبْصَارِهِمْ وَتَذْلِيلاً لِنُفُوسِهِمْ وَتَخْفِيضاً لِقُلُوبِهِمْ وَإِذْهَاباً لِلْخُيَلَاءِ عَنْهُمْ فهذه أُمور خمسة تَرتب علىٰ الثّلاثة، الصّلٰوة، والزّكٰوة، والصّيام:

أمّا الصّلٰوة: فقد روي الصّدوق في العلل بأسناده عن محمد ابن سنان أنّ أبا الحسن علي بن مُوسىٰ الرّضاﷺ كتب اليه فيما كتب من جواب مسائله أنّ علّة الصّلٰوة أنّها إقرار بالرّبُوبية لِلّه عزّ وجلّ وخلع الأنداد وقيام بين يدي الجبّار جلّ جلاله بالذّل والمَسكَنة والخضُوع والإعتراف والطّلب لِلإقالة من سالف الذّنوب ووضع الوجه علىٰ الأرض كلّ يوم خَمس مرّات إعظاماً لِلّه عزّ وجلّ وأن يكون ذاكراً غير ناسٍ ولا بَطرٍ ويكون خاشعاً متذللاً راغباً طالباً للزّيادة في الدّين والدّنيا مع ما فيه من الإنزجار والمُداومة علىٰ ذكر اللّه عزّ وجلّ باللّيل والنّهار لئلا ينسىٰ العبد سيّده ومُدبّره وخالقه فيبطر ويطغي ويكون في ذكره لربّه وقيامه بين يديه زاجراً له عن المعاصي ومانعاً من أنواع الفساد انتهىٰ« ص- ٣١٧»...

وأمّا الزّكٰوة - فقد روي فيه أيضاً بهذا السّند عنه ﷺ أنّ علّة الزّكٰوة من أجل قوت الفقراء وتحصين أموال الأغنياء لأنّ اللّه تعالىٰ كلّف أهل الصّحة

القيام بشأن أهل الزّمانة من البَلوىٰ كما قال عزّ وجلّ: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ﴾ (١) في أموالكم إخراج الزّكٰوة وفي أنفسكم توطين النّفس على الصّبر مع ما في ذلك من أداء شكر نِعم اللّه عزّ وجلّ والطّمع في الزّيادة مع ما فيه من الزّيادة والرأفة والرَّحمة لأهل الضّعف والعطف علىٰ أهل المَسكنة والحثّ لهم علىٰ المُساواة وتقوية الفقراء والمَعُونة لهم علىٰ أمر الدّين وهي عِظةٌ لأهل الغنىٰ وعِبرةٌ لهم لِيَستَدلُوا علىٰ فقر الآخرة بهم ومالهم من الحثّ في ذلك علىٰ الشُّكر لِلّه تبارك وتعالىٰ لما خَولهم وأعطاهم والدّعاء والتَّضرع والخوف أن يصيروا مثلهم في أُمور كثيرة في أداء الزّكٰوة، والصّدقات وصِلة الأرحام وإصطناع المعروف انتهىٰ« ص – ٣٦٩»...

وأيضاً بهذا السّند عنه ﷺ أنّه كتب اليه فيما كتب من جواب مسائله، أنّ علّة الصّوم عرفان مَسّ الجُوع والعَطَش ليكون العبد ذليلاً مُستكيناً مأجوراً مُحتسباً صابراً فيكون ذلك دليلاً علىٰ شدائد الآخرة مع ما فيه من الإنكسار له عن الشّهوات واعظاً له في العاجل دليلاً علىٰ الأجل ليعلم شدّة مبلغ ذلك من أهل الفقر والمَسكنة في الدّنيا والآخرة انتهىٰ «ص– ٣٧٨»...

وبأسناده عن هشام ابن الحكم قال سألت أبا عبد اللّه عن علّة الصّيام قال ﷺ العلّة في الصّيام ليستوي به الفقر والغنىٰ وذلك لأنّ الغنّي لم يكن ليَجد مَسّ الجُوع فيرحم الفقير لأنّ الغنّي كلّما أراد شيئاً قدر عليه فأراد اللّه أن يُسوي بين خلقه وأن يذيق الغنّي مَسّ الجُوع والألم ليَرق علىٰ الضّعيف ويرحم الجائع انتهىٰ «ص– ٣٧٨»...

وأنت ترىٰ أنّ هذه الأخبار وما شابهها تنادي بأعلىٰ صوتها أنّ العلّة في جعل الصّلٰوة والزّكٰوة والصّوم هي التّرقي من الحيّوانية الىٰ الإنسانية ومن حَضيض النّاسوت الىٰ عزّ الملكُوت وترك متابعة الشّهوات وزَجر النّفس الأمّارة بالسُّوء عن الإنغمار في المادّيات والإنهماك والنّظر الىٰ الغير بعين

(١) – آل عمران ـ ١٨٦

التّكبر والنّخوة كما قال تعالىٰ في كتابه:﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلٰوةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾(١) دلّت الآية بمنطوقها علىٰ الإستعانة والإستمداد من اللّه تعالىٰ في العُروج الىٰ مقام الفضيلة والإنسانية بالصّبر والصّلوة أي بَسببها وأنّ الإتيان بهما لكبيرة إلّا علىٰ الخاشعين.

وبالمفهوم علىٰ أنّ الإتيان بالصّلوة وغيرها من وظائف الخاشعين بمعنىٰ أنّ غير الخاشع يثقل عليه الإتيان بها فهذه الآية تدّل علىٰ أنّ الصّلوة والصّوم لا تنفكان عن الخشوع وقال تعالىٰ:﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلٰوةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(٢)

و: ﴿إِنَّ الصَّلٰوةَ تَنْهىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾(٣) وغيرها من الآيات.

اذا عرفت ما تلوناه عليك فاعرف الآثار التّي رتبها عليها وهي خمسة:

أحدها قوله ﷺ: تسكيناً لِأَطْرَافِهِمْ، أي تسكين الأعضاء والجوارح فيهم، أمّا لكونها من الذّكر وهو يُوجب السّكون فيها وأمّا لكون الحركة والإضطراب تنافي العبادة لقوله تعالىٰ:﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾(٤) ويمكن حَمل سكون الأعضاء والجوارح علىٰ السّكون الظّاهري فعلىٰ الأوّل يشمل الثّلاثة وعلىٰ الثّاني يَختّص بالصّلوة كما روي أنّ النبي ﷺ رأىٰ رجلاً يَعبث بلحيته في صلاته فقال أمّا أنّه لو خَشع قلبه لخَشعت جوارحه وقد فسّر بعض أهل اللّغة الأطراف بالأيدي والأرجل:

وثانيها قوله ﷺ: وَتَخْشِيعاً لِأَبْصَارِهِمْ قال اللّه تعالىٰ :﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾(٥) وقال تعالىٰ: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾(٦)

ثُمّ أن أردنا بالأبصار الأعمّ من البَصر الحسّي والقلبي فقوله ﷺ ثمرة الكلّ فأنّ:

الصّلوة والزّكوة والصّيام بل وغيرها من الأحكام توجب الخشوع في

١-البقرة-٤٥ ٢-البقرة-١٥٣
٣-العنكبوت-٤٥ ٤-الفصلت-٣٠
٥-المؤمنون-٢ ٦-القلم-٤٣

الأبصار القلبية اذ المُكَلف لا يُصَلي ولا يُزكي ولا يَصُوم واقعاً إلّا ويصير بسببها ذو بصيرةٍ وكلّ بصيرةٍ تُلازم الخشُوع والتّذلُل وأن كان المراد الأبصار الحِسّية فالمقصود أنَ المُكَلف في الصَلوة والصَوم لا بدَ له من الخشَوع في بَصَره بمعنىٰ عدم النّظر الىٰ ما يُنافي الصَلوة والصَوم وكيف كان فلازم العُبُودية هو خشوع البَصر:

وثالثها قوله ﷺ: **وَتَذْلِيلاً لِنُفُوسِهِمْ** ، وذلك لأنَ العُبُودية تُساوق الذّلة في جنب الخالق فمن لا يكون ذليلاً في نفسه كيف يعمل بالطّاعة وكلّ ما كانت الطّاعة أكثر كانت ذلّة نفسه وحقارتها أكثر ألا ترىٰ أنَ الأنبياء والأوصياء لكثرة صَومهم وصلوٰتهم وغيرهما من الطّاعات كانوا أكثر تواضعاً في النّاس:

ورابعها قوله ﷺ: **وَتَخْفِيضاً لِقُلُوبِهِمْ** ، ولا شك أنهما توجب خفض القلوب قال تعالىٰ: **﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾**(1) والخَفض التّواضع.

والمؤمن المُتَّعبد بالعبادات الشّرعية يكون خاضعاً خافضاً مُتواضعاً وهو ظاهر:

وخامسها قوله ﷺ: **وَإِذْهَاباً لِلْخُيَلاَءِ عَنْهُمْ**، أي أنَ الصَلوة وأخواتها توجب إزالة الكِبر عن قلوبهم اذ المُتَكبر لا يكون عابداً مؤمناً واقعاً ثُمّ لا يخفىٰ عليك أنَ الصَلوة وغيرها بشرائطها تثمر هذه الثّمرات لا بصُورتها وذلك لأنَ ما ذكره ﷺ من الآثار أنّما هو يتَفرع علىٰ العبادات اذا كانت تام الأجزاء والشّرائط لا مُطلقاً ألا ترىٰ إنّا نصَلي ونصُوم ونحجّ ونُزَكي ولَسنا كذلك وقد ثبت أنّ الآثار تتَوقف علىٰ العبادة الصَّحيحة.

▫ قوله ﷺ: **وَلِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَعْفِيرِ عِتَاقِ الْوُجُوهِ بِالتُّرَابِ تَوَاضُعاً وَالْتِصَاقِ كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ بِالْأَرْضِ تَصَاغُراً وَلُحُوقِ الْبُطُونِ بِالْمُتُونِ مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلاً...**

١- الشعراء ـ٢١٥

الظّاهر أنّ اللاّم في قوله ﷺ: (لِما) للتّعليل وعليه فعلّل ﷺ ما ذكره من كون الصّلوٰة والزّكوٰة والصّيام تُوجب تسكين الأطراف وتَخشيع الأبصار وتذليل النّفوس وتخفيض القلُوب وإذهاب الخيلاء بأُمور أربعة:

أحدها: تَعفير عتاق الوجوه وكرامها بالتّراب حين السّجود وحيث أنّ الباعث عليه هو الصّلوٰة فَصَّح أن يقال أنّ الصّلوٰة كانت كذلك مثلاً ومعلوم أنّ المُتكبر لا يفعل ذلك لكونه أي وضع الجبهة علىٰ الأرض ينافي التّكبر والتّفرعن وأنّما هوالتّواضع وهو ظاهر:

وثانيها: إلتصاق كرائم الجوارح بالأرض تصاغراً وتخاضعاً ولعل المراد بها المواضع السّبعة أعني بها الكَفين والركّبتين ورؤوس الأصابع في الرّجلين والجَبهة كما قرّر في محلّه:

وثالثها: لحُوق البطُون بالمتُون والظّهور وهو كناية عن شدّة الجُوع الحاصلة لِلصّائم من صَومه فالأولاَن لِلصّلوٰة والثّالث لِلصّوم والكلّ يدّل علىٰ التّواضع والتّذلل:

ورابعها: قوله ﷺ **مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الْأَرْضِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ إِلَىٰ الْمَسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ...**

لا شّك أنّ الزّكوٰة من أعظم الواجبات بل هي في الجملة من ضرورات الدّين ومُنكرها عُدّ من الكافرين ومن مَنَع قيراطاً منها ليس من المؤمنين ولا من المُسلمين وليَمُت أن شاء يهودّياً وأنّ شاء نصرانّياً وهي تجب في الأنعام الثّلاثة الإبل والبَقر والغنم وفي النّقدين الذّهب والفَضّة وفي الغّلات الأربع، الحنطة والشّعير والتّمر والزّبيب ولا تجب فيما عدىٰ هذه التّسعة وتستحب في كلّ ما أنبتت الأرض ممّا يكال أو يُوزَن من الحبُوب والثّمار وغيرها علىٰ ما فُصّل في الفقه، فقوله ﷺ: **ثَمَرَاتِ الْأَرْضِ** إشارة الىٰ الغّلات الأربع وقوله ﷺ وغير ذلك إشارة الىٰ الأنعام الثّلاثة والنّقدين هذا أن أراد ﷺ بقوله الزّكوة الواجبة وأن أراد الأعمّ من الواجب والمُستّحب فالمراد بقوله وغير ذلك أيضاً

معناه العامّ من الوجوب والنّدب وقوله ﷺ: **اِلَىٰ الْمَسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ** إشارة الىٰ أنّ الزّكٰوة حقّ الفقراء والمساكين.

في الأصل وأصنافهم ثمانية:

الأوّل الفقراء.

الثّاني: المساكين، وهُم أسوء حالاً من الفقراء.

الثّالث: العاملون عليها وهم السّاعون في جبايتها المنصُوبون من قبل الإمام أو نائبه لأخذها وضبطها وحسابها.

الرّابع: المؤلفة قلوبهم وهم الكُفّار الّذين يراد أُلفتهم الىٰ الجهاد والإسلام وهكذا المُسلمُون الّذين عقائدهم ضعيفة.

الخامس: في الرّقاب وهم المكاتِبون العاجزون عن أداء مال الكتابة والعَبيد تحت الشّدة.

السّادس: الغارمُون وهم الّذين علَيهم الدّيون في غير معصيةٍ ولا إسراف ولَم يَتمكّنُوا من وفائها ولو ملكوا قوت سَنتهم.

السّابع: في سبيل الله وهو جمع سُبل الخير كبناء القناطر والمدارس والمساجد وأمثالها.

الثّامن: ابن السّبيل وهو المُنقطع به في الغربة وأن كان غنياً في بلده ولكلّ هذه الوجُوه تفصيل بل تفصيلات في كتب الفقه وقد عرفت ممّا ذكرناه أنّ قوله ﷺ حقّ الفقراء والمساكين ليس علىٰ وجه الإختصاص فأنّ العاملين عليها لا يُشترط فيهم الفقر أصلاً فأنّ لهم منها سهماً لأجل عَمَلهم وأن كانوا أغنياء وعليه فقوله ﷺ أمّا بإعتبار الأغلب وأمّا من باب المِثال لا الحصر.

▫ قوله ﷺ: **اُنْظُرُوا اِلَىٰ مَا فِي هٰذِهِ الْأَفْعَالِ مِنْ قَمْعِ نَوَاجِمِ الْفَخْرِ وَقَدْعِ طَوَالِعِ الْكِبْرِ...**

ثُمّ قال ﷺ علىٰ وجه الإعتبار انظروا الىٰ ما في هذه الأفعال المذكورة من الصّلٰوة والزّكٰوة والصّيام وغيرها من قَمع نواجم الفَخر أي إذهاب ما تبدُو

وتَظهَر من خصال الفقر والخيلاء وقَدع طوالع الكِبر أي منع ما تطلع من آثاره فأنّ العبّودية الكاملة تُعدم هذه الأثار القَذِرة (الكثيفة) ضرورة عدم إمكان جمعها مع العَبّودية الصَّحيحة.

▫ **قوله ﷺ: وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَداً مِنَ الْعَالمِينَ يَتَعَصَّبُ لِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ تَحْتَمِلُ تَمْوِيهَ الْجُهَلَاءِ أَوْ حُجَّةٍ تَلِيطُ بِعُقُولِ السُّفَهَاءِ غَيْرَكُمْ...**

أي ولَقد نظرتُ بعين الحقيقة والإنصاف في أعمال النّاس وآثارهم فما وَجدت أحداً من العالمين من العرب والعَجم والأسود والأبيض يَتّعصب لشيءٍ من الأشياء إلّا عن علّةٍ تحتمل العلّة تمويه الجهلاء وتَلبيس الأمر عليهم أو حجّة وبرهان تليط أي تلتصق بعقول السّفهاء والحاصل أنّ العلّة في تَعصّبهم إمّا هذا أو ذاك فأنّ المعلول لا يكون بدون العلّة وهي لا تخلو منهما، غيركم فأنّ تعصبكم ليس كذلك أي لا علّة له في الحقيقة بل هو بمُجّرد الجهل والحماقة وإحياء رسوم الجاهلّية فيكم وقد أوضَحه ﷺ بقوله:

▫ **قوله ﷺ: فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرٍ مَا يُعْرَفُ لَهُ سَبَبٌ...**

والعاقل لا يكون كذلك فأنتم الحمقاء والجُهلاء قد تَمسّكتم بنخوة الجاهلّية الأولى.

▫ قوله ﷺ: **أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَىٰ آدَمَ لِأَصْلِهِ وَطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خِلْقَتِهِ فَقَالَ أَنَا نَارِيٌّ وَأَنْتَ طِينِيٌّ...**

بعد ما قال ﷺ فأنّكم تتعّصبُون لأمرٍ لا يعرف له سَبب ولا علّة، فكأنّهم قالوا لا نحتاج في الكِبر الى سببٍ وعلّةٍ أليس إبليس من المُتكبرين ولا يعرف له سبب ولا علّة ثُمّ أليست الأغنياء في زماننا وفي سالِف الزّمان كذلك من غير علّةٍ ولا سبب فأجابهم ﷺ بقوله **أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَىٰ آدَمَ لِأَصْلِهِ وَطَعَنَ** علىٰ آدم في خلقته فقال أنا ناريّ وأنتَ طينيٌ كما حكىٰ الله تعالىٰ عنه في كتابه

حيث قال له: ﴿ما مَنَعَكَ إلاّ تَسْجُدَ إذْ أمَرْتُك﴾ (١)

و : ﴿يا إبليس ما مَنَعك ان تَسجد لما خَلقت بيدى﴾ (٢)

قال إبليس في الجواب: ﴿قالَ ءَاسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طيناً﴾ (٣)

و : ﴿أنا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طينٍ﴾ (٤)

و : ﴿لَمْ أكُنْ لِأسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ (٥)

▫ قوله عليه السلام: وَأمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ الْأُمَمِ فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النِّعَمِ فَقَالُوا: ﴿نَحْنُ أكْثَرُ أمْوالاً وَأوْلاداً وَما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (٦)...

وهذا هو الجواب الثّاني وحاصله أنّ الأغنياء من مُترفة الأُمم فتّعصبوا لآثار مواقع النّعم وهي قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أكْثَرُ أمْوالاً وَأوْلاداً﴾ (٧) فـتّعصبُوا بكـثرة أموالهم وأولادهم علىٰ غيرهم مِمّن ليس لهم ذلك وعليه فكان تكّبر إبليس والأغنياء مُستنداً الىٰ سبب وعلّة وأن كان السّبب باطلاً عاطلاً لكـونه مُجّرد الحَدس والظنّ الفاسد كما مَرَّ الكلام فيه تفصيلاً:

▫ قوله عليه السلام: وَأمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ الْأُمَمِ فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِع النِّعَمِ فَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ فَإِنْ كَانَ لَابُدَّ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ وَمَحَامِدِ الْأَفْعَالِ وَمَحَاسِنِ الْأُمُورِ الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجَدَاءُ وَالنُّجَدَاءُ مِنْ بُيُوتَاتِ الْعَرَبِ وَيَعَاسِيبِ الْقَبَائِلِ بِالْأَخْلَاقِ الرَّغِيبَةِ وَالْأَحْلَامِ الْعَظِيمَةِ وَالْأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ وَالْآثَارِ الْمَحْمُودَةِ...

أي فأن كان لابدّ لكم من العَصَّبية ولَم تقدروا علىٰ تركها لنخوة العَربية ورسوم الجاهلّية فليكن تَعصّبكم لمكارم الأخلاق والخصال ومحامد الأفعال والأعمال كالشّجاعة والسّخاوة وصدق الكلام وأداء الأمانة والإعانة للضّعيف

١- الاعراف ـ١٢.
٢- الاعراف ١٢ و ٧٥
٣- الاسراء ـ٦١
٤- الاعراف ـ١٢.
٥- الحجر ـ٣٣
٦- سبأ ـ٣٥
٧- سبأ ـ٣٥

وأمثال ذلك ممّا تفاضلت فيها وثبت فضل بعضٍ على بعضٍ بالنّسبة الىٰ أُولي الشّرف والكَرم من بيوتات العَرب ويعاسيب القبائل أي رؤسائها وساداتها بالأخلاق الرّغيبة التّي يرغب اليه كلّ أحد والأحلام العظيمة أي العقول السّليمة عن شوائب الأوهام والأخطار الجليلة أي الأقدار والمراتب الجليلة الشّريفة والآثار المَحمُودة التّي لا ذَمّ فيها ومحّصل الكلام أنّ التّعصب في حدّ نفسه مذموم ومع ذلك في الرّذائل والخبائث من الأخلاق أقبح وأسَوء فأذا دار الأمر بين التّعَصّب في القبائح والتّعَصّب في المحاسن فلا شك أنّ الثّاني أولىٰ وأحسَن من الأوّل وحيث أنّكم اتّبعتُم الأوّل دون الثّاني فيكشف منه سُوء نيّتكم وخُبث سريرتكم وأنّما قال ليسّد به ثغُور استدلالاتهم ويفتح لهم باب الخير لو علمُوا به وأنّ تعصّبهم كان لمجّرد الظّلم وإشاعة المُنكرات وإلّا لِمَ لم يَقتَدُوا بالمُجداء والنّجداء من أسلافهم في محاسن الأعمال واقتدوا بأشرارهم وهذا عجيب:

▫ قوله ﷺ: **فَتَعَصَّبُوا لِخلاَلِ الْحَمْدِ مِنَ الْحِفْظِ لِلْجِوَارِ وَالْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ وَالْمَعْصِيَةِ لِلْكِبْرِ والأَخْذِ بِالْفَضْلِ وَالْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ وَالْاَعْظَامِ لِلْقَتْلِ وَالْاَنْصَافِ لِلْخَلْقِ وَالْكَظْمِ لِلْغَيْظِ وَاجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِى الْاَرْضِ...**

ثُمّ فصّل ﷺ ما أجمَل سابقاً بقوله فليكن تَعصّبكم لمكارم الخصال الىٰ آخر ما قال، فكأنّه قيل له ﷺ وما هذه الخِصال والأفعال التّي قلتم فيها ما قلتم من الإتّباع علىٰ فرض التّعَصُب، فقال ﷺ في مقام الجواب ما قال وأشار الىٰ بعض مصاديق مكارم الخِصال ومحامد الأفعال ومحاسن الأُمور فَعَدَّ منها عَشرة:

أحدها قوله ﷺ: **الْحِفْظِ لِلْجِوَارِ** أي حُسن المُجاورة وحقُوق الجيران وقد ورد في مَدحه ما وَرد:

فعَن كتاب رَوضة الواعظين قال رسُول الله ﷺ **هل تدرون ما حقّ الجار، ما تدرون من حقّ الجار إلاّ قليلاً، ألا لا يؤمن بالله واليوم الآخر من لا يأمن**

جاره بوائقه، واذا استقرضه أن يقرضه، واذا أصابه خير هَنّاه، واذا أصابه شّر عَزّاه، ولا يستطيل عليه في البناء يحجب عنه الرّيح إلاّ بأذنِه واذا اشتهى فاكهة فليُهدِ له فان لم يُهد له فليَدخلها سّراً، ولا يعطي صبيانه منها شيئاً يغايضون صبيانه ثُمّ قال رسُول اللّه ﷺ الجيران ثلاثة فمنهم من له ثلاثة حقوق، حقّ الإسلام وحقّ الجوار وحقّ القرابة، ومنهم مَن له حقّان حقّ الإسلام وحقّ الجَوار، ومنهم من له حقّ واحد، الكافر له حقّ الجوار انتهىٰ «مشكاة الأنوار ص ٢١٢»...

وقال ﷺ – ليس من المؤمنين الّذي يشبع وجاره جائع الىٰ جَنبه انتهىٰ «ص ٢١٣»...

وقال ﷺ – من آذىٰ جاره حرّم اللّه عليه ريح الجنّة ومأواه جهنّم وبئس المصير ومن ضَيع حقّ جاره فليس منّا انتهىٰ« ص ٢١٣»...

وقال ﷺ – ولَم يزل جبرئيل يُوصيني الجار حتّىٰ ظننتُ أنّه سيُورّثه انتهىٰ«ص ٢١٣»...

وقال ﷺ – من كَفّ أذاه عن جاره أقالّه اللّه عثرته يوم القيٰمة الحديث «ص ٢١٣»...

قالوا لرسُول اللّه ﷺ فلانة تصُوم النّهار وتقوم اللّيل وتتّصدق وتُؤذي جارها بلسانها قال ﷺ لا خير فيها هي من أهل النّار انتهىٰ« ص ٢١٤»...

أَمَر رسُول اللّه ﷺ عليّاً وسلمان ومقداد وأبا ذّر أن يتّفرقوا ويأخذ كلّ واحدٍ منهم في ناحية وينادي ألا أنّ حقّ الجَوار من أربعين داراً انتهىٰ «ص ٢١٤ »والأخبار كثيرة:

وثانيهما قوله ؑ: وَالْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ والعَهد فأنّ الذّمام بفتح الذّال ما يُذَم الرّجل علىٰ إضاعته من عَهدٍ، قال اللّه تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (١)

١- آل عمران-٧۶

و : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾(١)

و : ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾(٢)

قال أبو عبد اللّه ﷺ ثلاثة لابدّ من أدائهن علىٰ كلّ حالٍ، الأمانة الىٰ البّر والفاجر والوفاء بالعهد لِلبّر والفاجر وبّر الوالدين برّين كانا أو فاجرين انتهىٰ «مشكاة الأنوار ص ٥٣»...

ومن طُرق العامّة ما روىٰ في صَحيحي المُسلم والبخاري عن أبي هريرة أنّ رسُول اللّه (ﷺ قال آيَة المنافق ثلاث اذا حدّث كذَب واذا وعَد أخلف واذا ائتمن خان انتهىٰ...

والرّوايات في الباب كثيرة من الطّرفين ونحن بعد نَصّ القرآن به اكتفينا بهاتين الرّوايتين ولا نرىٰ حاجة الىٰ أكثر ممّا ذكرناه ولنُشر الىٰ قصّة نقلها صاحب المستطرف فيه:

قال أنّ النّعمان بن المُنذر من ملُوك العَرب كان قد جعل له يومين، يوم بؤسٍ من صادفه فيه قتله وأَرداه ويوم نعيم من لقيه فيه أحسَن اليه وأغناه وكان رجل من قبيلة طيّ قد رماه حادث دهره بسهام فاقته وفقره فأخرجته الفاقة من محلّ استقراره ليرتاد شيئاً لِصَبيته وصغاره فبينما هو كذلك اذ صادفه النّعمان في يَوم بؤسه فلّما رآه الطّائي علم أنّه مقتُول وأنّ دمَه مَطلول فقال حَيّا اللّه الملِك أنّ لي صِبية صغاراً وأهلاً جياعاً وقد أرقت ماء وجهي في حصول شئ من البُلغة لهم وقد أقدمني سُوء الحظّ علىٰ الملِك في هذا اليوم العبُوس وقد قربت من مقّر الصِبيَة والأهل وهم علىٰ شفا تلف من الطّوىٰ ولن يتفاوت الحال في قتلي بين أوّل النّهار وآخره فأن رآىٰ الملِك أن يأذن لي في أن أوصل اليهم هذا القوت وأُوصي بهم أهل المّرّوة من الحيّ لئلا يهلكوا ضياعاً ثُمّ أعود الىٰ الملِك وأُسلّم نفسي لنفاذ أمره فلما سمع النّعمان صورة مقاله وفهم حقيقة حاله ورآىٰ تلّهفه علىٰ ضياع المقالة رقىٰ له غير أنّه قال له لا آذن لك حتّىٰ

١- المعارج-٣٢. ٢- البقرة-١٧٧.

يضمنك رجل معنا فأن لم ترجع قتلناه وكان شريك ابن عدي ابن شرحبيل نديم النعمان معه فالتفت الطائي الى الشريك وقال له:

يا شريك ابن عدي ... ما من الموت انهزام
من لأطفال ضعاف ... عدموا طعم الطعام
بين جوع وإنتظار ... وإفتقار وسقام
يا أخا كل كريم ... أنت من قوم كرام
يا أخا النعمان جد لي ... بضمان وإلتزام
ولك الله بأني ... راجع قبل الظلام

فقال شريك ابن عدي أصلح الله الملك عليَّ ضمانه فمرَّ الطائي مُسرعاً وصار النعمان يقول لشريك أن صدر النهار قد ولىٰ ولم يرجع وشريك يقول ليس للملك عليَّ سبيل حتىٰ يأتي المساء فلما قرب المساء قال النعمان لشريك قد جاء وقتك قُم فتأهب للقتل فقال شريك هذا شخص قد لاحَ مُقبلاً وأرجو أن يكون الطائي فأن لم يكن فأمر الملك مُمتثل قال فبينما هم كذلك واذا بالطائي قد اشتَدَّ عَدوَه في سيره مُسرعاً حتىٰ وصل فقال خشيت أن ينقضي النهار قبل وصولي ثُمَّ وقف قائماً وقال أيها الملك مُر بأمرك فأطرق النعمان ثُمَّ رفع رأسه وقال والله ما رأيت أعجب منكما أمّا أنت يا طائي فما تركت لأحدٍ في الوفاء بالعهد مقاماً يقوم فيه ولا ذكراً يفتخر به وأمّا أنت يا شريك فما تركتَ لكريمٍ سماحةً يُذكر بها في الكرماء فلا أكون أنا ألئم الثلاثة ألا وأنّي قد رفعت يوم بؤسي عن النّاس ونَقضت عادتي كرامةً لوفاءِ الطائي وكرم شريك فقال الطائي:

ولقد دعتني للخلاف عشيرتي ... فعَدَدتُ قولهم من الأضلال
أنّي إمرؤٌ منّي الوفاء سَجية ... وفعال كلّ مهّذب مفضال

فقال النعمان ما حَملك علىٰ الوفاء وفيه إتلاف نفسك فقال ديني فمن لا وفاء فيه لا دين له فأحسن اليه النعمان ووصله بما أغناه وعاده مكرماً الىٰ أهله

وأناله ما تمنّاه انتهى «المستطرف ج ١ ص ١٨١»...

وثالثها قوله ﷺ: **وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ**، دون الفاجر بناء على كون البّر بمعنى البّار أعني به البّر وهو المُتّصف بالتقوى وأمّا أن كان بمعناه المَصدري فمعناه الخير والفضيلة والمآل واحد اذ البّر دائماً من أوصاف مَن لَه البّر والوصف بما هو هو مع قطع النّظر عن الموصُوف لا وجود له خارجاً وأنّما يُوجد بوجُود موصوفه لما قد ثبت أنّ وجود العرض في نفسه وجوده لموضوعه ولعلّه لهذه الدّقيقة فسّره اللّه تعالى في كتابه بمَن له البّر أي الموصُوف به فقال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾ (١)

و: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (٢)

أي ولكن البّار ذلك فالطّاعة للبّر هي المعاونة عليه كما قال تعالى: ﴿تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (٣) فالأثم يقابل البّر فالطّاعة في البّر ترجع الى الطّاعة في الدّين:

ورابعها قوله ﷺ: **وَالْمَعْصِيَةِ لِلْكِبْرِ**، أي مُخالفته ومُعاندته وعدم الإتصاف به وقد مرّ الكلام فيه.

وخامسها قوله ﷺ: **والْأَخْذِ بِالْفَضْلِ**، أي الفضيلة والشّرف أو العَمل الصالح على ما قاله بعض الشّراح وبالجُملة كلّ الخيرات من العلم والعدالة والشّجاعة وفي الأعمال من إعانة المظلُوم والجهاد في سبيل اللّه والصّلوة والصّوم والحجّ وأمثالها بل كلّ ما أجازه الشّارع ورغب اليه فهو فضل يجب أن يؤخذ به وكلّ ما نهى الشّارع عنه ليس بفضلٍ فلا يؤخذ به.

وسادسها قوله ﷺ: **الْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ**، أي كَف النّفس ومنعها عن الإتصاف به وقد مَرّ الكلام فيه أيضاً.

١- البقرة-١٨٩.
٢- البقرة-١٧٧.
٣- المائده-٢

وسابعها قوله عليه السلام: وَالْاَعْظَامِ لِلْقَتْلِ ، أي عَدّهُ عظيماً قال اللّه تعالى : ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ اَوْ فَسَادٍ فِى الْأَرْضِ فَكَاَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾[1]

و : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللهُ اِلَّا بِالْحَقِّ ذٰلِكُمْ وَصّٰيكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(١)

و : ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا﴾(٢)

ولِعظم القتل بغير الحقّ قال هابيل لأخيه قابيل في جواب قوله:﴿لَئِنْ بَسَطْتَ اِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَا اَنَا بِبَاسِطٍ يَدِىَ اِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ اِنِّى اَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾(٣)

وثامنها قوله عليه السلام: وَالْاَنْصَافِ لِلْخَلْقِ، وهو في الحقيقة يرجع الى العدل والقسط بينهم قال اللّه تعالى:﴿يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلّٰهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ اَلَّا تَعْدِلُوا اِعْدِلُوا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾(٤)

روي في البحار عن الصّادق عليه السلام قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله أعدَل النّاس من رضىٰ لِلنّاس ما يَرضىٰ لنفسه وكَرِه لَهم ما يكره لنفسه انتهىٰ «ج – ١٦ ص– ١٢٥»...

وفي خبر الشّامي قال أمير المؤمنين عليه السلام يا شيخ أرض لِلنّاس ما ترضىٰ لنفسك وآت الىٰ النّاس ما تحبّ أن يؤتىٰ اليك انتهىٰ« ص ١٢٥»...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال أحِبّوا للنّاس ما تحبّون لأنفسكُم انتهىٰ« ص ١٢٥»...

وبأسناده عنه عليه السلام قال من أنصف النّاس من نفسه رضىٰ به حكماً لغيره انتهىٰ« ص ١٢٥»...

وبأسناده عن الباقر عليه السلام قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله من واسىٰ الفقير وأنصف النّاس من نفسه فذلك المُؤمن حقّاً انتهىٰ« ص ١٢٥»....

وبأسناده عن الحذاء قال قال أبو عبد اللّه عليه السلام ألا أخبرك بأشدّ ما افترض

١- المائدة ـ٣٢
٢- النّساء ـ٩٣
٤- المائدة ـ ٨
١- الانعام ـ١٥١
٣- المائدة ـ٢٨

اللّه علىٰ خلقه، إنصاف النّاس من أنفسهم ومواساة الأخوان في اللّه عزّ وجلّ وذكر اللّه علىٰ كلّ حال الخبر« ص ١٢٥»....

وفيما أوصىٰ به النّبي ﷺ عليّاً قال يا علّي سيّد الأعمال ثلاث خصال إنصافك النّاس من نفسك ومُواساة الأخ في اللّه عزّ وجلّ وذكرك اللّه تبارك وتعالىٰ علىٰ كلّ حال يا عليّ ثلاث من حقائق الإيمان الإنفاق من الإقتار وإنصاف النّاس من نفسك وبذل العِلم للمُتَعلم...

وبأسناده آخر قال ﷺ يا علّي ثلاث لا تُطيقها هذه الأُمّة المُواساة للأخ في ماله وإنصاف النّاس من نفسه وذكر اللّه علىٰ كلّ حالٍ انتهىٰ« ص ١٢٥»... والأحاديث في الباب كثيرة .

فمَن أحَبّ أن يظلم علىٰ النّاس ولا يُظلم وإغتاب ولا يُغتَب وأذىٰ ولا يُؤذىٰ وهكذا فلَم ينصف النّاس من نَفسه فالمؤمن يحبّ لنفسه ما يحبّ لغيره ويبغض ما يبغض لغيره وقد ورد في الخبر أنّ المؤمن مرآة المؤمن ومعنىٰ الحديث ما ذكرناه.

وتاسعها قوله ﷺ: **وَالْكَظْمِ لِلْغَيْظِ**، قال الرّاغب الكَظم بفتح الكاف وسكون الظاء مَخرج النّفس يقال أخَذَ بكَظمه والكظُوم إحتباس النّفس ويعبّر به عن السّكوت وكُظِم فلان حُبس نفسه وكَظم الغيظ حَبسه انتهىٰ:

ثُمّ أنّ كظم الغيظ من الصّفات المُستحسنة المَمدُوحة قال اللّه تعالىٰ في وَصف المُتّصفين به:**﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾**(١)

و : **﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾**(٢)

قال رسول اللّه ﷺ من كظَم غيظاً ولو شاء أن يُمض به أمضاه مَلأ اللّه قلبه يوم القيامة رضاً انتهىٰ «جامع السعادات ج- ١ ص- ٢٩٩»...

وقال ﷺ ماجَرَع عبدٌ جُرعة أعظم أجراً من جُرعة غيظٍ كظمها إبتغاء

١-آل عمران .١٣٤

٢-القلم .٤٨

وجه الله تعالىٰ انتهىٰ«ص – ٢٩٩»...

وقال ﷺ أنّ لجهنّم باباً لا يدخله إلاّ من شفىٰ غيظه بمعصية اللّه تعالىٰ انتهىٰ «ص – ٢٩٩»...

وقال ﷺ مَن كَظم غيظاً وهو يقدر علىٰ أن ينفذه دعاه اللّه يوم القيامة علىٰ رؤوس الخلائق يُخيّر من أي الحُور شاء انتهىٰ«ص – ٢٩٩»....

وقال ﷺ من أحبّ السّبيل الى اللّه تعالىٰ جرعتان جُرعة غيظ يرّدها بحلمٍ وجُرعة مُصيبة يرّدها بصَبر انتهىٰ «ص – ٢٩٩»....

قال السّجاد عليه السلام ما تجّرعت جُرعة أحبّ الّي من جرعة غيظٍ لا أُكافئ بها صاحبها انتهىٰ«ص – ٢٩٩»....

وقال الباقر عليه السلام من كَظَم غيظاً وهو يقدر علىٰ إمضائه حشا اللّه تعالىٰ قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة انتهىٰ «جامع السعادات ج ١ ص ٢٩٩»...

ثُمّ أنّ كظم الغيظ فهو أن لَم يبلغ مرتبة الحِلم فضيلةً وشرافة لأنّه التّحلم أي تكلّف الحِلم إلّا أنّه اذا واظب عليه حتّىٰ صار معتاداً تحدث بعد ذلك صفة الحِلم الطَبيعي بحيث لا يهيج الغيظ حتّىٰ تحتاج الىٰ كَظمه ولذا قال رسُول اللّه ﷺ أنّما العلم بالتّعلم والحلم بالتّحلُم فَمن لم يكن حليماً بالطّبع لابدّ له من السّعي في كَظم الغيظ عند هيجانه حتّىٰ تحصل له صفة الحِلم انتهىٰ وقيل من عادة الكريم اذا قدر غَفر واذا رأىٰ ذلّة ستر، وقالوا ليس من عادة الكرام سُرعة الغَضب والإنتقام، وقيل من إنتقم فقد شفي غيظه وأخذ حقّه فلم يجب شكره ولَم يُحمَد في العالمين ذكره ولنِعم ما قيل:

فأن كنت تبغي في العقاب تَشفّياً فلاتَزهدن عندالتّجاوز فيالأجر

وقال الآخر:

لَيسَت الأحلام في حال الرّضا أنّما الأحَلام في حال الغَضب

وقد حكىٰ بعض العامّة عن الصّادق عليه السلام أنّ غلاماً له وَقف يَصّب الماء على يديه فوقع الإبريق من يد الغلام في الطّشت فطار الرشّاش في وجهه فنظر عليه السلام

اليه نظر المُغضب فقال يا مولاي والكاظمين الغيظ قال ﷺ قد كَظُمت غيظي قال والعافين عن النّاس قال قد عفَوت عنك قال واللّه يُحبّ المُحسنين قال ﷺ إذهب فأنت حُرّ لوجه اللّه تعالىٰ.

وقيل لما قدم نصر ابن منيع بين يدي الخليفة وكان قد أمر بضَرب عنقه قال اسمغ منّي كلمات أقولها ثُمّ إفعل ما شئت قال قُل ما تشاء يقول:

زعموا بأنّ الصّقر صادف مرّة ... عصفور برّسامة التّقدير

فتكلم العصفور تحت جناحه ... والصّقر مُنقَضٌ عليه يَطير

أنّي لِمثلك لا أُتَّمِمَ لقمة ... ولأن شويت فأنّني لحقير

فَتهاون الصّقر المُدّل بصيده ... كرماً وأَفلت ذلك العُصفور

قال فَعفىٰ عنه وخلّىٰ سبيله والحكايات ونوادر الأمثال فيه كثيرة جدّاً ولنعم ما قيل:

اذا ما طاش حِلمك عن عدّوٍ ... وهان عليك هجران الصّديق

فَلَست اذاً أخا عَفوٍ وصَفحٍ ... ولا لأخٍ علىٰ عهدٍ وثيق

اذا زلّ الرّفيق وأنت مِمّن ... بلا رفقٍ بقَيت بلا رفيقٍ

اذا أنت اتّخذت أخاً جديداً ... لما أنكرت من خلقٍ عتيقٍ

فما تدري لعلّك مُستجيرُ ... من الرّمضاء فَر الىٰ الحريق

فكم من سالكٍ لطريق أمنٍ ... أتاه ما يُحاذر في الطّريق

وعاشرها قوله ﷺ: **وَاجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ**، وذلك لأنّ الفساد في الأرض من أعظم الذّنوب وقد دّل العقل والنّقل علىٰ قبحه أمّا العقل فمعلوم وأمّا النّقل فلقوله تعالىٰ: **﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾**(١)

و: **﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا﴾**(٢)

١- القصص ٧٧.

٢- المائدة ٣٣.

و : ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١)

و : ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ فِي الْأَرْضِ عُلُوّاً وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٢)

و : ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٣)

و : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٤) بعد تحذيره عليه السلام أيّاهم عن الإنغمار في الهَلَكات وتَرغيبه لهم في الإتِّصاف بالكمالات ومحاسن الصّفات حذّرهم ثانياً من طريق العيان والمُشاهدة بالسّير في الأثار بما وقع علىٰ الماضين من أنواع العذاب والعقُوبات بأرتكابهم الجرائم والجنايات بقوله:

▫ **قوله عليه السلام: وَاحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثُلَاتِ بِسُوءِ الْأَفْعَالِ وَذَمِيمِ الْأَعْمَالِ...**

المَثُلات بفتح الميم وضَم الثاء جمع مُثلة بضَم الميم وهي العقوبة الشّديدةالمخصوصة كقطع اليَد والرِّجل والأنف وغيرها وهي غير جائزة لغير اللّه تعالىٰ قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله أيّاكم والمَثْلة وَلو بالكلب العقور، كما أنّ الإحراق بالنّار أيضاً مُختَص به تعالىٰ وحاصل المعنىٰ أن لَم يكن لكم دينٌ ولا تخافُون يوم المعاد وليس لكم عقل سليم عن شوائب الأوهام لتَقبلوا قولي وتنتفعُوا بمَوعظتي فإنظروا الىٰ آثار الماضين منكم الّذين كانوا مثلكم في إرتكاب المعاصي ولَم يقبلوا نصائح الأنبياء والأوصياء.

وما وقع بهم من العذاب بسُوء أفعالهم وذميم أعمالهم فأنّ حكم الأمثال واحد وما ربّك بظَلّام لِلعبيد وقد حكىٰ اللّه تعالىٰ سوء عاقبتهم في الكتاب وأشار الىٰ بعض ما وَرَد عليهم من العذاب كما مَرّ تفصيلاً.

▫ **قوله عليه السلام: فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ وَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ...**

١- المائدة ـ ٦٤
٢- القصص ـ ٨٣
٣- البقرة ـ ٦٠
٤- يونس ـ ٨١

فما وجدتم فيهم من الخير فاتّبعوه وما وجدتم فيهم من الشّر فاتركوه وإحذروا أن تكونوا أمثالهم في الشّرور والعَمل فيها لا في الخيرات اذ لا إشكال في إتّباع الخيرات بل الإتّباع منه حَسَن.

▫ قوله ﷺ: **فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَالَيْهِمْ فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ الْعِزَّةُ بِهِ شَأْنَهُمْ وَزَاحَتِ الْأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ وَمُدَّتِ الْعَافِيَةُ بِهِ عَلَيْهِمْ وَانْقَادَتِ النِّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ وَصَلَتِ الْكَرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلَهُمْ...**

أي بعد التّذكر والتّفكر في أحوالهم ترونهم أمّا علىٰ الخير وأمّا علىٰ الشّر وأمّا عليهما، وعلىٰ التّقادير اتركوا ودَعُوا ما صدر عنهم من الشّرور والقبائح لكونها مُوجبة للعذاب في الدّنيا والأخرة وخُذوا بما صدر عنهم من الخير والأعمال الصّالحة التّي لَزمتهم العِزّة بها وزاحت أي زالَت وبَعُدت أعداؤهم له أي لأجل الفضائل التّي فيهم عنهم وبعبارةٍ أُخرىٰ تَركتم الأعداء لِما رأوا فيهم من نيّات الخير وصالح الأعمال، ومُدّت أي جَرت وإنبسطت العافية عليهم لأجله أي لأجل الخير، وإنقادت النّعمة له أي لأجل الخير مَعهم ووَصَلت الكرامة والشّرف عليهم حَبلهم فاتّصلوا بحبل العِزّ والشّرف ومحل الكلام في هذه الفقرات هو أنّه خذوا من حالات الماضين ما يُوجب لكم هذه الخيرات لا ما يُوجب المُثلات والعقُوبات في الدّنيا والأخرة ثُمّ أوضح ﷺ ما قال بقوله:

▫ قوله ﷺ: **مِنَ الْاِجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ وَاللُّزُومِ لِلْأُلْفَةِ وَالتَّحَاضِّ عَلَيْهَا وَالتَّوَاصِي بِهَا...**

هذا جواب عن سؤال مقدر وهو أنّه لَقائل أن يقول ما هذه الأُمور التّي تُوجب العزّة وتزيح الأعداء وتمّد العافية الىٰ آخر ما قال فقال ﷺ في الجواب هو أمران أحدهما الإجتناب عن التّفرق والتّشتت وثانيهما لزوم الإئتلاف والإتفاق والتّحاض والحثّ عليهما أي علىٰ الأُلفة والتّواصي أي وصية بعضكم بعضاً بها ولأجل ذلك قال اللّه تعالىٰ في كتابه: **﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَ لَا**

﴿تَفَرَّقُوا﴾[1]

و : ﴿وَلَاتَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2]

وقوله ﷺ: **وَاللُّزُومِ لِلْأُلْفَةِ** أي الأُلفة الحاصلة بينكم ببركة الدّين اذ لا معنى للأمر باللّزوم إلّا بعد وجود الشيء فكلامه ﷺ يدّل على وجود الأُلفة بينهم.

ثُمّ أمرهم بلزومها وحفظها لئلا تزول وهو كذلك بدليل قوله تعالى:﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ. فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[3] فحاصل كلامه ﷺ أنّ الأُلفة والوحدة التي أنعم اللّه بها عليكم بسبب دينه وجعلكم إخوة بها فألزموها وأحفظوها ولا تتبدلوها بالإختلاف بينكم فأنّ في الوحدة والأُلفة سعادة الدّارين كما أنّ في الفُرقة الذّلة والحقارة في الدّنيا والعذاب في الأخرة وقد مرّ الكلام فيه غير مرّةٍ ولكون الأُلفة والمَحبّة بين المُسلمين مَمدُوحة مُستحسنة قال ﷺ: **وَالتَّحَاضِّ عَلَيْهَا وَالتَّوَاصِي بِهَا**، أي حثّوا النّاس عليها وتواصوا بها لئلا يغفلوا عنها فوقعوا في الفِرقة المُهلكة.

□ قوله ﷺ: **وَاجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ وَأَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ مِنْ تَضَاغُنِ الْقُلُوبِ وَتَشَاحُنِ الصُّدُورِ وَتَدَابُرِ النُّفُوسِ وَتَخَاذُلِ الْأَيْدِي...**

ثُمّ نهاهم عمّا يَضرهم فقال واجتنبوا كلَ أمرٍ كَسر فقرتهم وظهورهم وأَوهَن مُنّتهم وقوّتهم وهذا الأمر عبارة عن تضاغن القلُوب وتحاقدها وتشاخص الصّدور وتباغضها وتدابر النّفوس وتقاطعها وتخاذل الأيدي بعدم نصرة بعضهم بعضاً وبعبارةٍ أُخرى انظروا الى آثار الماضين بعين الإعتبار لَتعلموا سبب ضعفهم وما أوجَب هَدم قوّتهم وشوكتهم وأنّه ليس إلّا الحقد والبُغض وقطع النّفوس بالقتل وعدم نُصرة بعضهم بَعضاً فأن شئتم أن لا تكونوا مثلهم في الذلّة والحقارة فإجتنبوا الأسباب والعلَل المذكورة والفِقرة

١-آل عمران.١٠٣.

٢-آل عمران.١٠٥.

٣-آل عمران.١٠٣.

بكسر الفاء وسكون القاف وقيل بفتح الفاء وأيضاً الظّهر وهو في الأصل ما إنتظم من عَظم الصّلب من الكاهل الىٰ عجب الذّنب وحيث أنّ الموضوع من أهمّ المَسائل التّي يجب الإهتمام به قال ﷺ:

▫ قوله ﷺ: **وَتَدَبَّرُ أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمْحِيصِ وَالْبَلاَءِ...**

والوَجه فيه ظاهر قال اللّه تعالىٰ:﴿**الَمْ اَحَسِبَ النَّاسُ اَنْ يُتْرَكُوا اَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَيُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾(١)

و : ﴿**قَالَ فَاِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَ اَضَلَّهُمُ السَّامِرِى**﴾(٢)

و : ﴿**وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ**﴾(٣)

و : ﴿**وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾(٤)

و : ﴿**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَاِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾(٥) والآيات كثيرة وقد تكلمنا في البلاء والإختبار غير مرّةٍ وذكرنا الآيات والآثار مفصّلاً فلا نطول الكلام بذكرها ثانياً.

▫ قوله ﷺ: **أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ الْخَلاَئِقِ أَعْبَاءً وَأَجْهَدَ الْعِبَادِ بَلاَءً وَأَضْيَقَ الدُّنْيَا حَالاً...**

الهَمزة لِلأستفهام الإنكاري أي كانوا كذلك حذواً لقوله تعالىٰ:﴿**اَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ امَنُوا اَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ**﴾(٦) والمعنىٰ أنّ الماضين لم يكونوا من الضّعفاء بل كانوا أقوياء في جميع شؤنهم المّادية هذا أن كان المراد بثقلهم هو القُوّة والقُدرة المّادية وأن كان المراد به معناه الظّاهري فالمقصود من ثقلهم كَثرتهم وكيف كان غرضه ﷺ أنّهم كانوا مع ذلك في البلاء وضيق الحال مع كونهم مؤمنين:

١- العنكبوت ـ ٢/٣
٢-طه ـ ٨٥
٣- آل عمران ـ ١٤١
٤- الاعراف ـ ١٦٨
٥- الانبياء ـ ٣٥
٦- الحديد ـ ١٦

▫ قوله ﷺ: اتَّخَذَتْهُمُ الْفَرَاعِنَةُ عَبِيداً فَسَامُوهُمْ سُوءِ الْعَذَابِ وَجَرَّعُوهُمُ الْمُرَارَ...

وهو بيان كيفية إبتلائهم وضيق حالهم حيث اتّخذتهم الفراعنة عبيداً لأنفسهم فسامُوهم وكلّفوهم سُوء العذاب وجَرعوهم أي سقوهم وأذاقوهم المَرار جُرعة بعد جُرعة كما أشار اليه القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (١)

و: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ (٢)

و: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً﴾ (٣)

وقد ورد عن المعصُوم في تفسير الآية ما لفظه قال الإمام قال الله تعالىٰ واذكروا يابني اسرائيل اذ أنجيناكم أنجينا إسلامكم من آل فرعون وهم الّذين كانوا يوالون اليه بقرابته وبدينه وبمذهبه يُسومُونكم كانوا يعذبونكم سُوء العذاب شدّة العقاب كانوا يحملونه عليكم قال وكان من عذابهم الشّديد أنّه كان فرعون يُكلّفهم عَمل البناء والطّين ويخاف أن يهربوا من العَمَل فأمَرهم بتَّقييدهم وكانوا ينقلون ذلك الطّين علىٰ السّلاليم الىٰ السّطُوح فربّما سقط الواحد منهم فمات الىٰ أن أوحىٰ الله الىٰ مُوسىٰ قل لهم لا يبتدؤن عَملاً إلّا بالصّلٰوة علىٰ مُحمّد وآله الطّيبين ليخّف عليهم فكانوا يفعلون ذلك فيخف عليهم وأمَر كلّ من سقط مِمَن نسىٰ الصّلٰوة علىٰ مُحمّد وآله أن يقولها علىٰ نفسه أن أمكنه أي الصّلٰوة علىٰ مُحمّد وآله أو يقال عليه أن لَم يمكنه فأنّه يقوم ولا تقلبه يد ففعلوها فسلموا، يذبحُون أبناؤكم وذلك لما قيل لفرعون أنّه يُولد في بنّي إسرائيل مولود يكون علىٰ يده هلاكك وزوال ملكك فأمر بذبح أبناؤهم فكانت الواحدة منهن تصانع القوابل عن نفسها لئلا تتم عليها ويتم

١- البقرة ـ ٤٩   ٢- الاعراف ـ ١٤١

٣- القصص ـ ٤

حملها ثُمّ تلقي ولدها في صحراء أو غار جَبل غامض ويقول عليه عشر مرات الصَّلوة علىٰ مُحمّد وآله فيقيض اللّه له مَلكاً يُربيه ويَدّر من إصبع له لبناً تمَيه ومن إصبع طعاماً لبناً يَتغذاه الىٰ أن نشأ بنو إسرائيل وكان ممّن سلم منهم ونشأ أكثر ممّن قتل، ويستحيُون نساؤكم يبقونّهن ويتخذونّهن إماء فضَجُوا الىٰ مُوسىٰ وقالوا يفترعون بناتنا وأخواتنا فأمر اللّه تلك البنات رآهَن من ذلك ريب صليّن علىٰ مُحمّد وآله وكان اللّه يرّد عنّهن أُولئك الرّجال أمّا بشغلٍ أو مرض أو زمانة أو لطفٍ من ألطافه فلم تفترش منّهن امرأة بل دفَع اللّه عزّ وجلّ ذلك عنّهن بصَلوتهن علىٰ مُحمّد وآله ثُمّ قال عزّ وجلّ وفي ذلك الأنجاء الّذي أنجاكم منهم ربُكم بلاء نِعمة من ربّكم عظيم كبير قال اللّه عزّ وجلّ يا بني إسرائيل إذكروا اذ كان البلاء يصرف عن إسلامكم ويخّف بالصّلوة علىٰ مُحمّد وآله أفما تعلمون أنّكم اذا شاهدتموه وآمنتم به كانت النِّعمة عليكم أعظم وأفضل وفضل لديكم أجزل انتهىٰ« ج – ٥ ص – ٣٢٨»...

▫ قوله ﷺ: **فَلَمْ تَبْرَحِ الْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ الْهَلَكَةِ وَقَهْرِ الْغَلَبَةِ لاَ يَجِدُونَ حِيلَةً فِي اِمْتِنَاعٍ وَلاَ سَبِيلاً اِلَىٰ دِفَاعٍ حَتَّىٰ اِذَا رَأَىٰ اللّٰهُ جِدَّ الصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَىٰ الْأَذَىٰ فِي مَحَبَّتِهِ وَالْاَحْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ...**

أي لم يزالوا أذلاء هالكين مقهورين مغلوبين في أيدي الفراعنة وأتباعهم لا يجدون حيلة وَوسيلة في إمتناع أوامرهم ولا طريقاً الىٰ الدفاع عن نفوسهم حتّىٰ اذا رأىٰ اللّه تعالىٰ أنّهم مجّدون في الصّبر علىٰ الأذىٰ في محبّته تعالىٰ والتّحمل للمَشاق من خوفه وخشيته:

▫ قوله ﷺ: **جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَايِقِ الْبَلاَءِ فَرَجاً فَاَبْدَلَهُمْ الْعِزَّ مَكَانَ الذُّلِّ وَالْاَمْنَ مَكَانَ الْخَوْفِ فَصَارُوا مُلُوكاً حُكَّاماً وَأَئِمَّةً أَعْلاَماً وَقَدْ بَلَغَتِ الْكَرَامَةُ مِنَ اللّٰهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَذْهَبِ الْآمَالُ اِلَيْهِ بِهِمْ...**

أي لمّا رأىٰ اللّه تعالىٰ منهم الصّبر علىٰ الأذىٰ في محبّته جَعل لهم أي لبني إسرائيل من مضائق البلاء وسُوء العذاب فرجاً ومَخلصاً فأبدل ذلّهم بالعزّ

وخوفهم بالأمن فصاروا بعد ذلك ملوكاً وحكاماً على النّاس بعد كونهم عبيداً لِلفراعنة، وأئمّة أعلاماً، أي صاروا ممّن يُقتدى به في أمور الدّين والدّنيا وبلغت الكرامة من الله لهم ما أي الى مقدارٍ لم تبلغ الآمال اليه بهم أي كرامة الله لهم بلغت الى غاية الغايات وفوق ما يأمله الآملون والى هذا المعنى أشار في كتابه حيث قال:﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾(١)

و: ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾(٢)

و: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٣)

و: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ، مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(٤)

وفي قوله عليه السلام: فَصَارُوا مُلُوكاً الخ. إشارة الى قوله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾(٥)

□ قوله عليه السلام: **فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ الْأَمْلَاءُ مُجْتَمِعَةً وَالْأَهْوَاءُ مُؤْتَلِفَةً وَالْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً وَالْأَيْدِي مُتَرَادِفَةً وَالسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً وَالْبَصَائِرُ نَافِذَةً وَالْعَزَائِمُ وَاحِدَةً...**

أي اذا نظرتم اليهم قبل خلاصهم من استرقاق الفراعنة من كونهم في الشّدة والبلاء، فانظروا ثانياً اليهم بعد خلاصهم من البلايا وصيرورتهم ملوكاً وأئمّة

١- الاعراف ـ ١٣٧.
٢- الاعراف ـ ١٢٩
٣- الاعراف ـ ١٢٨.
٤- الدخان ـ ٣٠/٣١/٣٢
٥- المائدة ـ ٢٠/٢١

حيث كانت الأملاء أي الجماعات منهم مُجتمعة والأهواء والأميال منهم مُتفقة لا تشتّت فيها والقلوب مُعتدلة مُتوسطة بين الأفرط والتّفريط والأيدي منهم مُترادفة مُتعاونة والسّيوف مُتناصرة أي أنّها بسبب النّصرة فيهم فأسناد النّصرة اليها من باب التّوسع مجازاً والبصائر نافذة قاطعة غير متّرددة ولا مُضطربة والعزائم والإرادات واحدة والحاصل أنّهم كانوا كشخصٍ واحدٍ في جنب الأعداء.

□ قوله ﷺ: **أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَاباً فِي أَقْطَارِ الْأَرَضِينَ وَمُلُوكاً عَلَىٰ رِقَابِ الْعَالَمِينَ...**

الهمزة للإستفهام الإنكاري أي كانوا أرباباً وساداةً في أقطار الأرضين وأطرافها وملُوكاً وحُكاماً علىٰ رقاب العالمين كما مَرَّ ذكره وصَرح به القرآن أيضاً كما مَرّ.

□ قوله ﷺ: **فَانْظُرُوا إِلَىٰ مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ وَتَشَتَّتَتِ الْأُلْفَةُ وَاخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ وَالْأَفْئِدَةُ وَتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ وَتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ...**

أي اذا نظرتم اليهم قبل خلاصهم عن الشّدائد وبعده في حال العزّة والشوكة فانظروا ثالثاً الىٰ عاقبة أمرهم وما صاروا اليه وذلك بعد وقوع الفرقة والإختلاف وتشتت الألفة والإتحاد وإختلاف الكلمة وتباعد القلُوب وتشعّبهم مختلفين وتفرّقهم مُتحاربين وقعت الحروب فيهم فقتل بعضهم بعضاً والحاصل انظروا اليهم بعد عِزّهم وجلالهم كيف صاروا أذلّاء بسبب الإختلاف:

□ قوله ﷺ: **قَدْ خَلَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ وَبَقِيَ قَصَصُ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبَراً لِلْمُعْتَبِرِينَ...**

أي لمّا وقعوا في النّفاق والإختلاف قد خلع الله عنهم لباس كرامته وسَلَب عنهم غضارة نعمته وسعة رحمته وبقي قصص أخبارهم فيكم لتكون عبرة لكُم ولغيركم. فقال تعالىٰ فيهم: **﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا**

عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾(١)

و : ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾(٢)

و : ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾(٣)

الفصل السادس

□ قوله عليه السلام: فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِمُ السَّلاَمَ فَمَا أَشَدَّ إِعْتِدَالَ الأَحْوَالِ وَأَقْرَبَ اشْتِبَاهَ الأَمْثَالِ تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ لَيَالِيَ كَانَتِ الأَكَاسِرَةُ وَالْقَيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيفِ الآفَاقِ وَبَحْرِ الْعِرَاقِ وَخُضْرَةِ الدُّنْيَا إِلَى مَنَابِتِ الشِّيحِ وَمَهَافِي الرِّيحِ وَنَكَدِ الْمَعَاشِ فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبَرٍ وَوَبَرٍ أَذَلَّ الأُمَمِ دَاراً وَأَجْدَبَهُمْ قَرَاراً لاَ يَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا وَلاَ إِلَى ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا فَالأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ وَالأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ وَالْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ فِي بَلاَءِ أَزْلٍ وَأَطْبَاقِ جَهْلٍ مِنْ بَنَاتٍ مَوْءُدَةٍ وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ وَغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ.

فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولاً فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا وَأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا وَالْتَفَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ وَفِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ قَدْ تَرَبَّعَتِ الأُمُورُ بِهِمْ فِي

١- البقرة -٥٩ ٢-البقرة- ٦١
٣-آل عمران-١١٢

ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ وَآوَتْهُمُ الْحَالُ إِلَىٰ كَنَفِ عِزٍّ غَالِبٍ وَتَعَطَّفَتِ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذُرَىٰ مُلْكٍ ثَابِتٍ فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ وَمُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الْأَرَضِينَ يَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَىٰ مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ وَيُمْضُونَ الْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْضِيهَا فِيهِمْ لاَ تُغْمَزُ لَهُمْ قَنَاةٌ وَلاَ تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ!

◁ اللّغة

(الْأَكَاسِرَةُ) جمع كسرىٰ لقب من مَلِك الفُرس (وَالْقَيَاصِرَةُ) جمع قيصر لقب من مَلِك الرّوم (رِيفِ) بكسر الرّاء أرض فيها زرع وخصب (الشِّيحِ) بكسر الشين نَبتٌ معروف (مَهَافِي الرِّيحِ) المَواضع الّتي تهفو فيها الرياح (نَكَدِ الْمَعَاشِ) النَكد بالتّحريك الشّدة والعُسر (عَالَةً) جمع عائل وهو ذو العِيلة أي الفقر (دَبَر) بالتّحريك القُرحة في ظهر الدّابة (وَبَر) بالتّحريك شعر الجمال والمراد أنّهم رعاة (يَأْوُونَ) أي يلجأون (يَعْتَصِمُونَ) يتمسكون (أَزْلٍ) بالفتح الشّدة (مؤودة) من وَأدَ بنته كوَعدَ أي دفَنها وهي حيّة (فَكِهِينَ) راضين طيبة نفُوسهم (قَدْ تَرَبَّعَتِ) أي أقامت (آوَتْهُمُ) ألجأتهم والباقي واضح.

◁ المعنىٰ

(فَاعْتَبِرُوا) أمرهم بالإعتبار (بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ) أي اعتبروا بأحوالهم وما وقع لهم وعليهم (فَمَا أَشَدَّ إعْتِدَالَ الْأَحْوَالِ وَأَقْرَبَ اشْتِبَاهَ الْأَمْثَالِ) فانّ أحوالكم أشدّ إعتدالاً وتناسباً لأحوالهم وصفاتكم أكثر قُرباً ومشابهة لصفاتهم (تَأَمَّلُوا) وتفكّروا (فِي حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ لَيَالِيَ كَانَتِ الْأَكَاسِرَةُ) ملوك الفرس (وَالْقَيَاصِرَةُ) ملوك الرّوم (أَرْبَاباً لَهُمْ) ومالكين لرقابهم (يحتازونهم) ويبعدونهم (يَجْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيفِ الْآفَاقِ) أي الأراضي الخَصبة المُشتملة على المزارع والمَراتع (وَبَحْرِ الْعِرَاقِ) الدّجلة والفرات (وَخُضْرَةِ الدُّنْيَا إِلَىٰ مَنَابِتِ الشِّيحِ) وهي الأرض الخالية من الماء والكلاء (وَمَهَافِي الرِّيحِ) ومهابه (وَنَكَدِ الْمَعَاشِ) أي ضيقه

وقلته (فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً) أي فقراء (مَسَاكِينَ إِخْوانَ دَبَرٍ وَوَبَرٍ) وهو إشارة الىٰ سُوء الحال وضيق المعاش (أَذَلَّ الأُمَمِ دَاراً) لعدم المعاقل والحصُون لهم (وَأَجْدَبَهُمْ قَرَاراً) ومُستقراً (لا يَأْوُونَ) ولا يلجاوون (إِلَىٰ جَنَاحِ دَعْوَةٍ) اذ لم يكن فيهم داع الىٰ الحقّ (يَعْتَصِمُونَ) ويتمسكُون (بِهَا) بالدّعوة (وَلاَ إِلَىٰ ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَىٰ عِزِّهَا) لوجُود النّفاق والإختلاف فيهم (فَالأَحْوَالُ) فيهم (مُضْطَرِبَةٌ) مُتزلزلة (وَالأَيْدِي) فيهم (مُخْتَلِفَةٌ وَالْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ فِي بَلاَءِ أَزْلٍ) وَمِحنةٍ شديدة (وَأَطْبَاقِ جَهْلٍ مِنْ بَنَاتٍ مَوءُدَةٍ) مَدفُونة حيّاً (وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ وَغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ) مصبُوبة من كلّ جهة (فَانْظُرُوا إِلَىٰ مَوَاقِعَ نِعَمِ اللّٰهِ عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ) اللّٰـه (إِلَيْهِمْ رَسُولاً فَعَقَدَ) اللّٰـه أو الرّسُول (بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ) ليطيعوه (وَجَمَعَ عَلَىٰ دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ) بعد تضاغن القلُوب وتشاحن الصّدور (كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا) فَجَعلتهم تحت جناحها (وَأَسَالَتْ لَهُمْ) وأجرت (جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا) تشبيهاً للنّعمة بالنّهر العظيم الّذي تسيل منه الجداول والأنهار (وَالْتَفَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا) أي جمعتهم ملّة الإسلام بعد تفرقهم وتشتتهم (فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ) غاصين فيها (وَفِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ) فرحين بسعة المَعاش (قَدْ تَرَبَّعَتِ) واعتدلت (الأُمُورُ بِهِمْ) وإستقامت (فِي ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ) وهو سلطان الإسلام الغالب علىٰ سائر الأديان (وَآوَتْهُمْ) وَضمتهم (الْحَالُ إِلَىٰ كَنَفِ عِزٍّ غَالِبٍ) أي الىٰ جانبه وناحيته (وَتَعَطَّفَتِ) وأقبلت (الأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذُرَىٰ مُلْكٍ ثَابِتٍ) أي في أعالي السّلطنة الثابتة (فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ وَمُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الأَرَضِينَ يَمْلِكُونَ الأُمُورَ) أي أُمور المُلك والسّلطنة (عَلَىٰ مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ) من الكُفّار الفجّار (وَيُمْضُونَ الأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْضِيهَا فِيهِمْ) من كُفّار قُريش وغيرهم (لاَ تُغْمَزُ لَهُمْ قَنَاةٌ وَلاَ تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ) هذا كناية عن القوّة والإمتناع من الضّيم:

◁ **الشّرح**

▫ قوله ﷺ: **فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ فَمَا أَشَدَّ إِعْتِدَالَ الْأَحْوَالِ وَأَقْرَبَ اشْتِبَاهَ الْأَمْثَالِ...**

الوَلَد بفتح الواو واللاّم المولود يقال لِلواحد والجمع والصّغير والكَبير، ويمكن أن يكون الوَلد في كلامه ﷺ بضَم الواو وسكُون اللاّم والدّال بناءً على كونه كذلك جمع الوَلَد كما قيل نحو أَسَد وأُسود وكيف كان لا شك أنّ المراد به في المقام الجمع بقرينة قوله ﷺ: **وَبَنِي إِسْحَاقَ** وبني إسرائيل فأنّ المقصُود إعتبار النّاس بأولاد إسماعيل الخ وقوله ﷺ: **وَبَنِي إِسْرَائِيلَ** المراد بهم بني يعقوب فأنّ إسرائيل كان لَقَباً له و هو مُركّب من كلمتين (إسراء) و (إيل) و معناه عبدالله فأنّ الإسراء في لغة العِبري العَبد والأيل معناه، الله وقيل غير ذلك ولنذكر لك إجمالاً من أحوالهم:

اعلم أنّ إسماعيل وإسحاق كانا من أولاد إبراهيم الخليل ﷺ وأمّا يعقُوب الملّقب بإسرائيل فهو من أولاد إسحاق وكان إسماعيل أكبر أولاده قال في الكامل اختلف النّاس من المسلمين في الذّبيح فقال بعضهم هو إسماعيل وقال بعضهم هو إسحاق قال المؤلف لا خلاف بين المُحققين من المُسلمين في كون الذّبيح إسماعيل ولم يقل أحدٌ من أهل العلم بكونه إسحاق ويكفي في ذلك سنداً وإعتباراً قول النّبي ﷺ المشهُور بين الخاصّة والعامّة، أنا ابن الذّبيحين ومعلوم أنّه ﷺ كان من أولاد إسماعيل دون إسحاق فأحَد الذّبيحين إسماعيل والآخر عبد الله على ما مرّ الكلام فيه تَفصيلاً ولتَوضيح البحث نتكلم في فَصلين:

الفَصل الأوّل في الإشارة الى إسماعيل وأولاده:

قالوا أنّ إبراهيم ﷺ لم يكن له وَلَد من سارة فدَعى الله أن يَهَب له وَلَداً ذكراً صالحاً كما حكى الله تعالى عنه حيث قال:**﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ، فَبَشَّرْنَاهُ**

بِغُلامٍ حَلِيمٍ﴾[1] كان هو الذَبيح لِلّه تعالىٰ وكانت لسارة جارية تُسَمىٰ بهاجر فوَهَبتها سارة لإبراهيم وقالت خذها لعلَ اللّه يرزقك منها وَلَداً وكانت سارة قد مُنعت الوَلد حتّىٰ كَبُرت وأسَنَّت بحيث يَئِست منه فوقع إبراهيم علىٰ هاجر فولدت إسماعيل وكان مولده في نواحي المُؤتفِكات وقد عاشَ إسماعيل في قبيلة بني جَرهم وتكَلم بالعَربية وهو أوَل من تكَلم بها ولهذا لُقِب بأبي العَرَب فلَما ولُد إسماعيل حَزَنت سارة حُزناً شديداً وقالت لهاجر لا تساكنني في بلدٍ أبداً فأوحىٰ اللّه عزَ وجلَ الىٰ إبراهيم أن يأتي مكَة وليس بها يومئذٍ نَبت فجاء إبراهيم بإسماعيل وأمّه هاجر فوضعهما بمكَة بموضع زَمزَم فلمّا مضىٰ نادته هاجر يا إبراهيم مَن أمرَكَ أن تتركنا بأرضٍ.

ليس فيها زرع ولا ماءٍ ولا زاد ولا أنيس قال ربّي أمَرني قالت فأنّه ليس يضيعنا فلَما ولّىٰ قال ربّنا أنّك تعلم ما نُخفي وما نُعلن يعني من الحُزن كما حكىٰ اللّه تعالىٰ عنه: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ، رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ، رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾[2] فلَما ظمأ إسماعيل جعل يدحض الأرض برجله فإنطلقت هاجر حتّىٰ صَعَدت الصَفا لتنظر هل ترىٰ شيئاً فلم تَر شيئاً فإنحدرت الىٰ الوادي فسَعت حتّىٰ أتَت المروَة فإستشرفت هل ترىٰ شيئاً فلم تَر شيئاً ففعلت ذلك سبع مرّات فذلك أصل السّعي بين الصّفا والمَروة والإسلام أمضاه وجعل السّعي بينهما سبعاً ثُمَ جائت هاجر الىٰ إسماعيل وهو يدحض الأرض بقدميه وقد نَبَعت العين وهي زَمزَم فجعلت تفحص الأرض بيدها عن الماء وكلّما إجتمع أخذته وجَعَلته في سقائها ولذلك روىٰ عن النّبي ﷺ أنّه قال يرحمها

١- الصافات ـ ١٠١/١٠٠
٢-ابراهيم ـ ٤٠=٣٧

اللّه لو تركتها لكانت عيناً سائحة وكانت قبيلة جَرهم بوادٍ قريب من مكّة ولزمت الطَير الوادي حين لَزمت الماء فلمّا رأت جَرهم الطَير لزمت الوادي قالوا ما لَزمته إلّا وفيه ماء فجاءوا الىٰ هاجر وقالوا لو شئت لَكنّا مَعك فآنسناك والماء ماؤك قالت نعم فكانوا معها حتّىٰ شَب إسمٰعيل وماتت هاجر وكان عُمر إسمٰعيل حين نزُوله بمكّة سنتَين وقيل ثلاثة فتَزوج إسمٰعيل امرأة من جرَهم فتَّعلم العربيّة منهم هو وأولاده فهم العرب المتَعربة كذا قيل وقيل بأنّه عليه السلام أوّل من تكلّم بها من غير تعَلم عن غيره وهو الحقّ وقد قلنا أنّ الذّبيح هو إسمٰعيل لا إسحٰق وقد أُمر إبراهيم بذَبحه وكان سنّه عَشر سنين وتفصّيله مذكور في التّواريخ فلا نطول الكلام بذكره وكانت وفاته بمكّة وعُمره أربعون سنة وقد دُفن في الحِجر بجَنب أمّه هاجر عليها السلام وقيل عُمره حين الوفاة مِائة وأربعون سنة وقيل مِائة وسبعاً وثلاثين سنة ومدّة دعوته أربعون سنة وقيل غير ذلك واللّه أعلم وقد ذكروا من أولاده أثني عشر رجلاً بعد موته، بنايوت، قدار، ادنيل، مبان، سماع، ودانة، مَسا، حَدر، تيما، يطور، ناقيس، قيد وعلّي قو الكامل، نابت، ومتذاب، واذيل، وميشا، ومَسمع، ورما، وماش ، وآذر، وقطورا، وفافعي، وظميا، وقيدمان، وكان وصّيه من بين أولاده، قدار وكان هو أكبرهم وأعلَمَهم وأصلَحَهم ونبّياً صلى الله عليه وآله من أولاده وقد ذكروا له عليه السلام ابنته تُسمّىٰ (محلة) وقد أوصىٰ الىٰ أخيه إسحاق أن يزّوج ابنته هذه من العيص ابن إسحاق وأن يدفنه عند قبر أُمّه هاجر بالحجر فَفَعل إسحاق ما أوصاه به:

الفصل الثّاني في أحوال إسحٰق وأولاده الىٰ وفاته:

قد ذكرنا أنّ سارة حزَنت حُزناً شديداً وكانت علىٰ هذه الحالة حتّىٰ مضىٰ من عُمر إسمٰعيل خَمس سنين فلّما أراد اللّه تعالىٰ إهلاك قوم لُوط أمَر الملائكة المُرسلين أن يبشّروها بإسحق ومن ورائه يعقوب كما قال تعالىٰ: **﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ، فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا**

إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ، وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحٰقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحٰقَ يَعْقُوبَ، قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهٰذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ. قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّٰهِ رَحْمَتُ اللّٰهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ (١)

وقد ذكروا أنّ اللّه تعالىٰ وهَبَها إسحٰق وعُمرها سبعُون سنة وعُمر إبراهيم مِائة وعشرون سنة وكان إسحٰق أصغر سنّاً من أخيه إسمٰعيل بخمس سنين كما ذكرناه وقيل أنّ عمر إبراهيم كان حينئذٍ تسعاً وتسعين سنة ولمّا بَلَغ الحُلم تزّوج إسحٰق امرأة تُسمَىٰ برفَقا وقيل ربقة بنت بتوئيل ابن ناحور وهو أعني ناحور أخو إبراهيم وذلك لأنّ أبا إبراهيم كان يُسمَىٰ بالتّارخ وكان له من أولاد الذّكُور ثلاثاً، إبراهيم - وناحُور - وهاران، ولوط النّبي كان ابناً لهاران فكان إبراهيم عليه السلام عَمّه وكانت ربقة هذه بنت بتوئيل وأمّها أُخت لوط بنت هاران وبالجُملة فولدت لإسحق عيص ويعقوب توأمين وكانت ولادتهما بأرض جيرون وأن عيص كان أكبرهما لأنه كان أوّل مَن ولد ويعقوب من عَقبه وقد نقل أنّ يعقوب كانت يده علىٰ عقب العيص حين الولادة ولذلك سُمّي به وقال الرّاغب في المُفردات اليعقوب ذَكَر الحَجَل لِماله من عقُب الجَري:

ثُمّ نكح عيص ابن إسحٰق (محلة) وقيل نَسمة، بنت عمّه إسمٰعيل كما مَرّ ذكره وقلنا أنّ إسمٰعيل أوصىٰ الىٰ أخيه إسحٰق به فَولدت له الرّوم ابن عيص وكان بني الأصغر من ولده ونكح يعقوب ابن إسحٰق المُلَقب بإسرئيل، ابنة خاله ليا بنت لبان بن بتوئيل فولدت له روبيل وكان أكبر وُلده، وشمعُون، ويَهوذا، وذيالون ويشحر وقيل، تَشحر ثُمّ توفّيت، لَيا، فتزّوج أُختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وهو بالعَربية شدّاد وولد له من سريتين أربعة نفر، دان، تعتالي، جاد،، أشر، فكان ليعقوب أثني عشر رجلاً علىٰ ما فَصّلنَاهم لك ومات إسحٰق بالشّام وعُمره مِائة وستّون سنة ودفن عند أبيه إبراهيم عليه السّلام وكان عُمر إسحٰق حين رزقه اللّه الوَلَد ستين سنة وعليه فكان عمر

١- هُود- ٧٣=٦٩

عيص ويعقوب حين وفاة إسحٰق مِائة سنة والله العالم اذا عرفت ما تلوناه عليك فلنرجع الىٰ المَتن:

فقوله عليه السلام: **فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ** الىٰ قوله عليه السلام: **وَأَقْرَبَ اشْتِبَاهَ الْأَمْثَالِ** إشارة الىٰ تناسب أحوالهم وتشابه شئُونهم وأطوارهم للمُسلمين فكما أنّهم أي بنِي إسمٰعيل وبني إسحٰق كانوا في بَدو أمرهم أَعزّ الأُمَم وذلك لسبب اتّحادهم ثمّ صاروا بعد ذلك أذلاء بسبب الإختلاف والتّشتت وإفتراق الكلمة فكذلك كان المُسلمون في بدو طلوع الإسلام معزّزين وبعد بُرهةٍ من الزّمان صاروا مغلُوبين مقهورين ومنشأ ذلك هو الإختلاف الّذي وجُد بينهم لا غيره ويمكن أن يكون المُراد من التّشابه والتّناسب هو ما كان بين أولاد إبراهيم في أوّل أمرهم وآخره فلا تكونُوا كذلك وإعتبرُوا بحالِهم لتكُونوا من المُعتبرين المُنتفعين.

▫ قوله عليه السلام: **تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ لَيَالِيَ كَانَتِ الْأَكَاسِرَةُ وَالْقَيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيفِ الْآفَاقِ وَبَحْرِ الْعِرَاقِ وَخُضْرَةِ الدُّنْيَا إِلىٰ مَنَابِتِ الشِّيحِ وَمَهَافِي الرِّيحِ وَنَكَدِ الْمَعَاشِ...**

أي تأملّوا أمر أولاد إبراهيم في حال نفاقهم وإختلافهم بعد إتّحادهم وإتّفاقهم مع كونهم أولاد أنبياء حتّىٰ وَصَل أمرهم الىٰ الذّلة والحقارة بحيث كانت الأكاسرة أي ملوك العجم والقياصرة ملوك الرّوم أرباباً لهم حتّىٰ يحتازونهم ويبعّدونهم عن ريف الأفاق والأماكن المُشتملة علىٰ المزارع والمراتع وبحر العراق أعني الدّجلة والفُرات وخُضرة الدّنيا الىٰ منابت الشّيح وهي الأرض الخالية عن الماء والكلاء ومهافي الرّيح أي المواضع الّتي تهفو فيها الرّياح وتهّب من القيافي والصّحاري، ونكد المعاش أي ضيقه وقلّته والحاصل أنّ الأكاسرة والقياصرة بحسب إستيلائهم عليهم جعلُوهم كذلك:

▫ قوله عليه السلام: **فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبَرٍ وَوَبَرٍ أَذَلَّ الْأُمَمِ دَاراً وَأَجْدَبَهُمْ قَرَاراً ...**

أي لما سلّطت الأكاسرة والقياصرة عليهم وجعلتهم عبيداً لأنفسهم تركوهم بعد ذلك عالة أي فقراء أو ذو العيلة ومساكين أخوان دَبَر وَوَبر أي معاشرين بجمال دَبراء عَجفاء عَقراء وهو إشارة الىٰ سُوء حالهم وضَيق معاشهم وقيل المُراد أنّهم صاروا رعاة للملُوك.

▫ **قوله ﷺ: لَا يَأْوُونَ إِلَىٰ جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا وَلاَ إِلَىٰ ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَىٰ عِزِّهَا...**

فصاروا في الذّلة بحيث لم يمكن لهم الإلتجاء الىٰ من يحبّهم اذا دعوه وإستغاثُوا به كما يحمي الطّائر فرخه بجناحه ويحضنه وأيضاً لم يمكن لهم الإستظلال بظلّ الأُلفة ليعتمدوا علىٰ عزّها وإضافة الظلّ الىٰ الأُلفة علىٰ سَبيل الإستعارة ووجه الشّبه ظاهر اذ كما أنّ الظّل سَبَب الرّاحة من حرارة الشّمس كذلك الأُلفة سبب السّلامة من نار العدّو وموجب لِلعزّ والحُرمة كما أنّ الإفتراق سَبَب الذّلة والحقارة:

▫ **قوله ﷺ: فَالْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ وَالْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ وَالْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ ...**

اذا لم تكن لهم دعوة يعتصمُون بها الىٰ آخر ما قال ﷺ فلا محالة تكون الأحوال فيهم مُضطربة مُتزلزلة لا إستقامة فيها ولا ثبات لها وتكون الأيدي في نصرة الحقّ مُختلفة والكثرة فيهم مُتفرقة مُشتّتة ومن المعلوم أنّ إضطراب الأحوال وإختلاف الأيدي وتشتّت الكثرة لا توجب إلّا الذّلة ومن كان كذلك فهو مصداق لقوله تعالىٰ: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾(1)

▫ **قوله ﷺ: فِي بَلاَءِ أَزْلٍ وَأَطْبَاقِ جَهْلٍ مِنْ بَنَاتٍ مَوءُدَةٍ وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ وَغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ ...**

أي لا محالة هؤلاء الأشخاص يَقعُون في بلاءِ أزلٍ وشدّة وأطباق جهلٍ متراكم بعضه فوق بعضٍ من بنات مَؤودة مَدفُونة حَيّاً وأصنامٍ معبُودةٍ وقطع الأرحام وغارات مَشنُونة مصبُوبةٍ من كلّ جهة وأشار ﷺ بهذه الكلمات الىٰ

١- البقرة-٦١

رسوم الجاهلّية وآداب العرب في عهد الفترة وفي قوله ؏: مَوءُدَةٍ إشارة الىٰ قوله تعالىٰ:﴿وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾(١)

وقوله ؏: وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ أشار الىٰ قوله تعالىٰ:﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾(٢)

وقوله وقطع الأرحام الىٰ قوله تعالىٰ:﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾(٣) وحيث أنّا قد تكلمنا في آداب العرب ورسُومهم في عهد الجاهلّية من عبادة الأوثان والقتل والغارات وغيرها من رذائل الأخلاق مُفصلاً في المجلد الأوّل من الكتاب فلا نطيل الكلام بذكرها في المَقام ومن شاء الإطّلاع عليها فليراجع اليه:

▫ قوله ؏: فَانْظُرُوا إِلَىٰ مَوَاقِعِ نِعَمِ اللّٰهِ عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولاً...

أي لمّا رأىٰ اللّه تعالىٰ حَيرتهم وضلالتهم وخروجهم عن مقام الإنسانية فضلاً عن العبُودية أدركهم بلطفه وكرمه ومنّه وإحسانه فأنقذهم من الهلَكات وأخرجهم من الظّلمات الىٰ النُّور بإرسال رسُول الرّحمة اليهم فقال:﴿لَقَدْ مَنَّ اللّٰهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(٤)

و :﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ﴾(٥) فقد أشار اللّه تعالىٰ في هذه الآيات الىٰ علّة بَعث الرّسُول الىٰ الخلق وعَدَّ منها تلاوة الآيات التّكوينية والتّشريعية وتزكية النّفوس عن الأرجاس والأباطيل وخرافات الأوهام من الكِبر والحَسَد والبُخل وأمثالها.

وتَعلّم الكتاب والحكمة من الشّريعة والطّريقة وعلم الأحكام وعلم الأخلاق كما قال ﷺ بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق، ولأجل هذه المنافع المعنَوية التّي توجب إيصال الإنسان الى أقصىٰ الغايات وأعلىٰ الكمالات

١- التكوير ـ٩
٢- الشعراء ـ٧١
٣- محمد ـ٢٢
٤- آل عمران ـ١٦٤
٥- الجمعة ـ٢

وإخراجه عن حضيض النّاسُوت ومتابعة الطّاغوت قال ﷺ: **فَانْظُرُوا إِلَىٰ مَوَاقِعَ نِعَمِ اللّٰهِ،** فأيّ نعمةٍ أعظم وأشرف من نعمة الرّسالة ومَوهبة النّبوة المُؤدّية الىٰ سعادة الدّارين وكمال النّشأتين فأنّ النّعمة المعنَوية الرّوحية أشرف من الحسّية المادّية:

▫ قوله ﷺ: **فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ وَجَمَعَ عَلَىٰ دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا وَأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا وَالْتَفَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا...**

أصل العَقد، الجمع بين أطراف الشّئ ويستعمل ذلك في الأجسام الصّلبة كَعَقد الحَبل وعَقد البناء ثُمّ يستعار ذلك للمعاني نحو عقد البيع والعَهد وغيرهما وهو مصدر استُعمل اسماً فجُمع نحو أوفوا بالعقُود اذا عرفت معنىٰ العقد وموارد إستعمالاته فنقول:

قوله ﷺ: **فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ** معناه عهد اليهم أن يطيعوه والعاهد هو اللّه تعالىٰ كما قال في كتابه: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾(١)

و: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾(٢)

و: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾(٣) هذا اذا كان العَقد بمعنىٰ العَهد وأمّا اذا كان بمعنىٰ الجمع بين أطراف الشّئ فالمعنىٰ أنّ اللّه تعالىٰ أو الرّسُول جَمَع بين الأراء المُختلفة والأهواء المُتشتة والأميال الشّيطانية بالدّين والشّريعة بمعنىٰ أنّ اللّه أمَر النّاس بترك الأهواء ومُتابعة الشّيطان وهو ظاهر وكيف كان فالمعنىٰ أنّ اللّه تعالىٰ عَهد الىٰ النّاس طاعة الرّسُول وجَمَع علىٰ دعوته بالحقّ أُلفتهم فأنّها لا تحصل إلّا بسبب الدّين والتّمسك بحبل اللّه المَتين والسّير علىٰ الصّراط المُستقيم فإنظر أيّها العاقل كيف نَشرت وبَسطت النّعمة أي نعمة الرّسالة علىٰ النّاس جناح كرامتها وأجَمَعتهم تحت جناحها وكيف أسالت وأجرت الرّسالة

١- يٰس - ٦٠
٢- الفتح - ١٠
٣- النّحل - ٩١

لهم جداول نعيمها، شبّه.أوّلاً نعمة الإسلام الحاصلة بالبعثة بالطّائر الباسط لجناحه على فرخه ثُمّ جعلها تحت جَناحه إشفاقاً عليها وحفظاً عن الآفات والإسلام أيضاً كذلك فهو يحفظ المُسلمين عن الآفات والخَطَرات في الدّنيا والأُخرة، وثانياً شبّه ﷺ النّعمة بالنّهر العظيم الّذي تسيل منه الجداول والأنهار الى الأراضي القابلة المُستعدة ووجه الشّبه في المقامين ظاهر لا خفاء فيه لمن كان له قلب وفي قوله ﷺ والتّفت الملّة بهم إشارة الى أنّ ملّة الإسلام ببركته صاروا مُجتمعين وعن التّشتت والإفتراق مُبعدين بعد ما كانوا مثله مُتفرقين مُختلفين.

وفي التّعبير بقوله **(التّفت)** إيماء الى أنّ الإسلام يجمع المُتشتات المُتفرقات من حيث العقائد والأراء والمذاهب والمَسالك فأنّ اللّف في الأصل ضمّ شئ الى شئٍ كما قال تعالى وجناتٍ ألفافاً، أي التّفت بعضها ببعضٍ وقوله جئنا بكم لفيفاً، أي مُنضّماً بعضكم الى بعضٍ وفيه قوله تعالى، والتّفت السّاق بالسّاق، واللّفيف من النّاس المُجتمعُون من قبائل شتى ولا شك أنّ هذه الخصال موجودة في الإسلام ألا ترى أنّه كيف شملهم في صدر الإسلام:

- قوله ﷺ: **فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ وَفِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ ...**

أي فأصبحوا ببركة نِعمة الإسلام في نعمة البعثة والرّسالة غَرقين وعن خُضرة عيشها فكهين فرحين بسعة المعاش وطيبه شبّه ﷺ الإسلام تارةً بالبحر وأُخرى بالجَنّة وذلك لأنّ الماء والخُضرة من أحسن مواهب الطّبيعة في عالم المّادة وحيث وقعوا في تلك النّعمة فالواجب عليهم شكرها وقد قال الله تعالى وقليل من عبادي الشّكُور:

- قوله ﷺ: **قَدْ تَرَبَّعَتِ الأُمُورُ بِهِمْ فِي ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ وَآوَتْهُمُ الْحَالُ إِلَىٰ كَنَفِ عِزٍّ غَالِبٍ وَتَعَطَّفَتِ الأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذُرَىٰ مُلْكٍ ثَابِتٍ...**

أي قد إستقامت الأُمور بهم وإعتدلت في ظلّ سُلطان الإسلام الغالب على سائر الأديان وآوتهم الحال وأنزلتهم الى كنف عزٍّ غالب الأعداء وتعطّفت

وامتلت السّعادات عليهم بعد أدبارها عنهم في ذُري مُلكٍ ثابت أعني بها السّلطنة الثّابتة المُستَقرة العالية فأنّ ذُري الشّيِ أعلاه، والمقصود من هذه الكلمات هو بيان قدرة الإسلام وشوكته وجلالته وجامعيته وأنّ هذه الأوصاف المذكُورة موجودة فيه لو عملوا بأحكامه وشرائطه كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(١)

و: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾(٢)

وقال ﷺ الإسلام يَعلُو ولا يُعلىٰ عليه، والغرض أنّ سُلطان الإسلام غالب علىٰ الأديان عاقبة الأمر فلا زوال لَشمس حقيقته ولا فناء لجوهر فضيلته وأمّا خلفاء الإسلام وسلاطينهم فلم يكن لهم عِزٌّ وغَلبة علىٰ غيرهم أصلاً بل دائماً كانوا مقهورين مغلوبين، وذلك لعدم إيمانهم بل وإعراضهم عن حقيقة الإسلام وميلهم الىٰ الأداب والرّسُوم الموجُودة في أعدائهم من اليهود والنّصارىٰ ومن كان كذلك فهو دليلٌ حقير.

▫ قوله ﷺ: **فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ وَمُلُوكٌ فِى أَطْرَافِ الْأَرَضِينَ ...**

فهُم أي المُسلمون حُكّام علىٰ العالمين بالحقيقة لو علموا قَدرهم ومنزلتهم وتَمسّكُوا بأحكام دينهم ومُلوك في أطراف الأرضين لو عَملوا بما أمَرَهم اللّه به وتركوا متابعة الشّيطان كيف ورسُولهم أشرف الرُّسُل وأفضلهم وأكملهم وكتابهم أعني القرآن أفضل الكُتب السّماوية ودينهم أكمل الأديان وأفضَلها والنّاسخ لها ولا يكون منسوخاً أبداً والأوصياء بعد الرّسُول أفضل الأوصياء وأكملهم ولا يقاس بهم أحد من الأولين والأخرين بعد النّبي ﷺ فهذه الأمّة تكون لا مُحالة حُكّاماً علىٰ العالمين ومُلوكاً علىٰ الأرضين لوجُود الشّرائط فيها ورفع الموانع باختيارها وقد قال اللّه تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾(٣)

١- آل عمران ـ ١٣٩   ٢- محمّد ـ ٣٥
٣- الانبياء ـ ١٠٥

و: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾(١)

و: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾(٢) وهذه الشّرائط موجودة في المؤمنين:

▫ **قوله ﷺ: يَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَىٰ مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ وَيُمْضُونَ الْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْضِيهَا فِيهِمْ ...**

أي صاروا مالكين لِلأُمور ببركة الإِسلام بعد ما كانوا مملُوكين هذا علىٰ مذهب الشّراح وأمّا علىٰ ما ذهبنا اليه فالمعنىٰ يملكون في المُستقبل ولعلَه لأجل هذه الدّقيقة أتىٰ بصيغة المُضارع ولو كان الأمر كما ذكروه كان حقّ العبارة أن يقال ملِكوا الأُمور ولم يقُل هذا مضافاً الىٰ أنّا نعلم علماً قطعياً أنّهم لَم يملِكُوا الأُمور كذلك الىٰ زماننا هذا وحاصل المعنىٰ أنّهم أعني المُسلمين اتّخذوا لأنفسهم ديناً لو عَملوا بأحكامه لكانوا كذلك وأمّا علىٰ مذهب القوم فقد حَصَل لهم ذلك ويمكن الجمع بين القولين بحصول ما ذكره ﷺ إجمالاً وعدم حصوله تفصّيلاً وكيف كان غرضه ﷺ إمارتهم وحكومتهم علىٰ من كان قبل الإِسلام حاكماً عليهم وإنفاذهم الأحكام في حقّ من كان يُنفذها عليهم كلّ ذلك ببركة الإِسلام:

▫ **قوله ﷺ: لاَ تُغْمَزُ لَهُمْ قَنَاةٌ وَلاَ تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ ...**

غُمز القناة حَبسها باليَد لينظُر هل هي محتاجة للتّقويم والتّعديل فيفعل بها ذلك، والصّفاة الحَجَر الصّلد وقرعها صَدمها لِتُكسَر والمعنىٰ لا تُحبَس لهم القناة والرّمح ولا يُكسَر لهم الحَجَر الصّلد فما ذكره ﷺ كناية عن قوّتهم وقدرتهم بالإِسلام وعدم تمكّن الغير من قهرهم والغَلبة عليهم فهم غالبون علىٰ الأعداء غير مغلوبين لهم وقاهرين علىٰ الأعداء غير مقهورين لهم وهذا هو شأن المُسلم الحقيقي الّذي كفر بالطّاغوت وآمن بالله كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ

١- الاعراف ـ ١٢٨ ٢- القصص ـ ٥

سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١)

الفصل السابع

▫ قوله عليه السلام: اَلاَ وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ وَثَلَمْتُمْ حِصْنَ اللّهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّ اللّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ اَمْتَنَّ عَلَىٰ جَمَاعَةِ هٰذِهِ الأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هٰذِهِ الْأُلْفَةِ الَّتِى يَنْتَقِلُونَ فِى ظِلِّهَا وَيَأْوُونَ اِلَىٰ كَنَفِهَا بِنِعْمَةٍ لاَ يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيمَةً لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ أَعْرَاباً وَبَعْدَ الْمُوَالاَةِ أَحْزَاباً مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ اِلَّا بِأسْمِهِ وَلاَ تَعْرِفُونَ مِنَ الإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ .

تَقُولُونَ النَّارَ وَلاَ الْعَارَ كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا الإِسْلاَمَ عَلَىٰ وَجْهِهِ انْتِهَاكاً لِحَرِيمِهِ وَنَقْضاً لِمِيثَاقِهِ الَّذِى وَضَعَهُ اللّهُ لَكُمْ حَرَماً فِى أَرْضِهِ وَأَمْناً بَيْنَ خَلْقِهِ وَإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ اِلَىٰ غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ ثُمَّ لاَ جَبْرَائِيلُ وَلاَ مِيكَائِيلُ وَلاَ مُهَاجِرُونَ وَلاَأَنْصَارٌ يَنْصُرُونَكُمْ اِلَّا الْمُقَارَعَةَ بِالسَّيْفِ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَكُمْ .

وَإِنَّ عِنْدَكُمْ الأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللّهِ وَقَوَارِعِهِ وَأَيَّامِهِ وَوَقَائِعِهِ فَلاَ تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ جَهْلاً بِأَخْذِهِ وَتَهَاوُناً بِبَطْشِهِ وَيَأْساً مِنْ بَأْسِهِ فَإِنَّ اللّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقَرْنَ الْمَاضِي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمُ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْىَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَلَعَنَ اللّهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي وَالْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاهِي أَلاَ وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الإِسْلاَمِ وَعَطَّلْتُمْ حُدُودَهُ وَاَمَتُّمْ أَحْكَامَهُ.

١- البقرة-٢٥٦

◁ اللغة

(نَفَضْتُمْ) يقال نَفَضت الورقة من الشَّجرة اذا أسقطته (ثَلَمْتُمْ) أي خرقتم، (يَأْوُونَ) أي يَلجأون (خَطَرٍ) بالتَّحريك المنزلة (تُكفِّوا) أي تُقلبُوه يقال كفأت الأناء، قلَّبته.

◁ المعنى

(اَلاَ وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ) وعـزلتم (أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ) للإمـام (وَثَلَمْتُمْ) وكسـرتم (حِصْنَ اللّهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ) أي أعرضتم عن الدِّين وأحكامه واتبعتم سنن الجاهلية (فَإِنَّ اللّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ اَمْتَنَّ عَلَىٰ جَمَاعَةِ هٰذِهِ الْأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ) أي جَعَل وعَهد (بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هٰذِهِ الْأُلْفَةِ) الاسلام حيث قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً﴾[1] (الَّتِي) أي الألفة التي (يَنْتَقِلُونَ) أعني بهِ يتنقلون المُسلمون (فِي ظِلِّهَا وَيَأْوُونَ) ويَتلجأون (إِلَىٰ كَنَفِهَا) وجانبها (بِنِعْمَةٍ لاَ يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيمَةً) لِعظَم قدرها (لِأَنَّهَا) أي النعمة (أَرْجَحُ) وأفضل (مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ) لكونها نعمة معنوية التي لا تقاس بالنعم المَادية (وَأَجَلُّ) وأشرف (مِنْ كُلِّ خَطَرٍ) ومنزلة فهي أعلى المقامات والمنازل (وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ) الى الإسلام (أَعْرَاباً) بأعراضكم عنها (وَبَعْدَ الْمُوَالاَةِ) أي بعد الألفة والإجتماع (أَحْزَاباً) مُختلفة مُتشتة (مَا تَتَعَلَّقُونَ) لا وتتمسكون (مِنَ الْإِسْلاَمِ إِلَّا بِأسْمِهِ).

أي بأسم الإسلام فتقتنعون به (وَلاَ تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ) وظاهره (تَقُولُونَ النَّارَ وَلاَ الْعَارَ) بمعصية اللّه أي تعصون اللّه ولا تعصون الشَّيطان (كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا) وتُقلبوا (الْإِسْلاَمَ عَلَىٰ وَجْهِهِ) وعكسه (انْتِهَاكاً لِحَرِيمِهِ) أي غرضكم من ذلك هتك حُرمة الإسلام (وَنَقْضاً لِمِيثَاقِهِ)

١- آل عمران-١٦٤.

ونقض عهده (**الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ**) وجعله (**لَكُمْ حَرَماً فِي أَرْضِهِ**) وَمنعاً عن معصيته (**وَأَمْناً بَيْنَ خَلْقِهِ**) أي أماناً لهم من شَر الأعداء (**وَإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَى غَيْرِهِ**) أي غير الإسلام بقطع حبله (**حَارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ ثُمَّ لاَ جَبْرَائِيلُ وَلاَ مِيكَائِيلُ وَلاَ مُهَاجِرُونَ وَلاَأَنْصَارٌ يَنْصُرُونَكُمْ**) كما كانوا ينصرون في زمن الرّسُول (**إِلَّا الْمُقَارَعَةَ**) والمُضاربة (**بِالسَّيْفِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ**) وهو خير الحاكمين والحال (**وَإِنَّ عِنْدَكُمْ الْأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ**) وشدّته (**وَقَوَارِعِهِ**) ودواهيه (**وَأَيَّامِهِ**) التّي إنتقم اللّه فيها من الماضين (**وَوَقَائِعِهِ**) التي وَقعت في القرون الخالية من أنواع الشّدائد (**فَلاَ تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ**) أي لا تعدّوها بَطيئاً (**جَهْلاً بِأَخْذِهِ**) ومؤاخذته (**وَتَهَاوُناً بِبَطْشِهِ**) النّاشئ من تأخير وقوعه (**وَيَأْساً مِنْ بَأْسِهِ**) وعذابه (**فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقَرْنَ الْمَاضِي**) أي أهل القرن الماضي (**بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ**) فأن تركتموها فحالكم حالهم اذ حكم الأمثال واحد (**فَلَعَنَ اللَّهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي وَالْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاهِي**).

◁ الشّرح

▫ **قوله ﷺ: الاَ وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ وَثَلَمْتُمْ حِصْنَ اللَّهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ...**

لمّا أمرهم في الفصل السّابق بالإعتبار عن أحوال الماضين شرع في هذا الفصل بذكر ما يُوجب توبيخهم وتقريعهم وأنّهم أخذوا بالأداب والرّسوم الجاهليّة بعد الإسلام نخوةً وتكبّراً منهم وإعراضاً لدينهم الّذي إرتضوه لأنفسهم وتفرّقهم بعد أُلفتهم فقال ﷺ مُخاطباً لهم ألا وأنّكم قد نفضتم أيديكم من حَبل الطّاعة شبّه ﷺ البيعة بالتّراب والطّاعة بالحَبل ووجه الشّبه بينهما ظاهر أمّا الأوّل فلأنّ اليد اذ التّصقت على الأرض يلتصق بها ما فيها من التّراب وغيره اذا حرّكها الإنسان ينفض ويسقط ما فيها من التّراب والغبار كما ورد في حديث التّميم حيث قال ﷺ ثُمّ نَفض يده ومَسَح بها وجهه فالنّفض

إزالة الغبار عنها بتحريكها وهكذا البَيعة للإمام عليه السلام فأنها توجب الإنقياد والطّاعة للمبايع ولا يجوز له خلعها عن ذمّته من غير مُجَوزٍ شرعي فالإنقياد بمنزلة الغبار فَمن نكث عَهده وبيعته كمن أزال الغبار عن يده ولأجل هذا عبّر عليه السلام بالنَفض الّذي هو في اليَد والثّوب وأمثالهما ولم يقل عن أعناقكم مثلاً لأنّ البَيعة أنّما تحصل باليَد لا بغيرها وحيث أنّهم بايعوه بأيديهم ثُمّ لَم يعملوا بمقتضى البَيعة وهو الطّاعة والإنقياد قال عليه السلام: **الاَ وَأَنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ** الخ. وحاصل المعنى أنّكم تركتم العَهد والميثاق الّذي وَجَب عليكم بسبب البَيعة فكأنّكم لَم تَضَعوا أيديكم في يَدي للبَيعة لإسقاطكم لوازمها وأمّا الثّاني فلأنّ الحَبل آلة الوصلة بين الشّيئين لربط أحدهما بالآخر والطّاعة أيضاً كذلك فأنّها سبب إتصال المخلوق بخالقه وإيصاله الى مقام القُرب كما قال عبدي أطعني حتّى أجعَلَك مثلي أو مَثلي فَحُسنُ تشبيهها بالحَبل من هذه الجهة تشبيه المَعقول بالمَحسُوس والمقصود أنّكم قطعتم حَبل الطّاعة الّتي من آثار البَيعة وأنّما قال عليه السلام لهم ما قال بعدم إطاعتهم عنه بل ومخالفتهم له عليه السلام في أوامره ونواهيه كمن لا بَيعة له وقوله عليه السلام: **وَثَلَمْتُمْ حِصْنَ اللّٰهَ** الخ توضيح لما ذكره عليه السلام أوّلاً وحاصله أنّكم ثَلمتم أي قَطعتم حِصن اللّه المضروب عليكم بسبب نبيه بأحكام الجاهلّية شبّه عليه السلام الدّين بالحِصن الحصين الّذي لا ثلمة فيه والمَعصية بالثُلمة فمن عصى اللّه ورسُوله فقَد ثُلم فيه ثلمة ووجه الشّبه أنّ الحِصن سبب الحَفظ من شّر الأعداء والإسلام أيضاً سبب السّلامة من شّر الأعداء النَفسانية والخارجّية وحّر النّار في الآخرة وحيث أنّ عصيانهم أياه عليه السلام بعدم الطّاعة هو عصيان اللّه ورسُوله قال عليه السلام لهم ما قال فأنّ كسر حِصن ولايته عليه السلام هو كسر الإسلام بل هي لبّه وخلاصته وقوله عليه السلام: **بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ** الباء للسّبب والمعنى أنّما دَعتكم الى هذه الثّلمة في حِصن الإسلام نخوة الجَاهلية والعَمل بأحكامها وآدابها:

□ قوله عليه السلام: **فَإِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ قَدْ امْتَنَّ عَلَىٰ جَمَاعَةِ هٰذِهِ الْأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هٰذِهِ الْأُلْفَةِ الَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا وَيَأْوُونَ إِلَىٰ كَنَفِهَا بِنِعْمَةٍ لاَ**

يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيمَةً ...

الظّاهر أنّ الواو في قوله ﷺ: (وأنّ اللّه) لِلحال أي أنتم تفعلون كذا والحال أنّ اللّه تعالىٰ قد مَنّ اللّه علىٰ جماعة هذه الأُمّة من المُسلمين فيما عَقَد بينهم من المَودة والأُلفة حيث قال في كتابه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ، فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1]

و : ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2] ثُمّ أنّ هذه الأُلفة الّتي جَعلها اللّه بين قلوبهم هي الّتي ينتقلون في ظلّها ويأوون ويلجأون الىٰ كنفها وجانبها من شّر الأعداء وذلك لأنّه لا يمكن لهم الخلاص من مكر الأعداء وكيدهم وشّرهم إلّا ببركة الأُلفة والإتّفاق شبّه ﷺ تارة الأُلفة بالشّجرة الّتي لها ظِلّ وشّر الأعداء بحرارة الشّمس فكما أنّ الإنسان المتأذّي من الحرارة يَنتقل الىٰ الظّل ليَستريح كذلك المُسلمون اذا أرادوا الخلاص من حرارة الأعداء وشرورهم لابدّ لهم من الإنتقال الىٰ الأُلفة والتّمسك بحبل اللّه الّتي لا إنفصام لها، وأُخرىٰ شبّهها بالقوّي الّذي يأوي اليه الضّعيف من شّر الظّالم فيقعد في جانبه ويستّمد منه دفع العدّو، والإعتصام بحبل اللّه تعالىٰ كذلك فينبغي لكلّ ضعيف أن يأوي الىٰ كنفِه ويتّمسك بذيل عنايته وحيث أنّ المحبّة والأُلفة بين المُسلمين كانت بهذه المثابة من القَدر والقيمة قال ﷺ لا يعرف أحدٌ من المخلوقين لهما قيمة اذ فيها خَير الدّنيا والآخرة وما كان كذلك لا قيمة لها.

▫ قوله ﷺ: **لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ ...**

أي لأنّ نعمة الأُلفة أرجح كلّ شيٍ لو قيست بالأشياء المَحسُوسة وأجَلّ من

١- آل عمران - ١٠٣ ٢- الانفال - ٦٣

كلّ خطر لو قيست بالمعنويات والعقليّات والوَجه فيه هو أنّ قيمة كلّ شيئ بآثاره المُترتبة عليه سواء كان الشيئ من الماديّات المَحسُوسات كالذّهب والفضة والحديد وأمثالها أو من المعنويات العقليّات كالعلم والقُدرة والشّجاعة والعَدالة وأمثالها فأنّ الشّيئ الموجود مع قطع النَظر عن أثره لا قيمة له ونعني بالأثر الأعمّ من الخارجي والذّهني وحيث أنّ الألفة والمحبّة والإتحاد آثارها في الدّنيا كثيرة من الإستقلال والحرّية والأمنية ودفع الظّلم والظّالم وإحياء كلمة الحقّ وفي الآخرة جليلة عظيمة من الخلُود في الجنّة والوصُول الىٰ مقام القُرب وأمثال ذلك فلا محالة تكون من أعظم الصّفات وأحسَن النّعم الإلٰهية فلا شيئ في العالَم إلّا وهي أرجح منه ولا مقام ولا مَنزلة إلّا وهي أعلىٰ وأشرف منها بل مراتب العِزّ في الدّارين، مُنبعثة ومنشعبةٌ منها كيف وهي حبل اللّه الّتي لا إنفصام لها فَمن تمسّك بها نجىٰ ومن تخَلّف عنها هَلَك وقد جعَل اللّه العِزّ فيها والذّل في ضدّها أعني به الإختلاف:

▫ **قوله ﷺ: وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ أَعْرَاباً وَبَعْدَ الْمُوَالاَةِ أَحْزَاباً...**

قال الرّاغب في المُفردات العَرب ولد إسماعيل والأعراب جمعه في الأصل وصار ذلك إسماً لسّكان البادية والأعرابي في التّعارف صار إسماً للمنسُوبين الىٰ سكّان البادية انتهىٰ.

أقول: وفي الحديث من لَم يتفّقه منكم في الدّين فهو أعرابيّ، بفتح الهَمزة نسبة الىٰ الأعراب وهم سُكّان البادية خاصّة والمعنىٰ أنّكم صِرتم بعد الهجرة الىٰ اللّه أعراباً غير مهاجرٍ وفيه إشارة الىٰ ما ورد في الحديث النّبوي ﷺ لا تَعَرُّبَ بعد الهجرة، ومراده ﷺ أنّكم بعد رجوعكم الىٰ الإسلام وهجرتكم الىٰ اللّه صرتُم ثانياً كأعراب البادية الّذين لا يعرفون معنىٰ الإسلام ومقاصده وأحكامه سوىٰ الشّهادتين. كما قال تعالىٰ: **﴿و قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا لٰكِنْ**

﴿قُولُوا اَسْلَمْنَا وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (١)

فكأنّكم نسيتم ما قاله الرّسول لكم في حياته وما أوصى به بعد مماته أَليس قال لَكم أنّي تارك فيكم الثّقلين كتاب اللّه وعترتي ما أن تمسكّتم بها لن تضّلوا أبداً فأين تَمسّكّكم بالعِترة والسُنّة وأين تَفقّهكم في دينكم ثُمّ قال ﷺ وبعد المُوالاة أحزاباً، أي صرتم بعد موالاتكم للذّين أحزاباً وفرقاً مُختلفة مُتشتّة وقد أمركم اللّه بمُتابعة الرّسُول فقال:﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (٢)

و : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُم تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُوني يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ (٣) واذا كان كذلك فما معنىٰ هذا التّشتت والتّفرق والعناد واللّجاج أَبهذا أَمَركم اللّه ورسُوله أم كنتم مُعرضين.

▫ قوله ﷺ: مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْإِسْلاَمِ إِلَّا بِأَسْمِهِ وَلاَ تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ ...

أوضَحَ ﷺ كلامه السّابق وقال ما تَتعلقُون إلا بأسم الإسلام وهو الشّهادة فقط ولا تعرفون من الإيمان إلّا رَسمه وظاهره وذلك لأنّ الإسلام من السّلم وهو الإنقياد والطّاعة فلَه باطن وظاهر أمّا باطنه فقد ذكرناه وأمّا ظاهره فهو الشّهادة بالوحدانية والرّسالة وحيث قد ثبت في موضعه أنّ اللّفظ لا أثر له إلّا الحكاية عن المعنىٰ فمن تكلّم بالإسلام من غير توجّه الىٰ معناه والإلتزام به فلا يعرف من الإسلام إلّا إسمه وحيث أنّهم كانوا كذلك فقال ﷺ لهم ما قال: وأمّا الإيمان فهو عبارة عن الإعتقاد الجازم القاطع باللّه وبرسُوله وبكلّ ما جاء الرّسُول به من أُمور الدّنيا والأخرة والإقرار باللّسان طبقاً لإعتقاده ثُمّ العَمل بأعضائه وجوارحه لما إعتقد به وأقرّ به فلِلإسلام جزء واحد وهو الإنقياد ولِلإيمان ثلاث أجزاء، الإعتقاد بالقلب والإقرار باللّسان والعَمل بالأركان

١- الحجرات ـ١٤.
٢- الاحزاب ـ٢١.
٣- آل عمران ـ٣١.

ولأجل هذا إختلفوا في أنّ الأجزاء شروط له فيكون بسيطاً أو شطورٌ له فهو مُركّب وأمّا الإسلام فلا خلاف في كونه بسيطاً وذهب بعض المُحقّقين الىٰ أنّ الإسلام بمعناه الواقعي هو الإيمان من غير فرقٍ بينهما، وهذا الكلام يَصَح أن أردنا بالإسلام ما كان مرْضياً عند اللّه وعند رسُوله قولاً وعَملاً وإعتقاداً فأنّ الإسلام بهذا المعنىٰ هو الإيمان واقعاً وأن غايره لفظاً وأمّا الإسلام بمعناه المُصطلح وهو الإقرار بالشّهادتين فقط فلا شك في مغايرته له لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [١] وكيف كان فمراده ﷺ أنّكم لَم تؤمنوا واقعاً بل آمنتم باللّفظ فقط وزعمتم أنّ هذا القدر من الإيمان والإسلام يَكفيكم ولم تعلموا أنّ اللّفظ بما هو هو لا أثر له ولا إعتبار به:

□ قوله ﷺ: **تَقُولُونَ النَّارَ وَلاَ الْعَارَ كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا الإِسْلاَمَ عَلَىٰ وَجْهِهِ انْتِهَاكاً لِحَرِيمِهِ وَنَقْضاً لِمِيثَاقِهِ ...**

أي تقولون إن دخلنا النّار بمعصية اللّه أولىٰ وأحسن لنا من دخول الجنّة وإرتكاب العار في الدّنيا بطاعة اللّه في ترك آداب الجاهلّية ورسُوم الوحْشية والبربّرية وأنّما قال ﷺ ذلك لهم لأنّهم كانوا يرون المُساواة في الإسلام وعدم التّكبر علىٰ الضعفاء عاراً لأنفسهم فعلىٰ مسلكهم كان الأمر يدور مدار العار في الدّنيا والنّار في الأخرة فاختاروا النّار ولم يعلموا أنّ الإتّصاف بالمَلَكات والخلاص من خَبائث الأخلاق ليس من العار بشيٍ بل العار في عكسه وحيث كانوا بهذه الدّرجة من الجهل والحماقة قال ﷺ كأنّكم تريدون أن تكفُوا وتقلّبوا الإسلام علىٰ وَجهه وذلك لأنّكم إخترتم الكِبر علىٰ التّواضع والظّلم علىٰ العَدل والخيانة علىٰ الأمانة ولا شك أنّ ما إخترتموه ضدّ الإسلام وعكسه فتسمّيتكم هذه الخبائث والأرجاس بأحكام الإسلام وتسميتكم أنفسكم بالمُسلمين دليل علىٰ تقليب الإسلام علىٰ وجهه وليس ذلك إلّا إنتهاكاً لحَريم الإسلام ونقضاً لِميثاقه وقد قال اللّه تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ

١- الحجرات ١٤.

وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (١)

و : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً﴾ (٢)

وأنّما قال ﷺ لهم بهذه المقالة لأنهم كانوا بزعمهم من المُسلمين وأمّا أعمالهم كانت علىٰ خلاف الإسلام وهذا هو الدّاء الّذي لا دواء له والدّاهية التّي إنكسرت بها أساس الدّين وإرتفعت بها قوائم الشّرك والنّفاق في لباس الإسلام وبها هَلَك من هَلَك من العَوام والجُهال الّذين لا يعلمون حقيقة الحال وانّي أعلم علماً قطعياً لا أشك فيه أصلاً أنّ الّذي إنكسر به ظَهر الإسلام وجَعَله منفوراً مَطروداً في أنظار المُخالفين وصار سَبباً للإنتقادات والإشكالات التّي لا مُحصّل لها واقعاً هو النّفاق وأعمال المُنافقين ولو لا ذلك لما إحتاج الإسلام الىٰ تبليغ أو تشريح أبداً اذ عمل المُسلم الحقيقي أدّل دليل علىٰ حقّانيته وأحسن طريقٍ في الوصُول الىٰ كُنهه وآنيته فأنّ المَحسُوس مُقدمٌ علىٰ المعقول فالتكّلم بالإسلام والتّظاهر به اذا لم يكن مُوافِقاً لِلعَمل في الخارج لا أثر له إلّا مَعكُوساً وهو تقليب الإسلام

□ **قوله ﷺ: الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ لَكُمْ حَرَماً فِي أَرْضِهِ وَأَمْناً بَيْنَ خَلْقِهِ ...**

الظّاهر أنّ الموصول مَتعلم بالميثاق أي الميثاق الّذي وَضَعه الله لكم حرماً في أرضه وأمناً بين خلقه وعليه فالميثاق له أثران أحدهما كونه حَرَماً في الأرض وثانيهما كونه سبباً لِلأمن من شّر شياطين الإنس والجّن بين خلقه ولا يبعد أن يكون المَوصول مَتعلقاً بالإسلام والتّقدير تريدون أن تكفئوا الإسلام الّذي وَضَعه الله لكم حَرَماً الخ.

وعليه فالمعنىٰ أنّ الإسلام يكون كذا وكذا وأظنّ أنّ هذا أولىٰ وأحَسن من الأوّل فأنّ الوصفين المذكورين قد ثبتا لِلإسلام لا لِلميثاق فأنّه لا يكون حَرَماً ولا أَمناً اللّهم إلّا أن يقال بأنّ المراد به ليس معناه المَعهُود المُصطلح بين النّاس بل المراد هو الميثاق الدّيني الّذي ثبت بين الخالق والمخلوق فأنّ الميثاق بهذا

١- البقرة ـ ٢٧ ٢- النحل ـ ٩٢

المعنىٰ هو الإسلام ووجه الأوّلوية فيما إحتملناه من كون الموصُول لِلإسلام هو الغِنىٰ عن هذه التكلّفات مع وحَدة المَرجع والمآل.

▫ قوله ﷺ: **وَإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَىٰ غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ ثُمَّ لاَ جَبْرَائِيلُ وَلاَ مِيكَائِيلُ وَلاَ مُهَاجِرُونَ وَلاَأَنْصَارٌ يَنْصُرُونَكُمْ إِلَّا الْمُقَارَعَةَ بِالسَّيْفِ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ ...**

أي أنّكم أن لجأتم الىٰ غير الإسلام من الأديان وغيرها في إصلاح أُموركم حاربكم أهل الكُفر لا محالة وذلك لأنّهم أرادوا ليُطفئوا نور اللّه ولا شك أنّ العَدّو ينتظر الفُرصة واذا حاربكم فلا ناصر لكم من جبرئيل وميكائيل والمُهاجرين والأنصار كما نَصروا المُسلمين في غزوة بَدر وغيرها واذا كان كذلك فلا يكون بينكم وبين أهل الكُفر إلّا المقارعة بالسّيف والمُضاربة به حتّىٰ يحكم اللّه بينكم وبينهم وهو خير الحاكمين وفي ذلك بلاء من ربّكم عظيم ضرورة أنّه يُوجب العداوّة والبَغضاء بينكم والذّلة والحقارة فيكم وتسلّط الأعداء عليكُم وليس هذا إلّا لأجل قطعكم حَبل اللّه المَتين وإعراضكم عن الدّين إلتجائكم الىٰ المُشركين وقد قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ (١)

أقول، ما ذكره ﷺ حقّ لا مريّة فيه وذلك لأنّ المُسلمين في أقطار العالم مع كثرتهم صاروا كالعبيد للكُفّار يحكمون عليهم بما يشاؤن ويفعلون بهم ما يريدون وأعجب من هذا كلّه تسلط اليهود في فلسطين علىٰ المُسلمين وإخراجهم عن بلادهم وبيوتهم وتصّرف الكُفّار مزارعهم وأراضيهم وقتلهم ونهب أموالهم وهتك أعراضهم وغير ذلك من الأُمور الشّنيعة التّي يستحي القلم عن تحريره ويعجز البيان عن إظهاره مع أنّ عدّة المُسلمين في العالم لا تُقاس باليهود في الكثرة والثّروة والتّجهيزات وليس هذا إلّا لإعراضهم عن الإسلام وعدم العَمل بأحكامه فيَدعُون ولا يُستجاب لهم وينتصرون ولا ناصر

١- طه. ١٢٤.

لهم لا جبرائيل ولا ميكائيل ولا المهاجر ولا الأنصار فيقولون أين قوله عليه السلام الإسلام يَعلو ولا يُعلىٰ عليه، ولم يعلموا أنّ علّو الإسلام مشروط بنصرة المُسلمين لدينهم والعَمل بأحكامه كماقال تعالىٰ: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ﴾ (١)

و: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢)

▫ قوله عليه السلام: وَإِنَّ عِنْدَكُمْ الْأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللّٰهِ وَقَوارِعِهِ وَأَيَّامِهِ وَوَقَائِعِهِ ...

أي كيف يكون كذلك والحال أنّ عندكم الأمثال التي ضرب الله بها لكم في كتابه كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ آياتٍ مُبَيِّناتٍ وَمَثَلاً مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٣)

و: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَساكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنا بِهِمْ وَضَرَبْنا لَكُمُ الْأَمْثالَ﴾ (٤)

و: ﴿وَعاداً وَثَمُودَ وَأَصْحابَ الرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذٰلِكَ كَثِيراً، وَكُلاًّ ضَرَبْنا لَهُ الْأَمْثالَ وَكُلاًّ تَبَّرْنا تَتْبِيراً﴾ (٥) وغيرها من الآيات.

وأنما ذكر الله تعالىٰ هذه الآيات لِلإعتبار فإعتبروا بها كما قال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٦)

و: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ﴾ (٧) ثمّ ذكر عليه السلام من الأمثال المذكورة في الكتاب أُموراً أربعة، أحدها بأسه تعالىٰ، وثانيها قوارعه، وثالثها أيامه ورابعها وقائعه وكلمة (من) للتَّبعيض أن كانت الأربعة المذكورة بعض الأمثال، وللتّبيين أن كانت الأمثال مُنحصرة فيها وكيف كان فقوله عليه السلام من بأس الله إشارة الىٰ قوله تعالىٰ حيث قال: ﴿وَاللّٰهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً﴾ (٨)

و: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها فَجاءَها بَأْسُنا بَياتاً أَوْ هُمْ قائِلُونَ﴾ (٩)

١- محمد ـ ٧
٢- آل عمران ـ ١٣٩
٣- النور ـ ٣٤
٤- ابراهيم ـ ٤٥
٥- الفرقان ـ ٣٩
٦- الحشر ـ ٢١
٧- العنكبوت ـ ٤٣
٨- النساء ـ ٨٤
٩- الاعراف ـ ٤

و: ﴿اوَأَمِنَ أهلُ القُرىٰ انْ يَاتِيَهُم باسُنَا ضُحىً وَ هم يلْعَبُونَ﴾ (١)

و: ﴿وَ لا يُرِدُّ بَأْسُنا عَنِ القَومِ المُجْرِمِينَ﴾ (٢)

وقوله عليه السلام: وَقَوَارِعِهِ، إشارة الىٰ قوله تعالىٰ:﴿وَلا يَزالُ الّذينَ كَفَرُوا تُصيبُهُمْ بِما صَنَعُوا قارِعَةٌ﴾ (٣)

و: ﴿اَلْقارِعَةُ مَا القارِعَةُ وَما اَدْرٰيكَ مَا القارِعَةُ﴾ (٤)

وقوله عليه السلام: وَأَيَّامِهِ إشارة الىٰ قوله تعالىٰ حيث قال:﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ اِلاّمِثْلَ الّذينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا اِنّى مَعَكُمْ مِنَ المُنْتَظِرينَ﴾ (٥)

و: ﴿فَاَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ ريحاً صَرْصَراً فى اَيّامٍ نَّحِساتٍ﴾ (٦)

وقوله عليه السلام: وَوَقَائِعِهِ إشارة الىٰ قوله تعالىٰ:﴿إذا وَقَعَتِ الْواقِعَةُ لَيْسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَةٌ﴾ (٧)

و: ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ (٨)

و: ﴿وَوَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ بِما ظَلَمُوا فَهُمْ لا يَنْطِقُونَ﴾ (٩) فيصير حاصل المعنىٰ اعتبروا من بأس اللّه وقوارعه وأيّامه ووقائعه لئلا تقعوا فيها كما وقع فيها من كان قبلكم من الظّالمين الغافلين عن بأسه وعذابه فوقعوا فيها ولم يتّمكّنوا من الخلاص عنها فقُطع دابر القوم الّذين ظلمُوا والحمد لِللّه ربّ العالمين:

□ قوله عليه السلام: وَأَنَّ عِنْدَكُمْ الْأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللّٰهِ وَقَوَارِعِهِ وَأَيَّامِهِ وَوَقَائِعِهِ فَلاَ تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ جَهْلاً بِأَخْذِهِ وَتَهَاوُناً بِبَطْشِهِ وَيَأْساً مِنْ بَأْسِهِ ...

أي لا تعدّوا وعيده بَطيئاً بعيداً بل هو قريب وأنّما يكون مَنشأ إستبطائكم وعيده جهلكم بمؤاخذته وتهاونكم وتسّاهلكم ببَطشه وعذابه ويأسكم عن بأسه وشِدّته فهذه الأمور هي الّتي أوقعتكم في الغفلة وبعبارةٍ أُخرىٰ لو أَمهَلكم اللّه في الدّنيا أيّاماً فلا تَغترّوا بها ولا تَغفلُوا عن عذابه فأنّ اللّه تعالىٰ صادق في

١- الاعراف ـ ٩٨
٢- يوسف ـ ١١٠
٣- الرعد ـ ٣١
٤- القارعة ـ ١
٥- يونس ـ ١٠٢
٦- فصلت ـ ١٦
٧- الواقعة ـ ١
٨- الاعراف ـ ٧١
٩- النمل ـ ٨٥

وعده ووعيده وهو ذو القُوّة المَتين والبأس الشّديد وأنّه لبالمرصاد ولا يخلف الميعاد أليسَ اللّه تعالىٰ يقول في كتابه: ﴿وَلٰكِنْ يُؤاخِذُكُمْ بِمٰا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾(١)

و: ﴿لَوْ يُؤاخِذُهُمْ بِمٰا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذٰابَ﴾(٢)

و: ﴿فَأَخَذْنٰاهُمْ بِالْبَأْسٰاءِ وَالضَّرّٰاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾(٣)

و: ﴿فَأَخَذْنٰاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنٰاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾(٤)

و: ﴿فَعَصىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنٰاهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾(٥)

و: ﴿حَتّٰى إِذٰا فَرِحُوا بِمٰا أُوتُوا أَخَذْنٰاهُمْ بَغْتَةً فَإِذٰا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾(٦)

وقوله عليه السلام: وَتَهَاوُناً بِبَطْشِهِ إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنٰا فَتَمٰارَوْا بِالنُّذُرِ﴾(٧)

و: ﴿إنّ بطش ربّك لشديد﴾(٨)

و: ﴿فَأَهْلَكْنٰا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشاً وَمَضىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾(٩)

و: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنٰا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً﴾(١٠)

و: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرىٰ إِنّٰا مُنْتَقِمُونَ﴾(١١)

وقوله عليه السلام: وَيَأْساً مِنْ بَأْسِهِ فقد مرّت الآيات الواردة في البأس، ومع هذه الآيات كيف تصّح الغفلة عن وعيده بـمُجرد الإستبطاء النّاشي عن إمهاله الظّالمين.

▫ قوله عليه السلام: **فَإِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقَرْنَ الْمَاضِي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَلَعَنَ اللّٰهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي وَالْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاهِي ...**

أي كان سبب لعن الماضين منكم علىٰ لسان اللّه تعالىٰ هو تركهم هذين

١- البقرة ـ ٢٢٥
٢- الكهف ـ ٥٨
٣- الانعام ـ ٤٢
٤- القصص ـ ٤٠
٥- سورة المزمل ـ ١٦
٦- الانعام ـ ٤٤
٧- القمر ـ ٣٦
٨- الروم ـ ١٢
٩- الزخرف ـ ٨
١٠- ق ـ ٣٦
١١- الدخان ـ ١٦

الواجبين الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر كما قال اللّه في كتابه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَ الْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾(١) وذلك لأنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر هو إظهارهما فَمن لَم يُظهِرهما فهو تارك لهما لا محالة وقوله ﷺ: فَلَعَنَ اللّٰهُ السُّفَهَاءَ، الخ إشارة الىٰ أنّ علّة لَعِن السّفهاء هو ركُوبهُم المَعاصي والإتيان بها وعلّته في الحلماء تركهم المنْهيات والمراد بالحُلماء العقلاء فأنّ النّاس علىٰ ضَربين عاقل وغير عاقل وبعبارةٍ أُخرىٰ عالم وجاهل ولا بأس بالإشارة الىٰ بعض ما ورد في الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر من الآيات والأخبار لأنّهما من أهمّ الواجبات ولا سيّما في زماننا هذا الّذي شاع فيه المُنكر وقَلَّ فيه المعْروف فنقول:

اعلم أنّ المَعروف إسم مفعول من عرف يعرف وأصل العرفان إدراك الشّيْ بتفكرٍ وتَدّبرٍ لأثره وهو أخصّ من العلم ويضادّه الإنكار يقال فلانٌ يعرف اللّه ولا يقال يعلم اللّه وذلك لأنّ معرفة البَشَر له تعالىٰ تحصل بتَدَبرِ آثاره دون إدراك ذاته ويقال اللّه يعلم كذا ولا يقال يعرف كذا والحاصل أنّ المعرفة تُستعمل في العلم القاصر المتَوصل به بتفكرٍ وأصله من عَرفتُ أي أصبت رائحته وعَرفه أو من أصبت عَرفه أي خَدّه:

والمُنكر إسم مفعول من أَنكَر يَنكُر إنكاراً وهو ضدّ المعرفة المعروف كما مَرَّ هذا بحسب اللّغة وأمّا في الإصطلاح فالمَعرُوف إسم لكلّ فعلٍ يُعرف حُسنه بالعقل أو الشّرع والمُنكر ما ينكر بهما اذا عرفت معناهما لغةً وإصطلاحاً فنقول:

أنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر من الواجبات الشّرعية بل أهمّها وأعظَمها وأشرَفها بلا خلاف في ذلك بين المُسلمين كتاباً وسنّةً وإجماعاً وعقلاً:

أمّا الكتاب فلقوله تعالىٰ حكاية عن لقمان: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ

١- البقرة - ١٥٩

بِالمَعْرُوفِ وَانْهُ عَنِ المُنكَرِ﴾(١)

و: ﴿كُنْتُمْ خَيرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾(٢)

و: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ اُمَّةٌ يَدْعُونَ اِلىَ الْخَيْرِ وَ يَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ اُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٣)

و: ﴿وَ اَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾(٤) والآيات كثيرة.

ومن السّنة، فعن الباقر عليه السلام الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر خلقان من خلق اللّه فَمن نصرهما نَصره اللّه ومن خذلهما خَذَله اللّه انتهىٰ...

وقال الصّادق عليه السلام ويلٌ لقومٍ لا يدينُون اللّه بالأمر بالمعرُوف والنّهي عن المُنكر انتهىٰ...

وقال عليه السلام – جاء رجل من خَثعم الىٰ رسُول اللّه صلى الله عليه وآله فقال يا رسُول اللّه أخبرني ما أفضل الإسلام قال صلى الله عليه وآله الإيمان باللّه قال ثُمّ ماذا قال صلى الله عليه وآله صلة الرّحم، قال ثُمّ ماذا قال صلى الله عليه وآله الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر قال الرّجل أي الأعمال أبغض الىٰ اللّه قال صلى الله عليه وآله الشّرك باللّه قال ثُمّ ماذا قال قطيعة الرّحم قال ثُمّ ماذا قال الأمر بالمُنكر والنّهي عن المعرُوف انتهىٰ...

وعن الرّضا عليه السلام قال كان رسُول اللّه صلى الله عليه وآله يقول اذا أُمّتي تواكلت الأمر بالمعرُوف والنّهي عن المُنكر فلتأذن بوقاعٍ من اللّه تعالىٰ انتهىٰ...

وعن محمد ابن عرفة قال سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول لتأمرن بالمعروف ولتنّهين عن المُنكر أو ليستّعملن عليكم شراركم فيدعوا خياركم ولا يُستجاب لهم انتهىٰ...

وروي عن النّبي صلى الله عليه وآله أنه قال لا يزال النّاس بخيرٍ ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المُنكر وتعاونُوا علىٰ البّر فاذا لَم يفعلوا ذلك نزعت منهم البَركات وسَلّط بعضهم علىٰ بعضٍ ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السّماء

١- لقمان-١٧
٢-آل عمران-١١٠
٣-آل عمران-١٠٤
٤-الحج-٤١

انتهىٰ «مشكاة الأنوار ص – ٤٨ الىٰ ٥١»...

والأحاديث كثيرة في الباب جداً وأمّا الإجماع علىٰ وجوبهما من العامّة والخاصّة لا خلاف فيه أصلاً فلا حاجة الىٰ ذكر موارده وأمّا العقل، فلأنّ الأمر بالمعرُوف يوجب إشاعة المعروف في الإجتماع كما أنّ النّهي عن المُنكر يوجب زوال القبائح والفساد وإنعدامها في النّاس ولا شك أنّ شيوع المعرُوف خير من شيُوع المُنكرات لكون المعروف من العَدل والمنكر من الظّلم وقد ثبت أنّ العقل مستقل بحسن العَدل وقبح الظّلم ولهذا قيل أنّهما من المستّقلات العقلّية وأن شئت قلت أنّ العقل يحكم بحسن المعروف وقبح المنكر وهذا مِمّا لا شك فيه وكلّ ما هو حَسَنٌ في ذاته حَسَنٌ الأمر به وكلّما هو قبيح في ذاته فالأمر به أو عدم النّهي عنه قبيح في ذاته فالأمر به أو عدم النّهي عنه قبيح وهو ظاهر ولأجل هذا أي تطابق العقل والشّرع علىٰ وجوبهما أنّ الله تعالىٰ قد أنعَم علىٰ أمّة مُحمّد ﷺ بأن جَعَلهم آمرين بالمعروف ناهين عن المُنكر ووَصَفهم بذلك في كتابه وأثنىٰ عليهم حيث قال: **كُنتُمْ خَيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**» (١)

وذمّ قوماً وعابهم وقبح فعلهم وأوعَدهم أشد العذاب بتركهم الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر والأخذ علىٰ الظّالم فقال تعالىٰ: «**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ذَالِكَ بِمَا عَصَوا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ/ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**» (٢) وفقنا الله وأيّاكم بهما إنشاء الله تعالىٰ أمّا الكلام في شرائطهما فَموكولٌ الىٰ موضعٍ آخر ولنكتفي بذكر روايةٍ واحدة فأنّ الميسُور لا يُترك بالمعسُور (روي سعدة ابن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام قال سُئل عن الأمر بالمَعروف والنّهي عن المُنكر أواجبٌ هو علىٰ هذه الأمّة جميعاً قال عليه السلام لا، فقيل ولِمَ، قال عليه السلام **أنّما هو علىٰ القوّي المُطاع العالم بالمعروف من المُنكر لا علىٰ الضّعفة الّذين لا يهتدون**

١- آل عمران - ١١٠

٢- المائدة - ٧٩/٧٨

سبيلاً الىٰ أي من أي يقول من الحقّ الى الباطل والدّليل علىٰ ذلك كتاب اللّه قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (١) فهذا خاصّ غير عامّ كما قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (٢) ولَم يقل علىٰ أُمّة موسىٰ ولا علىٰ كلّ قومه وهم يومئذٍ أُمَم مُختلفة والأُمّة واحد فصاعداً كما قال اللّه عزّ وجلّ: (أنّ إبراهيم كان أُمّة قانتاً لِلّه) يقول مُطيعاً لِلّه وليس علىٰ من يعلم ذلك في الهزمة من حَرج اذا كان لا قوّة له ولا عدد ولا طاعة انتهىٰ «مشكاة الأنوار ص ٥٠»...

فقوله ﷺ: فَلَعَنَ اللّهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي إشارة الىٰ إرتكابهم المُنكرات وإستحقاقهم اللّعن به وأنّ المَعصية توجبه وقوله ﷺ: وَالْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاهِي ، إشارة الىٰ تركهم الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر وذلك لأنّ تركهما كاشف عن الرّضا به ومن رضي بفعل قومٍ فهو منهم فالتارك عن نهي المُنكر مع وجُود شرائطه كفاعله ولأجل هذا يستَحق اللّعن كما أنّ تارك الأمر بالمعرُوف كذلك يستَحق اللّعن:

فقد روي عن جابر عن أبي جعفر ﷺ قال: أوحىٰ اللّه تعالىٰ الىٰ شعيب النّبي أنّي معذّب من قومك مِائة ألف، أربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفاً من خيارهم فقال ياربّ هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار فأوحىٰ اللّه عزّ وجلّ اليه داهَنُوا أهل المعاصي فلم يَغضبوا الغَضبي انتهىٰ «مشكاة الأنوار ص ٥١»...

□ قوله ﷺ: أَلاَ وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الإِسْلاَمِ وَعَطَّلْتُمْ حُدُودَهُ وَأَمَتُّمْ أَحْكَامَهُ ...

وصَفهم بأوصاف ثلاثة كلّها يُنافي الإِسلام أحدها قَطعتم قيد الإِسلام ووصلهم قيد الشّرك والنّفاق ومتابعة الشّيطان، وثانيهما تعطيلهم حدوده وثالثها إماتَتهم الأحكام بعدم العَمل بها ومن كان كذلك فحاله مَعلوم ومن جملة الأحكام المَتروكة عندهم الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر فأنّ إماتة

١- آل عمران ـ١٠٤ ٢- الاعراف ـ١٥٩

الحكم عبارة عن عدم العَمل به كما أنّ إحياؤه العَمل به:

الفصل الثّامن

▫ قوله ﷺ: أَلاَ وَقَدْ أَمَرَنِيَ اللّهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالنَّكْثِ وَالْفَسَادِ فِي الأَرْضِ فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ وَأَمَّا الْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ وَأَمَّا شَيْطَانُ الرَّدْهَةِ فَقَدْ كُفِيتُهُ بِصَعْقَةٍ سُمِعَتْ لَهَا وَجْبَةُ قَلْبِهِ وَرَجَّةُ صَدْرِهِ وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ وَلَئِنْ أَذِنَ اللّهُ فِي الْكَرَّةِ عَلَيْهِمْ لأُدِيلَنَّ مِنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَشَذَّرُ فِي أَطْرَافِ الْبِلادِ تَشَذُّراً!

أَنَا وَضَعْتُ فِي الصِّغَرِ بِكَلاكِلِ الْعَرَبِ وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَىٰ صَدْرِهِ وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ وَلاَ خَطْلَةً فِي فِعْلٍ وَلَقَدْ قَرَنَ اللّهُ بِهِ ﷺ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ وَمَحَاسِنَ أَخْلاَقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ اثَرَ أُمِّهِ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلاَقِهِ عَلَماً وَيَأْمُرُنِي بِالاقْتِدَاءِ بِهِ وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ فَأَرَاهُ وَلاَ يَرَاهُ غَيْرِي. وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الإِسْلاَمِ غَيْرَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا أَرَىٰ نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ.

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ ﷺ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللّهِ مَا هٰذِهِ الرَّنَّةُ فَقَالَ هٰذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَىٰ مَا أَرَىٰ إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ وَلٰكِنَّكَ لَوَزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَيْرٍ.

◁ اللغة

(النَّكْثِ) نقض العَهد (دوَّختُ) أي أضعَفت وذَلَّلتُ (الرَّدْهَةِ) وزان الثّمرة حُفرة في الجبل يجتمع فيها الماء (بِصَعْقَةٍ) صَعق صعقاً وصعقةً غشي عليه (وَجْبَةُ) وزان ثَمرة إضطراب القلب وخفقانه (رِجّة) رجّة الصّدر إهتزازه وإرتعاده (لأديلَّن) متكلم وحَدة من أدال يُديل اذا أمحَق والمعنىٰ لأمحقنّهم (بِكَلاكِلِ) الكلاكل الصّدور عبّر بها عن الأكابر (نَوَاجِمَ) جمع ناجمة من نجم الشّيَ أي طلَع (عَرْفَهُ) بالفتح رائحته الزّكية (خَطْلَةً) واحدة الخَطَل كالفرخة واحدة الفرخ وهو الخفّة والسّرعة والكلام الفاسد الكثير فهو خطل أي أحمق عَجل (الْفَصِيلِ) ولد النّاقة (بحراء) حراء بكسر الرّاء جبل علىٰ القرب من مكّة (رّنَة) رَنَّ يرَن رنيناً أي صاح ورَنَّ اليه أصغىٰ اليه:

◁ المعنىٰ

(الاَ وَقَدْ أَمَرَنِيَ اللّهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغِي) معاوية وأصحابه (وَالنَّكْثِ) أصحاب الجَمل (وَالْفَسَادِ فِي الأَرْضِ) وهم المارقُون (فَأَمَّا النَّاكِثُونَ) من أصحاب الجَمَل (فَقَدْ قَاتَلْتُ) معهم (وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ) معاوية وأصحابه (فَقَدْ جَاهَدْتُ) معهم في صفّين (وَأَمَّا الْمَارِقَةُ) أصحاب النّهروان (فَقَدْ دَوَّخْتُ) أي أضعفتهم وذلّلتُهم (وَأَمَّا شَيْطَانُ الرَّدْهَةِ فَقَدْ كُفِيتُهُ) أي كفاني اللّه من شره (بِصَعْقَةٍ سُمِعَتْ لَهَا وَجْبَةُ قَلْبِهِ) واضطرابه (وَرَجَّةُ صَدْرِهِ) أي إهتزازه وإرتعاده (وَبَقِيَتْ) بعد هؤلاء (بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ) والجَور والمراد بقيّة أصحاب معاوية (وَلَئِنْ أَذِنَ اللّهُ فِي الْكَرَّةِ) والرّجوع (عَلَيْهِمْ) بالقتال (لاَءُدِيلَنَّ مِنْهُمْ) أي لأمحِقنّهم قطعاً فيكون الدّولة والغلبة لي عليهم (إِلَّا مَا يَتَشَذَّرُ) منهم (فِي أَطْرَافِ الْبِلادِ تَشَذُّراً) ويتفرق في أطرافها تفرّقاً:

(أَنَا وَضَعْتُ فِي الصِّغَرِ بِكَلاكِلِ الْعَرَبِ) من أشراف العرب وساداتهما الّذين قتلتهم في صدر الإسلام (وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ) وهُما

و : ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ (١)

و : ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ (٢)

و : ﴿وَ قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَيُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (٣)

و : ﴿وَ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ (٤) فهذه الآيات ونظائرها كما ترىٰ تُنادي بوجُوب القتال مع المُنافقين والمُفسدين والكُفّار والمُشركين وبالجُملة كلّ من أراد إطفاء نُور اللّه تعالىٰ ولأجل هذا قاتلهم بأمرِ اللّه تعالىٰ وهذا هو المراد بالأمر في كلامه عليه السلام فقد أمرني اللّه:

وثانيهما: أن يكون المراد بأمره تعالىٰ في المقام أمر الرّسُول صلى الله عليه وآله أيّاه بقتالهم ولا شك أنّ أمره أمر اللّه ونهيه نهيه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحيٌ يُوحىٰ﴾ (٥) وعليه فالمعنىٰ أمرني اللّه بواسطة رسُوله صلى الله عليه وآله والأخبار بذلك عن الرّسُول كثيرة:

منها – ما رواه في البحار بأسناده عن الرّضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله لأُمّ سَلَمة إشهدي علىٰ أنّ عليّاً يُقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين انتهىٰ...

منها – ما رواه بأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام عن أبيه قال بَعَث اللّه مُحمّداً بخَمسة أسياف ثلاثة منها شاهرة وسيف منها مكفوف وسيفٌ منها سلّة الىٰ غيرنا وحكمه اليه ثُمّ قال عليه السلام وأمّا السّيف المَكفُوف فسيف علىٰ أهل البغي والتّأويل قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَ إِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَيهُمَا عَلَى الْأُخْرىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾ (٦)

فلما نَزلت هذه الآية قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله أنّ منكم من يقاتل بعدي علىٰ التّأويل كما قاتلت علىٰ التّنزيل فسُئِل النّبي من هو فقال صلى الله عليه وآله خاصف النّعل يعني أمير المؤمنين فقال عمّار بن ياسر قاتلت بهذه الرّاية مع النّبي ثلاثاً

١- النساء ـ ٧٦   ٢- التوبة ـ ١٠

٣- التوبة ـ ٢٩   ٤- البقرة ـ ١٩٢ الانفال ـ ٣٩

٥- النجم ـ ٤   ٦- الحجرات ـ ٩

◁ **الشّرح**

▫ قوله عليه السلام: **اَلاَ وَقَدْ أَمَرَنِيَ اللّهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالنَّكْثِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ...**

البغي الفساد وأصل البغي الحَسد ثُمَ سُمّي الظّلم بغياً لأنّ الحاسد ظالم، قال اللّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾[1] أي فسادكم وظلمكم وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾[2]

و: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾[3] ثُمّ أنّ المراد بأهل البغي في كلامه عليه السلام هو معاوية وأصحابه والدّليل عليه قوله صلى الله عليه وآله لعمّار تقتلك الفئة الباغية ولا شك أنّ عمّار قُتِل بصفّين قتله أهل الشّام وأمّا النّاكثين فهم أصحاب الجَمَل لنكثَهم ونَقضهم عهده وبيعته وأمّا الفساد في الأرض فالظّاهر أنّ المراد بهم أصحاب الخوارج وقوله عليه السلام قد أمر اللّه، إشارة بل تصريح منه عليه السلام بأنّ قتاله مع هؤلاء كان بأمرٍ من اللّه تعالىٰ لا من عِند نفسه بحيث لو لم يقاتل هؤلاء كان عاصياً ضرورة أنّ ترك المأمور به معصيته فكان القتال واجباً عليه كغيره من الواجبات الشّرعية واذا كان كذلك فَنحكُم بكُفر القاسطين والنّاكثين والمارقين فأنّ مَن أمَر اللّه تعالىٰ بقتلِه لا يكون إلّا مُرتداً عن دينه ولقول الرّسول صلى الله عليه وآله مُحاربوا علّي كَفَرة وقوله صلى الله عليه وآله يا علّي حَربك حَربي وسِلمُك سِلمي وغير ذلك من الأحاديث التّي سيأتي الكلام فيها ثُمّ أنّ الأمر الّذي أشار عليه السلام اليه في كلامه يُتَصور علىٰ قسمين.

أحدهما: أن يكون المراد به ما أشار اليه في القرآن حيث قال: ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾[4] وهؤلاء الفرق الثّلاثة كانوا باغين فكان علّي عليه السلام مأموراً بقتالهم بصريح الآية وهو ظاهر وقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾[5]

١- يونس ـ ٢٣
٢- الانعام ـ ١٤٦
٣- النحل ـ ٩٠
٤- الحجرات ـ ٩
٥- البقرة ـ ١٩١

فلا مجال للشّك فيما ذكرناه من أنّ المراد به ذو الثّدية والأمر سَهل بعد وضوح المقصود.

▫ قوله عليه السلام: **وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ وَلَئِنْ أَذِنَ اللّهُ فِي الْكَرَّةِ عَلَيْهِمْ لَأُدِيلَنَّ مِنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَشَذَّرُ فِي أَطْرَافِ الْبِلادِ تَشَذُّراً...**

تخصيصه البقية بأهل البغي أعني معاوية وأصحابه مشعر بأنّه لم يبق من الناكثين والمارقين بقيّة وهو كذلك فأنّ حَرب الجَمَل والنّهروان قد تمّت وأمّا حرب صفّين فانّجر الحكم فيها بالتّحكيم وذلك بسبب رفع المَصاحف على رؤوس الأسنان وحيث أنّ أمير المؤمنين لم يَرض بالتّحكيم أوّلاً وبعدول الحَكَمين عن الكتاب والسّنة ثانياً فكان الأمر كما كان ولذلك قال عليه السلام: **وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ** وقوله عليه السلام: **لَئِنْ أَذِنَ اللّهُ فِي الْكَرَّةِ عَلَيْهِمْ** الخ ليس معناه التّزلزل والإضطراب في الحَرب بل المراد لو أمهَلني اللّه تعالىٰ ووفّقني في الرّجوع عليهم فقوله عليه السلام: **لَئِنْ أَذِنَ اللّهُ** بمنزلة لو شاء اللّه وأراد، لأديلّن منهم.

أي لأمحَقنّهم ثُمّ جعل الدّولة لغيرهم يقال أدال اللّه بني فلان من عدوهم جَعل الكرّة لهم عليه وقوله عليه السلام: **إِلَّا مَا يَتَشَذَّرُ فِي أَطْرَافِ الْبِلادِ** وفي بعض النّسخ في أطراف الأرض تشّذراً أي لو رَجَعتُ اليهم لأمحَقنّهم إلّا من شَذ منهم مِمّن فرّ في أطراف البلاد وهو قليل.

▫ قوله عليه السلام: **أَنَا وَضَعْتُ فِي الصِّغَرِ بِكَلاكِلِ الْعَرَبِ وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ ...**

ثُمّ شرع بذكر بعض أوصافه المُختَصّة به وعدّ منها قتله وإذلاله للكلاكل والشّجعان وهو ممّا لا يحتاج الىٰ مزيد بيان لكونه أظهر من الشّمس وأَبيَن من الأمس فهو عليه السلام قتل عمرو بن عبد ودّ والمرحب الخيبري والوليد وشيبة وعُتبة وحنظلة ابن سفيان وغيرهم من أبطال العرب ولنذكُر لك نموذجاً من شجاعته عليه السلام وتفصيلها يُطلَب من التّواريخ فنقول:

وصَف اللّه تعالىٰ أصحاب مُحمّد صلى الله عليه وآله فقال والّذين معه أشدّاء علىٰ الكفّار

وهذه الرّابعة وأنّه لو ضربونا حتّىٰ بلغوا بنا السّعفات من هجرٍ لعلمنا أنّا على الحقّ وأنّهم على الباطل «الخبر ج ٨ ص ٤٥٤ و ٤٥٥»...

وقد روي في البحار أحاديثاً لا يَسعنا ذكرها أن شئت فراجعه فقد ثبت أنّه كان مأموراً من اللّه ورسُوله بقتالهم وهذا معنىٰ قوله عليه السلام قد أمرني اللّه...

□ قوله عليه السلام: **فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ وَأَمَّا الْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ وَأَمَّا شَيْطَانُ الرَّدْهَةِ فَقَدْ كُفِيتُهُ بِصَعْقَةٍ سُمِعَتْ لَهَا وَجْبَةُ قَلْبِهِ وَرَجَّةُ صَدْرِهِ ...**

بعد ما أفاد عليه السلام في الجملة السّابقة أنّه كان مأموراً بقتال الفِرق الثّلاثة بأمرٍ من اللّه ورسُوله أشار عليه السلام في المقام بأنّه أتىٰ بما كُلّف وأُمر به فقال عليه السلام فأمّا الناكثون فقد قاتلت أي قاتلتهم وأمّا القاسطون فقد جاهدت أي جاهدتهم وأمّا المارقة أعني بهم أصحاب الخوارج فقد دوّختُ أي دَوَّختهم وضعفتهم وذَلّلتهم وقد مَرَّ الكلام في القاسطين والمارقين والناكثين مفصلاً فلا نُعيد الكلام بذكرها ثانياً حذراً من الإطناب وخوفاً من الملال وأمّا شيطان الرّدهة فقد اختلفوا فيه فقال بعض أنّ المراد به ذو الثَّدية رئيس الخوارج وأنّما سمّاه به لكونه ضّالاً مُضلاً كالشّيطان فأنّه أيضاً كذلك وقوله عليه السلام: **فَقَدْ كُفِيتُهُ** بضم الكاف وكسر الفاء بصيغة المجهول هكذا ضبطوه في شروحهم أي قد كفاني اللّه من شَرّه بصَعَقةٍ سمعتُ لها وَجبة قلبه ورَجّة صدره أي إضطراب قلبه وخفقان صَدره وظاهر الكلام أنّه أي شيطان الرّدهة مات بسبب الصّعقة وذلك لما قيل أنّه رماه اللّه بصاعقة من السّماء فَهَلك بها ولم يُقتل بالسّيف وقيل أنّه لما ضُرب بالسّيف غُشِي عليه فمات، وقيل أنّ شيطان الرّدهة أحَد الأبالسة من ولد إبليس اللّعين وقيل أنّه الشّيطان المشهُور والحقّ هو القول الأوّل وأنّ المراد به ذُو الثّدَية وقد رأيت في بعض الشّروح أنّ الرّدَهة بالفتح النّقرة في الجَبل قد يجتمع فيها الماء وشيطانها ذو الثّدية من رؤساء الخوارج وجُد مقتولاً في ردَهة، ويظهر من كلامه أنّ الرّدَهة اسم لمكان قتل ذي الثّدية وعليه

زهرة، والحَكَم بن الأخنَس بن شريق الثَقفي، والوليد بن أرطاة، وأُميّة بن أبي حذيفة، وأرطاة بن شرحبيل، وهشام بن أُميّة، ومسافع، وعمرو بن عبد اللّه الجمحي، وبشر بن مالك المغافري، وصواب مولىٰ عبد الدّار، وأبا حذيفة بن المغيرة، وقاسط بن شُريح العبدي، والمُغيرة بن المُغيرة سوىٰ من قتلهم بعد ما هزمهم ولا شّك في هزيمة عُمر وعثمان في يوم أُحد وأنّما الشّك وقع في أبي بكر هل ثبت الىٰ وقت الفَرج أو إنهَزَم:

غزوة الأحزاب: وقتل عليه السلام في يوم الأحزاب عمرو بن عبد ود وولده، ونوفل بن عبد اللّه بن المُغيرة، ومُنبه بن عثمان العبدري، وهبيرة بن أبي هبيرة المخزومي وهاجت الرّياح وإنهَزم الكُفّار:

غزوة حُنين: وقتل عليه السلام يوم حُنين أربعين رجلاً وفارسهم أبو جَرول وأنّه قَدّه عظيماً بنصفَين بضَربة في الخوذة والعمامة والجوشن والبدن الىٰ القربوس وقد إختلفوا في إسمه ثُمّ وقف عليه السلام يوم حُنين في وسط أربعة وعشرين ألف ضارب سيف الىٰ أن ظهر المَدَد من السّماء:

غزوة السّلاسل: وقتل عليه السلام في غزوة السّلسلة السّبعة الأشداء وكان أشدّهم آخرهم وهو سعيد بن مالك العجلي وفي بني نضير قتل أحَد عشر منهم غروراً وفي بني قريظة ضرب أعناق رؤساء اليهود مثل حيّ بن أخطب وكعب بن الأشرف وفي غزوة بني المصطلق قتل مالكاً وابنه:

يوم الفتح : قتل فاتك العَرب أسد بن غويلم، وفي غزوة وادي الرّمل قتل مبارزيهم وبخيبر قتل مَرحباً وذا الخمار وعنكبوتاً، وبالطّائف هَزم خيل ضيغم وقتل شهاب بن عيس ونافع بن غيلان وقتل مَهلعاً وجناحاً وقت الهجرة وقتاله لأحداث مكّة عند خروج النّبي صلى الله عليه وآله من داره الىٰ المَسجد ومَبيته علىٰ فراشه ليلة الهجرة وله المقام المشهُور في حَرب الجَمَل حتّىٰ قطع يد الجَمل ثُمّ قطع رجليه حتّىٰ سقط وفي حرب صفّين قتاله مشهور لا يحتاج الىٰ التّفصيل فقد قتل عليه السلام ليلة الهرير ثلاث مِائة رجل وفي رواية خمس مِائة وثلاث وعشرون

وقد ثبت هذا لعلّي عليه السلام لشدّته على الكُفّار فقد روي عن الباقر والرّضا عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِّنْ لَّدُنْهُ﴾[4] أنّ البأس الشّديد علّي ابن أبي طالب عليه السلام وهو لَدن رسُول اللّه صلى الله عليه وآله يقاتل معه عدّوه ويروي أنّه نزل فيه والصّابرين في البأساء والضّراء وحين البأس كما قيل:

وأنزَع من شـرك الرّجـال مُـتبراً بطين من الأحكام هجم النّوائل

سديد مضاء البأس نـعني بـلاؤه اذا زحـــموه بـــالقناء القـبائل

غزوة بدر: فهو الّذي قتل في يَوم بَدر خمساً وثلاثين مُبارزاً دون الجرحىٰ علىٰ قول العامّة منهم:

الوليد بن عتبة، والعاص ابن سعيد بن العاص، ومطعم بن عدي بن نوفل، وحنظلة بن أبي سفيان، ونوفل ابن خويلد، وَزَمعة بن الأسود، والحارث بن زمعة، والنّضر بن الحارث بن عبد الدّار، وعُمير بن عثمان من كعب عمّ طلحة، وعثمان ومالك أخوا طلحة، ومسعود ابن أبي أُميّة بـن المـُغيرة، وقـيس بـن الفاكهة بن المُغيرة، وأبو القيس بن الوليد بن المُغيرة وعُمر بن مخزوم، والمُنذر بن رفاعة، ومُنبه بن الحجاج السّهي، والعاص بن مُنبه، وعَلقَمة بن كلدة، وأبو العاص بن قيس بن عدي، ومعاوية بن المُغيرة بن أبي العاص، ولوذان ابـن ربيعة وعبد اللّه بن المنذر بن أبي رفـاعة، ومسـعود بـن أُمـيّة بـن المـُغيرة، والحاجب بن السايب بن عويمر، وأوس بن المُغيرة بـن لوذان، وزيـد بـن مليص، وعاصم بن أبي عوف، وسعيد ابن وهب، ومعاوية بن عامر بن عبد القيس، وعبد اللّه بن جميل بن زهير، والسايب بن سعيد بن مالك، وأبو الحكم بن الأخنس، وهشام بن أبي أُميّة هذا وقيل أنّه قتل بضعة وأربعين رجلاً يوم بَدر.

غزوة أُحد: وقتل عليه السلام في يوم أُحد، كبش الكتيبة طلحة بن أبي طلحة، وابنه أبا سعيد وإِخوته خالداً ومخلداً وكلدة والمحالس، وعبد الرّحمٰن بن حميد بن

٤-الكهف.٢

فقال رسُول اللّه ﷺ اللّهم لتقيمن الصّلوٰة أو لأبعثن اليكم رجلاً يقتل المقاتلة ويسبي الذّرية قال، ثُمّ قال رسُول اللّه ﷺ اللّهم أنا وهذا وانتشل بيد علّي وعن صحيح التّرمذي وتاريخ الخطيب وفضائل السّمعاني أنّه ﷺ قال يوم الحُديبية لسهيل ابن عمرو يا معشر قريش لتنتهوا أو ليبعثنّ عليكم من يضرب رقابكُم علىٰ الدّين الخبر وقال معاوية يوم صفّين أريد منكم واللّه أن تشجروه بالرّماح فتريحوا العباد والبلاد منه قال مروان واللّه لقد ثقلنا عليك يا معاوية اذ كنت تأمرنا بقتل حيّة الوادي والأسد العادي ونهض مُغضباً فأنشأ الوليد بن عقبة:

يقول لنا معاوية ابن حَربٍ — أمـا فيكم لواتِركم طلوبُ

يشّد على أبي حسنٍ علّيٍ — بأسمَر لا تهجنّه الكُعوب

فقلت له أتَلعَب يا بن هندٍ — فأنك بيننا رجل غريب

أتأمُرنا بحيّة بطن وادٍ — يُتاح لنا به أسدُ مُهيب

كان الخلق لَمّا عاينوه — خلال النّقع ليس لهم قلوبُ

فقال عمرو بن العاص واللّه ما يُعَيّر أحد بفراره من علّيٍ ابن أبي طالبٍ ولمّا نعي بقتل أمير المؤمنين ﷺ دخل عمرو بن العاص علىٰ معاوية مُبشراً فقال أنّ الأسد المفترش ذراعيه بالعراق لاقىٰ مَشهده فقال معاوية:

قل لِلأرانب ترعىٰ حيث ما سَلكت

ولِلظّباء بلا خوفٍ ولا حَذَرِ

والأحاديث والأخبار في الباب كثيرة لا تخفىٰ علىٰ ذي مسكةٍ كيف وهو ﷺ ممّا يضرب به المَثل في الشّجاعة والسّخاوة والعلم والفصاحة وغيرها من الصّفات:

- قوله ﷺ: **وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ ...**

هذا وصفه الثّاني الّذي أشار اليه في المقام وهو القرابة والثّالث وهو المنزلة

رواه الأعثم وفي أُخرىٰ سبع مِائة ولم يكن لَدرعه ظهر ولا لمركُوبه كرّ وفرّ وهو الّذي قال فيما كتب الىٰ عثمان بن حنيف، لو تظاهر العرب علىٰ قتالي لما وليتُ عنها ولو أمكَنَت الفرصة من رقابها لسارعتُ اليها وفي الفائق، أنّ عليّاً عليه السلام حمل علىٰ المُشركين فما زالوا يبقطون يعني تعادوا الىٰ الجبال مُنهزمين وكانت قريش اذا رأوه في الحرب تَواصت خوفاً منه وقد نظر اليه رجل وقد شَقّ العسكر فقال علمت بأنّ مالك المَوت في الجانب الّذي فيه علّي وقال:

هُمام ملك المَوت اذا بادَر في كَد
لذاك الموت يقضي حاجة فيصُورة العبدِ
ولا يبرح حتّىٰ يولج المرهف في الغَمد
ولا يقتل إلّا كلّ ليثٍ باسلٍ نجدٍ
ولا يتّبع مَن ولّىٰ من العرب الىٰ العبدِ

في شجاعته :وقد سمّاه رسُول اللّه صلى الله عليه وآله كرّاراً غير فرّار في حديث خيبر ولنعم ما قيل فيه:

قد كان كرّاراً فسمىٰ غيره في الوقت فرّاراً فهل من معدل

ولاخر :

نفسي فداء علي من إمام هدىٰ مُجاهداً في سَبيل اللّه كرّاراً

وقال ابن الحجّاج :

أنا مولىٰ الكرّار يوم حُنينٍ والظبىٰ قد تحكّمت في النّحُور
أنا مولىٰ لمن به افتتح الأ سلام حصني قريظة والنّضير
والّذي علم الأرامل في بَدر علىٰ المُشركين جزّ الشعُور
من مضَت ليلة الهرير وقتلاه جزافاً يُحصُون بالتكّبير

وكان النّبي صلى الله عليه وآله يهدد الكُفّار به وروي أحمد بن حنبل من أئمّة الأربعة في الفضائل عن شداد بن الهاد وقال لما قدم علىٰ رسُول اللّه صلى الله عليه وآله وفدٌ من اليمن

مـــن الّـــذي قـــال النّـبي له أنت منّي مثل رُوحي في البَـدن

ولآخر:

عُضو النّبي المُصطفىٰ ورُوحـه وشَـــمّه وذَوقـــه وَرِيـــحه

ولآخر:

وســمّاه ربّ العــرش في الذّكـر نـفسُه
فَـحَسبُكَ هـذا القول أن كـنت ذا خـبرٍ
وقـــال لهـــم هـــذا وصـيّي ووارثـي
ومـــن شـــدّ ربّ العـالمين بـه أزري
عـــليٌ كَـــزِرّي مـــن قـــميص إشـارة
بأن ليس يســـتغني القـميص عـن الزّر

ولآخر:

وأنـــزله مِـنه النّـبي كـنفسه روايـــة أبـــرار تأدّت الىٰ بَـرِ
فمن نفسه فيكم كنفسِ مُحمّدٍ ألا بأبي نَفس المُطَهر والطُهّر

ولآخر:

اللّـه سمّاه نـفس أحـمد فـي القــرآن يـوم البـهال اذ نـدبا
فكـــيف شـــبّهه بـــطائفةٍ شـــبّهها ذو المـعارج الخَشَـبا

ولآخر:

مَن نفسه من نفسه وجنسه من جنسه
وعـرسه مـن عـرسه فـهل له مـعادل

لا شك بأنّ النّبي ﷺ كان أكبر سّناً وأكثر جاهاً من علّي فلمّا كان يحترمُه هذا الإحترام أمّا أنّه كان من اللّه تعالىٰ أو من قِبل نفسه وعلىٰ الحالين جميعاً أظهَرَ للنّاس درجته عند اللّه تعالىٰ ومنزلته عند رسُول اللّه ﷺ.

▫ قوله عليه السلام: **وَضَعَنِى فِى حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِى إِلَىٰ صَدْرِهِ وَيَكْنُفُنِى فِى فِرَاشِهِ وَيُمِسُّنِى جَسَدَهُ وَيُشِمُّنِى عَرْفَهُ ...**

عنده ﷺ:

أمّا الأوّل أعني القرابة فقد روي عن ابن عبّاس في قوله تعالى: **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾**[4] نزلت في رسُوله وأهل بيته وذوي أرحامه وذلك أنّ كلّ سببٍ ونَسَبٍ مُنقطع يوم القيامة إلّا ما كان من سَببه ونَسَبه وعن تفسير جابر بن يزيد عن الإمام عليه السلام أنّه ثبت بهذه الآية ولاية علّي بن أبي طالب لأنّ عليّاً أولىٰ برسُول اللّه من غيره لأنّه كان أخوه في الدّنيا والآخرة ولأنّه حاز ميرائه وسلاحه ومتاعه وبغلته الشّهباء وجميع ما ترك وورث كتابه من بعده وساق الحديث الىٰ أن قال وأنّ اللّه إصطفىٰ كنانة من ولد إسماعيل وإصطفىٰ قُريشاً من كنانة وإصطفىٰ هاشماً من قُريش ولم يكن للمشايخ في الّذي هو صفوة الصّفوة نصيب ثُمّ أنّه هاشمي من هاشمّيين ولَم يكن في زمانه غيره وغير أخوته وغير ابنيه أبوه أبو طالب بن عبد المُطّلب بن هاشم وأُمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم وفي حديث أنّه إختلف أحد برسُول اللّه الىٰ معد بن عدنان من ثلاث وعشرين قرابة تتّصل برسُول اللّه من جهة الأُمّهات ولا أحد يُشارك في ذلك والنّبي ابن عمّه من وجهين من عبد اللّه ومن أبي طالب ومن اتّصال أُمّه برسُول اللّه تلك الجهات في الأُمّهات وصار علّيّ ابنه من وجهين أوّلهما أنّه ربّاه حتّىٰ قالت فاطمة بنت أسد كُنت مريضة وكان مُحمّد يَمّصُ عليّاً لسانه في فيه فَيرضع بأذن اللّه:

صـهر النّـبي وصـنوه وربـيبه وأخـوه عـند تـعذّر الأخـوان

وأمّا الثّاني أعني منزلته الخَصيصة فلقوله تعالىٰ في المباهلة وأنفسنا وأنفسكم، ولقوله عليه السلام لعلّي أنتَ منّي وأنا منك وقوله ﷺ علّي منّي مثل رأسي من بَدني، وقوله ﷺ أنت منّي كالضوء من الضّوءِ وسُئل النّبي ﷺ عن بعض أصحابه نذكر فيه قال له قائل فَعلّي، فقال ﷺ أنّما سألتني عن النّاس ولم تسألني عن نفسي قال حماد:

۴- النّساء ـ ۱

ثُمَ وَضع ما مَضَغه في فَمي وهو يدّل على علاقة الرّسُول به ومحبته ﷺ أيّاه وشدّة قرابته له ﷺ وإهتمام الرّسُول بتربيته وأمّا قـوله ﷺ: وَمَا وَجَدَ أي ما وجد الرّسُول ﷺ لي كِذبة في قولٍ ولا خِطلة وخطأٍ في فعلٍ فـعلته وهـذان الوصفان يدّلان على عصمته ﷺ وأنّه لم يكذب أصلاً ولم يخطأ أبداً ولا نعني بالعِصمة إلّا هذا:

وقد روي عن بريدة الأسلمي أنّه قال النّبي ﷺ قال لي جبرائيل يا مُحَمّد أنّ حفظة علّي ابن أبي طالب تفتخر على الملائكة أنّها لَم تكتب على علّيٍ خطيئة منذ صحبته وفيه قال العبدي:

وأنّ جـبرائـيل الأمـين قـال لي عـن مَـلَكَيه الكـاتبين مُـذ دنـا
أنّــهما مـا يكـتبا قَـطّ عـلىٰ الطّــهر عــلّي زّلة ولا خـفا

وقال الحميري :

له شـهد الكـتّاب فـلا تـخرو عـلىٰ آبـائه صُـمّاً عَـمّياً
بـتّطهيرٍ أُمـيط الرّجس عـنه ومسـمّىً مـؤمناً فـيه زكّـياً

وحيث أنّا قد تكّلمنا في العِصمة مُفصّلاً في المُجلد الأوّل من هذا الكتاب وأثبتنا عصمته ﷺ هناك بالأدلّة العقلّية والنّقلية بما لا مزيد عليه فلا نتكّلم فيها في المقام حذراً عن الإطالة:

□ قوله ﷺ: **وَلَقَدْ قَرَنَ اللّٰهُ بِهِ ﷺ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ ...**

بعد ذِكره ﷺ بعض أوصافه المُختّصة به شرع بذكر بعض أوصاف الرّسُول ﷺ فقال ﷺ ولقد قَرَنَ اللّه وَوَكّل بالرّسُول ﷺ من أوان صباوته وصغره أحد ملائكته المُقّربين يسلك وليعلّم الرّسُول طـريق المكـارم ومـحاسن أخـلاق العالم في اللّيل والنّهار وفيه إيماء الىٰ كونه ﷺ تـحت تَـربية الخـالق دون المخلوق وأنّه كان جامعاً لجميع الصّفات الموجُودة المُستَحسنة في عـالم الخِلقة (انچه خوبان همه دارند تو تنها داري)

وقد روي أنّه لمّا ولدت فاطمة بنت أسَد علّياً عليه السلام كان لرسُول اللّه صلى الله عليه وآله ثلاثون سنة وكان صلى الله عليه وآله يحبّه حُبّاً شديداً فقال صلى الله عليه وآله لها إجعلي مَهدَه بقرب فراشي وكان رسُول صلى الله عليه وآله يلي أكثر تربيته وكان يطهر عَلّياً في وقت غسله ويؤجره اللّبن عند شربه ويُحرّك مَهده عند نومه ويُناغيه في يقظته ويحمله علىٰ صدره ويقول هذا أخي ووليّي وناصري وصِفتي وذخري وكَهفي وظهري وظهيري وَوصيّي وزوج كريمتي وأميني علىٰ وصيّتي وخليفتي وكان يحمله دائماً ويطوف به جبال مكّة وشعابها وأوديتها ولنعم ما قيل:

وكان له من أحمد كلّ شارق قُبيل طلُوع الشّمس أوحين تنجم
اذا ما بَدت مثل الطّلاية دخلة لقوم فيأتي بابه فيُسلّم
يقول اذا جاء السّلام عليكم ورحمة ربّي أنّه مُترحمُ
فيبلغ بترحيب ويجلس ساعة ويؤتي بفضل من طعام فيطعم
ويدعو بسبطيه حناناً ورقّة فيد بينهما منه قريباً ويكرم
يضمّهما ضّم الحبيب حبيبه الىٰ صدره ضمّاً وشمّاً فيلثم

وعن أنس ابن مالك قال ما رأيت أحداً بمنزلة علّي ابن أبي طالب أن كان يبعث اليه في جوف اللّيل فيتّخلىٰ به حتّىٰ يصبح هذا عنده الىٰ أن فارق الدّنيا قال الصّاحب:

أما عرفتم سُمُو منزله أما عَرفتم عَلُو مَثواه
أما رأيتم مُحمّداً حَدبا عليه قد حاطه ورَبّاه
واختصّه يافعاً وآثره وإعتامَه مخلصاً وآخاه
زَوّجه بَضعة النّبُوة اذ رآه خير إمرىٍٕ وَأتقاه

□ **قوله عليه السلام: وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيه وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ وَلاَ خَطْلَةً فِي فِعْلٍ ...**

أشار عليه السلام الىٰ أُمورٍ ثلاثة كلّها تدل علىٰ إختصاصه عليه السلام بالرّسُول وأنّه عليه السلام منه صلى الله عليه وآله كالنّفس الواحدة فقوله وكان يمضغ الشئ أي الرّسُول صلى الله عليه وآله ثُمّ يلقمنيه أي

ومـن جـدّه جـدّي ومـن عـمّه عـمّي
ومَـــن أهــله أُمّــي ومَــن بـنته أهــلي

ومَن حـين آخـىٰ بـين مَـن كـان حـاضراً
دعـــاني وآخـــاني وبـيّن مـن فـضلي

لك الفـضل أنّـي مـا حَـييتُ لشـاكرٍ
لإتــمام مــا أوليت يــا خــاتم الرّسُــل

وقال الحميري:

وفي يـوم نـاجاه النّبي مُـحمّداً
يسّـر اليـه مـا يـريد ويـطلع

فقالوا أطال اليوم نجوىٰ ابن عمّه
مـناجاته بغيٌ وللبغي مَصرع

فقال لهم لست الغـداة إنـتجبته
بـل اللّــه نـاجاه فـلم يتورعُوا

وفي قوله عليه السلام: **وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَة بِحِرَاءَ** الخ أيضاً دليل علىٰ إختصاصه به صلى الله عليه وآله ومنزلته عنده وأنّه عليه السلام كان أقرب النّاس اليه فأنّ قوله عليه السلام: **فَأَرَاهُ** أي فأراه في حَراء ولا يراه غيري إشعار بل تصريح بعدم إمكان الرّؤية لأحدٍ غيره عليه السلام حتّىٰ بالنّسبة الىٰ خديجة وهو عجيب:

□ قوله عليه السلام: **وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلاَمِ غَيْرَ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا ...**

غرضه عليه السلام من هذا الكلام سبقه في الإسلام علىٰ غيره ولا شك فيه فأنّه قد إستفاضت الرّوايات أنّ أوّل من أسلَم علّيٍ عليه السلام ثُمّ خديجة ثُمّ جعفر ابن أبي طالب ثُمّ زيد ثُمّ أبو ذر ثُمّ عمرو بن عبسة السّلمي ثُمّ خالد ابن سعيد بن العاص ثُمّ سُمية أُمّ عمّار ثُمّ عبيدة بن الحرث ثُمّ حمزة ثُمّ بن الأرث ثُمّ سلمان ثُمّ المقداد ثُمّ عمّار ثُمّ عبد الله بن مسعود في جماعة ثُمّ أبو بكر وعثمان وطلحة والزّبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرّحمٰن بن عوف وسعد بن زيد وصهيب وبلال وقال الطّبري أنّ عُمر أسلَمَ بعد خمسة وأربعين رجلاً وأحدىٰ وعشرين امرأة وروي أبو ذرعة الدّمشقي وأبو إسحاق الثّعلبي في كتابيهما أنّه

▫ قوله ﷺ: **وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ اَثَرَ أُمِّهِ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلاَقِهِ عَلَماً وَيَأْمُرُنِي بِالْاِقْتِدَاءِ بِهِ وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ فَأَرَاهُ وَلاَ يَرَاهُ غَيْرِي ...**

بعد ما ثبت له ﷺ ما أثبت من أنّ اللّه تعالىٰ قد ربّىٰ رسُوله وراقبه ليله ونهاره بتوكيل المَلك عليه قال ﷺ: **وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ** أي وَلد النّاقة أثر أمّه فكان ﷺ يرفع ويُعلم لي في كلّ يومٍ من الأيّام من أخلاقه الحَسَنة علماً ويأمرني بالإقتداء به والمقصود أنّه ﷺ لَم يتبّعه لأجل الدّنيا وما فيها من الحُطام كما هو شأن المُتّبعين للحُكّام والسّلاطين بل اتّبعه لأجل المكارم والصّفات المُستَحسنة الموجُودة في الرّسُول ليأخذ منها ويتّصف بها فصار بذلك إنساناً كاملاً جامعاً بحيث لَم يُوجد في عالم الوجُود من الأوّلين والآخرين بعد النّبي ﷺ إنساناً أكمل وأشرف منه ﷺ وقد اتّفقت الآراء من المُوافق والمُخالف عليه ولأجل هذه الجامعية والصّلاحية آخىٰ الرّسُول بينه وبين نفسه حين آخىٰ بين الصّحابة ومن المعلوم أنّ المُواخاة لا تتّحقق بمُجّرد اللّفظ بل لا بدّ لها من الواقعية والمناسبة بين الأخوين وحيث أنّ الرّسُول ﷺ لم يَجد في أصحابه أكمل وأفضل من علّي ﷺ جعله أخاً لنفسه في الدّنيا والآخرة فقال ﷺ له أنّما إخترتك لنفسي أنت أخي وأنا أخوك في الدّنيا والآخرة فقال علّي ﷺ:

أقيك بنفسي أيّها المُصطفىٰ الّذي
هدانا به الرّحمٰن من عمّه الجهل
وأفديك حوبائي وما قدر مُهجتي
لمن أنتمي منه الىٰ الفرع والأصل
ومَن ضمّني مُذ كُنت طفلاً ويافعاً
والبسني بالبّر والعّل والنّهل

مِن فَضله أنّه قد كان أوّل مَن صَلّىٰ وآمَن بالرّحمٰن اذ كَفروا
سنين سبعٍ وأيامٍ محرّمة مَع النبّي على خوفٍ وما شعروا

وقال أيضاً:

مَن كان وَحَّد قبل كلّ مُوحّدٍ يدعو الإلٰه الواحد القهارا
مَن كان صلّىٰ القبلتين وقومه مثل النّواهق تحمل الأسفارا

وقال العبدي:

أشهد بالله لقد قال لنا
مُحمّدٌ والقول منه ما خفىٰ
لو أنّ إيمان جميع الخلق من
مَن سَكَن الأرض ومن حَلَّ السّماء
يجعل في كَفّه ميزانٍ لِكَي
يُوفي بإيمانٍ علّيٍ ما وَفىٰ

وقال الحمّيري:

بُعث النّبي فما تلّبث بَعده حتّىٰ تخيف غير يوم واحدٍ
صلّىٰ وزكّىٰ واستّسر بدينه من كلّ عمٍّ شَفقٍ أو والدٍ
حججاً بكاتم دينه فاذا خلا صلّىٰ وَمَجّد ربّه بمحامدٍ
صلّىٰ ابن تسع وارتدىٰ في برجدٍ ولداته يسعُون بين براجد

وقال أيضاً:

وصّي مُحمّدٍ وأبو بَنيه وأوّل ساجدٍ لِلّه صلّىٰ
بمكّة والبّرية أهل شركٍ وأوثانٍ لها البدنات تهدي

قال ابن البيع في معرفة أُصول الحديث لا أعلم خلافاً بين أصحاب التّواريخ أنّ علّي ابن أبي طالب أوّل النّاس إسلاماً وأنّما إختلفوا في بلوغه، قال صاحب المناقب بعد نقله هذا عنه هذا طعن منهم علىٰ رسُول اللّه ﷺ اذ كان قد دعاه الىٰ الإسلام وقَبِل منه وهو بزعمهم غير مقبولٍ منه ولا واجب عليه بل

قال أبو بكر يا أسفي على ساعةٍ تقدمني فيها علّي ابن أبي طالب فلو سبقته لكان لي مسابقة الإسلام وروي السّدي عن أبي مالك عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾(١)

فقال سابق هذه الأُمّة علّي ابن أبي طالب:

روي أبو نعيم في حليّة الأولياء والنّطنزي في الخصائص بالأسناد عن الحذري أنّ النّبي ﷺ قال لعلّي وضرب بيده بين كتفيه، يا علّي سبع خصال لا يحاجّك فيهن أحد يوم القيامةّ، أنت أوّل المؤمنين بالله إيماناً وأوفاهم بعهد الله وأقومَهم بأمر الله وأرأفهم بالرّعية وأقسمُهم بالسّوية وأعلمهم بالقضّية وأعظمهم مَزّية يوم القيامة انتهى:

وقال النّبي ﷺ أنّ سُبّاق الأُمَم ثلاثة لَم يكفُروا طرفة عينٍ علّي ابن أبي طالب، وصاحب ياسين، ومؤمن آل فرعون فهم الصّديقون وعلّيٌ أفضلهم:

وقال الطّبري في تاريخه والخوارزمي في أربعينه قال ابن إسحاق أوّل ذَكَرٍ آمن برسُول الله ﷺ وصلّىٰ معه وصدّقه من عند الله علّي ابن أبي طالب:

وقال مروان وعبد الرّحمٰن التّميمي مكَث الإسلام سبع سنين ليس فيه إلّا ثلاثة رسُول الله وخديجة وعلّي وعن طريق العامّة عن أبي ذَر قال النّبي ﷺ أنّ الملائكة صلّت عَلّي وعلى علّي سبع سنين قبل أن يسلم بَشَر:

وقد روي أنّ النّبي بُعث يوم الأثنين وأسلَم علّيٌ يَوم الثّلاثاء، والأحاديث في الباب كثيرة من الطّرفين وحيث أنّ سبقه في الإسلام كان مُجمعاً عليه ولم يختلف فيه إلّا من شذّ ونذر من المُتّعصبين المُعاندين فلا نطول الكلام بذكره كيف وهو مِمّا يُضرب به المَثل في صَدر الإسلام ولا سيّما بين الشّعراء قال عليه السلام:

صَدَّقتُه وجميع النّاس في بُهَمٍ   من الضّلالة والإشراك والنكدِ

وقال الحميري :

١- واقعه ـ١١/١٠

قوله ﷺ أنت منّي بمَنزلة هٰرون من مُوسىٰ إلا أنّه لا نبّي بعدى فأنّ هٰرون كان نبّياً فعموم المَنزلة يشمل النّبوة أيضاً إلّا أنّها ختمت بالرّسُول الأُمّي فلا نـبّي بعده ومفهوم الحديث أنّه لو كان بعده ﷺ نبّياً لكان ذلك النّبي أمير المُؤمنين عليه السلام واذ ليس فليس والحاصل نفهم من الحديث وأمثاله إشتراكه عليه السلام مع ابن عمّه في جميع الأُمور أيّاً ما كان إلّا النّبوة لا لأنه عليه السلام لَم يصلح لها بل لأنّه لا نبّي بعده ﷺ فتأمّل فأنّه دقيق اذا عرفت هذا فكما أنّ الرّسُول كان عالماً بما كان وما يكون وما هو كائن الىٰ يوم القيٰمة بصيراً بالأشياء ظاهرها وبـاطنها فكـذلك وَصيّه من غير فرق بينهما من هذه الجهات فكما أنّ الرّسُول ﷺ يقول أنّـي لأجد نفسي الرّحمان من قبل اليَمن فكذلك علّي عليه السلام يـقول أرىٰ نـور الوَحـي والرّسالة وأشّم ريح النّبوة فأن صَح هذا في حقّه ﷺ صَحّ هذا في حقّه عليه السلام ولولا مخافة الإطالة وأنّ أكثر القلُوب تضيق عن فهم هذه الحقائق لقلتُ فيه غير ذلك:

- قوله عليه السلام: **وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ ﷺ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللّٰهِ مَا هٰذِهِ الرَّنَّةُ فَقَالَ هٰذَا الشَّيْطَانُ قَدْ اَيِسَ مِنْ عِبادَتِهِ ...**

رَنّة الشّيطان صوته وصَيحته وقوله عليه السلام: **وَلَقَدْ سَمِعْتُ** أي سمعتها بـسمع القلب كما أنّ رؤيته عليه السلام نُور الوَحي وشمّه ريح النّبوة كانت بـالرُّؤيَة القـلبيَة وشمّها وأمّا الحواسّ الظّاهرة فلا تـدرك إلّا المَحسُوسات فـلو كـانت هـذه الحقائق تُدرك بها لكان ينبغي أن يدركها غيره من آحاد النّاس أيـضاً وليس كذلك فمَنبع هذه المكاشفات هو القلب الإنساني بذاته وعقله للنُور العَملي المُستعمل لحواسه الرُّوحانية فأنّ للقلب عيناً وسـمعاً وشـماً وذوقـاً ولَـمساً وتلك الحوّاس الروحّانية أصل هذه الحواس الجسمانيّة فاذا إرتَفع الحجاب بينها وبين الخارجية يتّحد الأصل مع الفرع ويشاهد بهذه الحواس ما يشاهد بها والرّوح يشاهد جميع ذلك بذاته لأنّ هذه الحقائق تتّحد في مرتبته كما ثبت أنّ الحقائق كلّها في العقل الأوّل مُتّحدة والكلام في المقام طويل ثُمّ أنّ رنّـة

إيمانه في صغره من فضائله وكان بمنزلة عِيسىٰ وهو ابن ساعة يقول في المَهد أنّي عبد اللّه أتاني الكتاب وبمنزلة يحيىٰ، وآتيناه الحكم صبياً، والحكم درجة بعد الإسلام كما قال الحميري:

وصّـــي مُـــحمّدٍ وأبـــا بَـــنيه ووارثـــه وفـــارسه الوفـــيا

وقد أُوتي الهُدىٰ والحُكم طفلاً كيحيىٰ يوم أُوتيه صبّياً قال - وقد رويتم في حكم سليمان وهو صبّي وفي دانيال، وصاحب جريح، وشاهد يوسف، وصبي الأضداد، وصبي العجوز، وصبي شاطة ابنة فرعون وقد رويتم الحديث عن عبد اللّه بن عُمر وأمثاله من الصّحابة لحديث تروون عن النّبي ﷺ أنّه قال لوفدٍ، ليؤمّكم أقرؤكم فقدموا عُمر بن سلمة وهو ابن ثمان سنين وقال الشّافعي حكمنا بإسلامه لأنّ أقلّ البلُوغ تسع سنين وقال مجاهد ومُحمّد ابن إسحاق وزيد بن أسلم وجابر الأنصاري كان ابن عشر سنين وذلك لأنّه عليه السلام عاش بقول العامّة ثلاثاً وستين سنة وعاش مع النّبي ثلاثاً وعشرين سنة وبقىٰ بعده تسعاً وعشرين سنة وستّة أشهر وقال بعضهم كان عليه السلام ابن أحدىٰ عشرة سنة وقال أبو طالب الهاروني ابن أثنتي عشرة سنة وقالوا ابن ثلاث عشرة سنة وقال أبو الطّيب الطّبري وحدث في فضائل الصّحابة عن أحمد بن حنبل أنّ قتادة روىٰ أنّ عليّاً أسلم وله خمس عشرة سنة ورواه النّسوي في التّاريخ وقد روىٰ نحوه عن الحسن البَصري انتهىٰ المناقب ج ٢ ص ١٢.

▫ قوله عليه السلام: **أَرَىٰ نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ ...**

أي أرىٰ بعَين البَصيرة نُور الوحي والرّسالة وأشمّ بشَم الولاية والوصاية ريح النّبوة وهذا الّذي ذكره عليه السلام لا غَرْو فيه فأنّ الوصّي يرىٰ ما يراه الرّسُول ويعلم ما يعلمه ولا فرق بينه وبينه إلّا بنزول الوَحي علىٰ الرّسُول وعدم نزُوله عليه ولا شّك أنّ نزول الوَحي شئ ورؤية نُور الوَحي شئ آخر وحيث أنّه قد ثبت عندنا عقلاً ونقلاً أنّ كلّ ما ثبت للرّسُول من الكمالات الصُّورية والمعنَوية فقد ثبت لوصيّه إلّا النّبوة بل وحتّىٰ النّبوة لو كان بعده نبّي كما هو الظّاهر من

والأمير وأنت الصّاحب بعدي والوزير ومالكَ في أُمّتي من نظير انتهىٰ «المناقب ج ٣ ص ٥٧»...

وأيضاً بأسناده عن ابن عبّاس قال سمعت أسماء بنت عُميس تقول سمعت رسُول اللّه يقول اللّهم أنّي أقول كما قال مُوسىٰ ابن عمران اللّهم إجعل لي وزيراً من أهلي يكون لي صهراً وختناً انتهىٰ «ص ٥٧»...

وفي مَنقَبة المُطّهرين وفيما نزل من القرآن في أمير المؤمنين تصنيف أبي نعيم الأصفهاني وخصائص العلّوية عن النّطنزي ما روي شعبة ابن الحكم عن ابن عبّاس قال أخذ النّبي ﷺ ونحن بمكّة بيَدي وبيَد علّي فَصَعد بنا الىٰ ثبير (جبل أو جبال بظاهر مكّة) ثُمّ صلّىٰ بنا أربع ركعات ثُمّ رفع رأسه الىٰ السّماء فقال اللّهم مُوسىٰ بن عمران سألك وأنا نبيك مُحمّد أسألك أن تشرح لي صدري وتيّسر لي أمري وتحلل عقدة من لساني ليفقه قولي وأجعل لي وزيراً من أهلي علّي ابن أبي طالب أخي أُشدد به أزري وأُشركه في أمري قال بن عبّاس سمعت منادياً يُنادي يا أحمد قد أُوتيت ما سألت وفي رواية وأجعل لي وزيراً من أهلي علّياً أخي أشدد به أزرى «المناقب لأبن شهرآشوب ج ٣ ص ٥٧» والأخبار كثيرة.

أمّا مولىٰ مُحمّدٍ وعلّيٍ — والإمامين شُبّرٌ وشُبَيرِ
أنا مولىٰ وزير أحمد يا مَن — قد حباه مُلكه بخير وزيرِ

وقال الحميرى:

وكان له أخا وأمين غيب — علىٰ الوحي المُنَزل حين يوحىٰ
وكان لأحمد الهادي وزيراً — كما هُرون كان وزير مُوسىٰ

ولآخر:

وزير النّبي وذُو صهره — وسَيف المنّية في الظّالمينا

ولآخر:

من كان صاهره وكان وزيره — وأبا بنيه مُحمّداً مختاراً

الشّيطان حين نزول الوَحي عليه ﷺ تشعر بحُزنه وتأثّره علىٰ البعثة وهو كذلك ولأجل هذا قال ﷺ أنَّ الشّيطان آيس من عبادته أي من أن يُعبَد له:

فعن الصّادق عليه السلام قال أنَّ إبليس رَنّ رنيناً لمّا بَعَث اللّه نبّيه علىٰ حين فترة من الرّسُل وحين أُنزلت أمّ الكتاب، وعنه عليه السلام أنَّ إبليس رَنّ أربع رَنّات يوم لُعن، ويوم أُهبط الىٰ الأرض، وحين بُعث مُحمّد علىٰ حين فترةٍ من الرّسُل وحين نزلت أُمّ الكتاب:

وفي شرح المُعتزلي من مسند أحمد ابن حنبل عن علّي عليه السلام قال كُنت مع رسُول اللّه ﷺ صبيحة اللّيلة الّتي أُسري به فيها وهو بالحجرة يُصلّي فلّما قضىٰ صلٰوته وقضيت صلاتي سمعت رَنّة شديدة فقلت يا رسُول اللّه ما هذه الرَّنَة قال ﷺ ألا تعلم أنَّ هذه رَنّة الشّيطان علم أنّي أُسري في اللّيلة الىٰ السّماء فآيَس من أن يُعبد في هذه الأرض انتهىٰ:

▫ **قوله عليه السلام: أَنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَىٰ مَا أَرَىٰ إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ وَلٰكِنَّكَ لَوَزِيرٌ وَأَنَّكَ لَعَلىٰ خَيْرٍ ...**

هذا نصّ منه عليه السلام علىٰ ما ذكرناه وهو أنّه عليه السلام كان مُشاركاً له ﷺ في جميع الأوصاف والكمالات إلّا النّبوة لا لعدم لياقته لها بل لأنّه لا نبّي بعده وقول الرّسُول ﷺ أنّك تسمع ما أسمع وترىٰ ما أرىٰ يدّل علىٰ المُدّعىٰ ثُمّ بعد إستثناء النّبوة أثبت الرّسُول له عليه السلام وصفين أحدهما الوزارة وثانيهما كونه عليه السلام علىٰ خيرٍ.

أمّا الأوّل: فلما رواه السّمعاني من علماء العامّة في فضائل الصّحابة عن مطر عن أنس قال، قال رسُول اللّه أنّ خليلي ووزيري وخليفتي في أهلي وخير من أترك بعدي ينجز موعدي ويقضي دَيني علّي ابن أبي طالب انتهىٰ...

وفي أمالي أبي الصّلت الأهوازي بالأسناد عن أنس قال، قال النّبي أنّ أخي ووزيري وخليفتي في أهلي علّي ابن أبي طالب وفي خبر أنت الإمام بعدي

يَعْنُونَنِي وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لاَ تَأْخُذُهُمْ فِي اللّٰهِ لَوْمَةُ لاَئِمٍ سِيمَاهُمْ سِيمَا الصِّدِّيقِينَ وَكَلاَمُهُمْ الأَبْرَارِ عُمَّارُ اللَّيْلِ وَمَنَارُ النَّهَارِ مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ يُحْيُونَ سُنَنَ اللّٰهِ وَسُنَنَ رَسُولِهِ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ وَلاَ يَعْلُونَ وَلاَ يَغُلُّونَ وَلاَ يُفْسِدُونَ قُلُوبُهُمْ فِي الْجِنَانِ وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ.

◁ اللّغة

(لَا تَفِيئُونَ) من فاء يفيءُ اذا رجع أي لا ترجعون (الْقَلِيبِ) كأمير البئر والمراد منه قليب بَدر (قصفٌ) القَصف الصَوت (مُرفرفة) يقال رَفرف الطَائر بجناحيه اذا بَسطهما عند السّقوط (عُمّار) بضّم العين جمع عامر كتُجّار جمع تاجر (يَغُلُّون) أي يخونون:

◁ المعنىٰ

(وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ) أي مع الرّسول ﷺ (لَمَّا أَتَاهُ الْمَلأُ مِنْ قُرَيْشٍ) أي جماعة منهم (فَقَالُوا) أي المَلاء (فَقَالُوا لَهُ يَامُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيماً) أي شيئاً عظيماً وهو الرّسالة (لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلاَ أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ) أي لم يَدّع أحَد منهم ما ادّعيته (وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ) الىٰ الأمر (وَأَرَيْتَنَاهُ) ما نسألك (عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ) من عند اللّه فنُصَدقك فيما تَقول (وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ) أي أن لم تُجبنا (عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ فَقَالَ ﷺ وَمَا تَسْأَلُونَ) مِنّي (قَالُوا تَدْعُو لَنَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّىٰ تَنْقَلِعَ) من أصلها و (بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ) الشّجرة (بَيْنَ يَدَيْكَ فَقَالَ ﷺ) لهم (إِنَّ اللّٰهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) وعموم قدرته يشمل هذا المورد أيضاً (فَإِنْ فَعَلَ اللّٰهُ ذٰلِكَ أَتُؤْمِنُونَ) باللّه وبرسُوله (وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ) وأنّه لا إله إلّا هو وأنا رسُوله (قَالُوا نَعَمْ قَالَ ﷺ فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ) ما تسألون (مَا تَطْلُبُونَ) منّي (وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لاَ تَفِيئُونَ) ولا ترجعُون (إِلَىٰ خَيْرٍ) وصلاح لتَعصّبكم وعِنادكم (وَإِنَّ فِيكُمْ) أيها المَلاء (مَنْ يُطْرَحُ) ويُلقىٰ (فِي الْقَلِيبِ) أي قليب بَدر في غزوة بَدر (وَمَنْ يُحَزِّبُ

الْأَحْزَابِ) أي فيكم من يُحزّب الأحزاب للقتال مع المُسلمين (ثُمَّ قَالَ عليه السلام يَا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتَّىٰ تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ) أي أقسم بالله الّذي بَعث الرَّسُول بالحقّ (لَانْقَلَعَتْ)الشّجرة (بِعُرُوقِهَا) وأُصولها (وَجَاءَتْ) الشّجرة (وَلَهَا دَوِيٌّ) وصوت (شَدِيدٌ وَقَصْفٌ) وصوت (كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ) حين يطير (حَتَّىٰ وَقَفَتْ) الشّجرة (بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ عليه السلام مُرَفْرِفَةً).

رَفرفَة الطَّير (وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الْأَعْلَىٰ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ عليه السلام وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا) أَلقت (عَلَىٰ مَنْكِبِي) تعظيماً (وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ عليه السلام فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَىٰ ذَٰلِكَ) الإعجاز (قَالُوا عُلُوّاً وَاسْتِكْبَاراً) لرسُول الله عليه السلام (فَمُرْهَا) أي الشّجرة (فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا) نصف الشّجرة (وَيَبْقَىٰ نِصْفُهَا) الآخر بحاله (فَأَمَرَهَا) أي الشّجرة (بِذَٰلِكَ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ) الى الرّسُول (نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدِّهِ دَوِيّاً) وصوتاً (فَكَادَتْ) الشّجرة (تَلْتَفُّ بِرَسُولِ اللَّهِ عليه السلام) في قربها ودُنوها اليه عليه السلام (فَقَالُوا) أي المَلاء (كُفْراً وَعُتُوّاً فَمُرْ هَٰذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَىٰ نِصْفِهِ كَمَا كَانَ) اوّلاً (فَأَمَرَهُ عليه السلام فَرَجَعَ) الى ما كان (فَقُلْتُ أَنَا لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ) في رسالتك (وَأَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ) من الإقبال والأدبار (بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَىٰ تَصْدِيقاً بِنُبُوَّتِكَ وَإِجْلَالاً لِكَلِمَتِكَ) وأمرك (فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ) بل أنت (بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ وَهَلْ يُصَدِّقُكَ) فيما تقول من الرّسالة (فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَٰذَا يَعْنُونَنِي) أي مِثل علّي (وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ) فلا أُبالي بمثل هذه الأراجيف (سِيمَاهُمْ) أي سيما القوم (سِيمَا الصِّدِّيقِينَ وَكَلَامُهُمْ الْأَبْرَارِ) لا كلام الفجار (عُمَّارُ اللَّيْلِ) لِلعبادة (وَمَنَارُ النَّهَارِ) أي القائمون في النّهار بحوائج الخلق وهدايتهم (مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ يُحْيُونَ سُنَنَ اللَّهِ وَسُنَنَ رَسُولِهِ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) عن عبادة الله (وَلَا يَغُلُّونَ) على عباده

(وَلاَ يَغُلُّونَ) ولا يخونون (وَلاَ يُفْسِدُونَ) في الأرض (قُلُوبُهُمْ) وأرواحهم (فِي الْجِنَانِ وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ) في الدّنيا:

◁ الشّرح

▫ **قوله ﷺ: وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَلاَءُ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالُوا لَهُ يَامُحَمَّدُ أَنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيماً لَمْ يَدَّعِهِ أَبَاؤُكَ وَلاَ أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ ...**

أي أنّي كنتُ مَع الرّسُول ﷺ لمَا أتاه جماعة من أكابر قُريش فقالوا لرسُول اللّه ﷺ أنك قد ادّعَيت شيئاً عظيماً وأمراً كبيراً وهو الرّسالة من عند اللّه تعالىٰ التّي لَم يَدّعه آباؤك عبد اللّه وعبد المُطلب وهاشم مع أنّهم كانوا أحقّ بهذا الإدّعاء مِنك لكونهم أشرف وأفضل مِنك وأيضاً لَم يَدّعه أحَد من بيتك أي بيت هاشم فكيف تَدّعيه وأنّما عَبّروا عن هذا الأمر بالعِظَمة مع كونهم كُفّاراً لأنّهم كانوا يزعمون أنّ البَشَر لا يكون رسُولاً ولو كان لينبغي أن يكون أحَد آبائه ﷺ ظَنّاً مهم أنّ كلّ أبٍ أشرف وأفضل من ابنِه فلو دار الأمر بين الأَب والوَلَد يكون يكون الأب مُقدماً ولَم يعلموا أنّ كثيراً ما يكون شرف الأَب بأبنه وحيث أنّ الكُفّار رأوه يتيماً لا مال له فقالوا بهذه المقالة الرّديئة:

▫ **قوله ﷺ: وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَجَبْتَنَا اِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ ...**

أي كنتُ صادقاً في قولك وادّعائك فنسألك ونطالب منك أمراً أي مُعجزةً أن أجبتَنا اليه وقَضيت حاجتنا وأرَيتَناه طبقاً لِسؤالنا عَلِمنا أنّك نبي ورسُول من عند اللّه وأن لم تفعل وعَجَزت عَلِمنا أنّك ساحر كذّاب فيما تقول وتَدّعيه وأنّما قالوا ذلك له ﷺ لأنّ النبي والرّسُول لا بدّ له من معجزة دلّت علىٰ صدقِ ادّعائه وإلّا يلزم صحّة قول كلّ مدّعٍ لِلرّسالة فهذا السؤال منهم لا إشكال فيه عقلاً وشرعاً وعلىٰ المُدّعي إثبات الدّعوىٰ بما يسأله المنكِر أيّاً ما كان اذا كان المطلوب في حيّز الإمكان وأمّا اذا كان مستحيلاً في ذاته فلا وما نحن فيه من الأوّل:

▫ قوله ﷺ: **فَقَالَ ﷺ وَمَا تَسْأَلُونَ قَالُوا تَدْعُو لَنَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّىٰ تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ ...**

أي قال رسُول اللّه ﷺ لهم وما تسألون منّي لتصدقوا قولي قالوا تدعُو لنا هذه الشّجرة الثّابتة في الأرض حتّىٰ تنقلع لعروقها وأُصولها من الأرض وتحرّكت حتّىٰ تقف الشّجرة بين يَديك:

▫ قوله ﷺ: **فَقَالَ ﷺ أَنَّ اللّٰهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فَأَنْ فَعَلَ اللّٰهُ ذٰلِكَ أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ قَالُوا نَعَمْ ...**

استَدَل ﷺ بالآية الشّريفة الدّالة علىٰ عموم قدرته تعالىٰ لِلإشارة الىٰ أنّ ما سألتموه منّي فقد سألتموه من اللّه تعالىٰ وذلك لأنّ الرّسُول لا يقول شيئاً من عند نفسه بل كلّ ما يقول فهو مُستند بالوحي والإلهام واذاكان كذلك فعلىٰ اللّه تعالىٰ إستجابة دعواته وحيث قد ثبت عمُوم قُدرة الحقّ فهو يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وعليه فأن أَجبتكم وانقلعت الشّجرة ما تريدون فأعلموا أنّ اللّه تعالىٰ قد أقلعها لا أنا ولأجل هذا نَسب ﷺ الفعل الىٰ اللّه وقال فأن فعل اللّه لكم ذلك إيماءً الىٰ أنّ فعله ﷺ فِعل اللّه ولا يكون إلّا بأذنه كما قال تعالىٰ في كتابه: ﴿(وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ رَمَىٰ)﴾ [1] واذا كان الأمر في الأنبياء والأوصياء علىٰ هذا المنوال أي أنّه في الواقع من اللّه تعالىٰ فلا ينكر المُعجزات والكرامات وخوارق العادات وإحاطة علمهم بالأشياء وعموم قُدرتهم علىٰ المَقدورات وغير ذلك من الأُمور إلّا الجاهل الأحمق أو المُتعصب العَنيد اذ الأنبياء والأوصياء ليسُوا إلّا الوسائط والأسباب في عالم الأسباب وأيّ محذورٍ فيه عقلاً وشرعاً وأمّا قوله ﷺ: **أتؤمنون** الخ فهو إقرار منهم حيث قالوا في الجواب نعم أي نعم نؤمن ونشهد باللّه وبأنّك رسُول اللّه:

▫ قوله ﷺ: **قَالَ ﷺ فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيئُونَ إِلَىٰ خَيْرٍ وَأَنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيبِ وَمَنْ يُحَزِّبُ الْأَحْزَابَ ...**

١- الانفال- ١٧

بعد ما أخذ ﷺ منهم الإقرار بالإيمان والشهادة قال ﷺ لهم فأنّي سأريكم ما تطلبون منّي من إنقلاع الشجرة ووقوفها بين يدي وأنّي لأعلم علماً قاطعاً أنّكم لا تفيئون ولا ترجعون الىٰ خيرٍ وصلاح لخُبث طينتكم وسُوء سريرتكم وشدّة عصبيتكم وجهلكم وكيف تؤمنون بالله وبرسُوله والحال أنّ فيكم من يُطرح في القليب أي قليب بَدر يوم بَدر وكلامه ﷺ هذا إخبار عن المُستقبل وهو من المُعجزات الدّالة علىٰ نبُوته لو كانوا يعلمون وذلك لأنّه قد وَقَع ما أخبَر به ﷺ فقد قُتل من المُشركين في غزوة بَدر وهي بئر منسوبة الىٰ رجلٍ من غفار يقال له بَدر نحو سبعين رجلاً منهم وأُسر نحو سبعين وقد أمَر الرّسُول ﷺ أن تُلقىٰ القتلىٰ في قليب بَدر ثُمّ وَقف عليهم وناداهم بأسمائهم وأسماء آبائهم واحداً بعد واحد ثُمّ قال: **قد وَجَدنا ما وَعَدنا ربّنا حقّاً فهل وَجَدتم ما وَعَد ربّكم حقّاً ثُمّ قال ﷺ أنّهم ليسمعُون كما تسمعُون ولكن مُنعوا من الجواب**، فَمِمّن طُرح في القليب أبو جهل وعُتبة وشيبة والوليد وأمثالهم من رؤساء قُرَيش الّذين سَألوا رسُول الله ﷺ وقوف الشّجرة بين يَديه فقال ﷺ لهم ما قال وأخبَر بوقُوع القتل عليهم في بَدر وهو كما قال ﷺ طابَق النّعل بالنّعل وإستُشهد من المُسلمين يوم بَدر أربعة عشر رجلاً:

□ قوله ﷺ: **ثُمَّ قَالَ ﷺ يَا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللّٰهِ فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتَّىٰ تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللّٰهِ ...**

قال ﷺ مخاطباً الشّجرة أن كُنتِ تؤمنين بالله وتعلمين أنّي رسُول الله فإنقلعي بعُروقك وأُصولك حتّىٰ تقفي بين يَدي بأذن الله لا بأذني وفي هذا الكلام نقاط ولطائف لا بأس بالإشارة اليها:

الأوّل: أنّ كلمة (أيّ) لا تختصّ بذوي العقُول فقط بل لها ولغيرها كما قال الله تعالىٰ حكاية عن النّمل: **﴿يا أيّها النّمْلُ ادْخُلوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ**

وَجُنُودُهُ﴾(١) ومعلوم أنّ النّمل من غير ذوي العقُول.

الثّاني: أنّ الإيمان باللّه واليوم الآخر لا يختص بذوي العقُول كما توهمه البعض بل الإيمان باللّه يعمّ الكلّ ويدّل عليه قوله تعالىٰ: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ﴾(٢) وقد ثبت أنّ التّسبيح فرع المعرفة والإيمان وقد قال تعالىٰ: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلٰكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾(٣) نعم إيمان كلّ شئ بحَسبه وكيف لا يؤمن المخلوق بخالقه وهو موجود به وباق ببقائه والشّجر وغيره من النّباتات أيضاً مخلوق له تعالىٰ كما أنّ الإنسان والحَيوان والجماد أيضاً كذلك:

الثّالث: أنّ النّبي ﷺ كان مبعوثاً علىٰ كافة المَوجُودات جمادها ونباتها وحيوانها وإنسانها والدّليل عليه قوله ﷺ مُخاطباً للشّجرة فَتعلمين أنّي رسُول اللّه، فلو لَم يكن ﷺ مبعُوثاً اليها كيف خاطبها بذلك وليس معنىٰ بَعثه ﷺ الىٰ النّباتات والجمادات والحيوانات إنقيادها له في الأحكام الشّرعية لأنّ الأحكام للمُكلّفين بها والتّكليف لا يثبت إلّا لمن كان له عقل بل المراد من بَعثه اليها إنقيادها له ﷺ تكوينياً:

الرّابع: قوله ﷺ فإنقلعي، أمرٌ تكويني لا يمكن فيه تخلّف المعلول عن العلّة بمعنىٰ أنّه يجب وجُود المعلُول بوجود العلّة بخلاف الأمر التّشريعي حيث أنّ التّخلف فيه ممكن فقوله ﷺ في المقام من قبيل قوله تعالىٰ: ﴿قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾(٤)

و: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾(٥)

وقلنا أنّ التّخلف أي تخلّف المعلول وإنفكاكه عن العلّة في التّكوينيّات محال ولأجل هذا إنقلعت الشّجرة لمّا قال ﷺ لها إنقلعي ولَم تقدر علىٰ التّخلف:

١- النّمل ـ ١٨
٢- الحشر ـ ٢٤
٣- الاسراء ـ ٤٤
٤- الانبياء ـ ٦٩
٥- النّمل ـ ٤٠

الخامس: أنّ الأوامر التّكوينية التي لا يتّخلف المعلول فيها عن علّته تختّص بخالقها ومُوجدها والوّجه فيه ظاهر عقلاً فأنّ الإنقياد والطّاعة تكويناً وتشريعاً لا يكون إلّا للمخلوق فهو ثابت قهراً لكلّ مخلوقٍ بالنّسبة الىٰ خالقه وأمّا غير الخالق فلا ثُمَ أنّ الأمر من الخالق تارةً يكون بلا واسطة كأوامر الله تعالىٰ وأُخرىٰ يكون بواسطة الرّسُول أو المَلَك أو كلّ من أراد الله تفويض الأمر اليه من الأوصياء والأولياء والصّلحاء وغيرهم ولا فرق في تأثير الأمر في المقامين فأنّ المقام الثّاني أيضاً كالأوّل في كون الأمر له تعالىٰ ووجُود الواسطة حيث كان بأذنه لا إشكال فيه وحيث أنّ الخالق في عالم الوجُود مُنحصرٌ في الله تعالىٰ لا شريك له في خالّقيته ومُوجدّيته فلا محالة يكون الأمر ينحصر به أوّلاً وبالذّات وبغيره ثانياً وبالعَرَض فأسناد الأمر الىٰ الواسطة مجّازي واليه تعالىٰ حقيقي ولأجل هذا قال الله تعالىٰ مُخاطباً لنبّيه:**﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَىٰ﴾**(١) ومن أجل هذا قال الرّسُول ﷺ بعد أمره بإنقلاع الشّجرة بأذن الله مُشعراً بأنّ أمره ﷺ أَمَره تعالىٰ فكأنّ الله قال إنقلعي إلّا أنّ هذا الأمر كان علىٰ لسان رسُوله فلا مؤثر في الوجود إلّا اللّه والكلّ مُستّمدةٌ من مَدده، فالمُعجزات الصّادرة علىٰ أيدي الأنبياء كلّها من هذا القبيل ألا ترىٰ قوله تعالىٰ في عِيسىٰ ﷺ حيث قال:**﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَ تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾**(٢) فقوله تعالىٰ بأذني مع أنّ الفعل فعل عِيسىٰ ظاهراً يدّل علىٰ أنّ عِيسىٰ ﷺ لم يفعل شيئاً من عند نفسه وأنّما فَعَل ما فَعَل بأذن الله تعالىٰ وهذا التّعلق والرّبط هو الّذي يسهّل الأمر ويرفع الظّلام من البَين:

□ قوله ﷺ: **وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَانْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ وَقَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ حَتَّىٰ وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَىْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُرَفْرِفَةً وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الْأَعْلَىٰ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَىٰ مَنْكِبِي وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ ﷺ ...**

١- الانفال- ١٧ ٢- المائدة- ١١٠

الواو لِلقسم أي أُقسم بالّذي بَعثه بالحقّ وهو اللّه تعالىٰ الّذي قال في كتابه:﴿إنّا أرسلناك بالحقّ بشيراً ونذيراً﴾ (١) و: ﴿لقد جاءت رُسُلُ ربّنا بالحقّ﴾ (٢)

والمعنىٰ أُقسم باللّه الّذي بَعثه بالحقّ لإنقلعت الشّجرة بعُروقها وأُصولها وجاءت الىٰ الرّسُول ولها دَوِيّ وصوتٌ شديد وقَصفٌ وصَوت كَصَوت أجنحة الطّير حين سُقوطه والشّراح لَم يُفرقوا بين الدّوِي والقَصف حيث فَسّروهما بالصّوت فكأنّهم تخيّلوا أنّ التّعبير بالدّوِي تارةً وبالقَصف أُخرىٰ مع إشتراكهما في المعنىٰ أنّما هو لمُراعاة الفصاحة والبلاغة اذ تكرار اللّفظ خارج عنها وليس كذلك فأنّ الدّوِي بفتح الدّال وقيل بضّمها وكسر الواو هو صَوتٌ ليس بالعالي كَصَوت النّحل وأمّا القَصْف بفتح القاف وسكون الصّاد والفاء الصّوت الشّديد قال اللّه تعالىٰ:﴿فيُرسِلَ عليكُم قاصِفاً مِنَ الرّيح﴾ (٣) قالوا أي الرّيح التّي لها قصفٌ شديد كأنّها تقصف أي تكسر لأنّها لا تمُرّ بشيءٍ إلّا قَصَفه ومنه قول علّي عليه السلام في وصف النّهار لها قصيف حائل، والرّعد القاصف الشّديد الصّوت ولأجل هذا شبّه عليه السلام القَصف بقصف أَجنحة الطّير فالمعنىٰ أنّ لِلشّجرة صوتين صَوت شديد وصوتٌ خفيف فظَهر الفرق بالشّدّة والضّعف وهو يكفي في المُغايرة ثُمّ أنّ نسبة الصّوت الىٰ الشّجرة ليست علىٰ سبيل المجاز كما توهّمه البعض فأنّ الصّوت لا يختّص بالإنسان وهو ظاهر وقوله عليه السلام: مُرَفْرِفَةً إشارة الىٰ أنّ ترفرفها كان كترفرُف الطّير، قال اللّه تعالىٰ في وصف الجنّة:﴿ مُتّكِئينَ علىٰ رَفرَفٍ خُضْرٍ وَعَبقَرِيّ حِسانٍ﴾ (٤) وأصل الرّف الحَركَة فوق الرّأس وقيل الرّفرف رياض الجنّة وقيل هي البُسْط والجمع رفارِف يقال رَفرف الطّائر اذا حرّك جناحه حَول الشّئ يريد أن يقع عليه ومنه الحديث يد اللّه فوق رأس الحاكم ترفرف بالرّحمة فاذا خان (خاف) وكَلَه اللّه الىٰ نفسه

١- المائدة ـ ١١٠
٢- الاعراف ـ ٤٣
٣- الاسراء ـ ٦٩
٤- الرّحمٰن ـ ٧٦

ومنه الحديث، كُلْ من الطُّيور ما رَفّ أي حَرّكَ جناحَيه ولا تأكل ما صَفَّ:

وقوله عليه السلام: **وأَلقَت** أي أَلقَت الشَّجرة بغُصنها الأعلىٰ علىٰ رسُول اللّه صلى الله عليه وآله وببعض أغصانها علىٰ منكبي، فهو إشارة الىٰ أمرين:

أحدهما: كونه عليه السلام شويكاً للرّسُول في إستظلالهما بغُصنها ويستفاد منه قُربه الىٰ الرّسُول من حيث المعنىٰ.

وثانيهما: كون الرّسُول أشرف وأفضل منه عليه السلام لأنّ الشّجرة أَلقَت غُصنها الأعلىٰ علىٰ الرّسُول وقوله عليه السلام: **وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ** صلى الله عليه وآله إشارة الىٰ نُكتةٍ أُخرىٰ وهي أنّه عليه السلام كان من أصحاب اليَمين أو أنّه كان بمَنزلة يَده اليُمنىٰ فلا يقاس به عليه السلام أحَد من أفراد الأُمّة في القرب الىٰ الرّسُول ظاهراً وباطناً:

▫ قوله عليه السلام: **فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ اِلَىٰ ذٰلِكَ قَالُوا عُلُوّاً وَاسْتِكْبَاراً فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَيَبْقَىٰ نِصْفُهَا...**

أي لمّا رأوا هذه المُعجزة الكريمة وأنّ الشّجرة إنقلعت كما شاؤوا عَلَوا وإستكبروا فقالوا للرّسُول صلى الله عليه وآله مُر الشّجرة فليأتك نِصفها ويبقىٰ نصفها الآخر في محلّه مع أنّ هذا كان خارجاً عن طَلبهم أوّلاً:

▫ قوله عليه السلام: **فَأَمَرَهَا بِذٰلِكَ فَأَقْبَلَ اِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ اِقْبَالٍ وَأَشَدِّهِ دَوِياً فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ اللّٰهِ** صلى الله عليه وآله **...**

أي لمّا سألوه ذلك أَمَر الرّسُول الشّجرة بما سألوه فأقبل الىٰ الرّسُول نصف الشّجرة بسرعةٍ شديدة كانت أشدّ دَوّياً وصَوتاً من المرّة الأُولىٰ بحيث كادت الشّجرة تلتف برسُول اللّه لقُربها ومزيد دُنُوها اليه صلى الله عليه وآله وذلك لأنّ أمره صلى الله عليه وآله أمر اللّه وإرادتهُ إرادتِه:

▫ قوله عليه السلام: **فَقَالُوا كُفْراً وَعُتُوّاً فَمُرْ هٰذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ اِلَىٰ نِصْفِهِ كَمَا كَانَ فَأَمَرَهُ** صلى الله عليه وآله **فَرَجَعَ ...**

أي أنّهم لم يَقنعوا بذلك أيضاً وسألوه ثالثاً كفراً وعُتوّاً برجُوع النّصف الىٰ نصفه كما كان أوّلاً فأمر الرّسُول ورَجَع النّصف الىٰ محلّه الأوّل:

▫ قوله ﷺ: **فَقُلْتُ أَنَا لاَ اِلٰهَ إِلَّا اللّٰهِ إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللّٰهِ وَأَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ اللّٰهِ تَعَالَىٰ تَصْدِيقاً بِنُبُوَّتِكَ وَإِجْلاَلاً لِكَلِمَتِكَ ...**

أي لمَا رأيت المُعجزة علىٰ يَده ﷺ لَم يبق لي شك في صِدقَه ﷺ فقلت لا إله إلّا اللّه وأنّي أوّل مؤمنٍ بِك يارسُول اللّه وأنّ الشَجرة فَعَلت ما فَعَلت بأمر اللّه تعالىٰ وأنّما قلت ذلك تصديقاً بنُبَوتك وإجلالاً وتعظيماً لِكلمتك وأمرك:

▫ قوله ﷺ: **فَقَال الْقَوْمُ كُلُّهُمْ بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هٰذَا ...**

أي لمَا شَهِدتُ بالوحَدانية والرِّسالة قالوا بل ساحرٌ كذّاب نسبُوا السّحر والكذَب اليه ﷺ وأنّه قد أتىٰ بما يُعجز عنه غيره من السَّحَرة ثُمّ قالوا وهَل يُصَدقك يامُحمّد في إدّعائك إلّا مثل هذا أي مِثل علِي وأنّما قالوا ذلك تحقيراً له ﷺ وتَصغيراً لمقامه والإستفهام في المقام إنكَاريّ أي لا يُصدقك إلّا مثل هذا الغلام الحَدث السِّن أقول وبمثل هذه المقالة تمسّكُوا بعد النّبي ﷺ في أمر الخلافة فَفَضَّلوا غيره عليه ولم يعلموا أنّ العلم والإيمان والفضائل النّفسانية لا ربط لها بالسِّن قلّةً وكثرةً:

▫ قوله ﷺ: **يَعْنُونَنِي وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لاَ تَأْخُذُهُمْ فِي اللّٰهِ لَوْمَةُ لاَئِمٍ سِيمَاهُمْ سِيمَا الصِّدِّيقِينَ وَكَلاَمُهُمْ الْأَبْرَارِ...**

أي قالوا أو يقولون هذا والحال أنّي لمِن قوم وطائفة لا تأخذهم في اللّه لَومة لائمٍ أي لا يُبالون بهذه الأباطيل في طريق الحقّ سيماهم سيما الصّديقين وكلامهم كلام الأبرار والأخيار وحسن أولئك رفيقاً.

▫ قوله ﷺ: **عُمَّارُ اللَّيْلِ وَمَنَارُ النَّهَارِ مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ يُحْيُونَ سُنَنَ اللّٰهِ وَسُنَنَ رَسُولِهِ...**

أثبت ﷺ لهؤلاء القوم أوصافاً خَمسة:

أحدها:

أنّ سيماهم سيما الصّديقين الّذين قال اللّه تعالىٰ في حقّهم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾(١)

و: ﴿مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾(٢)

وثانيها:

أنّ كلامهم كلام الأبرار الّذين قال اللّه تعالىٰ فيهم: ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾(٣)

و: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾(٤)

و: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾(٥)

و: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً﴾(٦)

وثالثها:

عمّار اللّيل ومنار النّهار، قال اللّه تعالىٰ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾(٧)

و: ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾(٨)

ورابعها:

أنّهم متمسكون بحبل القرآن، قال اللّه تعالىٰ:﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾(٩)

و: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(١٠)

١- الحديد ـ١٩ ٢- النساء ـ٦٩
٣- آل عمران ـ١٩٣ ٤- آل عمران ـ١٩٨
٥- الانفطار ـ١٣ ٦- الانسان ـ٥
٧- السّجدة ـ١٦ ٨- طه ـ١٣٠
٩- الاسراء ـ٩ ١٠- الاسراء ـ٨٢

و : ﴿قُرْآناً عَرَبِياً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (١)

وخامسها:

أنّهم يُحيون سُنن الله وسُنن رسوله، قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ (٢)

و : ﴿سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ (٣) ثُمَّ بعد إثباته عليه السلام لهم ما أثبت نفى عنهم أموراً كما قال :

□ قوله عليه السلام: **لاَ يَسْتَكْبِرُونَ وَلاَ يَعْلُونَ وَلاَ يَغُلُّونَ وَلاَ يُفْسِدُونَ قُلُوبُهُمْ فِي الْجِنَانِ وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ...**

الأوّل :

أنّهم لا يستكبرون لقوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ﴾ (٤)

و : ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ﴾ (٥)

و : ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِيراً﴾ (٦)

الثاني:

ولا يَعلُون فأنّ العُلو مذموم عقلاً وشرعاً قال تعالى في ذَمّ العالين: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً﴾ (٧)

و : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً﴾ (٨)

و : ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً﴾ (٩)

الثالث :

١- الزمر ـ٢٨

٢- الاحزاب ـ٦٢

٣- غافر ـ٨٥

٤- الاعراف ـ١٤٦

٥- الاعراف ـ١٣٣

٦- الفرقان ـ٢١

٧- الاسراء ـ٤

٨- القصص ـ٤

٩- القصص ـ٨٣

ولا يَغلون فأنَ الغِلّ من المُهلكات قال تعالى:﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ (١)

و : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ (٢)

الرّابع:

عدم الفساد فأنّ المؤمن لا يفسد في الأرض قال اللّه تعالى:﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٣)

و : ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا﴾ (٤)

و : ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٥)

و : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٦)

الخامس:

قلُوبهم في الجنان وأجسادهم في العَمَل في الدّنيا وفيه إشارة الىٰ أنّ الجنّة والوصُول اليها موقوف علىٰ العَمَل في الدّنيا فمن لَم يعمل فيها لا يكون له نصيبٌ من الجنّة قال اللّه تعالىٰ:﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَراً﴾ (٧)

و : ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ (٨)

و : ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٩) وغيرها من الآيات التّي لَم نذكرها مخافة الإطناب ولا نحتاج الىٰ ذكر الأخبار الدّالة علىٰ المدّعىٰ بعد ذكر الآيات وصراحتها فيما ذكره ﷺ وسيأتي الكلام في أوصاف المؤمنين

١-الحشر-١٠
٢-الاعراف-٤٣
٣-المائدة-٦٤
٤-المائدة-٣٣
٥-الاعراف-١٠٣
٦-يونس-٨١
٧-الزمر-٧٣
٨-الغافر-٤٠
٩-الزخرف-٧٢

في الخُطبة التّالية بوجهٍ أبسط فأنّها مُعَدة لبيان أوصاف المُتّقين والّذي حَصَل في المقام من كلامه عليه السلام هو أنّ أمير المؤمنين من قوم اتّصفُوا بما ذكره عليه السلام وتبرّؤا من أُصول المعاصي من الكِبر والعلو والغلّ والفساد وغيرها ومن كان كذلك فهو مؤمن حقّاً فكيف يُقال للرّسُول وهل يُصدقك إلّا مثل هذا عليه السلام فأنّ الإيمان والإتصاف بالمَلَكات ليس مَنوطاً بالسّن والقبيلة والمال وأمثالها وقد قلنا أن المُنتحلين الىٰ الإسلام بعد الرّسُول إقتدوا بآبائهم وأسلافَهم في هذه المقالة الخبيثة القَذِرة (الكثيفة) ولأجل هذا تركوه وأخذوا بغيره:

ومن خطبة له عليه السلام (١٩٢)

▫ قوله عليه السلام: امَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الْخَلْقَ حِيْنَ خَلَقَهُمْ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ لِأَنَّهُ لاَ تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ وَلاَ تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ مَنْطِقُهُمْ الصَّوَابُ وَمَلْبَسُهُمُ الإِقْتِصَادُ وَمَشْيُهُمْ التَّوَاضُعُ غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَىٰ الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلاَءِ كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي الرَّخَاءِ وَلَوْلاَ الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقاً إِلَىٰ الثَّوَابِ وَخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا أَمَّا اللَّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلاً يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَثِيرُونَ دَوَاءَ دَائِهِمْ فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ فَهُمْ حَانُونَ عَلَىٰ

أَوْسَاطِهِمْ مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكُفِّهِمْ وَرُكَبِهِمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَىٰ فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ، وَأَمَّا النَّهَارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْيَ الْقِدَاحِ يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَىٰ وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ وَيَقُولُ لَقَدْ خُولِطُوا!

وَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ لاَ يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ وَلاَ يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ وَمَنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ إِذَا زُكِّيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنِّي بِنَفْسِي اللَّهُمَّ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ وَاغْفِرْ لِي مَا لاَ يَعْلَمُونَ.

فَمِنْ عَلاَمَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَىٰ لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ وَحَزْماً فِي لِينٍ وَإِيمَاناً فِي يَقِينٍ وَحِرْصاً فِي عِلْمٍ وَعِلْماً فِي حِلْمٍ وَقَصْداً فِي غِنيٍ وَخُشُوعاً فِي عِبَادَةٍ وَتَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ وَصَبْراً فِي شِدَّةٍ وَطَلَباً فِي حَلاَلٍ وَنَشَاطاً فِي هُدىً وَتَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَىٰ وَجَلٍ يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ يَبِيتُ حَذِراً وَيُصْبِحُ فَرِحاً حَذِراً لِمَا حُذِّرَ مِنَ الْغَفْلَةِ وَفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ إِنْ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ تَكْرَهُ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لاَ يَزُولُ وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لاَ يَبْقَىٰ يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ قَلِيلاً زَلَلُهُ خَاشِعاً قَلْبُهُ قَانِعَةً نَفْسُهُ مَنْزُوراً أَكْلُهُ سَهْلاً أَمْرُهُ حَرِيزاً دِينُهُ مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ مَكْظُوماً غَيْظُهُ الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ بَعِيداً فُحْشُهُ لَيِّناً قَوْلُهُ غَائِباً مُنْكَرُهُ حَاضِراً مَعْرُوفُهُ مُقْبِلاً خَيْرُهُ مُدْبِراً شَرُّهُ فِي الزَّلاَزِلِ وَقُورٌ وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ وَفِي الرَّخَاءِ شَكُورٌ لاَ يَحِيفُ عَلَىٰ مَنْ يُبْغِضُ وَلاَ يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ لاَ يُضِيعُ مَا اسْتُحْفِظَ وَلاَ يَنْسَىٰ مَا ذُكِّرَ وَلاَ يُنَابِزُ بِالأَلْقَابِ وَلاَ

يُضَارُّ بِالْجَارِ وَلاَ يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ وَلاَ يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ وَلاَ يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّىٰ يَكُونَ اللّٰهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ أَتْعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ وَأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ وَعَظَمَةٍ وَلاَ دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ.

◁ اللغة

(غَضُّوا) أي مَنعوا وكَفّوا (الرَّخَاءِ) ضِدّ البلاء (نَحِيفَةٌ) أي ضعيفة (مُرْبِحَةٌ) بضم الميم مُفيدة (حانون) أي عاطفون (بَرّهم الخوف) أي نحتهم مثل نحت السّهام (زُكي) أي طُهر (تحَرّجاً) التّحرج عذ الشئ حرَجاً (مَنْزُوراً) أي قليلاً (حَرِيزاً) أي حَصيناً (فُحْشُهُ) الفُحش القبيح (الزَّلاَزِلِ) الإضطراب (وَقُورٌ) الّذي لا يضطرب (عَناء) العَناء المشقة والباقي واضح:

◁ المعنىٰ

(أمَّا بَعْدُ) الحَمد والثناء عليه والصّلوة علىٰ رسُوله (فَإِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الْخَلْقَ) أي المخلوق (حِيْنَ خَلَقَهُمْ) وأوجدهم (غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ) أي غير محتاج اليها (آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ) لعَدم خوفه من شئ (لأنه) تعالىٰ (لِأَنَّهُ لاَ تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ وَلاَ تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ) لقُدرته وغِناه (فَقَسَمَ) اللّـه (بَيْنَهُمْ) أي بـين مخلوقه (مَعَايِشَهُمْ) ورزقهم وجَعلهم (مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ) أي جعل كلّ شئ في محلّه وموضعه (فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا) في الدّنيا (هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ) والكمالات النّفسانية (مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ) أي لا يقولون إلّا حقّاً (وَمَلْبَسُهُمُ الإِقْتِصَادُ) فلا يلبسُون إلّا ما هو مقرون به (وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ) والخشُوع (غَضُّوا) وَكفّوا (أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ وَوَقَفُوا) وحَبسُوا (أَسْمَاعَهُمْ) وآذانهم (عَلَىٰ العِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ) في الدّارين (نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ

مِنْهُمْ فِي الْبَلاَءِ) والشدة (كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي الرَّخَاءِ) والراحة (وَلَوْلاَ الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ) وقدره (لَمْ تَسْتَقِرَّ) ولم تثبت (أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقاً) منهم (إِلَىٰ الثَّوَابِ) من اللّه تعالىٰ (وَخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ) الّذي وَعَدَ اللّه عليه (عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ) لا محالة (مَا دُونَهُ) ما دون اللّه (فِي أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ) كالّذي (قَدْ رَآهَا) أي قد رأىٰ الجنّة (فَهُمْ فِيهَا) في الجنّة (مُنَعَّمُونَ) بأنواع النّعم الإلٰهية (وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا) رأىٰ النّار (فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ) بما أعدّ اللّه لهم (قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ) مهمومة (وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ) من النّاس (وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ) ضعيفة (وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ) سهلة يسيرة (وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ) عن الإنحرافات (صَبَرُوا) في الدّنيا (أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً) في الأخرة (تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ) مُفيدة (يَسَّرَهَا) وأعدّها (لَهُمْ رَبُّهُمْ) بلطفه وكرمه ومَنّه.

(أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا) بالإقبال اليهم (فَلَمْ يُرِيدُوهَا) لِعلمهم بفسادها (وَأَسَرَتْهُمْ) الدّنيا (فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا) أي أخرجوا أنفسهم منها بالفداء (أَمَّا اللَّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ) بالعبادة (تَالِينَ) فيه (لأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهَا) أي القرآن بالتّأني وتَبيين الحروف (تَرْتِيلاً) وتَبييناً (يُحَزِّنُونَ بِهِ) أي يقرؤنه بصوتٍ حَزين (أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَثِيرُونَ) أي بالقرآن (دَوَاءَ دَائِهِمْ) لأنّ فيه شفاء من كلّ داء (فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا) في الآية (تَشْوِيقٌ رَكَنُوا) وإعتمدوا (إِلَيْهَا طَمَعاً) منهم فيها (وَتَطَلَّعَتْ) وأشرقت (نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ) أي ظنّوا ما وعدتهم الآية من مقامات الجنّة نصب أعينهم (وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا) في الآية (تَخْوِيفٌ) من العذاب يوم القيامة (أَصْغَوْا إِلَيْهَا) وأمالُوا (مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ) فيَتفكرون فيها، (وَظَنُّوا) وحسبُوا (أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا) أي صَوت توقّدها (فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ فَهُمْ حَانُونَ) وعاطفون (عَلَىٰ أَوْسَاطِهِمْ) أي يحنُون ظهرهم في الرّكوع (مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكُفِّهِمْ وَرُكَبِهِمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ) في السّجود (يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَىٰ) بهذه

الأعـمال (فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ) عـن النـار (وَأَمَّا النَّهَارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ أَبْرَارُ أَتْقِيَاءُ) أي أنهم مُتصفُون بهذه الأوصاف (قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْيَ الْقِدَاحِ) أي نَحتهم مثل نـحت السَـهام (يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَىٰ) لِـضَعفهم (وَمَا بِالْقَومِ مِنْ مَرَضٍ وَيَقُولُ) النّاظر (لَقَدْ خُولِطُوا) أي إختّل عقلهم والحال أنّه ليس كذلك بل (وَقَدْ خَالَطَهُمْ) ومازجهم (أَمْرٌ عَظِيمٌ) من الخوف فتَولّهُوا لأجـله (لاَ يَرْضُونَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ وَلاَ يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ) مـنها (فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ) بقلّة الأعـمال وسُـوء الأفـعال (وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ) خائفون و (إِذَا زُكِّيَ) وطُهِرَ عن العيُوب (أَحَدُهُمْ) بلسان غيره (خَافَ) اللّـه (مِمَّا يَقَالُ لَهُ) بالتّذكية (فَيَقُولُ أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي) (مِنْ غَيْرِي وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنِّي بِنَفْسِي) لعدم عُجبه بَعمله (اللَّهُمَّ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ) في حقّي من التّطهير والتّذكية (وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ) بي (وَاغْفِرْ لِي مَا لاَ يَعْلَمُونَ) من الذّنُوب (فَمِنْ عَلاَمَةِ أَحَدِهِمْ) أي أَحَد المُتّقين (أَنَّكَ تَرَىٰ لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ) والإستقامة في الإيمان (وحَزماً) وتثبّتاً (فِي لِينٍ وَإِيمَاناً فِي يَقِينٍ) أي مع اليَقين (وَحِرْصاً فِي عِلْمٍ) في تَحصيله (وَعِلْماً فِي حِلْمٍ)لا فـي غـضَبٍ (وَقَصْداً) وإقتصاداً (فِي غِنيٍ) فيكون قانعاً (وَخُشُوعاً فِي عِبَادِةٍ) أي قـلباً خاشعاً فيها (وَتَجَمُّلاً) وتعَفُفاً (فِي فَاقَةٍ) وإحتياج (وَصَبْراً فِي شِدَّةٍ) وبلاء (وَطَلَباً فِي حَلاَلٍ) لا في حـرام (وَنَشَاطاً) وسُـروراً (فِي هُدىً) فـي هـدايـة (وَتَحَرُّجاً) و تباعداً (عَنْ طَمَعٍ) بما في أيدي النّاس (يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ) والحال أنّه (عَلَىٰ وَجَلٍ) وخـوفٍ (يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ) لِـلّه تـعالىٰ (وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ) له تعالىٰ (يَبِيتُ) علىٰ فراشه (حَذَراً) خائفاً (وَيُصْبِحُ فَرِحاً) مسرُوراً (حَذِراً لِمَّا حُذِّرَ مِنَ الْغَفْلَةِ) فـي الكـتاب والسُـنّة (وَفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ) من اللّه تعالىٰ.

(إِنْ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ تَكْرَهُ لَمْ يُعْطِهَا) النّفس (سُؤْلَهَا) وحاجتها (فِيمَا تُحِبُّ) النّفس (قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لاَ يَزُولُ) ولا يغنىٰ من البـاقيات الصّـالحات

(وَزَهَادَتَهُ) في الدّنيا (فِيمَا لاَ يَبْقَىٰ) فيها (يَمْزُجُ) ويخلط (الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ) لعدم نفع العِلم اذا لم يكن مقروناً بالحِلم (وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلَ) أي يمزج القول بالعَمل (تَرَاهُ) أي ترىٰ هذا الشّخص المُتقي (قَرِيباً أَمَلُهُ قَلِيلاً زَلَلُهُ) وخطاياه (خَاشِعاً قَلْبُهُ) من خشيَة اللّه (قَانِعَةً نَفْسُهُ) بما رزقه اللّه (مَنْزُوراً) قليلاً (أَكْلُهُ سَهْلاً أَمْرُهُ حَرِيزاً دِينُهُ) أي حَصيناً (مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ) لتسلّطه عليها فكأنّها ميتة (مَكْظُوماً غَيْظُهُ) أي محبُوساً (الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ) ومرجُو (وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ) لوجُود ملكة التّقوىٰ فيه (إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ) ظاهراً (كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ) واقعاً (وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ) ظاهراً (لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ) لكون الظّاهر فيه عنوان الباطن، (يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ) لحُسن العفو (وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ) قُربة الىٰ اللّه (وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ) فأنّ صلَة الرّحم ممدوحة علىٰ كلّ حال (بَعِيداً فُحْشُهُ) أي هو بعيد عن التّكلم بالقبيح (لَيِّناً قَوْلُهُ غَائِباً مُنْكَرُهُ) أي يرفق في قوله وأعماله القبيحة مفقودة (حَاضِراً مَعْرُوفُهُ) والخيرات فيه حاضرة (مُقْبِلاً خَيْرُهُ) أي يسرع الىٰ الخيرات (مُدْبِراً شَرُّهُ) ويفرّ عن الشّرور (فِي الزَّلاَزِلِ) والنّوازل (وَقُورٌ) لا إضطراب فيه (وَفِي الْمَكَارِهِ) والشّدائد (صَبُورٌ) لا تزلزل فيه (وَفِي الرَّخَاءِ) والنّعمة (شَكُورٌ) لِللّه تعالىٰ حَمده (لاَ يَحِيفُ) ولا يظلم (عَلَىٰ مَنْ يُبْغِضُ وَلاَ يَأْثَمُ) ولا يعصي (فِيمَنْ يُحِبُّ يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ) ويقرّ به (قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ) من غيره (عَلَيْهِ لاَ يُضِيعُ مَا اسْتُحْفِظَ) أي ما أمر اللّه بمحافظة (وَلاَ يَنْسَىٰ مَا ذُكِّرَ) في الكتاب والسنّة (وَلاَ يُنَابِزُ) غيره (بِالأَلْقَابِ وَلاَ يُضَارُّ بِالْجَارِ) مُراعاة لحقّه (وَلاَ يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ) لأنّها بقضاء اللّه وقَدره (وَلاَ يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ) قولاً وفعلاً (وَلاَ يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ أِنْ صَمَتَ) ولَم يتكلّم (لَمْ يَغُمَّهُ) ولَم يحزنه (صَمْتُهُ وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ) بل يتبسم فيه (وَإِنْ بُغِيَ) وظُلم (عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّىٰ يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ) في الدّنيا والآخرة (نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ) ومشَقة (وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ أَتْعَبَ) وأجهَد (نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ) لأجلها (وَأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ بُعْدُهُ

عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ) من أهل الدّنيا (زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ) اذ لا نعني بالزُهد إلاّ هـذا (وَدُنُوُّهُ) وقُربه (مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ) لأنّهم من الصّلحاء الأتقياء (لَيْسَ تَبَاعُدُهُ) عمّن تباعد عنه (بِكِبْرٍ وَعَظَمَةٍ وَلاَ دُنُوُّهُ) وقربه الىٰ من دنا منه (بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ) كما هو شأن المُنافقين:

◁ الشّرح

اعلم أنّ هذه الخُطبة الشّريفة من أفضل الخُطب وأشرفها وأكـملها لفـظاً ومعنىً للسّالكين الىٰ اللّه تعالىٰ والرّاجين الىٰ الوصُول بقرب جـواره ومـقام رضوانه لكونها حاوية لما لا يُوجد في زبر الأوّلين والآخرين فـي أوصـاف المُتّقين .

وبيان ماهيّة التّقوىٰ الّتي هي خـير الزّاد فـي الدّنـيا والآخـرة ونـحن بـعد الفحص الكامل في مضامين الأخبار وكلمات الأبرار وتـحقيقات المـؤلّفين والمصّنفين وأقوال العرفاء الكاملين لَم نجد من حيث الجامعيّة لها نظير فضلاً عن الأرجح والأكمل منها كَيف وهي كلام الإمام المُبين وقدوة المُتّقين الّذي اتّفقوا علىٰ أنّ كلامه فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق بـعد ابـن عـمّه رسُول ربّ العالمين وحيث أنّه قد ثـبت بـالعقل والنّـقل أنّ التّـقوىٰ أفـضل الكمالات الّتي أمَرنا اللّه بها حيث قال وتَزَوّدوا فأنّ خير الزّاد التّقوىٰ فلا محالة يكون المُتّقين من أفضل أفراد البَشر وعليه فالبحث في التّقوىٰ مـن أحسَـن الأبحاث وأمير المؤمنين عليه السلام لَم يترك شيئاً في هذه الخُطبة مـمّا يـحتاج اليـه السّالك كما ستعرف الحال فيه وقد دعاه الىٰ ذلك رجل يقال له همّام وكان من أصحابه وشيعته وهو مع ذلك كان رجلاً عابداً زاهداً سالكاً ويظهر ذلك مـن سؤاله اذ لو لَم يكن من السّلاك الىٰ اللّه لم يَسأل ما سأله فقال يا أمير المؤمنين صِف لي المُتّقين حتّىٰ كأنّي أنظر اليهم فتثاقل عليه السلام عن جوابه ولم يُجيبه لعدم إستعداد أكثر القلُوب لفهم هذه الحقائق وقبول هذه الوقائع ولأجل هذا قال عليه السلام يا همّام اتّق اللّه وأحسن فأنّ اللّه مع الّذين اتّقوا والّذين هم مُحسنون .

فلم يقنع همّام بما قال عليه السلام في جوابه من وَصف المُتقين على سَبيل الإجمال وألّح عليه وأصّر في سؤاله حتّىٰ عزم عليه أي جدّ وختم علىٰ أمير المؤمنين بالجواب التفصّيلي وحيث أنّ همّام أراد الإطّلاع علىٰ تفصيل المقال ولم يقنع بالعلم الإجمالي وهو عليه السلام كان منبع الفضل والجُود والكَرم فلم يُحرمه عمّا أراد فحمد اللّه وأثنىٰ عليه وصلّىٰ علىٰ النّبي صلى الله عليه وآله ثمّ قال عليه السلام:

□ قوله عليه السلام: **أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الْخَلْقَ حِيْنَ خَلَقَهُمْ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ...**

أي أمّا بعد الحَمد والثناء علىٰ اللّه والصّلوة علىٰ رسُول اللّه صلى الله عليه وآله فأنّ اللّه تعالىٰ خَلق الخلق أي خَلق المخلوق حين خلقهم وأوجدهم حال لكونه تعالىٰ غَنيّاً عن طاعتهم غير محتاج اليهم وآمناً من معصيتهم لكونه تعالىٰ أعظم من أن يكون خائفاً من معصية المَخلُوق فلنا في المقام أمران:

أحدهما: كونه تعالىٰ غَنيّاً عن طاعة المخلوق كائناً من كان والدّليل عليه من العقل والنّقل:

أمّا العقل: فلأنّه لَو لَم يكن غَنيّاً عنهم لكان مُحتاجاً اليهم اذ لا واسطة بين الغنّىٰ والإحتياج فالغنّىٰ هو عدم الإحتياج والإحتياج عدم الغنّىٰ واذا كان محتاجاً يكون ممكناً لما قد ثبت أنّ كلّ محتاج ممكن بل الإمكان نفي الإحتياج وكلّ ممكنٍ ليس بواجب الوجود فهو تعالىٰ ليس بواجب الوجُود وقد فرضناه واجباً هذا خلف وحيث لزم من كونه تعالىٰ مُحتاجاً إمكانه فهو تعالىٰ غنّي علىٰ الإطلاق وهو المطلُوب وصُورة القياس هكذا، أنّ اللّه محتاج وكلّ محتاج مُمكن فاللّه تعالىٰ مُمكن وهو محال.

أو نقول اللّه تعالىٰ غنّي عن طاعة المخلُوق وكلّ غنّيٍ واجب الوجُود فهو واجب الوجُود وهو صحيحٌ.

ولمّا كان إحتياجه تعالىٰ مُساوقاً لإمكانه وغنَاه مُساوقاً لوجُوب وجوده فقال عليه السلام غنّياً عن طاعتهم إثباتاً لوجوبه وهو المطلوب.

وأمّا النّقل: فلقوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[1] دلّت الآية علىٰ كون النّاس فقراء مُحتاجين اليه تعالىٰ وأنّه هو الغنّي عنهم فلو فرضنا كونه تعالىٰ مُحتاجاً الىٰ طاعتهم لا يكون غنّياً علىٰ الإطلاق وهو ينافي صريح الآية وثانياً دلّت الآية علىٰ إحتياج النّاس اليه تعالىٰ فلو فرضنا إحتياجه الىٰ طاعاتهم لا يكون النّاس مُحتاجاً اليه مطلقاً وأيضاً لا يكون الواجب غنّياً مطلقاً وهو خلاف الآية فظهر إستغنائه تعالىٰ عن جميع ما سواه وهو المطلوب:

وثانيهما: آمناً من معصيتهم، أي أنّه تعالىٰ آمنٌ من ضَرر معصيتهم وذلك أيضاً ثابت بالعقل والنّقل:

أمّا العقل: فلأنّه لَو لَم يكن آمناً منها يكون خائفاً لا محالة لعدم الواسطة بين الأمن والخَوف ومَنشأ الخَوف الضّعف وهو ينافي القوّة والقُدرة وقد ثبت أنّه قوّي قدير بل قاهر فوق عباده مُضافاً الىٰ أنّ الضّعف من لوازم الإمكان واللّه تعالىٰ واجب الوجود فلا ضَعف فيه وثالثاً الخَوف إمّا عن تلف المال أو تَلف النّفس أو العِرض أو المقام وكلّ ذلك لا يعقل في حقّه:

وأمّا النّقل: فلقوله تعالىٰ: ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾[2] فلو كان اللّه تعالىٰ غير آمنٍ مِن معصيتهم لَم يصِّح قوله ومن ضَلَّ فأنّما يضلّ عليها أي علىٰ نفسه وهو واضح:

□ قوله ﷺ: **لِأَنَّهُ لاَ تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ وَلاَ تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ...**

اللاّم في قوله ﷺ: (**لأنّه**) للتّعليل فكأنّه قيل له ﷺ ولَم يكون الواجب غنّياً عن طاعتهم وآمناً من معصيتهم فقال ﷺ في الجواب لأنّه لا تضّره معصية من عصاه بل مَعصية العاصي تضّر نفسه كما أنّ طاعته تنفع لها وأمّا الواجب تعالىٰ فهو منّزة عن هذه الأُمور اللائقة بحال المُحتاجين: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[3]

١- فاطر ـ ١٥ ٢- يونس ـ ١٠٨

٣- البقرة ـ ٢٨٦

□ قوله ﷺ: فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ...

بعد ما أشار ﷺ في الفقرة الأُولىٰ من كلامه الىٰ مقام الإيجاد والخِلقة غنيّاً عن الطّاعة آمناً من المَعصية بل أوجدهم بمقتضىٰ جوده وكرمه ولُطفه ومَنّه لكونه فياضاً علىٰ الإطلاق جواداً علىٰ كلّ حال وقد ثبت في العقليّات أنّ الجود إفادة ما ينبغي لا لِغَرض ولا لِعَوض وهذا المقام مختّص به تعالىٰ لا يُشاركه فيه أَحَد أشار ﷺ في المقام الىٰ وصف آخر له تعالىٰ وهو الرازّقية فأنّ الخالق يجب عليه عقلاً أن يرزق المخلوق علىٰ حَسب إستعداده ولياقته وإلّا يكون ظالماً في خلقه وإيجاده وحيث أنّ تقسيم المَعيشة بينهم يحتاج الىٰ العَدل الكامل لِئلا يُظلم علىٰ أَحد مضافاً الىٰ العلم بتَمام المخلُوقات كمّاً وكيفاً وهذان الوَصفان أعني العَدل الكامل والعِلم الشّامل من شئُون الخالق فقط فيلزم أن يكون هو المُقسم بينهم معايشهم ولأجل هذا قال ﷺ: **فقّسم** أي قَسَّم اللّه تعالىٰ بين المخلُوق معايشهم التّي يَعيشُون بها وهذا هو الدّليل العقلي علىٰ كونه تعالىٰ هو المُقَسِم لِلأرزاق.

وأمّا النّقل فلقوله تعالىٰ: **﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِى الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰ﴾**(١)

و: **﴿وَلَقَدْ مَكَّنّٰاكُمْ فِى الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾**(٢)

و: **﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ اِلاّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾**(٣)

وأمّا قوله ﷺ ووضعهم من الدّنيا مواضعهم، فهو إشارة الىٰ عَدله تعالىٰ فأنّ العَدل وضع الشّئ في مَوضعه والظّلم وَضعه في غير مَوضعه وحيث أنّا نرىٰ في عالم الخلقة وضع كلّ شئ في محلّه عِلمنا بأنّ الواضع عادل ويدّل علىٰ إثبات هذا الحكم العقل والنّقل أيضاً:

أمّا العقل: فلأنّه يحكم حكماً قطعياً بَطّياً بأنّ الموجُودات علىٰ أقسامها

١- الزخرف ـ ٣٢. ٢- الحجر ـ ٢٠

٣- هود ـ ٦

وأصنافها وتفاوت مراتبها لا نقص فيها من جهة الخِلقة والمَوضِع فكلّ موجودٍ كاملٌ في خَلقه موضوعٌ في مَوضعه ومَحّله:

فالإنسان والحيوان والجماد والنّبات في عالم العناصر والطّبيعة المُعبّر عنه بالعالم السّفلي والملائكة في العالم العِلوي والعقول والنّفوس في عالم المُجّردات والكواكب في السّماء والسّمك في الماء ثُمّ أنّ الإنسان في البلاد والحَيوان في البراري والصّحاري وأن شئت الوقُوف علىٰ ما في العالم الكَبير من النّظم والتّرتيب الخاص فانظر الىٰ العالم الصّغير الّذي هو مرآة لِلكبير ونعني بالصّغير الإنسان وأنّما عبّرنا عنه بالعالم الصّغير بحسب الظّاهر وإلّا هو العالم الكَبير في الواقع فترىٰ العين والسّمع والحاجب واليد والرّجل والقلب وغيرهما من الأعضاء والجَوارح كلّها في مَوضعها ولا يمكن لأحَدٍ من عقلاء العالم أن يقول أنّ موضع العَينين مثلاً لو كان غير هذا الموضع لكان أحَسن وقس عليه جميع الأعضاء ثُمّ قِس علىٰ الأعضاء جميع أعضاء العالم الكبير وحكم الأمثال واحد هذا كلّه بحسب الحسّ والمشاهدة وإلّا فنقول قد ثبت كونه تعالىٰ عادلاً وقد قلنا أنّ العَدل وضع الشّيْ في محلّه وموضعه وعليه فأن قلنا بأنّ اللّه تعالىٰ وَضَع الأشياء في مواضعها فثبت المطلُوب وأن قلنا بخلافه يلزم أن لا يكون الواجب تعالىٰ عادِلاً واذا لم يكن عادلاً فهو ظالم لعدم الواسطة بين العَدل والظّلم، والظّلم من القبائح العقلية وهو تعالىٰ منّزه عنها كما ثبت في بحث الصّفات فالمطلوب ثابت:

وأمّا النّقل فلقوله تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾(١)

و: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمٰوٰاتٍ طِبَاقاً﴾(٢)

و: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾(٣) وغيرها من الآيات:

وإن شئت الإطّلاع علىٰ تفصيل ذلك البحث فعليك بمطالعة الخبر

١- الفرقان ٣.
٢-نوح ١٥.
٣-نوح ١٤.

المَشهُور بتوحيد المفَضل الّذي رواه في البحار مفَصلاً فأنّ الإمام الصّادق عليه السلام ذكر فيه ما لا يُوجد في غيره:

□ قوله عليه السلام: **فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ مَنْطِقُهُمْ الصَّوَابُ وَمَلْبَسُهُمُ الإِقْتِصَادُ وَمَشْيُهُمْ التَّوَاضُعُ...**

شَرع عليه السلام في بيان أوصاف المُتّقين في الدّنيا وذلك لأنّ الأوصاف معرفات الموصُوف فكلّ موجودٍ يُعرف بوَصفه ولأجل هذا وَصَف المُتّقين بأوصاف يُعرف الموصوف بها شدّةً وضعفاً وكمالاً ونقصاً ووجوداً وعَدَماً لئلا يدّعي كلّ شخصٍ الإتّصاف بالتّقوىٰ.

فأنّ لكلّ شيءٍ علامة يُستَدل بها عليه فقال عليه السلام: **فَالْمُتَّقُونَ** أي المُتّصفُون بالتّقوىٰ فيها أي في الدّنيا هم أهل الفضائل جمع فضيلة وهي خلاف الرّذيلة ثُمّ أنّ الفضائل لكونها جمع الفضيلة وهي تصدق علىٰ كلّ صفةٍ مُستَحسنة عقلاً وشرعاً وعُرفاً فيحتاج الىٰ تَبيِينٍ وتَفصيلٍ فكأنّه قيل له عليه السلام وما هذه الفضائل الّتي ينبغي الإتّصاف بها فأشار الىٰ تفصيلها فقال عليه السلام:

الأوّل قوله عليه السلام: **مَنْطِقُهُمْ الصَّوَابُ**، أي لا يقولون إلّا حقّاً ولا ينطقون إلّا صدقاً فلا يكذبون ولا يتكلمون بالباطل قال اللّه تعالىٰ: **﴿يا ايّها الّذِينَ آمَنُوا اتّقوا اللّهَ وَقُولُوا قولاً سَدِيداً﴾**(١)

و: **﴿وَمَنْ اَحْسَنَ قَوْلاً مِمَّن دَعَا اِلَى اللّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾**(٢)

و: **﴿فَلْيَتَّقُوا اللّهَ وَقُولُوا قولاً سَدِيداً﴾**(٣)

قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله رحم اللّه عبداً قال خيراً أو سَكَت عن سُوءٍ فَسَلِم انتهىٰ «ص ٥ عليه السلام ١ مشكاة الأنوار»...

وعن الصّادق عليه السلام عن آبائه عن أبي ذرّ أنّه كان يقول اجعل الكلام كلمتين كلمة خيرٍ تقولها وكلمة شرٍّ يسكُت عنها والثّالثة لا تضرّ ولا تنفع لا تردّها

١- الاحزاب ـ ٧٠
٢- فصلت ـ ٣٣
٣- النّساء ـ ٩

انتهىٰ «ص ٤ ع».. .

وقال رسُول اللّه ﷺ إمسك لسانك فأنّها صدقة تتَصدق بها علىٰ نفسك ثُمّ قال ﷺ ولا يعرف عبد حقيقة الإيمان حتّىٰ تخزن لسانه انتهىٰ.. .

وعن الصّادق ع قال علّي ع قولوا الخير تُعرفوا به واعملوا الخير تكونوا من أهله انتهىٰ «ص ١٤٤».. .

الثّاني قوله ع: **وَمَلْبَسُهُمُ الإِقْتِصَادُ**، أي التّوسط بين الإفراط والتّفريط ومن المعلوم أنّ الإقتصاد يتفاوت بالنّسبة الىٰ الأشخاص فرُبّ لباسٍ يكون بالنّسبة الىٰ بعض الأفراد من الإقتصاد وبالنّسبة الىٰ بعضٍ آخر عُدّ من لباس المُترفين المُستكبرين وبالعكس وليس الإقتصاد أعني التّجنّب عن الإفراط والتّفريط مُنحصراً في الملبُوس فقط بل هو ثابت في جميع الشئُون من الأكل والشّرب والنّوم وغيرها حتّىٰ في العبادات وإثبات الشّئ في موردٍ لا ينفي ما عداه فقوله ع مَلبَسهم الإقتصاد ليس معناه جواز الإفراط والتّفريط في غير اللّباس لِلمؤمن بل المؤمن يقتصد في جميع أُموره.

الثّالث قوله ع: **وَمَشْيُهُمْ التَّوَاضُعُ**، يعني لا يمشُون في الأرض علىٰ وجه الأشر والبَطر والخيلاء كمَشي المُتكبرين بل يمشي مُتواضعاً مُتخاشعاً.

والىٰ الأوّل أُشير بقوله تعالىٰ: **﴿وَلا تَمشِ فِى الأَرْضِ مَرَحاً اِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الجِبالَ طُولاً﴾** (١)

و: **﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنّاسِ وَلا تَمْشِ فِى الأَرْضِ مَرَحاً﴾** (٢)

و: **﴿وَعِبادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوناً﴾** (٣)

والىٰ الثّانى أعني المشي علىٰ سَبيل التّواضع أشار اللّه بقوله: **﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾** (٤) فأنّ القَصد في المَشي هو الإحتراز عن التّكبر والتّصغر المَهينَين وهو التّواضع والأخبار في مَدح التّواضع كثيرة:

١- الاسراء ـ ٣٧.
٢- لقمان ـ ١٨
٣- الفرقان ـ ٦٣
٤- لقمان ـ ١٩.

قال النّبي ﷺ أوحىٰ اللّه تعالىٰ الىٰ داوُد ياداوُد أنّ أقرب النّاس منّي يوم القيامة المُتّواضعون وكذلك أبعد النّاس يوم القيامة المُتكّبرون انتهىٰ...

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: (كان علّي بن الحسين عليه السلام يَمشي مشيةً كأنّ علىٰ رأسه الطّير لا يَسبق يمينه شماله انتهىٰ وقال الصّادق عليه السلام أُصول الكفر ثلاثة، الحِرص والإستكبار والحسد انتهىٰ...

وقال أبو عبد اللّه عليه السلام أنّ في السّماء مَلكين مُوكّلين بالعباد فَمن تَواضع لِللّه رفعاه ومن تكبّر وضعاه انتهىٰ «مشكاة الأنوار ص ٢٢٦ وص ع ٢٢»...

الرّابع قوله عليه السلام: **غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ...**

لقوله تعالىٰ: **﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾**(١) وفي قوله عليه السلام عمّا حرّم اللّه عليهم إشارة الىٰ أنّ مطلق الغَض ليس بصحيح بل الغَض عن المحرّمات من علائم التّقوىٰ وأمّا النّظر الىٰ ما أحلّ اللّه له وهكذا النّظر الىٰ ما فيه عبرة لِلنّاظر فهو ممدوحٌ حَسَن والمراد بالنّظر الىٰ ما حرّم اللّه عليهم النّظر الىٰ الأجنبية والنّظر الىٰ آلات القمار والمزامير والشّطرنج وأمثال ذلك مِمّا هو مذكُور في كتب الفقه والرّسائل العلمية:

الخامس قوله عليه السلام: **وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَىٰ الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ...**

أي لا يسمعون إلّا ما فيه صلاح لهم ومَنفَعة فقوله عليه السلام وقفُوا أي حَبسُوا والمراد بالعلم النّافع هو العلم المذكِرالمُنّبِه عن نَوم الغفلة كما قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾**(٢)

وأنّما جَعل عليه السلام ذلك من أوصاف المُتّقين لأنّ السّمع والبَصر وغيرهما من الأعضاء والجوارح يكون مَسئُولاًكما قال تعالىٰ: **﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾**(٣)

١- النّور ـ ٣٠ ٢- المائدة ـ ٨٣
٣- الاسراء ـ ٣٦

السادس قوله ﷺ: نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي الرَّخَاءِ...

اي لا يفرقون بين البلاء والرّخاء من حيث الرّضا والتّسليم لِلّه تعالىٰ فلسانهم لسان الشّكر في كلا الحالين كما هو شأن الأولياء والأبرار وقد أشار اللّه تعالىٰ الىٰ هذا المقام بقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً، وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً ،وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً﴾ (١)

و : ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُساً﴾ (٢)

و : ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَيهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ، وَإِذَا مَا ابْتَلَيهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ (٣) وغيرها من الآيات.

وقد روي عن الرّضا ﷺ عن آبائه عليهم السّلام قال: رفع الىٰ رسُول اللّه قوم في بعض غزواته فقال مَن القوم فقالوا مؤمنون يارسُول اللّه قال ﷺ وما بلغ من إيمانكم قالوا الصّبر عند البلاء والشّكر عند الرّخاء والرّضا بالقَضاء فقال رسُول اللّه ﷺ حلماء علماء كادوا من الفقه أن يكونوا أنبياء أن كنتم كما تصِفون فلا تبنُوا ما لا تسكنُون ولا تجمعوا ما لا تأكلُون واتّقوا اللّه الّذي اليه ترجَعون «مشكاة الأنوار ص ٣٤»...

وحاصل الكلام أنّ المُتّقين كما يشكرون اللّه تعالىٰ علىٰ نعمائه كذلك يشكرونه علىٰ بلائه ومعلوم أنّ الشّكر علىٰ البلاء معناه الصّبر عليه راضياً به:

السّابع قوله ﷺ: وَلَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ وَخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ ...

أي أنّهم لوصولهم الىٰ مرتبة اليَقين الّذي لا شك فيه يشتاقون الىٰ ثوابه تعالىٰ ويخافون من عذابه وصار هذا الإشتياق فيهم الىٰ الثّواب وخوفاً من العقاب الىٰ مرحلةٍ تكاد أرواحهم لا تستَقر في أجسادهم طَرفَةَ عينٍ وأنّما

١-المعارج ـ٢٠ ٢-الاسراء ـ٨٣
٣-الفجر ـ١٥/١٦

المانع هو الأجل الّذي أجّل اللّه لهم.

وتوضيح المقال أنّه لا شك أنّ الإنسان مُركّبٌ من روح وبَدنٍ والرّوح قد تعلّقت بالبَدن تعلّق التّدبير علىٰ ما هو التّحقيق عندنا كتَعلّق السّلطان بالمَملكة فكما أنّه يدّبر أُمور مَملكته أيّاماً معدودة كذلك الرّوح تُدّبر أَمَر البَدن أيّاماً لا يعلمها إلّا اللّه ثُمّ أنّ البَدن لكونه من عالم المادّة يشتاق دائماً الىٰ ما هو فيها من المأكُول والمَشروب والمَلبُوس وغيرهما ولا أُنس له بالمَعنَويات والحقائق الخارجة عن عالم المَواد وأمّا الرُّوح فليست كذلك بل أمرها بالعكس وذلك لأنّها من عالم المَلكوت فلا مُحالة تَشتاق الىٰ ما هو فيها ولا علاقة لها بالمَاديات بحسب ذاتها وطَبعها فأنّ الشَيّ يطلب مماثله ومجانسه اذا عرفت هذا فنقول لا شك أنّ اللّه جَعَل الثّواب والعقاب في الآخرة والإنسان يطلب الثّواب ويخاف العقاب فيميل الىٰ الأوّل ويَتَنفر عن الثّاني والشّوق الىٰ شيٍ والخوف عنه من صفات النَفس والرّوح فاذا وَصَل الإنسان الىٰ مقام القطع واليَقين وزال عنه الشّك والتّرديد كما هو شأن المؤمنين المُتّقين يَشتاق الىٰ الوصُول الىٰ الثّواب شوقاً يُدرَك ولا يُوصَف فَيسرع اليه بتمام قدرته والمانع عن هذا العرُوج هو البَدن الّذي له علاقة بالمّاديات وحيث أنّ الإنسان لا يجوز له خَلع الرّوح عن البَدن بإختياره فلا محالة يصبر حتّىٰ يحكم اللّه له بالمَوت بعد إنقضاء أَجله الّذي أجّل اللّه له وهذا هو السّر في إشتياق المؤمن الىٰ المَوت كما قال علّي عليه السلام **والله لإبن أبي طالب آنس بالمَوت من الطّفل بثدي أمّه**،وذلك لعلمه بعدم إمكان الوصُول الىٰ مَحبُوبه مادام الرّوح في جَسده فقوله عليه السلام ولولا الأَجل الّذي كُتب عليهم لم تستّقر أرواحهم في أجسادهم الىٰ آخر كلامه إشارة الىٰ ما ذكرناه وأنّه لولا حُرمة الإنتحار ومنعه من الشّارع وأنّ الرّوح تفارق البَدن بعد حلول الأجل لكانوا مُقدِمين علىٰ قتل أنفسهم ليصلُوا الىٰ ما أرادوا وفازوا بما إشتاقوا اليه وعليه فإستقرار أرواحَهم في أبدانهم ليس لأجل علاقتهم بالدّنيا وحَياتها الفانية ونِعَمها الزّائلة الدّاثرة بل لأجل ما كتب

اللّه عليهم من حُلول الأجل قال رسول اللّه ﷺ من عَرف اللّه وعَظمه مَنع فاه من الكلام وبطنه من الطّعام وعني نفسه بالصّيام والقيام قالوا بآبائنا وأُمّهاتنا أنت يارسُول اللّه هؤلاء أولياء اللّه قال ﷺ أنّ أولياء اللّه سكتُوا فكان سكوتهم فكراً وتكلّموا فكان كلامهم ذكراً ونظروا فكان نَظرهم عبرة ونطقوا فكان نَطقهم حِكمة ومَشوا فكان مَشيهم بين النّاس بركة ولولا الآجال التّي كُتبت عليهم لم تستقّر أرواحهم في أجسادهم خوفاً من العذّاب وشوقاً الىٰ الثّواب انتهىٰ« مشكاة الأنوار ص ١٢٤»...

ثُمّ أنّ الثّواب المُشار اليه في كلامه ﷺ هو الّذي وَعَد اللّه المتّقين في كتابه كقوله تعالىٰ: ﴿لٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنّٰاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ وَمٰا عِنْدَ اللّٰهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرٰارِ﴾ (١)

و: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهٰا عَلَى الْأَرٰائِكِ نِعْمَ الثَّوٰابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً﴾ (٢)

و: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ خَيْرٌ لَوْ كٰانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٣)

و: ﴿أُولٰئِكَ لَهُمْ جَنّٰاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهٰارُ يُحَلَّوْنَ فِيهٰا مِنْ أَسٰاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيٰاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ (٤) وغيرها من الآيات.

ولمثل هذا فليعمل العاملُون وأمّا الآيات النّازلة في الوَعيد والخوف من العقاب فهي أيضاً كثيرة:قال تعالىٰ:﴿إِنِّي أَخٰافُ اللّٰهَ وَاللّٰهُ شَدِيدُ الْعِقٰابِ﴾ (٥)

و: ﴿وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقٰابِ﴾ (٦)

و: ﴿أَعَدَّ اللّٰهُ لَهُمْ عَذٰاباً شَدِيداً إِنَّهُمْ سٰاءَ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٧)

و: ﴿وَأَنَّ عَذٰابِي هُوَ الْعَذٰابُ الْأَلِيمُ﴾ (٨)

و: ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنّٰا عَذٰابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذٰابَهٰا كٰانَ غَرٰاماً﴾ (٩)

واذا كان الأمر علىٰ هذا المنوال أي ﴿أعَدّ للمُتّقين ثواباً وللطّاغين عذاباً

١- آل عمران ـ ١٩٨
٢- الكهف ـ ٣١
٣- البقرة ـ ١٠٣
٤- الكهف ـ ٣١
٥- الانفال ـ ٤٨
٦- الحشر ـ ٧
٧- المجادلة ـ ١٥
٨- الحجر ـ ٥٠
٩- الفرقان ـ ٦٥

وعقاباً﴾فالعاقل اللّبيب يختار الثّواب ويَحترز العقاب فَيعمل عملاً يُثاب عليه لا عملاً يُعاقب عليه ولا نعني بالتّقوىٰ إلّا هذا.

الثامن قوله ﷺ: **عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُنْعَمُونَ وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ...**

أمّا عِظَم الخالق في أنفسهم فلكونه خالق السّمٰوات والأرض وما بينهما وربّ العرش العظيم ولا يَؤدُه حِفظهما وهو العلّي العظيم وله ما في السّموات والأرض وهو العلّي العظيم واذا كان كذلك فسَبح بإسم ربّك العظيم والعقل أيضاً يحكم بأنّ اللّه تعالىٰ عظيم وذلك لأنّ كُلّ عظيم فرضته في عالم الوجود من العَرش والسّمٰوات والأرض والكواكب وغيرها فهو مخلوق مَصنُوع له تعالىٰ وقد ثبت أنّ كلّ خالق أعظم من مَصنُوعه ومخلوقه من حيث المعنىٰ واللّه تعالىٰ خالق الكلّ فهو أعظَم من الكُلّ ولازم ذلك أن يكون غيره صغيراً بالنّسبة اليه كائناً ما كان لكونه مخلوقاً له ولأجل هذا أتىٰ ﷺ كلامه بالفاء المفيد للتّفريع فقال فَصَغُر ولم يقل وصَغُرَ أي اذا عَظُم الخالق في النّفس يلزم منه صِغَر غيره فيها وأنّما قال في أعينهم وفي الخالق في أنفسهم، لأنّ غيره محسُوس وأمّا هو تعالىٰ فليس بمَحسُوسٍ فَعِظمه في النّفس وصُغر غيره في العين وبعبارةٍ أُخرىٰ الواجب تعالىٰ لا يُدرك بالكُنه ولا يُرىٰ بالعَين لكونه فوق الإدراك وخارجاً عن الحوّاس فَعِظَمه يُعلم من صفاته وآثاره وأمّا المخلوق فليس كذلك فصِغره وعِظمه يُعلم بسَبَب الحوّاس وأمّا قوله ﷺ: **فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا** الخ معناه أنّ المُتّقين كأنّهم يَرون الجنّة بعَين بَصيرتهم فهم فيها مُنّعَمُون كما أنهم والنّار أيضاً كذلك فهم فيها مُعذّبُون وحاصل الكلام أنّهم وصلوا الىٰ أعلىٰ مراتب اليَقين وأسنىٰ مراتب الكشف والشّهود فليس في الحقيقة بينهم وبين الآخرة حجاباً مستُوراً لخروجهم عن عالم المَواد الجسّمانية وعروجهم بأرواحهم الىٰ أعلىٰ مراتب الملكُوت وأقصىٰ مراحل

الشّهود كما قال عليه السلام في بعض كلماته لو كشف الغطاء ما إزددتُ يقيناً واذا وصل العَبد الىٰ هذا المقام فهو يرىٰ الآخرة ونعيمها وعذابها بعين البَصيرة فلا يخفىٰ عليه شيٰ منها كما يرىٰ بعين الحسّي الدّنيا ومافيها.

بل نقول عين البَصيرة فيه أقوىٰ من عين المّادية الحسّية لوجود الخطأ فيها أحياناً دونها فهو وأن كان بحسب الظّاهر في الدّنيا بحَسب جسمه العنصري المادّي إلّا أنّه في العُقبىٰ بحَسب روحه الملكُوتي القُدسي ولعلّه لأجل هذا قال الرّسُول صلى الله عليه وآله أنا ذو العَينين أي عين الدّنيا وعين الآخرة وهذا المقام لا مقام فوقه في الإيمان:

فعَن إسحاق ابن عمّار قال سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله صلّىٰ بالنّاس الصّبح فنظر الىٰ شابٍ في المَسجد وهو يَخفق ويَهوي برأسه مُصّفرٌ لَونه وقد نَحف جِسمه وغارت عيناه في رأسه ولَصَق جلده بعظمه فقال له رسُول اللّه صلى الله عليه وآله كيف أصبحت ياحارث فقال أصبحتُ يارسُول اللّه مُؤمناً فقال فعجب رسُول اللّه من قوله وقال له أنّ لكلّ يقينٍ حقيقة فما حَقيقة يَقينك فقال أنّ يقيني يارسُول اللّه هو أحزنَني وأسهَر ليلي وأظمَأ هواجري فَعَزمت نفسي عن الدّنيا وما فيها حتّىٰ كأنّي أنظر الىٰ عَرش ربّي قد نُصَب لِلحساب وحُشِر الخلائق لذلك وأنا فيهم وكأنّي أنظر الىٰ الجنّة وأهلها وهُم يَتنعمُون فيها ويَتّعارفون علىٰ الأرائك مُتكّئين وكأنّي أنظر الىٰ أهل النّار فيها معذّبون ويَصطرَخُون وكأنّي أسمع الآن زفير النّار يَدُور في مَسامعي قال فقال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله هذا عبدٌ نَوّر اللّه قلبه بالإيمان ثُمّ قال صلى الله عليه وآله الزم ما أنت عليه قال فقال له الشّاب أدعُ اللّه لي يارسُول اللّه أن أُرزق الشّهادة مَعك قال عليه السلام فدعا له بذلك فلَم يَلبث أن خرج في بعض غزوات النّبي صلى الله عليه وآله فاستَشهد بعد تسعة نفر انتهىٰ « مشكاة الأنوار ص ١٤»...

وعن الصّادق عليه السلام أنّ الإيمان أفضل من الإسلام وأنّ اليَقين أفضل من الإيمان وما من شيٰ أعزّ من اليَقين انتهىٰ« ص ١١»...

▫ قوله عليه السلام: قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ ...

فهذه أوصاف خمسة لهم مُضافاً الىٰ ما مرّ ذكره فنقول:

التاسع قوله عليه السلام: **قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ...**

لغلبة الخوف عليها والحُزن في الأصل خشُونة في الأرض وخشُونة في النّفس لِما يَحصُل فيها من الغمّ وضدّه الفرح فقوله عليه السلام: **قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ** إشارة الىٰ أنّهم في الدّنيا، مَهمُومون مَغمُومون علىٰ ما فات عنهم من أمور آخرتهم وأمّا ما فات عنهم من الدّنيا فلا يكون الحُزن عليه مَمدُوحاً فأنّ الدّنيا وما فيها لا قيمة لها لعدم بقائها ودَوامها والعاقل لا يَحزُن علىٰ الشّئ الفاني بذاته وأمّا الآخرة ونعيمها فليست كذلك فهي باقية دائمة فينبغي الحُزن علىٰ فوتها وزوالها لأجل هذا جَعَل عليه السلام الحُزن من أوصاف المُتّقين فأنّهم مَحزونون في الدّنيا علىٰ غفلاتهم وخطيئاتهم التّي صَدَرت عنهم أحياناً فتكون آثار الحُزن فيهم مشهُودة وعلائم الغمّ فيهم محسُوسة يضحكون قليلاً ويبكون كثيراً قال اللّه تعالىٰ: **﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لا يَجْزِي والِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾**[(١)] و: **﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾**[(٢)]

و: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً وَعَلىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾**[(٣)]

و: **﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلىٰ رَبِّهِمْ راجِعُونَ﴾**[(٤)] وغيرها من الآيات:

العاشر قوله عليه السلام: **وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ...**

أي أنّ النّاس مأمونون من شرورهم وآفاتهم سواء كانت باللّسان أو بالرّجل أو باليَد أو بغير ذلك والجامع إيذاء الغير كيف اتّفق:

١- لقمان ـ ٣٣
٢- الزمر ـ ٢٣
٣- الانفال ـ ٢
٤- المؤمنون ـ ٦٠

فقد روي في البحار بأسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال لا يحلّ لِمسلمٍ أن يروع مُسلماً انتهىٰ «ج ١٦ ص عليه السلام ١٥»...

وأيضاً عن أبي عبد اللّه عليه السلام من أعان علىٰ مؤمنٍ بشطرِ كلمةٍ لقىٰ اللّه عزّ وجلّ وبين عينيه مكتوب آيس من رحمة اللّه انتهىٰ«ص عليه السلام ١٥»...

وقال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله سباب المؤمن فسُوق وقتاله كفر وأكل لَحمه من مَعصية اللّه انتهىٰ «ص عليه السلام ١٥»...

وبأسناده عن المفَضل قال قال أبو عبد اللّه عليه السلام اذا كان يوم القيامة نادىٰ منادٍ أين الصُدود لأوليائي قال عليه السلام فيقوم قوم ليس علىٰ وجوههم لحمٌ قال فيقول هؤلاء الّذين آذوا المؤمنين ونصبُوا لهم وعاندوهم وعنفُوهم في دينهم قال ثُمّ يؤمر بهم الىٰ جهنّم

الحديث « ص عليه السلام ١٥»...

وقال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله من آذىٰ مؤمناً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذىٰ اللّه ومن آذىٰ اللّه فهو ملعُون في التّورية والإنجيل والزّبور والفرقان وفي خبر آخر فعليه لعنة اللّه والملائكة والنّاس أجمعين) (وقال صلى الله عليه وآله من نظر الىٰ مؤمنٍ نظرة يخيفه بها أخافه اللّه تعالىٰ يوم لا ظِلّ له إلاّ ظِلّه وحَشره في صُورة الذّر ملجَمه وجسمه وجميع أعضائه وروحه حتّىٰ يُورده مورده وقال صلى الله عليه وآله من أحزَن مؤمناً ثُمّ أعطاه الدّنيا لَم يكن ذلك كفّارته ولَم يؤجر عليه انتهىٰ« ص عليه السلام ١٥ »والأحاديث كثيرة:

الحادي عشر قوله عليه السلام: أَنّ وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ...

أي ضعيفة وذلك لإتعابهم أنفسهم بالصّيام والقيام والعبادات وقناعتهم بالضّروري من الطّعام ومن كان كذلك فلا محالة يكون جَسَده نحيفاً لكونه غير مُعتنٍ به وأنّما هَمّه وإعتنائه بالرُّوح وهو ظاهر:

الثاني عشر قوله عليه السلام: وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ...

أي قليلة يَسيرة والوجه فيه أيضاً ظاهر فأنّ المُتّقين لا إعتناء لهم بالدّنيا وما

فيها إلّا بقدر الحاجة والضرورة فلا يكون لهم فيها كثير حاجةٍ فأنّهم يقنعُون من اللّباس والغذاء والمسكن وغيرها بأقل ما يمكن التعيّش به:

الثّالث عشر قوله ﷺ: وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ...

قالوا أي مَصُونة عن المحرّمات لكسرهم القُوّة الشّهَوية والأحسن حَمل الكلام علىٰ معناه العامّ فأنّ العِفّة حصول حالةٍ للنّفس تمتنع بها عن غلبة الشّهوة والمُتعفف، المَتعاطي لذلك بضربٍ من المُمارسة والقَهر وأصله الإقتصار علىٰ تناول الشّيّ القليل الجاري مجرىٰ العفافة هذا وعليه فقوله وأنفسهم عفيفة معناه أنّهم يعفُون أنفسهم أي يمنعونها عن الإفراط والتّفريط سواء كان في المحرّمات أم كان في الحلال فلا وجه لإختصاص العِفة بصَون النّفس عن المحرّمات فقط وإلىٰ ما ذكرناه:

أشار اللّه تعالىٰ في كتابه حيث قال:﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (١)

و : ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢)

و : ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (٣)

و : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً﴾ (٤)

فأنّ هذه الآيات ونظائرها تنادي بأعلىٰ صوتها بأنّ التّعفّف معناه كَفّ النّفس عمّا يُعَدّ عَيباً ونقصاً في الإنسان سواء كان بحسب الشّرع كالمحرّمات أم بحسب العقل والعُرف كالسّؤال عن النّاس بغير ضرورةٍ وهو يجري في جميع الشئون من النّكاح والسّؤال والأكل والشّرب واللّبس وغيرها فأنّ العَفيف من صان نفسه عن الحقارة والذّلة وأن شئت قلت العِفة قَمع الشّهوة بمعناها العامّ وكيف كان لا شك أنّها من أوصاف المُتّقين وقد ورد في الأخبار أنّ أفضل

١- النور - ٣٣
٢- النور - ٦٠
٣- النساء - ٦
٤- البقرة - ٢٧٣

العبادة العفاف، «بحارالأنوار ج ١٥ ص ١٨٣ الأيمان والكفر الجزء الثانى»...

وبأسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال أنّ أفضل العبادة عِفّة البَطن والفَرج انتهىٰ« ص ١٨٣»...

وعن أبي بصير قال قال رجل لأبي جعفر عليه السلام أنّي ضعيف العَمل قليل الصّيام ولكنّي أرجوا أن لا آكل إلّا حلالاً فقال عليه السلام له وأي الإجتهاد أفضل من عِفة بطنٍ وفَرج انتهىٰ« ص ١٨٣»...

٤- (وقال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله أنّ اللّه يُحبّ المُتَعفف ويُبغض البذيّ السّائل المُلحِف انتهىٰ« ص ١٨٣»...

وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال عليه السلام في قوله تعالىٰ:(يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سَوْتكم وريِشاً) قال عليه السلام فأمّا اللّباس فالثّياب التّي يَلبسون وأمّا الرّياش فالمتاع والمال وأمّا لباس التّقوىٰ فالعفاف أنّ العَفيف لا تبدو له عورة وأن كان عارياً من الثّياب والفاجر بادي العَورة وأن كان كاسياً من الثّياب يقول اللّه:(ولباس التّقوىٰ ذلك خيرٌ) يقول العفاف خيرٌ ذلك من آيات اللّه لعلّهم يذكّرون« ص ١٨٣»...

وقال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله أوّل من يدخل الجنّة شهيد وعبد مملوك أحسَن عبادة ربّه ونَصِح لسيّده ورجل عفيفٌ مُتعفف ذو عبادة انتهىٰ« ص ١٨٤» والأحاديث كثيرة...

الرّابع عشر قوله عليه السلام: صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ...

أي أنّ المُتّقين صَبروا في الدّنيا أيّاماً قصيرة غير طويلة في عقبها راحة طويلة لا نهاية لها والمراد بها الآخرة ونعيمها، وقوله عليه السلام: **مُرْبِحَةٌ** أي أنّ الصّبر في الدّنيا للوصُول الىٰ نِعم العقبىٰ تجارة مُربحة أي مُفيدة لا ضرر فيها أصلاً ويسّرها وأعدّها لهم ربّهم بفضله ورحمته:

أمّا قوله عليه السلام: **صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً**، فهو إشارة الى مَدح الصّبر علىٰ المكاره

والآفات والبَليات الموجُودة في الدُنيا ولا سيَما بالنَسبة الىٰ أولياء اللّه فأنَ البلاء لِلولاء وقد مَدح اللّه الصّابرين فيها في كتابه فقال: ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (١)

و: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا اَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢)

و: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ (٣)

و: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا اَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (٤)

و: ﴿يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اِصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ (٥) والآيات كثيرة:

وأمّا قوله عليه السلام: أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً فهو إشارة الىٰ راحة الجنّة الّتي تحصل لهم بعقيب الصَبر في الدّنيا قال اللّه تعالىٰ: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٦)

و: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا وَاَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٧)

و: ﴿اُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً﴾ (٨)

و: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا اِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا اِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٩)

و: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾ (١٠)

و: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١١) وغيرها من الآيات:

وقوله عليه السلام: طويلة إشارة الىٰ أنّ المُتّقين خالدين في الجنّة مُتنعمين في نِعمها أبداً وليست أيّام التّنعُم فيها قصيرة كأيّام الدّنيا بل طويلة مُستمرة الىٰ ما شاء اللّه كما قال تعالىٰ: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودُ﴾ (١٢)

وقال: (جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِم وَ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجرِى مِنْ تَحْتِهَا الأنـهارُ خَالِدِينَ فِيهَا

١- النحل ـ ١٢٦
٢- النحل ـ ٩٤
٣- الروم ـ ٦٠
٤- لقمان ـ ١٧
٥- آل عمران ـ ٢٠٠
٦- الرّعد ـ ٢٤
٧- المؤمنون ـ ١١١
٨- الفرقان ـ ٧٥
٩- فصلت ـ ٣٥
١٠- الانسان ـ ١٢
١١- هود ـ ٤٩
١٢- ق ـ ٣٤

أبداً﴾(١)

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُنَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْداً مَسْئُولاً﴾(٢)

وقال: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَراً وَمَقَاماً﴾(٣)

وأمّا قوله عليه السلام: تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ فهو إشارة الى أنّ هذه التّجارة لا غبن ولا ضرر فيها أصلاً وفيه إشارة الى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾(٤)

فهذا شأن من إشترى الهداية بالضّلالة وأمّا من إشترى الضّلالة بالهداية فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾(٥).

وأمّا الأخبار في الباب فكثيرة جدّاً:

منها-ما رواه في البحار بأسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال عليه السلام الجنّة محفوفة بالمكاره والصّبر، فمن صبر على المكاره في الدّينا دخل الجنّة، وجهنم محفوفة باللّذات والشّهوات فمن أعطى نفسه لذتّها وشهواتها دخل النّار انتهى...

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله حُفّت الجنّة بالمكاره وحُفّت النّار بالشّهوات انتهى...

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال عليه السلام اصبروا على المصائب وقال عليه السلام اذا كان يوم القيامة نادى مُنادٍ أين الصّابرون فتقوم فئام من النّاس ثُمّ يُنادي أينَ المُتّصبرون فتقوم فئام من النّاس قلت جعلت فداك وما الصّابرون قال أداء الفرائض والمتّصبرون على إجتناب المحارم انتهى...

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال عليه السلام أنّ العبد ليكون له عند الله الدّرجة لا يبلغها

١- البينة ـ٨
٢- الفرقان ـ١٦
٣- الفرقان ـ٧٦
٤- الصّف ـ١٢-١٠/١١/
٥- البقرة ـ١٦

بعَمله فيبتليه اللّه في جسده أو يصاب بماله أو يُصاب في وَلده فأن هو صَبَر بلغه اللّه أيّاها انتهىٰ...

وعنه عليه السلام من إبتلىٰ من شيعتنا فصَبر عليه كان له أجر ألف شهيد انتهىٰ... والأحاديث في مدحه وفضله كثيرة وما نقلناه نقلناه عن «البحار ج ١٥ الجزء الثاني من كتاب الأيمان والكفر ص ١٣٨ الى ١٤٦ ط كمباني»...

وأن شئت الإطّلاع علىٰ تَفصيلها فعليك بالبحار ونحن قد تكلّمنا في الصَبر في ما مضىٰ وسنتكَلم فيه أيضاً فيما يأتي ولهذا راعَينا جانب الإختصار في المقام ولنعم ما قيل فيه:

أنّــي رأيتُ لِــلأيّام تــجربة ... للـصّبر عـاقبة مـحمودة الأثـر
وقلّ مَن جـدّ فـي أمـرٍ يُطالبه ... فاستَصَحب الصّبر إلّا فاز بالظّفر

والخامس عشر قوله عليه السلام: **أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا...**

أي أنّ الدّنيا أرادت أن تَغرّهم وتـفتنهم ولأجـل ذلك أقبلت اليـهم فـلم يريدوها أي أنّ المُتّقين لَم يريدوا الدّنيا فلم يقبلوها وتركوها وراء ظهورهم لعلمهم بعدم بقائها وأنّها كالعجُوزة التّي تزيّنت نفسها ليَتزَوجونها فـتعرض نفسها علىٰ أهل الدّنيا بُكرةً وعشياً إلّا أنّ من نوّر اللّه قلبه بـالإيمان ووصـل بإيمانه الىٰ مقام الكشف والشّهود فصار من المُوقنين يعلم بـل يـرىٰ بـعين البَصيرة مكرها وحيلتها وكِذبها وأنّها ليست بصادقة في دعواها لِنفاقها وعَدم تطابق ظاهرها لباطنها فأنّها كالحيّة لَيّن مَسّها وفي جوفها سَمّ خـطير فـتركها أولىٰ وأنفع وقد مَرَّ الكلام فيها وفي بيان ماهيّتها وما ورد من الآيات والأخبار في ذمّها بما لا مزيد عليه ولَنشر الىٰ بعض الآيات في المقام تَيمناً وتبركاً بها مع أنّها كافية لِلإعتبار بها لمن كان له قلب قال اللّه تعالىٰ: **﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا فِى الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾**(١)

و: **﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾**(٢)

١- التوبة ـ٣٨
٢- التوبة ـ٣٨

و : ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا واطمانوا بها﴾ (١)

و : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ (٢)

و : ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ (٣)

و : ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (٤) وغيرها من الآيات.

وأنت خبير بأنّ المقصود من عدم إرادتهم الدّنيا هو إعراضهم عنها مع إقبالها اليهم وقُدرتهم علىٰ أَخذها والتّمتع بها وهذا هو الزّهد الحقيقي كما أنّ أمير المؤمنين ﷺ في أيّام خلافته كان كذلك مع قدرته فلم يرُدها بل طَلّقها ثلاثاً.

السّادس عشر قوله ﷺ: وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا ...

أي أنّ الدّنيا أَسَرتهم وجَعَلتهم تحت سُلطتها وقدرتها إلّا أنّهم فَدوا أنفسهم منها شبّه ﷺ الدّنيا بالمَلك القادر القاهر والنّاس بالعَبيد الّذين أَسَّرهم المَلك وجعلهم تحت نفوذه وإختياره فكما أنّ الأَسير لا يَقدر علىٰ خلاص نفسه إلّا بالفداء أعني شراء نفسه من صاحبه كذلك المُتّقون فدوا أنفسهم من الدّنيا وخرجوا بذلك عن حكومتها عليهم وهذا الفداء هو التّقوىٰ واليَقين فَمن اتّصف بالتّقوىٰ حقّاً فقد فدىٰ نفسه من الدّنيا وإلّا يكون عبدها وأسيرها فتفعل به ما تشاء وتحكم فيه ما تريد كما فَعَلت بأبنائها وأهلها من أوّل الدّنيا الىٰ زماننا هذا.

السّابع عشر قوله ﷺ: أَمَّا اللَّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلاً ...

أشار ﷺ في هذا الكلام الىٰ اتّصافهم بالتّهجد وقيام اللّيل وإشتغالهم بالإذكار وتلاوة القرآن مُتقرباً به الىٰ اللّه ولا شك أنّه من أوصاف المُتّقين وفيه

١- يونس ـ٧
٢- يونس ـ٢٣
٣- الرّعد ـ٢٦
٤- ابراهيم ـ٣

مدحٌ عظيم أمّا صلوة اللّيل فقال اللّه تعالى:﴿وَ مِنَ اللَّيلِ فَتَهَجّدْ بِهِ نافِلَةً لَکَ عَسىٰ اَنْ يَّبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقاماً مَحمُوداً﴾(١)

و: فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعيدُنا قُلِ الَّذي فَطَرَكُمْ اَوَّلَ مَرَّةٍ﴾(٢)

و: ﴿وَمِنْ اٰناءِ الَّيْلِ فَسَبِّحْ وَاَطْرافَ النَّهارِ لَعَلَّكَ تَرْضىٰ﴾(٣)

و: ﴿يُسَبِّحُونَ الَّيْلَ وَالنَّهارَ لايَفْتَرُونَ﴾(٤)

و: ﴿يَتْلُونَ آياتِ اللّٰهِ اٰناءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾(٥)

و: ﴿اَمَّنْ هُوَ قانِتٌ اٰناءَ اللَّيْلِ ساجِداً وَقائِماً يَحْذَرُ لْاٰخِرَةَ﴾(٦)

و: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَاِدْبارَ النُّجُومِ﴾(٧)

و: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾(٨)

وأمّا تلاوة القرآن فقال تعالىٰ في مَدح التالين:(اَلَّذينَ اٰتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ اُولٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَاُولٰئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ﴾(٩)

و: ﴿وَرَتِّلِ الْقُراٰنَ تَرْتِيلاً﴾(١٠)

و: ﴿كَذٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَرَتَّلْناهُ تَرْتِيلاً﴾(١١) والتّرتيل فيه التّأني وتبيين الحروف أي أداءها عن مخارجها بحيث يتمكن السّامع من عَدِّها كذا قيل والأخبار في فضل صلوة اللّيل وتلاوة القرآن كثيرة فذكرنا شطراً منها في هذا المقام أمّا التّي وردت في صلوة اللّيل ومَدحها وفضلها:

منها – ما رواه في الفقيه عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال عليه السلام أنّ من روّح اللّه عزّ وجلّ ثلاثة، التّهجد باللّيل، وإفطار الصّائم، ولقاء الأخوان انتهىٰ...

ومنها – ما رواه أيضاً عن أبي الحسن الأوّل في قول اللّه عزّ وجلّ:﴿وَرَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ إلّا ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللّٰهِ﴾(١٢) قال عليه السلام

١- الاسراء ـ ٧٩
٢- الاسراء ـ ٥١
٣- طه ـ ١٣٠
٤- الانبياء ـ ٢٠
٥- آل عمران ـ ١١٣
٦- الزمر ـ ٩
٧- الطّور ـ ٤٩
٨- الانسان ـ ٢٦
٩- البقرة ـ ١٢١
١٠- المزّمل ـ ٤
١١- الفرقان ـ ٣٢
١٢- الحديد ـ ٢٧

صلوة اللّيل انتهىٰ...

وقال الصّادق عليكم بصّلوة اللّيل فأنّها سنّة نبيكم وأدب (ودأب فى) الصّالحين قبلكم ومَطردة الدّاء عن أجسادكم انتهىٰ...

وروي هشام ابن سالم عنه أنّه قال في قول اللّه عزّ وجلّ:﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾[1] قال قيام الرّجل عن فراشه يريد به وجه اللّه عزّ وجلّ لا يريد به غيره انتهىٰ...

وروي عنه الفضيل بن يسار أنّه قال أنّ البيُوت التّي يُصلي فيها باللّيل وتلاوة القرآن تضيُ لأهل السّماء كما تضيُ نجُوم السّماء لأهل الأرض انتهىٰ...

وقال في قول اللّه عزّ وجلّ:(أنّ الحَسَنات يُذهبنّ السيّئات) قال صّلوة المؤمن باللّيل مُذهب بما عَمَل من ذنب النّهار انتهىٰ...

وقال رسُول اللّه من كثر صلوته باللّيل حَسن وجهه بالنّهار انتهىٰ...

وجاء رجل الىٰ أبي عبد اللّه فشكىٰ اليه الحاجة فأفرط في الشّكاية حتّىٰ كاد أن يشكو الجُوع فقال له أبو عبد اللّه يا هذا أتُصلّي باللّيل فقال الرّجل نعم فإلتفت أبو عبد اللّه الىٰ أصحابه وقال كذب من زَعم أنّه يُصلّي باللّيل ويجوع بالنّهار أنّ اللّه تبارك وتعالىٰ ضمّن صّلوة اللّيل قوت النّهار انتهىٰ...

والأحاديث أكثر من أن تُحصىٰ وما ذكرناه أنّما نقلناه عن كتاب من لا يحضره الفقيه باب صّلوة اللّيل:

وأمّا التّي وردت في فضل التّلاوة علىٰ كثرتها فلنذكر بعضاً منها تيمّناً وتبركاً بها:

منها ـ ما رواه في البحار بأسناده عن الباقر عن أبيه عن جدّه رسُول اللّه من قرأ عشر آيات في ليلةٍ لَم يُكتب من الغافلين ومن قرأ خمسين آية

---

١ ـ المزمّل ـ ٦.

كُتب من الذّاكرين ومن قرأ مِائة آية كُتب من القانتين ومن قرأ مِائتي آية كُتب من الخاشعين ومن قرأ ثلث مِائة آية كُتب من الفائزين ومن قرأ خمس مِائة آية كُتب من المُجتهدين ومن قرأ ألف آية كُتب له قنطار والقنطار خمسون ألف مثقال ذهب والمثقال أربعة وعشرون قيراطاً أصغرها مثل جبل أُحد وأكبرها ما بين السّماء والأرض انتهىٰ« ج ١٩ ص ٤٩»...

وبأسناده عن المفضل عن الصّادق عليه السلام أنّه قال عليكم بمكارم الأخلاق فأنّ اللّه عزّ وجلّ يحبّها وأيّاكم ومذام الأفعال فأنّ اللّه عزّ وجلّ يبغضها وعليكم بتّلاوة القرآن فأنّ درجات الجنّة علىٰ عدد آيات القرآن فاذا كان يوم القيامة يقال لقارئ القرآن اقرأ فكلّما قرأ آية رقىٰ درجة «الحديث ص ٤٩»...

وبأسناده عن الزّهري عن سالم عن أبيه قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله لا حَسَد إلاّ في أثنتين رجل أتاه اللّه مالاً فهو مُنفق منه أناء اللّيل وأناء النّهار ورجل أتاه القرآن فهو يقوم به أناء اللّيل وأناء النّهار انتهىٰ« ص ٥٠»...

وفي بعض ما أوصىٰ النّبي أبا ذّر، عليك بتلاوة القرآن وذكر اللّه كثيراً فأنّه ذكرٌ لك في السّماء ونُور لك في الأرض انتهىٰ« ص ٥٠»...

ومن طريق العامة أنّ عُمر بن الخطاب دخل علىٰ النّبي صلى الله عليه وآله وهو موقوذاً وقال محموم فقال له عُمر يا رسُول اللّه ما أشدّ وَعكَك أو حمّاك فقال ما منعني ذلك أن قرأت اللّيلة ثلاثين سورة فيهن السّبع الطّوال فقال عُمر يا رسُول اللّه غفر اللّه لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر وأنت تجتهد هذا الإجتهاد فقال يا عُمر أفلا أكون عبداً شكوراً انتهىٰ« ص ١٥٠»...

وعن إسحاق ابن عمّار عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال عليه السلام من قرأ مِائة آية يُصلّي بها في ليلة كتب اللّه له بها قنُوت ليلة ومن قرأ مِائتي آية في ليلة في غير صلٰوة اللّيل كتب اللّه له في اللّوح قنطاراً من حَسنات والقنطار ألف ومِائتا أُوقية والأُوقية أعظم من جبل أُحد انتهىٰ« ص ٥٠»...

وبأسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال من قرأ القرآن قائماً في صلٰوته كتب اللّه

له بكلّ حرف مِائة حسنة ومن قرأ في صلٰوته جالساً كتب اللّه له بكلّ حرف خمسين حَسنة ومن قرأ من غير صَلٰوته كتب اللّه له بكلّ حرف عَشر حَسَنات انتهىٰ« ص ٥٠»...

وأمّا التّرتيل الّذي أشار عليه السلام به في كلامه فهو من محسنات القراءة وقد ورد في مدحه ما ورد من الآيات والأخبار وقد أشرنا الىٰ الآيات الواردة فيه ولنذكر بعض ما وَرد فيه من الأخبار تكميلاً للبحث.

منها - ما رواه في البحار عن مجمع البيان في قوله تعالىٰ:﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾(١) قال روي أبو بصير عن أبي عبد اللّه عليه السلام في هذا قال عليه السلام هو أن تتَمكث فيه وتُحسن به صوتك انتهىٰ« ج ١٩ ص ٥٠»...

وبأسناده عن الرّضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله حَسنّوا القرآن بأصواتكم فأنّ الصّوت الحَسَن يزيد في القرآن حُسناً وقرأ يزيد في الخلق ما يشاء انتهىٰ« ج صلى الله عليه وآله ١ ص ٥٠»...

وبأسناده عن معاوية ابن عمّار قال قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام الرّجل لا يرىٰ أنّه صَنع شيئاً في الدّعاء والقراءة حتّىٰ يرفع صوته فقال عليه السلام لا بأس أنّ علّي ابن الحسين عليه السلام كان أحسَن النّاس صَوتاً بالقرآن وكان يرفع صَوته حتّىٰ يُسمعه أهل الدّار وأنّ أبا جعفر عليه السلام كان أحسَن النّاس صَوتاً بالقرآن واذا قام من اللّيل وقرأ رَفَع صَوته فيمّر به مّار الطريق من السّقائين وغيرهم فيَقُومونَ فيَسمَعُونَ الىٰ قراءته انتهىٰ« ص ٥٠»...

▫ قوله عليه السلام: يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَثِيرُونَ دَوَاءَ دَائِهِمْ فَإذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ فَهُمْ حَانُونَ عَلَىٰ أَوْسَاطِهِمْ مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكُفِّهِمْ وَرُكَبِهِمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ يَطْلُبُونَ إِلَى اللّهِ تَعَالىٰ فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ...

١- المزمّل ـ ٤

أشار عليه السلام بهذه الكلمات الىٰ أوصاف تالّين القرآن وأنّه ينبغي أن تكون هذه الأوصاف مُتَرتبة علىٰ التلاوة وما ذكره عليه السلام ورتّبه عليها حقّ لا مرية فيه أن كانت التلاوة صدرت بحقّها.

أحدها قوله عليه السلام: **يُحَزِّنُونَ بِهِ...**

أي بالقرآن أو بتَرتيله أنفسهم فأنّ القرآن نزل بالحُزن:

فقد روي عن الكافي عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال أنّ القرآن نزل بالحُزن فاقرؤه بالحُزن انتهىٰ...

وروي في البحار عن النّبي صلى الله عليه وآله أنّه سُئل أيّ النّاس أحسَن صَوتاً بالقرآن قال من اذا سمعت قراءته رأيت أنّه يخشىٰ اللّه انتهىٰ« ص ٥٠ ج ١٩»...

وثانيها قوله عليه السلام: **وَيَسْتَثِيرُونَ دَوَاءَ دَائِهِمْ...**

أي يستشفُون به دواء داءهم فأنّه دَواء كلّ داءٍ كما قال اللّه تعالىٰ: **﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾**(١)

و: **﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾**(٢)

و: **﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾**(٣)

وقال النّبي صلى الله عليه وآله من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه اللّه، وقال الصّادق عليه السلام من قرأ مِائة آية من آيات القرآن شاء ثُمّ قال سَبع مرّات يااللّه فلو دَعا علىٰ الصّخُور فلقيها انتهىٰ« ص ٤٤ ج ١٩»...

وعن أبي إبراهيم أنّه قال من إستكفىٰ بآية من القرآن من المَشرق الىٰ المغرب كفىٰ اذا كان بيقين انتهىٰ« ص ٤٩»...

وقال النّبي صلى الله عليه وآله القرآن هو الدّواء، وقال العالم عليه السلام في القرآن شفاء من كلّ داء انتهىٰ« ص ٤٦»...

وقال الصّادق عليه السلام قال النّبي صلى الله عليه وآله حيث شكىٰ اليه رجل وجَعاً في صَدره،

١- يونس ـ٥٧.
٢- الاسراء ـ٨٢.
٣- فصلت ـ٤٤.

إستشف بالقرآن فأنّ اللّه عزّ وجلّ يقول وشفاء لما في الصّدور انتهىٰ «ص ۴۶»...

والأحاديث كثيرة والظّاهر حَمل الدّاء علىٰ معناه العام الشّامل لداء المحسُوس وداءِ المعقول كالجَهل والقرآن دواء لِكلا الدّاءين مع وجود شرائطه فأنّه كما يرفع وجع الصّدر مثلاًكذلك يَرفع وَجَع الجَهَل والغواية وهو واضح هذا كلّه اذا قلنا بأنّ قوله ﷺ: **يستشيرون** كناية عن الإستشفاء أي يَستشفُون كما حملنا الكلام عليه وأمّا اذا حملناه علىٰ ظاهره فمعناه التّقلّيب والتّعمّير أي يطلبُون به قلب حالهم وعمارة نفسهم من أثاروا الأرض أيِ قَلّبُوها لِلزّراعة وعمّروها بالفلاحة ولا شّك أنّ القرآن يُثير أرض القلب ويُعمّرها بالفلاحة والهُدىٰ بعد كونها ميتة بالجَهل والضّلالة وهذا المعنىٰ أيضاً يرجع الىٰ الأوّل اذ حاصل الكلام في القولين هو أنّ القلب مَريض بداء الجهل أو بمطلق الدّاء ويكون القرآن دواءه.

وثالثها قوله ﷺ: **فَإذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا اِلَيْهَا طَمَعاً وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ اِلَيْهَا شَوْقاً وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ** ...

وهذا وصف آخر للّتلاوة الصحّيحة مُتّرتبّ عليها وهو أنّهم اذا مرّوا بآيةٍ من آيات القرآن فيها تَشويق الىٰ الجنّة ركنُوا وأعتمدوا اليها طمعاً فيها وتطلّعت وإشتاقت نفُوسهم اليها شوقاً كقوله تعالىٰ: **﴿أُولٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ، فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ فِى جَنّٰاتِ النَّعِيمِ، عَلىٰ سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ، يُطافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ، بَيْضاءَ لَذَّةٍ لِلشّارِبِينَ، لا فِيها غَوْلٌ وَلا هُمْ يُنْزَفُونَ، وَعِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ عِينٌ، كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ﴾** (١)

و: **﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ، جَنّٰاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوابُ، مُتَّكِئِينَ فِيها يَدْعُونَ فِيها بِفاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرابٍ، وَعِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ أَتْرابٌ، هٰذا ما تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسابِ، إِنَّ هٰذا لَرِزْقُنا مالَهُ مِنْ نَفادٍ﴾** (٢)

---

١ - الصّافات - ٥٠ = ٤١

٢ - ص - ٥٣ = ٤٩

و : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ، فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ، يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ، كَذَٰلِكَ وَ زَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ، يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ، لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ، فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ (١)

و : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ (٢) وغيرها من الآيات وأيّ نفسٍ لا تَشتاق الىٰ ما وَعد الله المُتّقين في هذه الآيـات ولا تَركن اليه طَمعاً في الوصُول اليه وليس المقصود مُجَرد الرّكُون عليها والطّمع فيها وشوق النّفس اليها فأنّ هذا أمرٌ تَميل اليه النّفوس قطعاً بل المقصود أنّ القاريْ بعد قراءته هذه الآيات يَنبغي أن يَعمَل عَملاً يُقرّبه الىٰ ما في الآيات ويَترك عَمَلاً يُبعّده عنه ولأجل هذا قال ﷺ وظنّوا أنّها نصب أعينهم أي أنّ الآيات نصب أعينهم ولا يكون هذا إلّا لِلعامل المُواظب علىٰ الطّاعات كما هو شأن المُتّقين:

ورابعها قوله ﷺ: وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ ...

أي من علائم المُتّقين أنّهم اذا مرّوا بآيةٍ فيها تخويف من العذاب أصغوا وأمالوا اليها مَسامع قلوبهم أي سَمعوها بسَمع قلبهم لا بسَمع رأسهم فقط وظنّوا أي عَلِمُوا أنّ زفير جهنّم وشَهيقها أي صَوت تُوقدها في أُصول آذانهم وهو كناية عن يقينهم بها وعدم الشّك فيها وهذه الآيات أيضاً كثيرة في الكتاب قال الله تعالىٰ: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (٣)

و : ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (٤)

و : ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (٥)

و : ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ (٦)

١- الدّخان ـ ٥١=٥٩

٢- الكهف ـ ١٠٧

٣- الذّاريات ـ ٣٧

٤- الزّخرف ـ ٦٥

٥- الزّخرف ـ ٧٤

٦- الدّخان ـ ٤٨

و : ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ (١)

و : ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ (٢)

و : ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (٣)

و : ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ (٤) فهذه الآيات وأمثالها تخوف الإنسان تخويفاً تقشّعر منه الجلود وتضطرب فيها القلوب وقوله عليه السلام وظنّوا أنّ زفير جهنّم الى آخر ما قال فهو إشارة الى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ (٥)

و : ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ (٦) وغيرها من الآيات وقد تكلّمنا في الجنّة والنّار وما فيهما من النّعمة والعذاب مفصلاً وذكرنا هناك الآيات والأخبار بما لا تزيد عليه والغرض في المقام ليس إلّا الإشارة فقط .

وخامسها: قوله عليه السلام: فَهُمْ حَانُونَ عَلَىٰ أَوْسَاطِهِمْ مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكُفِّهِمْ وَرُكَبِهِمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ يَطْلُبُونَ إِلَى اللّٰهِ تَعَالَىٰ فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ ...

أي اذا كان وصف المتّقين على ما ذكرناه من الإتّعاظ بالآيات تشويقاً وتخويفاً فهم حانّون وعاطفون على أوساطهم ويحنّون ظهرهم في الرّكوع ومفترشون جباههم على الأرض وهكذا أكفّهم أي كفّ أيديهم وركبهم والأكفّ بضمّ الكاف جمع الكفّ بفتح الكاف والرّكب بضم الرّاء وفتح الكاف جمع ركبة نحو غرفة وغرف والأقدام جمع قدم وحاصل المعنى أنّ المتّقين في حال الصّلوة يضعون هذه المواضع على الأرض خشوعاً وتواضعاً لله تعالى ويعبّر عنها بمواضع السّجود السّبع أعني بها الكفّين والرّكبتين والجبهة والإبهامين من الرّجلين يطلبون بهذا العمل الى الله تعالى فكاك رقابهم عن النّار.

١- الاحقاف ـ ٢٠ ٢- الفجر ـ ١٣
٣- آل عمران ـ ١٩٧ ٤- ابراهيم ـ ٢٩
٥- هود ـ ١٠٢ ٦- الانبياء ـ ١٠٠

الثامن عشر قوله ﷺ: وَأَمَّا النَّهَارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْيَ الْقِدَاحِ ...

أي ما ذكرناه سابقاً من قولنا فصّافون أقدامهم الى هنا كان أوصافهم بالليل في عبادتهم ومناجاتهم وإذكارهم وأمّا النّهار ففيه أيضاً لهم أوصاف نُشير اليها:

أحدها: أنّهم فيه حُلماء أي مُتّصفون بالحِلم وهو من الصّفات الحَسَنة الّتي اتّفق العقل والشّرع على مَدحه وقد عرفت فيما سَبق أنّ الحِلم عبارة عن طمأنينة النّفس بحيث لا يُحرّكها الغَضَب بسهُولة ولا يُزعجه المكروه بسُرعة فهو الضدّ الحقيقي للغَضَب لأنّه المانع من حدُوثه وكيف كان فلا شكّ في كونه أشرف الكمالات النّفسية بعد العلم بل لا يَنفع العلم بدونه أصلاً وقد وصف الله تعالى نفسه به في كتابه فقال: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾(١)

و: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾(٢)

و: ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾(٣)

ووصَف به أنبيائه وأوليائه ومَدَحهم في اتّصافهم به في كتابه فقال في حقّ الخليل: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾(٤)

و: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾(٥)

و: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾(٦) وغيرها من الآيات.

وقال رسول الله ﷺ أنّ الرّجل المُسلم ليُدرك بالحِلم درجة الصّائم القائم انتهى...

وقال ﷺ أنّ الله يُحبّ الحيّ الحليم ويبغض الفاحش البَذيّ انتهى...

وقال ﷺ ثلاث مَن لَم تكن فيه واحدة فلا تعتدوا بشيءٍ من عَمله، تقوى تحجزه عن معاصي الله وحلمٌ يكُفّ به السّفيه وخُلق يعيش به في النّاس انتهى...

١- البقرة ـ ٢٢٥ ٢- البقرة ـ ٢٣٥
٣- البقرة ـ ٢٦٣ ٤- التوبة ـ ١١٤
٥- هود ـ ٧٥ ٦- هود ـ ٨٧

وقال عليه السلام ما أعزّ الله بجهلٍ قطّ ولا أذلّ بِحلمٍ قطّ انتهىٰ)، (وقال عليّ ابن الحسين عليه السلام أنّه ليعجبني الرّجل أن يدركه حلمه عند غضبه انتهىٰ...

وقال الصّادق عليه السلام كفىٰ بالحِلم فاخراً انتهىٰ) (وقال عليه السلام اذا لم تكن حليماً فتحلم انتهىٰ... والأخبار كثيرة« جامع السّعادات ج ١ ص ٢٩ »...

وثـانيها: يَنْظُرُ اِلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَىٰ وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ وَيَقُولُ لَقَدْ خُولِطُوا ...

هذا أعني العلم الموصُوف بالصّفات المذكورة هو الوَصف الثّاني لهم بالنّهار وحاصله أنّهم موصوفون بالعلم الواقعي المشحُون بالبّر والتّقوىٰ وفيه إشارة الىٰ أنّ العلم فقط أعني به إدراك الشّيَ لا إعتناء به في هذا المقام اذا لم يكن في طريق البّر والتّقوىٰ اذ ربّ عالم يقتله علمه في الدّنيا ويُوقعه في العذاب في العُقبىٰ وقد ورد المَدح في الآيات والأخبار في الأوّل كما ورد الذم فيها في الثّاني قال الله تعالىٰ: ﴿فلاَ تَجْعَلُوا لِلّٰهِ اَنْداداً وَ اَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١)

و : ﴿ولا تَلبِسُوا الحَقَّ بِالبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الحَقَّ وَاَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢)

و : ﴿لِتَاْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ اَمْوَالِ النَّاسِ بِالْاِثْمِ وَاَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٣)

و : ﴿لاَ تَخُونُوا اللّٰهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا اَمَانَاتِكُمْ وَاَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٤)

و : ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٥)

و : ﴿ وَاِنَّ الَّذِينَ اُوتُوا الكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ اَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (٦)

و : ﴿الَّذِينَ اٰتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ اَبْنَائَهُمْ وَاِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧) فهذه الآيات وغيرها مِمّا لم نذكره قد دلّت علىٰ أنّ العِلم اذا لَم يكن مقروناً بالبّر والتّقوىٰ لا نفع فيه بل يضّر بصاحبه ألا

١- البقرة ـ ٢٢
٢- البقرة ـ ٤٢
٣- البقرة ـ ١٨٨
٤- الانفال ـ ٢٧
٥- البقرة ـ ٧٥
٦- البقرة ـ ١٤٤
٧- البقرة ـ ١٤٦

ترىٰ أنّ الآيات وردت مَورد الذَم لهم من جهة عَدم كون علمهم مقروناً بالتّقوىٰ لا بما هو هو فكلَ آيةٍ أو روايةٍ ورَدَت في ذمّ العُلماء فقد وَردت في ذمّ إجراء العلم لا في ذمّ أصل العلم.

ضرورة أنّه في حدّ ذاته جوهر شريف ودُرٌّ ثمين والحاصل أنّ المقصود كَون المُتّقين موصُوفين بالعِلم كذلك وأمّا عُلماء السُّوء فلا شك أنّهم حَطب جَهنّم وساءت مصيراً وقوله عليه السلام قد بَريَهم الخوف بَري القداح أي نَحتهُم مِثل نَحت السّهام وبعبارة أُخرىٰ رقّق الخوف أجسامهم كما ترقق السّهام بالنّحت وهو كناية عن خَشيَتهم فأنّ العلم الحقيقي أثره الخَشيَة كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(1)

و: ﴿فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(2) ومن المعلوم أنّ الخَشية تُذوب الجسم كما تَذُوب النّار ما يقع فيها وهي من أثار العِلم وثمراته:

قال الصّادق عليه السلام الخَشية ميراث العلم والعلم شعاع المعرفة وقلب الإيمان ومن حُرم الخَشية لا يكون عالماً وأن شق الشّعر في متشابهات القرآن (العلم) قال الله عزّ وجلّ أنّما يخشىٰ الله من عباده العلماء وآفة العلماء ثمانية أشياء الطّمع، والبُخل، والرّياء، والعصَبية، وحُبّ المَدح، والخَوض فيما لَم يصلوا الىٰ حقيقته، والتّكلف في تزيين الكلام بزوائد الألفاظ، وقلّة الحياء من الله، والإفتخار، وتَرك العَمَل بما علموا انتهىٰ« البحار ج ١ ص ٨٤»...

وقال عيسىٰ ابن مريم عليه السلام أشقىٰ النّاس مَن هو معروف عند النّاس بعلمِه مجهولٌ بعلمه انتهىٰ« ص ٨٤»...

وقال النبّي صلى الله عليه وآله لا تجلسوا عند كلّ داعٍ مُدَّعٍ يَدعُوكم من اليقين الىٰ الشّك ومن الإخلاص الىٰ الرّياء ومِن التّواضع الىٰ الكِبر ومن النّصيحة الىٰ العداوة ومن الزّهد الىٰ الرّغبة وتقّربوا الىٰ عالمٍ يَدعُوكم من الكِبر الىٰ التّواضع ومن الرّياء الىٰ الإخلاص ومن الشّك الىٰ اليَقين ومن الرّغبة الىٰ الزّهد ومن العداوة

١- الفاطر ـ٢٨ ٢-التوبة ـ١٣

الىٰ النّصيحة ولا يصلح لموعظة الخلق إلاّ من خاف هذه الآفات بصدقه وأشرف علىٰ عُيوب الكلام وعرّف الصّحيح من السّقيم وعِلَل الخَواطر وفِتَن النّفس والهوىٰ انتهىٰ« ص ٨٤»...

وقال رسول الله ﷺ علماء هذه الأُمّة رجلان رَجل أتاه الله علماً فطلب به وجه الله والدّار الآخرة وبَذلَه لِلنّاس ولَم يأخذ عليه طَمعاً ولَم يَشتر به ثمناً قليلاً فذلك يَستغفر له مَن في البحُور ودوّاب البَحر والبَّر والطّير في جوّ السّماء ويقدم علىٰ الله سّيداً شريفاً، ورجل أتاه الله علماً فبخل به علىٰ عباد الله وأَخَذ عليه طمعاً وإشترىٰ به ثمناً قليلاً فذلك يُلجم يوم القيامة بلجامٍ من نار وينادي مَلَك من المَلائكة علىٰ رؤوس الأشهاد هذا فلان ابن فلان أتاه الله علماً في دار الدّنيا فبَخل به علىٰ عباده حتّىٰ يَفزع من الحساب « ص ٨٥»...

وقال أمير المؤمنين عليه السلام أنّ أوضَعَ العلم ما وَقف علىٰ اللّسان وأرفَعَه ما ظهرَ في الجَوارح والأركان انتهىٰ« ص ٨٥»...

وقال عليه السلام -أنّ مَن أحبّ عباد الله اليه عبداً أعانه الله علىٰ نفسه فاستشعَر الحُزن وتجلبَب الخَوف فَزهَر مُصباح الهُدىٰ في قلبه وأعَدَّ القِرىٰ ليومه النّازل به فقرّبَ علىٰ نفسه البَعيد وهّون الشّديد نظَرَ فأبصَر وذَكَر فاستكثَر وإرتوىٰ من عذب فرات سهلت له موارده «الحديث ص ٨٥»...

والأخبار في الباب كثيرة لا نطيل الكلام بذكرها وفي إقتران العلم بالحِلم في المقام إشعار بأنّ وجود أحدهما بدون الآخر لا ثمرة فيه فأنّ زينة العِلم بالحِلم وبالعكس:

روي في البحار بأسناده عن الحسن بن صالح قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول ما شيب شيئ بشيئٍ أحسَن من حلمٍ بعلمٍ انتهىٰ«ج ١ ص ١٤»...

وبأسناده عن النّطنزي قال أبو الحسن عليه السلام من علامات الفقه الحِلم والعِلم والصّمت «الحديث ص ٨٢»...

وبأسناده عن الصّادق عن آبائه عن عليٍ عليه السلام قال قال رسُول الله ماجُمع

الشّيْ الىٰ شيْ أفضل من حِلمٍ الىٰ عِلمٍ انتهىٰ« ص ٨٢»...

وبأسناده عنه ﷺ قال والّذي نفسي بيده ما جُمع شيْ الىٰ شيْ أفضل من حِلمٍ الىٰ عِلمٍ انتهىٰ« ص ٨٢»...

فقد ظهر ممّا ذكره ﷺ وشرحناه أنّ الحَليم اذا كان عالماً مُتصّفاً بـالتّقوىٰ يكون خائفاً من اللّه وهذا الخَوف هو الّذي يرقّق جسمه كما تـرقّق السّـهام بالنّحت وقوله ﷺ ينظر اليهم النّاظر فيحسبهُم مرضىٰ فيه إشارة الىٰ أنّ العوام لا يدرون ولا يعلمُون الواقع وأنّما يرون الظّاهر وحيث أنّ المُتّقين الموصُوفين بما ذكرناه تكون أجسامهم ضعيفة نحيفة من خوف اللّه فيحسب النّاظر اليهم أنّهم مرضىٰ من حيث الجسم ولا يعلم أنّ الأمر ليس علىٰ ما ظنّه فيقول النّاظر قد خُولطوا أي خُولطوا في عقُولهم بوقوع الخِلل فـيها شبه الجـنُون وليس كذلك كما قال ﷺ.

▫ قوله ﷺ: **وَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ لاَ يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ وَلاَ يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ ...**

أي بلىٰ قد خُولطوا لكن لا كما زعَم النّاظر الجاهل من وقـوع الخِلل فـي عقلهم بل خالطهم أمرٌ عظيم وهو أنّهم لا يرضُون من أعمالهم القليل فيطلبُون الكثير ولا يستكثرون الكثير من أعمالهم ليقعُوا في العُجب كلّ ذلك خوفاً من اللّه تعالىٰ وتقرباً اليه فهذا هو الّذي خالطهم وأوقعهم فيما أوقعهم:

▫ قوله ﷺ: **فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ وَمَنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ...**

أي اذا كانوا كذلك فهم لأنفسهم مُتهمون لعدم إعترارهم وعُجبهم بأعمالهم فدائماً يَعدون أنفسهم مُقصّرين في الطّاعات ومن أعمالهم مُشفقُون خائفون من عدم قبولها عند اللّه تعالىٰ ومن كان كذلك لا يكون في الغفلة أصلاً فلا شيْ آخر علىٰ الأعمال من العُجب بها:

وثالثها قوله ﷺ: **إِذَا زُكِّيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنِّي بِنَفْسِي اللَّهُمَّ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ وَاغْفِرْ لِي مَا لاَ يَعْلَمُونَ. ...**

أي اذا زكيٰ أحد المُتّقين عن العيوب بأن يقال له أنت ممّن لا عيب فيه مثلاً أو أنت زاهدٌ لا يُوجد مثلك في العالم وأمثال ذلك ممّا يوجب تذكيته عن العيوب الدّيني والإجتماعي خاف ممّا يقال له أي خاف اللّه تعالىٰ من هذه الأقوال التّي صَدرت من المدَلِسين المُتّملقين الّذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم فيقول المتّقي اذا سَمع أمثال هذه الأقوال أنا أعلم بنفسي من غيري أي أنا أعلم بأنّي لستُ كذلك.

وربّي أعلم بي من نفسي لأنّه علام الغيُوب ثُمّ يقول اللّهم لا تؤاخذني بما يقولون في حقّي وإجعلني عندك أفضل ممّا يظنون بي وإغفر لي ما لا يعلمُون من السّيئات التّي عَملتها في الخلوات وأنّما يقول هذه الكلمات في مقام الدّعاء إشعاراً لخضوعه وإظهاراً لخشيته وخَوفه من اللّه تعالىٰ ثُمّ شَرع عليه السلام في بيان عدّة من علائم المُتّقين مضافاً الىٰ ما ذكره بوجهٍ أفضل وأفصل:

□ **قوله عليه السلام: فَمِنْ عَلاَمَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَىٰ لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ وَحَزْماً فِي لِينٍ وَإِيمَاناً فِي يَقِينٍ ...**

فهذه ثلاث علامات والمراد بالقُوّة في الدّين التّصلُب فيه بمعنىٰ عَدم التّزلزل والإضطراب في قلبه فلا يؤثر فيه تشكيك المُشكّك ولا يَنخدع بخداع النّاس وذلك لأنّ الإنسان اذا ظهر له حقّانية الشّئ لا يضطرب فيه وأنّما الإضطراب يوجد من الشّك وحيث أنّ المؤمن الحقيقي وصَل الىٰ مقام اليَقين فهو ثابت راسخ قال اللّه تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [1] قوله عليه السلام: وَحَزْماً فِي لِينٍ معناه أن يكون لنيه عن حَزمٍ وتثبُتٍ لا عن مهانةٍ، وقوله عليه السلام: وَإِيمَاناً فِي يَقِينٍ قالوا أي إيماناً مع يقين والحقّ أن تكون كلمة (في) بمعناها الأصلي وهو الظّرفية فلا نحتاج الىٰ تفسيرها بقولنا (مع) وذلك لأنّ اليَقين ظرفٌ لِلأيمان فالأيمان واقع فيه وقوع الماء في الكوز مثلاً وفيه إشارة الىٰ كون

١- فصلت ـ ٣٠

القلب المتّصف باليقين مؤمنٌ بالله وبرسوله فأنّ الإيمان اذا لم يكن كذلك يكون متزلزلاً مُستودعاً في القلب لا ثابتاً مُستقراً فقوله ﷺ مُشعِرٌ بأنّ إيمان المتّقين يكون ثابتاً لهم مُستقراً في قلوبهم وأمّا غيرهم فالإيمان حيث لا يكون في يقين فلا محالة يكون مُضطرباً مُستودعاً:

فعن أبي عبد الله ﷺ قال أنّ الإيمان أفضل من الإسلام وأنّ اليقين أفضل من الإيمان وما من شيءٍ أعزّ من اليقين انتهى « مشكاة الأنوار ص ١١»...

وعن يونس ابن عبد الرّحمٰن قال سألت أبا الحسن الرّضا ﷺ عن الإيمان والإسلام فقال ﷺ أنّما هو الإسلام والإيمان فوقه بدرجة والتّقوىٰ فوق الإيمان بدرجة واليقين فوق التّقوىٰ بدرجة ولم يقسم بين ولد آدم شيءٌ أقلّ من اليقين قال قلت فأيّ شيءٍ من اليقين قال التّوكل علىٰ الله والتّسليم لِلّه والرّضا بقضاء الله والتّفويض الىٰ الله انتهىٰ« مشكاة الأنوار ص ١١»...

- **قوله ﷺ: وَحِرْصاً فِي عِلْمٍ وَعِلْماً فِي حِلْمٍ وَقَصْداً فِي غِنيٍ وَخُشُوعاً فِي عِبَادِةٍ...**

امّا الأوّل أعني قوله ﷺ: **الحرص في العلم** معناه أن يكون حريصاً في تعلّمه من أهله والحِرص بهذا المعنىٰ مَمدُوح وأمّا المذمُوم منه فهو الحِرص علىٰ تحصيل المال والمقام والشّهرة والجامع الحِرص علىٰ الدّنيا وما فيها لها وأمّا الحِرص علىٰ الوصُول الىٰ ما يَنفعه في الآخرة فلا ذمّ فيه أصلاً:

قال رسُول الله ﷺ **منهُومان لا يَشبعان منهُوم العلم ومنهُوم المال**، والأوّل ممدوح والثّاني مذمُوم وحيث أنّ العلم وسَيلة الىٰ معرفة الله ومَعرفة أحكامه فلا محالة تَحصيله مَمدوح عقلاً وشَرعاً بل هو من أفضل العبادات وأشرف الطّاعات كيف والعبادات والطّاعات الصّحيحة موقوفة علىٰ العلم فأنّ الجاهل لا يقدر علىٰ الإتيان بها صحيحاً ولأجل هذا وَرد في الآيات والأخبار في مَدحه ومَدح متعَلّمه ومُعلّمه ما وَرَد قال الله تعالىٰ: **﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ**

يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[1]

و : ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[2]

و : ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[3]

و : ﴿اَلرَّحْمٰنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[4]

و : ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَم﴾[5]

و : ﴿وَعَلَّمَكَ مَالَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾[6]

و : ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾[7]

و : ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾[8] و غيرها من الآيات.

وقال رسُول اللّه ﷺ من سَلك طريقاً يطلب فيه علماً سَلَك اللّه به طريقاً الىٰ الجنّة وأنّ الملائكة لتَضَع أجنحتها لطالب العِلم رضىً به وأنّه ليستَغفر لطالب العلم من في السّماء ومَن في الأرض حتّىٰ الحُوت في البحر وفضل العالم علىٰ العابد كفضل القمر علىٰ سائر النّجوم ليلة البَدر وأنّ العلماء ورثة الأنبياء وأنّ الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورثوا العلم فَمن أخذ منه بحظّ وافرة انتهىٰ...

وعن ابن نباتة قال قال أمير المؤمنين عليه السلام علّي ابن أبي طالب تعلّموا العلم فأنّ تعلّمه حَسَنة ومدارسته تَسبيح والبحث عنه جهاد وتَعليمه لمن لا يعلمه صدقة وهو عند اللّه لأهله قربة لأنّه معالم الحلال والحرام وسالك بطالبه سَبيل الجنّة وهو أنيسٌ في الوَحشة وصاحب في الوحَدة وسلاح علىٰ الأعداء وزين الأخلّاء يرفع اللّه به أقواماً يجعلهم في الخير أئمّة يُقتدىٰ بهم ترموا أعمالهم وتُقتبس آثارهم وترغب الملائكة في خلتهم يُمسحونهم بأجنحتهم في صلواتهم لأنّ العلم حياة القلُوب ونُور الأبصار من العمىٰ وقوّة الأبدان

١- الزمر ـ ٩
٢- فصلّت ـ ٣
٣- البقرة ـ ٣١
٤- الرحمٰن ـ ١/٢/٣/٤
٥- العلق ـ ٤/٥
٦- النّساء ـ ١١٣
٧- يوسف ـ ٦٨
٨- الكهف ـ ٦٥

من الضّعف وينَزل الله حامله منازل الأبرار ويَمنحه مجالسة الأخيار في الدّنيا والآخرة بالعلم يُطاع الله ويُعبد وبالعِلم يُعرف اللّه ويُوحّد وبالعلم تُوصل الأرحام وبه تعرف الحلال والحرام والعلم أمام العقل والعقل تابعه يُلهمه الله السُّعداء ويُحرمه الأشقياء انتهىٰ...

وقال رسُول الله ﷺ أربع يلزمن كلّ ذي حجىٰ وعقل من أُمّتي قيل يارسُول اللّه ما هُنّ قال ﷺ إستماع العِلم وحفظه ونَشره عند أهله والعَمَل به انتهىٰ...

وقال الرّضا عليه السلام قال علّي عليه السلام العلم ضالّة المؤمن انتهىٰ...

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال كان فيما وعظ لقمان ابنه أن قال له يابُنّي إجعل في أيّامك ولياليك وساعاتك نصيباً لك في طَلب العلم فأنك لن تَجد له تضييعاً مثل تركه انتهىٰ...

والأخبار كثيرة وما نقلناه نقلناه عن البحار ج ١ ص ٥٤ و ص ٥٥ وأن شئت الإطّلاع علىٰ أكثر مِمّا ذكرناه فَعَليك بالبحار:

وأمّا الثاني أعني قوله عليه السلام: **وَعِلْماً فِي حِلْمٍ**، فقد مَرّ الكلام فيه وقلنا أنّ زينة العلم بالحِلم ونقلنا الأخبار فيه.

وأمّا الثالث أعني قوله عليه السلام: **وَقَصْداً فِي غِنىً**، قال بعض الشّراح يحتمل أن يكون المراد إقتصاده في طلب المال وتَحصيل الثّروة يعني أنّه لا يجاوز الحدّ في كسب المال وتحصيل الغنىٰ بحيث يُؤدي الىٰ فوات بعض ما عليه من الفرائض كما هو المُشاهد في أبناء الدّنيا وأن يكون المراد أنّه مع غناه مقتصد في حركاته وسَكناته ومصارف ماله بل جميع أفعاله يعني أنّ غناه لم يوجب طغيانه وخروجه عن القَصد وتَجاوزه عن الحدّ كما قال تعالىٰ: ﴿**كَلَّآ إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ. أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ**﴾(١) انتهىٰ ما ذكره بعباراته أقول ما ذكره رحمه الله لا بأس به لأنّه من المُحتملات والأحسن أن يقال أنّ المراد بالقصد في الغنىٰ التّجنب من

١- العلق- ٦/٧

الإفراط والتّفريط وبلسان الشّرع والإسراف والتّبذير فأنّهما مذمومان كما قال اللّه تعالىٰ في كتابه: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾ (١)

و: ﴿وَآتِ ذَاالْقُرْبىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً، إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ وَكانَ الشَّيْطانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾ (٢)

فحاصل الكلام أنّ المؤمن اذا كان غنيّاً يقتصد فيه وقد يُعبّر عنه بتقدير المعيشة كما قال الصّادق الكمال كلّ الكمال التّفقه في الدّين وتقدير المعيشة والصّبر علىٰ النّائبة انتهىٰ.

ومعناه عدم التّجاوز عن حدّ الوَسَط في مصارف ماله ويمكن أن يكون المراد أنّ المؤمن قَصده في غناه بمعنىٰ أنّ غناه ليس في ماله وثروته بل في قصده وإقتصاده أو أنّ المال والثّروة ليس موجباً لِلغنىٰ بل الّذي يُوجبه هو الإقتصاد في المَعيشة ولعلّه أشار الإمام الصّادق عليه السلام الىٰ هذا المعنىٰ حيث قال عليه السلام: **مَن أخرجه اللّه من ذلّ المعاصي الىٰ عزّ التّقوىٰ أغناه من غير مالٍ، وأعزّه من غير عِشرة وآنسه من غير بشرٍ انتهىٰ...**

وأمّا الرّابع: أعني قوله عليه السلام: وَخُشُوعاً فِي عِبادَةٍ، فهو أوضح من أن يخفىٰ علىٰ أحَدٍ فأنّ الخشوع فيها بمنزلة اللّب فالعبادة الصّورية كالقِشر والخشوع فيها كاللّب فما لا خشوع فيه لا أثر له ولأجل هذا ترىٰ اللّه تعالىٰ قد مَدَح الخاشعين في كتابه حيث قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ﴾ (٣) و: ﴿وَإِنَّها لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخاشِعِينَ﴾ (٤)

و: ﴿خاشِعِينَ لِلّٰهِ لا يَشْتَرُونَ بِآياتِ اللّٰهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾ (٥)

و: ﴿وَيَدْعُونَنا رَغَباً وَرَهَباً وَكانُوا لَنا خاشِعِينَ﴾ (٦)

١- الاسراء ـ ٢٩ — ٢- الاسراء ـ ٢٦/٢٧
٣- المؤمنون ـ ٢ — ٤- البقرة ـ ٤٥
٥- آل عمران ـ ١٩٩ — ٦- الانبياء ـ ٩٠

و : ﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ﴾ (١)

و : ﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾ (٢)

وقال رسُول الله ﷺ أفضل النّاس من عشق العبادة فعانقها وأَحبّها بقلبه وباشرها بجَسده وتَفرغ لها فهو لا يُبالي على ما أصبح من الدّنيا علىٰ يُسرٍ أم علىٰ عُسرٍ انتهىٰ« مشكاة الأنوار ص ١١٢»...

ثُمّ اعلم أنّ الخُشوع في الأصل الضّراعة وأكثر ما يستعمل الخشُوع فيما يوجد علىٰ الجوارح والضّراعة أكثر ما تُوجد وتُستعمل في القلب ولذلك قيل اذا ضَرعت القلب خَشَعت الجوارح وعليه فالخشُوع يُوجد في الجوارح حين العبادة بأن لا يَلعَب في صَلٰوته مثلاً مع لحيته وأنفه وَسَمعه وبَصره وذلك لأنّ الغرض الأصلي من العبادات والطّاعات هي تصفية النَفس وتَصقيلها فكلّ عملٍ يكون أشد تأثيراً فيهما يكون أفضل ولا ريب في أنّ المقتضِي لصفاء النَفس ليس نفي الحركات الظّاهرة وذلك لأنّها مع غفلة القلب وعدم خشُوعه لا تؤثر شيئاً والخشُوع يتّوقف علىٰ الحضور وهو علىٰ المعرفة فالخشُوع بالقلب هو أن يتّفرغ لجمع الهمّة لها والإعراض عمّا سوىٰ الله بحيث لا يكون في قلبه غير المعبُود والخشُوع بالجوارح هو أن يغَض بصره عمّا حرّم اللّه عليه وهكذا بالنّسبة الىٰ سَمعه ورجلِه ويَده وغيرها من الجوارح حين العبادة بل مطلقاً وهو واضح.

□ قوله ﷺ: وَتَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ وَصَبْراً فِي شِدَّةٍ وَطَلَباً فِي حَلاَلٍ وَنَشَاطاً فِي هُدىً وَتَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ...

أمّا التّجمل في الفاقة معناه أن يكون مُتعففاً مُظهراً للغنىٰ في عين فقره واحتياجه وبعبارةٍ أُخرىٰ إظهار الغنىٰ في عين الفقر بترك السؤال كما مدح الله تعالىٰ أصحاب الصُّفة بذلك حيث قال فيهم:﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ

١- الاحزاب ـ٣٥. ٢- الاسراء ـ١٠٩.

﴿بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْئَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً﴾(١)

فعن الصّادق عليه السلام أنّه قال أروَح الرّوح اليأس عن النّاس انتهىٰ...

وعنه عليه السلام - قال طلب الحوائج الىٰ النّاس إستلاب للعزّة ومَذهَبة للحَياء واليأس ممّا في أيدي النّاس عِزّ للمؤمن في دينه والطّمع هو الفقر الحاضر انتهىٰ...

وعنه عليه السلام - اتّقُوا اللّه وقُوا أنفسكم بالإستغناء عن طلب الحوائج الحديث...

وعن الباقر عليه السلام - قال أظهر اليأس عمّا في أيدي النّاس فأنّ ذلك هو الغنىٰ وأيّاك والطّمع فأنّه الفقر الحاضر انتهىٰ «الأحاديث مرّوية عن كتاب مشكاة الأنوار ص ١٨٤ وص ١٨٥»....

وأمّا الصّبر في الشّدة، فهو أيضاً ممدوح كتاباً وسنّة: قال اللّه تعالىٰ ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾(٢)

قال علّي ابن الحسين عليه السلام ما من عبدٍ مؤمنٍ تَتَنزل به بَليّةٌ فيصبر ثلاثاً لا يشكوا الىٰ أحد إلاّ كشف اللّه عنه انتهىٰ...

وعن أبي جعفر عليه السلام - قال ما من عبدٍ أُعطي قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وجسده علىٰ البَلاء صابراً وزَوجَة صالحة إلاّ وقد أُعطي خير الدّنيا والآخرة انتهىٰ...

وعن عمّار بن مروان عن أبي الحسن مُوسىٰ عليه السلام قال سمعته يقول لن تكونوا مؤمنين حتّىٰ تكونوا مؤتمنين وحتّىٰ تعدّوا البلاء نعمة والرّخاء مُصيبة وذلك أنّ الصّبر علىٰ البلاء أفضل من العافية عند الرّخاء انتهىٰ...

وقد مَرّ الكلام في الصّبر غير مَرّة وفيما ذكرناه في المقام كفاية والأحاديث نقلناها عن مشكاة الأنوار ص ٢٧٦...

وأمّا قوله عليه السلام: وَطَلَباً فِي حَلَالٍ، أي يطلب الرّزق من الحلال فأنّ أكل

١- البقرة - ٢٧٣   ٢- البقرة - ١٧٧

الحرام ليس من شأنه قال اللّه تعالى:﴿يا أيُّها النّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأرْضِ حَلالاً طَيِّباً ولا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيطانِ إنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾(١)

و: ﴿وَكُلُوا مِمّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلالاً طَيِّباً واتَّقُوا اللهَ الَّذي أنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾(٢)

و: ﴿فَكُلُوا مِمّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّباً واتَّقُوا اللهَ إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(٣)

و: ﴿فَكُلُوا مِمّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلالاً طَيِّباً واشْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ إنْ كُنْتُمْ إيّاهُ تَعْبُدُونَ﴾(٤) قال رسول اللّه ﷺ – طلب الحلال فريضة على كلّ مُسلمٍ ومُسلمة انتهى...

وقال ﷺ – من بات كَالاً من طلب الحلال بات مغفوراً له انتهى...

وقال ﷺ – العبادة سبعون جزءاً أفضلها طلب الحلال انتهى...

وقال ﷺ – العبادة عَشرة أجزاء تسعة أجزاءه في طلب الحلال انتهى...

وقال ﷺ – من أكَلَ من كدّ يَده مَرَّ على الصّراط كالبَرق الخاطف انتهى...

وقال ﷺ – من أكَلَ من كدّ يَده نظر اللّه اليه بالرّحمة ثُمّ لا يُعذّبه أبداً انتهى...

وقال ﷺ – من أكَلَ من كدّ يَده حلالاً فتح اللّه له أبواب الجنّة يدخل من أيّها شاءَ انتهى...

وقال ﷺ – من طلب الدّنيا إستعفافاً عن النّاس وسَعياً على أهله وتعطّفاً على جاره لقى اللّه عزّ وجلّ يوم القيامة ووَجهه كالقَمر ليلة البَدر انتهى...

وقال ﷺ – من سعىٰ على عياله من حِلّه فهو كالمُجاهد في سَبيل اللّه انتهى...

وقال ﷺ – من طلب الدّنيا حلالاً في عفاف كان في درجة الشّهداء انتهى...

وقال ﷺ – مَن أكل الحَلال أربعين يوماً نَوَّر اللّه قلبه وأجرىٰ يَنابيع الحِكمة من قلبه على لسانه انتهى...

١- البقرة ـ١٦٨ ٢- المائدة ـ٨٨

٣- الانفال ـ٦٩ ٤- النحل ـ١١٤

والأحاديث كلّها مرّوية في جامع السّعادات جامع السّعادات ج ٢ ص ١٧٥

وأمّا قوله ﷺ: **وَنَشاطاً في هُدىٰ**، بأن يكون سلوكه بالعبادات والطّاعات المَشروعة بطيب النّفس وعلىٰ وَجه الخِفّة والسّهولة لا عن الكِسَل والتّغافل والمَلالة هكذا قيل في شرح العبارة.

أقول: هذا الّذي ذكروه هو الصّبر علىٰ الطّاعة وأمّا النّشاط في الهُدىٰ فهو شيئ آخر فنقول:

يقال نَشَط في عَمله من باب تَعب، خَفّ وأَسَرع فهو نشيط ومنه الحديث اللّهم أرزقني القُوّة والنّشاط وعليه فمعنىٰ قوله ﷺ: **وَنَشَاطاً فِي هُدىً** ، أي خِفّةً وسُرعةً في الهداية فالنّشاط في الهُدىٰ هو السّرعة فيه وعدم تَساهله في الوصُول الىٰ ما هو الحقّ وكيف كان فالمقصود أنّ المؤمن يكون علىٰ نشاط في إيمانه وما هداه اللّه اليه من الوصُول الىٰ الحَقيقة والخروج عن الضّلالة فأنّ الهداية من اللّه تعالىٰ لِلعَبد تُوجب النّشاط قطعاً وقوله ﷺ: **وَتَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ** قيل أي تَجّنُباً عنه يقال تَحُرج أي تَجنب الحَرَج وتباعد عنه هذا اذا كان بالحاء المُهملة من الحَرَج وأمّا اذا كان بالخاء المعجمة من تخَرج يَتَّخرج كما هو المُحتمل أيضاً فهو من الخروج أي يَخرج عن الطَّمع.

والأوّل: أَولىٰ وأَنسب بسياق الكلام وكيف كان فالمقصود أنّ المؤمن لا يطمع فيما بأيدي النّاس لعلمه بأنّ الطّمع هو الفقر الحاضر ومَع ذلك يُوجب الذّلة والحقارة وهو من الصّفات الرّذيلة والأخلاق الخبيثة القَذِرة (الكثيفة) وهو التّوقع من النّاس في أموالهم وهو من شعب حبّ الدّنيا ومن الرّذائل المُهلكة وقد ورد في ذمّه كثير من الأخبار:

قال رسُول اللّه ﷺ أيّاك والطّمع فأنّه الفقر الحاضر انتهىٰ...

وقال أمير المؤمنين ﷺ إستغن عمّن شئت تكن نظيره وإرغب الىٰ من شئت تكن أسيره وأحسِن الىٰ من شئت تكن أميره انتهىٰ...

وقال الباقر ﷺ بئس العبد عبدٌ له طمع يقوده وبئس العبد عبدٌ له رغبة

تذلّه انتهىٰ....

وقيل للصّادق ﷺ ما الّذي يُثبت الإيمان في العبد قال الوَرَع، والّذي يخرجه منه الطّمع انتهىٰ...

واذا كان الطَّمع مذموماً فضّده وهو الإستغناء عن النّاس يكون ممدوحاً وهو من الفضائل المُوجبة لتّقرب العبد الىٰ اللّه سبحانه فأنّ من استغنىٰ باللّه عن غير اللّه أحبّه اللّه والمؤمن يكون كذلك (قال رسُول اللّه ﷺ ليس الغنىٰ عن كثرة العروض أنّما الغنىٰ غنىٰ النّفس انتهىٰ...

وقال ﷺ عليك باليأس عمّا في أيدي النّاس فأنّه الفقر الحاضر انتهىٰ...

وقال زين العابدين ﷺ رأيت الخير كلّه قد إجتمع في قطع الطّمع عمّا في أيدي النّاس ومَن لَم يَرج النّاس في شيْ ورّد أمره الىٰ اللّه تعالىٰ في جميع أُموره إستجاب اللّه تعالىٰ له في كلّ شيْ انتهىٰ...

وقال الصّادق ﷺ شرف المؤمن قيام اللّيل وعِزّه إستغنائه عن النّاس انتهىٰ...

والأحاديث كثيرة في المقامين وفيما نقلناه كفاية«جامع السعادات ج ٢ ص ١٠٦ وص ﷺ ١٠»...

□ قوله ﷺ: **يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَىٰ وَجلٍ يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ يَبِيتُ حَذِراً وَيُصْبِحُ فَرِحاً حَذِراً لِمَّا حُذِّرَ مِنَ الْغَفْلَةِ وَفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ...**

أي ومن أوصافه أنّه يعمل الأعمال الصّالحَة والحال أنّه علىٰ وَجلٍ وخوف من عدم قبولها يُمسي أي يدخل في المساء وهَمّه الشّكر لِلّه تعالىٰ ويُصبح وَهمّه الذّكر له تعالىٰ وفي هذين الأخيرين إشارة الىٰ كونه في مقام الرّضا والتّسليم ومن كان كذلك فيشكر اللّه علىٰ كلّ حال ويذكره بلسانه وقلبه وجَوارحه فلا يشكُو الىٰ أحَدٍ: قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ**

كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾(١)

و: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾(٢)

و: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ﴾(٣)

و: ﴿ياأيها الّذين آمنوا إذكروا اللّه ذكراً كثيراً﴾(٤)

و: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَيِّئَاتِ ذٰلِكَ ذِكْرىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾(٥)

وقال رسُول اللّه ﷺ الطّاعم الشّاكر له من الأجر كأجر الصّائم المُحتَسب، والمعافي الشّاكر له من الأجر كأجر المُبتلي الصّابر والمُعطي الشّاكر له من الأجر كأجر المحروم القانع انتهىٰ « مشكاة الأنوار ص ٢٧»...

وقال ﷺ أيضاً - ما فَتح اللّه لعبدٍ باب شكرٍ فخزن عنه باب الزّيادة انتهىٰ«ص ٢٨»...

وعنه ﷺ - أنّ المؤمن ليَشبع من الطّعام والشّراب فيحمد اللّه فيعطيه اللّه من الأجر ما يعطي الصّائم أنّ اللّه شاكر يحبّ أن يُحمَد انتهىٰ «ص ٢٨»...

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام - من سَجد سجدة ليشكر نعمة وهو متوضّئ كتب اللّه له عَشر حَسنات ومحىٰ عنه عَشر خطيّئات عظام انتهىٰ«ص ٢٨»...

وقال عليه السلام - ثلاثة لا يضُر معهنّ شيّ الدّعاء عند الكَرب والإستغفار عند الذّنب، والشّكر عند النّعمة انتهىٰ والأحاديث فيه كثيرة جدّاً...

وقال النبّي ﷺ ياعلّي سيّد الأعمال ثلاث خصال إنصافك من نَفسك ومُواساة الأخ في اللّه وذكر اللّه تبارك وتعالىٰ علىٰ كلّ حالٍ انتهىٰ« مشكاة الأنوار ص ٥٥»...

وقال مُوسىٰ عليه السلام - فما جَزاء من ذَكَرك بلسانه وقلبه قال يامُوسىٰ أظلّله يوم القيامة بظِلّ عرشي وأجعله في كنفي انتهىٰ« ص ٥٦»...

١- النحل ـ ٤٠

٢- ابراهيم ـ ٧

٣- النمل ـ١٩ الاحقاف ـ١٥

٤- الاحزاب ـ٤١

٥- هود ـ١١٤

وعن الصّادق عليه السلام قال ألا أُحدّثكم بأشدّ ما إفترض اللّه علىٰ خلقه فذكر له ثلاثة أشياء، الثّالث منها ذكر اللّه في كلّ مَوطنٍ اذا هجم علىٰ طاعةٍ أو معصية انتهىٰ « ص ٥٣»....

قوله عليه السلام - يَبيت حَذراً ويُصبح فرحاً حذراً لِما حَذِر من الغفلة وفرحاً بما أصاب من الفضل والرّحمة...

باب يَبيت بيتاً وبيتُوتة ومَبيتاً ومَباتاً، في المكان أقام فيه اللّيل فلاناً ومنه ليلة المَبيت وهي اللّيلة الّتي بات ونام علّيٌ عليه السلام علىٰ فراش رسُول اللّه صلى الله عليه وآله والمعنىٰ أنّ المؤمن يَبيت وينام علىٰ فراشه بقلبٍ خائف ويُصبح فَرحاً ومَسرُوراً ثُمّ أوضح عليه السلام كلامه وقال حذراً لما حَذر من الغَفلة وفَرحاً بما أصاب من الفَضل والرّحمة الشّاملة له بمناجاته ودعائه في اللّيل والحاصل أنّه في أوّل اللّيل يكون حَذِراً خائفاً من الغفلة عن المناجاة ولمّا وفقّه اللّه تعالىٰ لها فَيُصبح فَرحاً لشمُول التّوفيق منه تعالىٰ فينبغي أن لا يعتمد الإنسان علىٰ نفسه وأنّه يأتي بما شاء قطعاً لإحتمال الغَفلة وعدم التّوفيق فالفَرح والسّرور قبل المعنىٰ العَمل لا معنىٰ له وأمّا بعده فهو في موضعه:

- قوله عليه السلام: أِنْ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ تَكْرَهُ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ...

وذلك لأنّ النّفس لأمارة بالسُّوء فلا تُحبّ إلّا ما فيه مفسدة ولا تكره إلّا ما فيه مَصلَحة والمؤمن المُتّقي يَكره المَعاصي ويحبّ الحَسَنات والطّاعات وعليه فاذا سألتهُ النّفس الأمّارة بالسّوء شيئاً تُحبّه ينبغي أن لا يلتفت اليها ولا يُعطها سُئلها وإلّا فيكون تابعاً لها مُطيعاً أيّاها وهو خروجٌ عن الإيمان والتّقوىٰ والمفروض خلافه.

وقد وَرد في ذمّ متابعة النّفس كثيراً من الآيات والأخبار:

قال اللّه تعالىٰ حكاية عن يُوسف النّبي عليه السلام: ﴿وَ مَا أُبَرِّءُ نَفْسِى إِنَّ النَّفْسَ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّى﴾(١)

١- يوسف ـ٥٣.

و : ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾(١)

و : ﴿وَ أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ ا

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام أنّه قال عليه السلام لرجلٍ أنّك قد جُعلت طبيب نفسك وبُيّن لك الدّاء وعَرفت آية الصّحة ودُلّلتَ على الدّاء فانظر كيف قيامك على نَفسك انتهىٰ « مشكاة الأنوار ص ٢٤٤»...

وعنه عليه السلام – قال إحمل نَفسك لِنَفسك فأن لم تَفعل لم يحملك غيرك انتهىٰ « ص ٢٤٤»...

وعنه عليه السلام – قال لرجل إجعل قَلبك قريناً وتزاوله وإجعَل عَملك والداً تتّبعه وإجعل نفسك عدّواً تجاهده وإجعَل مالك كفّارة به تردّها انتهىٰ« ص ٢٤٤»...

وعنه عليه السلام – قال أُقصر نفسك عمّا يضّرها من قبل أن تفارقك وأَسع في فكاكها كما تَسعىٰ في طلب مَعيشتك فأنّ نفسك رهينة بعَملك انتهىٰ « ص ٢٤٤»...

وعن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال أيّاك أن تتّبع الهَوىٰ (النّفس هواها) فأنّ في هواها رداها وترك هواها دَواءها انتهىٰ...

وقال الصّادق عليه السلام – أنفع الأشياء لِلمرء سبقه النّاس الىٰ عيب نفسه انتهى « ص ٢٤٤»...

وعنه عليه السلام قال – لا ينبغي لِلمؤمن أن يذّل نفسه قلت ما يذّل نفسه قال لا يدخل فيما ينبغي أن يعتذر منه انتهىٰ...

وعنه عليه السلام قال – أنّ اللّه تبارك وتعالىٰ فوّض الىٰ المؤمن كلّ شئ إلاّ إذلاله نفسه انتهىٰ« ص ٢٤٥»...

وقال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله – من مَقت نفسه دون مَقت النّاس آمنه اللّه من فزع يوم القيامة انتهىٰ...

وقال أمير المؤمنين عليه السلام – أنّ رسُول اللّه بَعث سرية فلمّا رجعوا قال

١- الزمر ٥٦. ا- النازعات- ٤١/ ٤٠

مرحباً بقومٍ قضوا الجهاد الأصغر وبقىٰ عليهم الجهاد الأكبر قيل يارسُول اللّه وما الجهاد الأكبر قال ﷺ جهاد النّفس ثُمّ قال ﷺ أفضل الجهاد من جاهد نفسه الّتي بين جَنبيه وقال ﷺ من غَلب علمه هَواه فذلك عِلمٌ نافع انتهىٰ« ص ٢٤٥»...

وقال الصّادق ﷺ – من مَلَك نفسه اذا رَغب واذا رَهب واذا إشتهىٰ واذا غَضَب واذا رَضىٰ واذا سَخط حرّم اللّه جَسده علىٰ النّار انتهىٰ« ص ﷺ ٢٤»
والأحاديث كثيرة.

□ قوله ﷺ: **قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لاَ يَزُولُ وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لاَ يَبْقَىٰ يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ ...**

أي قرّة عين الزّاهد المُتّقي فيما لا يزول من الأعمال الصّالحة الّتي توجب دخوله في الجنّة ومن المعلوم أنّ الحقّ ثابت وزهادته وتركه فيما لا يبقىٰ من الدّنيا وما فيها فأنّها فانية غير باقية والحاصل أنّ إبتهاجه وسروره في الآخرة ونعيمها وما يوجب الوصُول اليها في الدّنيا من الأعمال الصّالحة كما أنّ زهده وتركه في الدّنيا الفانية وما فيها من النِعَم.

فهو يَمزج ويَخلط الحِلم بالعِلم وقد مَرّ الكلام فيه والقول بالعَمل أي كلّما يقول يعمل به:

أمّا الأوّل: أعنى قوله ﷺ: **قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لاَ يَزُولُ** فلأنّه مُطابق للعقل والنّقل.

أمّا العقل: فظاهر لأنّه يحكم حكماً قطعياً بأنّ الثّابت الدّائم يؤخذ به والفاني الدّاثر يُترك وحيث أنّ عالم الآخرة والاعمال الصّالحة الموصلة اليها لا فناء فيها فيجب أن يؤخذ بها وأمّا الدّنيا الّتي لا بقاء لها فلا وهذا حكم قطعي لا خلاف فيه اذ إختيار الفاني علىٰ الباقي دليل علىٰ الجَهل والسّفاهة وقد مَرّ البحث في الدّنيا والآخرة وتبيّنا ماهيّتها مفصّلاً:

وأمّا النّقل: فلقوله تعالىٰ في كون الآخرة والأعمال الصّالحة باقية: ﴿وَمَا عِنْدَ

اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (١)

و : ﴿وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٢)

و : ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ﴾ (٣)

و : ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ (٤)

قال الله تعالى في الدّنيا:﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (٥)

و : ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ (٦)

و : ﴿وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ (٧) وغيرها من الآيات.

وأمّا الأحاديث الواردة في الباب فأكثر من أن تُحصىٰ وقد نقلنا شطراً منها فيما مضىٰ:

وأمّا قوله ﷺ: **وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ** ففيه إشارة الىٰ أنّ المُتّقين قرنوا القول بالعَمل فيَقولون ويَفعلون ويَفعلون ويَقولون وقد ذمّ اللّه تعالىٰ أقواماً يقولون ولا يَفعلون.قال اللّه تعالىٰ:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٨) ويَظهر من كلام أمير المؤمنين أنّ العَمل شرط في تحقيق الإيمان والتّقوىٰ خلافاً للعامّة حيث ذَهبوا الىٰ عدم إشتراطه وقد حققّناه فيما مضىٰ.

□ **قوله ﷺ: تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ قَلِيلاً زَلَلُهُ خَاشِعاً قَلْبُهُ قَانِعَةً نَفْسُهُ مَنْزُوراً أَكْلُهُ...**

أمّا الأوّل قوله ﷺ: **قَرِيباً أَمَلُهُ** فهو إشارة الىٰ أنّ المؤمن أَمَله في الدّنيا قريب لا يُعد فيه بخلاف غير المؤمن فأنّ له أَمَل بل آمال بعيدة طويلة لا يصل اليها أبداً وطول الأَمل مذموم وقُربه مَمدُوح قال اللّه تعالىٰ في ذمّ طول الأمل في كتابه: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٩)

١-القصص ـ٦٠
٢- الشورىٰ ـ٣٦
٣-النحل ـ٩٤
٤- الكهف ـ٤٦
٥-آل عمران ـ١٨٥
٦-النساء ـ٧٧
٧-الانعام ـ٣٢
٨- الصّف ـ ٢/٣
٩-الحجر ـ٣

ثُمَ اعلم أنّ طول الأَمَل مَنشأه الجَهل وحُبّ الدّنيا فأنّ من تفَكر يـعلم أنّ المَوت أَقرب اليه من كلّ شئٍ واذا كان كذلك فكيف يأمل طويلاً.

قال رسول الله ﷺ انّ اشدّ ما اخاف عليكم خصلتان إتباع الهَوىٰ وطول الأمل فامّا إتباع الهَوىٰ فيصدّ عن الحقّ وامّا طُول الأمَل فانّه الحبّ لِلدّنيا وفي حديثٍ يُنسي الآخرة) هذا وأمّا قرب الأمَل فهو مَمدُوحٌ لكونه ضدّه وهو شعار المؤمنين الصّالحين.

وقد وَرد في مَدحه ما وَرَد (قال رسُول الله ﷺ اذا أصـبحت فـلا تـحدثّ نفسك بالمساء واذا أمسيت فـلا تـحدّث نـفسك بـالصّباح وخُـذ مـن دنـياك لآخرتك ومن حياتك لموتك ومن صّحتك لسُقمك فأنّك لا تدري ما اسمك غداً انتهىٰ...

وقال ﷺ بعد ما سَمِع أنّ أُسامة إشترىٰ واحدة بمِائة دينار الىٰ شهرٍ،أنّ أُسامة لطويل الأَمَل والّذي نفسي بيده ما طرفت عيناي إلاّ ظنّنت أنّ شفري لا يلتقيان حتّىٰ يقبض الله روحي ولا رفعتُ طرفي فظَنَنتُ أنّـي واضـعه حـتّىٰ أُقبض ولا لقمتُ لُقمة إلاّ ظنّنتُ أنّي لا أُسيغها حتّىٰ أغصّ بها عن المَوت ثُمّ قال ﷺ يا بني آدم أن كنتم تعقلون فعدّوا أنفسكم من المَوتىٰ والّذي نفسي بيده أنّ ما توعدون لآتٍ وما أنـتم بـمعجزين انـتهىٰ« جـامع السّـعادات ج ٣ ص ٣٥»...

روي أنّه ﷺ قد طَلع ذات عشّية الىٰ النّاس فقال: أيّها النّاس أما تَستحيُون من اللّه تعالىٰ قالوا وما ذاك يارسُول اللّـه قـال ﷺ تـجمعون مـا لا تأكـلُون وتأملُون ما لا تدركون وتَبنون ما لا تسكنون انتهىٰ...

وقال ﷺ – أَكلّكُم يحبّ أن يدخل الجنّة قالوا نعم يارسُول الّـله قـال ﷺ قصروا من الأمَل واجعلُوا آجالكم بين أبـصاركم واسـتحيوا مـن اللّـه حـقّ الحياء انتهىٰ« ص ٣٦»...

وقال عِيسىٰ ﷺ – لا تهتّموا برزق غدٍ فأن لم يكن غداً من آجالكم فستأتي

أرزاقكم مع آجالكم وأن لَم يكن غداً من آجالكم فلا تهتمّوا لأرزاق غيركم انتهىٰ« ص ٣٦»...

وأمّا الثّاني قوله عليه السلام: **قَلِيلاً زَلَلُهُ** ، أي خطاياه فلا شك أنه أيضاً من أوصاف المُتّقين كما أنّ كثرة الزَلَل من أوصاف الفاسقين ولا مِلاك لنا في النّاس إلّا هذا وأنّما قال عليه السلام قليلاً زَلَله ولَم يقل ليس له زَلَل مثلاً لأنّ الإنسان لا مَحيص له من الخطأ والعصيان إلّا من عَصَمه الله منه من الأنبياء والأوصياء فالمُتّقون لكونهم غير مَعصُومين لا يَستثنُون من هذه القاعدة إلّا أنّهم لوجود ملكة التّقوىٰ فيهم تكون الزّلة والخطأ فيهم أقلّ من غيرهم وهو واضح.

الثّالث قوله عليه السلام: **خَاشِعاً قَلْبُهُ** ، وقد مَرّ الكلام فيه عند قوله عليه السلام وخشُوعاً في العبادة، والفرق بين المقامين هو الفرق بين المطلق والمقَيد فلا تكرار في كلامه عليه السلام ففي المقام أشار عليه السلام الىٰ الخشُوع مطلقاً سواء كان في العبادة أم في غيرها فأنّ المؤمن المُتّقي يجب أن يكون خاشِعاً خاضِعاً في جميع شئُونه وحركاته وسَكناته قال الله تعالىٰ في مَدحهم: **﴿وَ يَدْعُونَنَا رَغَباً وَّ رَهَباً وَّ كَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾**[1] وقد مَرّت الأخبار فيه هناك.

الرّابع قوله عليه السلام: **قَانِعَةً نَفْسُهُ** ، وهذا أيضاً حقّ فأنّ من لا حرص له ولا طمع فهو قانع لا مُحالة والقناعة تُوجب العِزّ كما أنّ الطّمع يُوجب الذّل وهي من أحسن الصّفات وأشرفها.

قال رسُول الله صلى الله عليه وآله – من أراد أن يكون أغنىٰ النّاس فليكن بما في أيدي الله أوثق منه في أيدي غيره انتهىٰ...

وقال الباقر عليه السلام **قال الله عزّ وجلّ يابن آدم إرض بما أتيتك تكن من أغنىٰ النّاس انتهىٰ...**

وقال علّي ابن الحسين عليه السلام **من قنع بما قَسم الله له فهو من أغنىٰ النّاس انتهىٰ...**

١- الانبياء ـ ٩٠

وقال أبو عبد الله عليه السلام أغنى الغنى القناعة وقال أيضاً لرجل يعظه إقنع بما قَسم الله لك ولا تَنظر الىٰ ما عند غيرك ولا تتمّن ما لَست نائله فأنّه من قَنع شَبَع ومن لم يَقنع لم يَشبع وخذ حظّك من آخرتك...

وقال عليه السلام كان عليّ عليه السلام يقول من تمّنىٰ غنىٰ نفسه ومن لَم يَشف غيظه مات بحسرة انتهىٰ...

وقال عليّ عليه السلام من رضىٰ من الدّنيا بما يجزيه كان أيسر ما فيها يَكفيه ومن لم يَرض من الدّنيا بما يجزيه لَم يكن فيها شئ يكفيه انتهىٰ....

شكىٰ رجل الىٰ أبي عبد الله عليه السلام أنّه يطلب فيصيب فلا يقنع وتُنازعه نفسه الىٰ ما هو أكثر منه وقال علّمني شيئاً أنتفع به فقال عليه السلام أن كان ما يُكفيك يُغنيك فأدنىٰ ما فيها يُغنيك وأن كان ما يُكفيك لا يُغنيك فكلّ ما فيها لا يُغنيك انتهىٰ...

وقال رسُول الله صلى الله عليه وآله القناعة مال لا ينفد، وقال صلى الله عليه وآله القناعة كنزٌ لا يفنىٰ انتهىٰ« مشكاة الأنوار ص ١٣٠ الى ص ١٣٢»...

الخامس قوله عليه السلام: منزُوراً أكله، أي قليلاً أكله فأنّ المؤمن لا يكون أَكُولاً...

(قال رسُول الله صلى الله عليه وآله نُور الحكمة الجُوع والتّباعد من الله الشّبع والقربة الىٰ الله حبّ المَساكين والدّنو منهم انتهىٰ...

وقال صلى الله عليه وآله لا تشبعوا فيطفأ ونُور المعرفة من قلوبكم ومن بات يصلي في خفّةٍ من الطّعام جاءت الحُور العين حَوله انتهىٰ...

وسُئل رسُول الله ما أكثر ما يدخل النّار قال صلى الله عليه وآله الأجَوفان البَطن والفَرج انتهىٰ الأحاديث منقولة عن مكارم الأخلاق « مكارم الأخلاق ص ١٥٠»...

- قوله عليه السلام: سَهْلاً أَمْرُهُ حَرِيزاً دِينُهُ مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ مَكْظُوماً غَيْظُهُ...

السّادس قوله عليه السلام: سَهْلاً أَمْرُهُ، أي أنّ المؤمن خفيف المؤنة في جميع أُموره فلا يتكلّف لأحدٍ ولا يكون كَلاً علىٰ أحدٍ.

السابع قوله ﷺ: **حَرِيزاً دِينُهُ**، أي يكون دينه محرزاً محفوظاً عن الشّكوك والشُّبه لكونه في دينه علىٰ يَقينٍ وهو مانع من عُروض الشّكوك عـليه وقـد عرفت الكلام فيه عند بحثنا في قوله ﷺ وإيماناً في يَقينٍ ومن علامات اليَقين الإستقامة في الدّين.

الثامن قوله ﷺ: **مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ**، أي مُطلق الشّهوات لا شَهوة الفـرج فـقط وإماتة الشّهوة كفّها عمّا حرّم الله بل وعمّا أحلَّ الله اذا كان مُفرطاً فيه.

ثُمّ أنّ الشّهوة كما قلنا المراد بها معناها العامّ من شَهوة الفرج وشَهوة البَطن وشَهوة المقام وشَهوة الشُّهرة وشَهوة الكلام وغير ذلك والجامع بينها شَهوة الدّنيا وما فيها وغرضه ﷺ أنّ المؤمن المُتّقي يمنع شَهوته عمّا لا يـجوز ولا يَصلح له إرتكابه لكونه مسَلطاً علىٰ نفسه الأمّارة والشّهوة من آثارها وأميالها بل نفسها وقد مَرَّ الكلام في شَهوة الدّنيا وشَهوة الأكل والشُّرب.

التاسع: قوله ﷺ: **مَكْظُوماً غَيْظُهُ**، أي مَحبُوساً غَيظه، وكَظم الغَيظ أيضاً من صفات المُتّقين قال الله تعالىٰ في مَدحهم: **﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْـعَافِينَ عَـنِ النَّاسِ﴾**[1] وقد مَرَّ الكلام فيه إجمالاً في بحث الحِلم وقلنا أنّه التّحلُم تكلُّف الحِلم إلّا أنّ الإنسان اذا واظب عليه حتّىٰ صار مُعتاداً تحدث بعد ذلك صفة الحِلم الطّبيعي بحيث لا يهيج الغيظ حتّىٰ يحتاج الىٰ كَظمه وكيف كان فهو بعد الحلم من أشرف الفضائل النّفسانية وقد تواترت الأخبار بفضله ومَدحه (قال رسُول الله ﷺ من كَظم غَيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه مَلأ الله قلبه يوم القيامة رضاً انتهىٰ).

وقال ﷺ – ما جرع عبد جُرعة أعظم أجراً من جُرعة غيظ كظمها إبـتغاء وَجه اللّه تعالىٰ انتهىٰ...

وقال ﷺ – أنّ لجَهنّم باباً لا يدخله إلاّ من شفىٰ غيظه بمعصية اللّه تعالىٰ انتهىٰ...

١- آل عمران - ١٣٤

وقال ﷺ – من كظم غيظاً وهو يقدر على أن ينفذه دعاه الله يوم القيمة على رؤوس الخلائق حتى يخير من أي الحور شاء انتهى) والأحاديث في فضله كثيرة «جامع السعادات ج ١ ص ٢٩٩»...

العاشر قوله ﷺ: **الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ** ، أي يُؤمَل خيره ويؤمن شره وبعبارةٍ أُخرى يفعل الخيرات ويتجنب الشُّرور والآفات والمراد بالخير ما لا ذمّ فيه عقلاً وشرعاً والشر كلّ مذموم عقلاً وشرعاً فقد حكم العقل والشرع بحسن الخير وقبح الشر وحيث أنّ المُتّقين من خيار عباد الله فلا محالة يكون الخير منهم مأمولاً لوجود المُناسبة والشر منهم مأموناً لعَدمها قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾(١)

و : ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾(٢).

و : ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾(٣)

و : ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٤).

و : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً﴾(٥) هم المُتقون لا غيرهم:

□ قوله ﷺ: **إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ** ...

قال المُعتزلي والبحراني يعني أنّه أن كان مَع الغافلين عن ذكر الله في عدادهم كُتب في الذّاكرين لكونه .

ذاكراً لِلّه بقلبه وأن لَم يذكره بلسانه وقال الخُوئي ﵀ بعد نقله ما نقلناه عنهما والأظهر عندي أنّ الغرض به الإشارة الىٰ دوام ذكره يعني أنّه مع كونه

١-البقرة ـ١٤٨
٢-آل عمران ـ١١٤
٣-المائدة ـ٤٨
٤-التوبة ـ٨٨
٥-الانبياء ـ٩٠

بين الغافلين وفي مجلسهم لا يغفل عن ذكره عزّ وجلّ كغفلتهم عنه بل يُداوم عليه ويكتب في زمرة الذّاكرين لعلمه بأنّ الذّكر في الغافلين يُوجب مزيد الأجر انتهىٰ.

وأنا أقول: معنىٰ العبارة أنّ المُتّقي أن كان في الغافلين كُتب مع الذّاكرين وذلك لأنّ الكون فيهم غير الكون معهم فَحضُوره في الغافلين لا يُوجب كونه معهم في غفلتهم فهذه العبارة نظير قوله ﷺ في مقام آخر في أهل الدّنيا والمُجالسة معهم. قال ﷺ كُن فيهم ولا تكن مَعهم، أي كُن في النّاس جسماً وبَدناً ولا تكن معهم روحاً وقلباً، وما نحن فيه من هذا القبيل فأنّ الأنبياء والأوصياء أيضاً كانوا في الدّنيا في الغافلين مع أنّهم في الواقع كانوا من الذّاكرين إمّا لأنّ الأعمال بالنّيات وإمّا لِعَدم موافقتهم الغافلين في غفلتهم وقوله ﷺ وأن كان في الذّاكرين لَم يُكتب من الغافلين، معناه أنّ المُتّقي أن كان في الذّاكرين لكونه من أهل الذّكر لَم يُكتب من الغافلين عن الذّكر ووجهه ظاهر وقد مَرَّ الكلام في مَدح الذّكر وأنّه شعار الصالحين ونقلنا بعض الآيات والأحاديث الواردة فيه ونذكر لك في المقام حديثاً روي عن بعض الصّادقين أنّه قال الذّكر مَقسُوم علىٰ سَبعة أعضاء، اللّسان، والرُوح، والنّفس، والعَقل، والمَعرفة، والسّر والقلب وكلّ واحدٍ يَحتاج الىٰ إستقامةٍ، فإستقامة اللّسان صدق الإقرار، وإستقامة الرّوح صدق الإحتضار، وإستقامة النّفس صدق الإستغفار، وإستقامة القلب صدق الإعتذار، وإستقامة العَقل صدق الإعتبار، وإستقامة المعرفة صدق الإفتخار وإستقامة السّر السّرُور بعالم الأسرار وذكر اللّسان الحَمد والثّناء، وذكر النّفس الجهد والعناء وذكر الرّوح الخوف والرّجاء وذكر القلب الصّدق والصّفاء وذكر العقل التّعظيم والحياء وذكر المعرفة التّسليم والرّضا، وذكر السّر الرّؤية واللّقاء انتهىٰ.

□ قوله ﷺ: **يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ..**.

الحادي عشر قوله ﷺ: **يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ** وفيه إشارة الىٰ مقام العَفو وهو

أيضاً شعار الصّالحين ولأجل هذا مَدح اللّه نفسه به حَيث قال:﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١)

و : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ (٢)

و : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ (٣)

و : ﴿كَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً﴾ (٤)

و : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً﴾ (٥)

وقد أَمر اللّه تعالىٰ عباده به في كثير من الآيات فقال: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦)

و : ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (٧)

و : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (٨) اذا عرفت مَدحه في الآيات .

فنقول، العفو ضدّ الإنتقام، وقد عَرّفوه بإسقاط ما يَستَحقه من قصاصٍ أو غرامة فَفَرقه عن الحلم وكظم الغيظ ظاهر وقد تواترت الأخبار بمدحَه وفضله ولنذكر شطراً منها:

قال رسُول اللّه ﷺ ثلاث والّذي نفسي بيده أن كنت حالفاً لحَلفتُ عليهنّ، ما نقصت صدقة من مالٍ فتَصدقُوا، ولا عفا رجل من مظلمةٍ يبتغي بها وجه اللّه إلاّ زاده اللّه بها عزّاً يوم القيمة، ولا فتح رجل علىٰ نفسه باب مسئلةٍ إلاّ فَتح اللّه عليه باب فقرٍ انتهىٰ « جامع السّعادات ج ١ ص ٣٠٣»...

وقال ﷺ العفو لا يزيد العبد الاّ عزّاً فأعفوا يعزّكُم اللّه انتهىٰ« ص ٣٠٣»...

وقال ﷺ لعقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدّنيا والآخرة تَصل من قَطعك وتَعطي من حرمك وتعفوا عمّن ظلمك انتهىٰ« ص ٣٠٢»...

١- البقرة ـ ٥٢
٢- الشورىٰ ـ ٢٥
٣- الحج ـ ٦٠
٤- النّساء ـ ٩٩
٥- النّساء ـ ١٤٩
٦- المائدة ـ ١٣
٧- آل عمران ـ ١٨٧
٨- الاعراف ـ ١٩٩

وقال موسىٰ عليه السلام يا ربّ أيّ عبادك أعزّ عليك قال الّذي اذا قدر عفا انتهىٰ...

وقال الباقر عليه السلام النّدامة علىٰ العَفو أفضل وأيسَر من النّدامة علىٰ العقُوبة انتهىٰ...

وقال الصّادق عليه السلام ثلاث من مكارم الدّنيا والآخرة تعفو عمّن ظلمكَ الىٰ آخر الحديث « ص ٣٠٣»...

وقيل من عادة الكريم اذا قدر غفر واذا رأىٰ زَلّة ستر، وقالوا ليس من عادة الكرام سُرعة الغَضَب والإنتقام، وقيل من إنتقم فقد شفىٰ غيظه وأخذَ حقّه فلم يجب شكره ولم يُحمد في العالمين ذكره، وقالوا، لا سُؤدد مَع الإنتقام وقال سيّد السّاجدين في مقام المناجاة أنت الّذي عفوه أعلىٰ من عقابه، وقال عليه السلام أنت الّذي سمّيت نفسك بالعفْو فأعف عني ولِنعم ما قيل فيه:

فَهبني مُسيئاً كالّذي قلت ظالماً

فعفواً جميلاً كي يكون لك الفضل

فأن لم أكُن للعَفو منك لسُوءِ ما

أتيتُ به أهلاً فأنت له أهلُ

وقد قال اللّه تعالىٰ في مدح العافين عن النّاس:﴿وَاَنْ تَعْفُوا اَقْرَبُ لِلتَّقْوىٰ وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾(١)

و: ﴿اِنْ تُبْدُو خَيْراً اَوْ تُخْفُوهُ اَوْ تُعفُوا عَنْ سُوءٍ فَاِنَّ اللّٰهَ كٰانَ عَفُوّاً قديراً﴾(٢)

الثّاني عشر قوله عليه السلام: وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ، وهو أيضاً ممّا لا شك في حُسنه ومَدحه عقلاً ونقلاً:

قال سيّد السّاجدين عليه السلام اذاكان يوم القيامة جمع اللّه الأولين والآخرين في صعيدٍ واحدٍ ثُمّ يُنادي مُنادٍ أينَ أهل الفَضل قال عليه السلام فيقوم عنق من النّاس فتلقاهم الملائكة فيقولون وما فَضلكم، فيقولون كنّا نَصل من قَطعنا ونُعطي من حرمنا ونعفو عمّن ظلمنا انتهىٰ « جامع السعادات ج ١ ص ٣٠٢»... وقد مَرَّ

١- البقرة - ٢٣٧

٢- النساء - ١٤٩

بعض الأحاديث في شرح قوله عليه السلام يعفو عمّن ظلمه:

الثالث عشر قوله عليه السلام: وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ، قال الله تعالى:﴿**والَّذِينَ يَصِلُونَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخافُونَ سُوءَ الحِسابِ**﴾(١)

(روي عن الصّادق عليه السلام أنّه حين حضرته الوفاة قال أُعطوا الحسن بن علّي بن الحسين وهو الأفطر سبعين ديناراً وأعطوا فلاناً كذا وكذا فقيل له عليه السلام أتُعطي رجلاً حَمل عليك بالشّفرة فقال عليه السلام وَيحَك أما تقرأين القرآن قلت بلىٰ قال أما سمعت قول الله عزّ وجلّ:﴿**والَّذينَ يَصِلُونَ ما أَمَرَ اللهُ**﴾(٢)

□ **قوله عليه السلام: بَعِيداً فُحْشُهُ لَيِّناً قَوْلُهُ غائِباً مُنْكَرُهُ حاضِراً مَعْرُوفُهُ مُقْبِلاً خَيْرُهُ مُدْبِراً شَرُّهُ ...**

الفُحش بضَم الفاء فعل الفَحشاء يقال تَفَحّش عليهم بلسانه أسمَعهم القَبيح من القَول والغرض أنّ المُتّقي يكون بعيد الفُحش أي لا يَفحش إلّا قليلاً وإنمّا لم يقل عليه السلام لا يفحش أصلاً لأنّه غير مَعصُوم والّذي بمَعزلٍ عنه أصلاً هو الإمام المَعصُوم وأمّا غيره فلا نعم يتفاوت الأمر فيه قلّةٍ وكثرةٍ وكيف كان لا شك في قبحه وذمّه:قال الله تعالى:(**وَلا تَقْرَبُوا الفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ**﴾(٣)

و : ﴿**الَّذينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإِثْمِ وَ الفَواحِشَ**﴾(٤)

و : ﴿**إِنَّ اللهَ لا يَأْمُرُ بِالفَحْشاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ ما لا تَعْلَمُونَ**﴾(٥)

و : ﴿**كَذلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالفَحْشاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا المُخْلِصِينَ**﴾(٦)

و : ﴿**وَيَنْهىٰ عَنِ الفَحْشاءِ وَالمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾(٧) وغيرها من الآيات:

وأنّما استدَلَلنا علىٰ قُبحه بهذه الآيات مُشعراً بأنّ الفُحش لا يُختص باللّسان فقط وذلك لأنّه عليه السلام حدّ مصاديقه بل هو كلّ مُستَقبحٍ من الفعل والقول ولذلك

١- الرعد ـ ٢١ / ٢- الرعد ـ ٢١

٣- الانعام ـ ١٥١ / ٤- الشورى ـ ٣٧

٥- الاعراف ـ ٢٨ / ٦- يوسف ـ ٢٤

٧- النحل ـ ٩٠

قيل، كلّ شوءٍ جاوَز حدّه فهو فاحش وعليه فالمعنىٰ أنّ المُتّقي لا يفعل القبيح إلّا نادراً قليلاً هذا والّذي حملوا العبارة عليه في شروحهم هو الفُحش باللّسان أعني به السَّب وبذاءة اللّسان وهو يقتضي صرف لفظ البعيد عن ظاهره وجعله كناية عن العدم وعليه فالمعنىٰ أنّ المُتّقي لا يفحش أصلاً لكونه منافياً لِلعدالة والتّقوىٰ أو أنّه يُقدم علىٰ الفُحش أحياناً إلّا أنّه لا يبلغ حدّ الحرام وأنت ترىٰ أنّ هذه التّكلفات في العبارة أنّما نشئت من التصّرف في كلمة الفُحش وحمّله علىٰ السّب باللّسان الّذي هو أحد مصاديقه وأمّا اذا حملناها علىٰ معناها العامّ فلا نحتاج الىٰ هذه التّأويلات ويستقم المعنىٰ أيضاً وهو أنّ المُتّقي لا يفعل القبائح من الأعمال والأقوال إلّا قليلاً مضافاً الىٰ أنّ التّخصيص يحتاج الىٰ الدّليل واذ ليس فليس وقد ورد في الخبر علىٰ ما نقله في المَجمع أنّ اللّه يُبغض الفاحِش المُتَفحش، ثُمّ قال الفاحش ذوي الفُحش في كلامه وفعاله، والمُتَفحِش من يَتكَلفه ويتّعمده ونقل عن النّهاية أنّه قال قد تكرر ذكر الفُحش والفاحشة والفَواحش في الحديث هو كلّما يشتّد قبحه من الذّنوب والمعاصي انتهىٰ.

ثُمّ أن كان المراد به ما ذكروه من السَّب باللّسان كما هو المُصطلح المُتعارف بين النّاس من لفظة الفُحش فيقال فلان فَحّاش، أي سيّئ اللّسان فلا شك أيضاً في ذمّه لكونه أحد مصاديقه بل لا يبعد كونه أكبرها وأعظمها وقد ورد في الأحاديث في ذمّه ما ورَدَ:

قال رسُول اللّه ﷺ ليس المؤمن بالطّعان ولا اللّعّان ولا الفاحش ولا البذيّ انتهىٰ...

وقال ﷺ أيّاكم والفحش فأنّ اللّه لا يُحبّ الفحش والتّفَحش انتهىٰ...

وقال ﷺ الجنّة حرام علىٰ كلّ فاحش أن يدخلها انتهىٰ...

وقال ﷺ أنّ الفُحش والتّفحش ليسا من الإسلام في شيّئ انتهىٰ...

وقال ﷺ -أربعة يؤذون أهل النّار علىٰ ما بهم من الأذىٰ وعدّ منهم رجلاً

يَسيل فُوه قياً وهو من كان في الدّنيا فاحشاً انتهىٰ...

وقال ﷺ لا تَسُبُوا النّاس فتكسِبُوا العداوة منهم انتهىٰ...

وقال ﷺ أنّ اللّه حرّم الجنّة علىٰ كلّ فحاش بذيّ قليل الحياء لا يُبالي ما قال ولا ما قيل له فأنك أن فتشته لَم تَجده إلاّ لِغَيه أو شرك شيطان انتهىٰ...

وقال ﷺ - أنّ من شرار عباد اللّه من تكره مُجالسته لفحشه انتهىٰ...

وقال ﷺ سباب المؤمن كالمُشرف علىٰ الهلكة انتهىٰ...

وقال الصّادق ﷺ - من علامات شرك الشّيطان الّذي لا يشك فيه أن يكون فحاشاً الحديث «جامع السعادات ج ١ ص ٣١٦»...

وأمّا قوله ﷺ: **لَيِّناً قَوْلُهُ**، معناه أنّه يتكلم بالرّفق ولا يَغلُظ في كلامه قال اللّه تعالىٰ مُخاطباً لمُوسىٰ وهارون حين بَعثهما الىٰ فرعون: **﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾**(١) وذلك لأنّ الرّفق في القول يُوجب المَحبّة ويَجلب الأُلفة كما أنّ الغَلظة في الكلام تُوجب النِفرة والبَغضة:

وقوله ﷺ: **غَائِباً مُنْكَرُهُ حَاضِراً مَعْرُوفُهُ**، معناه أنّ المُتّقي من شأنه أن تكون الأعمال القبيحة عنه مَفقودة والأعمال الحَسَنة المَمدُوحة المَعروفة لديه حاضرة موجودة والحاصل أنّه يَفعل المعروف ويَترك المُنكر وأنما قال ﷺ غائباً مُنكره ولَم يقل فاقداً منكره مثلاً لِلإشارة الىٰ أنّ الإنسان اذا لم يكن معصوماً لا يخلو عن فعل المُنكر إلّا أنّ المُتّقي لا يَتظاهر به والفاسق يَتظاهر به فغيبة المنكر أعمّ من فقده وعَدَمه بل الحقّ أن يقال أنّ الغيبة لا تكون إلّا فيما هو غائب عن الحواسّ موجود واقعاً وقد مَرَّ الكلام في المعروف والمنكر:

وقوله ﷺ: **مُقْبِلاً خَيْرُهُ مُدْبِراً شَرُّهُ** معناه أنّه يُسارع الىٰ الخيرات ويُدبر الشُّرور والمُنكرات ويمكن أن يراد به كثرة الخَيرات وقلّة الشُّرور وكيف كان فلا شك أنّ المُتّقي يكون كذلك قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ**

١- طه-٤٤

﴿يُكْفَرُوهُ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (١)

و : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَوٰةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (٢)

و : ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (٣) ومن المعلوم أنّ كلّ من كان خيره مُقبلاً كان شّره مُدبراً وهو واضح:

▫ قوله ﷺ: فِي الزَّلاَزِلِ وَقُورٌ وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ وَفِي الرَّخَاءِ شَكُورٌ...

أي ويكون في الشّدائد والحوادث وقُوراً أي شديد الوقار والثّبات وفي المكروهات النّفسانية صَبوراً وفي الرّخاء والنّعمة شكوراً والكلّ إشارة الى قوّة إيمانه فأنّ المؤمن لكونه في مرتبة اليَقين يكون راضياً برضاء اللّه وتسليماً لأمره واذا كان كذلك فهو يعلم أنّ كلّ ما يجئ من الحوادث فهو من عند اللّه علىٰ طبق مَصلَحته فقراً أو غنىٰ صحّةً كان أو مَرض فلا محالة يصبر في المكروهات ويشكر في النّعماء وقد مَرّ الكلام في الصّبر والشّكر مفصّلاً:

▫ قوله ﷺ: لاَ يَحِيفُ عَلَىٰ مَنْ يُبْغِضُ وَلاَ يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ...

وذلك لأنّ حُبّه لشئٍ وبغضه له يكونان لِللّه تعالىٰ فلا محالة لا يحيف ولا يظلم علىٰ من يبغض كما لا يأثم ولا يعصي اللّه فيمَن يُحبّه والحاصل أنّهما لا يُخرجاه عن تكْليفة الشّرعي الىٰ ما يخالفه وقد ورد في الحديث من أعطى لِللّه وأبغض لِللّه وأحبّ لِللّه فهو مِمّن كَمل إيمانه:

وتوضيح ما أفاده ﷺ في المقام بحسب الإجمال هو أنّ الإنسان لا يخلو عن حُبٍّ وبُغضٍ بالنّسبة الىٰ الأشخاص بل والىٰ كلّ المَوجُودات وهذا أعني الحُبّ والبُغض أمرٌ طبيعي جبلّي لا يخلو عنه أحد ثُمّ أنّهما لو تجاوزا حدّ الإعتدال وَوَصلا الىٰ حدّ الإفراط بحيث أوجبا خروج الإنسان عن الميزان الشّرعي ودخوله في إطفاء الغَضب والشّهوة بهما فهما مذمُومان وأن لَم يصلا

١- آل عمران ـ ١١٥/١١٤
٢- الانبياء ـ ٧٣
٣- المؤمنون ـ ٦١

الىٰ هذه المَرتبة فهما ممدوحان، ولنَضرب لك مثلاً وهو أنّك تبغض عدّوك وتحبّ صديقك وهذا أمرٌ قَهري لا كلام ولا ذمّ فيه اذ الأنبياء أيضاً كانوا كذلك ثُمّ أنّك لو ظفرت علىٰ عدّوك فهل يجوز لك أن تنتقم منه أكثر ممّا يليق به ثُمّ هل يجوز لك أن تقول أو تفعل لصديقك أكثر ممّا هو لائق به أو تنسب الىٰ عدّوك ما ليس له والىٰ صديقك كذلك فالجواب مَنفيٌ ولأجل عدم مُراعاة كثير من النّاس هذه القاعدة في حُبّهم وبُغضهم تراهم يَسيرون الىٰ جَهنّم من حيث لا يَشعرُون فترىٰ كثيراً منهم يُعصون اللّه تعالىٰ حُبّاً لأولادهم وهكذا:

□ **قوله ﷺ: يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ لاَ يُضِيعُ مَا اسْتُحْفِظَ وَلاَ يَنْسَىٰ مَا ذُكِّرَ...**

أي ومن أوصاف المُتّقي إعترافه بالحقّ ولو كان علىٰ ضرره قبل شهادة الشّهود عليه بمعنىٰ أنّه يقّر ويَعترف بذنبه وخَطأه ولا يَحتاج الىٰ إثباته في حقّه بسبب الشّهود فأنّ الحاجة الىٰ الأشهاد تنتفي في صُورة الإقرار وقوله ﷺ: **لاَ يُضِيعُ مَا اسْتُحْفِظَ**، قيل في شرح العبارة أي لا يضيع ما أمر اللّه بمحافظته من الصّلٰوة الخَمس لقوله تعالىٰ: **﴿حافِظُوا عَلَىٰ الصَّلٰواتِ وَالصَّلٰوةِ الْوُسْطَىٰ﴾**(١)
أقول لا دليل في كلامه ﷺ علىٰ هذا التّخصيص والحقّ أن يقال لا يضيع ما إستحفظ أي ما أُمر بحفظه في الشّريعة سواء فيه الصّلٰوة والأمانة في المال، والأسرار، بل وكلّ الأحكام من الصّلٰوة والصّوم والحَجّ وغيرها ممّا أُمِر بحفظه وقوله ﷺ: **وَلاَ يَنْسَىٰ مَا ذُكِّرَ** أي لا ينسىٰ المُتّقي ما ذكّره اللّه تعالىٰ بآيات كتابه الكريم من الفرائض والأحكام والعِبَر والأمثال وغيرها ممّا فيه تذّكرة وذكرىٰ لأُولي الألباب بل يعمل بها ويداوم علىٰ ملاحظتها ويكثر من أخطارها بباله ولا يغيبها عن نظره انتهىٰ ما قاله بعض الشّراح في المقام وما ذكره لا بأس به بل هو حقّ حقيق بالإتّباع:

ولنا في المقام إحتمال آخر في شرح العبارة لا بأس بذكره وهو أنّ المُتّقين

١- البقرة - ٢٣٨

لكونهم في مقام اليَقين فكأنّهم يَرون في الدّنيا الجنّة ونَعيمُها والنّار وآلامها كما مرّت الإشارة اليه فلا يغفلُون عن الآخرة طَرفة عينٍ واذا كان كذلك فيَعملُون لِلآخرة دون الدّنيا ولا ينسونها أصلاً فقوله عليه السلام: **وَلاَ يَنْسَىٰ مَا ذُكِّرَ** أي لا ينسىٰ ماذكّر به بسبب الرَّسُول في الكتاب والسّنة من الجنّة والنّار وأن شئت قلت لا ينسىٰ المَوت وما بعده وأمّا الأحكام الشّرعية من الصّلٰوة والصّوم وغيرهما من الفرائض فلا شك في أنّ الإنسان اذا لم يكن مَعصُوماً عن الخطأ والنّسيان قد يغفل عنها أو يُنسيها فأنّ الإنسان محل النّسيان كائناً من كان سوىٰ المَعصُوم فقول الشّارح رحمه الله لا ينسىٰ المُتّقي ما ذكّره اللّه من الفرائض والأحكام لا نعرف معناه ولعلّه رحمه الله أراد غير ما فهمناه ويمكن أن يكون المراد بالذّكر الّذي ذكّر به هو ذكرُ اللّه تعالىٰ لا اللّساني فقط فأنّه قد يُنسىٰ بل الأعمّ منه والحالي والمؤمن المُتّقي لا ينسىٰ هذا الذّكر أصلاً وذلك لأنّه دائماً مُتوجهٌ الىٰ أعماله وأفعاله وأقواله فلا يعمل إلّا صالحاً ولا يقول إلّا حقّاً ولا يطلب في قوله وفعله إلّا مَرضاة اللّه تعالىٰ ولا نعني بالذّكر إلّا هذا فهذا أعني الإيمان الخالص المَشُوب بالعَمل كذلك هو الّذي ذكّر به والمؤمن لا ينسيه أصلاً كما قال اللّه تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ (١)

و : ﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ (٢)

و : ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٣) وغيرها من الآيات.

- قوله عليه السلام: **وَلاَ يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ وَلاَ يُضَارُّ بِالْجَارِ وَلاَ يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ ...**

أمّا الأوّل فلقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٤)

(روي في البحار بأسناده عن ابن أبي عباد عن عمّه قال سمعتُ الرّضا عليه السلام يوماً ينشد شعراً فقلت لِمن هذا أعزّ اللّه الأمير فقال لعراقي لكم قلت أنشدنيه

١- هود ـ ١١٤
٢- المزمل ـ ١٨
٣- الحاقة ـ ٤٨
٤- الحجرات ـ ١١

أبو العتاهية لنفسه فقال ﷺ هات أُمّه وَدع عنك هذا أنّ اللّه سُبحانه وتعالىٰ يقول:﴿وَلا تَنابَزُوا بِالْأَلْقابِ﴾ ولعلّ يكره الرّجل هذا انتهىٰ)ج ١٦ ص ١٥٦.

وروي في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يٰاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ عَسىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ﴾ (١) فأنّها نزلت في صفّية بنت حيّ ابن أخطب وكانت زوجة رسُول اللّه ﷺ وذلك أنّ عائشة وحفصة كانتا تؤذيانها وتشتمان وتقولان لها يابنت اليَهودية فشكت ذلك الىٰ رسُول اللّه ﷺ فقال ﷺ لها ألا تُجيبينهما فقالت ماذا يارسُول اللّه.

قال ﷺ قولي أبي هٰرون نَبّي اللّه وعَمّي مُوسىٰ كليم اللّه وزوجي مُحمّد رسُول اللّه ﷺ فما تنكران منّي فقالت لهما فقالتا هذا علّمك رسُول اللّه فأنزل اللّه في ذلك:(ياأيّها الّذين آمنوا لا يَسخَر قوم الآية الىٰ قوله ولا تنابزوا بالألقاب بئس الأسم الفسُوق بعد الإيمان « ص ١٥٦»...

(وعن المعلّي ابن خنيس عن أبي عبد اللّه قال قال اللّه عزّ وجلّ ليأذن بحربٍ منّي من أذلّ عبدي المؤمن الحديث « ص ١٥٦»...

أقول :ولا شك أنّ النابز بالألقاب لأجل التّحقير إذلال لِلمؤمن وأمّا لغيره فلا:

وأمّا الثاني قوله ﷺ: وَلاَ يُضَارُّ بِالْجَارِ فهو أيضاً من أوصاف المُتّقين كما أنّ الإضرار به من شأن المُنافقين قال اللّه تعالىٰ:﴿وَاعْبُدُوا اللّٰهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَبِذِي الْقُرْبىٰ وَالْيَتامىٰ وَالْمَساكِينِ وَالْجارِ ذِي الْقُرْبىٰ وَالْجارِ الْجُنُبِ وَالصّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ (٢)

ففي مشكاة الأنوار من كتاب روضة الواعظين قال رسُول اللّه ﷺ هل تدرون ما حقّ الجار، ما تَدرُون من حقّ الجار إلاّ قليلاً، ألا لا يؤمِن باللّه واليوم الآخر من لا يأمن جاره بوائقه، واذا استقرضه أن يقرضه، واذا أصابه خير هَنّاه، واذا أصابه شّر عَزّاه، ولا يَستطيل عليه في البَناء يَحجُب

١-الحجرات ـ ١١ ٢-النّساء ـ ٣٦

عنه الرّيح إلاّ بأذنه واذا اشتهىٰ فاكهة فليَهدِ له فأن لم يَهد له فليدخلها سَراً ولا يعطي صبيانه منه شيئاً يغايظون صبيانه ثُمّ قال رسُول اللّـه ﷺ الجيران ثلاثة فمنهم مَن له ثلاث حقُوق، حقّ الإسلام، وحق الجَوار وحق القرابة، ومنهم من له حقّان حقّ الإسلام وحقّ الجوار، ومنهم مَن له حقّ واحد الكافر له حقّ الجوار انتهىٰ« ص ٢١٣»...

وقال ﷺ مَن آذىٰ جاره حرّم اللّه عليه ريح الجنّة ومأواه جَهنّم وبئس المَصير ومن ضَيّع حقّ جاره فليس منّا انتهىٰ« ص ٢١٢»...

وقال ﷺ لَم يزل جبرئيل يُوصيني بالجار حتّىٰ ظننّتُ أنّه سيُورثه انتهىٰ« ص ٢١٣»...

وقال ﷺ من كفّ أذاه عن جاره أقاله اللّه عثرته يوم القيامة ومن عفّ بطنه وفرجه كان في الجنّة يلقاه مَحبُوراً ومن أعتق نَسمة مؤمنة بني له بيتاً في الجنّة انتهىٰ« ص ٢١٣»...

وقال الصّادق ؑ حُسن الجوار زيادة في الأعمار وعمارة في الدّيار انتهىٰ...

وقال ؑ – ليس حُسن الجوار كفّ الأذىٰ ولكن حُسن الجوار صبرك علىٰ الأذىٰ انتهىٰ...

وعنه ؑ قال قال رسُول اللّه لعلّي وسلمان ومقداد في رجل شكىٰ اليه ﷺ جاره فأعرض عنه ثُمّ عاد فأعرض عنه، اذهبُوا ونادوا لعنة اللّه والملائكة علىٰ من آذىٰ جاره انتهىٰ« ص ٢١٣»...

وقال رسُول اللّه ﷺ في غَزوة تَبوك لا يَصحبنا رجل آذىٰ جاره انتهىٰ« ص ٢١٤»...

وقالوا لرسُول اللّه ﷺ فلانة تَصوم النّهار وتقوم اللّيل وتتصدق وتؤذي جارها بلسانها قال ﷺ لا خير فيها هي من أهل النّار انتهىٰ) (وقال ﷺ ليس بمؤمنٍ من لَم يأمن جاره بوائقه انتهىٰ ص ٢١٥ والأحاديث كثيرة.

وأمّا الثّالث قوله ﷺ: وَلاَ يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ ، أي ومن أوصاف المُتّقي أن لا يشمت النّاس بالمصائب الواردة من الله عليهم وذلك لأنّها نزلت بقضاء من الله وقَدَره فالشّماتة عليها شماتةٌ علىٰ الله تعالىٰ قال الله تعالىٰ حكاية عن هٰرون: ﴿اَخَذَ بِرَأْسِ أَخيهِ يَجُرُّهُ اِلَيْهِ، قَالَ ابْنَ اُمَّ اِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِى فَلا تُشْمِتْ بِىَ الْأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ﴾ (١)

وقال رسُول اللّه ﷺ في حديث الرّضا ﷺ لا تُظهر الشّماتة لأخيك فيرحمه اللّه ويَبتليك انتهىٰ« مشكاة الأنوار ص ٩٥»...

وفي البحار بأسناده عن أبي عبد اللّه ﷺ أنّه قال لا تُبدي الشّماتة لأخيك فَيَرحمه اللّه ويصيرها بك وقال ﷺ من شَمت بمُصيبة نزلت بأخيه لم يخرج من الدّنيا حتّىٰ يُفتتن بها انتهىٰ« ج ١٦ ص ١٧٦»...

وعن أبي عبد اللّه ﷺ قال قال رسُول اللّه ﷺ لا تطلبوا عثرات المؤمنين فأنّ من تَتَبع عثرات أخيه تَتَبع اللّه عَثرته ومن تَتَبع اللّه عثرته فَضَحه ولو في جوف بيته انتهىٰ« مشكاة الأنوار ص ١٠٧»...

- قوله ﷺ: وَلاَ يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ...

أمّا أنّه لا يدخل في الباطل ولا يخرج من الحقّ فلكونه في مَرتبة اليَقين من دينه ولا يَصل الىٰ هذه المَرتبة إلّا بعد معرفة الدّين وكونه حقّاً واذا كان الدّين حقّاً فغيره كائناً ماكان يكون باطلاً عاطلاً والمؤمن العارف بالحقّ لا يخرج منه فأنّ خروجه منه دليل علىٰ بطلانه وقد فرضناه حقّاً ودخوله فى الباطل وقد قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ (٢)

وقال في ذمّ الداخلين في الباطل: ﴿اَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَ بِنِعْمَتِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (٣)

١-الاعراف ـ ١٥٠
٢-الاسراء ـ ٨١
٣-النّحل ـ ٧٢

و : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾(١)

و : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾(٢)

وأمّا أنّه أن صَمَت لم يَغُمه صُمته، فالوجه فيه هو أنّ صَمت المؤمن لا يكون إلّا لأجل المَصلَحة كما أنّ تكّلمه أيضاً كذلك وعليه فلا وجه لغَمّه في صُمته بل ينبغي أن يكون مسروراً به لأنّه قد أتىٰ بوظيفته وتكّليفه وقد ورد في الصّمت اذا وقع في محلّه ما يدّل علىٰ حُسنه ومَدحه في كثير من الأخبار:

قال رسول الله ﷺ أنّ الصّمت باب من أبواب الحكمة يكسب المحبّة وأنّه دليل علىٰ كلّ خير انتهىٰ....

وقال ﷺ - ما أحسن الصّمت من غير عيّ والمِهذار له سقطات انتهىٰ...

وقال رسُول الله ﷺ رَحم الله عبداً قالَ خيراً فَغنم أو سَكَت عن سُوءٍ فَسلِم انتهىٰ...

وقال الباقر عليه السلام أنّ شيعتنا الخرس انتهىٰ) (وعن أمير المؤمنين قال رسُول الله ﷺ أن كان في شيءٍ شؤم ففي اللّسان انتهىٰ...

وعن علّيٍ عليه السلام من حفظ لسانه سَتَر الله عَورته وقال الصّادق عليه السلام من علم أنّ كلامه من عَمله قلّ كلامه إلاّ من خير انتهىٰ...

وقال رسُول الله ﷺ إمسك لسانك فأنّها صدقة تتّصدق بها علىٰ نفسك ثُمّ قال ﷺ ولا يعرف عبدٌ حقيقة الإيمان حتّىٰ يَخزن لسانه انتهىٰ« مشكاة الأنوار ص ١٧٥ و ص ١٧٦»...

والأخبار كثيرة وأمّا قوله عليه السلام: وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ، فهو إشارة الىٰ أنّ رفع الصّوت من غير ضرورةٍ مذمُوم، قال الله تعالىٰ في ذَمّه حكاية عن لقمان: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾(٣)

---

١ - لقمان - ٣٠
٢ - العنكبوت - ٥٢
٣ - لقمان - ١٩

و : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ (١)

و : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ (٢)

ويستفاد منها أنَّ غضَّ الصَّوت مَمدُوحٌ وهو المطلُوب والوَجه فيه هو أنَّ رفع الصَّوت وجَهره يُنبئ عن السّرور والفَرح في قلبه والمفروض أنَّ قلب المؤمن خائف حزين فكيف الجمع بينهما وقد ورد في خصائص النَّبي أنَّ ضحكه ﷺ كان بالتَّبسّم ومن تبعه كان كذلك فأنَّ لكم في رسُول اللّه أُسوةٌ حَسَنة:

▫ قوله ﷺ: **وَأَنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّىٰ يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ ...**

البَغي بفتح الباء وسكون العين المعَجَمة في الأصل تجاوز الإقتصاد فيما يتَحرىٰ وهو مَحمُودٌ ومذمُومٌ، فالمَحمُود منه تجاوز العَدل الىٰ الإحسان والفَرض الىٰ التَّطَوع والمذموم منه تجاوز الحقّ الىٰ الباطل والمراد به في المقام هو الثّاني أعني البَغي المذمُوم بدليل قوله ﷺ: **(عليه)** وقوله ﷺ: **صَبَرَ** الىٰ آخر ما قال ﷺ وحاصل المعنىٰ أنَّ من علائم المقين أنّه لو بُغي عليهم من غيرهم أي تجاوز أحَدٌ الى أموالهم وأعراضهم مثلاً صبروا علىٰ الأذىٰ حتّىٰ يكون اللّه تعالىٰ هو الّذي يَنتقم من الباغي وذلك لأنَّ اللّه تعالىٰ أشدّ المُنتقمين ولا يقدر أَحَد علىٰ الإنتقام كقُدرته تعالىٰ عليه قال اللّه تعالىٰ: ﴿ومن عادَ فينتقم اللّه منه وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ (٣)

و : ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ (٤)

و : ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ (٥)

و : ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ (٦)

١- الحجرات ـ٢. ٢- الحجرات ـ٣.
٣- آل عمران ـ٤. ٤- ابراهيم ـ٤٧.
٥- السّجدة ـ٢٢. ٦- الزخرف ـ٤١.

و: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾[1] ثُمّ اعلم أنّ الكلام في الإنتقام لا في دفع الظّلم عن نفسه فأنّه أي دفع الظّلم واجب لو أمكَن له فَلَيست العبارة دالّة علىٰ السّكوت في مقابل الظّلم وإحالة الظّالم علىٰ الآخرة نعم لو لم يقدر علىٰ دفع الظّلم عن نفسه فأمر الظّالم لا محالة الىٰ اللّه ولو قدر عليه فيجب دَفعه وأمّا الإنتقام فهو عبارة عن تشَفي النّفس وإعمال الغَضَب بعد التّسلط علىٰ الظّالم وهذا مذموم وبما ذكرناه قد ظهر لك أنّ القَصاص أيضاً خارج عن البحث:

وأمّا قوله ﷺ: **نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ**، أي نفس المُتّقي منه في عِناءٍ ومشقّةٍ، وذلك لمواظبته عليها في كفّها عن المعاصي وإتيانها بالطّاعات والعبادات وحملها علىٰ المكاره في القُربات ولا شك أنّ إلزام النّفس بما يَنبغي لها في وصولها الىٰ الكمالات وكَفّها عما تَشتهيه من المُحرّمات والشّهوات التّي تميل اليها بحَسَب فطرتها و طبيعتها أمرٌ مُشكل لا يَتَيسر إلّا لِلأولياء وحيث أنّ إتيانها الطّاعات وتركها المَعاصي علىٰ خلاف ذاتها فلا محالة تكون في عِناءٍ ومَشقّةٍ

فقد (روي عن أمير المؤمنين ﷺ أنّه قال النّفس مجبولة علىٰ سُوء الأدب والعبد مأمور بملازمة حُسن الأدب والنّفس تجري في ميدان المُخالفة والعبد يجهد بردّها عن سُوء المُطالبة فمتىٰ أطلق عنانها فهو شريك في فسادها ومن أعان نفسه في هَوىٰ نفسه فقد أشرك نفسه في قتل نفسه انتهىٰ «مشكاة الأنوار ص ٢٤٧»...

وعن علّي ابن الحسين ﷺ قال - حقّ نفسك عليك أن تَستعملها بطاعة اللّه وكان ﷺ يقول يابن آدم أنّك لا تزال بخير ما دام لك واعظ من نفسك وما كانت المُحاسبة من هَمّك وما كان الخَوف لك شعاراً والحُزن دثاراً يابن آدم أنّك ميّت ومبعُوث وموقُوف بين يدي اللّه عزّ وجلّ ومسئُول فأعدّ له جواباً انتهىٰ «ص ٢٤٦»...

١- الدّخان ـ ١٦.

وقال الرّضا عليه السلام أنّ رجلاً في بنّي إسرائيل عَبد اللّه أربعين سنة ثُمّ قرّب قرباناً فلم يُقبل منه فقال لنفسه ما أتيت إلاّ منك وما الذّنب إلاّ لك فأوحىٰ اللّه تعالىٰ اليه ذمّك نفسك أفضل من عبادتك أربعين سنة انتهىٰ« ص ٢٤٥» وهذا هو السّر في كونها منه في عِناءٍ:

وقوله عليه السلام: **وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ**، أي أنّ المتّقي لا يؤذي غيره لِعلمه بأنّ الإيذاء حرام مناف لتقواه وقد مَرَّ الكلام في الإيذاء وأنّه حرام بالكتاب والسّنة والعقل واذا كان المؤمن مشغُولاً بنفسه لا يَلتفت الىٰ غيره فلا محالة يكون النّاس منه في راحةٍ وهو ظاهر لا خفاء فيه.

▫ **قوله عليه السلام: أَتْعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ وَأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ ...**

أمّا إتعابه نفسه لآخرته فلأنّ فيه كمال النّفس مُضافاً الىٰ أنّ الدّنيا لا بقاء لها حتّىٰ يتعب نفسه لها ثُمّ أنّ إتعاب النّفس لِلآخرة يحصل بالطّاعات والإتيان بصالح الأعمال وكفّ الأذىٰ عن النّاس وترك المُحرّمات وغير ذلك ممّا هو مأمور به شرعاً ولازم ذلك أي لازم الإشتغال بالنّفس إراحة النّاس من نفسه وفي هذه الجُملة وسابقتها إشارة الىٰ أنّ الإنسان ينبغي أن يكون بصدد إصلاح نفسه فأنّ فيها عيوباً يجب رَفعها ومن كان كذلك فالنّاس منه في راحة وكأنّ هذه الجملة في الحقيقة توضيح لسابقتها وقوله عليه السلام: **بُعدٌ عمّن تباعد عنه زهدٌ ونزاهة**، معناه أنّ بُعده عن أهل الدّنيا ليس إلّا لأجل الزّهد والنّزاهة لا لشيٍ آخر لعلمه بأنّ مُجالستهم ومُخالطتهم تضّره في دينه ودُنياه وفيه إيماء الىٰ مَدح الخَلوة عن النّاس اذا كان فيها صلاح دينه ودُنياه وهو أيضاً واضح:

▫ **قوله عليه السلام: وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ وَعَظَمَة وَلاَ دُنُوُّهُ بِمَكرٍ وَخَدِيعَةٍ...**

أي قُربه الىٰ النّاس لِينٌ ورَحمة ثُمّ أوضح عليه السلام ما قال بقوله ليس تباعده بِكبرٍ وعَظمةٍ أي لا يتباعد عن النّاس تكبراً عليهم ولا دُنوه بِمَكرٍ وخُدعة أي لا

يقرب اليهم مكراً وخُدعةً أي ليس البُعد والقُرب، لإعمال المَكر والخُدعة فيهم وتَقدير الكلام أنّ بُعده عن النّاس لِلزّهد لا لِلكِبر وقربه اليهم رحمة لهم لا مكرٌ وخُدعة وفيما ذكره عليه السلام إشارة الىٰ أنّ بعض النّاس يتباعد عن النّاس لا لزُهده ونزاهته بل لِتكبّره فانّه يرىٰ نفسه فوق نفوسهم وبعض آخر يقرب اليهم ويُخالطهم ليخدعهم ويَمكُر بهم فليس كلّ تباعدٍ دليلاً علىٰ الزُّهد ولا كلّ قُربٍ يوجب اللّين والرّحمة فالبُعد والقُرب يختلفان بإختلاف النِّيّة:

قال الرّاوي فَصَعق همام صَعقة كانت نفسه فيها فقال أمير المؤمنين عليه السلام أما واللّه لقد كنتُ أخافها عليه ثُمّ قال أهكذا تَصنع المَواعظ البالغة بأهلها فقال له قائل فما بالك يا أمير المؤمنين فقال عليه السلام وَيحَك أنّ لكلّ أجلٍ وَقتاً لا يَعدوه وسبباً لا يَتجاوزه فمهلاً لا تعُد لمثلها فأنّما نفَث الشّيطان علىٰ لسانك:

أي قال راوي الحديث لَمّا بلغ كلامه عليه السلام هذا المقام في بيان حالات المُتّقين وأوصافهم فَصَعِق همّام صعقة أي غُش عليه غَشوة كانت نفسها فيها أي في الصَّعقة فمات في تلك الغَشوَة فقال أمير المؤمنين أما واللّه أي أُقسم به لقد كُنتُ أخافها أي أخاف الصَّعقة علىٰ همّام قبل تكَلمي بهذه الكلمات النّافعة والمواعظ البَليغة ثُمّ قال عليه السلام أهكذا تَصنَع المواعظ البالغة بأهلها، الهمزة لِلإستفهام وهو للتّقرير أي نعم هكذا تصنَع المواعظ بأهلها لا بغير أهلها من الّذين في قلوبهم مَرض فقال له، أي لأمير المؤمنين عليه السلام قائلٌ فما بالك يا أمير المؤمنين، أي لِمَ لا تَموت أنتَ وتعلَم هذه المواعظ وغرضه أنّه اذا كان كلامك يؤثر هذا التّأثير في غيرك فلِمَ لا يؤثّر فيك فقال عليه السلام في جوابه وَيحَك أنّ لكلّ أجلٍ وقتاً لا يعدوه وسبباً لا يَتجاوزه ولا يتأخر عنه، فمهلاً لا تُعد لمثلها أي لا تقُلها ثانياً أو لا تَقُل مثل هذه الأراجيف فأنّما نَفَث ونَفَخ الشّيطان علىٰ لِسانك وتكَلم به أي كلامك كلام الشَّيطان هذا آخر الكلام في شرح الخطبة حسب ما إستفدناه من الكتاب والسّنة وكلمات الشّراح وأنّي أعتقد إعتقاداً جازماً قاطعاً لا أشُك فيه أصلاً أنّ هذه الخُطبة الّتي صدرت عن مَنبَع العلم والعمل ولسان

الكتاب والسّنة إمام السّالكين وقُدوة الزّاهدين أمير المؤمنين علَي ابن أبي طالب عليه السلام من أحسَن الخُطب وأجمَعها وأكمَلها وأتقَنها في هذا الباب ولَم أرَ في كُتب القوم ما يُدانيها أو يُساويها من جميع الجهات فهي تكفي لكلّ سالكٍ في طريقه لا يَحتاج الىٰ شيٍ آخر أصلاً فأنّ فيها لُبّ العلم ومُخّ الزّهد وحقيقة الكمال وطريق البلُوغ الىٰ أعلىٰ الدّرجات والوصُول الىٰ أشرَف الكمالات وأبلَغ الغايات ولمثل هذا فليَعمل العاملُون كيف وهو عليه السلام باب مدينة العِلم وهو الجالس علىٰ كُرسّي سَلُوني قبل أن تَفقدُوني سلام اللّه عليه.

ومن خطبة له عليه السلام (١٩٣)

□ قوله عليه السلام: نَحْمَدُهُ عَلَىٰ مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ وَذَادَ عَنْهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَنَسْأَلُهُ لِمِنَّتِهِ تَمَاماً وَبِحَبْلِهِ اعْتِصَاماً وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاضَ إِلَىٰ رِضْوَانِ اللّٰهِ كُلَّ غَمْرَةٍ وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ وَقَدْ تَلَوَّنَ لَهُ الْأَدْنَونَ وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْأَقْصَوْنَ وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعِنَّتَهَا وَضَرَبَتْ إِلَىٰ مُحَارَبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا حَتَّىٰ أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتَهَا مِنْ أَبْعَدِ الدَّارِ وَأَسْحَقِ الْمَزَارِ.

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللّٰهِ بِتَقْوَىٰ اللّٰهِ وَأُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ فَإِنَّهُمْ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ وَالزَّالُّونَ الْمُزِلُّونَ يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَاناً وَيُفْتَنُّونَ افْتِنَاناً وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ وَيَرْصُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ وَصِفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ يَمْشُونَ الْخَفَاءَ وَيَدِبُّونَ الضَّرَاءَ وَصْفُهُمْ دَوَاءٌ وَقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ وَفِعْلُهُمُ الدَّاءُ الْعَيَاءُ حَسَدَةُ الرَّخَاءِ وَ مُؤَكِّدُ والْبَلاَءِ وَمُقْنِطُوا الرَّجَاءِ لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيعٌ وَإِلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ وَلِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ يَتَقَارَضُونَ الثَّنَاءَ وَيَتَرَاقَبُونَ الْجَزَاءَ إِنْ سَأَلُوا أَلْحَفُوا وَإِنْ عَذَلُوا كَشَفُوا وَإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلاً وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلاً وَلِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلاً وَلِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحاً وَلِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحاً يَتَوَصَّلُونَ إِلَىٰ الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ وَيُنْفِقُوا بِهِ أَعْلاَقَهُمْ يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ وَيَصِفُونَ فَيُمَوِّهُونَ قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ وَأَضْلَعُوا الْمَضِيقَ فَهُمْ لُمَةُ الشَّيْطَانِ وَحَمَةُ النِّيرَانِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ.

◁ اللغة

(ذَادَ عَنْهُ) أي حَمىٰ عنه (خَاضَ) دَخل والخوض الدُخُول في الأمر (غَمرةٍ)الغَمرة بفتح الغين الشِّدة (تَلَوّن) تقلَّبَ (تَأَلَّب) أي اجتمع (الأَقْصُوْنَ) الأبعَدُون (أَعِنَّتَهَا) الأعِنّة جمع عنان وهو حبل اللجام (أسحق) أي أقصىٰ (الزَّالُّونَ) زَلّ فلان عن الأمر أخطأ (عِمَادٍ) وهو ما يقام عليه البناء (دَوِيَّة) أي مَريضة (صِفَاحُهُمْ) الصِّفاح جمع صَفحة (نَقِيَّةٌ) أي صَفية مُطهرة (يَدِبُّونَ) أي يَمشُون علىٰ هيئة دَبيب الضَراء (الْعَيَاءُ) بفتح العين الصَعْب (الرَّخَاءِ) السَّعة (صَرِيعٌ) الصَريع المَطرُوح علىٰ الأرض (شَجْوٍ) الشَجو الحُزن (أَلحَفُوا) أي بَالغوا (عَذَلُوا) أي لامُوا (كَشِفُوا) أي فَضَحُوا (أَعْلاَقَهُمْ) الأعلاق جمع علق وهو الشيء النَفيس (أَضلَعُوا) يقال أَضلَع الشيء اذا أَماله وجَعَله مِعوجاً (لُمّة) بضَم اللاَم وتشديد الميم الجماعة أو الصَاحب في السَفر (صُمّة) وزان لُمّة مُعظم حرّها.

◁ المعنىٰ

(نَحْمَدُهُ) أي نحمد الله (عَلَىٰ مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ) أي علىٰ ما وفقّنا من طاعته (وَذَادَ عَنْهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ) أي أبعدنا عن سيّئاته (وَنَسْأَلُهُ لِمِنَّتِهِ تَمَاماً) أي نسأل الله أن يتمّ علينا نعمته (وَبِحَبْلِهِ اعْتِصَاماً) وأن يَجعلنا من المُعتَصمين بحَبله وهو الكتاب المُبين (وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً ﷺ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاضَ) ودخل (إِلَىٰ رِضْوَانِ اللهِ كُلَّ غَمْرَةٍ وَتَجَرَّعَ) الرَسُول (فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ) أي تَجرّع الغُصص في تحصيل رضوانه.

(وَقَدْ تَلَوَّنَ لَهُ الأَدْنُونَ) أي تَغيّر له الأقربُون من قُريش ألواناً (وتَأَلَّب) واجتمع (عَلَيْهِ) علىٰ الرَسُول (الأَقْصَوْنَ) الأبعَدُون من غير قُريش (وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعِنَّتَهَا) أي توجهت العَرب الىٰ حَربه (وَضَرَبَتْ) العَرب (إِلَىٰ مُحَارَبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا) فرساناً وركباناً (حَتَّىٰ أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ

عَدَاوَتَهَاوحربها(مِنْ أَبْعَدِ الدَّارِ وَأَسْحَقِ الْمَزَارِ) أي من الأمكنة البعيدة (أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ) الّتي هي خير الزّاد (وَأُحَذِّرُكُمْ) وأخوفكم (أَهْلَ النِّفَاقِ) والشّقاق (فَإِنَّهُمْ الضَّالُّونَ) بأنفسهم (الْمُضِلُّونَ) لغيرهم (وَالزَّالُّونَ) المُخطئون (يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَاناً) لنفاقهم (وَيَفْتَنُّونَ افْتِنَاناً) فأنّ كلّ منافق مُغتّن (وَيَعْمِدُونَكُمْ) أي يقيمونكم (بِكُلِّ عِمَادٍ) وأمرٍ فادح ثقيل (وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ) فلا يغفلون عنكم (قُلُوبُهُمْ) أي قلوب المُنافقين (دَوِيَّةٌ) مَريضة (وَصِفَاحُهُمْ) أي صفحات وجوههم (نَقِيَّةٌ) نظيفة (يَمْشُونَ الْخَفَاءَ) أي يَمشون مُختفياً (وَيَدِبُّونَ الضَّرَاءَ) أي كذبيب الضَّراء (وَصْفُهُمْ دَوَاءٌ وَقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ وَفِعْلُهُمُ الدَّاءُ الْعَيَاءُ) وهو الدّاء الّذي لا علاج له (حَسَدَةُ الرَّخَاءِ) أي يحسدون على السّعة (وَ مُؤَكِّدُ والْبَلاَءِ) أي أنّهم يزيدون البلاء (وَمُقْنِطُوا الرَّجَاءِ) أي أنّهم يُوقعون النّاس في اليأس عن رحمة الله (لَهُمْ) أي لِلمُنافقين (بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيعٌ) أي أنّهم خدعوا الأشخاص حتّى أوقعوهم في الهلكة (وَإِلَى كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ) أي ولهم الى كلّ قلبٍ ما يصرفه اليهم(وَلِكُلِّ شَجْوٍ) وحُزنٍ (دُمُوعٌ) فيبكون على حُزنٍ ظاهراً (يَتَقَارَضُونَ الثَّنَاءَ) فَيثني أحدهم على الآخر ليثني الأخر عليه (وَيَتَرَاقَبُونَ الْجَزَاءَ) أي يَتَرَقب كلّ واحدٍ منهم جزاء محمَدته وثنائه (إِنْ سَأَلُوا) غيرهم (أَلْحَفُوا) وبالغوا فيه (وَإِنْ عَذَلُوا) ولامُوا أحَداً (كَشَفُوا) عُيوبه عند الأجانب (وَإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا) في حُكمهم (قَدْ أَعَدُّوا) و هيأوا (لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلاً) لإيجاد الشُّبهة في قلوب النّاس (وَلِكُلِّ قَائِمٍ) من الأُمور (مَائِلاً) ومُعرضاً عنه (وَلِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلاً) يقتله جسماً وروحاً (وَلِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحاً) يفتح به (وَلِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحاً يَتَوَصَّلُونَ) المُنافقون (إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ) عمّا في أيدي النّاس (لِيُقِيمُوا بِهِ) أي باليأس (أَسْوَاقَهُمْ) فيقال أنّه مُستغنٍ عن النّاس (وَيُنْفِقُوا بِهِ أَعْلاَقَهُمْ) أي ما يزينونه من خداعهم (يَقُولُونَ) بأفواههم وألسنتهم (فَيُشَبِّهُونَ) أي يُوقعون الشّبهة في قلوب النّاس (وَيَصِفُونَ) الأشياء

(فَيُمَوِّهُونَ) أي يخلطون الحقَ بالباطل (قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ) أي سَهلوا الطَريق في أعين النّاس (وَأَضْلَعُوا المَضِيقَ) أي يجعلون الطريق مُعوجاً (فَهُمْ لُمَةُ الشَّيْطَانِ) وأصحابه (وَحَمَةُ النِّيرَانِ) أي معظم حرّها ﴿اولئك حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبِ الشَّيْطَانُ هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾(١)

◁ الشّرح

اعلم أنّ هذه الخُطبة في وصف المُنافقين كما أنّ الخطبة السّابقة كانت في أوصاف المُتّقين وحيث أنّك قد عرفت المتّقين وأوصافهم فينبغي أن تعرف المُنافقين أيضاً وذلك لأنّ النّفاق يقابل التّقوىٰ فهي من أعلىٰ الكمالات للإنسان وهو من أخسّها له كما ستعرف الحال فيه:

▫ **قوله ﷺ: نَحْمَدُهُ عَلَىٰ مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ وَذَادَ عَنْهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ ...**

قال الرّاغب في المفردات الوِفق المطابقة بين الشّيئين يقال وافقتُ فلاناً ووافقتُ الأمر، صادفته ويقال ذلك في الخير والشّر والتّوفيق نحوه لكنّه يختَص في التّعارف بالخير دون الشّر انتهىٰ والمعنىٰ نحمد اللّه تعالىٰ علىٰ ما وَفّق له أي وَفقّنا له أو وَفّق خلقه له وهو عبارة عن الطّاعة فأنّ كلمة (من) بيانيّة فكأنّه قيل ما الّذي وَفّق اللّه له فقال ﷺ هو الطّاعة وذاد عنه أي حَمىٰ عنه والتّقدير نحمده علىٰ ما ذاد عنه وهو عبارة عن المَعصية وعليه فحاصل الكلام نَحمد اللّه تعالىٰ علىٰ التّوفيق للطّاعة والبُعد عن المَعصية وفيه إشارة الىٰ أنّ الإتيان بالطّاعات لا يمكن إلّا بتوفيق منه كما أنّ ترك المعاصي أيضاً لا يمكن إلّا بعونه ونَصره فالسّالك في سلوكه يحتاج الىٰ توفيقه والتّارك للمَعصية يحتاج الىٰ تأييده وهو كذلك عقلاً ونقلاً:

أمّا العقل: فظاهر وذلك لأنّ الإنسان مخلوق مصنُوع له تعالىٰ وقد ثبت في العلوم العقلية أنّ الممكن من ذاته أن يكون ليساً ومن علّته أن يكون آيساً

١- المجادله ـ ١٩

وحيث أنّ الإنسان في حدّ ذاته مُمكن فهو في ذاته لا يقتضي وجود شئ ولا عَدَمه واذا كان كذلك فكيف يقدر على فعل الطّاعة أو ترك المَعصية والمفروض أنّه في ذاته في اللاإقتضائية الصِّرفة فكما أنّ خروجه عن هذه المَرتبة المُتوسطة بين الوجود والعَدم يحتاج الىٰ مؤثرٍ خارج عن مقام ذاته وإلّا يَتسَلسل كذلك يحتاج في جميع آثاره الىٰ ذلك المؤثر المخرج أيّاه عن حدّ الإستواء وهذا هو السِّر في إحتياجه الىٰ علّةٍ في جميع حركاته وسكناته اذا عرفت هذه الدّقيقة فقد علمت أنّه لا يستغني عن علّته أبداً في وجوده وآثار وجوده ومعلوم أنّ فعل الطّاعة وترك المَعصية من آثار وجود المكلّف فهو محتاج الىٰ علّته فيهما وهو المطلوب.

وأمّا النّقل: فلقوله تعالىٰ: **﴿إنْ أُرِيدُ إلَّا الإصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إلّا بِاللّٰهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإلَيْهِ أُنِيبُ﴾**(١) دلّت الآية علىٰ أنّ التّوفيق منه تعالىٰ فلا يمكن الفعل إلّا به وهكذا الكلام في ترك المَعصية :**﴿إنَّ النَّفْسَ الأمّارَةِ بِالسُّوءِ إلّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾**(٢) واذا ثَبَت المدّعىٰ ثبت أنّه من أعلىٰ النّعم الإلٰهية الشّاملة لعباده والعقل يحكم بوجُوب شكر المُنعم ولذلك قال عليه السلام نحمدُه علىٰ ما وَفّق الىٰ آخر كلامه:

▫ **قوله عليه السلام: وَنَسْأَلُهُ لِمِنَّتِهِ تَمَاماً وَبِحَبْلِهِ اعْتِصَاماً وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ...**

اي ونسأل اللّه تعالىٰ أن يَمُن علينا بإتمام التّوفيق وإكماله في حقّنا وأن يَجعلنا من المُتمسكين المُعتَصمين بحَبله وكتابه ونَشهد أنّ مُحمّداً عبده ورسُوله الّذي أرسله بالهُدىٰ ودين الحقّ ليُظهره علىٰ الدّين كلّه ولو كَره المُشركُون فقوله عليه السلام إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: **﴿اليَومَ اَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم وَاَتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الإسلامَ دِيناً﴾**(٣)

١- هود ـ٨٨ ٢- يوسف ـ٥٣

٣- المائدة ـ٣

وقوله عليه السلام: **لِمِنَّتِهِ** إشارة الىٰ نعمة الرّسالة حيث قال تعالىٰ: **﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً﴾**[1]

وقوله عليه السلام: **نَسْأَلُهُ** إشارة الىٰ أنّ الأخذ بالدّين القويم والطّريق المُستقيم والتّأسي برسُوله الأمين كلّ ذلك لا يمكن إلّا بتوفيقٍ من اللّه تعالى ولذلك قال عليه السلام: نسأله أي نسأل اللّه التّوفيق لهذه الأُمور كمالاً وتماماً وقوله عليه السلام: **وَبِحَبْلِهِ اعْتِصَاماً** معطوف علىٰ الجملة الأُولىٰ أي ونسأله لِمَنة الإعتصام بحَبله وفيه إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: **﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا﴾**[2] وحيث أنّ الإعتصام بحَبله لا يمكن إلّا بتوفيقٍ منه تعالىٰ قال عليه السلام: **وَنَسْأَلُهُ لِمِنَّتِهِ**الخ.

□ قوله عليه السلام: **خَاضَ إِلَىٰ رِضْوَانِ اللّهِ كُلَّ غَمْرَةٍ وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ ...**

أي خاض الرّسُول الىٰ رضوان اللّه كلّ غمرةٍ وشدّةٍ وتجّرع صلى الله عليه وآله فيه أي في تحصيل رضوانه كلّ غُصّةٍ فإستعار عليه السلام لفظ الغَمرة عن غمرة الماء وهي مُعظمه لِلشّدائد والمَكاره الّتي أبتلي صلى الله عليه وآله بها حين بعثته فكما أنّ الخائض في الماء يُغطىٰ ويُستر فيه من كلّ جانب كذلك الرّسُول صلى الله عليه وآله أُبتلي بالمَكاره والمَصائب من كلّ جانب وقوله عليه السلام: **وَتَجَرَّعَ** إشارة الىٰ أنّ المكاره والشّدائد والغُصص كانت تَدريجية فهو صلى الله عليه وآله تَجرع الغُصَص أي إبتلعها جُرعةً بعد جُرعة في طول حياته وبعثته فما ذكره إشارة الىٰ ما ورد عليه صلى الله عليه وآله من الهُمُوم والغُموم من جانب المُشركين الّذين قال الرّسُول صلى الله عليه وآله فيما فعلوا به، **ما أُوذي نبّيٌ بمثل ما أُوذيتُ**، وهذا الكلام منه صلى الله عليه وآله دليل علىٰ كثرة الأذىٰ منهم وقد مُلِئت نصوص (بالفارسية متون) التّواريخ من قبائح أفعالهم وسُوء أعمالهم في حقّ الرّسُول صلى الله عليه وآله وهو صلى الله عليه وآله قد تَحمّلها تحصيلاً لرضوانه وتقرّباً الىٰ مقام قربه وإتماماً لمأموريته:

□ قوله عليه السلام: **وَقَدْ تَلَوَّنَ لَهُ الْأَدْنَوْنَ وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْأَقْصَوْنَ وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعِنَّتَهَا ...**

١- آل عمران-١٦٤ ٢- آل عمران -١٠٣

أوضح عليه السلام ما قال في الجملة السابقة وحاصله أنّ أقربائه من قُريش قد تَلّونوا وتقلّبوا له، والأبعَدون أعني بهم غير الأقرباء فقد تألّبوا واجتمعوا عليه لحَربه وإيذائه وأمّا العَرَب فقد خَلَعت اليه أعِنّتها والأعِنّة بفتح الهَمزة وكسر العين وتشديد النّون المفتوحة على وزن أزِمّة جمع عنان وهو حَبل اللّجام.

والمعنى أنّ العَرب جَعلت حَبل لجام فرسه اليه لمحاربته وهو كناية عن إتفاق العَرب وهجومها عليه صلى الله عليه وآله بركبانهم:

▫ **قوله عليه السلام: وَضَرَبَتْ إِلَىٰ مُحَارَبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا حَتَّىٰ أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتَهَامِنْ أَبْعَدِ الدَّارِ وَأَسْحَقِ الْمَزَارِ ...**

أي لَم تقنع العَرب بالرّكبان فقط بل ضربت لمحاربة الرّسول بطُون رواحلها أي ساقوا ركائبهم إسراعاً لمحاربته فأنّ الرّواحل جمع راحلة وهي النّاقة وحاصل الكلام أنّ العَرَب قد أجمَعت على قتله صلى الله عليه وآله وإطفاء نوره ركباناً وفرساناً حتّىٰ أنزلت بساحته أي بساحة الرّسول عداوتها من أبعَد الدّار وأسحَق المَزار وأقصاه وهو إشارة الىٰ غاية عداوتهم وبُغضهم له صلى الله عليه وآله فأنّ الظّعن الىٰ الحَرب من الأمكنة البَعيدة لا يكون إلّا عن شدّة العداوة والبَغضاء ولنَذكر لك شطراً ممّا لقي الرّسول صلى الله عليه وآله في ذات اللّه من المَشقة وإستهزاء قُرَيش وتفصيل الكلام يُطلب من التّواريخ فنقول:

قال الطّبرسي رحمه الله في كتابه الموسُوم بأعلام الورىٰ في أعلام الهُدىٰ ما هذا لفظه:

جَدّت قُرَيش في أذىٰ رسُول اللّه صلى الله عليه وآله وكان أشدّ النّاس عليه عمّه أبو لَهب وكان رسُول اللّه صلى الله عليه وآله ذات يوم جالساً في الحِجر فَبعثوا الىٰ سلي الشّاة فألقوه علىٰ رسُول اللّه صلى الله عليه وآله فإغتمّ رسُول اللّه من ذلك فجاء الىٰ أبي طالب فقال ياعمّ كيف حَسبي فيكم قال وما ذاك يابن أخي قال صلى الله عليه وآله أنّ قُرَيشاً ألقوا علّي السلي فقال أبو طالب ياحَمزة خُذ السّيف وكانت قُرَيش جالسة في المَسجد فجاء أبو طالب ومَعه السّيف وحمزة ومعه السّيف فقال أمر السّلي علىٰ سبالهم فمن أبىٰ

فأضرب عُنقه فما تحرك أحَد حتّىٰ أمَر السّلي علىٰ سبالهم ثُمّ إلتّفت الىٰ رسُول اللّه وقال يابن أخ هذا حَسبك فينا انتهىٰ.

وعن كتاب دلائل النّبوة عن أبي داوُد عن شعبة عن أبي إسحاق سمعتُ عمرو بن ميمُون يحدّث عن عبد اللّه قال بينا رسُول اللّه ساجد وحوله ناسٌ من قُريش وثَمّة سلىٰ بعير فقالوا من يأخذ سلي هذا الجزور أو البعير فيقذفه علىٰ ظهره فجاء عَقبة ابن أبي مغيط فقذفه علىٰ ظهر النّبي وجاءت فاطمة فأخذته من ظهره ودَعَت علىٰ من صَنَع ذلك قال عبد اللّه فما رأيت رسُول اللّه دعىٰ عليهم إلّا يومئذٍ فقال ﷺ اللّهم عليك الملاء من قُرَيش اللّهم عليك أبا جهل بن هشام وعُتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وعقبة بن أبي مُعيط وأُمّية بن خلف أو أُبَيِ بن خلف، شَك شعبة عدّ سبعة قال عبد اللّه فرأيتهم لقد قتلوا يوم بَدر وأُلقُوا في القَليب أو قال في بئر غير أنّ أُمَيّة بن خلف كان رجلاً بادناً (أي سَميناً مؤلف) فتَقطع قبل أن يبلغ به البئر أخرجه البخاري في الصّحيح انتهىٰ.

قال الحافظ أخبرنا أبو بكر الفقيه أخبرنا بِشر بن موسىٰ حدثني الحميدي حدثنا سفيان حدثنا بيان بن بشر وإسماعيل بن أبي خالد قالا سمعنا قيساً يقول سمعنا خُباباً يقول، أتيت رسُول اللّه ﷺ وهو مُتَوسد بردة له في ظّل الكعبة ولقد لقينا من المُشركين شدّة شديدة فقلت يا رسُول اللّه ﷺ ألا تدعوا اللّه لنا فقعد ﷺ وهو مُحمرّ وجهه فقال أن كان من كان قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحمٍ أو عَصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار علىٰ مفَرق رأسه فيشَقّ بأشنين ما يصرفه ذلك عن دينه وليتّمن اللّه هذا الأمر حتّىٰ ليسير الرّاكب من صنعاء الىٰ حَضرموت لا يخاف إلاّ اللّه عزّ وجلّ أو الذئب علىٰ غنمه رواه البخاري في الصّحيح عن الحميدي:

قال وحدّثنا الحافظ بأسناده عن هشام عن أبي الزّبير عن جابر أنّ رسُول اللّه ﷺ مَرّ بعمّار وأهله يُعذّبون في اللّه فقال ﷺ أبشروا آل عمّار فأنّ

مَوعدكم الجنّة وروي عن مجاهد أنّه قال: أوّل شهيدٍ كان إستشهد في الإسلام أُم عمّار سميّة طعنها أبو جهل طعنة في قلبها:

وروي علّي ابن إبراهيم بن هاشم بأسناده قال كان أبو جهل تعرّض لرسُول اللّه ﷺ وآذاه بالكلام واجتمعت بنو هاشم فأقبل حمزة وكان في الصّيد فنظر الىٰ إجتماع النّاس فقال ما هذا فقالت له إمرأة من بعض السّطوح يا أبا يعلي أنّ عمرو بن هشام تعرّض لمُحمّد وآذاه فغضب حمزة ومَرَّ نحو أبي جهل وأخَذَ قوسه فضَرب بها رأسه ثُمّ أحمله فجلد به الأرض وإجتمع النّاس وكاد يقع فيهم شّر فقالوا يا أبا يعلي صَبوت الىٰ دين ابن أخيك قال نعم أشهد أن لا إلٰه إلّا اللّه وأنّ مُحمّداً رسُول اللّه علىٰ جهة الغَضَب والحَمّية فلمّا رجع الىٰ منزله نَدم فغدا علىٰ رسُول اللّه ﷺ فقال يا بن أخ أَحَقٌّ ما تقول فقرأ عليه رسُول اللّه سورة من القرآن فإستبصر حمزة وثبت علىٰ دين الإسلام وفرح رسُول اللّه ﷺ وسّر أبو طالب بإسلامه وقال:

فصبراً أبا يعلي علىٰ دين أحمد
وكُن مُظهِراً للدّين وفقّتَ صابراً
وحط من أتىٰ بالدّين من عند ربّه
بصدقٍ وحقٍّ لا تكن حمز كافراً
فقد سّرني اذ قلت أنّك مؤمن
فكُن لرسُول اللّه في اللّه ناصراً
وناد قُرَيشاً بالّذي قد أتيته
جهاراً وقل ما كان أحمد ساحراً

وقد بلغت الشّدة من قُريش في أذىٰ رسُول اللّه الىٰ أنّه ﷺ أمَرَ أصحابه أن يخرجوا من مكّة الىٰ الحَبشة وأمَرَ جعفر ابن أبي طالب أن يخرج بهم فخرج جعفر وخرج معه سبعون رجلاً حتّىٰ ركبوا البحر فلمّا بلغ قُريشاً خروجهم بعثوا عمرو بن العاص السّهمي وعمارة بن الوليد الىٰ النجاشي أن يَردّهُم اليهم

وأن يعلماه أنّهم يخالفون لهم فخرج عمارة وكان شاباً حَسن الوَجه مُترفاً وأخرج عمرو بن العاص أهله فلمّا ركبوا السّفينة شربوا الخمر فقال عمارة لعمرو بن العاص قل لأهلك تُقبّلني فقال سُبحان اللّه أيَجوز هذا فتركه حتّىٰ انتشىٰ وكان علىٰ صدر السّفينة فدَفعه عمارة وألقاه في البحر فتشبت عمرو بصدر السّفينة وأدركوه فأخرجوه فلمّا أن رأىٰ عمرو ما فعل به عمارة قال لأهله قبّليه فلمّا وردوا علىٰ النّجاشي فدخلوا عليه وقد كانوا حملوا اليه هدايا فقال عمرو أيّها الملك أنّ قومنا خالفونا في ديننا وصاروا اليك فرّدهم الينا فَبعث النّجاشي الىٰ جعفر فأحضروه فقال ياجعفر أنّ هؤلاء يسألوني أن أرّدكم اليهم فقال أيّها الملك سَلهُم أنحن عبيدٌ لهم قال عمرو لا بل أحرارٌ كرام قال فَسَلهُم أَلَهم علينا دَين (ديُون) يطالبوننا بها، قال ما لنا عليهم ديُون، قال أَفَلهُم في أعناقنا دِماء يُطالبوننا بذحُولها، قال عمرو لا مالنا في أعناقهم دِماء ولا نُطالبهم بذحُول قال فما تريدون منّا قال عمرو خالفونا في ديننا ودين آبائنا وسَبُّوا آلهتنا وأفسدوا شباننا وفرّقوا جماعتنا فرّدهم الينا ليجتمع أمرنا، فقال جعفر أيّها المَلك خالفناهم لنبي بَعثه اللّه فينا أَمَرنا بخلع الأنداد وترك الإستقسام بالأزلام وأَمَرنا بالصّلوة والزّكوة وحرّم الظّلم والجور وسفك الدِماء بغير حلّها والزّنا والرّباء والميّتة والدّم وأمَر بالعَدل والإحسان وإيتاء ذي القربىٰ وينهىٰ عن الفحشاء والمُنكر والبَغي:

قال النّجاشي بهذا بَعَث اللّه عِيسىٰ ابن مريم ثُمّ قال النّجاشي يا جعفر أتحفظ ممّا أنزَل اللّه علىٰ نبيّك شيئاً قال نعم قال إقرأ فقَرأهُ عليه سورة مريم فلّما بلغ الىٰ قوله: (وهُزّي اليك بجذع النّخلة تُساقط عليكِ رَطباً جنياً فكُلي وإشربي وقُرّي عيناً) بكىٰ النّجاشي وقال أنّ هذا واللّه هو الحقّ فقال عَمرو أيّها المَلك أنّ هذا ترك دينَنا فرُدّه علينا حتّىٰ نرّده الىٰ بلادنا فرفع النّجاشي يده فضَرب بها وجهَه ثُمّ قال لأن ذكرته بسُوءٍ لأقتلنّك فقال عَمرو والدّماء تسيل علىٰ ثيابه أيّها المَلك أن كان هذا كما تقول فإنّا لا نعرض له فخرج من عنده

وكان علىٰ رأس النّجاشي وصيفة تذّب له فنَظرت الىٰ عمارة بن الوليد وكان فتىٰ جميلاً فلّما رجع عمرو بن العاص الىٰ منزله قال لعمارة لو راسلتَ جارية المَلك فراسلها عمارة فأجابته فقال لعمرو قد أجابتني قال قُل لها تَحمل اليك من طيب الملك شيئاً فقال لها فحملت اليه فأخذه عمرو بن العاص وكان الّذي فعل به عمارة حيث ألقاه في البحر في قلبه فأدخل الطّيب علىٰ النّجاشي فقال أيّها الملك أنّ من حرمة الملك وحقّه علينا وإكرامه أيّانا اذا دخلنا بلاده ونأمن فيه أن لا نغّشه وأنّ صاحبي هذا هو الّذي معي قد راسل حرمتك وخدَعها وبعثت اليه من طيبك فعرض عليه طيبه فغضب النّجاشي لذلك غَضَباً شديداً وهَمَّ أن يقتل عمارة ثُمّ قال لا يجوز قتله لأنّهم دخلوا بلادي بأمان فدَعىٰ السّحرة وقال إعملوا به شيئاً يكون أشدّ من القتل فأخذوه ونفخوا في احليله شيئاً من الزّئبق فصار مع الوحش فكان يغدو معهم ولا يأنس بالنّاس فبعث قُرَيش بعد ذلك في طلبه فكَمنُوا له في موضع فوَرد الماء مع الوحش فقبضُوا عليه فما زال يَضطرب في أيديهم ويَصيحُ حتّىٰ مات فرجع عمرو الىٰ قُرَيش وأخبرهم خَبره وأنّه بقي جعفر بأرض الحَبشة في أكرم كرامة فما زال بها حتّىٰ بلغه أنّ رسُول اللّه ﷺ قد هادَن قريشاً وقد وقع بينهم صلح فقدم بجميع من مَعه ووافىٰ رسُول اللّه ﷺ وقد فتح خيبر ووُلد لجعفر من أسماء بنت عُميس عبد اللّه ابن جعفر وولد لِلنّجاشي ابن فسَماه مُحمَد وسقته أسماء من لبنها وقال أبو طالب يحُض النّجاشي علىٰ نُصرة النّبي وأتباعه:

تعلّم عليك الحَبشي أنّ مُحمّداً ... نبّيُ كموسىٰ والمسيح ابن مريم
أَتىٰ بالهُدىٰ مثل الّذي أتيا به ... وكلٌ بأمر اللّه يُهدي ويَعصُم
وإنّكُمْ تَتلُونه في كتابكم ... بصدقِ حديثٍ لا حديث مُرَجَم
فلا تجعلُوا لِللّه ندّاً وأَسلمُوا ... فأنّ طريق الحقّ ليس بَمُظلَم

ثُمّ أنّ الرّسُول ﷺ كتب الىٰ النّجاشي كتاباً دعاه فيه الىٰ الإِسلام فأجابه النّجاشي بأحسن جواب وأسلَم وأرسَلَ الىٰ رسُول اللّه ﷺ بالهدايا والتّحف

وبعث اليه بمارية القبطية أُمّ إبراهيم وبعث اليه ﷺ أيضاً بثلاثين رجلاً من القسّيسين لينظروا الىٰ كلامه ومقصده ومَشربه فوافوا المدينة ودعاهم رسُول اللّه الىٰ الإسلام فآمنوا ورجعُوا الىٰ النّجاشي علىٰ ما ذكره المؤرّخون بتفصيله في كُتبهم أن شئت الإطّلاع عليه فراجعها:

▫ قوله ؑ: **أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللّهِ بِتَقْوَىٰ اللّهِ وَأُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ...**

بعد الحَمد والثّناء علىٰ اللّه تعالىٰ والشّهادة برسالة رسُوله والإشارة الىٰ أنّ الرّسُول ﷺ قد أُوذي في اللّه من ناحية المُشركين الأقربين والأبعَدين علىٰ ما مَرّ إجمالٌ منه أوصاهم بتقوىٰ اللّه تعالىٰ الّتي هي خَير الزّاد كما هو دأبه ؑ في أكثر الخُطَب وذلك لأنّ الغَرض الأصلي من إنشاء الخُطب وإظهار المواعظ أنّما هو سوق النّاس الىٰ تقوىٰ اللّه تعالىٰ بل الغَرض الأصلي من جَعل الشّرائع والأديان وإرسال الرّسُل وإنزال الكُتب ليس إلّا هذا وقد مَرّ الكلام في ماهيّة التّقوىٰ وآثارها غير مرّةٍ ولا سيّما في الخطبة السّابقة كما عرفت مفصلاً ثُمّ بعد ذلك أشار ؑ الىٰ النّفاق وعلائمه تفصيلاً بحيث قلّما يُوجد كلامٌ في وصف المُنافقين أبسَط وأشمَلَ من كلامه ؑ هذا وأنّما فصّل ؑ الكلام فيه لكونه من أهمّ المسائل ومعرفة النّفاق من أعظم المَعارف اذ لو لم يُعرف النّفاق لم يُعرف الإيمان اذ تعرف الأشياء بأضدادها ولهذا ترىٰ في كثير من الآيات والأخبار ذكر المُنافقين وذمّهم وقدمهم لكون النّفاق في الإسلام علىٰ الإسلام والمُسلمين أضر من الكفر عليه.

ونحن نتكلم في معنىٰ النّفاق أوّلاً وفي شرح كلماته ثانياً فنقول:

النِّفاق بكسر النّون مصدر قولك نافقّ منافقةً ونفاقاً وهو من قولهم نافَق اليَربُوع اذا دخَل نافقاً له فاذا طلب من النّافقاء خَرَج من القاصعاء وبالعكس وهما أي النّافقاء والقاصعاء فُجرتا اليَربُوع وفي الإصطلاح يطلق علىٰ كلّ من كان ظاهره مخالفاً لباطنه ولأجل هذا يطلق في الشّريعة علىٰ من ستر كفره بقلبه وأظهَر إيمانه بلسانه وقال بعضهم النّفاق في الشّريعة هو الدّخُول في الشّرع

من باب والخروج عنه من باب وكيف كان فهو من أردء الصفات وأخبث الملكات بل هو أقبح من الكفر والمنافق أشدّ عذاباً من الكافر كما ستعرف إنشاء الله وقد ورد في ذمّه ما ورد من الآيات والأخبار: فمن الآيات في ذمّ النّفاق قوله تعالى: ﴿اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذينَ نافَقُوا يَقُولُونَ لِاِخْوانِهِمُ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْ اَهْلِ الْكِتابِ لَئِنْ اُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَ لانُطيعُ فيكُمْ اَحَداً اَبَداً وَاِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَ اللهُ يَشْهَدُ اِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾ (١)

و : ﴿وَ مِنْ اَهْلِ الْمَدينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ اِلى عَذابٍ عَظيمٍ﴾ (٢)

و : ﴿فَاَعْقَبَهُمْ نِفاقاً في قُلُوبِهِمْ اِلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِما اَخْلَفُوا اللّهَ ما وَعَدُوهُ وَبِما كانُوا يَكْذِبُونَ. اَلَمْ يَعْلَمُوا اَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَ نَجْواهُمْ وَاَنَّ اللهَ عَلّامُ الْغُيُوبِ﴾ (٣)

و : ﴿اَلْاَعْرابُ اَشَدُّ كُفْراً وَ نِفاقاً وَاَجْدَرُ اَلاّ يَعْلَمُوا حُدُودَ ما اَنْزَلَ اللّهُ عَلى رَسُولِهِ وَاللّهُ عَليمٌ حَكيمٌ﴾ (٤)

وأمّا الآيات الواردة في ذمّ المُنافقين وعذابهم فكثيرة: ﴿اِنَّ الْمُنافِقينَ فِى الدَّرْكِ الْاَسْفَلِ مِنَ النّارِ وَ لَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصيراً﴾ (٥)

و : ﴿وَ عَدَاللهُ الْمُنافِقينَ وَ الْمُنافِقاتِ وَ الْكُفّارَ نارَ جَهَنَّمَ﴾ (٦)

و : ﴿اِنَّ اللهَ جامِعُ الْمُنافِقينَ وَ الْكافِرينَ في جَهَنَّمَ جَميعاً﴾ (٧) وغيرها من الآيات

ثمّ صرّح اللّه تعالى بفسقهم، حيث قال: ﴿نَسُوا اللّهَ فَنَسِيَهُمْ اِنَّ الْمُنافِقينَ هُمُ الْفاسِقُونَ﴾ (٨).

وبكذبهم حيث قال: ﴿وَ اللهُ يَشْهَدُ اِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾ (٩)

وبكونهم مريضاً، حيث قال تعالى: ﴿وَ اِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذينَ في قُلُوبِهِمْ

١- الحشر ـ ١١
٢- التوبة ـ ١٠١
٣- التوبة ـ ٧٧-٧٨
٤- التوبة ـ ٩٧
٥- النساء ـ ١٤٥
٦- التوبة ـ ٦٨
٧- النساء ـ ١٤٠
٨- التوبة ـ ٦٧
٩- الحشر ـ ١١

مَرَضٌ مَاوَعَدنَااللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً﴾[1]

وبجهلهم حيث قال:﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ولكنَّ المُنافقين لا يعلمُون﴾[2]

وبمكرهم وخدعهم، حيث قال:﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾[3]

ومَن كان هذا وَصفَه فما ظَنّك به ولأجل هذا قلنا تبعاً لِلشّرع أنّهم أخبث من الكُفّار اذا عرفت النّفاق والمُنافق وأنّ مَصيره الىٰ النّار وهو مذمُوم بصريح القرآن فاعلم بأنّ له علامات بها يُعرف ويُميّز عن غيره وقد أشار ﷺ الىٰ شطرٍ منها وهو أُصولها:

▫ قوله ﷺ: فَإِنَّهُمْ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ وَالزَّالُّونَ الْمُزِلُّونَ يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَاناً وَيُفْتَنُّونَ افْتِنَاناً ...

أي أنّ المُنافقين ضالون في أنفسهم مُضلون لغَيرهم وأيضاً أنّهم خاطئون في ذواتهم ويُوقعُون غيرهم في الخطأ، أمّا الأوّل أعني ضلالتهم فهو واضح لا خفاء فيه وذلك لأنّ الضّال في الدّين عبارة عن المُنحرف عن جادة الوسطىٰ والطّريق المُستقيم فهو لا يدري أين يذهب والمُنافق كذلك فأنّ إظهار الإيمان باللّسان وإنكاره في القلب خروج عن الحقّ ولا نعني بالضّال إلّا هذا:

وأمّا الثّاني أعني كونه مُضّلين فلأنّهم لا يقنعون بما هم فيه من الضّلالة والغواية بل يسعُون في الأرض فساداً ويُوقعون النّاس في الضّلالة والرّدىٰ وهم مُضلون لغيرهم بإظهارهم الإيمان عند النّاس بألسنتهم وإنكارهم الإيمان بقلوبهم وحيث أنّ النّاس لا يعلمون ما في قلوبهم من الكُفر والإلحاد ولا يرون إلّا ما يقولون فلا محالة يغترّون بكلماتهم ويحترقون في نار نفاقهم:

وبما ذكرناه ظهر لك معنىٰ الضّال والمُضّل أيضاً اذ الضّال عن الطّريق

١-الاحزاب-١٢
٢-المنافقون-٨
٣-النساء-١٤٢

خاطئ فيها وكذلك المُضّل يُوقع غيره في الخطأ، وقوله ﷺ: **يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَاناً**، وصف آخر لهم وهو أنّهم لا يبقون على حالةٍ واحدةٍ بل لهم في كلّ شهرٍ بل في كلّ يوم وساعة حالة مخصوصة بحَسب إقتضاء المقام فالمُنافق يكون مع المؤمن مؤمناً ومع الكافر كافراً واذا رأىٰ المَصلحة في التّكلم بالحقّ يتكلم به واذا رأىٰ المَصلَحة في تكَلم الباطل يتكَلم به وهذا معنىٰ التّلَون ولذلك شبّههم بالجسم الّذي يتّلون بالبياض تارةً وبالسّواد أُخرىٰ وبالحُمرَة ثالثاً مع أنّ الجسم في جميع الحالات واحد والألوان مُختلفة وقد عَرفهم اللّه تعالىٰ في كتابه حيث قال: ﴿ومن النّاس من يَقول آمنا باللّه وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين، يُخادِعُونَ اللّٰهَ وَالّذينَ امَنُوا وَ ما يَخدَعُونَ اِلاّ اَنفُسِهِمْ وَ مايَشعُرُونَ﴾[1] الىٰ أن قال تعالىٰ: ﴿وَاِذا لَقُوا الّذينَ امَنُوا قالُوا امَنّا وَاِذا خَلَوْا اِلىٰ شَياطِينِهِمْ قالُوا اِنّا مَعَكُمْ اِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ﴾[1]

وقوله ﷺ: **وَيُفْتَنُّونَ افْتِنَاناً**، وهذا وصف آخر لهم أو أنّه مُوضح لما قبله وأصل الفَتَن إدخال الذّهب النّار لتَظهر جَودته من رداءته وقوله ﷺ: **وَيُفْتَتُّونَ** مضارع من إفتَّنَ يَفتَنُّ نحو إحِمَّرَ يَحَمّر وعليه فقوله ﷺ: **وَيُفْتَتُّونَ** بتشديد النّون وفي معناه إحتمالان:

أحدهما: أن يكون من الفِتنة والفساد وعليه فالمعنىٰ يفسدون في الأرض فساداً كما قال تعالىٰ: ﴿وَ قاتِلُوهُمْ حَتّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[2] وقال: ﴿الْفِتْنَةُ اَشَدُّ مِنَ الْقَتلِ﴾[3] فأنّ الفِتنة في أمثال هذه الموارد معناها الفساد.

وثانيهما: أن يكون بمعنىٰ الإختبار والإمتحان أي يُمتحنون إمتحاناً ويُختبرون إختباراً فأنّ المُنافق مفسدٌ في الأرض ومع ذلك فهو مُمتَحنٌ بفساده ونفاقه قال اللّه تعالىٰ: ﴿اَحَسِبَ النّاسُ اَنْ يُتْرَكُوا اَنْ يَقُولُوا آمَنّا وَهُمْ لايُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنّا الّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[4]

ا- البقرة- ٩
١- البقرة-١٤
٢- البقرة- ١٩٣
٣- البقرة- ١١٩
٤- العنكبوت- ٢/٣

وقال بعض من تصدىٰ لِشرح كلامه ﷺ من المِصّريين أي يأخذون في فنون من القول لا يذهبون مَذهَباً واحداً انتهىٰ أقول ما ذكره وأن كان حقّاً في وصف المُنافق إلّا أنّه لا يساعد العبارة اذ لم نَر من فَسّر الإفتنان بالفُنون والعلم عند اللّه فأقض ما أنت قاض:

▫ قوله ﷺ: **وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ وَيَرْصُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ ...**

العِماد بكسر العين ما يقام عليه البناء والمعنىٰ أنّ المُنافقين يُقيمونكم بكل عِمادٍ ويَقصُدونكم بكلّ أمرٍ ثَقيل علىٰ وجه الحِيلة والخُدعة ويرصُدونكم أي يتَرقبونكم ولا يغفلون عنكم في كلّ طريقٍ.

▫ قوله ﷺ: **قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ وَصِفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ يَمْشُونَ الْخَفَاءَ وَيَدِبُّونَ الضَّرَاءَ ...**

أي قلوب المُنافقين مَريضة فأنّ الدّوي بالقصر المَرض كما قال اللّه تعالىٰ: ﴿في قُلوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَ لَهُمْ عَذابٌ اَليمٌ بِما كانُوا يَكْذِبُونَ﴾(١) وصفاحهم نقيَة، أي صفاح وجوههم نقيّة نظيفة يمشُون الخفاء، أي في الخفاء وفيه إشارة الىٰ إختفاءهم عن بعض النّاس كما هو شأن السّارق القاطع لِلطّريق وقوله ﷺ: **وَيَدِبُّونَ الضَّرَاءَ**، أي دَبيبهم كَدبيب الضَراء وهو مثَلٌ مشهورٌ في العرب لمن أراد أن يَحتل صاحبه وأن شئت قلت يُسيرون سَريان المَرض في الجسم أو سريان النّقص في الأموال والأنفس والثّمرات وكونهم كذلك خوفاً من أن يظهر علىٰ النّاس ما في قلوبهم من إنكار الحقّ:

▫ قوله ﷺ: **وَصْفُهُمْ دَوَاءٌ وَقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ وَفِعْلُهُمُ الدَّاءُ الْعَيَاءُ ...**

يعني أنّهم يتّصفون ظاهراً بصفات أهل الإيمان فربّما يظّن من لا خبرة له أنّهم من المؤمنين فيَصفهم بصفات حَسَنة ومَلَكات فاضلة فيُداوي مَرض جَهله بوَصفهم ويستَشفي بقولهم في حلّ المُعضلات والبلوغ الىٰ حقيقة الإيمان وهو غافل عن فعلهم القذر (الكثيف) الّذي هو الدّاء العياء لِلأطباء من

١- البقرة-١٠

العلاج، والدّاء العياء هو الدّاء الّذي لا علاج له والنّفاق كذلك:

▫ **قوله ﷺ: حَسَدَةُ الرَّخَاءِ وَ مُؤَكِّدُ والْبَلاَءِ وَمُقْنِطُوا الرَّجَاءِ ...**

حَسَدة جمع حاسد والرّخاء السّعة والمعنىٰ أنّهم يَحسَدون علىٰ السّعة، واذا نَزَل بلاء بأحدٍ أكّدوه وزادوه واذا رجىٰ أحد شيئاً أوقعوه في القنُوط واليأس:

▫ **قوله ﷺ: لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيعٌ وَإِلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ وَلِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ ...**

الصّريع المَطرُوح علىٰ الأرض ومعنىٰ العبارة أنّ للمُنافقين في كلّ طريقٍ من طُرق البّر صَرعىٰ أي هلكىٰ لإضلالهم النّاس عنها قاله الخوئي ﷺ في شرح الكلام وأمّا البحراني

فقال أنّه كناية عن كثرة من يقتلونه أو يؤذونه بخديعتهم وكُنّي بالطَريق أمّا عن كلّ مقصد قصدوه أوعن كلّ حيلةٍ إحتالوها ومكرٍ مَكروه فأنّه لابدَ أن يَستلزم أذىٰ والأظهر ما قلناه انتهىٰ:

وأنا أقول: ما ذكراه في شرح العبارة لا بأس به إلّا أنّ في المقام إحتمال آخر لنا في شرح كلامه وأظنّ أنّه أرجح بالمقام وأوفَق بالعبارة بقرينة السّياق وهو أنّ الصّريع جاء بمعنىٰ التّواضع أيضاً يقال تَضّرع لصاحبه أي تواضع ومنه ما زلتُ أتضّرع اليه حتّىٰ أجابني والمُنافق أيضاً كذلك فأنه يظهر التّواضع والخشُوع لمِن أراد إضلاله حتّىٰ يُجيبه وعليه فالمعنىٰ أنّ لهم بكلّ طريقٍ من الطّرق المُحتملة للنّفوذ في الغير خضُوعٌ وخشُوعٌ خاصّ فقوله ﷺ هذا إشارة الىٰ حلاوة كلامهم ولين بيانهم وخشُوع أركانهم وأعضائهم وقوله ﷺ: **وَإِلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ**، قالوا أي الىٰ صَرف كلّ قلبٍ نحوهم وعطفه اليهم وسيلة وواسطة وهي حَلاوة ألسنتهم وما يُظهرونه من التّلطُف والتّودُد والتّملّق، فالمراد به التّنبيه علىٰ شدّة إستيلائهم علىٰ القلوب وتَمكّنهم من التّصرف فيها بأي نحوٍ كان انتهىٰ ما قاله الخُوئي ﷺ أقول وفي المقام إحتمال آخر، وهو أنّ

للمُنافق الىٰ كلّ قلبٍ من القلوب الضَّعيفة بدعَةٍ وتشريع كما قال بعض المُحقِّقين، الشَّفاعة أن يشرع الإنسان لِلآخر طريق خيرٍ أو طريق شرٍ فيَقتدي به فصار كأنّه مُشفعٌ له وعليه حَمَل قوله ﷺ من سَنَّ سنّةً حَسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ومن سَنَّ سنّةً سيّئة فعليه وزرها وَوزر من عَمِل بها، أي إثمها وإثم مَن عَمِل بها وحَيث أنّ المُنافق يشرع لِلآخر طريق شرٍ فهو شَفيعٌ له فإنّ الشّفع في الأصل ضَم الشّيء الىٰ مثله فيَصير محصّل الكلام أنّ المُنافق يجعل نفسه شفيعاً الىٰ كلّ قلب أيّ مُعيناً وناصراً له بحيث يظنّ الإنسان أنّه يَنصره ويُعينه ويُرشده: وقوله ﷺ: **وَلِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ** ، معناه أنّ المُنافق يبكي تَصّنُعاً ما أراد فاذا رأىٰ المَحزون مثلاً، يبكي علىٰ حُزنه ظاهراً ويَضحَك باطناً وأنّما قال ﷺ: **دُمُوع** بصيغة الجمع ولم يقل (دَمع) لِلإشارة الىٰ أنّ دَمعه ليس علىٰ نَمَطٍ واحدٍ بل هو علىٰ أقسام وله أفنان بحسب إقتضاء المقام:

- قوله ﷺ: **يَتَقَارَضُونَ الثَّنَاءَ وَيَتَرَاقَبُونَ الْجَزَاءَ إِنْ سَأَلُوا أَلْحَفُوا وَإِنْ عَذَلُوا كَشَفُوا وَإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا ...**

أي يتقارضون كلّ واحدٍ منهم يَسلف الآخر دَيناً ليُؤدّيه اليه وبعبارةٍ أُخرىٰ يثني أحدهم علىٰ الآخر ليَثني الآخر عليه كأنّه يقرض الثّناء ليأخذ عِوَضه، ويَتراقبون الجزاء، أي كلّ يعمل لِلآخر عَملاً يَرتقب جزاؤه عليه، أن سألوا ألحفوا، أي أن سألوا شيئاً عن غيرهم ألحفوا أي ألّحوا وبالَغوا في السّؤال حتىٰ وَصلوا الىٰ مقاصدهم، وأن عَذلوا كَشفوا، أي وأن لامُوا غيرهم كشفوا أي فَضحُوا من يَلومونه، بأظهارهم معايبه عند الأجانب والأقارب والمؤمن لا يكون كذلك اذ من شأنه سَتر العيُوب وأن حَكَموا أسرَفوا، في حُكمهم بالظّلم والطّغيان والعدول عن طريق الحقّ واللّه لا يُحبّ المُسرفين.

- قوله ﷺ: **قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلاً وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلاً وَلِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلاً وَلِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحاً وَلِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحاً ...**

أي قد أعدّوا من قبل لكلّ حقٍ باطلاً ليخلطوا الحقّ بالباطل ويلبُسون بهما

علىٰ غيرهم اذ لو لم يلتبس أحدهما بالآخر لا يمكن إلقاء الشُّبهة في قلب المتكّلم قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[(١)] وقال: ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[(٢)] أنّ هذا شأن المُنافق دون المؤمن:

وقوله عليه السلام: **وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلاً**، فالمراد بالقائم كلّ أمرٍ صحيحٍ مُستقيمٍ لا عِوج فيه وبالمائل الشُّبه الّتي توجب إعوجاج الحقّ وإنحرافه الىٰ الباطل والمعنىٰ أنّهم جَعلوا لكلّ أمرٍ صحيحٍ ما يعُوجه ويخرجه عن الإستقامة وقوله عليه السلام: **وَلِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلاً**، المراد بالحيّ أمّا الحُكم وأمّا الإنسان فعلىٰ الأوّل معنىٰ العبارة أنّهم جعلوا لكلّ حكمٍ حيٍ بالكتاب والسّنة قاتلاً وبدِعةً وباطلاً يَقتلُه ويُفنيه وعلىٰ الثّاني أنّهم جعلوا لكُلّ إنسانٍ حيٍ بالحياة الدّينية قاتلاً يَقتل روحه ودينه ويُصَيره مُنافقاً مُلحداً فأنّ المُنافق كما يقدر علىٰ قتل الحُكم بسَبب إيجاد الشُّبهة كذلك يقدر علىٰ قتل دين المؤمن وإخراجه عن إيمانه فالكلام خرج مخرج الإستعارة: وقوله عليه السلام ولكلّ باب مفتاحاً، أي لكلّ باب من أبواب الضّلال لهم مفتاح يفتحون به ما أرادوا شبّه عليه السلام أبواب الضّلالة بالأبواب الحسّية وأثبت لها أقفال تخييلاً ثُمّ جعل النّفاق مفتاحها فكما أنّ بالمفتاح يفتح الباب كذلك بأسباب النّفاق والآلة تفتح أبواب الضّلال وهو واضح: وقوله عليه السلام: **وَلِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحاً**، شبّه عليه السلام الضّلال بالليل ووجه الشّبه الظّلمة الحسّية والعقلية ثُمّ جعل مصباح الضّلال النّفاق فكما أنّ السّائر باللّيل لا يقدر علىٰ المشي في ظلمته ويحتاج الىٰ المصباح كذلك المُنافق لا يقدر علىٰ الإضلال إلّا بنفاقه:

▫ **قوله عليه السلام: يَتَوَصَّلُونَ إِلَىٰ الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ وَيُنْفِقُوا بِهِ أَعْلَاقَهُمْ ...**

اي يتوصّلون الىٰ الطّمع فيما بأيدي النّاس بإظهارهم اليأس عنه أي

١- البقرة ـ ٤٢.
٢- آل عمران ـ ٧١.

يظهرون اليأس عمّا في أيديهم ويُسّرون الطّمع وأنّما يفعلُون ذلك ليقيمُوا بهذا العمل الشّنيع أسواقهم اذ لَو أظهَروا الطَّمع سقطوا عن أعين النّاس شَبَّهَهم ﷺ في إضلالهم النّاس بالتّاجر المدَلس الّذي يُعرَف متاعه بغير ما هو باطنه تَلبيساً له علىٰ المُشتري وأنّما غرضهم في ذلك جلب المنافع وبيعهم ما يزينون من خداعهم والمُنافق أيضاً كذلك فهو يبيع متاعه بأغلىٰ الثّمن وأعلَىٰ القِيم والنّاس في غفلة عنهم كما أنّ المشتري في غفلة عن حقيقة جنس التّاجر المدَلس الجالب لَنفعه وأساس الإشكال في هذه الموارد هو جهل المخدوع ونفاق الخادع:

▫ قوله ﷺ: **يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ وَيَصِفُونَ فَيُمَوِّهُونَ قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ وَأَضْلَعُوا المَضِيقَ ....**

أوضح ﷺ كلامه السّابق بالفاء المفيد للتّفريع أي يقولون بأفواههم فيشَبهون الأمر علىٰ المُستمع ويَصفون شيئاً من الأشياء فَيُموهُون ويُزينُونه بصُورة الحقّ قد هَونوا الطّريق في أنظار النّاس أي سَهلوها وأضلعوا وأعوجوا المَضيق أي يهونّون علىٰ النّاس طرق السّير معهم علىٰ أهوائهم الفاسدة ثُمّ بعد أن ينقادوا لهم يضلعون عليهم المضائق أي يجعلونها معوجة يصعب تجاوزها فيهلكون:

▫ قوله ﷺ: **فَهُمْ لُمَةُ الشَّيْطَانِ وَحَمَةُ النِّيرَانِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمْ الْخَاسِرُونَ ...**

بعد ذكره ﷺ أوصاف المُنافقين علىٰ ما عرفت قال فهُم أي أنّ المُنافقين لُمَة الشّيطان وأصحابه وحُمَة النّيران أي مُعظَم حرّها، هكذا فسّروها والحقّ أنّ الحُمّة بضَم الحاء وتشديد الميم السّواد، قال في المُنجد الحُمّة السّواد لَون بين الدّهمة والكثمة الحمّىٰ كلّ ما قدّر وقضىٰ ومنه حُمّة الفراق يقال عجلت بناديكم حُمّة الفراق جمعٌ حُمَر وحمام انتهىٰ وقيل أنّ الحُمّة، الفَحم، الرّماد، كلّ ما إحترق بالنّار الواحدة حُمَمة وعليه فالمعنىٰ أنهم وقُود النّار كما قال

تعالى: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (1) ورأيت في بعض الشّروح أنّ الحُمَة بالتّخفيف الأبرة تلسع بها العقرب ونحوها المراد لهيب النّيران انتهى.

اذا عرفت النّفاق والمنافق وأوصافه وعلائمه فلا بأس بالإشارة الى بعض الأخبار الواردة في الباب في أوصاف المُنافقين وأحوالهم متمماً للبحث وتكميلاً للِفحص فنقول:

منها ـ ما رواه في البحار عن الصّادق عليه السلام قال عليه السلام أربع علامات لِلنّفاق، قساوة القلب، وجمُود العَين، والإصرار علىٰ الذّنب، والحِرص علىٰ الدّنيا انتهىٰ «ج ١٥ كتاب الأيمان والكفر ص ٢٣»...

ومنها ـ ما رواه عن عباد بن صهيب قال سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول: لا يجمع اللّه لمنافقٍ ولا لفاسقٍ حُسن السّمت والفقر وحُسن الخُلق أبداً انتهىٰ « ص ٢٣»...

ومنها ـ ما رواه بأسناده عن الثّمالي عن علّي ابن الحسين عليه السلام قال عليه السلام: المُنافق ينهي ولا يَنتهي ويأمر بما لا يأتي، اذا قام في الصّلوٰة إعترض واذا رَكع رَبض واذا سَجد نَقر واذا جلس شَغر يُمسي وهمّه الطّعام وهو مُفطر ويُصبح وهمّه النّوم ولم يسهر أن حدّثك كذبك وأن وعدك أخلفك وأن إئتَمنته خانك وأن خالفته إغتابك انتهىٰ...

وقال النبّي صلى الله عليه وآله للمُنافق ثلاث علامات اذا حدّث كذّب واذا وَعَد أخلف واذا إئتمن خان انتهىٰ « ص ٣٠»....

ومنها ما رواه عن الصّادق عليه السلام أنّه قال لقمان: يا بُنّي لكلّ شيءٍ علامة يعرف بها ويشهد عليها الىٰ أن قال وللمُنافق ثلاث علامات يُخالف لسانه قلبه، وقلبه فعله، وعلانيته سَريرته الحديث « ص ٣٠»...

وعنه عليه السلام أيضاً – قال عليه السلام المُنافق قد رضي ببُعده من رحمة اللّه تعالىٰ لأنّه يأتي بأعماله الظّاهرة بالشّريعة وهو لاغ باغ لاه بالقلب عن حقّها مستهزئ

١- البقرة ـ ٢٤

فيه وعلامته قلّة المبالاة بالكذب والخيانة والوقاحة والدّعوىٰ بلا معنىٰ وشحنه العين وقلّة الحياء وإستصغار المعاصي وإستضياع أرباب الدّين وإستخفاف المَصائب في الدّين والكِبر وحبّ المَدح والحَسد وإيثار الدّنيا علىٰ الآخرة والشّر علىٰ الخير والحثّ علىٰ النّميمة وحبّ اللّهو ومَعُونة أهل الفسق والبغي والتَّخَلُّف عن الخيرات وتنقص أهلها وإستحسان ما يفعله من سُوء وإستقباح ما يفعله غيره من حُسن وأمثال ذلك كثيرة انتهىٰ «ص ٣٠»...

وقال النّبي ﷺ - المُنافق مَن اذا وَعَد أخلف واذا فَعل أفشىٰ واذا قال كذب واذا إئتُمن خان واذا رُزق طاش واذا مُنع عاش انتهىٰ« ص ٣٠»...

قال النّبي ﷺ - من خالفت سَريرته علانيته فهو مُنافق كائناً ما كان وحيث كان وفي أيّ أرضٍ كان وعلىٰ أيّ دينٍ كان انتهىٰ« ص ٣٠»....

وقال رسُول اللّه ﷺ - من كان له وجهان في الدّنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة انتهىٰ« جامع السّعادات ج ٢ ص ﷺ ٤٠»...

وقال ﷺ - تجدون من شّر عباد اللّه يوم القيامة ذا الوَجهين الّذي يأتي هؤلاء بوجهٍ وهؤلاء بوجهٍ انتهىٰ« ص ﷺ ٤٠»...

وقال ﷺ - يجيْ يوم القيامة ذا الوَجهين دالعاً لسانه في قفاه وآخر من قدّامه يلتهبان ناراً حتّىٰ يلتهب خدّه ثُمّ يقال هذا الّذي كان في الدّنيا ذا وجهين وذا لسانين يعرف بذلك يوم القيامة انتهىٰ« ص ﷺ ٤٠»... والأحاديث في الباب كثيرة نعوذ باللّه منه:

ومن خطبة له عليه السلام (١٩٤)

▫ قوله عليه السلام: اَلحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ وَجَلاَلِ كِبْرِيَائِهِ مَا حَيَّرَ مُقَلَ الْعُيُونِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ وَرَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ النُّفُوسِ عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ اِله اِلَّااللّٰهُ شَهَادَةَ اِيمَانٍ وَاِيقَانٍ وَاِخْلاَص وَاِذْعَانٍ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ اَرْسَلَهُ وَأَعْلاَمُ الْهُدَىٰ دَارِسَةٌ وَمَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةٌ فَصَدَعَ بِالْحَقِّ وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ وَهَدَىٰ اِلَىٰ الرُّشْدِ وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ صَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللّٰهِ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلاً عَلِمَ مَبْلَغَ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ وَأَحصَىٰ اِحْسَانَهُ اِلَيْكُمْ فَاسْتَفْتِحُوهُ وَاسْتَنْجِحُوهُ وَاطْلُبُوا اِلَيْهِ وَاسْتَمْنِحُوهُ فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ وَلاَ أُغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ وَاِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ وَفِي كُلِّ حِينٍ وَ أَوَانٍ وَمَعَ كُلِّ اِنْسٍ وَجَانٍّ لاَيَثْلِمُهُ الْعَطَاءُ وَلاَ يَنْقُصُهُ الْحِبَاءُ وَلاَ يَسْتَنْفِذُهُ سَائِلٌ وَلاَ يَسْتَقْصِيهِ نَائِلٌ وَلاَ يَلْوِيهِ شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ وَلاَ يُلْهِيهِ صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ وَلاَ تَحْجُزُهُ هِبَةٌ عَنْ سَلْبٍ وَلاَ يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ وَلاَ تُولِهُهُ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ وَلاَ يُجِنُّهُ الْبُطُونُ عَنِ الظُّهُورِ وَلاَ يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبُطُونِ قَرُبَ فَنَأَىٰ وَعَلاَ فَدَنَا وَظَهَرَ فَبَطَنَ وَبَطَنَ فَعَلَنَ وَدَانَ وَلَمْ يُدَنْ لَمْ يَذْرَ الْخَلْقَ بِاحْتِيَالٍ وَلاَ اسْتَعَانَ بِهِمْ لِكَلاَلٍ.

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللّٰهِ بِتَقْوَىٰ اللّٰهِ فَأِنَّهَا الزِّمَامُ وَالْقِوَامُ فَتَمَسَّكُوا بِوَثَائِقِهَا

وَاعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا تَؤُلْ بِكُمْ إِلَىٰ أَكْنَانِ الدَّعَةِ وَأَوْطَانِ السَّعَةِ وَمَعَاقِلِ الْحِرْزِ وَمَنَازِلِ الْعِزِّ فِي (يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارِ) وَتُظْلِمُ لَهُ الْأَقْطَارُ وَتُعَطَّلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشَارِ وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَزْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ وَتَبْكَمُ كُلُّ لَهْجَةٍ وَتَذِلُّ الشُّمُّ الشَّوَامِخُ وَالصُّمُّ الرَّوَاسِخُ فَيَصِرُ صَلْدُهَا سَرَاباً رَقْرَقاً وَمَعْهَدُهَا قَاعاً سَمْلَقاً فَلاَ شَفِيعٌ وَلاَ حَمِيمٌ يَنْفَعُ وَلاَ مَعْذِرَةٌ تَدْفَعُ .

◁ اللّغة

(مُقَل) بضَم الميم وفتح القاف جمع مُقلة نحو غُرَف وغُرفة (رَدَع) مَنَع (هَمَاهِمِ) جمع هَمهمة (دراسة) بسبب الفِترة (طَامِسَةٌ) مُندرسة (فَاسْتَفْتِحُوهُ) أي إطلبوا الفَتح (وَاسْتَنْجِحُوهُ) أي إطلبوا النّجاح في أعمالكم (وَاسْتَمْنِحُوهُ) إلتمسُوا منه العطاء (لا يثلمه) الثّلم الكسر والمراد لا تنتقص خزائنه بالعطاء (الْحِبَاءُ) العطيّة (لاَ يَلْوِيهِ) أي لا يميله (تولهه) أي تذهله (يَجُنّه) كَيَظُنّه أي يَستره (دانَ) أي جازىٰ وحاسَب (يذرأ) أي يَخلق (بِاحْتِيَالٍ) الإحتيال التّفكر (بكلال) الكلال الملل من التّعب (أَكْنَانِ) جمع كِن بالكسر ما يستكِن به (الدَّعَةِ) خفض العيش وسِعته (معاقل) الحُصون (صُروم) بضَم الصّاد جمع صِرمة وهي قطعة من الإبل فوق العَشرة الىٰ تسعة عشر أو فوق العشرين الىٰ الثلاثين (الْعِشَارِ) جمع عُشراة بضَم العين وفتح الشّين كَنُفساء وهي النّاقة مضىٰ لحملها عشرة أشهر (الشُمّ) بضَم الشين جمع أشم أي رفيع (الصُمّ) جمع أَصمّ وهو الصّلب المُصمت أي الّذي لا جوف له (رَقْرَقاً) الرَقرَق كَجَعفر المُضطرب (مَعْهَدُهَا) المَعهد المحلّ (قَاعاً) القاع ما إطمَّأن من الأرض (سَمْلَقاً) السَمَلق المستوي:

◁ المعنىٰ

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْهَرَ) في عالم الوجُود (مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ وَجَلاَلِ كِبْرِيَائِهِ) وعظمته من أنواع الموجودات وأصنافها (مَا حَيَّرَ مُقَلَ الْعُيُونِ)

النّاظرة اليها من كثرتها والأسرار المُودَعة فيها (مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ) التّي لا يمكن لأحدٍ الوقُوف عليها (وَرَدَعَ) ومَنَع (خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ النُّفُوسِ عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ) أي أنّ كُنه صفاته لا يخطر ببال أَحدٍ فضلاً عن كُنه ذاته (وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إله اِلَّااللّهُ شَهَادَةَ اِيمَانٍ وَإِيقَانٍ وَإِخْلاَصٍ وَاِذْعَانٍ) أي منشأها الإيمان واليقين والخلُوص والإعتقاد الجازم (وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ اَرْسَلَهُ) اللّه والحال أنّ (وَأَعْلاَمُ الْهُدَىٰ دَارِسَةٌ) في عهد الجاهليّة (وَمَنَاهِجُ الدِّينِ) وطُرقه (طَامِسَةٌ) مُندرسة (فَصَدَعَ) الرّسُول ﷺ (بِالْحَقِّ وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ وَهَدَىٰ اِلَىٰ الرُّشْدِ) والصّلاح (وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ) والاقتصاد من غير تفريط وإفراط (صَلَّىٰ اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللّهِ أَنَّهُ) أنّ اللّه تعالىٰ (لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً) ولَغواً (وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ) ولم يُهملكم (هَمَلاً) من غير درايةٍ (عَلِمَ) اللّه تعالىٰ (مَبْلَغَ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ وَأَحصَىٰ اِحْسَانَهُ اِلَيْكُمْ) اذا لا يعقل عدم علم المُنعم بأنعامه (فَاسْتَفْتِحُوهُ) أي إسألوه الفتح علىٰ أعدائكم (وَاسْتَنْجِحُوهُ) أي إسألوه النّجاح في أعمالكم (وَاطْلُبُوا اِلَيْهِ) تعالىٰ (وَاسْتَمْنِحُوهُ) أي إلتمسُوا منه العطاء (فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ) أي عن اللّه أو عن الطّلب والمَسئلة (حِجَابٌ وَلاَ أُغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ) تعالىٰ (بَابٌ) بل بابه مفتوح لكلّ سائلٍ (وَأَنَّهُ) تعالىٰ (لَبِكُلِّ مَكَانٍ) لا بمكانٍ خاصّ (وَفِي كُلِّ حِينٍ) لا في زمانٍ خاصّ (وَ أَوَانٍ) أي وفي كلّ آنٍ من الآنات (وَمَعَ كُلِّ اِنْسٍ وَجَانٍّ) لأنّه خالق الكلّ (لاَيَثْلِمُهُ) ولا ينقصه (الْعَطَاءُ) لأنّه غنيٌ علىٰ الإطلاق (وَلاَ يَنْقُصُهُ الْحِبَاءُ) والعَطية (وَلاَ يَسْتَنْفِدُهُ) ويفقره (سَائِلٌ وَلاَ يَسْتَقْصِيهِ نَائِلٌ) أي لا ينتهي ما عنده (وَلاَ يَلْوِيهِ) ولا يميله (شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ وَلاَ يُلْهِيهِ) أي لا يَشغله (صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ وَلاَ تَحْجُزُهُ) أي لا تمنعه (هِبَةٌ) وبذلٌ (عَنْ سَلْبٍ) أي عن سلب المال (وَلاَ يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ وَلاَ تُولِهُهُ) أي لا تذهله (رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ وَلاَ يُجِنُّهُ) ولا يستره (الْبُطُونُ عَنِ الظُّهُورِ) لكونه عالماً بهما (وَلاَ يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبُطُونِ) فهما عنده سيّان (قَرُبَ) الىٰ الأشياء

(فَنَأَى) أي بَعُد (وَعَلاَ) فوق كلَ شيٍ ومع ذلك (فَدَنَا) وقرب اليه (وَظَهَرَ فَبَطَنَ) فظهوره في بطونه (وَبَطَنَ فَعَلَنَ) كما أنّ بطونه في ظهوره (وَدَانَ) أي حاسب النّاس وجازاهم (وَلَمْ يُدَنْ) أي لم يحاسب ولم يجاز (لَمْ يَذْرَ الْخَلْقَ) ولَم يوجدهم (بِاحْتِيَالٍ) وتفكّر (وَلاَ اسْتَعَانَ بِهِمْ لِكَلاَلٍ) وخلالٍ حَدَث من التّعب (أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللّهِ بِتَقْوَىٰ اللّهِ فَإِنَّهَا الزِّمَامُ وَالْقِوَامُ) زمام يقود للسّعادة وقوام أي عيش يحي به الأنوار (فَتَمَسَّكُوا بِوَثَائِقِهَا وَاعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا) الضّمير الى التّقوىٰ (تَؤُلْ) وترجع (بِكُمْ إِلَىٰ أَكْنَانِ الدَّعَةِ) أي ما يستكِن به خفض العيش وسعته (وَأَوْطَانِ السَّعَةِ وَمَعَاقِلِ الْحِرْزِ) أي حُصون الحفظ (وَمَنَازِلِ الْعِزِّ فِي ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾[1] وهو يوم القيامة (وَتُظْلِمُ لَهُ الْأَقْطَارُ وَتُعَطَّلُ فِيهِ) في ذلك اليوم (صُرُومُ الْعِشَارِ وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَزْهَقُ) وتموت (كُلُّ مُهْجَةٍ) وقلب (وَتَبْكَمُ) وتخرس (كُلُّ لَهْجَةٍ) ولسانٍ (وَتَذِلُّ الشُّمُّ الشَّوَامِخُ) أي الجبال الرّاسيات (وَالصُّمُّ الرَّوَاسِخُ) أي ا لثّابتات المُحكمات (فيصير صلدها) وصلبها (سَرَاباً رَقْرَقاً) أي مثل السّراب المُتّحرك (وَمَعْهَدُهَا) ومحلّها (قَاعاً سَمْلَقاً) أرضاً خالية مستوية (فَلاَ شَفِيعٌ وَلاَ حَمِيمٌ) هناك يدفع البلاء عنك (وَلاَ مَعْذِرَةٌ) هناك (يَنْفَعُ تَدْفَعُ) وتفيد:

◁ **الشّرح**

▫ قوله ﷺ: **اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ وَجَلاَلِ كِبْرِيَائِهِ مَا حَيَّرَ مُقَلَ الْعُيُونِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ ...**

قد مضىٰ الكلام في معنىٰ الحَمد وما يتّعلق به بغير مرّة وقلنا أنّ اللاّم فيه أمّا للجنس وأمّا لِلإستغراق والمعنىٰ أنّ جنس الحَمد أو كلّ الحَمد لِللّه أي للذّات الواجب الوجود المُستجمع لجميع الصّفات الكمالية.

الّذي أَظهَر وأَوجَد في الخارج من آثار سُلطانه وجلال كِبريائه ما صار سبباً

1- ابراهيم - ٤٢

وموجباً لتَحير مُقَل العُيون من عجائب قدرته في الملك والملكُوت لكثرتها وَلِما أُودَع فيها من أسرار الخَلقة ما لا يُحصىٰ وفيه إشارة الىٰ أنّ الإنسان لو أخرج التّعصُّب عن نفسه ونظر الىٰ الموجودات بعين الإنصاف لم يبق له شك في وجود الخالق والصّانع وأنها وُجدت عن قدرة وحكمةٍ ولأجل هذا قال اللّه تعالىٰ في كتابه: ﴿قُلِ انْظُرُوا مٰاذٰا فِى السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ﴾ (١)

و: ﴿قُلْ سِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللّٰهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢)

و: ﴿اَوَلَمْ يَنْظُرُوا فى مَلَكُوتِ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ وَمٰا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْئٍ﴾ (٣)

و: ﴿اَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمٰاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنٰاهٰا وَزَيَّنّٰاهٰا وَمٰالَهٰا مِنْ فُرُوجٍ، وَالْأَرْضَ مَدَدْنٰاهٰا وَاَلْقَيْنٰا فيهٰا رَوٰاسِىَ وَاَنْبَتْنٰا فيهٰا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهيجٍ، تَبْصِرَةً وذِكْرىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيب، وَنَزَّلْنٰا مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً مُبٰارَكاً فَاَنْبَتْنٰا بِهِ جَنّٰاتٍ وَحَبَّ الْحَصيدِ، وَالنَّخْلَ بٰاسِقٰاتٍ لَهٰا طَلْعٌ نَضيدٌ، رِزْقاً لِلْعِبٰادِ وَاَحْيَيْنٰا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾ (٤) وغيرها من الآيات وأنّما قال ﷺ مُقَل العيُون ولَم يَقل العيُون والأبصار لأنّ رؤية العَين بمقلتها ومع قطع النَظر عنها لا رؤية لها وأنّما نُسبت الرّؤية الىٰ العين مجازاً بل العين في الحقيقة المُقلة:

▫ قوله ﷺ: وَرَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ النُّفُوسِ عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ ...

أصل الرّدع الدّفع والمَنع وهماهم النّفوس وساوسها وَهَمهمَتها وما يخطر بها والمعنىٰ أنّ اللّه تعالىٰ منع ما يخطر بها من هَماهها ووساوسها عن البلُوغ الىٰ كُنه صفته وذلك لأنّ الصّفة فيه تعالىٰ عين ذاته عقلاً ونقلاً كما فصّلنا الكلام فيها في المُجلد الأوّل عند شرحنا لقوله ﷺ وكمال الإخلاص له نفي الصّفات عنه لشهادة كلّ صفةٍ أنها غير الموصُوف وكلّ موصوف غير الصّفة، واذا كان كذلك فلا محالة تكون الصّفات فيه تعالىٰ غير متناهية بعدم تناهي

١- يونس ١٠١
٢- العنكبوت ٢٠
٣- الاعراف ١٨٥
٤- ق ١٠-٦

الذّات والمفروض الوحدة والعينية فكما أنّ عرفان الذّات بالكُنه غير معقول ولا مُمكن كذلك عرفان الصّفات غير ممكنٍ لنا ولغيرنا من المخلُوق وعليه فكلّما خَطَر بالنَّفس في عِرفان كُنه صفته ليس إلّا الوَسوَسة والهَمهَمة التّي لا إعتناء بها عند العقل فهو مخلوق للنّفس:

وأمّا عرفان صفته أو صفاته لا بالكُنه بل بالمفهوم والآثار فهو أمر ممكن لا إشكال فيه وأن شئت قلت الصّفة تابعة للموصُوف من جميع الجهات وفرع عليه فمعرفتها لا يمكن إلّا بعد معرفته فهي تَدور وراء الموصوف وجوداً وعدماً وحيث لا يمكن معرفة الذّات بالكُنه والحقيقة فلا يمكن معرفة الصّفة أيضاً كذلك وفي قوله عليه السلام رَدَع، أي رَدَع اللّه النّفوس عن عرفان كُنه صفته إشارة الىٰ أنّ الرّادع والمانع عن هذه المعرفة هو اللّه تعالىٰ وهو كذلك فما ذكره عليه السلام يدّل بالمفهوم علىٰ أنّه لو لم يكن منه رَدعٌ في هذه المعرفة لكانت ممكنة لها في حدّ ذواتها مَع أنّه قد ثبت عقلاً عدم إمكانها بذواتها بدليل أنّ المعرفة بالكُنه لا تتَحقق لِلمدرك إلّا بعد إحاطة المُدرِك علىٰ المُدرَك علماً وإدراكاً وإحاطة المُمكن علىٰ الواجب محال وأن شئت قلت إحاطة المُتَناهي لغير المتَناهي محال للزومها خروج المتناهي عن كونه مُتناهياً والشّئ لا يتّصف بنقيضه لإستحالة إجتماع النّقيضين هذا أصل الإشكال:

والجواب عنه أنّ المفهوم من العبارة وأن كان كذلك إلّا أنّ كلّ مفهومٍ ليس بحُجّة كما ثبت في محلّه وثانياً علىٰ فرض حجّيتة يدّل علىٰ أنّ اللّه يكونُ قادراً علىٰ ذلك وهو ممّا لا إشكال فيه فأنّ عمُوم قُدرته يدّل علىٰ أنّه لو أراد أن يعرف المخلوق ذاته وصفاته بالكُنه لكان قادراً عليه ولعلّ السيّد المُرتضىٰ رحمه الله من هذا الكلام وأمثاله أخَذ ما أخَذ في باب أعجاز القرآن حيث ذَهَب هناك الىٰ أنّ وجه الأعجاز فيه هو منع اللّه ورَدعه المخلوق عن الإتيان بمثله فلو لم يَردَعهم عنه لكانوا قادراً عليه، أقول لا إشكال لنا في عموم قدرته وأنّه علىٰ كلّ شئٍ قدير، إلّا إنّا نقول لو شاء وأرادَ لَخَلق مخلوقاً غير هذا المخلوق وهو خارج عن البحث فعلاً:

وفي تعبيره ﷺ بالعرفان دون العِلم حيث قال عن عرفان كُنه صفته ولم يقل عن العلم به إشارة الىٰ حقيقةٍ وهي أنّ المعرفة والعرفان إدراك الشّئ بتفكّرٍ وتدبُرٍ لأثره وهو أخصّ من العلم فأنّه الإدراك المُطلق ولأجل هذا يقال فلان يعرف اللّه ولا يقال يعلم اللّه فأنّ معرفة البَشر لِللّه تعالىٰ ذاتاً وصفة هي بتدّبُر آثاره دون إدراك ذاته ولمّا أشار ﷺ في الجملة السّابقة الىٰ آثار سُلطانه وأنّها ممّا حيّر مُقل العُيون فقال بعده وَرَدع خطرات هماهم النّفوس عن عِرفان كُنه صفته مشعراً بأنّ رؤية الآثار بالعين لا توجب معرفة كُنه صفته لرَدع اللّه تعالىٰ عنها في هذا المقام نعم لو لا الرّدع لكانت الرّؤية توجبها علىٰ ما حققّناه ولعلّ ما دّل العقل علىٰ إستحالته هو علم المُتناهي بغير المُتناهي فأنّه غير ممكن في نفسه وأمّا المعرفة فهي ممكنة لولا المانع أعني به الرّدع والمَنع وذلك لأنّ العلم يوجب إحاطة المُدِرك بالمُدرَك وأمّا المعرفة فلا توجبها وعليه فلا إشكال في كلامه ﷺ أصلاً حتّىٰ نحتاج الىٰ الجواب فتأمل في المقام:

▫ **قوله ﷺ: وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ اِله اِلّااللّهُ شَهَادَةَ إِيمَانٍ وَإِيقَانٍ وَإِخْلاَصٍ وَإِذْعَانٍ ...**

أي أشهد بوحدانيته تعالىٰ ذاتاً وصفةً وفعلاً شهادة تنشأ عن الإيمان واليَقين لا عن النّفاق والتّرديد وعن الإخلاص والإعتقاد الرّاسخ لا عن الرّياء والإضطراب في القلب وبعبارةٍ أُخرىٰ أشهد شهادةً يَشهد بها لَحمي وعظمي وقلبي وجميع جوارحي وأعضائي:

قال رسُول اللّه ﷺ الموجبتان، من مات يشهد أنّ لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له دخل الجنّة ومن مات يَشرك باللّه شيئاً يدخل النّار انتهىٰ «البحار ج ١ ص ٢»...

وعن أنس عن النّبي ﷺ قال كلّ جبار عنيد من أبىٰ أن يقول لا إله إلاّ اللّه انتهىٰ « ص ٣»...

وبأسناده عن الرّضا عن آبائه قال رسُول اللّه ما جزاء مَن أنعَم اللّه عزّ

وجلّ عليه بالتّوحيد إلاّ الجنّة انتهىٰ« ص ٣»...

وبهذا الأسناد، قال النّبي ﷺ أنّ لا إله إلاّ اللّه كلمة عظيمة كريمة علىٰ اللّه عزّ وجلّ مَن قالها مُخلصاً إستوجب الجنّة ومن قالها كاذباً عصمت ماله ودمه وكان مصيره الىٰ النّار انتهىٰ« ص ٣»...

وبأسناده عن علّي ﷺ قال قال رسُول اللّه ﷺ يقول اللّه جلّ جلاله لا إله إلاّ اللّه حصني فمن دخله أَمن من عذابي انتهىٰ« ص ٣»...

وبأسناده عن علّي بن مُوسىٰ الرّضا عن آبائه عن علّي ﷺ قال سمعت النّبي ﷺ يقول قال اللّه جلّ جلاله أنّي أنا اللّه لا إله إلاّ أنا فأعبدوني ومَن جاء منكم بشهادة أنّ لا إله إلاّ اللّه بالإخلاص دَخَل حصني ومَن دَخل حصني أَمن من عذابي انتهىٰ« ص ٣»...

وبأسناده عن معتب مولىٰ أبي عبد اللّه ﷺ عنه عن أبيه قال جاء أعرابي الىٰ النّبي ﷺ فقال يارسُول اللّه هل لِلجنّة من ثَمَن قال ﷺ نعم قال ما ثمنها قال ﷺ لا إله إلاّ اللّه يقولها العبد مُخلِصاً بها قال وما إخلاصها قال ﷺ العَمل بما بعثت به في حقّه وحُبّ أهل بيتي قال فداك أبي وأُمّي وأنّ حبّ أهل البيت لَمن حقّها قال ﷺ أنّ حبّهم لأعظم حقّها« ص ٥»...

وقال أمير المؤمنين ﷺ أنّ اللّه رفع درجة اللّسان فأنطقه بتوحيده من بين الجوارح انتهىٰ« ص ٥»....

▫ قوله ﷺ: **وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ اَرْسَلَهُ وَأَعْلاَمُ الْهُدَىٰ دَارِسَةٌ وَمَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةٌ ...**

بعد الشّهادة بوحدانية اللّه تعالىٰ أردف كلامه بالشّهادة علىٰ الرّسالة مشعراً بأنّ الشّهادة الأُولىٰ لا تفيد إلّا بالثّانية وأنّ الإسلام يتّحقق بهما معاً لا بواحدةٍ منهما وفي قوله ﷺ: عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ بتّقديم العبد علىٰ الرّسُول إشارة الىٰ أنّ مقام العُبودية فوق جميع المقامات فلا مقام أعلىٰ منها فينبغي الإتّصاف بها أوّلاً وبالرّسالة ثانياً وقوله ﷺ: أرسله الىٰ آخر ما قال إشارة الىٰ أنّ اللّه تعالىٰ

أرسَله بمَنّه ولُطفِه لإحياء كلمة الحقّ وإماتة الباطل وذلك لأنّ أعـلام الهُـدىٰ وطرق الرّشاد كانت في بَدو بعثته دارسة لإنغمار النّاس في الطّغيان والعصيان وعبادة الأوثان ومناهج الدّين كانت طامسة مندرسة لم يكن منها عين ولا أثر فكان النّاس في الضّلالة والغواية يَعمهون وفي ظلمات الجَهل مُنغمرون وعن الحقّ مُعرضون وفي الباطل خائضون فَطلَعت شَمس الرّسالة فأنـقذتهم مـن الهَلَكات وَأنجَتهم من المُوبقات وأخرَجتهم من الحَيَوانية الىٰ الإنسانية كـما قال عليه السلام.

□ قوله عليه السلام: **فَصَدَعَ بِالْحَقِّ وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ وَهَدَىٰ إِلَىٰ الرُّشْدِ وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ صَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ...**

ذكر عليه السلام من أوصاف الرّسول صلى الله عليه وآله أربَعَة كانت بالحقيقة هي العلّة الغائية في بَعثه ورسالته:

أحدها قوله عليه السلام: **فَصَدَعَ بِالْحَقِّ** أي أنّ النّبي صلى الله عليه وآله كان صادعاً به، وأصـل الصّدع الشّق في الأجسام الصّلبة كالزّجاج والحـديد ونـحوهما ثُمّ أُستعير لَصَدع الأمر أي فَصله وعليه فالمعنىٰ أنّه صلى الله عليه وآله فصل الحقّ عن الباطل كما قال تعالىٰ مخاطباً أيّاه: **﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾**(١)

وثانيهما قوله عليه السلام: **وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ**، وهو إشارة الىٰ كونه صلى الله عليه وآله ناصحاً شُفقاً لهم ولا شك أنّ النّبي شأنه النّصح: قال اللّه تعالىٰ **﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾**(٢)

و: **﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾**(٣)

و: **﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلٰكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾**(٤)

وثالثها قوله عليه السلام **وَهَدَىٰ إِلَىٰ الرُّشْدِ**، كما قال تعالىٰ: **﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾**(٥)

١- الحجر-٩٤. ٢- الاعراف-٦٢
٣- الاعراف-٦٨ ٤- الاعراف-٧٩
٥- الصّف-٩

ورابعها قوله ﷺ: **وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ** أي العَدل في الأُمور المَصون عن الإفراط والتّفريط وهو ظاهر:

▫ **قوله ﷺ: وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللّٰهِ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلاً عَلِمَ مَبْلَغَ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ وَأَحصَىٰ إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ ...**

أصل العَبَث أن يخلط بعمله لعباً من قولهم عَبثت الأقط والعَبث طعام مخلوط بشيء ويقال لما ليس له غرضٌ صحيح عَبَث وحيث أنّ اللّه تعالىٰ منزه عن العُيوب والنّقائص فلا يفعل عَبثاً قال اللّه تعالىٰ في كتابه**(أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاتُرْجَعُونَ﴾**(١)

وقوله ﷺ: **وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلاً**، إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: **﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً﴾**(٢)

وقوله ﷺ: **عَلِمَ مَبْلَغَ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ**، إشارة الىٰ سعة علمه تعالىٰ وأنّه لا يخفىٰ عليه شيء كما قال تعالىٰ: **﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾**(٣)

و: **﴿أَلاٰ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾**(٤)

و: **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾**(٥).

والآيات كثيرة.

وقوله ﷺ: **وَأَحصَىٰ إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ**، إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: **﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً﴾**(٦)

و: **﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً﴾**(٧)

و: **﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً﴾**(٨)

و: **﴿لايُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاٰ كَبِيرَةً إِلاّٰ أَحْصَاهَا﴾**(٩)

والدّليل علىٰ هذين الأمرين أعني علمه تعالىٰ بالأشياء وإحصائه النّعم، من

١- المؤمنون- ١١٥
٢- القيامة ـ ٣٦
٣- الانعام ـ ٨٠
٤- الملك ـ ١٤
٥- الزمر ـ ٥٢
٦- مريم ـ ٩٤
٧- النبأ ـ ٢٩
٨- الجن ـ ٢٨
٩- الكهف ـ ٤٩

العقل هو أنّه تعالىٰ خالق الكلّ والخالق عالم بمخلوقه وإلّا لا يكون خالقاً وهو ظاهر والعلم يستلزم الإحصاء تفصيلاً.

▫ قوله عليه السلام: **فَاسْتَفْتِحُوهُ وَاسْتَنْجِحُوهُ وَاطْلُبُوا اِلَيْهِ وَاسْتَمْنِحُوهُ فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ وَلاَ أُغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ ...**

التاء في الكلّ للطّلب كما هو ثابت في باب الإستفعال والمعنىٰ فأطلبوا الفتح والنّجاح أي الظّفر منه تعالىٰ وقوله وأطلبوا اليه تأكيد للتّاء المفيد للطّلب وقوله وإستمنحُوه أي أطلبُوا منه العطاء فليس بينكم وبينه حجاب ولا بابٌ مُغلق وفيما ذكره عليه السلام في المقام إشارة الىٰ أُمور نُشير اليها إجمالاً:

أحدها: أنّ أَزِمّة الأُمور بيده والعبدُ كائناً من كان فقير محتاج اليه فينبغي أن يستّمد منه تعالىٰ في جميع حوائجه ويَستّعين به في أمر الدّنيا والأخرة فاذا أراد العَبد الغَلبة علىٰ الأعداء من شياطين الجّن والإنس فينبغي أن يَطلب الفتح والظّفر منه تعالىٰ اذ لا يقدر علىٰ ما أراد بحوله وقوّته لضعفه ونقاهته واذا أراد النّجاح في أعماله حتّىٰ يكون العمل خاصلاً لوجهه الكريم فينبغي أن يَطلب النّجاح منه تعالىٰ اذ هو المُوفِق والمُعين واذا أراد السّؤال لقضاء حاجته أن يطلب العطاء منه تعالىٰ لا من خلقه لأنّه الغنّي علىٰ الإطلاق وغيره مُحتاج اليه وطلب الغنىٰ من الغنّي أولىٰ وأحقّ منه من الفقير الّذي لا يقدر علىٰ شيئ وحاصل الكلام في هذا المقام هو إرجاعه النّاس الىٰ خالقهم ورازقهم وإعراضهم عمّا سواه وهذا هو التّوحيد الواقعي في مقام العَمل المُبرء عن الشّرك الخّفي:

وثانيها: الإشارة الىٰ عدم وجود حجابٍ بين العَبد وربّه فله أن يسأله ما أراد في أيّ زمانٍ كان وفي أيّ مكانٍ كان وفي أيّ حالٍ كان وأنّما قال عليه السلام حجاب ولم يقل واسطة لدقيقةٍ وهي أنّ الواسطة بين العبِد وربّه موجودة في كلّ عهدٍ وزمان وليست الواسطة حاجبة بينه وبينه فأنّ الأنبياء والأوصياء والصّلحاء وسائط بين الخالق والمخلوق وذلك لأنّ الحجاب من الحَجب وهو في الأصل

المَنع وهؤلاء ليسوا بمانعين عن وصول الدّعاء الىٰ الرّب بل لو تَمَسّك العبد بهم وجعلهم وسائط بينه وبين ربّه لكان أولىٰ بالإستجابة لِشرفهم وقُرب منزلتهم عند اللّه وهو ظاهر لا خفاء فيه:

وثالثها: عدم باب مغالقٍ هناك وفيه إشارة الىٰ أنّ اللّه تعالىٰ يسمع كلام العبد حين سَأَله فليس اللّه تعالىٰ محبوساً أو محدوداً أو مُقيداً كلّ ذلك لا يكون واذا كان الأمر علىٰ هذا المنوال فحقّ العبد السّؤال وحقّ اللّه الإجابة كما قال في كتابه الكريم: ﴿**إذَا سَئَلَكَ عِبَادِي عَنّي فَإنّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إذَا دَعَانِ**﴾(١)

و: ﴿**اُدْعُونِي اَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾(٢)

و: ﴿**وَلِلّٰهِ الْأَسْمٰاءُ الْحُسْنىٰ فَادْعُوهُ بِهٰا**﴾(٣)

و: ﴿**اِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ عِبَادٌ اَمْثٰالُكُمْ**﴾(٤) وحيث أنجّر الكلام الىٰ هذا المقام فلا بأس بالإشارة الىٰ بعض ما ورد في الدّعاء والحَثّ فيه فنقول:

قال رسول اللّه ﷺ: الدّعاء سلاح المؤمن وعماد الدّين ونُور السّمٰوات والأرض انتهى «البحار ج ١٩ ص ٤٥»...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: أنّ الدّعاء يرّد القضاء وأنّ المؤمن ليذنب فيُحرم بذنبه الرّزق انتهىٰ« ص ٣٦»...

وبأسناده عنه عليه السلام عن أبيه قال قال رسُول اللّه ﷺ داوُوا مرضاكم بالصَّدَقة وأدَفعُوا أبواب البلاء بالدّعاء وحَصِّنُوا أموالكم بالزّكوة فأنّه ما يصاد بالتّصيد من الطّير إلاّ بتّضيعهم التّسبيح انتهىٰ« ص ٣٦»....

وبهذا الأسناد قال قال رسُول اللّه ﷺ أنّ الرّزق لينزل من السّماء الىٰ الأرض علىٰ عدد قطر المَطَر الىٰ كلّ نفسٍ بما قُدّر لها ولكنّ لِللّه فُضول ما يسألوا اللّه من فضله انتهىٰ« ص ٣٦»....

وبأسناده عن علّي بن جعفر عن أخيه مُوسىٰ عليه السلام قال قال رسُول اللّه ﷺ

١- البقرة ـ١٨٦
٢- النافر ـ ٦٠
٣- الاعراف ـ١٨٠
٤- الاعراف ـ١٩٤

ألا أدلكم علىٰ سلاح يُنجيكم من عَدوكم ويَدّر رزقكم قالوا نعم قال ﷺ تَدعُون بالليل والنهار فأنّ سلاح المؤمن الدّعاء انتهىٰ« ص ٣٦»....

وعن أبي هريرة قال قال رسُول الله ﷺ أنّ أعجز النّاس من عجز عن الدّعاء وأنّ أبخَل النّاس من بخل بالسّلام انتهىٰ« ص ٣٦»....

وقال النّبي ﷺ عن جبرئيل عن الله عزّ وجلّ يا عبادي كلّكم ضّال إلاّ من هديته فأسئلوني الهُدىٰ أهدكم وكلّكم فقير إلاّ من أغنيتُ فأسئلوني الغناء أرزقكم وكلّكم مذنب إلاّ من عاقبته فأسئلوني المغفرة أغفر لكم ومن علم أنّي ذو قدرة علىٰ المغفرة فإستغفرني بقدرتي غفرت له ولا أُبالي ولَو أنّ أوّلكم وآخركم وحَيّكم ومَيّتكم ورَطبكم ويابسكم إجتمعوا علىٰ إتّقاء قلب عبدٍ من عبادي لم يزيدوا في مُلكي جناح بعوضة ولو أنّ أوّلكم وآخركم وحَيّكم ومَيّتكم ورَطبكم ويابسكم إجتمعوا علىٰ إشقاء قلب عبدٍ من عبادي لم ينقصوا من مُلكي جناح بعوضة ولو أنّ أوّلكم وآخركم وحَيّكم ومَيّتكم ورَطبكم ويابسكم إجتمعوا فيتّمنىٰ كلّ واحدٍ ما بلغت أُمنّيته فأعطيته لم يتبّين ذلك في مُلكي كما لو أنّ أحدكم مَرَّ علىٰ شَفير البحر فيغمس فيه أُبرة ثُمّ إنتزعها ذلك بأنّي جواد ماجد واجد، عطائي كلام وعداتي كلام فاذا أردت شيئاً فأنّما أقول كُن فيكُون انتهىٰ« ص ﷺ ٣»... والأخبار في الباب كثيرة جداً وأن أردت التّفصيل فعَليك بمراجعة المطولاّت كالبحار:

□ قوله ﷺ: وَأَنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ وَفِي كُلِّ حِينٍ وَ أَوَانٍ وَمَعَ كُلِّ اِنْسٍ وَجَانٍّ ...

أي وأنّ الله تعالىٰ حاضر في كلّ مكانٍ من الأمكنة فلا يخلو عنه مكان وفي كلّ حينٍ و أوانٍ أي موجود في كلّ الأزمنة والأنات فلا يخلو زمان عنه أصلاً ومع كلّ إنسٍ وجانٍ لكونه علّة الإيجاد والعلّة لا تنفك عن المعلول وحاصل هذه الكلمات مَعيّة الواجب لِلأمكنة والأحيان والإنس والجانّ وعدم غيبته عنها فهو تعالىٰ مَع كلّ شيْ لا بالمقارنة فأنّ التّقارن من شئُون الجسم والمادّة وغير كلّ شيْ لا بالمُزايَلة والمُباينة فأنّ العلّة لا تباين معلولها ولا تزيل عنه وقد

مَرَّ تفصيل الكلام في هذه المباحث عند شرحنا لِلخُطبة التّوحيدية في المُجلد الأوّل من هذا الكتاب فلا نُعيد الكلام بذكرها ثانياً إلّا أنّ الحوالة علىٰ ما ذكرناه سابقاً علىٰ كلّيتها ليست بجيّدة فلا بدّ لنا من الإشارة الىٰ بعض ما لابدّ منه علىٰ سبيل الإجمال توضيحاً للمقال فنقول **اعلم** أنّه لا شك ولا خلاف عقلاً ونقلاً في أنّ اللّه تعالىٰ خالق كلّ شيْ ومُوجده فما سواه كائناً ما كان مخلوق له وهذا ثابت بالأدلّة العَقلّية والنَّقلية وقد فرغنا عن البحث فيه:

وأيضاً لا شك في أنّه تعالىٰ لِكَونه علّة ومُوجداً لا ينفك عن المعلولات بمعنىٰ الإنفصال والتّزايل والتّغاير والبَينُونة وأمثالها وَذلك لأنّ قوام المعلول بعلّته فلو فرضنا، إنفصال الواجب عن معلوله يلزم أن يكون المعلُول قائماً بنفسه وليس كذلك فأنّه تعالىٰ كما يكون علّةٌ مُوجدة كذلك يكون علّة مُبقية وهذا أيضاً ثابت عقلاً ونقلاً وأيضاً لا خلاف في وجوب وجوده وتَجرّده عن المادّة ولواحقها من الوضع والجهة والأين والكَم والكَيف وغيرها ضرورة أنّها تُوجب الفَقر والإحتياج وهو غَني علىٰ الإطلاق منَزه عن هذه الأُمور فهذا أيضاً ثابت عقلاً ونقلاً:

وأيضاً لا شك في أنّه تعالىٰ مَع كلّ شيْ وغير كلّ شيْ أمّا أنّه غير كلّ شيْ فهو واضح لا خفاء فيه فأين التّراب وربّ الأرباب وأين المّادي عن المُجَرد والمَعلول من العلّة والمُمكن من الواجب والفقر من المحتاج والحادث من القَديم وهكذا:

وأنّما الكلام في المَعَية لا في أصل ثبوتها فأنّه ممّا لا كلام فيه بل في كيفّيتها وأنّ هذه المعَية هل هي مَعَيَة علم أو مَعَية ذات الوجود فهذا هو الّذي صير العقول حيارىٰ والأفهام صرعىٰ فمن الفلاسفة من قال بالأوّل ومنهم من قال بالثّاني:

أمّا الأوّلون: فقالوا المراد بها هو إحاطة الواجب علماً بكلّ شيْ وبعبارةٍ أُخرىٰ هو مع كلّ شيْ علماً وعلىٰ هذا المعنىٰ حملوا قول أمير المؤمنين في

الخُطبة التّوحيدية حيث قال مع كلّ شيءٍ لا بمُقارنةٍ، فيقولون أي لا بمقارنة حسّية كما في تقارن بعض الأشياء وببعضٍ آخر فأنّه من خواص الأجسام بل هو تعالىٰ مع كلّ شيْ علماً أي يعلم الأشياء ظاهرها وباطنها ولا يخفىٰ عليه شيْ لا في الأرض ولا في السّماء وهذا هو المراد بَمَعيّته لها وأيضاً علىٰ هذا المعنىٰ حَملوا قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ مَعَكُم أَينَما كُنتُمْ﴾ (١) وقوله: ﴿نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (٢) وأمثالها من الآيات ففي الحقيقة يفسّر هذا قوله: ﴿هو بكلّ شيْ محيط﴾ وقوله: ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ (٣) فأنّ الإحاطة ليست إلّا الإحاطة العلْمية وهذا المعنىٰ هو المشهُور بين المُتأخرين من الفلاسفة وعبّروا عن هذه الإحاطة بالمَعيّة فأنّ المُحيط مع المحاط ولا ينفك أحدهما عن الآخر وعلىٰ هذا التّحقيق معنىٰ قوله عليه السلام في المقام أنّه بكُلّ مكانٍ، أي أنّه عالم بكلّ الأمكنة وقوله وفي كلّ حينٍ، أنّه تعالىٰ عالم بكلّ حين وأوانٍ، ومَع كلّ إنسٍ وجانٍ، أي أنّه عالم بكلّ إنسٍ وجانٍ وأن شئت قلت أنّه محيطٌ بها فأنّ الإحاطة أيضاً عِلّمية لا حِسّية قال الشّارح المُحقق البحراني في شرحه لهذه الكلمات.

ما هذا لفظه: وكان بكلّ مكان في حالة واحدة أي بعلمه المحيط لإستحالة ذلك المتّحيز وفي كلّ حينٍ وأوانٍ بمعنىٰ مساوقة وجوده لوجود الزّمان لا بمعنىٰ الظّرفية له لتنّزهه تعالىٰ عن لحوق الزّمان المُتأخر عنه بمراتب من المعلولات ومع كلّ إنسٍ وجانٍ بعلمه وهو معكم أينما كنتم انتهىٰ ماذكره وقلدّه الخُوئي رحمه الله ومن تأخر عنه في ذلك فقالوا بمقالته فقال الخُوئي في شرحه أي بالعِلم والإحاطة لا بالتّحيُز والحواية فلا يخفىٰ عليه شيْ من حوائج السّائلين وأنّما منظره في القرب والبُعد سواء الىٰ آخر ما قال انتهىٰ أقول وهذا المعنىٰ لا إشكال فيه في باديْ الأمر إلّا أنّ حَمل المَعَية علىٰ الإحاطة العلْمية ممّا لا يساعده النُظر الدّقيق والحقّ عندنا أنّ الإحاطة العلْمية غير المَعْية فلا

١- الحديد-٤ ٢-ق-١٦
٣-الطّلاق-١٢

يصَح حَمل كلامه عليه السلام على ما ذكروه ولا يصَح أيضاً حَمل الآية عليه وذلك لوجوه:

أحدهما: أنّ العلم لا يطلق على المَعيّة لا لغةً ولا عُرفاً ولا عقلاً فأنّ العلم هو الإدراك فينا وفي الواجب حضور المُدرَك لدى المُدرِك وهو المعبّر عنه بالعلم الحضوري والمَعّية عبارة عن تقارن الشّيئين بحيث يُحكم على أحدهما ما حُكِم على الآخر والفرق واضح بل الحقّ أن يقال المَعّية لا تتحقق إلّا في الشّيئين الخارجيين بحسب وجودهما الخارجي وأمّا المعنويّات العقلّيات فلا تتحّقق لها فيها:

وثانيهما: أنّ الله تعالى قال في كتابه **﴿هُوَ مَعَكُم أينما كُنْتُمْ﴾**(1) وقال في موضع آخر: **﴿وَأنَّ اللّهَ قَدْأحَاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلْماً﴾** و: **﴿أنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾**(2) وأمثال ذلك ممّادّل على سِعة عِلمه وشموله بكلّ المعلولات، وعليه فلقائلٍ أن يقول لو كان المراد بالمعّية الإحاطة العلّمية فَلِم عبّر في الآية بقوله مَعكم أليس هذا يدّل على إختلاف المعنى فيها وهو واضح:

وثالثها: أنّ لازم ما ذكروه أن يصدق قوله تعالى: **﴿هُوَ مَعَكُم أينَما كُنتُمْ﴾**(3) قبل إيجاد الموجودات أيضاً وذلك لأنّه كان عالماً بها قبل الخلق ولا يقول به عاقل فضلاً عن فاضل مع أنّه تعالى كان ولم يكن مَعَه شيئ فهذه الوجوه وغيرها تدّل على تغاير المعنى بين العِلم والمَعّية:

ورابعها: أنّه قد تقّرر في موضعه أنّ كمال توحيده ومعرفته نفي الصّفات عنه مطلقاً سَلّبية كانت أو ثبوتية لأنّ مشاهدة ذاته المطلقة لا تقتضي إلّا هذا واليه أشار أمير المؤمنين بقوله من وصفه فقد حدّه ومن حدّه فقد عَدّه الى آخر ما قال في الخُطبة الأُولى ولهذا جَعَل عليه السلام هناك كمال المعرفة وكمال التّوحيد في نفي الصّفات عنه ثُمّ لا يذهب عليك أن المراد من نفي الصّفات عنه تعالى

١- الحديد. ٤
٢- البقرة. ٢٣١
٣- الحديد. ٤

أنّه ليس بعالم ولا بقادرٍ وهكذا بل المراد أنّه تعالىٰ في مقام ذاته ليس إلّا هو وأن شئت قلتَ نفي الصّفات في مقام الذّات لا في مقام الصّفات ونعني بمقام الذّات قوله تعالىٰ:﴿لا إلٰه إلاّ هُو﴾ وقوله ﴿قُل هُو اللّه﴾ وهو المقام الّذي

ليس فيه إلّا الذّات المُطلقة فليس هناك علم ولا قدرة ولا إرادة وقد يُعبّر عنه بمقام الغيبيّة والهُوهوية المَحَضة وقد حَقّقنا الكلام فيه في الخُطبة الأُولىٰ وغيرها وعلىٰ هذا فالتّوحيد الحَقيقي هو معرفته بهذه المعرفة فأنّ التّوحيد إسقاط الإضافات وحينئذٍ فنقول هل يَصدق في هذا المقام قوله تعالىٰ:﴿هُوَ مَعكُم أينَما كُنتُمْ﴾(١) وليس هناك علىٰ الفرض صفة أصلاً سواء كانت الصّفة عِلماً أو قُدرةً أو إرادة أو غيرها فأن قالوا يصدق نقول أين العِلم المحيط بالأشياء الّذي عَبّرتُم عنه بالمَعيّة وَحَملتم الآية عليه في هذه المَرحلة وأن قالوا لا يَصدق في هذه المَرحلة والمَرتبة بل الصّدق منحصرٌ بمقام الصّفات فيقال لهم لازم ذلك أن يكون الواجب معَهم في مَرتبة ولا معهم في أُخرىٰ وهو كما ترىٰ ينافي التّوحيد الحقيقي مُضافاً الىٰ أنّ التّخصيص يحتاج الىٰ دليل لو لم نقل لا تخصيص في العقلّيات والّذي حَصَل لنا في المقام في رفع الإشكال هو حمل الكلام في المقام وفي الآية الشّريفة علىٰ ظاهره من غير تأويلٍ فيه وهو حَمل المَعَية مع كلّ إنسٍ وجان وفي كلّ حينٍ وأوانٍ وإحاطة اللّه بكلّ مكانٍ، علىٰ المَعَية الذّاتية والوجُودية وذلك لأنّ العلّة مع المعلول ذاتاً ووجوداً وبعبارةٍ أُخرىٰ قد قلنا مراراً أنّ العلّة التامّة كما أنّها علّة الإيجاد كذلك علّة البقاء والإبقاء والواجب تعالىٰ كذلك بل العلّة التّامة مُنحصرة فيه وما سواه عِللٌ ناقصة أو أسباب ومُعدّات وإطلاق العلّة عليه مجاز لا حقيقة فهو تعالىٰ أوجَد الأشياء ثُمّ أبقاها ومعناه أنّ وجود الأشياء بوجوده وبقائها ببقائه وأن شئت قلت وجودها وجوده وبقائها بقائه فلا فصل بين وجود العلّة ووجود المعلول ولا بين بقائها وبقائه اذ الفصل يساوق العَدم في المعلول لعدم إمكان البقاء له

١- الحديد-٤

مع قطع إرتباط وجوده عن وجود علّته ولا نعني بالمَعيّة إلّا هذا فقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ مَعَكُم أَينَما كُنْتُمْ﴾ (١) معناه أنّه تعالىٰ مَعَكم وجوداً لا أنّ له وجود ولكم وجود آخر فوجوده مع وجودكم أينما كنتم وقوله ﷺ: وَإِنَّهُ بِكُلِّ مَكَانٍ الىٰ آخر ما قال معناه أنّ وجوده مع وجود الأمكنة والأزمَنة ومع وجود كلّ إنسٍ وجانّ لأنّ الكلّ مخلوقه ومعلوله والعلّة مع المعلول وجوداً ولا يلزم منه أن يكون الواجب جسماً أو ممكناً كما ربّما يتوهم ذلك ولعلّه لأجل الخوف من هذا الإشكال أولّوا الآية وكلامه ﷺ وحملوها علىٰ الإحاطة العلّمية ظنّاً منهم أنّ المَعيّة المُصطلحة تُوجب كون الواجب جسماً أو ممكناً ليصّح أن يقال هو معكم كما يقال زيد مع عمرو، ولم يعلموا أنّ ما حققّوه بزعمهم أشكل وأفحَش، والمَعيّة الوجوديّة غير المَعيّة الجسميّة بل المَعيّة الذّاتية أيضاً غيرها فلا يلزم منها التّركيب ولا الإمكانية ولا غير ذلك من المَحذُورات فأنّ الوجود في الكلّ واحد والإختلاف بالشدّة والضّعف والنّقص والتّمام والغنىٰ والفقر علىٰ سبيل الكلّي المشّكك كما حقّق في محلّه:

ولنضرب لك في المقام مثلاً توضيحاً للمقال وتبييناً للمُراد لتعرف حقيقة الحال وهو أنّ البَحر مع أمواجه واحد والمداد مع كلّ حرف من هذه الحروف واحد فيقال ماج البحر مثلاً فما هذه المَعيّة غير المَعيّة الوجَودية الذّاتية فهل لك أن تقول أنّ البحر شئ ومَوجه شئ آخر أو أنّ المداد شئ والحروف شئ آخر فهذا بعينه يجري فيما نحن فيه وأيّاك ثُمّ أيّاك أن تظنّ أنّ المراد بالوجُود الّذي هو مع وجود الأشياء هو وجوده الأوّل الحقيقي العينّي المطلق بل المراد به الوجود العامّ الشّامل الّذي نُعبّر عنه أحياناً برحمته الواسعة الّتي وسعت كلّ شئ فالمَعّية والإنبساط والإحاطة أو ما شئت فسَمّه صفة وجوده الثّاني الإضافي الكلّي : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ﴾ (٢) فهو تعالىٰ مع كلّ شئ بهذا الوجود لا بالوجود العيّني الحقيقي المُطلق فأنّه به ليس

١- الحديد - ٤

٢- الفرقان - ٤٥

إلّا هو فتأمل في المقام فأنّه دقيق جدّاً فلذلك صار مزلّة أقدام الفُحول من السّلف والخَلف إلّا شرذمة في الخَواص ولم أرَ من حقّق هذا المقام كما حققّناه فأحفظه فأنّه من الغنائم الّتي لا توجد في غير هذا الكتاب وأيّاك يا أخي أن تُفسّر كلامنا برأيك أن لم تكن أهلاً للخوض في العقليّات وتتهمنا بالكُفر والإلحاد وغير ذلك كما هو شأن أكثر العوام الّذين في لباس العلم والتّقوىٰ بالنّسبة الىٰ الفلاسفة والعرفاء الشّامخين، فأنّ من لا يفهم كلام الخَواص حقّه السّكوت وعدم التّكلم فيه أبداً.

▫ قوله ﷺ: **لاَيَثْلِمُهُ الْعَطَاءُ وَلاَ يَنْقُصُهُ الْحِبَاءُ وَلاَ يَسْتَنْفِدُهُ سَائِلٌ وَلاَ يَسْتَقْصِيهِ نَائِلٌ ...**

أي لا توجب كثرة عطائه ومزيد حبائه خللاً ونقصاً في خزانة وجوده وكرمه ولا يستنفذه أي لا يفني جوده وكرمه سائل وأن بلغ الغاية في طلبه وكذلك لا يستقصيه أي لا يبلغ الغاية في عطائه ونواله فأنّ جوده وعطائه أكثر من هذا وذلك لأنّه تعالىٰ غنّي بالذّات وله ما في السّمٰوات وما في الأرض وما بينهما وهو العزيز الحكيم فما عنده لا ينفد كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ اَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبّي﴾ (١)

و: ﴿ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَما عِنْدَ اللهِ باقٍ﴾ (٢)

و: ﴿إِنَّ هٰذا لَرِزْقُنا ما لَهُ مِنْ نَفادٍ﴾ (٣)

▫ قوله ﷺ: **وَلاَ يَلْوِيهِ شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ وَلاَ يُلْهِيهِ صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ وَلاَ تَحْجُزُهُ هِبَةٌ عَنْ سَلْبٍ ...**

أي ولا يعرفه شخص عن شخصٍ ولا يُلهيه ولا يمنعه صَوت عن صَوت وقيل ولا يشغله صَوت غير صَوت ولا تحجزه هِبة عن سَلب والسّلب محركة الإختلاس وأخذ الثّوب ونحوه والمقصود من هذه الكلمات أنّ اللّه تعالىٰ

١-الكهف ـ١٠٩.
٢-النّحل ـ٩٦.
٣-ص ـ٥٤.

يُجيب الأشخاص ويَسمَع الأصوات في حالةٍ واحدة وليس كالقادرين منّا حيث أنّه اذا تكلّم معه شخص لا يقدر علىٰ التكلّم مع غيره إلّا بعد قطع كلامه الأوّل واذا يَسمَع صَوتاً لا يقدر علىٰ إستماع صَوت الآخر واذا إهتّم بعطيّة زيد يصرفه عن أخذ المال عن عمرو أو أنّ الواحد منّا حال الهَبة يكون رقيقاً فلا يكون يَغضب تلك الحال فأنّ السّلب يستلزم الغَضب غالباً وهو سُبحانه يهب ويسلب في حالٍ واحد ودقيقةٍ واحدة والوَجه في الكلّ تنزهه عن الجسميّة والمادّة ولواحقها:

□ **قوله عليه السلام: وَلاَ يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ وَلاَ تُولِهُهُ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ وَلاَ يُجِنُّهُ الْبُطُونُ ...**

فهو تعالىٰ يغضب ويرحم في حالة واحدة اذ لا يكون منشأ الغَضب فيه غير مَنشأ الرّحمة فلا محالة لا يشغله غَضبه عن رَحمته كما لا تُولهه رحمة أي لا تجعله الرّحمة والهاً مُتَحيراً وفي بعض النّسخ تُولهه بالتّشديد والمآل واحد ولا تجنّه البطُون أي لا تَستره البطُون عن الظّهور فهو عالم بالبطُون كما هو عالم بالظّهور كما لا تقطعه الظّهور عن البطُون حتّىٰ اذا توجّه مثلاًالىٰ الظّاهر لا يكون متوجهاً الىٰ الباطن فأنّه يعلم السّر كما يعلم العَلَن ويعلم الباطن كما يعلم الظّاهر ويمكن أن يكون المراد أنّه تعالىٰ باطن الأشياء وظاهر فيها فلا الأوّل يمنع الثّاني ولا الثّاني يمنع الأوّل مع أنّهما مُتقابلان فهو الظّاهر والباطن بمعنىٰ أنّه باطن في عين ظهوره وظاهر في عين بطونه كما قال السّبزواري في منظومته:

يا من هو اختفىٰ لفرط نُوره ... الظّاهر الباطن في ظهُوره

فالظّهور والبطُون تارةً يكون المراد بهما العلم وتارةً الذّات فكما أنّ علم الواجب يتّعلق بالباطن كتعلّقه بالظّاهر فيعلم ظاهر الأشياء كما يعلم باطنها كذلك ذاته الواجبية ظاهر في الأشياء وباطن لها وفيها فهو في البطُون ظهُور وفي الظّهور بطون غائب عن الحواس وظاهر بالصّفات والآثار:

▫ قوله ﷺ: عَنِ الظُّهُورِ وَلاَ يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبُطُونِ قَرُبَ فَنَأَىٰ وَعَلاَ فَدَنَا وَظَهَرَ فَبَطَنَ وَبَطَنَ فَعَلَنَ وَدَانَ وَلَمْ يُدَنْ لَمْ يَذْرَ الْخَلْقَ بِاحْتِيَالٍ وَلاَ اسْتَعَانَ بِهِمْ لِكَلاَلٍ...

أي أنّ اللّه تعالىٰ قَرُب الىٰ الخلق وهو في قُربه نأىٰ وبَعُد عنهم وعلا في مقام علّوه ومع ذلك فدَنىٰ وقَرُب اليهم وبَطَن وسَتَر عن حواسّهم وفي عين بطُونه عَلَن وظَهَر عليهم بآثاره وصفاته ودان أي جازىٰ وحاسَب الخلق مع أنّه لم يحاسبه أحَدٌ لم يذرء ولم يُوجد الخلق بإحتيالٍ وتفكرٍ ولا إستعان وإستَمد من أحَدٍ في خلقهم بتعبٍ ومشقةٍ وملالٍ، أمّا أنّه تعالىٰ قَرُب فلأنّه علّة وكلّ علّةٍ فهي قريبة الىٰ معلولها ولقوله تعالىٰ في كتابه: ﴿نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (١) وقوله: ﴿وَ نَحْنُ اَقْرَبُ اِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لٰكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ (٢)

وأمّا أنّه تعالىٰ نأىٰ، مثل نعَىٰ أي أعرَض وقال أبو عبيدة أي تباعَدَ والمنأىٰ الموضع البَعيد ومنه النّوىٰ لُحفرة حول الخباء تباعد الماء عنه ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَاِذَا اَنْعَمْنَا عَلَى الْاِنْسَانِ اَعْرَضَ وَنَا بِجَانِبِهٖ﴾ (٣)

أمّا الوجه في قُربه فقد مَرَّ وأمّا الوجه في بُعده عن الخلق فلأنّه واجب الوجود والخلق ممكن الوجود وبين الوجوب والإمكان بعُدٌ كثير أين التّراب وربّ الأرباب فأنّ الواجب غنّي والممكن فقير والواجب علّة غير معلول والممكن معلول والواجب وجوده من نفسه والممكن وجوده من غيره والواجب قديم والممكن حادث وهكذا وهذا هو الوجه في بُعده المَعنوي فالقُرب والبُعد فيه تعالىٰ معنّويان لا حَسّيان لأنّ القُرب والبُعد الحَسيين من لوازم الأجسام وهو تعالىٰ منّزه عنه فهو تعالىٰ قريب للخلق بالآثار بعيداً عنهم بالحقيقة والذّات، أو يقال قريب اليهم بالرّؤية القلبية بعيد عنهم بالرّؤية الحسّية:

١- ق ـ١٦.
٢- الواقعة ـ٨٥.
٣- فصّلت ـ٥١.

وأمّا الوجه في قوله عليه السلام: **عَلا فَدنا**، قال اللّه تعالىٰ: ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّکَ الأعْلَىٰ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ**﴾(١)

و: ﴿**وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ**﴾(٢)

و: ﴿**وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾(٣)

و: ﴿**وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾(٤) وأمّا دنُوه الىٰ الخلق فلمّا مَرَّ من آثاره أو يقال أنّه تعالىٰ علا من الحَواس ودَنىٰ اليهم بالقَلب والبَصيرة وأمّا قوله وظَهَر فبطن وبَطَن فَعَلن، فلقوله: ﴿**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾(٥) فظُهوره علىٰ الخلق بالآثار وبطُونه بالحقيقة والذّات وقوله عليه السلام: **ودَانَ ولم يُدَن**، أي حاسب ولم يُحاسَب فهو أيضاً لا خفاء فيه، قال اللّه تعالىٰ: ﴿**أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ**﴾(٦)

و: ﴿**وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ**﴾(٧)

و: ﴿**فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ**﴾(٨)

و: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ. فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً**﴾(٩) **جزاؤهم** و: ﴿**عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾(١٠) وأمّا أنّ اللّه تعالىٰ لم يُحاسب فهو معلوم وقوله عليه السلام: **لَمْ يَذْرَ الْخَلْقَ بِاحْتِيَالٍ** الىٰ آخر كلامه فهو إشارة الىٰ عدم إحتياجه تعالىٰ الىٰ التّفكر والإستعانة وذلك لأنّ الإحتياج من لوازم الإمكان بل يساوقه وقد مَرّ الكلام فيه في نظائره غير مرّةٍ والوَجه في الكلّ هو أنّ هذه الأُمور إعتبارات من إعتبارات كمالاته وليس بينهما مُغايرة فظُهوره عين بطُونه وبطُونه محض ظهوره وقُربه عين بُعده كما أنّ بُعده عين قُربه وهكذا اذ ليس في الواقع إلّا شئ واحد وهو الوجود والشّئ لا يبعد عن نفسه ولا يقرب اليها بل يكون قُربه وبُعده بالنّسبة الىٰ بعض مظاهره وآثاره واذا كانت إعتبارية

١- الاعلىٰ ـ١ ٢- النّجم ـ٧
٣- البقرة ـ٢٥٥ ٤- الحج ـ٦٢ لقمان ـ٣٠
٥- الحديد ـ٣ ٦- الانعام ـ٦٢
٧- الانبياء ـ٤٧ ٨- الرّعد ـ٤٠
٩- الأنشقاق ـ٨ ١٠- البيّنة ـ٨

فليس لها وجود في الخارج بل نقول ليس لغير الواجب وجود في الخارج حقيقة إلّا على وجه الظلّية والفيئية فكان ولم يكن معه شئ وهو الآن كما كان، ﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذي هَدانا لِهٰذا وَما كُنّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لا اَنْ هَدانَا اللّٰهُ﴾(١).

▫ قوله ﷺ: **أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللّٰهِ بِتَقْوَىٰ اللّٰهِ فَأِنَّهَا الزِّمَامُ وَالْقِوَامُ فَتَمَسَّكُوا بِوَثَائِقِهَا وَاعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا ...**

ثمّ بعد تمجيد الحقّ وتنزيهه عمّا لا يليق به أوصاهم بتقوىٰ اللّه التي خير الزّاد كما هو دأبه ﷺ في أكثر الخُطَب وقال أنّها أي التّقوىٰ الزّمام الّذي يقود للسّعادة المانع له عن الإقتحام في الهَلَكات كما أنّ الزّمام للخيل مانع لها عن إقتحامها فيها وأيضاً أنّها أي التّقوىٰ القَوام بفتح القاف أي عيش يُحييٰ به الأبرار أو بها قَوام الدّين ونظام الشّرع المُبين ثُمّ أمَرهم بالتّمسك بها فقال فتّمسكوا بوثائقها أي وثائق التّقوىٰ أي عريها وحبالها من الطّاعات والقُربات واعتصموا بحقائقها وأُصولها الثّابتة المُوافقة للواقع والمُطابقة لغرض الشّارع:

▫ قوله ﷺ: **تَؤُلْ بِكُمْ اِلَىٰ اَكْنَانِ الدَّعَةِ وَأَوْطَانِ السَّعَةِ وَمَعَاقِلِ الْحِرْزِ وَمَنَازِلِ الْعِزِّ ...**

أي فأنّ التّقوىٰ تؤول بكم وترجعكم وتقودكم الىٰ أكنان الدّعة ومواطن الرّاحة التّي يستكن به خفض العيش وسعته ومعاقل الحِرز أي حصُون الحِفظ عن الآفات في الدّنيا والآخرة ومنازل العِزّ في مقامات الآخرة كما وَعَد اللّه تعالىٰ المُتّقين في كتابه الكريم فقال تعالىٰ: ﴿وَ قُلْ رَبِّ اَنْزِلْني مُنْزَلاً مُبارَكاً وَاَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلينَ﴾(٢)

و : ﴿لٰكِنِ الَّذينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنّاتٌ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدينَ فيها نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ وَما عِنْدَ اللّٰهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرارِ﴾(٣)

و : ﴿وَاِنَّ لِلْمُتَّقينَ لَحُسْنَ مَآبٍ، جَنّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوابُ﴾(٤)

١- الاعراف -٤٣.
٢- المؤمنون -٢٩.
٣- آل عمران -١٩٨.
٤- ص -٥٠/٤٩.

و : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ﴾ (١) وأمثالها من الآيات.

▫ قوله عليه السلام: فِي (يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارِ) وَتُظْلِمُ لَهُ الْأَقْطَارُ وَتُعَطَّلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشَارِ ...

والمراد به يوم القيامة وقوله عليه السلام: تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارِ والشَّخص في الأصل سواد الإنسان القائم المَرئي من بعيد وقد شَخص من بَلده نفذ قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (٢)

و : ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (٣)

وأمّا قوله عليه السلام: وَتُظْلِمُ لَهُ الْأَقْطَارُ فهو إشارة الىٰ ظلمة ذلك اليوم، قال الله تعالىٰ: ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً﴾ (٤)

و : ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (٥)

و : ﴿يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ، وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ (٦)

وفي قوله عليه السلام: وَتُعَطَّلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشَارِ إشارة الىٰ قوله تعالىٰ في سورة التّكوير: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ، وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ، وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ (٧) الآيات وقد مَرّ الكلام في معنىٰ العشار وقلنا أنّ العشار من الإبل النّوق التي أتىٰ عليها من يوم أُرسل الفحل فيها عشرة أشهر فزال عنها اسم المَخاض، والواحدة عشراء وقيل غير ذلك وأمّا الصُروم جمع صِرمة بكسر الصّاد وهي قطعة من الإبل فوق العشرة الىٰ تسعة عشر أو فوق العشرين الىٰ الثلاثين وهكذا وتعطيل جماعات الإبل إهمالها من الرّعي والمراد أنّ يوم القيامة تُهمل فيه نفائس الأموال لإشتغال كلّ شخص بنجاة نفسه أعاذنا الله منه:

▫ قوله عليه السلام: وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَزْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ وَتَبْكَمُ كُلُّ لَهْجَةٍ وَتَذِلُّ الشُّمُّ الشَّوَامِخُ وَالصُّمُّ الرَّوَاسِخُ ...

١- الدّخان ـ ٥٢
٢- ابراهيم ـ ٤٢
٣- الانبياء ـ ٩٧
٤- يونس ـ ٢٧
٥- البقرة ـ ١٧
٦- القيامة ـ ١٠=٦
٧- التّكوير ـ ٦=١

أمّا النّفخ في الصّور فهو أمرٌ قطعي نَصَّ القرآن عليه قال تعالى:﴿وَ نُفِخَ فِى الصُّورِ ذٰلِكَ يَوْمُ الوَعِيدِ﴾ (١) وقال:﴿وَ نُفِخَ فِى الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً﴾ (٢)

وأمّا قوله عليه السلام: فَتَزْهَقُ أي تَموت كلّ مُهجة فهو أيضاً ممّا لا شك فيه قال تعالى:﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِى السَّمٰوٰاتِ وَمَنْ فِى الْأَرْضِ﴾ (٣)

و : ﴿وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِى السَّمٰوٰاتِ وَمَنْ فِى الْأَرْضِ﴾ (٤)

وقوله عليه السلام: وَتَبْكَمُ كُلُّ لَهْجَةٍ الى آخر كلامه فهو أيضاً لا بحث فيه وذلك المَوت يلزم ذلك كلّه ويمكن أن يكون المراد أنّ مَن لم تَزهق نفسه ذلك اليوم فهو أيضاً لا يقدر على التّكلم بل يصير عاجزاً من الخوف والوَحشة أو أنّ النّفخ صيّره كذلك واقعاً لشدّة صَوته وقوله عليه السلام: وَتَذِلُّ الشُّمُّ الشَّوَامِخُ وَالصُّمُّ الرَّوَاسِخُ، إشارة الى عظمة ذلك اليوم أيضاً فأنّ الشُّم بضَم الشّين جمع أشم ومعناه الرّفيع والصُّم بضَم الصّاد جمع أصَم وهو الصَلب المصمت الّذي لا جوف له أو لا تجويف فيه والرّاسخ الثّابت والشّامخ المتسامي في الإرتفاع وحاصله أنّه اذا نفخ في الصُّور لا يبقى من هذه الأمور والأحوال عينٌ ولا أثر كما قال عليه السلام:

□ قوله عليه السلام: فَيَصِرُ صَلْدُهَا سَرَاباً رَقْرَقاً وَمَعْهَدُهَا قَاعاً سَمْلَقاً فَلاَ شَفِيعٌ وَلاَ حَمِيمٌ يَنْفَعُ وَلاَ مَعْذِرَةٌ تَدْفَعُ ...

أي فيَصير ذلك اليوم صَلدها وصلبها سَراباً رَقرَقاً أي كالسّراب المُترقرق المُتحرك ومَعهدها أي منزلها أرضاً خالية مُستوية ليس للجَبَل فيها من أثر فلا يشفع هناك شَفيع ولا حميمٌ يحمي ويدفع البلاء ولا معذرة تَنفع لِلعاذرين بل أنّ النّاس مَجزيّون بأعمالهم أن خيراً فخيراً وأن شَراً فشَراً وحيث انجر الكلام الى هنا فلا بأس بالإشارة الى بعض ما لا بدّ لنا من ذكره تَنبيهاً لِلغافلين وتذكرةً للذّاكرين ونذكره في تنبيهَين التّنبيه الأوّل في الإشارة الى بعض ما ورد في

١-ق-٢٠
٢-الكهف-٩٩
٣-النمل-٨٧
٤-الزمر-٦٨

القيامة من الأخبار مُضافاً الىٰ ما ذكرناه في الباب سابقاً والتّنبيه الثّاني في الشّفاعة وكيفيّتها وما يناسبها:

أمّا الكلام في التنّبيه الأوّل فنقول:

روي في البحار بأسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال لمّا نزلت هذه الآية وجئ يومئذٍ بجهنّم، سُئل عن ذلك رسُول اللّه صلى الله عليه وآله فقال أخبرني الرّوح الأمين أنّ اللّه لا إله إلاّ هو اذا جمع الأوّلين والآخرين أتىٰ بجهنّم تُقاد بألف زمام أخذ بكلّ زمامٍ مِائة ألف ملك من الغلاظ الشّداد لها حدّة وتغيّظ وزفير وأنّها تتزفر الزّفرة فلو لا أنّ اللّه عزّ وجلّ أخّرهم الىٰ الحساب لأهلكت الجمع ثُمّ يخرج منها عُنق يحيط بالخلائق البّار منهم والفاجر فما خلق اللّه عزّ وجلّ عبداً من عباده مَلَكاً ولا نبيّاً إلاّ نادىٰ ربّ نفسي نفسي وأنت يا نبّي اللّه تُنادي أُمّتي أُمّتي ثُمّ يوضع عليها صراط أدَق من حدّ السّيف عليه ثلاث قناطر أمّا واحدة فعليها الأمانة وأمّا الأُخرىٰ فعليها الصّلٰوة وأمّا الأُخرىٰ فعليها عدل ربّ العالمين لا إله غيره فيكّلفون المَمّر عليه فتحبسهم الرّحم والأمانة فأنّ بخوفها حَبستهم الصّلٰوة فأن نجوا منها كان المنتهىٰ الىٰ ربّ العالمين الحديث...

وبأسناده عن الرّضا عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله هل تدرون ما تفسير هذه الآية كلاّ اذا دكّت الأرض دكّاً دكّاً، قال اذا كان يوم القيٰمة تقاد جَهنّم بسبعين ألف زمام بَيد سبعين ألف مَلك فتشّرده شردة لو لا أنّ اللّه تعالىٰ حَبسها لأحرقت السّمٰوات والأرض انتهىٰ «ج ٣ ص ٢٢٦»...

وبأسناده عن الصّادق عليه السلام قال اذا كان يوم القيٰمة جمع اللّه الأوّلين والآخرين في صَعيد واحد فتغشّاهم ظلمة شديدة فيضّجُون الىٰ ربّهم ويقولون يا ربّ إكشف عنّا هذه الظّلمة « الحديث ص ٢١٨»...

ولمّا عاد رسُول اللّه صلى الله عليه وآله من تَبوك الىٰ المدينة قدم اليه عمرو بن معد

يكرب فقال له النّبي ﷺ أسلم يا عمرو يُؤمنك اللّه من الفزع الأكبر قال يا مُحمّد وما الفَزَع الأكبر فأنّي لا أفزع فقال ﷺ يا عمرو أنّه ليس كما تظنّ وتحسب أنّ النّاس يُصاح بهم صيحة واحدة فلا يبقىٰ ميّت إلاّ نشر ولا حيّ إلاّ مات ما شاء اللّه ثُمّ يُصاح بهم صيحة أُخرىٰ فينتشر من مات ويَصفُون جميعاً وتَنشّق السّماء وتهدّ الأرض وتَخرّ الجبال هدّاً وتَرمي النّار بمثل الجدار (الجبال) شرراً فلا يبقىٰ ذو رُوح إلاّ إنخلع قلبه وذكر دينه وشغل بنفسه إلاّ ما شاء اللّه فأين أنت يا عمرو من هذا قال ألا أنّي أسمع أمراً عظيماً فآمن باللّه وبرسُوله وآمن مَن مَعه من قومه ناس ورَجَعوا الىٰ قومهم انتهىٰ)« ص ٢٢١»وسيأتي الكلام في هذا الباب بوجهٍ أَبسَط إنشاء اللّه تعالىٰ.

التّنبيه الثّاني: في الشّفاعة وأنّما تعرّضنا لهذا البحث في هذا المقام لقوله ﷺ فلا شفيعٌ ولا حميمٌ يدفع فأنّ ظاهر هذا الكلام هو عدم الشّفاعة في الآخرة مع أنّ الأخبار من طريق أهل البيت بها مُتظافرة لو لم تكن مُتواترة مُضافاً الىٰ أنّها من معتقداتنا وعليه جمهور المُحقّقين فالبحث فيها وكشف القناع عن إبهامها في محلّه فنقول الشّفاعة بفتح الشّين في الأصل الإنضمام الىٰ آخر ناصراً له وسائلاً عنه وأكثر ما يستعمل في إنضمام من هو أعلىٰ حرمةً ومَرتبةً الىٰ مَن هو أدنىٰ فأنّها من الشّفع وهو ضَم الشّيء الىٰ مثله وبما ذكرناه في معنىٰ الشّفاعة ظهر لك أنّ الشّفاعة المُصطلحة قد أُخذ فيها القيد إستعمالاً أعني به إعتبار كون الشّفيع أعلىٰ حرمةً ومَرتبةً فمنه الشّفاعة في القيامة ألا ترىٰ أنّ الشّافعين فيها أعلىٰ مَرتبةً من غيرهم لكونهم أقرب الىٰ اللّه وهم الأنبياء والأوصياء والصّلحاء والشّهداء وأمثالهم ممّن يكون مُقرّباً عند اللّه اذا عرفت هذا فاعلم أنّ البحث فيها يدور مدار عَدمها مُطلقاً وثبوتها كذلك ووجودها في بعض المراحل وعدمِها في بعضٍ آخر وهو القول بالتّفصيل ونحن نتكلّم فيها بحسب المقامات ثُمّ نقول فيها ما هو الحقّ عندنا فَالبَحث في ثلاث فصول:

١ - الفصل الأوّل:

في الأدلة النافين وعمدة أدلتهم في الباب ظواهر الآيات منها قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (١)
و : ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ (٢)
و : ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ أ
و : ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾ أأ
و : ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ (٣)
و : ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ (٤)
و : ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ (٥)
و : ﴿أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ (٦)
و : ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (٧) فهذه الآيات كما ترى تُنادي بأعلى صوتها بعدم وجود الشّفاعة أو بعدم قبولها وهو ظاهر:

ثُمّ قالوا أنّ العقل أيضاً يحكم بعدمها وذلك لأنّ المُستفاد من الآيات والأخبار أنّ الجزاء موقوف على العَمَل فأنّ النّاس مَجزيّون بأعمالهم أن خيراً فخيراً وأن شراً فشراً: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٨) وعليه فَحُكم العقل ثابت ضرورة أنّ الشّفاعة تنافي مضامين الآيات والأخبار الدّالة على أنّ كلّ مكلّف يُجزى غداً يوم القيمة بما كسبت نفسه وعملت به أعضائه وجوارحه وتَقرير حكم العقل يمكن أن يُوجّه بوجوه:

أحدها: أنّ الشّفاعة لا تُعقل إلّا للعاصين من المكلّفين ضرورة أنّ من لم يَعصي اللّه لا يَحتاج الى الشّفاعة فأنّها في حقّه من تحصيل الحاصل وهو لا معنى له واذا كانت للعاصين فيلزم أن يكون العاصي بعد الشّفاعة مساوياً للمُطيع في دخول الجنّة اذ الشّفاعة تُوجب إغماض اللّه عن عصيان العبد

١- الانعام ـ٥١ | ٢- الانعام ـ٧٠
أ- السّجدة ـ٤ | أأ- الزمر ٤٣
٣- الانعام ـ٩٤ | ٤- البقرة ـ٤٨
٥- البقرة ـ١٢٣ | ٦- البقرة ٢٥٤
٧- الغافر ـ١٨ | ٨- الزلزلة ٧/٨

فكأنّه لَم يعص أصلاً والعَقل يحكم بكون المُطيع أعلىٰ وأشَرف من العاصي فالشّفاعة تُنافي حكم العقل:

وثانيها: أنّ وجود الشّفاعة والإعتقاد بها يُوجب إغترار المكلّف بها وأن لا يعمل في الدّنيا لآخرته برجاء الشّفاعة وأيضاً يُوجب تساهل المُطيع وَوَهنَه في العَمَل وبعبارةٍ أُخرىٰ القول بها يوجب إغترار العاصي وضعف المُطيع وكلاهما خلاف العَقل فالشّفاعة غير معقولة:

وثالثها: أنّها مُخالفة للعدل الثّابت في حَقّ اللّه تعالىٰ وذلك لأنّه تعالىٰ عادل وهو ثابت عقلاً ونقلاً وقد عرفوا العدل بوضع الشّئ في محلّه والظّلم وضعه في غير محلّه وعلىٰ القول بالشّفاعة يلزم وضع العاصي مكان المُطيع وهو وضع الشّئ في غير محلّه الّذي نعبّر عنه بالظّلم وهو تعالىٰ منزّه عنه لكونه من القبائح ولقوله تعالىٰ وما ربّك بظّلامٍ للعبيد وما يلزم منه الظّلم فهو أيضاً ظلمٌ والشّفاعة كذلك .

ورابعها: أنّ الثّواب والعقاب والغفران والعذّاب شأن الخالق بالنّسبة الىٰ عبيده وأمّا شفاعة الشّافع فهي تُنافي إرادته وسَلطَنته وأنّه يفعل ما يشاء ويحكم ما يُريد فهي غير معقولة:

وخامسها: أنّ العاصي بعد شفاعة الشّافع أمّا أن يبقىٰ علىٰ كونه عاصياً ومَع ذلك يدخل الجنّة ولا يدخل النّار وأمّا أن لا يبقىٰ بل يَصير بها صالحاً مُطيعاً فعلىٰ الأوّل يلزم أن لا تكون الجَنّة للمُطيعين والنّار للعاصين وهو خلاف الآيات والأخبار وأمّا علىٰ الثّاني فيلزم قَلب العاصي مُطيعاً وهو أيضاً محال لأنّ الشّئ لا ينقلب الىٰ ضدّه وأن قلت هنا شقّ ثالث وهو كونه مُطيعاً وعاصياً معاً فنَقول هو أيضاً غير معقول ضرورة أنّ الطّاعة والعصيان لا يَجتمعان في شئ واحدٍ نعم كون الإنسان مُطيعاً في شئ أو من جهةٍ وعاصياً في شئ آخر أو من جهةٍ أُخرىٰ لا مانع منه إلّا أنّه خروج عن الفرض فأنّ المفروض أنّ الشّفاعة وقعت مثلاً في حقّ من زنىٰ أو سرق وبعبارةٍ أُخرىٰ وقعت في سرقته

أو شربه لِلخَمر والسّرقة معصية فلا يُعقل أن تكون طاعة وأمّا سائر أعماله الحَسَنة فالمفروض عدم تعلّق الشّفاعة بها ولا كلام لنا فيها وهو ظاهرٌ لا خفاء فيه:

الفصل الثّاني:

في أدلّة المُثبتين وقد تمسّكوا أيضاً بالآيات والأخبار والعقل: أمّا الآيات قوله تعالى:(﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[1]

و: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾[2]

و: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾[3]

و: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾[4]

و: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾[5]

و: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾[6]

و: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾[7]

و: ﴿لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[8] دلت الآيات علىٰ ثبُوتها بأذن اللّه وعَدم ثبوتها بدونه ونحن نقول بها بإذن اللّه فالمُدّعى ثابت نعم الشّفاعة بغير إذن منه تعالىٰ غير ممكن ولا معقول ولا نقول بها كذلك ويمكن الإستدْلال عليها بوجوهٍ من العقل:

أحدها: أنّه لا مانع من إمكانها عقلاً ولَم يدل دليل منه علىٰ إستحالتها وكلّ ما هو ممكن عقلاً ولَم يدّل دليل علىٰ عدم ثبوته ووقُوعه بل دّل علىٰ وقوعه وجوازه فهو معقول وما نحن فيه كذلك واذا كانت الشّفاعة بذاتها مُمكنة جائزة فنَحتاج في وقوعها وثبُوتها الىٰ الدّليل وهو موجودٌ في الكتاب والسّنة.

الفصل الثّالث:

في القول بالتّفصيل بمعنىٰ ثبوتها في بعض الموارد وعَدمه في آخر ودليلهم

١- البقرة ـ٢٥٥ ٢-الانبياء ـ٢٨
٣-الاعراف ـ٥٣ ٤- يونس ـ٣
٥-مريم ـ٨٧ ٦-طه ـ١٠٩
٧-سبأ ـ٢٣ ٨-النجم ـ٢٦

عليه واضح يظهر من تتّبع الآيات والأخبار ألا ترىٰ أنّ اللّه تعالىٰ قيّد شفاعة الشّافعين بصورة الإذن والإرتضاء فقال لا تنفع الشّفاعة إلّا من أذن له الرّحمٰن وهكذا غيرها من الآيات وهو دليل علىٰ ما ذكرناه من التّفصيل فلا يمكن إثباتها في جميع الموارد ولا نفيها كذلك وهو المطلوب:

وأنا أقول: الحقّ أنّ القائلين بثبوتها يقولون به علىٰ وجه التّفصيل ولم أرَ من قال بثبوت الشّفاعة علىٰ الإطلاق فأنّه خلاف ظاهر الآيات والأخبار اذ كيف يجوز لأحدٍ أن يقول أنّ الشّافع يشفع كلّ من أراد وشاء وفي أي موردٍ وشاء من غير أن يأذن اللّه له أليسَ هو سَلب القُدرة عن الخالق وعَدم إختياره في فعله وعَجزه عن تنفيذ حكمه فلا يقول به عاقل فضلاً عن فاضل وعليه فالأمر يدور مقام النّفي مُطلقاً والإثبات مقيداً بالإذن والإرتضاء من اللّه تعالىٰ اذا عرفت هذا فنقول الحقّ أنّ الشّفاعة ممكنة في حدّ ذاتها جائزة عقلاً وثابتة شرعاً أمّا إمكانها فلا كلام فيه اذ كلّما لم يدّل دليل من العقل علىٰ إستحالته فهو ممكن في حدّ ذاته يجوز وجوده عقلاً وما نحن فيه من هذا القبيل وأمّا الّذي تمسّكوا به في إستحالتها فهو في غير محلّه فنقول:

أمّا الجواب عن الآيات فظاهر وذلك لما قد ثبت في عِلم الأُصول من حمل المطلق علىٰ المقيد فيما اذا دار الأمر بين رفع اليَد عن أحدهما وأمّا الأخذ بالمُطلق وترك المقيّد فلم يقل به أحد وما نحن فيه من هذا القبيل فأنّ الآيات الّتي تمسّكوا بها مطلقة في عدم الشّفاعة والآيات الّتي في أدلّة المُثبتين تدّل علىٰ جوازها مقيداً بالإذن والإرتضاء من اللّه تعالىٰ والقاعدة تحكم بحَمل المطلق علىٰ المُقيد فيَصير محصّل الآيات من الطّرفين أنّ الشّفاعة بأذن اللّه تعالىٰ صَحيحة وهو المطلوب وهذا هو الجَمع الصّحيح بين الآيات والأخبار فإستدلال النّافين بالآيات المُطلقة من غير توجهٍ الىٰ غيرها من الآيات المقيدة ساقط عن أصله وخروجٌ عن القاعدة المُتّفقة عليها وعليه فالحقّ في المقام مع المُثبتين لأنّهم يقولون بمُقتضىٰ القاعدة وأمّا الجواب عن أدلّتهم العقلّية:

فالجواب عن الأوّل: وهو قولهم يلزم أن يكون العاصي مُساوياً للمُطيع

والعقل يحكم بكون المُطيع أشَرف نقول، العقل يحكم بكون المُطيع أشَرف وأعَلىٰ مَرتبةً في واقع الأمر وهو ممّا لا خلاف فيه ولأجل ذلك صار المُطيع مُستحقاً لدّخول الجنّة من غير شفاعةٍ والعاصي معها وهذا القدر يكفي في إثبات فضله وشَرفه وكونهما مُساوياً في دخول الجنّة لا يُوجب نفي الفرق بينهما مع وجوده في كيفية الدّخول فيها فأنّ المُطيع دخلها من غير واسطة والعاصي دخلها بهما والفرق واضح والشّرف محفوظ:

وعن الثّاني: وهو أنّ الشّفاعة تُوجب إغترار المكّلف في الدّنيا، فالجواب عنه أنّ الشّفاعة لم تُوجبه بل الّذي أوجبه هو خبث ذاته وسَريرته نعم لو قيل للمكّلف لا تخف من العصيان بل إعمل في الدّنيا ما تشتهي نفسك فأنّا نشفعك يوم القيامة فالحقّ مع المُستدل وأنّىٰ له بإثبات ذلك هذا حَلاً وأمّا نقضاً فنقول قد ثبت أنّ اللّه تعالىٰ غفور رحيم فلقائل أن يقول أنّ هذا يُوجب إغترار المكّلف في الدّنيا فيعصي اللّه برجاء المغفرة والعاقل لا يقول به أصلاً:

وعن الثّالث: وهو كونها تُنافي العَدل، بأنّ العَدل وضع الشّئ في محلّه والظّلم بخلافه وهذا صحيح إلّا أنّ الشّفاعة لا تُنافي العَدل أصلاً اذ الشّفاعة في حقّ العاصي لا تُوجب الظّلم علىٰ المُطيع فهو وَصَل الىٰ ثوابه ولَم ينقص منه شئ وبعبارةٍ أُخرىٰ لا يُوضع العاصي مكان المُطيع والمُطيع مكان العاصي حتّىٰ يلزم الظّلم بل عصىٰ اللّه بواسطة الشّافع عن ذنبه وأين هو من الظّلم والخروج عن العَدل فلو كان ما ذكروه حقّاً يلزم قبح العَفو مع أنّه من أحسن الصّفات عقلاً وشرعاً:

وعن الرّابع: بأنّ الشّفاعة اذا كانت بأذن اللّه فأي مُنافاة بينهما وبين سلطنة الخالق وأنّه يفعل ما يَشاء ويحكم ما يريد فأنّ الشّفاعة بأذنه تعالىٰ تُوجب بحكم قُدرته وأنّه لا يمكن لأحدٍ أن يشفع إلّا بأذنه فهو القاهر القادر فوق عباده وهو اللّطيف الخَبير:

وعن الخامس: انّا نختار بقاء العاصي علىٰ عصيانه بعد الشّفاعة في حدّ ذاته إلّا أنّ اللّه تعالىٰ قد عفىٰ عنه بشفاعة المُقّربين قولكم أنّ العاصي لا يدخل

الجنّة قلنا لا يدخلها قبل العفو وأمّا بعده فكأنّه ليس بعاصٍ ويمكن القول بأنّ العاصي بعد الشّفاعة لا يكون عاصياً كما تقول به في التّوبة وملخّص الكلام أنّ هذه الأدلّة الواهية الّتي لا يمكن أن يتمسك بها لا بقاء لها بل هي أوهن من بيوت العنكبوت فقد ثبت أنّ لا مانع عقلاً من ثبوت الشّفاعة وقد عرفت أنّ الآيات أيضاً قد دلّت على ثبوتها مُضافاً الى أنّ إنكارها يُوجب رفع اليَد عمّا هو في المَذهَب عدّ من الضّروريات بل في الإسلام كذلك بحكم الآيات على ما مَرّ ذكره ونحن نذكر لك شطراً من الأخبار.

منها – ما رواه في البحار عن أنس ابن مالك قال قال رسُول اللّه ﷺ لكلّ نبّي دعوة قد دعىٰ بها وقد سألتم سؤالاً وقد أخبأت دعوتي لشفاعتي لأُمّتي يوم القيامة انتهىٰ...

وبأسناده عن جعفر ابن مُحمّد عن آبائه عن علّي عليه السلام قال قال رسُول اللّه ثلاثة يَشفعُون الىٰ اللّه عزّ وجلّ فيَشفعُون الأنبياء ثُمّ العلماء ثُمّ الشّهداء انتهىٰ...

وقال علّي عليه السلام لنا شفاعة ولأهل مَودّتنا شفاعة انتهىٰ...

وبأسناده قال رسُول اللّه ﷺ من لَم يُؤمن بِحَوضي فلا أُورده حَوضي ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله اللّه شفاعتي ثُمّ قال عليه السلام أنّما شفاعتي لأجل الكبائر من أُمّتي وأمّا المُحسنُون فما عليهم من سَبيل انتهىٰ...

وبأسناده عن سماعة قال سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن شفاعة النّبي يوم القيامة قال عليه السلام يلجم النّاس يوم القيامة العرق ويرهقهم القلق فيقولون إنطلقوا بنا الىٰ آدم يَشفع لنا فيأتون آدم فيقولون إشفع لنا عند ربّك فيقول أنّ لي ذنباً وخطيئة فعليكم بنُوح فيأتون نوحاً فيرّدهم الىٰ من يَليه ويرّدهم كلّ نبّي الىٰ من يَلي حتّىٰ يَنتهُون الىٰ عِيسىٰ عليه السلام فيقول عليكم بمُحمّدٍ ﷺ فيعرضُون أنفسهم عليه ويسألونه فيقول ﷺ إنطلقوا فيَنطلق بهم الىٰ باب الجنّة ويَستقبل باب الرّحمٰن ويخرّ ساجداً فيمكث ما شاء اللّه فيقول اللّه عزّ وجلّ إرفع رأسك وإشفع تُشفع وسَل تُعط وذلك قوله تعالىٰ عسىٰ ربّك أن

يَبعثك مقاماً مَحمُوداً انتهىٰ...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه قال قال رسُول اللّه ﷺ لو قد قُمت المقام المَحمُود لشَفعت في أبي وأُمّي وعمّي وأخٍ كان لي في الجاهلّية انتهىٰ...

وبأسناده عن الصّادق عليه السلام مَن أنكر ثلاثة أشياء فليس منا المِعراج والمَسئلة في القَبر والشّفاعة انتهىٰ...

وبأسناده عن ابن عبّاس قال قال رسُول اللّه ﷺ أُعطِيت خَمساً لم يُعطِها أحد قبلي جُعِلت لي الأرض مَسجداً وطهوراً ونُصِرتُ بالرّعب وأُحِلّ لي المغنم وأُعطِيتُ جامع الكلم وأُعطِيتُ الشّفاعة انتهى...

وبأسناده عن الحسن بن علّي عليه السلام قال قال النّبي ﷺ في جواب نفر من اليهود سألوه عن مسائل وأمّا شفاعتي ففي أصحاب الكبائر ما خلا أهل الشّرك والظّلم انتهىٰ...

وبأسناده عن أبي حمزة قال قال رجل لأبي عبد اللّه أنّ لنا جاراً من الخوارج يقول أنّ مُحمّداً يوم القيامة همّه نفسه فكيف يشفع فقال أبو عبد اللّه ما أحد من الأولين والآخرين إلاّ وهو يَحتاج الىٰ شفاعة مُحمّد ﷺ يوم القيامة انتهىٰ...

وبأسناده عنه عليه السلام قال أبو جعفر عليه السلام أنّ لرسُول اللّه ﷺ شفاعة في أُمّته انتهىٰ...

وبأسناده أنّه قال للنّبي شفاعة في أُمّته ولنا شفاعة في شيعتنا ولِشيعتنا شفاعة في أهل بيتهم انتهىٰ...

عن معاوية ابن عمّار عن أبي عبد اللّه قال قلت من ذا الّذي يشفع عنده إلّا بأذنه قال نحن أُولئك الشّافعون انتهىٰ...

وعن أبي هريرة قال النّبي ﷺ الشّفعاء خَمسة القرآن والرّحم والأمانة ونبّيكم وأهل بيت نبّيكم انتهىٰ...

والأحاديث في الباب كثيرة جداً وفيما ذكرناه كفاية« البحار ج ٣ ص ٢٩٩ الى ص ٢٣٤»...

ومن خطبة له عليه السلام (١٩٥)

▫ قوله عليه السلام: بَعَثَهُ حِينَ لاَ عَلَمٌ قَائِمٌ وَلاَ مَنَارٌ سَاطِعٌ وَلاَ مَنْهَجٌ وَاضِحٌ.

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللّٰهِ بِتَقْوَىٰ اللّٰهِ وَأُحَذِّرُكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا دَارُ شُخُوصٍ وَمَحَلَّةُ تَنْغِيصٍ سَاكِنُهَا ظَاعِنٌ وَقَاطِنُهَا بَائِنٌ تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مَيَدَانَ السَّفِينَةِ تَقْصِفُهَا الْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ الْبِحَارِ فَمِنْهُمُ الْغَرِقُ الْوَبِقُ وَمِنْهُمُ النَّاجِي عَلَىٰ بُطُونِ الأَمْوَاجِ تَحْفِزُهُ الرِّيَاحُ بِأَذْيَالِهَا وَتَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا فَمَا غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرَكٍ وَمَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَىٰ مَهْلَكٍ عِبَادَ اللّٰهِ الآنَ فَاعْلَمُوا وَالأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ وَالأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ وَالأَعْضَاءُ لَدْنَةٌ وَالْمُنْقَلَبُ فَسِيحٌ وَالْمَجَالُ عَرِيضٌ قَبْلَ إِرْهَاقِ الْفَوْتِ وَحُلُولِ الْمَوْتِ فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ وَلاَ تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ.

◁ اللغة

(العَلَم) مُحَرّكة العلامة التّي تنصب في الطّريق لِلإهتداء بها (سَاطِعٌ) سَطَع الشّيَ إرتَفع، (شُخُوصٍ) الشّخُوص الذّهاب والإنتقال الىٰ بعيد (بَائِنٌ) أي مُتبعدٌ مُنفصل (تَقْصِفُهَا) أي تكسرها (الْوَبِقُ) بكسر الباء الهالك (تَحْفِزُهُ) أي تَدفعه (لَدْنَةٌ) اللّدْن بفتح اللاَم اللّين (إِرْهَاقِ الْفَوْتِ) أرهقه الشّيَ أعجلَه.

◁ المعنى

(بَعَثَهُ) أي بَعث الله رسُولة (حِينَ لاَ عَلَمٌ قَائِمٌ) أي في زمانٍ لم يكن فيه عَلامةٌ يُهتدىٰ بها، (وَلاَ مَنَارٌ سَاطِعٌ) أي ولم يكن في ذلك الزّمان منار ساطع أي مرتفع ليقتبس منه (وَلاَ مَنْهَجٌ) وطريق (وَاضِحٌ) جلّي (أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللّٰهِ بِتَقْوَىٰ اللّٰهِ) التي هي خير الزّاد (وَأُحَذِّرُكُمْ) وأُخوفكم الدّنيا (الدُّنْيَا فَإِنَّهَا دَارُ شُخُوصٍ) وإنتقال فلا تبقىٰ علىٰ حالها (وَمَحَلَّةُ تَنْغِيصٍ) وتكدير لتَكدر عيشها بالألام والأسقام (سَاكِنُهَا) ساكن الدّنيا (ظَاعِنٌ) مُرتحل (وَقَاطِنُهَا بَائِنٌ) أي منفصل مفترق (تَمِيدُ) وَتميل، (بِأَهْلِهَا مَيَدَانَ السَّفِينَةِ) في كونها محلاً للحوادث والبَليات (تَقْصِفُهَا) وتكسرها (الْعَوَاصِفُ) والرّياح (فِي لُجَجِ الْبِحَارِ فَمِنْهُمْ) أي من أهل الدّنيا (الْغَرِقُ الْوَبِقُ) الهالك في غمار البحر(وَمِنْهُمُ النَّاجِي) عن خَطراتها وآفاتها (عَلَىٰ بُطُونِ الأَمْوَاجِ) المُتلاطمة (تَحْفِزُهُ) وتدفعه (الرِّيَاحُ بِأَذْيَالِهَا) من جَنبٍ الىٰ جنبٍ (وَتَحْمِلُهُ عَلَىٰ أَهْوَالِهَا) وتسوقه من رَفعٍ الىٰ خَفضٍ (فَمَا غُرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرَكٍ) أي ما غرق من السّفينة أي أهلها (وَمَا نَجَا مِنْهَا) من السّفينة (فَإِلَىٰ مَهْلَكٍ) دَعوت (عِبَادَ اللّٰهِ الآنَ) في الدّنيا (فَاعْلَمُوا وَالأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ) قادرة علىٰ التّكلم (وَالأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ) غير مَريضة (وَالأَعْضَاءُ لَدْنَةٌ) أي لَينة (وَالْمُنْقَلَبُ فَسِيحٌ) أي محلّ الإنقلاب والتّعرف وسيع (وَالْمَجَالُ عَرِيضٌ) لإمكان تدارك الذّنوب فيها (قَبْلَ إِرْهَاقِ الْفَوْتِ) بقدوم المَوت وحلوله (فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ) أي لا تستبطئوا نزول المَوت فأنّه قريب (وَلاَ تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ) ولا تَسوفوه بل إستَعدوا له:

◁ الشّرح

▫ قوله ﷺ: بَعَثَهُ حِينَ لاَ عَلَمٌ قَائِمٌ وَلاَ مَنَارٌ سَاطِعٌ وَلاَ مَنْهَجٌ وَاضِحٌ ...

أي بَعث الله نبّيه ﷺ في زمانٍ لم يكن فيه علامات الهداية والإرشاد قائمة

ولا منار العلم المُوجب لِلخلاص عن الوَرَطات والمَهالك ساطعٌ مرتفعٌ ولا الطّرق الجليّة الىٰ المعارف والكمالات موجودة والمقصُود من هذه الكلمات الإشارة الىٰ زمان البعثة وعهد الجاهلّية وأنّه لم يكن فيه ما يقتدي به في طريق الهُدىٰ من العِلم والكمالات والطُريق الواضحات الجلّيات بل النّاس كانوا في عهد الجاهلّية مُنغمرين في الضّلالة والغـوايـة مُتّصفين بـالأوصاف الرّذيـلة الخبيثة من القتل والسّرقة والكذب وغير ذلك وقد مَرَّ الكلام فيه في المُجَلد الأوّل مفّصلاً:

▫ قوله عليه السلام: **أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللّٰهِ بِتَقْوَىٰ اللّٰهِ وَأُحَذِّرُكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا دَارُ شُخُوصٍ وَمَحَلَّةُ تَنْغِيصٍ ...**

ثُمّ أوصاهم بالتّقوىٰ التّي هي خير الزّاد ليوم المعاد وحَذَّرهم الدّنيا الدّنية لأنّها أي الدّنيا ليست بدار قرارٍ بل دار شخُوصٍ أي ذهابٍ وإنتقال وأيضاً محلّة تنغيصٍ في العيش فلا يَتم مراد من إعتَمد عليها ولا يكمل عيش من ركن اليها كلّ ذلك لعَدم ثباتها وقرارها علىٰ حالها:

▫ قوله عليه السلام: **سَاكِنُهَا ظَاعِنٌ وَقَاطِنُهَا بَائِنٌ تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مَيَدَانَ السَّفِينَةِ تَقْصِفُهَا الْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ الْبِحَارِ...**

بعد ما حَذَّر النّاس عن الدّنيا قال عليه السلام ساكنها ظاعن أي كيف يُعتمد عليها والحال أنّ من يسكن فيها ظاعن مُرتحل منها لا محالة والمُقيم بها بائن مُنفصل عنها قطعاً كما قيل:

أنّــما الدّنــيا كــظلٍ زائــلٍ　　　أو كضيفٍ باتَ فيها وإرتَحل

ثُمّ شبّه عليه السلام الدّنيا بالسّفينة وأهلها بالجالس عليها والسّفينة تجري في البحار تَقصفها وتَكسرها العواصف والرّياح في لُجج البحار فصارت مُنكسرة مُتلاشية والجالسين عليها بعد تلاشيها وقَعوا بين الغَرق والنّجاة والحياة والهلاك كما أشار عليه السلام بقوله:

▫ قوله عليه السلام: **فَمِنْهُمْ الْغَرِقُ الْوَبِقُ وَمِنْهُمْ النَّاجِي عَلَىٰ بُطُونِ الْأَمْوَاجِ تَحْفِزُهُ**

الرِّيَاحُ بِأَذْيَالِهَا وَتَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا ...

أي منهم من هَلك عند تَكسر السَّفينة ومنهم من بقيت فيه الحياة فَخلص محمولاً على بطُون الأمواج كأنّ الأمواج في إنتفاحها كالحيوان المُنقلب على ظهره وبطنه تحفزه وتَدفعه الرِّياح وتحمله ومصير هذا النَّاجي أيضاً الى الهلاك والفناء.

▫ قوله ﷺ: **فَمَا غرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرَكٍ وَمَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَى مَهْلَكٍ ...**

أي فما غَرق منها في السَّفينة أو في الدّنيا فلا يمكن له إستدراك ما فَلَت منه في الغفلة وما نجا منها فهو أيضاً مَصيره الىٰ الهلاك والفناء حاصل الكلام أنّه شبّه الدّنيا بالسّفينة الّتي تجري في البحر ثُمّ إنكسرت وأهل الدّنيا بالجالسين في السّفينة والحوادث والآفات في الدّنيا بالرّياح والعواصف فكما أنّ السّفينة بعد إنكسارها وتلاشيها يكون أمَر ساكنيها بين الغَرق والنّجاة فَمن غَرق لا يمكن له إستدراك ما مضي وفات منه فأنّ ما مضي مضىٰ ومن نجىٰ من الغرق أيضاً يَصير الىٰ الهَلاك فكذلك الدّنيا وأهلها بالنّسبة الىٰ الحوادث الواقعة فيها التّي كالرّياح العواصف بالنّسبة الىٰ السّفينة فمن غَرق منها في الدّنيا غرق ولا يقدر علىٰ إستدراك ما فات منه ومن نجىٰ منها فهو أيضاً يَصير الىٰ الهَلاك بعد طَول العناء وما كان هذا شأنه فكيف يُعتمد عليه ولأجل هذا قال اللّه تعالىٰ في الدّنيا: **﴿وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا اِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْاٰخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِيْنَ يَتَّقُوْنَ اَفَلَا تَعْقِلُوْنَ﴾**(١)

و: **﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَّالْاٰخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقٰى وَلَا تُظْلَمُوْنَ فَتِيلاً﴾**(٢) وغيرها من الآيات وقد مضىٰ الكلام في ذَمّ الدّنيا وحقيقتها وما ورَد فيها من الآيات والأخبار ولنعم ما قيل فيها:

ما أحسن الدّنيا ولكنّها ... مع حُسنها غدّارة نافية

ولآخر:

يا واقفين ألَم تكونوا تَعلموا ... أنّ الحمام بكمُ علينا قادمُ

١- الانعام ـ ٣٢

٢- النّساء ـ ٧٧

لو تَـــنزلُون بشَـــعبنا لَـعَرفتُم	أنّ المُـفَرط فـي التَـزّوُد نـادمُ
لا تَســـتعِزُّوا بـالحياة فأنكُـم	تَـبنُون والمَـوت المُفرِق هـادمُ
مساوي الرّدىٰ ما بيننا في حُفرةٍ	حيث المـخّدم واحـد والخـادم

ولآخر:

أَلَيس إلىٰ ذا صـارَ آخـر أمـرنا	فلا كانت الدّنيا القليل سرُورها
فلا تَعجبي يا نـفس مِمّا تَـرينه	فكلّ أُمور النّاس هـذا مَـصيرُها

ثُمّ نقول لك، أين آدم أبو البشر أين الأوّلون والآخرون أيـنَ نـوح شـيخ المُرسلين أينَ إدريس رفيع ربّ العالمين أينَ إبراهيم خـليل الرّحـمٰن أيـنَ مُوسىٰ الكَليم وأينَ عِيسىٰ روح اللّه ثُمّ أينَ مُحمّد خاتم النـبيّين أيـنَ الأُمـم الماضية وأينَ الملُوك السّالفة أين القرون الخالية أيـن الّـذين نُـصبت عـلىٰ رؤسهم التّيجان أين الّذين قهروا الأبطال والشّجعان أيـن الّـذين دانت لهـم المشارق والمَغارب أينَ الّذين تمتّعوا باللّذات والمشارب أينَ الّذين تـاهوا علىٰ الخلائق كِبراً وَعتيّاً أينَ الّذين اغتّروا بالأجناد أينَ الّذين فرشوا القصُور حريراً أفناهم اللّه مُفني الأُمم وأبادهم مُبيد الرّمم وأخرجهم من سِعة القصُور الىٰ ضيق القبُور تحت الجنادل والصّخُور فأصبحوا لا يرىٰ إلّا مساكـنهم لَـم ينفعهم ما جمعوا ولا غنىٰ عنهم ما اكتسبوا أسلَمهم الأحْباء والأولياء وهجرهـم الأخوان والأصفياء ونَسيهم الأقرباء والبُعداء لو نطقُوا لأنشدوا:

مـقيمٌ بـالحُجُون رهينُ رَمسٍ	وأهـــلي راحـــلُون بكـلّ وادٍ
كأنّـي لَـم أكُـن لهُـم حَـبيباً	ولا كـانوا الأحـبّة فـي السّواد
فـعرجـوا بـالسّلام فأن أبيتم	فأمّـوا بـالسّلام عـلىٰ العـباد

وقالوا لا فخر فيما يزول ولا غنىٰ فيما لا يبقىٰ وهل الدّنيا إلّا كما قال بعض الحكماء المُتَقدمين، قِدرٌ يغلىٰ وكَنيفٌ يملىٰ وفي هذا المعنىٰ قال الشّاعر:

ولقد سَألتُ الدّار عن أخبارهم	فَـتَبَسمت عـجباً ولَـم تـبدي
حتّىٰ مَرّرت علىٰ الكَنيف فقال لي	أمـوالهـم ونـوالهـم عـندي

□ **قوله ﷺ: عِبَادَ اللَّهِ الْآنَ فَاعْلَمُوا وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ وَالْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ وَالْأَعْضَاءُ لَدْنَةٌ...**

أي إغتنموا الفرصَة في حياتكم فأعلموا لآخرتكم والحال أنّ ألسنتكم مُطلقة قادرة على التكَلم قبل أن لا تقدرون عليه وأبدانكم صَحيحة قبل أن كانت سقيمة مريضة والأعضاء منكم لَدنة لِينَة يمكن إستعمالها في العمل قبل أن كانت مُنفصلة مُتلاشية في القبُور بالمَوت وفيه إشارة الى ما قاله الرّسُول ﷺ **إغتنم خَمساً قبل خَمسٍ حياتك قبل مَوتك وصحّتك قبل سُقمك وغناك قبل فقرك وشبابك قبل هَرمك وعزّك قبل ذُلّك** والحاصل أنّ المؤمن ينبغي أن يكون على يقظةٍ في حياته لئلا تفوت منه الفرصة فأنّ الفُرَص تَمرّ مَرّ السّحاب:

□ **قوله ﷺ: وَالْمُنْقَلَبُ فَسِيحٌ وَالْمَجَالُ عَرِيضٌ قَبْلَ إِرْهَاقِ الْفَوْتِ وَحُلُولِ الْمَوْتِ ...**

والمنقَلَب بفتح اللاّم والمراد به الإنقلاب من الضَلال الى الهُدىٰ في هذه الحياة الدّنيا وُفسحَته وسعته والغَرض أنّ هذا الإنقلاب ممكن لكم في الدّنيا فلا تَغفلوا عنه والمجال لكُم عريض لإمكان تدارك الذّنوب لكم بالتّوبة قبل إرهاق الفَوت أي قبل أن لا تقدروا عليها وتَقعُوا في الضَّنك والضَيق بحلول الأجل:

□ **قوله ﷺ: فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ وَلاَ تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ ...**

أي فحَقِقوا علىٰ أنفسكم نزول المَوت بالتّهيُؤِ له ولا تنتظروا قدومه أي قدوم المَوت، وبعبارةٍ أُخرىٰ استَعدوا له بالأعمال الصّالحة حتّىٰ يكون المَوت لكُم راحة وإلاّ فأيّ خيرٍ فيه فأنّ المَوت يقطع الحياة وبه تَزول الفُرصة ويجئ النّدم علىٰ ما فات منه فيقول: (**ربّ إرجعون لعلّي أعمَل صالحاً فيما تَركت**) فيقال في جوابه: **كلاّ أنّها كلمةٌ هو قائلها**.

تُسير الىٰ الأجال في كلّ ساعةٍ ... فأيّامنا نطوي وهُنّ مَراحل

ولَم أرَ مثل المَوت حتّىٰ كأنّه ... اذا ما تَخطّته الأماني باطل

وما أقبح التّفريط في زَمن الصّبا فكيف به والشّيب في الرأس شاعل
تَرَحل عن الدّنيا بزادٍ من التّقىٰ فعُمُرك أيّام تُعدّ قلائل

قال عبد اللّه بن المُعلم خرجنا من المدينة حاجّاً فاذا أنا برَجلٍ من بني العبّاس بن عبد المُطّلب قد رفض الدّنيا وأقبل علىٰ الآخرة فجَمَعتني وإيّاه الطّريق فأَنستُ به وقلت له هل لك أن تعادلني فأنّ معي فضلاً عن راحلتي فجزاني خيراً وقال لو أردت هذا لكان سهلاً ثُمّ أنَسَ الي فجعل يُحدّثني فقال أنا رجل من ولد العبّاس كنت أسكن البَصرة وكنتُ ذا كبرٍ شديد ونعمة طائلة ومالٍ كثير وبذخ زائد فأمرت يوماً خادماً لي أن يحشو لي فراشاً من حَرير ومَخّدةً بوُردٍ نثير فَفعل فأنّي لقائم ثُمّ اذا بقَمع وردةٍ قد نسيه الخادم فقمت اليه فأوجعته ضرباً ثُمّ عُدت الىٰ مَضجعي بعد إخراج القَمع من المَخَدة فأتاني آتٍ في منامي في صُورةٍ فَظيعةٍ فهَزني وقال أفِق من غَشيتك وإنتبه من رقدتك ثُمّ أنشأ يقول:

يا خل أنّك أن توسّد ليّناً وَسّدت بعد اليوم صَم الجندل
فأمهد لِنفسك صالحاً تَسعد به فَلتَندمنّ غداً اذا لَم تَفعل

فأنتبهتُ مَرعوباً وخرجت من ساعتي هارباً الىٰ ربّي كما تراني ثُمّ قال:

من كان يعلم أنّ المَوت يدركه والقَبر سَكنه والبَعث يخرجه
وأنّه بين جنّاتٍ مُزخرفةٍ يوم القيامة أو نارٍ مستَنضجة
فكلّ شيٍ سوىٰ التّقوىٰ به سمج ومَن أقام عليه منه أَسمَجه
ترىٰ الّذي اتّخذ الدّنيا له وطناً لم يدر أنّ المنايا سوف تزعجه

وقال وهب بن منبه أصبت علىٰ قصر غمدان وهو قصر سيف بن ذي يزن بأرض صنعاء اليمن وكان من المُلوك الأجلّة مكتوباً بالقلم المسندي فترجم بالعربي فأذا هي أبيات جليلة وموعظة عظيمة جميلة وهي:

باتوا علىٰ قلل الأجبال تَحرُسهم قُلب الرّجال فلم تنفعهم القُلل
واستنزلوا بعد عِزٍّ عن مَعاقلهم فأسكِنُوا حُفَرة يابئسَ ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما دُفنوا أين الأسّرة والتّيجان والحَلَل

أين الوجُوه التّي كانت مُنَعّمةً وكان من دونها الأستار والكُلل
فأفصَح القبر عنهم فهي سائلهم تلك الوجوه عليها الدُود تُنتقل
قد طال ما أكلوا دهراً وما شربُوا فأصبحُوا بعد ذاك الأكل قد أُكِلوا

ولآخر:

أتَبني بناء الخالدين وأنّما بقائك فيها أن عقلت قليل
لقدكان في ظلّ الأراك كفاية لمن كان يومُ يَقتضيه رحيل

وقال عِيسىٰ ﷺ أوحىٰ اللّه الىٰ الدّنيا من خَدمني فأخدميه ومن خدَمك فإستخدميه يا دنيا مُرّي علىٰض أوليائي ولا تُحلّي فَتُفتنيهم، وقال بعض الحلماء الدّنيا كالماء المالح كلَما إزداد صاحبها شرباً إزداد عطشاً أو كالكأس من عسلٍ وفي أسفله سَمّ فَلِلذائق منه حلاوة عاجلة وفي أسفله المَوت أو كحلم النّائم يفرح في منامه فاذا إستيقظ زال فَرحه أو كالبرق يضيئ قليلاً ثُمّ يذهب ولنعم ما قيل:

ومَن يأمن الدّنيا يكن مثل قابضٍ علىٰ الماء خانته فروج الأصابع

وروي أنّ عليّاً ﷺ لمّا رَجع من صِفّين ودخل أوائل الكوفة رأىٰ قبراً فقال: قبر من هذا فقالوا قبر خباب بن الأرت فوقف عليه ثُمّ قال رَحم اللّه خباباً أسلم راغباً وهاجر طائعاً وعاش مجاهداً وأُبتلي في جسمه آخراً ألا وأنّ اللّه لا يُضيع أجر من أحسَن عَملاً ثُمّ مشىٰ فاذا هو بقبورٍ فجاء حتّىٰ وقف عليها وقال السّلام عليكم ياأهل الدّيار المُوحشة والمحال المُقفرة أنتم لنا سَلف ونحن لكم تَبَع وبكم عمّا قليل لاحقُون اللّهم إغفر لنا ولهم وتجاوز عنّا وعنهم طوبىٰ لِمَن ذكر المعاد وعَمل ليوم الحساب وقنع بالكفاف ثُمّ قال ﷺ ياأهل القبُور أمّا الأزواج فقد نكحت وأمّا الدّيار فقد سكنت وأمّا الأموال فقد قُسمت وهذا ما عندنا فما عندكم ثُمّ إلتفت الىٰ أصحابه وقال أما أنّهم لو تكلّموا لقالوا وجدنا خير الزّاد التّقوىٰ قال الشّاعر:

وما النّاس إلّا هالك وابن هالك وذو نَسبٍ في الهالكين غريق
اذا إمتحن الدّنيا لبيب تكشّفت له عن عدّوٍ في ثياب صديقٍ

ومن كلام له عليه السلام (١٩٦)

◻ قوله عليه السلام: وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفِظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله أَنِّي لَمْ أَرُدَّ عَلَى اللهِ وَلاَ عَلَىٰ رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَاالأَبْطَالُ وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا الأَقْدَامُ نَجْدَةٍ أَكْرَمَنِي اللّٰهُ بِهَا .

وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَىٰ صَدْرِي وَلَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ فِي كَفِّي فَأَمْرَرْتُهَا عَلَىٰ وَجْهِي وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ صلى الله عليه وآله وَالْمَلاَئِكَةُ أَعْوَانِي فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالأَفْنِيَةُ مَلأٌ يَهْبِطُ وَمَلأٌ يَعْرُجُ وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ مِنْهُمْ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ وَارَيْنَاهُ فِي ضَرِيحِهِ فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيّاً وَمَيِّتاً فَانْفُذُوا عَلَىٰ بَصَائِرِكُمْ وَلْتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ فَوَالَّذِي لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ إِنِّي لَعَلَىٰ جَادَّةِ الْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَعَلَىٰ مَزَلَّةِ الْبَاطِلِ أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ لِي وَلَكُمْ .

◁ اللّغة

(تَنْكُصُ) نكص عن الشّيْ نكوصاً أي أحجَم عنه (الأَبْطَالُ) جمع بَطَل وهو الشّجاع (نَجدةً) النّجدة بفتح النّون البأس والشّدة (الأَفْنِيَةُ) جمع فناء بكسر الفاء ما اتّسع أمام الدّار (هُنيمة) بضم الهاء وفتح النّون الصّوت الخَفي (البصائر) جمع بَصيرة وهي ضياء العقل:

◁ المعنىٰ

(وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفِظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ) أعني بهم خيار الصَحابة المَطّلعُون علىٰ الأسرار (أَنِّي لَمْ أَرُدَّ عَلَى اللّٰهِ وَلاَ عَلَىٰ رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ) بل كُنتُ مُطيعاً لِللّه ولِرسُوله (وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ) أي واسَيتُ الرَسُول (بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِيَ تَنْكُصُ فِيهَاالأَبْطَالُ) وهيِ الحروب التي كانوا يفَرون منها (وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا الأَقْدَامُ) لعدم قُدرتهم علىٰ التَقدم فيها (نَجْدَةٍ وشجاعةً (أَكْرَمَنِي اللّٰهُ بِهَا) فَلِلّه المِنَة عَلَي (وَلَقَدْ قُبِضَ) ومات (رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ وَإِنَّ رَأْسَهُ) أي والحال أنَ رأسه ﷺ (لَعَلَىٰ صَدْرِي) أي كان رأسه حين الوفاة علىٰ صَدري (وَلَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ) نفس الرَسُول (فِي كَفِّي فَأَمْرَرْتُهَا عَلَىٰ وَجْهِي) تيمناً وتبَركاً به (وَلَقَدْ وُلِّيتُ) وباشرت (غُسْلَهُ ﷺ وَالْمَلاَئِكَةُ أَعْوَانِي) وأنصاري بأمرِ من اللّه (فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالأَفْنِيَةُ) من مَوته ﷺ (مَلأٌ يَهْبِطُ) الىٰ الأرض (وَمَلأٌ يَعْرُجُ) الىٰ السَماء (وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ) وصَوتٌ خفَي (مِنْهُمْ) من الملائكة (يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ وَارَيْنَاهُ فِي ضَرِيحِهِ) وقبره واذا كان كذلك (فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ) بالرَسُول (مِنِّي حَيّاً وَمَيِّتاً) أي في حياته وبعد وفاته (فَانْفُذُوا عَلَىٰ بَصَائِرِكُمْ) وكونوا علىٰ بَصيرةٍ في دينكم (وَلْتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ) أي ولِتَكُن نيّاتكم صادقة صحيحة (فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ) لا مُضطربة مُتزلزلة (فَوَالَّذِي لاَ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ) أي أُقسِم بِاللّه (أَنِّي لَعَلَىٰ جَادَّةِ الْحَقِّ) دون الباطل (وَإِنَّهُمْ) أي أعدائي (لَعَلَىٰ مَزَلَّةِ الْبَاطِلِ أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ لِي وَلَكُمْ:

◁ الشَرح

▫ قوله ﵇: وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفِظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنِّي لَمْ أَرُدَّ عَلَى اللّٰهِ وَلاَ عَلَىٰ رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ ...

المُستَحفَظُون بفتح الفاء اسم مفعول من استَحفَظ والمراد بهم في المقام

خيار أصحاب الرّسُول ﷺ الّذين حَفَظوا وَوَعَوا ما أَخَذوا عنه من القول والفعل وقيل الّذين أودعهم النّبي ﷺ أمانة سّره والمقصود أنّهم قد عَلموا أنّي لَم أَرُد علىٰ اللّه ولا علىٰ رسُوله ساعة قطّ بل كنتُ مُطيعاً لما قال النّبي ﷺ عن اللّه تعالىٰ لعلمي بأنّ الرّد علىٰ اللّه وعلىٰ رسُوله في حدّ الكفر وفيما ذكره عليه السلام إشارة تلويحاً الىٰ قوّة إيمانه وصلابة إعتقاده وأنّه لَم يكفر باللّه وبرسُوله طَرفة عَينٍ ولَم يَدّع هذا الإدّعاء أَحَدٌ من أصحاب الرّسُول ﷺ غيره فيما نَعلم:

▫ قوله عليه السلام: **وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَاالْأَبْطَالُ وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا الْأَقْدَامُ نَجْدَةٍ أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا...**

المُواساة المُشاركة وفي الحديث مُواساة الأخوان أي مشاركتهم ومُساهمتهم في الرّزق والمَعاش، وهي تارة في الأموال وأُخرىٰ في النّفوس فعلىٰ الأوّل معناها مشاركة الغير في المال وعلىٰ الثّاني مُشاركته في النّفس وحيث أنّ النّفس أعزّ لِلإنسان من ماله فلا محالة تكون المُواساة فيها أفضل وأشرف فقوله عليه السلام: **وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي** إشارة الىٰ أفضل المَصاديق فيها وهو المُواساة بالنّفس.

والمعنىٰ أشركتُ النّبي ﷺ في نفسي فنفسي لَم تكن مختّصة بي بل كانت مشتركة بيني وبين الرّسُول ﷺ واذا كان الأمر علىٰ هذا المنوال فدفاعي عنه ﷺ كدفاعي عن نفسي وهذا أعلىٰ مَراتب المُواساة والمُواخاة بحيث لا مَرتبة فوقها وقوله عليه السلام: **فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَاالْأَبْطَالُ** الىٰ آخر كلامه إشارة الىٰ أنّ مُواساتي له ﷺ لم تكن في موردٍ واحدٍ بل في مواطن كثيرة التّي تَرجع فيها الأبطال الىٰ أعقابهم وقوله عليه السلام: **نَجدةً** الخ النّجدة بفتح النّون الشّجاعة ونصبها في المَقام علىٰ المصدرية لفعلٍ محذوف وحاصل المعنىٰ أنّ هذه النّجدة والشّجاعة ممّا أَكرمني اللّه تعالىٰ بها بلُطفه وكرمه ولنُشر الىٰ بعض المواطن التّي تحقّقت المُواساة فيها:

فمنها مُواساته عليه السلام رسُول اللّه ﷺ ليلة المَبيت وبذل مُهجته دونه قال ابن

عبّاس لما إنطلق النّبي الىٰ الغار أقام عليّاً في مكانه وألبسه بُرده فجاءت قُريش تريد أن يقتل رسُول اللّه ﷺ فجعلُوا يريدون عليّاً وهم يرون أنّه النّبي فجعل يتضور فلّما نظروا اذا هو عليّ عليه السلام وقصّة المَبيت مشهُورة بين العامّة الخاصّة لَم يخالف فيها أحدٌ وقد اتّفقوا علىٰ أنّ قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ﴾[1] الآية نزلت في حقّه عليه السلام حين بات علىٰ فراش رسُول اللّه وعن ابن عبّاس والسّدي ومعبد أنّها نزلت في علّي بين مكّة والمدينة لمّا بات علىٰ فراشه ﷺ وعن فضائل الصّحابة عن عبد الملك العكبري وعن أبي المظّفر السّمعاني عن علّي ابن الحسين قال: أوّل من شري نفسه علّي ابن أبي طالب كان المُشركون يطلبُون رسُول اللّه فقام من فراشه وإنطلق هو وأبو بكر وإضطجع علّي علىٰ فراش رسُول اللّه فجاء المُشركون فوجدوا عليّاً ولم يجدوا رسُول اللّه ﷺ.

وعن الثّعلبي في تفسيره وابن عقب في ملحمته وأبو السّعادات في فضائل العشرة والغزالي في الأحياء وفي كيميا السّعادة أيضاً برواياتهم عن أبي اليقظان وجماعة من أصحابنا ومن ينتمي الينا نحو ابن بابويه وابن شاذان والكليني والطّوسي وابن عقدة والبرقي وابن فياض والعبدلي والصّفواني والثّقفي بأساتيذهم عن ابن عبّاس وأبي رافع وهند ابن هالة أنّه قال رسُول اللّه ﷺ أوحىٰ اللّه الىٰ جبرئيل وميكائيل أنّي آخيتُ بينكما وجعلت عُمر أحدكما أطول من عُمر صاحبه فأيّكما يؤثر أخاه فكلاهما كرها المَوت فأوحىٰ اللّه اليهما ألا كنتما مثل ولّيي علّي ابن أبي طالب آخيتُ بينه وبين مُحمّد نبّيي فآثره بالحياة علىٰ نفسه ثُمّ ظلّ أورقه علىٰ فراشه يقيه بمُهجته إهبطا الىٰ الأرض جميعاً فأحفظاه من عدّوه فَهَبط جبرئيل فجلس عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجعل جبرئيل يقول بَخٍ بَخٍ مَن مثلك يابن أبي طالب واللّه يباهي بك الملائكة فأنزل اللّه: ﴿يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ﴾[2] ولنعم ما قيل:

١- البقرة. ٢٠٧

٢- البقرة. ٢٠٧

يـــجُود بـالنّفس اذ ضـنّ الجـواد بـها
والجُـود بـالنّفس أقـصىٰ غـاية الجُود

ولآخر:

باهىٰ به الرّحمٰن أمـلاك العُـلىٰ — لمّا انثنَىٰ من فرش أحمد يَهجُع
يــاجبرئيل ومـيكائيل فأنَـنّي — آخَـيتُ بينَكما وفَضلي أوسَع
أَفأن بدا في واحـدٍ أمـري فَمَن — يفدي أخـاه مـن المَـنُون ويقنع
فـــتّوثقا كـــلّ يَـضُن بـنفسه — قـال الإلٰـه أنـا الأعـزّ الأرفـع
أنّ الوصــي فَـدىٰ أخـاه بـنفسه — ولِـفعله زُلفـىٰ لَـدّي ومَـوضع
فَـلتَهبطا ولتـمنعا مَـن رامـه — أم مَـــن له بـمكيده يـتّسرع

الأشــــعار فـــي قـصّة المَـبيت قـــال خـــطيب خـــوارزم:

عـلّيٌ فـي مِـهاد المَـوت جـار — وأحـمد مُكـتسٍ غـار إغـتراب
يـــقول الرّوح بَـخٌ بَـخٌ يـاعلّي — فـقد عَـرَضّت رُوحك لإنـتهاب

ولآخر:

ولَيلَته في الفرش اذ صـمدت له — عصايب لأنالوا عليه إنـهجامها
فـلَمّا تَـراؤوا ذا الفـقار بكَّـفه — أطار بها خوف الرّدىٰ وأهـامها
وكم كُربة عنوجه أحمد لميزل — يُفرّجها قـدماً وينفي إهـتمامها

قال الزّاهى:

بـات عـلىٰ فـرش النّبي آمِـناً — والـلّيل قد طـافت بـه أحـراسـه
حـتّىٰ اذا مـا هَـجم القـوم عـلىٰ — مُـــستيقظٍ يَــــنضلّه أشـماسه

وقال بن دريد:

أولم يَـــبُت عــنه أبــو حَسَـنٍ — والمُشـــركون هــناك تَــرصده
مُـــتّلفقاً ليــرّد كــيدهم — ومـــهاد خــير النّـاس مَـهْده
فـــوقىٰ النّــبي بـبذل مُـهجته — وبأعـــين الكُـــفّار مُـــنجَده

وقال الحميري :

ومَن ذا الّذي قد بات فوق فراشه	وأدنىٰ وساد المصطفىٰ فتوَسّدا
وخَمَّر منه وجهه بلحافه	ليدفع عنه كيد من كان أكيدا
فلمّا بدا صبح يلوح تكّشفت	له قطعٌ من حالك اللّون أسودا
ودارت به أحراسهم يطلبُونه	وبالأمس ما سَب النّبي وأوعدا
أتوا طاهراً والطّيب قد مضىٰ	الىٰ الغار فيه أن يتّوردا
فَهَمّوا به أن يقتلُوه وقد سطُوا	بأيديهم ضَرباً مقيماً ومقعدا

مواساته عليه‌السلام في غزوة أُحُد ونُسب اليه عليه‌السلام:

وقيتُ بنفسي خير من وطأ الحصىٰ
ومن طاف بالبَيت العَتيق وبالحِجر
مُحمّد لمّا خاف أن يمكُروا به
فوّقاه ربّي ذو الجلال عن المَكر
وبّتُ أراعيهم وما يثبتونني
وقد صَبرت نفسي علىٰ القتل والأسر
وبات رسُول اللّه في الغار آمِناً
وذلك في حفظ الإلٰه وفي ستر
أَردتُ به نصر الإلٰه تَبتّلاً
وأضمَرته حتّىٰ أُوسِدّ في قبر

قال الحميري :

وبات علىٰ فراش أخيه فرداً	يَقيه من العُتاة الظّالمينا
وقد كَمُنت رجال من قُرَيش	بأسياف يَلّحِن اذا إنتضينا
فلمّا أن أضاء الصّبح جاءَت	عداتهم جميعاً مُخلفينا
فلمّا أبصروه تجّنبوه	وما زالوا له مُتجّنبينا

ولآخر:

ونـــام عــلىٰ الفــراش له فــداءً وأنــتم فــي مــضاجعكُم رقودُ

والأشعار في قصّة المَبيت مَشهورة كثيرة والأخبار بها مُتظافرة مُـتواتـرة كـما لايخفىٰ علىٰ الممارس خلال هذه الدّيار.

ومنها غزوة أُحد والفتح كان بيده ﷺ في هذه الغزوة واختّص بحُسن البلاء والصّبر فيها وقد جمع الرّسُول ﷺ فيها لأمير المؤمنين ﷺ الرّاية واللّواء وقُتل من أصحاب رسُول اللّه فيها سبعون رجلاً وإنهزموا هـزيمة عـزيمة وأقـبلوا يصعدون الجبال وفي كلّ وجه ولم يَبق معه ﷺ إلّا أبو دّجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف وأمير المؤمنين فلمّا حَملت طائفة عـلىٰ رسُـول اللّـه ﷺ إستقبلهم أمير المؤمنين فدَفعهم عنه حتّىٰ إنقطع سيفه فلمّا رأىٰ رسُول اللّـه الهزيمة كشف البيضة عن رأسه وقال أنّي أنا رسُول اللّه الىٰ أين تفّرون عن اللّه وعن رسُوله وثاب اليه من أصحابه المُنهزمين أربعة عشـر رجـلاً مـنهم طلحة بن عبيد اللّه وعاصم ابن ثابت وتحيّر المُنهزمون فأخذوا يَميناً وشِمالاً:

ورُوي عكرمة قال سمعت عليّاً ﷺ يقول لمّا إنهزم النّاس يوم أُحد عـن رسُول اللّه ﷺ لَحِقني من الجَزَع عليه ما لا أملك نفسي وكُنتُ أمامه أضرب بسيفي بين يديه فرجعتُ فلم أرَه فقلت ما كان رسُول اللّه ليَفر وما رأيته في القتلىٰ فأظنّه رفع من بيننا فكسّرت جفن سيفي وقلت في نـفسي لأُقـاتلنّ بـه حتّىٰ أُقتل وحملتُ علىٰ القوم فأفرجوا فأذا أنا برسُول اللّه ﷺ وقد وقع علىٰ الأرض مغّشياً عليه فقُمت علىٰ رأسه فَنظر الّي فقال ما صَنع النّـاس يـاعلّي فقلت كفروا يارسُول اللّه وَولّوا وأسلمُوك فنظر الىٰ كتيبةٍ قد أَقبلت فقال ﷺ رُدّ ياعلّي عنّي هذه الكَتيبة فَحَملتُ عليها بسيفي أضربها يَميناً وشِمالاً حتّىٰ ولّوا الأدبار فقال لي النّبي أما تَسـمع مَـديحك فـي السّـماء أنّ مَـلَكاً يـقال له رضوان يُنادي لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتىٰ إلاّ علّي فبكيت سُروراً وحمدتُ اللّه عـلىٰ نِـعمه وتـراجـع المُـنهزمون مـن المُسلمين الىٰ النّبي وإنـصَرف

المُشركون الىٰ مكّة وإنصرف النّبي الىٰ المَدينة فإستقبلت فاطمة ؟ ومَعها إناء فيه ماء فَغسلت به وَجهه ولحقه أمير المؤمنين ﷺ ومَعه ذو الفقار وقد خَضب الدّم يَده الىٰ كتِفه فقال ﷺ لِفاطمة خُذي هذا السّيف قد صدّقني اليوم وقال:

أفاطم هاك السّيف غير ذميمٍ ... فلستُ برعديدٍ ولا بمُليمِ
لعمري لقد أعذرت في نصر أحمدٍ ... وطاعة ربٍ بالعباد عليم

وقال رسُول الله ﷺ خُذيه يافاطمة فقد أدّىٰ بَعلك ما عليه وقد قتل الله بسيفه صناديد قريش:

و قد تركوا المختار فى الحَرب مفرداً
وَفَّر جميع الصَحْب عنه وأجمعوا
وكان علّي عايصاً في جموعهم
لِهاماتِهم بالسّيف يغزي ويقطع

قال أبو العلاء السّروى :

وهَل عَرفنا وهل قالوا سواه فَتىٰ
بذي الفقار الىٰ أقرانه زِلفاً
يَدعُو النّزال وعجل القوم مُحتبسٌ
والسّامري بكّف الرُعّب قد تَرنا
مُفرّجُ عن رسُول اللّه كُربته
يوم الطّعان اذا قلب الجفان هَفا

وقال العلوي الجماني :

وَواقَعَ يوم أُحد بهم جلاءٌ ... يزايل بين أعضاد الشؤون
فَلم يَترك لعبد الدّار قدماً ... يُقيم لواء طاغيته اللّعين
فَأفضوا باللّواء الىٰ صوابٍ ... فعانقه معانقة الوَضين
فَخدّمه أبو حسنٍ فأهوىٰ ... صَريعاً لليدين وللجَبين
ونُودوا لا فَتىٰ إلّا علّيٌ ... وليس لذي الفقار حشا جفونٍ

وقال السّوسي:

وفـي أُحـدٍ سَـل عـنه تُـخبر اذا أتـىٰ
اليـه أبـو سـفيان فـي الشّوك والشّجر

فــوافــاه جـبرئيل عـن اللّـه قـائلاً
أبـا قـاسمٍ ألِـق الحـديد عـلىٰ الحَجر

فنادىٰ الهَزبر اللّيث حيدر في الوغىٰ
وقــال لهــذا اليـوم مـثلك أنـتظر

وشــبّهته اذ ذو الفــقار بكـفّه
كَبَدر الدّجىٰ في كفّه كوكب السَّحر

وقال زيد بن وَهَب قلتُ لإبن مسعود إنهزم النّاس إلّا علّي وأبو دجانة وسهل بن حنيف قال إنهزموا إلّا علّي وَحَده.

وقال الطّبري في تاريخه والأصفهاني في أغانيه وابن إسحاق في مغازيه أنّه أَبصر رسُول اللّه الىٰ كتيبة فقال أحمل عليهم فحَمل عليهم وفرّق جمعهم وقتل عمرو بن عبد اللّه ثُمّ أَبصر كَتيبة أُخرىٰ فقال رُدّ عنّي فحمل عليهم وفرّق جماعتهم وقتل شيبة بن مالك العامري وفي رواية أبي رافع ثُمّ رأىٰ كتيبة أُخرىٰ فقال أحمل عليهم فحَمل عليهم وهزمهم وقتل هاشم بن أمّية المخزومي فقال جبرئيل يارسُول اللّه ﷺ أنّ هذه لهي المُواساة فقال رسُول اللّه ﷺ أنّه منّي وأنا منه فقال جبرئيل وأنا منكما فسمعوا صَوتاً لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتىٰ إلّا علّي وزاد ابن إسحاق في روايته، فاذا ندبتم هالكاً فأبكوا الوفاء وأخي الوفاء:

ومــن يُـنادي جـبرئيل مُـعلِناً
والحَـرب قـد قـامت علىٰ ساق الوَرىٰ

لا سـيف إلّا ذو الفـقار فـإعلمُوا
ولا فــتىٰ إلّا عــلّي فــي الوَغـا

ومنها غزوة بَدر وقصّته فيها أيضاً مشهُورة وشجاعته فيها ممّا يضرب به المَثل وهو الّذي ضَرب الوَليد علىٰ حَبل عاتقه وخرج السّيف من أبطِه ثُمّ ضَرب شيبة فَطرح نصفه ثُمّ جاء الىٰ عُتبة وبه رَمق فقتله وفيه ﷺ نزلت: **﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾**(١) أي نصركم الله بعلّي وقال الحميري:

وفي يَوم بدرٍ حين بارز شيبة ... بعضبٍ حسامٍ والأسّنة تَلمع
فَبادره بالسّيف حتّىٰ أذاقه ... حمام المنايا والمنّيات تَركع
وصيّره نهباً لِذيبٍ وقشعمٍ ... عليه من الغربان سودٌ وأبقع

وقال أيضاً:

وله بِبدرٍ وقَعةٌ مشهورة ... كانت علىٰ أهل الشّقاء دماراً
فأذاق شيبة والوليد مَنيّةً ... اذ صبّحاه جَحفلاً جرّاراً
وأذاق عُتبة مثلها أهوىٰ لها ... عضباً ثقيلاً مرهفاً تبّاراً

قال الصّاحب:

عجبت ملائكة السّماء لحَربه ... في يوم بدرٍ والجهاد جهادُ
فحكاه عنه جبرئيل لأحمدٍ ... أسناد مجدٍ ليس فيه سِيادُ
صَرَع الوليد لموقفٍ شاب الوليد ... لهَوله وتهارب الأعضاد
وأذاق عُتبة بالحسام عُقوبةً ... حَسمت بها الأدواء وهي قلاد
أحلاف جربٍ أرضعُوا خلافها ... فكأنّهم لخروجهم أولاذُ
ما كان في قتلاه إلّا باسِلٌ ... فكأنّما صَمصامه نتّاذُ

والأشعار فيها أيضاً كثيرة مسطُورة في التّواريخ والمناقب وغرضنا في المقام الإشارة فقط.

ومنها غزوة الأحزاب قال الله تعالىٰ وكفىٰ الله المؤمنين القتال، قال الصّادق ﷺ بعلّي ابن أبي طالب وقتله ﷺ فيها عمرو بن عبد ودّ وقال أكثر المُفسرين من العامّة وقاطبتهم من الخاصّة في قوله تعالىٰ: **﴿اذكروا نعمة اللّه عليكم اذ**

١- آل عمران -١٢٣

جاءتكم جنود﴾ أنّها نزلت في علّي يوم الأحزاب وخلاصة القول فيها أنه لمّا عرف النّبي ﷺ إجتماعهم أمَر بحفر الخندق بـمشورة سلمان وأمَر بـنزول الذَراري في النّساء في الألمام وكانت الأحزاب علىٰ الخمر والغناء والمُسلمون كأنّ علىٰ رؤسهم الطّير لمكان عمرو بن عبد ودّ العامري الملّقب بعماد العَرب وكان في مِائة ناصية من الملُوك وألف مَقرعة من الصعاليك وهو يُعدّ بألف فارس فقيل في ذلك عمرو بن عبد ودّ كان أوّل فارسٍ جزع من المداد وكان فارس يَلْيَل ولمّا انتدب عمرو لِلبراز جعل يقول هل من مبارز والمُسلمون يتجاوزون عنه فرَكز رمحه علىٰ خيمة النّبي وقال أبرز يامُحمّد فقال ﷺ من يقوم الىٰ مُبارزته فله الإمامة بعدي فنَكل النّاس عنه قال حذيفة قال النّبي ﷺ أدنُ منّي ياعلّي فنزع عمامته السّحاب من رأسه وعَمّمَه بها تسعة أكوار وأعطاه سيفه وقال أمضِ لشأنك ثُمّ قال اللّهم أَعِنه وكان عمرو يقول:

ولقـد نَـجحت مـن النّـداء ... بـجمعكم هـل مـن مُـبارزٍ
ووقـفت اذ جَـبُن الشّجاع ... بـموقف البَـطَل المـناجز
أنّـي كـذلك لَـم أزل ... مـتسرعاً نـحو الهـزاهـز
أنّ الشّـجاعة والسّـماحة ... فـي الفـتىٰ خير الغـرائِـز

وفي كلّ ذلك يقوم علّي ليبارزه وقال مُحمّد ابن إسحاق أمره النّبي بالجلوس لمكان بكاء فاطمة ﷺ عليه من جراحاته في يوم أُحد وقولها ما أسرع أن يأتم الحسن والحسين بأقتحامه الهَلكات فنزل جبرئيل عن اللّه تعالىٰ أن يأمر علّياً بمبارزته فقال النّبي ﷺ ياعلّي أدنُ منّي وعَمّمه بعمامته وأعطاه سيفه وقال أَمض لشأنك ثُمّ قال اللّهم أَعِنه فلمّا توجه اليه قال النّبي ﷺ خرج الإيمان الىٰ الكفر وفيه قال الشّاعر:

ويـوم عـمرو العـامري اذ أتىٰ ... في عسكرٍ مَلأ الفضا قـد إنـتشر
فكان من خوف اللّعين قبل ذاك ... مـحمّدُ لخـندق قـد إحـتفر
نادىٰ بصَوتٍ مذعلاً من جهله ... يَـدعُو عـلّياً للـبراز فأبـتدر

اليه شخص في الوغىٰ عاداته سفك دم الأقران بالعضب الذّكر
فعندها قال النّبي مُعلِناً والدَّمع في خدٍّ كأمثال الدُّرّر
هذا هُو الإسلام كلّ بارز الىٰ جميع الشّرك يا من قد حَضَر

قال مُحمّد بن إسحاق فلمّا لاقاه عليّ أنشأ يقول في جوابه:

لا تَعجَلَنّ فقد أتاك مُجيب صَوتك غير عاجزٍ
ذُو نيّةٍ وبصيرةٍ والصّبر منجىٰ كلّ فائز
أنّي لأرجو أن أُقيم عليك نائحة الجَنائز
من ضربةٍ بخلاء يبقىٰ ذكرها عند الهَزاهز

فلمّا عرفه عمرو وأنّه ابن أبي طالب قال أنّي لأكره أن أقتل الرّجل الكريم مثلك وكان أبوك لي نديماً قال عليّ ﷺ ولكنّي أحبّ أن أقتلك قال فتناوشا فضربه عمرو في الدّرقة فقدّها وأثبت فيه السّيف وأصاب رأسه فشجّه وضربه علىٰ عاتقه فسقط وفي رواية ضربه علىٰ رجليه بالسّيف من أسفل فوقع علىٰ قفاه قال جابر فثار بينهما قترة فما رأيتهما وسمعتُ التّكبير تحتها وإنكشف أصحابه حتّىٰ ظفرت خيولهم الخندق وتبادر المُسلمون يكبّرون فوجدوه علىٰ فرسه برجلٍ واحدة يُحارب عليّاً ورمىٰ رجله نحو عليّ فخاف من هيبتها رجلان ووقفا في الخندق ثُمّ قتل عليّ نوفلاً في الخندق وجرح منية بن عثمان البدري فإنصرف ومات بمكّة ثُمّ قتل ﷺ هبيرة وفرّ عكرمة وضرار فأنشأ عليّ يقول:

وكانوا علىٰ الإسلام ألباً ثلاثة وقد فرَّ من تحت الثّلاثة واحد
وفرَّ أبو عمروٍ وهبيرة لم يَعُد الينا وذو الحَرب المجرّب عائد
نهمتُم سيُوف الهند أن يقفوا لنا غداة التقينا والرّماح القواصد

قال النّبي ﷺ لمُبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد ودّ أفضل من عمل أُمّتي الىٰ يوم القيٰمة وفي حديث آخر ضربة عليّ يوم الخندق أفضل من عبادة الثّقلين:

ومنها غزوة خَيبَر ومُواساته عليه السلام فيها أيضاً مشهُورة أمّا عند الخاصّة فمعلُوم وأمّا العامّة فقد روي أبو كريب ومُحمّد بن يحيىٰ الأزدي في أماليهما ومُحمّد بن إسحاق والعمادي في مغازيهما والنطنزي والبلاذري في تاريخهما والثّعلبي والواحدي في تفسيرهما وأحمد بن حنبل وأبو يعلي المُوصلي في مسنديهما وأحمد والسّمعاني وأبو السّعادات في فضائلهم وأبو نعيم في حُليته والأشهىٰ في إعتقاده وأبو بكر البهيقي في دلائل النبّوة والترّمذي في جامعه وابن ماجة في سننه وابن بطة في أبانته من سبع عشرة طريقاً عن عبد اللّه بن عبّاس وعبد اللّه بن عمر وسهل بن سعد وسلمة بن الأكرع وبريدة الأسلمي وعمران بن الحصين وعبد الرّحمٰن بن أبي ليلىٰ عن أبيه وأبو سعيد الخدري وجابر الأنصاري وسعد بن أبي وقاصّ وأبي هريرة أنّه لمّا خرج مرحَبَ برَجله بَعَث النّبي أبا بكر برايته مع المُهاجرين في راية بيضاء فعاد يؤنب قومه ويؤنبونه ثُمّ بَعَث عُمر من بعده فرجع يجبن أصحابه ويجبنونه حتّىٰ ساء النّبي ذلك فقال النّبي صلى الله عليه وآله **لأعطيّن الرّاية غداً رجلاً يحبّ اللّه ورسُوله ويحبّه اللّه ورسُوله كرّاراً غير فرّارٍ يأخذها عنوةً وفي رواية يأخذها بحقّها وفي رواية لا يرج حتّىٰ يفتح الّه علىٰ يده**.

كما قال الشّاعر:

فَمن أحقّ بهذا الأمر من رجلٍ ... يحبّه اللّه بل من ثُمّ شرّفه

أحبّ ذا الخلق عند اللّه أكرَمه ... وأكرم الخلق أتقاه وأرأفه

وقال البخاري ومسلم في صَحيحَهما أنّه لمّا قال النّبي حديث الرّاية بات النّاس يذكرون لَيلتهم أيّهم يعطاها فلَما أصبح الصّبح غدوا علىٰ رسُول اللّه كلّهم يرجوا أن يعطاها فقال صلى الله عليه وآله أين علّي بن أبي طالب فقيل هو يشتكي عَينيه قال فأرسلوا اليه فأتىٰ به فتفل النّبي في عَينيه ودعا له فَبرأ فأعطاه الرّاية وفي رواية ابن حرير ومُحمّد بن إسحاق فغَدت قُريش يقول بعضهم لبعض أمّا علّيّ فقد كفيتمُوه فأنّه أرمد لا يبصر موضع قدَمه فلمّا أصبح النّبي قال أدعوا لي

عليّاً فقالوا به رَمَد فقال أرسلوا اليه وأدعوه فجاء علّي علىٰ بغلته وعينيه مَعصوبة بخرقةٍ بُردٍ قطرىٰ فأخذ سلمة بن الأكوع بيده وأتىٰ به الىٰ النبي القَصة وفي رواية الخدري أنّه بَعث اليه سلمان وأبا ذرّ فجاء به يقاد فوضع النَبي رأسه علىٰ فخذه وتَفَل في عينيه فقام وكأنّهما جزعان فقال ﷺ له خُذ الرّاية وأمض بها فجبرئيل معك والنّصر أمامك والرّعب مثبوت في صدور القوم وأعلم يا علّي أنّهم يجدون في كتابهم أنّ الّذي يُدّمر عليهم اسمه أليا فاذا لقيتهم فقل أنا علّي فأنّهم يخذلون إنشاء الله قال السّمعاني في فضائله أنّه قال سلمة فخرج علّي عليه السلام بها يُهرول هَروَلة حتّىٰ رَكَز رايته في رضخ من حجارة تحت الحصن فأطلع اليه يهودي فقال من أنت فقال أنا علّي ابن أبي طالب فقال اليهودي غُلبتُم وما أنزل علىٰ مُوسىٰ وعن كتاب ابن بطة عن سعد وجابر وسلمة، فخرج يُهرول هَروَلة وسَعد يقول يا أبا الحسن أربع يلحق بك النّاس فخرج اليه مَرحَب في عامّة اليهود وعليه مغفر وحَجَر قد ثَقبه مثل البيضة علىٰ أُمّ رأسه وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أنّي مَرحبُ ... شاك سلاحي بَطَلٌ مجّربُ
أطعن أحياناً وحيناً أضرب ... اذا اللّيوث أقبلت تلتهبُ

فقال علّيّ عليه السلام :

أنا الّذي سمّتني أُمّي حيدرة ... ضِرغام آجام وليثٍ قسوَرَة
علىٰ الأعادي مثل ريحٍ صَرصَرة ... أكيلكم بالسّيف كيل السّندرة
أضرب بالسّيف رقاب الكَفَرة

قال مكحُول فأحجَمَ عنه مَرحب لقول ضئر له غالب كلّ غالب الحيدر بن أبي طالب فأتاه إبليس في صُورة شيخ فخلف أنّه ليس بذلك الحيدر والحيدر في العالم كثير فرجَع فضَربه علّيّ علىٰ مقدمه فقَد الحَجَر والمغفَر ونَزَل في رأسه حتّىٰ وقع في الأضراس وأخَذَ المدينة فلّما سمع أهل العَسكر صَوت ضربته

كان الفتح وقال ابن ماجة لَمّا قتل مرحب أتىٰ برأسه الىٰ رسُول اللّه وتفصيل ذلك يطلب من التّواريخ وفيه أنشأ خزيمة بن ثابت هذه الأبيات مواساته عليه السلام في خيبر والأشعار فيها:

وكــان عــلــيٌّ أرمَــدَ العين يبتغي
دَواءً فــلَــمّا لم يــحَس مُــداويـــا
شــفاه رسُـــول اللّـــه مــنه بــتَفلةٍ
فـــبُورك مَــرّقياً وبُــورك راقــيا
وقــال سأعــطي الرّايــة اليــوم صــارماً
صــديقاً مُــحبّاً للــرّسُول مــواليــا
يـــحبّ الإلـــه والإلـــه يــحُبّه
بــه يــفتح اللّــه الحَـصُون الأوابــيا
فأصـــفىٰ بـــها دون البّــرية كــلّها
عــليّاً وســمّاه الوزيــر المــواخــيا

وقال الأسود:

أَم من يقول له سأعـطي رايتي — مَـن لم يـفرّ ولم يكـن بـجبانٍ
رجـلاً يـحبّ اللّه وهـو يُحبّه — فـيما يـنال السَّبق يـوم رهـانٍ
وعلىٰ يَديه يـفتح اللّـه بـعد مـا — وافـىٰ النّـبي بـردها الرّجـلان
فدعا علـيّاً وهـو أرمَـد لا يرىٰ — أن تسـتمر بـمشيه الرّجـلان
فـهَوىٰ الىٰ عَـينيه يَتفل فيهما — وعـليهما قـد أطـبقا الجَـفنان
فـمضىٰ بـها مُـستبشراً وكأنّما — مـــن ريــقه عــيناه مِـرآتــان
فأتـاه بـالفتح النّجيح ولم يكن — يأتــي بـمثل فـتوحه العـمران

ولآخر:

ويوم الحَصن اذ فَجَأت رجال — فــوارس خـيبرٍ مُسـتسلمينا
فــوّلي المُســلمون وتـبعّتهم — خـيُول المُشركين وقـد ضـرينا

فـقال لهـم رسُـول اللّـه أنّـي		سأحـبُوا بـاللّواء فـتىً أمـينا
يـحبّ اللّـه وهـو له مُـحبّ		وليس يـدين ديـن الهـاربينا
يكـرّ فـلا يـهلّل حـين يـلقي		اذا رعـبت قـلُوب الخـائفينا
فـناولها أبـا حسـنٍ علـيٍّ		يـفل بـها جـمُوع الخـيبرينا
وأيـدّه الإلـه بـجند صدقٍ		مـن المَلائك الكرام الكـاتبينا
فـغادر مـرحباً وبـني نـبيه		عـراة بـالدّماء مُـرتّلينا

والأشعار منهم في الباب كثيرة ذكرها ابن شهر آشوب في مناقبه وهكذا غيره في كتبهم وقِس علىٰ ما ذكرناه في هذه المواطن غيرها من المواطن الّتي لَم نذكرها كغزوة الحُنين

وغزوة السّلاسل وغزوة الطّائف وفتح مكّة وغيرها من الغَزَوات فأنّ له عليه السلام في الكلّ مقام يختصّ به ولا يقاس به أحدٌ ومع ذلك كان عليه السلام حاضراً في جميع الغزوات وصَدر منه ما لم يَصدر عن غيره بل نقول لولا علّي عليه السلام في هذه المواطن لم يقدر المُسلمون علىٰ الفتح أصلاً كما رأيت في غزوة خيبر وهذا الّذي ذكرناه شمّة من مُواساته عليه السلام في المواطن التّي تنكص فيها الأبطال وتتأخر فيها الأقدام وإشارةٌ الىٰ النّجدة التّي أكرمه اللّه تعالىٰ بها ولنختم الكلام في شجاعته عليه السلام بذكر قصيدة وهي:

ذاك الإمـام الّـذي مـا شأنـه بـخل
ولا ثـني قـلبه عـن قـرنه فَشـلُ
مـن وجـهه قـمرٌ في لَـحظِه قَـدَرُ
فـي سُـخطه أجـلُ من عـفوه أمَـلُ
اذا مشـي الخـيزلي والسّـيف فـي يَده
حَسـبتَ بَـدر الدّجـىٰ في كفّه زُحَلُ
مـا زال فـي الأرض أبـطال فَـمُذ نَشأ
الوّصـيُ يـبطلهم يـوم الوغـىٰ بَـطَلُ

بـــنىٰ بِـــبدرٍ فـــقال المُــبصرون له
جــلالة مَـلَكٍ ذا الشّــخص أو رَجـلُ
سل سلّة السّيف من سلّ النّفوس لها
ومَـــن تَـــخطّت بـه الخـطّية الأسَــل
تـــــراه يــــقطع آجـــال الكـــماة اذا
مـا واصَـل السّيف ضربٌ مـنه متّصل
حِســــامه يَـــتّثنىٰ عـــند هِـــزّته
لأنّـــه مـــن طـــلىٰ أعـــدائـه عَشَـل
للسّـيف فـي يـده ضـحك ولَـيس فَمُ
ولِــلــرؤوس بكـــامنه ولا مـــقل
والمَـوت لو مـات لم ينسب اليـه ولَم
يَـجد له غـير سـيف المُـرتضىٰ بَـدَل
سـائل بـه فـي الوغـىٰ والمَوت يَقذفه
لهـــا الرّؤوس عـــن الأجســاد تُـنتَقل
والمشـــرفية عــــند الضّـرب مُشـرقة
والسَّــمهَرية عـــند الطّـــعن تشـتعل
والخــيل راكـعة فـي النّـقع سـاجدة
لهـــا مـــن الدّم ثــوب مُسـبلٌ خِـضل
والنّــقع ليـــلٌ وهــاتيك الأسّــنة قـد
يَـــلمَعن فـــيه نـــجوم ثُـمّ أو مَشـعل
هـــناك تـــلقي بـــه سـيفاً بِـمَضربه
جــهل عـلىٰ مـعشرٍ للـحقّ قـد جـهلوا
واللّـــيث يَـــخّل اذ لاقـــىٰ فـــريسته
وذا يـــبارز جـــرزاً ليس يـــختبل

والّليث يفرس وحش البيد من قرمٍ
ومن فريسة هذا الفارس البطل
فأن أشار بيُسراه الىٰ جبلٍ
صلداً قد كدك منه ذلك الجَبَل

▫ **قوله ﷺ: وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَىٰ صَدْرِى وَلَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ فِى كَفِّى فَأَمْرَرْتُهَا عَلَىٰ وَجْهِى ...**

روي الطَبرسي ﵀ في أعلام الوَرَىٰ في حديث طويل ذَكَر فيه مَرضه ﷺ الّذي مات فيه ونحن نذكر لك شطراً منه ممّا يناسب المقام وعلى اللّه التَوكل وبه الإعتصام:

موت النبّي ﷺ :

قال – لمّا أحس النّبي بالمَرض الّذي إعتراه وذلك يوم السبت أو يوم الأحد لِليالٍ بقين من صَفر أخذ بيد علّيٍ وتبعه جماعة من أصحابه وتوّجه الىٰ البقيع ثُمّ قال: السّلام عليكم أهل القبُور ليهنئكم ما أصبحتم فيه ممّا فيه النّاس أقبلت الفِتَن كقطع اللّيل المُظلم يتبع آخرها أوّلها ثُمّ قال أنّ جبرئيل كان يعرض علّي القرآن كلّ سنة مرّةٍ وقد عرضه عَلَي العام مرّتين ولا أراه إلاّ لِحضُور أجلي ثُمّ قال ياعلّي أنّي خيّرت بين خزائن الدّنيا والخلُود فيها أو الجنّة فإخترت لقاء ربّي والجنّة فاذا أنا مُت فَغسّلني وأستر عورتي فأنّه لا يراها أحد إلاّ أكمه ثُمّ عاد الىٰ منزله فمكث ثلاثة أيام موعوكاً ثُمّ خرج الىٰ المَسجد يوم الأربعاء معصُوب الرأس مُتكئاً علىٰ علّي بيمنىٰ يَديه وعلىٰ الفضل بن عبّاس باليد الأُخرىٰ فَجلس علىٰ المَنبر فحَمد اللّه وأثنىٰ عليه ثُمّ قال: أمّا بعد أيّها النّاس أنّه قد حان منّي خفُوق من بين أظهركم فمن كانت له عندي عدة فليأتني أُعطه أيّاها ومن كان له عندي دين فليخبرني به فقال رجل يارسُول اللّه لي عندك عدة أنّي تزوّجتُ من عَدتني بثلاثة أواق فقال أنحلها أيّاه يافضل.

وساق الحديث وذكر فيه قصّة صلوة أبو بكر وخروجه ﷺ الىٰ المسجد

وإيمائه بيده نحو أبي بكر وقيامه ﷺ بالصّلٰوة ورجُوعه الىٰ منزله وإجتماع القوم عنده وتَوبيخه أيّاهم في إعراضهم عن جيش أُسامة الىٰ أن قال – قال ﷺ أئتوني بدواة وكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً ثُمّ أُغمي عـليه فـقام بعض من حَضَر من أصحابه ليلتمس دواة فقال له عُمراً أرجع فأنّه يَهجُر فلمّا أفاق قال بعضهم ألا فأتيك يارسُول اللّه بكتفٍ فقال ﷺ أبَعد الّذي قلتم لا، إحفظوني في أهل بيتي وإستوصُوا بأهـل الذّمـة خـيراً وأطـعِمُوا المسـاكـين والصّلٰوة وما ملكت أيمانكم فلم يَزل يردّد ذلك حتّىٰ أعرض عن القوم بوجهه فنهضُوا وبقي عنده العبّاس والفضل وعلّي ﷺ وأهل بيته خاصّته فقال العبّاس يارسُول اللّه أن يكن هذا الأمر فينا مُستّقراً من بعدك فَبَشِرنا وأن كنت تعلم إنّا نغلب عليه فأوص بنا فقال ﷺ أنتم المُستضعفون من بعدي وصمت ونَهض القوم وهم يبكُون فلمّا خرجوا من عنده قال ﷺ رُدّوا علّي أخي علّي ابن أبي طالب وعمّي فحضرا فلمّا استقّر بهما المجلس قال رسُول اللّه ياعبّاس ياعمّ رسُول اللّه تقبل وصيتي وتنجز عدتي وتَقضي دَيني فقال العبّاس يارسُول اللّه عمّك شيخ كبير ذو عيال كثير وأنت تباري الرّيح سخاءً وكرماً وعليك وعدٌ لا يَنهض به عمّك فأقبل علىٰ علّيٍ فقال ياأخي تَـقبل وَصيتي وتَـنجز عـدتي وتقضي ديني فقال نعم يارسُول اللّه ﷺ فقال أُدن منّي فدنا منه فضّمه ونزع خاتمه من يده وقال له خُذها فضعه في يدك ودعا بسيفه ودِرعه ويروىٰ أنّ جبرئيل نزل بها من السّماء فجئ بها اليه فدفعها الىٰ أمير المؤمنين وقال أقبض هذا في حياتي ودفع اليه بغلته وسرجها وقال أمض علىٰ اسم اللّه الىٰ منزلك، فلمّا كان من الغد حجب النّاس عنه وثقل في مرضه وكان علّي لا يُفارقه إلاّ لِضرورةٍ فقام في بعض شؤونه فأفاق إفاقة فإفتقد علّياً فقال أدعـوا لي أخـي وصاحبي وعاوده الضّعـف فقالت عائشة أدعوا أبا بكر فدُعي فلمّا نـظر اليـه أعَرض عنه بوجهه فقام أبو بكر فقال أدعوا لي أخي وصاحبي فقالت حفصة أدعوا له عُمر فدُعي فلمّا حَضر رآه النّبي فأعَرض عنه بوجهه فإنصرف ثُمّ قال

أدعوا لي أخي وصاحبي فقالت أمّ سَلمة أدعُوا له عليّاً فأنّه لا يُريد غيره فدُعي أمير المؤمنين فلمّا دنىٰ منه أوىٰ اليه فأكّب عليه فناجاه رسُول اللّه طويلاً ثُمّ قام فَجلس ناحيته حتّىٰ أغفىٰ رسُول اللّه خرج فقال له النّاس ياأبا الحسن ما الّذي أوعَز اليك فقال علّمني رسُول اللّه ﷺ ألف باب من العلم فتح لي كلّ باب ألف باب وأوصاني بما أنا قائم به إنشاء اللّه ثُمّ ثقل رسُول اللّه وحَضره المَوت فلمّا قرب خروج نفسه قال ﷺ له ضَع رأسي ياعليّ في حِجرك فقد جاء أَمر اللّه عزّ وجلّ فاذا أفاضت نفسي فتناولها بيدك وأمسح بها وجهك ثُمّ وجهني الىٰ القِبلة وتوّل أمري وصَل عليّ أوّل النّاس ولا تفارقني حتّىٰ تُواريني في رَمسي وإستعن باللّه عزّ وجلّ وأخذ عليّ رأسه فوَضعه في حِجره فأُغمي عليه وأكبّت فاطمة في وجهه وتندبه وتقول:

وأبيض يستسقي الغمام بوَجهه ثمال اليتامىٰ عصمة لِلأرامل

ففتح رسُول اللّه عَينيه وقال بصَوتٍ ضَئيل يا بُنَيّة هذا قول عمّك أبي طالب لا تقوليه ولكن قولي (وما مُحمّد إلاّ رسُولٌ قد خَلَت من قَبلِه الرُّسُل) ولمّا أراد عليّ ؑ غسله استدعىٰ الفضل بن عبّاس فأمره أن يُناوله الماء بعد أن عَصّب عَينيه فشَق قميصه من قبل جيبه حتّىٰ بلغ به الىٰ سُرّته وتوّلىٰ غسله وتَحنيطه وتَكفينه والفضل يُناوله الماء فلمّا فرغ من غُسله وتَجهيزه تَقدم فَصلّىٰ عليه:

غَسّله إمام صدقٍ طاهرٍ من دَنس الشّرك وأسباب الغير
ما ورث اللّه عليّاً عِلمه وكان من بعد اليه يفتقر

وقال الحميرى:

من ذا تشاغل بالنبّي وغسله
ورأىٰ عن الدّنيا بذاك عزاه

وأيضاً - مَن ولي غُسل النّبي ومن
لَفّفه من بعده في الكَفن

ولآخر - كان بغُسل النّبي مُشتغلاً

فافتتنُوا والنّبيّ لم يُقبر

العبدي - من كان صنو النّبي غير علّي

من غسل الطّهر ثُمّ واراه

العوني - من غَسل المُرسل مَن أنزَلَه

في لَحده وعنه للدّين قضىٰ وقال ﷺ أمن

بعد تكفين النّبي ودَفنه

بأترابه آسىٰ علىٰ هالكٍ ثوىٰ

رزئنا رسُول اللّه فينا فلن نرىٰ

بذاك عديلاً ما حيينا من الوَرىٰ

وكان لنا كالحصن من دون أهله

لهم معقل جرزٌ حريزٌ من الهَوىٰ

وكنّا به شّم الأُنوف بنَحوه

علىٰ موضعٍ لا يستطاع ولا يرىٰ

فيا خير من ضمّ الجوانح والحشا

ويا خير ميتٍ ضمّه التّرب والثّرىٰ

كأنّ أُمور النّاس بعدك ضمنت

سفينة موج البحر والبحر قد طمىٰ

وضاق فضاء الأرض عنهم برحبةٍ

لفقد رسول اللّه اذ فيه قد قضىٰ

فيا حزناً إنّا رأينا نبيّنا

علىٰ حين تمّ الدّين واشتّد القوىٰ

وكان الألىٰ مَشبّهة سفر ليلةٍ

أضَل الهُدىٰ لا نجم فيها ولا ضوىٰ

□ قوله عليه السلام: **وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ صلى الله عليه وآله وَالْمَلاَئِكَةُ أَعْوَانِي فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالْأَفْنِيَةُ مَلَأٌ يَهْبِطُ وَمَلَأٌ يَعْرُجُ ...**

روي في المناقب عن حلية الأولياء وتاريخ الطَبري أنّ علّي ابن أبي طالب كان يغسل النبّي صلى الله عليه وآله والفضل يَصُبّ الماء عليه وجبرئيل يُعينهما وكان علّي يقول ما أطيبك حيّاً وميّتاً.

وروي في البحار بأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: **لمّا قُبض رسُول اللّه صلى الله عليه وآله سمعُوا صَوتاً من جانب البَيت ولَم يَروا شَخصاً يقول كلّ نفسٍ ذائقة المَوت وأنّما تُوفّون أُجوركم يوم القيامة فمن زُحزح عن النّار وأُدخل الجنّة فقد فاز ثُمّ قال في اللّه خلف من كلّ هالك وعزاء من كلّ مصيبة ودرك لما فات حُبّاً لِلّه فباللّه ثِقُوا وأيّاه فأرجوا فأنّ المحروم من يحرم الثّواب وإستَرُوا عَورة نَبّيكم فلَمّا وضعه علّي عليه السلام علىٰ سريره نُودي ياعلّي لا تَخلع القَميص قال فغسّله في قميصه الحديث «ج ٦ص ٨١٣»** وأمّا كون الملائكة أعوانه في غسله فهو ظاهر لا خفاء فيه وضجّة الدّار والأفنية علىٰ مَوته صلى الله عليه وآله لا إشكال فيه في إعتقادنا فأنّ الجمادات أحياء ومع ذلك لها شعُور بحسب حالاتها وإلّا لا يجوز لها التّسبيح وقد قال اللّه تعالىٰ: ﴿**يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ**﴾(١)

□ قوله عليه السلام: **وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ مِنْهُمْ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ وَارَيْنَاهُ فِي ضَرِيحِهِ ...**

الهُنيمة بضّم الهاء وفتح النّون والميم الصَّوت الخَفي والمعنىٰ أنّي كُنتُ أَسمع صَوت الملائكة حيث كانوا يُصَلّون علىٰ النّبي صلى الله عليه وآله حتّىٰ واريناه في ضَريحه وقبره وفيما ذكره إشعار بأنّ الإمام يسمع صَوت المَلك ولا يَراه وهو كذلك وهذا هو الفرق بين النّبي والوَصي فأنّ النّبي يرىٰ المَلَك ويعاينه وحيث كان كذلك فعلّي عليه السلام كان وصّيه والإمام بعده اذ لا يمكن لأحدٍ تكذيبه عليه السلام في قوله هذا لم يدّع هذا الإدّعاء أحد بعد الرّسُول إلّا أمير المؤمنين وهو المطلُوب.

وسنَتَكلم فيه إنشاء اللّه تعالىٰ:

١- الحشر ـ ٢٤.

▫ قوله عليه السلام: **فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيّاً وَمَيِّتاً فَانْفُذُوا عَلَىٰ بَصَائِرِكُمْ وَلْتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ...**

أي اذا عرفتم مكاني ومنزلتي في الإسلام وبالنّسبة الىٰ الرّسول فمن ذا أحقّ به أي من يكون أحقّ بخلافة الرّسول منّي حيّاً وميّتاً وأنا أقرب النّاس اليه في حياته وبعد مماته واذا كان كذلك فانفذو علىٰ بصائركم أي كونوا علىٰ بَصيرةٍ من دينكم وذو نيات صادقة في جهاد عدّوكم وهو معاوية وأصحابه أو كلّ مخالف له عليه السلام.

▫ قوله عليه السلام – **فَوَالَّذِي لاَ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لَعَلَىٰ جَادَّةِ الْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَعَلَىٰ مَزَلَّةِ الْبَاطِلِ أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ لِي وَلَكُمْ...**

الواو لِلقسم أي أُقسم باللّه الّذي لا إِله إِلّا هو أنّي لعلىٰ جادة الحقّ وطريق المُستقيم وأنّهم أي أعدائي لعلىٰ مزلّة الباطل لكونهم مُخالفين الكتاب والسّنة مُتبعين لأهوائهم الفاسدة الكاسدة أقول لكم ما تسمعُون منّي وبذلك أُتمِمُ حُجّتي عليكُم وأستغفر اللّه في جميع الأحوال لي ولكم:

أيقاظٌ، اعلام أنّ في هذه الخُطبة دلالة واضحة علىٰ كونه عليه السلام أحقّ بالإمامة من غيره وذلك لوجوهٍ:

أحدها قوله عليه السلام: **أنّي لم أرّد علىٰ اللّه ولا علىٰ رسُوله ساعة قطّ.**

وجه الإستدلال بهذا الكلام هو أنّ الإمام والخليفة للرّسُول ينبغي أن يكون مُطيعاً لِللّه ولرسُوله اذ لو كان مخالفاً للرّسُول راداً عليه فهو لا يكون خليفة بل يكون مُستقلاً بنفسه يقول ما يريد ويفعل ما يشاء وقد ثَبت عقلاً أنّ المُستخلف لا يجوز له التّخلف عن المُستخلف عنه وهو ظاهر اذا عرفت هذا فنقول ادّعىٰ عليه السّلام أنّه لم يرّد علىٰ اللّه ولا علىٰ رسُوله أصلاً ولم يَنكره أحد من العامّة فضلاً عن الخاصّة ولم يدّع هذا الإدّعاء غيره من أصحاب الرّسُول وهو أيضاً موضع وفاق فثَبَت أنّ المُطيع لِللّه ولرّسُوله بهذا المعنىٰ كان مختّصاً به عليه السلام ولم يُشاركه فيه أحد من أصحاب الرّسُول فالعقل والشّرع

يحكمان بأنّه الخليفة لِلرّسول لا غيره واذا كان كذلك فالمُتَصدي لِلخلافة غيره كان خلافاً وهو المطلوب:

أن قلت ـ إثبات الشّيئ لا ينفي ما عداه فثبُوت الإطّاعة له ﷺ وعدم ردّه علىٰ اللّه ورسُوله لا يدّل علىٰ عدم هذا الوَصف لغيره إلّا أنّه ﷺ قال به وغيره لم يقل وعدم التّقول لا يدّل علىٰ عدم المطلق:

قلت ـ غرضه ﷺ من هذا الكلام إثبات الخلافة لنفسه تلويحاً وأنّ من تصدّىٰ لها لم يكن لائقاً بها ولا كلام له ﷺ ولنا في هذا المقام لغير المتّصدين للخلافة أعني بهم أبا بكر وعُمر وعثمان وحيث قد ثبت في حقّهم الرّد علىٰ اللّه ورسُوله فهم لا يليقون بها وهو المطلوب وأمّا غيرهم من خيار الصّحابة فلم يدّعوا ذلك بل إعترفوا بصدق مقالته ﷺ وأنّ ما ذكره من خصائصه ولأجل هذا لم يكونوا مُدّعين للخلافة وهو ظاهر وأنّما الكلام مع المُدّعين المُستّحلين لها مع كونهم رادّين عليه ﷺ.

أمّا الرّد فهو أعمّ من القولي والعَمَلي بل الثّاني أعني الرّد العَمَلي أفحَش من اللّفظي وهؤلاء الثّلاثة الّذين تصّدوا لأمر الخلافة واحداً بعد واحدٍ قد صَدَر عنهم الرّد علىٰ الرّسُول قولاً وفعلاً ونحن نُشير الىٰ مواضع منه.

أحدها: قصّة الغدير حيث قال رسُول اللّه ﷺ في علّي من كنتُ مولاه فهذا علّي مولاه وأمَرَ النّاس بالبيعة فبايعوا عليّاً علىٰ الإمرة ثُمّ بعد مَوت الرّسُول خالفوا أمَرَه ونكثوا عهدهم فتركوا علّياً وإجتمعوا في سقيفة بني ساعدة وفَعلوا ما فعلُوا وقصّة الغدير ليست ممّا يُنكر فيقال لهم أليسَ ما فعلتم من الرّد علىٰ اللّه وعلىٰ رسُوله فأن قالوا نعم فهو المطلوب وأن قالوا لا فنقول ما معنىٰ الرّد علىٰ اللّه ورسُوله.

وثانيها: قصّة جيش أُسامة فقد اتّفق المؤرخون وأرباب السّير أنّ رسُول اللّه ﷺ جعل أُسامة بن زيد أميراً علىٰ المُهاجر والأنصار غير علّي بن أبي طالب وأمَره بالخروج من مدينته وأمَرَهم بالسّير معَه وقد ثبت عنه ﷺ أنّه قال في

مرضه الّذي مات فيه نفِذّوا جيش أُسامة لَعن اللّه من تخّلف عن جيش أُسامة وقد إعترف به الشّارح المُعتزلي أيضاً ولا شك أنّ عُمر وأبا بكر وعثمان كانوا في الجيش إلّا أنّهم تخّلفوا عنها لمصلحة الخلافة والرّئاسة وقد وَصلوا الىٰ ما أرادوا وقد قال رسُول اللّه لهم ألَم آمركم أن تنفذوا جيش أُسامة فقال أبو بكر أنّي كنت خرجت ثُمّ عُدت لأحدث بك عهداً وقال عُمر أنّي لم أخرج لأنّني لَم أُحبّ أن أسأل عنك الرّكب فقال ﷺ نفّذوا جيش أُسامة يُكررها ثلاث مرّات فكان تخلّفهم عن جيش أُسامة ثابتاً عند الكلّ وهذا رّدّ علىٰ الرّسُول قطعاً والمنكر معاند مُتعصب لا يعبأ به:

وثالثها: قوله ﷺ أئتوني بدواةٍ وكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً، وقول عُمر دَعه أنه يَهجُر وقد روي هذا الحديث البخاري ومُسلم وغيرهما من أعيان العامّة وأمّا الخاصّة فلا كلام لهم في صحته ولسنا في المقام بصدد إثبات الحديث وتحليله وقد تكلّمنا فيه وفي غيره من المطاعن في المُجلد الأوّل من هذا الكتاب مفصّلاً وأنّما الغرض الإشارة الىٰ مواضع الرّد فقط وهو ثابت:

أن قلت: هذا الحديث يدّل علىٰ أنّ عُمر رّد عليه ﷺ وأمّا أبو بكر وعثمان فلا. قُلت أمّا أوّلاً فأنّ أبا بكر وعثمان كانا حاضرين والرّسُول ﷺ لم يخاطب عُمر بن الخطاب فقط بل قال ﷺ أئتوني بصيغة الجمع فكان علىٰ أبي بكر وعثمان إطاعة الرّسُول ورّد هما عُمر عمّا قال وحيث أنّهما سكتا في هذا المقام فهو دليل علىٰ رضاهما بمقالته والإنصاف أنّهما أمضيا مقالته بسكوتهما لما فيها من المَصلحة في ترك الكتابة وثانياً بعد قول عُمر كان يجب علىٰ أبي بكر الإتيان بها لو كان مُطيعاً لِلّه ولرّسُوله:

ورابعها: ما قاله عُمر بن الخطاب في صُلح الحُديبية ردّاً علىٰ رسُول اللّه ﷺ حيث قال ألَست برسُول اللّه، قال بلىٰ قال أوَلَسنا بالمُسلمين قال بلىٰ قال أوَليسوا بالمُشركين قال بلىٰ، قال عُمر فَعلامَ نُعطي الدَّنِيَّة في ديننا قال ﷺ أنا عبد اللّه ورسُوله لَن أُخالف أمرَه ولن يضَيعَني، وتفصيل القضية مذكور في سيرة ابن هشام «ج ٣ ص ٣٢١»...

واعتذار الشّارح المُعتزلي عنه بالإسترشاد أو طمأنينة النّفس ليس إلّا عن مجرّد التّعصب والعناد كما هو دأبه ودأب غيره من علماء العامّة في جميع المطاعن وأقبح منه قياسه المورد علىٰ قول الخليل عليه‌السلام: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ (١) وذلك لأنّ القياس مضافاً الىٰ كونه مع الفارق يدل علىٰ جهل الشّارح وقلّة مبالاته في الدّين وعدم حياءه وعفته في كلامه وكتابه اذ كيف يعقل قياس كلام عُمر بن الخطاب الّذي لا يقولون بعصمته علىٰ كلام الخليل الّذي اتّفق الكلّ علىٰ عصمته فأنّ المعصُوم لا يقول إلّا حقّاً بل ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٢)، فكلّ ما قال قال من عند اللّه لا من عند نفسه وأن لا نعلم في كَثير من الموارد سِّر كلامه وحقيقة مقاله فكثيراً ما يقول كلاماً لتعليم الغير وتفهيمه كيفيّة الدّعاء والكلام مثلاً، ونظائره كثيرة كسؤال مُوسىٰ الرّؤية من ربّه أيظن المُعتزلي أنّ مُوسىٰ كان لا يعلم أنّ اللّه لا يُرىٰ ومن كان لا يعلم هذا فهو أحمق فكيف يَليق بالرّسالة الّتي هي من أعظم المناصب الإلٰهية فكلام الخليل أيضاً من هذا القبيل وتفسيره في مَوضعه لا في تفاسير العامّة الّذين فسّروا القرآن بآرائهم وجوزوا الخَطأ علىٰ الأنبياء أمّا مطلقاً أو قبل البعثة بل يطلّب هذا وأمثاله من تفسير المعصُومين الّذين هُم الرّاسخُون في العِلم ولكن من يُضلله اللّه فماله من هادٍ وما أقبح عقلاً وشرعاً التكَلم بهذه الأراجيف وحمل كلمات اللّه تعالىٰ في كتابه علىٰ هذه التّأويلات والإستخراجات البعيدة عن العقُول السّليمة فالحقّ أن يقال أنّ عُمر رَدَّ علىٰ الرّسُول في هذا المَورد وذلك لكونه شاكّاً في بعثتِه ورسالَته كما رَدَّ عليه بعد مَوته صريحاً في موارد كثيرة كقوله مُتعتان محللّتان في زمن النّبي أو في عهد النّبي أنا أُحرمهما وأُعاقب عليهما وكقوله في الجُنب لا يُصلّي وقوله الصّلٰوة خير من النّوم وأمثال ذلك من مطاعنه وقد أوردنا شطراً منها في المُجلد الأوّل عند بَحثنا في الإمامة وليس ردّه عليه صلى‌الله‌عليه‌وآله منحصراً في هذا المَورد حتّىٰ يُؤّل

١- سورة البقرة، آية ٢٦٠.

٢- النجم ـ ٤

كلامه المُعتزلي أَليس قال أنّ الرّجل لَيهجُر هذا كلّه في حياة الرّسُول وأمّا بعد وفاته فإلىٰ ما شاء اللّه كما مَرّ شطراً منها في باب المطاعن ولا نطيل الكلام بذكرها وأنا أرجو من اللّه تعالىٰ أن يوفقّني بتأليف كتاب مستقّل في مطاعِن الخلفاء إنشاء اللّه .

وثانيها قوله ﷺ: **واسيته بنفسي الىٰ قوله أَكرَمني اللّه بها...**

وفيه أيضاً إشارة الىٰ كونه ﷺ أصلَح وأَليَق بالخلافة من غيره كائناً من كان وذلك لأنّ المُواساة للنّبي ﷺ كانت له ثابتة كما مَرّت الإشارة الىٰ بعض مَواردها والمُواساة تُنبئ عن المعرفة الكاملة واليَقين بالرّسالة كما أنّ عدمها يدّل علىٰ عدمها ولا شَك أنّ العارف بالرّسُول والمؤمن به والمُواسي له أولىٰ به من غير العارف وغير المُواسي فهو ﷺ أولىٰ به ﷺ وهو المطلوب .

وثالثها قوله ﷺ: **ولقد قُبض رسُول اللّه الىٰ قوله في ضريحه...**

والعقل يحكم بكونه ﷺ أليق وأَصلح من غيره أيضاً للخلافة وذلك لأنّ ما ذكره ﷺ يدّل علىٰ كونه أقرب الخلق الىٰ الرّسُول في حياته ومماته كما سيصّرح به أيضاً بعد هذا الكلام ومن كان كذلك فهو أولىٰ بخلافته ألا ترىٰ أنّ الإنسان اذا أوصىٰ لشخصٍ حين مَوته يُستكشف منه إعتماد المُوصي علىٰ الوّصي أكثر من إعتماده علىٰ غيره فلا يجوز لأحدٍ تَبديله بشخصٍ آخر ضرورة أنّه خلاف نظر المُوصي وما نحن فيه من هذا القبيل حيث أنّ الرّسُول ﷺ إختار علّياً لنفسه من جميع الصّحابة مع معرفته ﷺ بحالهم فلو علِم ﷺ أفضل وأكمل منه ﷺ لأوحىٰ اليه مُضافاً الىٰ أنّه ﷺ كان معصوماً عن الخطأ ولازم ذلك عدم جواز الخطأ عَليه ﷺ في أفعاله وأقواله وأنّ أفعاله وأقواله كان بأذن اللّه تعالىٰ وإمضائه لقوله تعالىٰ: **﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰ إنْ هُوَ إلاّ وَحيٌ يُوحىٰ﴾**(١) ولازم ذلك هو أنّ وصاية أمير المؤمنين كان في الحقيقة من اللّه تعالىٰ ففي هذا المورد كيف يجوز لأحدٍ التَّخطي عنه هذا كلّه علىٰ مذاق القوم

١ـ النجم ـ ٤

بمقتضىٰ العقل الّذي يدّعُون اتّصافهم به وإلّا فعلىٰ مذهب الخاصّة لا يتصدىٰ غسل المعصُوم وكفنه إلّا المعصُوم فكلّ من أوصىٰ المعصُوم اليه مَعصُوم لا محالة وكلّ معصوم إمامٌ وخليفةٌ بعده كما هو ثابت في محلّه وفي قوله ﷺ والملائكة أعواني إشارة الىٰ عظمة الرّسُول ومنزلته عند اللّه تعالىٰ وقوله ﷺ وما فارقَت سَمعي هُنيمة منهم، إشارة الىٰ أنّ الإمام يسمع كلام الملك ولا يراه وهذا هو الفرق بينه وبين الرّسُول والأخبار به كثيرة:

ورابعها قوله ﷺ: **فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيّاً وَمَيِّتاً**.

أي اذا كنتُ لَم أرّد علىٰ اللّه وعلىٰ رسُوله قطّ وواسيته بنفسي في المعارك والمهالك وقُبض ﷺ ورأسه علىٰ صدري وغسّلته وكفّنته وصلّيت عليه وواريته في قبره فَمن الّذي يكون أحقّ بالرّسُول منّي في حياته وفي مَماته وهذا نصّ منه ﷺ في إمامته وتخطئته لغيره وردّ علىٰ من قال أو يقول أنّ عليّاً أمضىٰ خلافة الخلفاء لنفسه أليس قوله (فَمَن) لِلإستفهام الإنكاري أي ليس أحقّ به منّي واذا كانت الخلافة حقّه فالمتّصدي لها غاصب لا محالة:

وخامسها قوله ﷺ: **فانفذوا علىٰ بصائركم** الىٰ آخر الخُطبة والمقصود لِمَ تضطربون وتَتَردون في الجهاد أَليس لكم عَقل ألا تدرُون أنّي أقول حقّاً ولأجل هذا قال ﷺ فوالّذي لا إله إلّا هو، أنّي لعلىٰ جادّة الحقّ وقد قال اللّه تعالىٰ: **﴿افَمَنْ يَهْدِي إلَى الْحَقِ احَقُّ اَنْ يُتَّبعَ امَّنْ لايَهِدِّيَ الاّ أَنْ يَهْدَىٰ فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾**(١) وقد نحصل ممّا ذكرناه في شرح كلامه انّه كان مظلوماً مقهوراً بعد النّبي كما هو شأن الحقّ ورِجاله في كلّ عصرٍ وزمان فأنّ النّاس عبيد الدّنيا والدّين لعقّ علىٰ ألسنتهم فاذا مُحصّوا بالبلاء قلّ الدّيانون، وقال اللّه تعالىٰ: **﴿وَقَليلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُور﴾**(٢) والحمد لِلّه ربّ العالمين.

١- يونس ـ٣٥.

٢- السباء- ١٣

ومن خطبة له عليه السلام (١٩٧)

▫ قوله عليه السلام: يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِي الْفَلَوَاتِ وَمَعَاصِيَ الْعِبَادِ فِي الْخَلَوَاتِ وَاخْتِلاَفَ النِّينَانِ فِي الْبِحَارِ الْغَامِرَاتِ وَتَلاَطُمَ الْمَاءِ بِالرِّيَاحِ الْعَاصِفَاتِ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً نَجِيبُ اللّٰهِ وَسَفِيرُ وَحْيِهِ وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ.

أَمَّا بَعْدُ أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللّٰهِ الَّذِي ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ وَإِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ وَبِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ وَإِلَيْهِ مُنْتَهَىٰ رَغْبَتِكُمْ وَنَحْوَهُ قَصْدُ سَبِيلِكُمْ وَإِلَيْهِ مَرَامِي مَفْزَعِكُمْ فَإِنَّ تَقْوَى اللّٰهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ وَبَصَرُ عَمَىٰ أَفْئِدَتِكُمْ وَ شِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ وَ صَلاَحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ وَطُهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ وَجِلاَءُ عَشَا أَبْصَارِكُمْ وَأَمْنُ فَزَعِ جَأْشِكُمْ وَضِيَاءُ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ فَاجْعَلُوا طَاعَةَ اللّٰهِ شِعَاراً دُونَ دِثَارِكُمْ وَدَخِيلاً دُونَ شِعَارِكُمْ وَلَطِيفاً بَيْنَ أَضْلاَعِكُمْ وَأَمِيراً فَوْقَ أُمُورِكُمْ وَمَنْهَلاً لِحِينِ وُرُودِكُمْ وَشَفِيعاً لِدَرَكِ طَلِبَتِكُمْ وَجُنَّةً لِيَوْمِ فَزَعِكُمْ وَمَصَابِيحَ لِبُطُونِ قُبُورِكُمْ وَسَكَناً لِطُولِ وَحْشَتِكُمْ وَنَفَساً لِكَرْبِ مَوَاطِنِكُمْ. فَإِنَّ طَاعَةَ اللّٰهِ حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفَ مُكْتَنِفَةٍ وَمَخَاوِفَ مُتَوَقَّعَةٍ وَأُوَارِ نِيرَانٍ مُوقَدَةٍ فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَىٰ عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوِّهَا وَاحْلَوْلَتْ لَهُ الْأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا وَانْفَرَجَتْ عَنْهُ الْأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاكُمِهَا وَأَسْهَلَتْ لَهُ الصِّعَابُ بَعْدَ إِنْصَابِهَا وَهَطَلَتْ عَلَيْهِ الْكَرَامَةُ بَعْدَ قُحُوطِهَا وَتَحَدَّبَتْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النِّعَمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا وَوَبَلَتْ عَلَيْهِ الْبَرَكَةُ بَعْدَ إِرْذَاذِهَا.

فَاتَّقُوا اللّهَ الَّذِي نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ وَوَعَظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ وَامْتَنَّ عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِهِ فَعَبِّدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ وَأَخْرِجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ.

ثُمَّ إِنَّ هٰذَا الإِسْلاَمَ دِينُ اللّهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ وَاصْطَنَعَهُ عَلَىٰ عَيْنِهِ وَأَصْفَاهُ خِيَرَةَ خَلْقِهِ وَأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَىٰ مَحَبَّتِهِ أَذَلَّ الأَدْيَانَ بِعِزَّتِهِ وَوَضَعَ الْمِلَلَ بِرَفْعِهِ وَأَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكَرَامَتِهِ وَخَذَلَ مُحَادِّيهِ بِنَصْرِهِ وَهَدَمَ أَرْكَانَ الضَّلاَلَةِ بِرُكْنِهِ وَسَقَىٰ مَنْ عَطِشَ مِنْ حِيَاضِهِ وَأَتْأَقَ الْحِيَاضَ بِمَوَاتِحِهِ ثُمَّ جَعَلَهُ لاَ انْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ وَلاَفَكَّ لِحَلْقَتِهِ وَلاَ انْهِدَامَ لِأَسَاسِهِ وَلاَ زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ وَلاَ انْقِلاَعَ لِشَجَرَتِهِ وَلاَ انْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ وَلاَ عَفَاءَ لِشَرَائِعِهِ وَلاَ جَذَّ لِفُرُوعِهِ وَلاَ ضَنْكَ لِطُرُقِهِ وَلاَ وُعُوثَةَ لِسُهُولَتِهِ وَلاَ سَوَادَ لِوَضَحِهِ وَلاَ عِوَجَ لاِنْتِصَابِهِ وَلاَ عَصَلَ فِي عُودِهِ وَلاَ وَعَثَ لِفَجِّهِ وَلاَ انْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ وَلاَ مَرَارَةَ لِحَلاَوَتِهِ فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاخَ فِي الْحَقِّ أَسْنَاخَهَا وَثَبَّتَ لَهَا أَسَاسَهَا وَيَنَابِيعُ غَزُرَتْ عُيُونُهَا وَمَصَابِيحُ شُبَّتْ نِيرَانُهَا وَمَنَارٌ اقْتَدَىٰ بِهَا سُفَّارُهَا وَأَعْلاَمٌ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا وَمَنَاهِلُ رُوِيَ وُرَّادُهَا جَعَلَ اللّهُ فِيهِ مُنْتَهَىٰ رِضْوَانِهِ وَذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ وَسَنَامَ طَاعَتِهِ فَهُوَ عِنْدَ اللّهِ وَثِيقُ الأَرْكَانِ رَفِيعُ الْبُنْيَانِ مُنِيرُ الْبُرْهَانِ مُضِيءُ النِّيرَانِ عَزِيزُ السُّلْطَانِ مُشْرِفُ الْمَنَارِ مُعْوِزُ الْمَثَارِ فَشَرِّفُوهُ وَاتَّبِعُوهُ وَأَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ.

ثُمَّ إِنَّ اللّهَ بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ بِالْحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ الدُّنْيَا الانْقِطَاعُ وَأَقْبَلَ مِنَ الآخِرَةِ الاِطِّلاَعُ وَأَظْلَمَتْ بَهْجَتُهَا بَعْدَ إِشْرَاقٍ وَقَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَىٰ سَاقٍ وَخَشُنَ مِنْهَا مِهَادٌ وَأَزِفَ مِنْهَا قِيَادٌ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ مُدَّتِهَا وَاقْتِرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا وَتَصَرُّمٍ مِنْ أَهْلِهَا وَانْفِصَامٍ مِنْ حَلْقَتِهَا وَانْتِشَارٍ مِنْ سَبَبِهَا وَعَفَاءٍ مِنْ أَعْلاَمِهَا وَتَكَشُّفٍ مِنْ عَوْرَاتِهَا وَقِصَرٍ مِنْ طُولِهَا.

جَعَلَهُ اللّهُ بَلاَغاً لِرِسَالَتِهِ وَكَرَامَةً لِأُمَّتِهِ وَرَبِيعاً لِأَهْلِ زَمَانِهِ وَرِفْعَةً لِأَعْوَانِهِ وَشَرَفاً لِأَنْصَارِهِ.

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُوراً لاَ تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ وَسِرَاجاً لاَ يَخْبُوا تَوَقُّدُهُ

وَبَحْراً لاَ يُدْرَكُ قَعْرُهُ وَمِنْهَاجاً لاَ يُضِلُّ نَهْجُهُ وَشُعَاعاً لاَ يُظْلِمُ ضَوْءُهُ وَفُرْقَاناً لاَ يَخْمَدُ بُرْهَانُهُ وَتِبْيَاناً لاَ تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ وَشِفَاءً لاَ تُخْشَىٰ أَسْقَامُهُ وَعِزّاً لاَ تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ وَحَقّاً لاَ تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ فَهُوَ مَعْدِنُ الإِيمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَبُحُورُهُ وَرِيَاضُ الْعَدْلِ وَغُدْرَانُهُ وَأَثَافِيُّ الإِسْلاَمِ وَبُنْيَانُهُ وَأَوْدِيَةُ الْحَقِّ وَغِيطَانُهُ وَبَحْرٌ لاَ يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ وَعُيُونٌ لاَ يُنْضِبُهَا الْمَاتِحُونَ وَمَنَاهِلُ لاَ يَغِيضُهَا الْوَارِدُونَ وَمَنَازِلُ لاَ يَضِلُّ نَهْجَهَا الْمُسَافِرُونَ وَأَعْلاَمٌ لاَ يَعْمَىٰ عَنْهَا السَّائِرُونَ وَآكَامٌ لاَ يَجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ جَعَلَهُ اللَّهُ رِيّاً لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ وَرَبِيعاً لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ مَحَاجَّ لِطُرُقِ الصُّلَحَاءِ وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ وَنُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ وَحَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ وَمَعْقِلاً مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ وَعِزّاً لِمَنْ تَوَلاَّهُ وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ وَهُدىً لِمَنْ ائْتَمَّ بِهِ وَعُذْراً لِمَنْ انْتَحَلَهُ وَبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ وَفَلْجاً لِمَنْ حَاجَّ بِهِ وَحَامِلاً لِمَنْ حَمَلَهُ وَمَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ وَجُنَّةً لِمَنْ اسْتَلْأَمَ وَعِلْماً لِمَنْ وَعَىٰ وَحَدِيثاً لِمَنْ رَوَىٰ وَحُكْماً لِمَنْ قَضَىٰ.

◁ **اللغة**

(**العَجيج**) بفتح العين الصّوت الرّفيع (**النِّينَانِ**) جمع نون وهو الحُوت (**الْغَامِرَاتِ**) يقال نهرٌ غامر أي كثير الماء (**النَّجيب**) بفتح النون المُختار المُصطفىٰ (**مَرَامِي**) جمع مرمىٰ (**المَفْزَع**) محلّ الخَوف ومَرمىٰ المَفزع ما يدفع اليه الخوف وهو المَلجأ (**الجأش**) ما يضطرب في القلب عند الفَزَع (**الدّثار**) ما يُلبس فوق الشّعار (**مَنهلاً**) المَنهَل ما ترده الشّاربة من الماء للشُرب (**الدَّرَك**) بالتّحريك اللّحاق (**الطِلْبة**) بكسر الطاء المطلوب (**الجُنّة**) بضم الجيم الوقاية (**أُوار**) بضّم الألف مرارة النّار ولَهيبها (**عَزَبَتْ**) بالزّاء أي غابت وبَعُدت (**الأنصاب**) مصدر بمعنىٰ الألقاب (**تَحَدَّبَتْ**) أي عطفت ونضبت (**النّضُوب**) نضب الماء نضُوباً غار وذهب في الأرض ونضُوب النّعمة قلّتها (**وَبَلت**) بفتح الواو أي أمطرت مَطراً شديداً (**أَرْذَاذِهَا**) أَرَذّ أرذاذاً قطرت مطراً ضعيفاً (**عَبْدوا**)

بتشديد الباء أي ذَلّلوا (**اصْطَنَعَهُ**) إصطناع الدّين تشريع الدّين وتكميله (**مُحَادِّيهِ**) بتشديد الدّال جمع محادّ المُخالفة الشّديدة (**أَثْأَقَ**) نحو أقام من ثئق الحَوض كفرح إمتلاء وأقامه أي مَلأه (**مَوَاتِحِهِ**) جمع ماتح وهو فارغ الماء من الحَوض (**العفاء**) كَسحاب الدّروس والإضمحلال (**جذّ**) الجَذ القطع (**الضّنك**) الضّيق (**وُعُوثَةَ**) وعث الطّريق وعُوثة اذا شق (**لِوَضْحِهِ**) الوَضح محركة بياض الصّبح (**عَصَلَ**) بفتح العين والصّاد إعوّج (**لِفَجِّهِ**) الفَج الطّريق الواسع.

(**أَسْنَاخَهَا**) أي أصولها (**غَرُزت**) أي كَسُرت (**شُبَّتْ**) إرتفعت (**سُفَّارُهَا**) بضَم السّين وتشديد الفاء ذو السّفَر (**مُعوذ المثار**) من أعوَذ أي إحتاج والمثار مصدر من ثار الغبار اذا هاج (**أَزَن**) أي ترب (**قِيَادٌ**) القياد الإنقياد (**أَشْرَاطِهَا**) أشراط جمع شَرط محَركة أي علامات إنقضائها (**تَصَرُّم**) بتشديد الصّاد التقطع (**عَنَاء**) العَفاء الإندراس (**بُحْبُوحَتُهُ**) بُحبوحة المكان وَسَطه (**غُدْرَانُهُ**) الغُدران جمع غَدير وهو القطعة من الماء (**أَثافي**) جمع أثفية الحجر يوضع عليه القدر (**غِيطَانُهُ**) جمع غاط أو غوط وهو المُطْمَئِن من الأرض (**آكام**) جمع أكَمة المَوضع المرتفع (**فَلَجاً**)الفَلَج بالفتح الظفَر والفوز والباقي واضح:

◁ **المعنى**

(**يَعْلَمُ**) أي يعلم اللّه تعالى (**عَجِيجَ الْوُحُوشِ**) وأصواتها (**فِي الْفَلَوَاتِ وَمَعَاصِيَ الْعِبَادِ فِي الْخَلَوَاتِ**) أي ويعلم معاصي العباد أيضاً فيها (**وَاخْتِلاَفَ النِّينَانِ فِي الْبِحَارِ الْغَامِرَاتِ**) أي ويعلم تردّدها في أعماق البُحور (**وَتَلاَطُمَ الْمَاءِ بِالرِّيَاحِ الْعَاصِفَاتِ**) أي ويعلمه أيضاً (**وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً نَجِيبُ اللّٰهِ**) ومُختاره (**وَسَفِيرُ وَحْيِهِ وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ**) أرسَله بالحقّ بشيراً ونذيراً (**أَمَّا بَعْدُ**) أي بعد الحَمد والثّناء والشّهادة (**أُوصِيكُمْ**) عباد اللّه (**بِتَقْوَى اللّٰهِ الَّذِي ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ وَإِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ**) إنّا لِللّه وإنّا اليه راجعون (**وَبِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ**) أي الظّفر بمطالبكم (**وَإِلَيْهِ**) تعالى (**مُنْتَهَىٰ رَغْبَتِكُمْ**) وَميلكم (**وَنَحْوَهُ**) الى جنابه (**قَصْدُ سَبِيلِكُمْ وَإِلَيْهِ مَرَامِي مَفْزَعِكُمْ**) فهو مَلجأ خوفكم (**فَأَنَّ تَقْوَى اللّٰهِ**

دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ) عن الأمراض القلبيّة (وَبَصَرُ عَمَى أَفْئِدَتِكُمْ) أي أنّ التّقوى بمنزلة البَصر لِلأفئدة العَمياء (وَ شِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ) فتكون الأجساد بها صَحيحة غير مَريضة (وَ صَلاَحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ) فالصُّدور بها تصير صالحة (وَطُهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ) فتَصير الأنفس بها طاهرة (وَجَلاَءُ عَشَا أَبْصَارِكُمْ) فتكون الأبصار بها مُتّصِفة بالجَلاء (وَأَمْنُ فَزَعِ جَأْشِكُمْ) فيسكن إضطراب القلب بها (وَضِيَاءُ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ) في الدّين والدّنيا (فَاجْعَلُوا طَاعَةَ اللّهَ) لأنفسكم (شِعَاراً دُونَ دِثَارِكُمْ) أي بمنزلة الشّعار المُلاصق للبَدن لا الدّثار الّذي فوق الشّعار (وَدَخِيلاً دُونَ شِعَارِكُمْ) أي إجعلوها داخلاً في باطنكم تحت الشّعار (وَلَطِيفاً بَيْنَ أَضْلاَعِكُمْ) وهو غاية المُبالغة في إدخالها في الباطن (وَأَمِيراً فَوْقَ أُمُورِكُمْ) أي حاكماً عليها (وَمَنْهَلاً) ومَشرباً (لِحِينِ وُرُودِكُمْ) يوم القيامة (وَشَفِيعاً لِدَرَكِ طَلِبَتِكُمْ) وحاجتكم (وَجُنَّةً) وسَتراً (لِيَوْمِ فَزَعِكُمْ) في القيامة (وَمَصَابِيحَ لِبُطُونِ قُبُورِكُمْ وَسَكَناً لِطُولِ وَحْشَتِكُمْ وَنَفَساً لِكَرْبِ مَوَاطِنِكُمْ) بعد موتكم.

ولا شك أنّ طاعة اللّه تكون كذلك (فَإِنَّ طَاعَةَ اللّهِ حِرْزٌ) وعَوزةٌ (مِنْ مَتَالِفَ مُكْتَنِفَةٍ) أي من المهالك المُحيطة بالإنسان (وَمَخَاوِفَ مُتَوَقَّعَةٍ) أي وحرزٌ من المخوفات المُنتظرة (وَأُوَارِ نِيرَانٍ مُوقَدَةٍ) أي ومن حرارة النّار المُوقدة (فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ) أي غابت وبَعُدت (عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوِّهَا وَاحْلَوْلَتْ لَهُ الْأُمُورُ) أي اتّصفت بالحُلو (بَعْدَ مَرَارَتِهَا وَانْفَرَجَتْ عَنْهُ الْأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاكُمِهَا) أي أمواج البلايا إنفرجت بها، (وَأَسْهَلَتْ لَهُ الصِّعَابُ) والمشّقات (إِنْصَابِهَا) وأتعابها (وَهَطَلَتْ) وأمطَرت (عَلَيْهِ الْكَرَامَةُ بَعْدَ قُحُوطِهَا) وحبسها (وَتَحَدَّبَتْ) وتَعطّفت (عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا) أي بعد ما كانت نافرة عنه (وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النِّعَمُ) الإلهية (بَعْدَ نُضُوبِهَا) وقِلّتها (وَوَبَلَتْ) وأمطَرت (عَلَيْهِ الْبَرَكَةُ بَعْدَ إِرْذَاذِهَا) وضَعفها (فَاتَّقُوا اللّهَ الَّذِي نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ وَوَعَظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ وَامْتَنَّ عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِهِ) كما قال تعالى

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [1] وقال ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً﴾ [2] (فَعَبَّدُوا) وذللوا (أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ وَأَخْرَجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ) بالإنقياد (ثُمَّ إِنَّ هٰذَا الإِسْلاَمَ دِينُ اللّٰهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ) أي إختاره كذلك (وَاصْطَنَعَهُ) أي شرعه وأحكمه (عَلَىٰ عَيْنِهِ وَأَصْفَاهُ خِيَرَةَ خَلْقِهِ) أي آثر وإختار للبعثة خيرة خلقه محمد ﷺ (وَأَقَامَ دَعَائِمَهُ) أي دعائم الدين (عَلَىٰ مَحَبَّتِهِ) أي محبة الرسول (أَذَلَّ الأَدْيَانَ بِعِزَّتِهِ) بعزة الإسلام أو الرسول (وَوَضَعَ الْمِلَلَ بِرَفْعِهِ) الإسلام يعلو ولا يُعلىٰ عليه (وَأَهَانَ أَعْدَاءَهُ) أعداء الإسلام أو أعداء الرسول (بِكَرَامَتِهِ) وشرافته (وَخَذَلَ مُحَادِّيهِ) ومخالفيه (بِنَصْرِهِ) وعونه (وَهَدَمَ أَرْكَانَ الضَّلاَلَةِ بِرُكْنِهِ وَسَقَىٰ مَنْ عَطِشَ مَنْ حِيَاضِهِ) المعنوية (وَأَتْأَقَ) وإمتلأ (الْحِيَاضَ بِمَوَاتِحِهِ) ونازعه (ثُمَّ جَعَلَهُ لاَ انْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ) وحبله (وَلاَفَكَّ لِحَلْقَتِهِ وَلاَ انْهِدَامَ لِأَسَاسِهِ وَلاَ زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ) وأركانه (وَلاَ انْقِلاَعَ لِشَجَرَتِهِ) المباركة الّتي أصلها ثابت وفرعها في السّماء (وَلاَ انْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ) بل حلاله حلال الىٰ يوم القيامة وحرامه كذلك (وَلاَ عَفَاءَ) وإندراس (لِشَرَائِعِهِ وَلاَ جَذَّ) أي ولا قطع (لِفُرُوعِهِ) وغصونه (وَلاَ ضَنْكَ) ولا ضيق (لِطُرُقِهِ وَلاَ وُعُوثَةَ) وصعوبة (لِسُهُولَتِهِ وَلاَ سَوَادَ لِوَضَحِهِ) وبياضه (وَلاَ عِوَجَ لاِنْتِصَابِهِ) وقيامه (وَلاَ عَصَلَ) وإعوجاج (فِي عُودِهِ) وإستقامته (وَلاَ وَعَثَ) وتعسّر (لِفَجِّهِ) لطريقه الواسع، (وَلاَ انْطِفَاءَ) وإضمحلال (لِمَصَابِيحِهِ) وسُرجه (وَلاَ مَرَارَةَ لِحَلاَوَتِهِ) المعنوية الروحية (فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاخَ) وأثبت (فِي الْحَقِّ أَسْنَاخَهَا) وأصولها (وَثَبَّتَ لَهَا) لِلدّعائم (أَسَاسَهَا) و أبنيتها (وَيَنَابِيعَ غَزُرَتْ)

وكثرت (عُيُونُهَا) الجارية النّافعة (وَمَصَابِيحُ شُبَّتْ) وإرتفعت (نِيرَانُهَا) من الإيقاد (وَمَنَارٌ اقْتَدَىٰ بِهَا سُفَّارُهَا) أي يهتدي بها المسافرون في طريق الهُدىٰ (وَأَعْلاَمٌ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا) و طرقها (وَمَنَاهِلُ) ومشارب (رُوِيَ) بمائها

١- المائدة-٣ ٢- آل عمران-١٦٤

(وُرَّادُهَا) الواردون فيها (جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مُنْتَهَى رِضْوَانِهِ) أي غاية رضاه (وَذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ) وسنامها (وَسَنَامَ طَاعَتِهِ) وأساسها (فَهُوَ) أي الدّين (عِنْدَ اللَّهِ وَثِيقُ الْأَرْكَانِ رَفِيعُ الْبُنْيَانِ مُنِيرُ الْبُرْهَانِ مُضِيءُ النِّيرَانِ عَزِيزُ السُّلْطَانِ مُشْرِفُ الْمَنَارِ) ومُرتفعة (مُعْوِزُ الْمَثَارِ) فلا يمكن لأحدٍ إثارة الدّين (فَشَرِّفُوهُ وَاتَّبِعُوهُ وَأَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ) بالعَمَل على طبق موازينه (وَضَعُوهُ)أي إجعلوه (مَوَاضِعَهُ) فلا تحَرفوه عنها (ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ بِالْحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ الدُّنْيَا الِانْقِطَاعُ وَأَقْبَلَ مِنَ الْآخِرَةِ الِاطِّلَاعُ) بحضور مَوتهم (وَأَظْلَمَتْ بَهْجَتُهَا بَعْدَ إِشْرَاقٍ) لكونه ﷺ مبعوثاً على النّاس في زمان الفترة (وَقَامَتْ بِأَهْلِهَا) أي بأهل الدّنيا (عَلَى سَاقٍ وَخَشُنَ مِنْهَا مِهَادٌ) وهو كناية عن شدّة آلامها (وَأَزِفَ) وقرب (مِنْهَا قِيَادٌ) أي إنقيادها للزوال (فِي انْقِطَاعٍ مِنْ مُدَّتِهَا وَاقْتِرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا) أي علامات إنقضائها (وَتَصَرُّمٍ) وتقطع (مِنْ أَهْلِهَا) وإنقطاع من حلقتها (وَانْفِصَامٍ مِنْ حَلْقَتِهَا) اذ لو إنفصَمت الحلقة إنقطعت الرّابطة (وَانْتِشَارٍ مِنْ سَبَبِهَا) اذ في صورة الإنتشار لا تضبط (وَعَفَاءٍ مِنْ أَعْلَامِهَا) أي الإندراس منها (وَتَكَشُّفٍ مِنْ عَوْرَاتِهَا) أي ظهور من معايبها ومساوئها الّتي كانت مستُورة (وَقِصَرٍ مِنْ طُولِهَا) أي تماديها وإمتدادها أو قِصر عُمرها (جَعَلَهُ اللَّهُ بَلَاغاً لِرِسَالَتِهِ) لقوله تعالى وما على الرّسُول إلّا البلاغ (وَكَرَامَةً لِأُمَّتِهِ) أي أكرمهم اللّه بجعله ﷺ رسُولاً لهم (وَرَبِيعاً لِأَهْلِ زَمَانِهِ) لإبتهاجهم ببهجته (وَرِفْعَةً لِأَعْوَانِهِ وَشَرَفاً لِأَنْصَارِهِ) أي جعل اللّه تعالى رسُوله مُوجباً لشَرف أنصاره ورفعة مقام أعوانه (ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ) وهو القرآن لكونه (نُوراً لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ وَسِرَاجاً لَا يَخْبُو) ولا يُطفأ (تَوَقُّدُهُ) فلا ينقطع إهتداء النّاس به (وَبَحْراً لَا يُدْرَكُ قَعْرُهُ وَمِنْهَاجاً لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ وَشُعَاعاً لَا يُظْلِمُ ضَوْءُهُ وَفُرْقَاناً) فارقاً بين الحقّ والباطل (لَا يُخْمَدُ بُرْهَانُهُ) بل يكون برهانه جليلاً دائماً (وَتِبْيَاناً لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ) أبداً (وَشِفَاءً لَا تُخْشَى أَسْقَامُهُ) فهو الشّافي لأمراض القلوب دائماً (وَعِزّاً لَا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ) أي لا

تُغلَب ولا تُقهر (وَحَقّاً لاَ تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ) بل أعوانه عَزيزة أبداً (فَهُوَ مَعْدِنُ الإِيمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ) أي وَسَطَه بلا إفراط وتفريط (وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَبُحُورُهُ) فأنّ القرآن حاوٍ لجميع العلُوم (وَرِيَاضُ الْعَدْلِ وَغُدْرَانُهُ) فمنه يُستنبط طريق العدل (وَأَثَافِيُّ الإِسْلاَمِ وَبُنْيَانُهُ)أي أنّه أساس الإسلام الّذي بنىٰ الإسلام عليه (وَأَوْدِيَةُ الْحَقِّ وَغِيطَانُهُ) أي أنّه الأرض المُطَمئنة الّتي يجد الطّالب فيها ما يطلب (وَبَحْرٌ لاَ يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ) فلا يقدرون علىٰ نزحه كلاً (وَعُيُونٌ لاَ يُنْضِبُهَا) ولا يغيرها (الْمَاتِحُونَ) النّازعون.

(وَمَنَاهِلُ) ومشارب (لاَ يَغِيضُهَا) ولا ينقصها (الْوَارِدُونَ) عليها (وَمَنَازِلُ لاَ يَضِلُّ نَهْجَهَا) وطريقها (الْمُسَافِرُونَ) فيها (وَأَعْلاَمٌ لاَ يَعْمَىٰ عَنْهَا السَّائِرُونَ) فلا يفقدونها (وَآكَامٌ) وقللٌ مرتفعةٌ (لاَ يَجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ) لعُلوها وارتفاعها (جَعَلَهُ اللّهُ رِيّاً لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ) فيسكن عطشهم به (وَرَبِيعاً لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ) فتحيىٰ قلوبهم به (مَحَاجَّ لِطُرُقِ الصُّلَحَاءِ) لأنّه يهدي لِلّتي هي أقوم (وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ) أي أنّه دواء الجهل والأمراض الرّوحانية فلا داء بعده أصلاً (وَنُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ) لكونه نُوراً محضاً وضياءً خالصاً (وَحَبْلاً وَثِيقاً) أي مُحكماً (عُرْوَتُهُ) فلا إنفصام فيه (وَمَعْقِلاً) وملجأً (مَنِيعاً) رفيعاً (ذِرْوَتُهُ وَعِزّاً لِمَنْ تَوَلاَّهُ) واعتصم به عِلماً وعَملاً (وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ) فَمن دَخله يسلم عن الآفات (وَهُدىً لِمَنْ ائْتَمَّ بِهِ) ويقتدي به (وَعُذْراً لِمَنْ انْتَحَلَهُ) وجَعله نِحلته (وَبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ) أي حجّة واضحة له (وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ) أي دليلاً محكماً لِلمُستَدل (وَفَلْجاً لِمَنْ حَاجَّ بِهِ) أي ظفراً وفوزاً للمُخاصم (وَحَامِلاً لِمَنْ حَمَلَهُ وَمَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ وَآيَةً) وعلامة (لِمَنْ تَوَسَّمَ) وتنكّر فيه (وَجُنَّةً) وستراً (لِمَنْ اسْتَلْأَمَ) أي وقاية وسلاحاً لطالب الدّرع والسّلاح (وَعِلْماً لِمَنْ وَعَىٰ) وحفظ (وَحَدِيثاً لِمَنْ رَوَىٰ وَحُكْماً لِمَنْ قَضَىٰ) به في قضاوته:

◁ الشّرح

▫ قوله عليه السلام: يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِي الْفَلَوَاتِ وَمَعَاصِيَ الْعِبَادِ فِي الْخَلَواتِ وَاخْتِلاَفَ النِّينَانِ فِي الْبِحَارِ الْغَامِرَاتِ وَتَلاَطُمَ الْمَاءِ بِالرِّيَاحِ الْعَاصِفَاتِ...

العَجيج بفتح العين من عَجَّ يَعجّ عجّاً وعَجيجاً رفع الصّوت بالتّلبية وقيل مطلق رفع الصّوت، والوُحُوش بضّم الواو جمع وحش وهو خلاف الإنس وتسمّىٰ الحيوانات التّي لا أُنس لها بالإنس وَحشياً والفَلوات جمع فلاة وهي الصّحراء أو كلّ أرضٍ قَفر لا ماء فيها ولا كِلاء والخلوات جمع خلوة وهي ضدّ جَلوة والمقصود أنّ اللّه تعالىٰ يعلم بعلمه الشّامل الكامل أصوات الوُحُوش في الأراضي الخالية ويعلم معاصي العباد في خَلَواتهم ويعلم إختلاف النّينان وتردّدها في أعماق البحار ويعلم أيضاً عَدد تلاطم الماء وكيفيته بالرّياح العواصف والغرض أنّ اللّه تعالىٰ عالم بكلّ شيٍ فلا يخفىٰ عليه شيٌ لا في الأرض ولا في السّماء ولا في البرّ ولا في البَحَر ولا في الخلوة ولا في غيرها لأنّه الخالق المُوجد لكلّ ما سواه والخالق لا يكون جاهلاً بخلقه وقد مرَّ الكلام في شمول علمه تعالىٰ وكيفية تعلقه بالمخلوقات قبل الخلق وبعده بما لا مزيد عليه في المُجلد الأوّل من هذا الكتاب وأقمنا البراهين العقلّية علىٰ إثباته هناك فلا نُعيد الكلام بذكره ثانياً كيف والجهل نقص واللّه تعالىٰ منزّه عن النّقائص:

قال اللّه تعالىٰ في كتابه: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ (١)

و: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٢)

و: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٣)

و: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (٤)

▫ قوله عليه السلام: وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً نَجِيبُ اللّهِ وَسَفِيرُ وَحْيِهِ وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ...

أمّا أنّه صلى الله عليه وآله نجيب اللّه فلكونه ممّن إختاره اللّه وإصطفاه لرسالته وأمّا أنّه

١- الحديد_٤ ٢- النحل_٢٣

٣- القصص_٦٩ ٤- الغافر_١٩

سفير وحيه فلأنّ السّفير الرّسُول المُصلح بين القوم وهو ﷺ كان كذلك وأمّا أنّه رسُول رحمته فلقوله تعالىٰ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(١)

□ قوله ﷺ: أَمَّا بَعْدُ أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىَ اللَّهِ الَّذِي ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ وَإِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ...

ثمّ أوصاهم بتقوىٰ اللّه الّتي هي خير الزّاد ووَصف اللّه تعالىٰ بأُمورٍ ستّة:

أحدها قوله ﷺ: أنّه الَّذِي ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ وأوجدكم كما قال اللّه تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾(٢)

و: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾(٣)

وثانيها قوله ﷺ: وَإِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ قال تعالىٰ:﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٤)

و: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾(٥)

و: ﴿وإِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾(٦)

و: ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾(٧)

و: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً إِنَّهُ يَبْدَءُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾(٨) وقيل بالفارسية:

آب اين جُوى سوى دريا مَيروَد از همانجا كآمد آنجا ميرود

وقال تعالىٰ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾(٩) وقد مَرَّ الكلام في المعاد مفَصلاً.

وثالثها قوله ﷺ: وَبِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ، أي الظَّفر بمطالبكم وهو أيضاً ممّا لا كلام فيه لأنّ اللّه تعالىٰ قادرٌ علىٰ كلّ شيْ غنّي عمّا سواه وغيره محتاج اليه في جميع شئونه وقد تكلّمنا في الطّلب والدّعاء مفصّلاً.

١- الانبياء ـ١٠٧
٢- البقرة ـ٢١
٣- الرّوم ـ٢٠
٤- فصّلت ـ٢١
٥- البقرة ـ١٥٦
٦- العلق ـ٨
٧- الانبياء ـ٩٣
٨- يونس ـ٤
٩- الانبياء ـ١٠٤

ورابعها قوله عليه السلام: **وَإِلَيْهِ مُنْتَهَىٰ رَغْبَتِكُمْ**، أي رَغبتكم لكلّ شيءٍ تنتهي بالآخرة اليه اذ لا يقدر أحد علىٰ قضاء حوائجكم غيره تعالىٰ فأنّه تعالىٰ قاضي حوائج السّائلين ومُنجح طَلبات الرّاغبين:

وخامسها قوله عليه السلام: **وَنَحْوَهُ قَصْدُ سَبِيلِكُمْ**، فأنّه منتهىٰ سَير السّالك وغاية آمال القاصد ألا بذكر اللّه تَطْمئِن القلُوب، وآخر مراتب سير العَبودية البلوغ الىٰ مقام قربه:

وسادسها: قوله عليه السلام: **وَإِلَيْهِ مَرَامِي مَفْزَعِكُمْ**، مَرمَىٰ المَفزَع ما يدفع اليه الخَوف وهو المَلجَأ والمعنىٰ اليه مَلاجيء خَوفكم فأنّه يُجيب المُضطر اذا دعاه ويكشف عنه السّوء اذا ناداه كما قال تعالىٰ حكاية عن يُوسف النّبى : ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ (١)

□ قوله عليه السلام: **فَأَنَّ تَقْوَى اللَّهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ وَبَصَرُ عَمَىٰ أَفْئِدَتِكُمْ وَ شِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ وَ صَلَاحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ وَطُهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ وَجَلَاءُ عَشَا أَبْصَارِكُمْ وَأَمْنُ فَزَعِ جَأْشِكُمْ وَضِيَاءُ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ...**

ثُمّ وَصَف عليه السلام التّقوىٰ أيضاً بأمور كلّها مترتّب عليها:

أحدها: أنها **دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ**، أي أنّ القلُوب المريضة بالجهل والحَسَد والبُخل والكِبر وغيرها.

تتداوىٰ بالتّقوىٰ فأنّ من لا تقوىٰ له متّصف بهذه الرّذائل فلا يبال من إرتكاب المعاصي وإثبات المَرض لِلقلُوب ممّا لا إشكال فيه قال اللّه تعالىٰ: ﴿في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً﴾ (٢)

و : ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ (٣)

و : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ (٤) فأفاد عليه السلام في كلامه أنّ دواء هذا المَرَض هو التّقوىٰ قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَ

١- يوسف ـ٨٦ ٢- البقرة ـ١٠
٣- المائدة ـ٥٢ ٤- التّوبة ـ١٢٥

اتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[1]

وثانيها قوله ﷺ: **وَبَصَرُ عَمَى أَفْئِدَتِكُمْ**، شبّه ﷺ الأفئدة والقلوب بما له البَصَر ثُمَّ أثبت لها البَصَر ثُمَّ نفىٰ عنها البَصر وأثبت لها العمىٰ اذ لو لم يثبت للشَيئ بصر أوّلاً لا يمكن إثبات العمىٰ له لأنّ تقابل العمي والبَصر تقابل العدم والملكة فالعمىٰ عدم البَصر عمّا من شأنه أن يكون بَصيراً لا أنّه عدم البصر مطلقاً وهذا معنىٰ قولنا أثبت له البَصر أوّلاً ولو تَخيلاً ثُمّ اتّصفه بالعمىٰ هذا بحسب الظاهر:

ويمكن أن يقال أنّ المراد ببصر الأفئدة بصيرتها كما أنّ عمىٰ الأفئدة عدم بصيرتها فلا تشبيه في المقام والمعنىٰ أنّ القلوب والأفئدة الّتي لا بصيرة لها في الدّين تصير بسبب التّقوىٰ مُبصرة فتعلم خيرها من شرّها وتعرف حقيقة دينها الّذي إرتضاه لنفسه وأمّا غير المتّصف بها فهو، لا بصيرة له كالأعمىٰ الّذي لا يرىٰ قدامّه فيقع لا محالة في الهلكات والخطرات في الدّنيا والآخرة.

وثالثها قوله ﷺ: **وَ شِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ**،قالوا في شرح هذا الكلام ما حاصله أنّ عمدة سَبَب المرض هو الشّبع والبطنة وأهل التّقوىٰ متّصف بقلّة الأكل والقناعة بالحلال فيسلم جسده غالباً عن الأمراض والأسقام وعليه فكلامه ﷺ محمول علىٰ الغالب انتهىٰ

والّذي يخطر بالبال هو أنّ ما ذكروه في شرح العبارة لا يرجع الىٰ مَحصّلٍ بل نقول لم يفهموا ما قالوه ولَم يشعروا ما حقّقوه وذلك لأنّ قلّة الأكل والقناعة بالحلال لو سلم كونهما مُوجباً لسلامة الجَسد فمعناه أنّ الجَسد لا يتّصف بالمرض مثلاً وليس هو شفاء المرض فأنّ الشّفاء بعد وجود المرض لا قبله فأيّ ربطٍ لما قالوه وما في كلامه ﷺ فهو ﷺ قال بالتّقوىٰ شفاء المَرض في الجَسد وهؤلاء قالوا أنّ المُتّقين بسبب قلّة أكلهم يسلمُون عن المرض اللّهم إلّا أن يقال أنّ السّلامة عن المرض يعبّر عنها بالشّفاء ولم يقل به أحد أذ لا يعقل الشّفاء في صُورة عدم المَرض وهو ظاهر والّذي نقول في حلّ العبارة هو أنّ

١- المجادلة ٩.

المتّقين في أمراضهم الجسّمانية يستشفون بالتّقوىٰ كما أنّهم كذلك في الأمراض الرّوحية وذلك لأنّ الشّافي عن كلّ مرضٍ هو اللّه تعالىٰ جسماً كان أو روحاً فكما أنّ المَرض الرّوحي من الجهل والبُخل والحَسد والكِبر وغيرها لا يمكن لصاحبها التّخلص منها إلّا بتوفيقٍ من اللّه تعالىٰ والإستعانة به فكذلك المَرض الجسمي أيضاً لا يمكن التّخلص منه بعد قطع الأسباب المَادية إلّا به تعالىٰ بل وقبل قطعها أيضاً لأنّ الأسباب من الطّبيب والدّواء لا يشفي المريض بل الشّفاء بيده.

وحاصل الكلام أنّ الشّافي في الأمراض الجسماني أيضاً هو اللّه تعالىٰ كما قال تعالىٰ: ﴿وَاِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[1]

و: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ اَلْوانُهُ فيهِ شِفاءٌ لِلنّاسِ﴾[2]

هذا بالنّسبة الىٰ الجسم وقال تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرانِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنينَ﴾[3] و: ﴿قَدْ جائَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفاءٌ لِما فِى الصُّدُورِ﴾[4] وهذا بالنّسبة الىٰ القلوب فهذه الآيات كما ترىٰ تُصَرح بأنّ الشّافي في جميع الأمراض جسمانياً أو رُوحانياً هو اللّه تعالىٰ اذا عرفت هذا فنقول نسب عليه السلام الشّفاء الىٰ التّقوىٰ لأنّها من أعظم الوسائل والوسائط في التّقرب الىٰ اللّه تعالىٰ بل لا وسيلة للقُرب اليه إلّا هي وعليه فهي سَببٌ لِلشّفاء فالكلام خرج مخرج ذكر السّبب وإرادة المُسبب كما نُسب الشّفاء الىٰ القرآن والموعظة في الآيات مع أنّ القرآن والموعظة كلام اللّه والشّافي هو اللّه في الحقيقة لا الألفاظ والحروف فافهم وتأمل في المقام.

ورابعها قوله عليه السلام: وَ صَلاحُ فَسادِ صُدُورِكُمْ، أي أنّ التّقوىٰ توجب صلاح صدوركم بخروج الفساد عنها ودخول الفضائل فيها فَمن اتّصف بها يخرج عن قلبه الحَسد والكِبر وغيرها ومن لم يتّصف بها يكون صَدره ضيّقاً حَرجاً كما قال اللّه تعالىٰ مخاطباً لنبيّه: ﴿اَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ . وَوَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ، الَّذي

١- الشعراء ـ ٨٠ | ٢- النّحل ـ ٦٩
٣- الاسراء ـ ٨٢ | ٤- يونس ـ ٥٧

انقض ظهرك﴾[1] ومن المعلوم أنّ الإنشراح للصّدر لا يمكن إلّا بالتّقوىٰ فمن أراد إصلاح صَدره فعليه بالتّقوىٰ:

وخامسها قوله ﷺ: **وَطُهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ**، أي أنّ التّقوىٰ طاهرة بذاتها مُطهِّرة لغيرها أمّا طَهوَريتها بذاتها فلا كلام فيها لأنّها عبارة عن الفضائل النّفسانية من العدالة والسّخاوة والشّجاعة والعفّة وغيرها وأمّا مُطهِريتها لغيرها فلأنّها تُوجب طهارة النّفوس المتّصفة بها عن الخبائث والأرجاس وتنزهها عمّا لا يليق بها فأنّ النّفس لأمارّة بالسّوء إلّا ما رحم ربّي:

وسادسها قوله ﷺ: **وَجَلَاءُ عَشَا أَبْصَارِكُمْ**،أن كان المراد بالأبصار الأبصار القلبية فالمعنىٰ ظاهر اذ التّقوىٰ تُوجب زيادة البَصيرة في الدّين والدّنيا وأن كان المراد بالأبصار الأبصار الظّاهرة الحسّية فالمعنىٰ أنّ المتّقي يرىٰ وينظر الىٰ الأشياء بغير ما ينظر اليها غيره فالغَير لا يرىٰ منها إلّا ظاهرها وهو يرىٰ الأشياء كما هي فَنَظَر المتّقي نظرٌ عميق ونَظَر غير المتّقي نَظرٌ تحت الأغشية والحُجب المّادية فالمتّقين يرون في الأشياء خالقها وغيرهم يرون فيها مادّتها وشكلها وبين المَقامين بَونٌ بعيد ولعله الىٰ هذا المعنىٰ يشير ما ورد في الأحاديث من أنّ المؤمن ينظر بنُور الله ﴿اتّقوا فراسة المؤمن﴾وأمثال ذلك من الأحاديث:

وسابعها قوله ﷺ: **وَأَمْنُ فَزَعِ جَأْشِكُمْ**، أي أنّ التّقوىٰ تُوجب الإطمئنان في القلب برفع القلق والإضطراب عنه .

والسّر فيه هو أنّ المُتّقي يتوكّل علىٰ الله في جميع أُموره اذ لا يرىٰ في الوجود مؤثراً إلّا هو ولا شك في أنّ من توكّل عليه فهو حَسبُه فلا يخاف من غير الله تعالىٰ ولا يرجو إلّا من الله تعالىٰ واذا كان كذلك فيكون قلبه مطَمئِناً فلا إضطراب فيه هذا في أمر الدّنيا وأمّا بالنّسبة الىٰ الآخرة فالأمر أوضح لعلمه بأنّ المُتّقين في جنّاتٍ وعُيون لهم فيها ما تشتهي الأنفس وتلَذ الأعين فلا محالة لا خوفٌ عليهم ولا هم يَحزنون فأنّ وَعد الله تعالىٰ حقّ وكلامه صدق فالقلب مُطمئنٌ وهو المطلوب:

١- الانشراح ـ١/٢/٣

وثامنها قوله عليه السلام: **وَضِيَاءُ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ**، أي أنّ التّقوىٰ ضياء سواد ظلمة الجهل والتّعصب والضّلالة فلا يمكن الخروج منها إلّا بها وقيل المراد من سواد الظّلمة سواد ظلمة القلب أي الحاصل لها من إكتساب الآثام وإنهماك الشّهوات فأنّ المعاصي تُوجب ظلمة القلب وبالتّقوىٰ يحصل له نُورٌ وضياء.

ثُمّ بعد ذكره أوصاف التّقوىٰ وآثارها أمَرَهم بالأخذ بها وجعلها شعاراً لأنفسهم وأشار عليه السلام فيه الىٰ أُمور:

أحدها قوله عليه السلام: **فَاجْعَلُوا طَاعَةَ اللّٰهَ شِعَاراً دُونَ دِثَارِكُمْ وَدَخِيلاً دُونَ شِعَارِكُمْ...**

الشّعار ما يُلبس ملاصقاً للبدَن والدّثار ما يُلبس فوقه شبّه عليه السلام طاعة اللّه بالشّعار الملاصق للبَدن وقال إجعلوا طاعة اللّه شعاراً ووجه الشّبه أنّ الشّعار أقرب شيْ الىٰ الإنسان فتشبيه الطّاعة به مشعر بالمُواظبة عليها ظاهراً وباطناً أو أنّ الشّعار يقي البَدَن عن الحّر والبَرد وغيرهما من الآفات والآلام فكذلك الطّاعة تقي الإنسان من عذاب الدّنيا والآخرة ولأجل الإشارة الىٰ هذا القرب والمُواظبة قال عليه السلام دون دثارِكم أي لا تجعلوا طاعة اللّه من قبيل الدّثار الّذي ليس فيه كثير إحتياج بل يُلبس كثيراً ما للزّينة والفَخر وقوله عليه السلام ودخيلاً دون شعاركم أي داخلاً في باطنكم فهو تأكيدٌ لِلأوّل علىٰ مَسلك القوم وأمّا عندنا فهو شيْ آخر أدّق وأتّقن من الأوّل وهو جعلها في باطن القلب وسّر النّفس فلا يتّفكر إلّا بها ولا يضمر في نفسه إلّا هي وأن كان الوصُول الىٰ هذا المقام صعبٌ عسير.

وثانيهما قوله عليه السلام: **وَلَطِيفاً بَيْنَ أَضْلاَعِكُمْ**، وهو غاية المبالغة في الإتّصاف بها باطناً.

وثالثها قوله عليه السلام: **وَأَمِيراً فَوْقَ أُمُورِكُمْ**، أي كما أنّ الرّعية تطيع أمر الأمير فهو الّذي يأمرهم وينهاهم فكذلك طاعة اللّه ينبغي أن تكون آمراً لكم.

ورابعها قوله عليه السلام: **وَمَنْهَلاً لِحِينِ وُرُودِكُمْ**، أي مَشرباً تشربُون من عذب مائها حين ورودكم عليه يوم القيامة شبّه عليه السلام الطّاعة بالمشرب والإنسان

بالعَطشان ووجه الشّبه ظاهر:

وخامسها قوله ﷺ: **وَشَفِيعاً لِدَرَكِ طَلِبَتِكُمْ**، أي إجعلوها وسيلة وسَبباً بينكم وبين اللّه في الوصُول الىٰ المطالب والبلوغ الىٰ الآمال في الدّنيا والآخرة:

وسادسها قوله ﷺ: **وَجُنَّةً لِيَوْمِ فَزَعِكُمْ**، وهو يوم القيامة أي إجعلوها ستراً بينكم وبين العذاب في الآخرة فأنّ التّخلص من العذاب غداً لا يمكن إلّا بالطّاعة لِلّه ولرسُوله قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾**(١)

و: **﴿مَنْ يُطِعِ اللهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ اَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَداءَ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً﴾**(٢)

و: **﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾**(٣)

وسابعها قوله ﷺ: **وَمَصَابِيحَ لِبُطُونِ قُبُورِكُمْ**، أي اجعلوها بمنزلة المصابيح لقبوركم المُظلمة فإستضيئوا بها وأمشُوا بنُورها وضيائها وقد ورد بذلك أخبار كثيرة:

روي في البحار بأسناده عن أبي عبد اللّه ﷺ قال اذا دخل المؤمن قبره كانت الصّلٰوة عن يَمينه والزّكٰوة عن يساره والبّر مُطل عليه قال ﷺ فيتّنحىٰ الصّبر ناحية فاذا دخل عليه الملكان اللّذان يليان مسائلته قال الصّبر للصّلٰوة والزّكٰوة دونكما صاحبكم فأن عجزتم عنه فأنا دونه انتهىٰ «ج ٣ ص ١٦٦»...

وبأسناده عنه ﷺ قال اذا وضع الميّت فيقبره مثّل له شخص فقال يا هذا كنّا ثلاثة كان رزقك فإنقطع بإنقطاع أجلك وكان أهلك فخلفوك وإنصرفوا عنك وكنتُ عملك فبقيتُ مَعك أمّا أنّي كنتُ أهوَن الثّلاثة عليك انتهىٰ «ص ١٦٦»...

وبأسناده عنه ﷺ قال يُسئل الميّت في قبره عن خمس عن صّلٰوته وزكٰوته وحجّه وصيامه وولايته أيّانا أهل البيت فتقول الولاية من جانب

١-النساء ـ١٣ـ
٢-النساء ـ٦٩ـ
٣-النور ـ٥٢ـ

القبر لِلأرْبع ما دخل فيكن من نقصٍ فَعلّي إتمامه انتهىٰ « ص ١٦٦»...

وبأسناده عنه ﷺ قال ﷺ ما من موضع قبرٍ إلاّ وهو ينطق كلّ يوم ثلاث مرّات أنا بيت التّراب أنا بيت البلىٰ أنا بيت الدُود قال ﷺ فاذا دخله عبد مؤمن قال مرحباً وأهلاً أما واللّه لقد كنتُ أحبّك وأنت تمشي علىٰ ظهري فكيف اذا دخلت بطني فَترىٰ ذلك فيفسح له مدّ البَصر ويفتح له باب يرىٰ مقعده من الجنّة قال ويخرج من ذلك رجل لم تر عيناه شيئاً أحسن منه فيقول يا عبد اللّه ما رأيت شيئاً أحسن منك قطّ فيقول أنا رأيك الحَسَن الّذي كنت عليه وعَمَلك الصّالح الّذي كنت تعمله قال ثُمّ تؤخذ روحه فتوضع في الجنّة حيث رأىٰ منزله ثُمّ يقال له نُم قرير العين فلا تزال نفخة من الجنّة تصيب جسده يجد لذّتها وطيبها حتّىٰ يُبعث قال واذا دخل الكافر قالت لا مَرحباً بك ولا أهلاً أما واللّه لقد كُنت أبغضك وأنت تمشي علىٰ ظَهري فكيف اذا دخلت بطني سَترىٰ ذلك فتضّم عليه فتجعله رميماً ويعاد كما كان ويفتح له باب الىٰ النّار فيرىٰ مقعده من النّار الحديث « ص ١٦٦»...

وبأسناده عنه ﷺ قال أنّ للقبر كلاماً في كلّ يوم يقول أنا بيت الغربة أنا بيت الوحشة أنا بيت الدُود أنا القبر أنا روضة من رياض الجنّة أو حُفرة من حُفر النّيران (النّار) انتهىٰ« ص ﷺ ١٦»...

وثامنها قوله ﷺ: **وَسَكَناً لِطُولِ وَحْشَتِكُمْ**، أي أنّ الطّاعة لِللّه ولرسُوله بإتيان الأعمال الصّالحة توجب السّكون والإطمئنان في القبر وعالم البرزخ كما عرفت من الأحاديث ولا سيّما الأخير منها.

وتاسعها قوله ﷺ: **وَنَفَساً لِكَرْبِ مَوَاطِنِكُمْ**،أي أنّها توجب السِعَة والرَوّح لَكرَب منازل الآخرة ومواقف القيامة وهو أيضاً قد ظهر لك من الأخبار:

▫ **قوله** ﷺ: **فَأَنَّ طَاعَةَ اللّهِ حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفَ مُكْتَنِفَةٍ وَمَخَاوِفَ مُتَوَقَّعَةٍ وَأُوَارِ نِيرَانٍ مُوقَدَةٍ**...

عّلل ﷺ ما ذكره من فوائد الطّاعة وآثارها بأنّها حِرزٌ وعَوزةٌ من المهالك المحيطة ومخاوف أي شدائد الآخرة المُتَوقعة المُنتظرة القريبة الوقوع وحرارة

النّار المُوقدة التي تطّلع على الأفئدة كلّما نضجت جلودهم بدلّها اللّه جلوداً غيرها:

▫ قوله ﷺ: **فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَىٰ عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوِّهَا وَاحْلَوْلَتْ لَهُ الْأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا...**

أي فمن أخذ بها وعَمل عملاً صالحاً غربت أي غابت وَبَعُدت عنه الشّدائد والمصائب بعد دُنوها وإقترابها اليه والمراد بالشّدائد على ما قيل شدائد الآخرة ولا دليل على هذا بل المراد بها الأعمّ من الدّنيا والآخرة فأنّ شدائد الدّنيا سواء كانت من قبيل المصائب الواردة أم كانت من البلايا النّازلة كلّها ينتفي بالتّقوىٰ أمّا بعدم نزول العذاب على المتّقين أو بصبرهم على المصائب وعلى التّقديرين بَعُدت عنهم الشّدائد وأحلَولت لهم الأُمور بعد مرارتها أي تصير الشّدائد في مذاقهم أحلىٰ من العَسَل بعد ما كانت مُتصفة بالمرارة والصّعوبة بَبركة التّقوىٰ فأنّ المتّقي لكونِه في مقام الرّضا والتّسليم يعلم بأنّ ما أصابه خيرٌ له فلا مرارة ولا صُعوبة في مذاقه أصلاً:

▫ قوله ﷺ: **وَانْفَرَجَتْ عَنْهُ الْأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاكُمِهَا وَأَسْهَلَتْ لَهُ الصِّعَابُ انْصَابِهَا...**

أي أنّ أمواج البلايا تنفرج عن المتّقي بسبب التّقوىٰ بعد ما كانت متراكمة مُتظافرة عليه والمشّاق والصّعاب تسهل عليه بعد أتعابها وذلك لأنّه في مقام الرّضا فكلّ ما يَرد عليه من أنواع الأذىٰ والمصائب لا إشكال عنده فيه لعلمه بأنّها الإختبار في الدّنيا وموجبة لتكثير الثّواب في الآخرة فالأُمور عليه سهلة والأمواج عنه مُنفرجة.

▫ قوله ﷺ: **وَهَطَلَتْ عَلَيْهِ الْكَرَامَةُ بَعْدَ قُحُوطِهَا وَتَحَدَّبَتْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا...**

شبّه ﷺ كرامة اللّه للمتّقين بالمَطَر الشّديد بعد حَبسه كما شبّه في الجملة السّابقة الحوادث النّازلة بالأمواج وحاصل المعنىٰ أنّ المُتّقي بصبره وتقواه يصير صالحاً لنزول أمطار الرّحمة ولائقاً بتّعطف أبواب الرّحمة الإلٰهية بعد ما

كانت نافرة عنه قبل اتّصافه بالتّقوىٰ.

وكراماته كثيرة في الدّنيا والآخرة والكتاب والسّنة حاكيان عنها كما لا يخفىٰ:

▫ قوله عليه السلام: **وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النِّعَمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا وَوَبَلَتْ عَلَيْهِ الْبَرَكَةُ بَعْدَ إِرْذَاذِهَا...**

أي وتتابعت عليه نعم اللّه تعالىٰ بعد ذهابها أو قلّتها أو زوالها وَوَبَلت وأمطَرت عليه البركة من اللّه تعالىٰ بعد أرذاذها وضعفها والحاصل أنّ المُتّقي بسبب التّقوىٰ يصير مشمولاً لعنايات اللّه وألطافه.

▫ قوله عليه السلام: **فَاتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِي نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ وَوَعَظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ وَأَمْتَنَّ عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِهِ...**

فقال اللّه تعالىٰ: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَ مَا خَلْفَهَا وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾(١)

و: ﴿هٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَ مَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٢)

و: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾(٣) و: ﴿وَ جَاءَكَ فِي هٰذِهِ الْحَقُّ وَ مَوْعِظَةٌ وَ ذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٤)

وقوله عليه السلام: **وَوَعَظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ** الباء للسّببية أي بسبب رسالته وبعبارةٍ أُخرىٰ بلسان رسُوله ففيه إشارة الىٰ مواعظ الرّسُول كما أنّ الجملة الأُولىٰ إشارة الىٰ مواعظ اللّه في كتابه وقوله وأمتّن عليكم بنعمته أمّا أن يراد به مطلق النّعم أو المراد فيه نعمة وجود الرّسُول فعلىٰ الأوّل النّعمة تكون أعمّ من المادّية والمعنوية وعلىٰ الثّاني تكون مُختّصة بالمَعنوية وحيث لا دليل علىٰ التّخصيص فحمل اللّفظ علىٰ معناه العامّ أولىٰ وأشمل والمقصود واضح:

▫ قوله عليه السلام: **فَعَبِّدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ وَأَخْرِجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ...**

أي اذا كان كذلك فَذَلِلوا أنفسكم لعبادة اللّه أي إجعلوها ذليلة خاضعة في

١- البقرة-٦٦ ٢-آل عمران-١٣٨
٣- يونس-٥٧ ٤-هود-١٢٠

طريق عبُودَيته وأخرجوا اليه أي الى الله من حقّ طاعته أو نقول أخرجوا أنفسكم من حقّ اللّه بالعَمل والطّاعة والمراد بإخراج النفُوس من طاعته العَمل له تعالى بمقتضى وظائفها المقَررة في الشّرع وبعبارةٍ أسهل خروجها عن عُهدة التّكليف:

□ قوله ﷺ: **ثُمَّ أَنَّ هٰذَا الْاسْلاَمُ دِينُ اللّٰهِ الَّذِى اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ وَاصْطَنَعَهُ عَلىٰ عَيْنِهِ وَأَصْفَاهُ خِيَرَةَ خَلْقِهِ وَأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلىٰ مَحَبَّتِهِ...**

أمّا أنّ الإسلام دين اللّه الّذي إصطفاه لنفسه فلقوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً﴾ (١)

و: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ (٢)

و: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَ دِينِ الْحَقِّ﴾ (٣)

و: ﴿وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً﴾ (٤)

و: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً﴾ (٥) ويمكن أن يكون المراد إصطفاه لِلدّلالة على نفسه أي يهتدوا به ويقربوا به اليه تعالى فأنّ الأحكام الموضوعة في الدّين تكون طريقاً الى معرفته ومؤدياً الى جنّته ورضوانه.

وأمّا قوله ﷺ: **وَاصْطَنَعَهُ عَلىٰ عَيْنِهِ** فمعناه تشريع الدّين وتكميله على حسب علمه وتحت عنايته بحفظه فأنّ إصطناع الشّيء على العَين الأمر بصنعته تحت النّظر خوف المُخالفة في المطلُوب من صنعته وحيث أنّ الدّين كان كذلك فقال ﷺ ما قال وفيما ذكره ﷺ إشارة الى الدّين بجميع أحكامه ممّا وَضعه اللّه وإرتضاه وليس لغيره تعالى فيه دَخل فَمن زَعم أنّ الدّين كلّه أو بعضه من الرّسُول أو من غيره من المخلوق فقد أخطأ خطأً فاحشاً وأمّا قوله ﷺ: **وَأَصْفَاهُ خِيَرَةَ خَلْقِهِ** فمعناه أنّ اللّه تعالى آثر هذا الدّين بأفضل الخلق وهو

١- النحل ـ٥٢

٢- الزمر ـ٣

٣- الصّف ـ٩

٤- النصر ـ٢

٥- المائدة ـ٣

نبّينا ﷺ ليبلّغه للنّاس فأنّ الخِيَرة بكسر الخاء وفتح الياء المختار المصطفىٰ من النّاس وهو الرّسُول ﷺ ويمكن فيها فتح الخاء والياء وعليه فالمعنىٰ أنّ اللّه تعالىٰ جعل خَيرَة خلقه من العُلماء والصُلَحاء خالصاً لتبليغه وقوله عليه السلام: **وَأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَىٰ مَحَبَّتِهِ** فالضّمير في دعائمه، يرجع الىٰ الدّين قطعاً وأمّا الضّمير في محبته فهو يمكن أن يرجع الىٰ الرّسُول وأن يرجع الىٰ الدّين وأن يرجع الىٰ اللّه فالمعنىٰ علىٰ الأوّل أنّ اللّه أقام دعائم الدّين وأساسه علىٰ محبّة رسُوله وعلىٰ الثّاني أقام دعائم الدّين علىٰ محبّة الدّين وبعبارةٍ أُخرىٰ جعل اللّه أساسه علىٰ الحُبّ وعلىٰ الثّالث أقام اللّه دعائمه علىٰ محبّة اللّه والكلّ محتمل ولكلٍ وجهٌ وجيه والجامع أن يقال جعل اللّه دعائم الدّين وأركانه علىٰ الحُبّ والمآل واحد فأنّ حبّ الدّين وحبّ الرّسُول وحبّ اللّه واحد قال اللّه تعالىٰ: **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾**(١)

▫ **قوله عليه السلام: أَذَلَّ الْأَدْيَانَ بِعِزَّتِهِ وَوَضَعَ الْمِلَلَ بِرَفْعِهِ وَأَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكَرَامَتِهِ...**

أي أذلّ وحَقّر اللّه تعالىٰ بعزّة الإسلام غيره من الأديان بعد طُلوعه ولذلك قال في كتابه: **﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾**(٢)

وقوله عليه السلام: **وَوَضع المِلل لَرَفعه**، معناه أنّ اللّه جعل العِزّة لِلإسلام ومن تَبِعه وأمّا غير ملّة الإسلام من المِلل فلا عزّة لها بعد وجود الإسلام فهم صاروا أذلّاء بعدم قبولهم الإسلام وبقائهم علىٰ الكفر قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَلِلّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾**(٣)

▫ **وقوله عليه السلام: وَأَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكَرَامَتِهِ**، أي أهان أعداء الإسلام من الكُفّار بكرامته أي بكرامة الإسلام وشرافته، بالقتل والإستئصال وأخذ الجزية والذل فلا وقع لهم ما لم يتدّينوا بالإسلام.

١-ال عمران- ٣١ ٢-آل عمران ـ٨٥

٣-المنافقون ـ٨

▫ قوله عليه السلام: وَخَذَلَ مُحَادِّيهِ بِنَصْرِهِ وَهَدَمَ أَرْكَانَ الضَّلاَلَةِ بِرُكْنِهِ وَسَقىٰ مَنْ عَطِشَ مَنْ حِيَاضِهِ...

محادّيه جمع محاد، الشّديد المُخالفة والمعنىٰ أنّ اللّه خذل المخالفين للإسلام المحادّين له فلم ينصرهم. قال اللّه تعالىٰ: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾(١) وَهدم أركان الضّلالة أي هَدم اللّه أركانها برُكنه وأصله فلم يبق منها عينٌ ولا أثر، وقوله عليه السلام وسقىٰ مَن عطش من حياضه، أي سقىٰ اللّه تعالىٰ بماء المعرفة من عَطَش بعطش الجَهل والضّلالة من حياض الإسلام شبّه عليه السلام الإسلام بالحَوض الّذي فيه ماء والجاهل بالإسلام بالعطشان فكما أنّ العطشان يشرب الماء من الحَوض كذلك عطشان الدّين يشرب من ماء المَعرفة.

▫ قوله عليه السلام: وَأَتْأَقَ الْحِيَاضَ بِمَوَاتِحِهِ ثُمَّ جَعَلَهُ لاَ انْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ وَلاَفَكَّ لِحَلْقَتِهِ وَلاَ انْهِدَامَ لِأَسَاسِهِ...

تئق الحوض كفرح امتلاء وأتاقه أي مَلأه والمواتح جمع ماتح وهو نازع الماء من الحَوض والمعنىٰ أنّ اللّه تعالىٰ أتاق ومَلأ حياض الإسلام من المعارف لمن أراد نزع الماء منها وفيه إشارة الىٰ أنّ الإسلام مَشحُون بالحَقائق والمعارف بحيث لا يقدر أحد من العلماء أخذ جميعها كالحياض الّتي لا يقدر الماتح علىٰ نزع مائها جميعاً وقوله عليه السلام: **لاَ انْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ** فهو إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَانْفِصَامَ لَهَا﴾(٢) ولا فَكّ لحلقته، أي لحلقة الإسلام وهو كناية عن عدم إنقهار أهله وجماعته وقوله لا إنهدام لأساسه إشارة الىٰ إستحكام أساسه فلفظ الأساس إستعارة الكتاب والسُّنّة وفي بعض الأخبار فُسر الأساس بالولاية وحبّ أهل البيت كما قال الرّسول صلى الله عليه وآله في حديث فُسّر الإسلام فيه ولكلّ شيئ أساس وأساس الإسلام حبّنا أهل البيت والوجه فيه ظاهر:

١- التوبة ـ ١٤.
٢- البقرة ـ ١٥٦.

▫ قوله ﷺ: وَلاَ زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ وَلاَ انْقِلاَعَ لِشَجَرَتِهِ وَلاَ انْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ وَلاَ عَفَاءَ لِشَرَائِعِهِ وَلاَ جَذَّ لِفُرُوعِهِ...

الدّعائم جمع دَعامة وهي عماد البيت من الخشب والحديد وغيرهما والمراد بعدم زوالها ثباتها وبقائها الىٰ يوم القيٰمة أو المراد إستحكامها وإستقامتها وعدم تزلزلها وإضطرابها وقد ورد في الحديث بُني الإسلام علىٰ خَمس علىٰ الصّلوٰة والزّكوٰة والصّوم والحجّ والولاية وما نودي بشيءٍ منها كما نُودي بالولاية وعدم إنقلاع شجرة الإسلام إشارة الىٰ قوله تعالىٰ:﴿ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ اَصْلُهَا ثَابِتٌ وَّ فَرْعُهَا فِى السَّمَاءِ﴾(١) ففي الكلام إستعارة حيث شبّه الإسلام بالشّجرة وجه الشّبه ظاهر، وقوله ﷺ: وَلاَ انْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ إشارة الىٰ إستمراره الىٰ يوم القيٰمة وأنّه لا ينسخ أبداً فحلاله حلال الىٰ يوم القيٰمة وحرامه حرام الىٰ يوم القيٰمة ولا عفاء لشرائعه أي لا إندراس ولا إضمحلال لشرائعه وفي هذا الكلام ردّ علىٰ من زعم أو يَزعُم أنّ الأحكام الشّرعية لا تصلح لزماننا هذا وأنّها تقصر عمّا يحتاج اليه النّاس في هذا الزمان فأنّها وُضعت للنّاس قبل بلوغهم الىٰ التّمدن البشري الموجُود في عصرنا مثلاً وهذا الّذي قلناه قد تَفوّه به كثيراً من أبناء زماننا من المُسلمين المُنحرفين وغيرهم ولم يعلموا أنّ الإسلام لم يوضع لزمانٍ خاص بل وُضع لإرشاد جميع النّاس الىٰ يوم القيٰمة فأحكامه لا تندرس ولا تضمحل أبداً وقوله ﷺ: وَلاَ جَذَّ لِفُرُوعِهِ معناه أنّ فروع الإسلام لا تنقطع فأنّ هذه الشّجرة المُباركة بأصلها وفرعها باقية الىٰ يوم القيٰمة:

▫ قوله ﷺ: وَلاَ ضَنْكَ لِطُرُقِهِ وَلاَ وُعُوثَةَ لِسُهُولَتِهِ وَلاَ سَوَادَ لِوَضْحِهِ وَلاَ عِوَجَ لاِنْتِصَابِهِ...

أي ولا ضيق لطُرق الإسلام بمعنىٰ أنّ مسالكه وسيعة فسيحة فلا يشُق علىٰ السّالك سلوكه ولعلّه إشارة الىٰ قول الرّسول ﷺ حيث قال بُعثت الىٰ الشّريعة السّمحة السّهلة فلا ثقل فيها علىٰ المكلّفين:

١- ابراهيم ـ٢٤

وقوله ﷺ: وَلاَ وُعُوثَةَ لِسُهُولَتِهِ معناه لا رخاوة في السّهل تغوص بها الأقدام عند السّير فَعَسُر المشي فيه فهو على حدّ الإعتدال من السّهُولة لتكونوا أُمّة وسطاً، ولا سواد لوَضحَه، الوَضَح محركة بياض الصّبح والمعنىٰ أنّ بياضه لا يشوبه الظّلام وبياضه كناية عن صفائه عن كَدَر الباطل، وأيضاً لا عوج لإنتصابه فهو مستقيم القامّة ديناً قيماً ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المُشركين:

▫ قوله ﷺ: وَلاَ عَصَلَ فِي عُودِهِ وَلاَ وَعَثَ لِفَجِّهِ وَلاَ انْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ وَلاَ مَرَارَةَ لِحَلاَوَتِهِ...

العَصَل الإعوجاج الّذي يصعب تقويمه شبّه ﷺ الإسلام بالعُود الّذي لا إعوجاج فيه، ولا وَعث ولا عُسر لفجّه وطريقه الواسع فالسّالك يسلك في طريقه بسهولة ولا مرارة لحلاوته فهو حلوّ دائماً شبّه ﷺ الإسلام وأحكامها بالطّعام الحلو الّذي لا مرارة فيه ووجه الشّبه ظاهر فأنّ الدّين طعام الرّوح كما أنّ الغذاء طعام الجَسد والجسم إلّا أنّ الطّعام الجسمي له مرارة لا محالة وطعام الدّين ليس كذلك قوله ﷺ: وَلاَ انْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ شبّه أحكام الدّين بالمصابيح في الإستضاءة بها فكما أنّ الإنسان اذا وقع في الظّلمة يحتاج الىٰ المصباح كذلك من وقع في ظلمة الجهل والضّلالة يحتاج الىٰ مصباح معنَوي ومُرشد حقيقي وهو الدّين وأحكامه إلّا أنّ المصابيح الحسّية المادّية قد تُطفأ وأمّا مصابيح الدّين فلا إنطفاء فيها في الدّنيا وفي الآخرة فمن لا يستضئ بها هلك فيها:

▫ قوله ﷺ: فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاخَ فِي الْحَقِّ أَسْنَاخَهَا وَثَبَّتَ لَهَا أَسَاسَها وَيَنَابِيعُ غَزُرَتْ عُيُونُهَا...

أي فالإسلام دعائم أساخ وأثبت في الحقّ أسناخها وأُصولها وحَمل الدّعائم عليه للمُبالغة نحو زيدٌ عدل فكأنّه قال هو نفس الصّلوة والصّوم وغيرهما من الدّعائم وثبّت لها أساسها أي أحكم اللّه لهذه الدّعائم أبنيتها فلا إضطراب فيها وقوله ﷺ: وَيَنَابِيعُ غَزُرَتْ عُيُونُهَا، فالينابيع جمع يَنبُوع شبّه ﷺ الإسلام بالينابيع الّتي كثرت عيُونها ووجه الشّبه ظاهر لا خفاء فيه فأنّ المياه

الجارية تشرب منها الأراضي فتنبت وتحيىٰ بها والدّين أيضاً كذلك فأنّ أراضي القلوب تشرب من ماء حياته فتحييٰ به وتنبت الملكات النّفسانية فيسكن به عطشها ويحييٰ به مَوتها:

▫ قوله ﷺ: **وَمَصَابِيحُ شُبَّتْ نِيرَانُهَا وَمَنَارٌ اقْتَدَىٰ بِهَا سُفَّارُهَا وَأَعْلاَمٌ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا وَمَنَاهِلُ رُوِىَ وُرَّادُهَا...**

شبّهه ﷺ أوّلاً بالمصابيح الّتي إرتفعت نيرانها وصارت مُشتعلة في غاية الإضاءة فيستضئ بها كلّ مَن حَولها وأُخرىٰ بالمنار الّتي يهتدي بها المُسافرون في الفَلوات فكما أنّ المُسافر يهتدي بها كذلك يستّدل بالإسلام العلماء في مقاصدهم والسّلاك في سلُوكهم والزّهاد في زُهدهم والحُكّام في حكوماتهم وهكذا، وتارةً أُخرىٰ بالأعلام المنصوبات في الطّرق والشّوارع من حيث الإهتداء بها، وأُخرىٰ بالمناهل والمشارب الّتي تروي بماءها العطاش الواردون عليها فأنّ عطاش المعارف والحقائق يشربون من ماء الدّين ويَروُن به ولا يظمأون أبداً بعده فأنّ الدّين في الحقيقة ماء الحياة الباقية:

▫ قوله ﷺ: **جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مُنْتَهىٰ رِضْوَانِهِ وَذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ وَسَنَامَ طَاعَتِهِ...**

جعل اللّه في الدّين منتهىٰ رضوانه أي غاية رضاه فقال: **﴿اَلْيَومَ اَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكُم وَاتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتِى وَ رَضيتُ لَكُمُ الإسلامَ دِيناً﴾** (١) والذِّروة بالكسر والضّم أعلىٰ الشّئ والسّنام بفتح السّين في الأصل حِدبةٌ في ظهر البعير ثُمّ يقال علىٰ كلّ مرتفع أو كبير يقال فلان سنام قَومه أي كبيرهم والمعنىٰ أنّ اللّه تعالىٰ جَعَل في الإسلام دعائمه العالية المُرتفعة وطاعاته الكثيرة الكبيرة والحاصل أنّه تعالىٰ جَعَل فيه كلّما يوصل الإنسان الىٰ الكمالات ويُقرّبه الىٰ القُربات من العبادات والطّاعات والأذكار وغيرها:

▫ قوله ﷺ: **فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَثِيقُ الأَرْكَانِ رَفِيعُ الْبُنْيَانِ مُنِيرُ الْبُرْهَانِ مُضِئُ النِّيرَانِ عَزِيزُ السُّلْطَانِ مُشْرِفُ الْمَنَارِ مُعْوِزُ الْمَثَارِ...**

أي أركان الدّين وقوائمه عند اللّه محكمة موثوقة وأبنيته عنده رفيعة عظيمة

١- المائدة ـ ٣

وبراهينه عنده مُنيرة مُضيئة ونيرانه ومصابيحه مُشرقة وسلطانه غزيرة فهو مُرتفع المنار معوذ المثار فلو طلب أحد إثارة هذا الدّين لما إستطاع الوصول اليها لِما فيه من كنوز الحكمة والمعارف الحقّة فهو بحرٌ عميق قد غرق فيه الغواصُون الّذين أرادوا البلُوغ الىٰ كُنه حقائقه وإستخراج لئاليه عن قعره فهو الدّين الكامل الّذي ينبغي الأخذ به.

▫ **قوله ﷺ: فَشَرِّفُوهُ وَاتَّبِعُوهُ وَأَدُّوا إلَيْهِ حَقَّهُ وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ...**

أي اذا كان الدّين علىٰ ما وصفناه من الكمال والتّمام فَشَرِّفُوه أي عَظّموه وعَدُّوه شريفاً واتّبعوه أي اتّبعوا سُننه وأحكامه بالعَمل بها وأدّوا اليه حقّه الّذي أوجَبه اللّه عليكم من الإطاعة لأوامره والمُخالفة لنواهيه وضعُوه، أمرٌ من وضع يضع أي إجعلوه مواضعه أي فيما جعله اللّه فلا تحرّفوه ولا تجعلوا أحكامه في غير مواضعه ولا تَبتدعوا بها فتجعلوا حَلاله حراماً وحرامه حلالاً.

▫ **قوله ﷺ: ثُمَّ أَنَّ اللّهَ بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ بِالْحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ الدُّنْيَا الانْقِطَاعُ وَأَقْبَلَ مِنَ الآخِرَةِ الاطِّلَاعُ...**

قالوا في تفسير الكلام ما لا طائل تحته من الأقوال الضّعيفة في عمر الدّنيا وأنّ أكثره قد مضىٰ وبقىٰ منه شيٌ يسير فكانت بعثته في أواخر عُمر الدّنيا وأوائل الآخرة وإعتمدوا فيه علىٰ أقوال المؤرّخين وغيرهم ممّن قدّر عمر الدّنيا مِائة ألف سنة أو أقلّ أو أكثر وكلّ هذه الأقاويل كما ترىٰ فأنّ عُمر الدّنيا لا يعلمه إلّا اللّه تعالىٰ ولَم يصل الينا خبر صحيح عن المعصُوم في الباب حتّىٰ نَعتمد عليه ولا نحتاج في تفسير كلامه ﷺ الىٰ هذه التّقديرات والمعنىٰ أنّ اللّه تعالىٰ بَعَثه بالحقّ في آخر الزّمان أي في آخر عهد البِعثة.

فلا نبّي بعده لأنّه خاتم النّبيين كما قال تعالىٰ في كتابه: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾ (١) وحيث كان الأمر علىٰ هذا المنوال فصّح أن يقال أنّه بُعث حين دَنا من الدّنيا الإنقطاع من حيث أنّه لا نبّي بعده وأقبل من الآخرة الأطّلاع لكون حلاله حلال الىٰ يوم القيٰمة وحرامه

١- الاحزاب ـ ٤٠

كذلك لا أنّ عُمر الدّنيا حين بِعثته كان أقلّ أي مضىٰ أكثره وبقىٰ أقلّه اذ لا دليل عليه بل لا يبعد أن يكون عُمر الدّنيا بعد بِعثته الىٰ آخره أكثر عمّا مضىٰ منه قبل بعثته بمراتب وكيف كان ففي ما ذكره ﷺ إشعار بالتّوجه الىٰ الآخرة وأنّها قريبة لا ينبغي الغفلة عنها:

▫ قوله ﷺ: **وَأَظْلَمَتْ بَهْجَتُهَا بَعْدَ إِشْرَاقٍ وَقَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَىٰ سَاقٍ وَخَشُنَ مِنْهَا مِهَادٌ وَأَزِفَ مِنْهَا قِيَادٌ...**

أي بَعث اللّه رسُوله ﷺ بعد ما أظلمت الدّنيا بفقد الأنبياء قبله عليهم السلام وذلك لأنّها أي الدّنيا كانت مُشرقة في عهد مُوسىٰ وعِيسىٰ وقبلهما وأمّا بعد عِيسىٰ عليه السلام فصارت مظلمة بسبب إعراض النّاس عن شريعته عليه السلام وإقبالهم علىٰ المشتهيات النّفسانية وتركهم العبّودية وأخذهم الوثّنية وإرتكابهم المعاصي من القتل والنّهب والظّلم وقتل البنات وغيرها فاللّه تعالىٰ بمقتضىٰ لطفه وكرمه منّ اللّه علىٰ عباده وإرتفع الظّلمة عن الدّنيا فَبعَث الرّسُول فأشرقت الأرض بنُور ربّها ثانياً كما كانت أوّلاً وقوله ﷺ: **وَقَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَىٰ سَاقٍ** وهكذا الجُمل بعده معطوف علىٰ الأُولىٰ والضّمائر كلّها الىٰ الدّنيا، والمقصود أنّ اللّه بَعثه والحال أنّ الدّنيا كانت مُظلمة بالمعاصي بعد إشراقها بوجود الأنبياء قبله عليهم السلام وقامت أي قامت الدّنيا علىٰ ساقٍ وهو كناية عن عدم قُدرتها وإستقامتها في جنب الرّياح العاصفة من أولياء الشّيطان كما هو شأن النّبات القائم علىٰ ساقه فإستحكم بذلك ساق الدّنيا أي ساق أهلها بسبب الشّريعة المُستقيمة التّي لا إعوجاج فيها ومع ذلك فهي في غاية الإستحكام، وخشن منها مهاد كناية عن عدم الإستقرار بها بفقدان طيب العيش والرّاحة فيها لعدم وجود قوانين العَدل فيها ومن المعلوم أنّ إنتظام الشّرائع يوجب راحة النّاس وقيل خشُونة المهاد كناية عن شدّة آلام الدّنيا كما أنّ قيامها بأهلها علىٰ ساقٍ كناية عن إفزاعها أهلها وقوله وأزفُ أي قُرب منها أي من الدّنيا قياد وإنقياد والغرض أنّ الدّنيا كانت قريبة الزّوال بنفسها أو بأهلها:

□ قوله ﷺ: **فِي انْقِطَاعٍ مِنْ مُدَّتِهَا وَاقْتِرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا وَتَصَرُّمٍ مِنْ أَهْلِهَا وَانْفِصَامٍ مِنْ حَلْقَتِهَا...**

أي كان البَعث حين كانت مدَة الدّنيا مُنقطعة وأشراطها أي علامات الدّنيا مُنقضية دالّة على زوالها وقوله وتصَرم من أهلها التّصرم التّقطع أي كان أهلها عنها مُنقطعاً وحلقتها أي حلقة الدّنيا من أهلها مُنفصمة أي مُنكسرة مُندرسة واذا إنفصمت الحلقة إنقطعت الرّابطة بين الدّنيا وأهلها.

□ قوله ﷺ: **وَانْتِشَارٍ مِنْ سَبَبِهَا وَعَفَاءٍ مِنْ أَعْلاَمِهَا وَتَكَشُّفٍ مِنْ عَوْرَاتِهَا وَقِصَرٍ مِنْ طُولِهَا...**

الواو للعطف أي كانت أسباب الدّنيا مُنتشرة مُتبدّدة وآراء النّاس فيها مُختلفة لعدم حَبل الدّين فيهم وأعلام الدّنيا مُندرسة مُضمَحلة وعوراتها مُتكَشفة أي عيوبها كانت ظاهرة غير مَستُورة وطولها قصير ولا يبعد أن يكُون المراد قِصر عُمرها ومُلخص الكلام أنّ الدّنيا كانت مُتصفة بهذه العُيوب ومن المعلوم أنّ المراد أهل الدّنيا وإلاّ فهي مع قطع النّظر عن أهلها لا تَتصف بشيءٍ بل هي ليست بشيءٍ واقعاً.

□ قوله ﷺ: **جَعَلَهُ اللّهُ بِلاَغاً لِرِسَالَتِهِ وَكَرَامَةً لِأُمَّتِهِ وَرَبِيعاً لِأَهْلِ زَمَانِهِ وَرِفْعَةً لِأَعْوَانِهِ وَشَرَفاً لِأَنْصَارِهِ...**

أي جعل اللّه رسُوله بلاغاً لرِسالته لقوله تعالى: **﴿وَمَا عَلَى الرَّسُلِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾**(١) وقوله تعالى: **﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾**(٢) وأصل البلاغ والبلوغ الإنتهاء الى أقصى المقصد والمنتهى مكاناً كان أو زماناً أو أمراً من الأُمور المُقدّرة وقد يطلق البلاغ على التّبليغ وما نحن فيه من هذا القبيل وعليه فالمعنى جَعَله اللّه مُبلّغاً لرسالته لأنّ المصدر أعني التّبليغ بمعنى الفاعل وقوله كرامة لأمّته، أي وجَعَله سَبَباً ومُوجباً لكرامة أُمّته وبه فضّلهم وشّرفهم على سائر الأمم أمّا لكونه ﷺ أفضل الأنبياء وأشرفهم وأكملهم وأمّا لأنّ دِينه أعني به الإسلام أفضل الأديان وعلى التّقديرين أُمّته أفضل الأُمم وقوله ﷺ: **وَرَبِيعاً**

١-العنكبوت ١٨. ٢-النحل ٨٢.

لِأَهْلِ زَمَانِهِ شبّه عليه السلام الرّسول في الأمّة بالرّبيع في الفصول لوجوه:

أحدها: من أجل إبتهاجهم ببهجَته كما يَبتهج النّاس بالرّبيع ونضارته وطراوته:

وثانيها: من أجل أنّ أهل زمانه قد خرجوا بوجُوده الشّريف من ضنْك المعيشة الىٰ الرّخاء والسّعة كما أنّ النّاس يخرجُون في الرّبيع من جانب الشّتاء وضيق عيشها الىٰ الدّعة والرّفاهة ذكرهما الخُوئي رحمه الله في شرحه ونحن نزيد في المقام وجهاً آخر في وجه الشّبه أحلىٰ وأحَسَن منهما وهو أنّ الرّبيع في الفصول يمتاز عنها بإعتدال الهواء فأنّ الهواء في الشّتاء بارد وفي الصّيف حار وأمّا في الرّبيع فمعتدلٌ وهكذا كان النّبي صلى الله عليه وآله وشريعته بالنّسبة الىٰ غيره من الأنبياء وشرائعهم فهو صلى الله عليه وآله كان في أفعاله وأقواله وعباداته مُتّوسطاً معتدلاً معرضاً عن الإفراط والتّفريط ودينه أيضاً كذلك والىٰ هذا المعنىٰ أُشير في الكتاب بقوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (١)

وإذا كان صلى الله عليه وآله مُتوسطاً ودينه أيضاً كذلك فصّح تشبيهه بالرّبيع المُتوسط بين الصّيف والشّتاء وقوله ورفعةً لأعوانه وشَرَفاً لأنصاره معناه أنّ اللّه جعل الرّسُول سبباً لرفعة أعوانه وشَرف أنصاره وإعانته ونصرته بالعمل بأحكام دينه الّذي جاء به من عند اللّه كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ (٢)، ومعلوم أنّ نَصرة اللّه نصرة دينه والحاصل أنّ مُعين الرّسُول وناصره بإتباع الكتاب والسّنة والعمَل بهما يصير رفيع الذّكر والمقام في الدّنيا والآخرة ويعيد الىٰ مقام الكرامة والشّرافة فيهما فأنّ الرّفعة والشّرف بالعبُوديّة وهي لا تحصل إلّا بإتباع الرّسُول. قال اللّه تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (٣) والتأسي به صلى الله عليه وآله قولاً وفعلاً إعانته ونُصرته ومع ذلك يكون سبباً لِرفعَة المقام وسعادة الدّارين وهو ممّا لا خفاء فيه:

١- البقرة-١٤٣ ٢- محمد-٧
٣- الاحزاب-٢١

▫ قوله ﷺ: **ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُوراً لاَ تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ وَسِرَاجاً لاَ يَخْبُو تَوَقُّدُهُ وَبَحْراً لاَ يُدْرَكُ قَعْرُهُ ...**

أنزل اللّه تعالى على الرّسول الكتاب وهو القرآن الّذي يُنوّر القلوب المظّلمة كالسّراج في اللّيل المظّلم والفرق أنّ السّراج قد يُطفأ ونور القرآن لا تُطفأ مصابيحه وهي آياته وأحكامه فشبّه ﷺ الكتاب بالنّور الواقع في المصباح وثانياً بالسّراج الّذي لا يَخبو ولا ينتفي توقّده فهو دائماً مُتوقد وثالثاً بالبحر الّذي لا يُدرك قعره لكثرة عُمقه ووجه الشّبه في الكلّ ظاهر أمّا في الأوّل فلأنّ النّور هو الظّاهر بالذّات والمُظهر للغير والقرآن كذلك لإهتداء النّاس به وأمّا في الثّاني فلأنّ السّراج يُنتفع به في الظّلمة والقرآن يُنتفع به في ظلمة الجهل والضّلالة وأمّا الثّالث فلأنّ البحر العميق الّذي لايُدرك قعره لا يمكن لأحدٍ الوقوف والإطّلاع على ما في قعره وهكذا القرآن لا يمكن لأحدٍ من العلماء الغائصين في عُمقه البلوغ الى قعره والإستخراج لكلّ ما فيه من الحقائق والمعارف كما إعترف به الكلّ ولم يَدّع أحد الإطّلاع على أسراره ودقائقه كيف وله بطن ولبطنه بطن وهكذا وقد عُدّ في بعض الأخبار الى سبعةٍ وفي بعضٍ آخر الى سبعين:

والأوّل:

إشارة الى قوله تعالى: **﴿قَدْ جَائَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَ كِتَابٌ مُبِينٌ﴾** (١)

وقال تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَائَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً﴾** (٢)

والثّاني:

الى قوله تعالى: **﴿وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾** (٣)

والى الثّالث:

قوله تعالى: **﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا**

١- المائدة ـ ١٥.
٢- النساء ـ ١٧٤.
٣- الاحزاب ـ ٤٦.

﴿يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾[1] وجه الإستدلال بها هو أنّ القرآن لو كان ممّا يُدرك قعره وحقيقته لما كان الإتيان بمثله غير ممكنٍ لِلبَشر فعدم القُدرة علىٰ الإتيان بمثله دليل علىٰ عدم فهمه كما هو حقّه وهو ظاهر:

□ **قوله ﷺ: وَمِنْهَاجاً لاَ يُضِلُّ نَهْجُهُ وَشُعَاعاً لاَ يُظْلِمُ ضَوْءُهُ وَفُرْقَاناً لاَ يَخْمَدُ بُرْهَانُهُ وَتِبْيَاناً لاَ تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ...**

المنهاج الطّريق الواضح والمقصود أنّ القرآن طريق واضح الىٰ الحقّ لا يضلّ سالكه أبداً وشعاع أي حقّ لا يُظّلم ضوءه فلا يختلط بالباطل وفرقاناً أي هو فارق بين الحقّ والباطل وفاصل بينهما لا ينتفي بُرهانه وحُجّته وتبياناً أي مُبينٌ للحلال والحرام لاتُهدم ولا تزول أركانه ودعائمه فكونه منهاجاً إشارة الىٰ قوله تعالىٰ:﴿إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2]

والىٰ كونه **شعاعاً** وضياءً أُشير في الكتاب بقوله تعالىٰ:﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾[3]

والىٰ قوله ﷺ: **فرقاناً** أُشير في الكتاب حيث قال:﴿هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾[4]

و: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾[5]

والىٰ كونه **بُرهاناً**، قوله تعالىٰ:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[6]

والىٰ كونه **تبياناً**، قوله تعالىٰ:(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[7]

□ **قوله ﷺ: وَشِفَاءً لاَ تُخْشَىٰ أَسْقَامُهُ وَعِزّاً لاَ تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ وَحَقّاً لاَ تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ...**

أي أنّه شفاء للرّوح والجَسَد علىٰ ما مَرّ شرحه قال اللّه تعالىٰ:﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾[8]

١- الاسراء ـ٨٨ | ٢-الاسراء ـ٩
٣- التغابن ـ٨ | ٤-البقرة ـ١٨٥
٥- الفرقان ـ١ | ٦-النساء ـ١٧٤
٧- النحل ـ٨٩ | ٨- يونس ـ٥٧

وقال: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١)

وقوله لا تُخشىٰ أسقامه إشارة الىٰ أنّ من إستشفىٰ بالقرآن لا يمرض أبداً وقوله ﷺ: وَعِزّاً لاَ تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ أي لا تُغلب ولاتُقهر وأنصار القرآن عبارة عن العاملين به وقوله حقّاً لا تُخذل أعوانه أي أنّه حقٌّ ومن أعانه لا يُخذل أبداً فأنّ لِلحقّ دَولة أبديّة لا زوال لها أصلاً.

▫ قوله ﷺ: فَهُوَ مَعْدِنُ الْإِيمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَبُحُورُهُ وَرِيَاضُ الْعَدْلِ وَغُدْرَانُهُ ...

أمّا أنّه معدن الإيمان فلأنّ أركان الإيمان وأساسه يُستنبط من القرآن اذ لا رطب ولا يابس إلّا في كتابٍ مُبين وأمّا أنّه بحبوحة الإيمان أي وسطه فلأنّ القرآن يهدي الىٰ الطّريق المُستقيم والطّريق المُستقيم عبارة عن طريق الوسط من غير إفراطٍ ولا تفريط وأمّا أنّه ينابيع العلم وبُحوره فلأنّ علوم الأولين والآخرين فيه موجودة كما عرفت من الآية وأمّا أنّه رياض العَدل وغُدرانه فلأنّ فيها كلّ ما تستلذ الطّبائع بحُسنها من الخُضرة والنُضرة والقرآن أيضاً كذلك بالنّسبة الىٰ اللّذات الرّوحية ففيه كلّ ما تشتهيه النَفس وتلتّذ الرّوح وحيث أنّ العَدل عبارة عن وضع الشّيْ في محلّه ولا يُعرف هذا إلّا من القرآن فهو رياض العَدل في جميع المَراتب والكلام خرج مخرج الإستعارة فتارة شبّهه بالعدن وأُخرىٰ بالينابيع وثالثة بالرّياض والوجوه ظاهرة.

▫ قوله ﷺ: وَأَثَافِيُّ الْإِسْلاَمِ وَبُنْيَانُهُ وَأَوْدِيَةُ الْحَقِّ وَغِيطَانُهُ وَبَحْرٌ لاَ يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ...

شبّهه بالأثافي وهي جمع أثفية وهي الحجر الّذي يوضع عليه القِدر فكما أنّ القِدر يُوضع علىٰ الأثفية كذلك الإسلام وُضِع علىٰ القرآن فعليه قام الإسلام وبه قوامه وأُخرىٰ بالأودية التّي هي جمع وادي والغيطان جمع غاط أو غوط وهو المُطمئن من الأرض أي أنّ القرآن منابت طيّبة يذكوا بها الحقّ وينمو، وثالثة بالبحر الّذي فيه ماء كثير لا يفنىٰ ماءه ولا يستفرغه المغترفون، كذلك

١-الاسراء ـ٨٢.

القرآن بحرٌ لا يقدر على إستخراج لئاليه المُستخرجون:

□ قوله ﷺ: **وَعُيُونٌ لاَ يُنْضِبُهَا الْمَاتِحُونَ وَمَنَاهِلُ لاَ يِغضُيهَا الْوَارِدُونَ ...**

شبّه القرآن بالعُيون الجارية الّتي لا يغيرها المُستسقون أو لا يُنقصها المُستسقون وثانياً بمواضع الشّرب من النّهر الّتي لا يُغيضها ولا ينقُصها الواردون عليها لكثرة ماءها والفرق بين الموردين بحسب المعنىٰ هو أنّ التّشبيه في الجملة الأُولىٰ بالعُيون وفي الثّانية بالمناهل فعَدم قدرة الماتح علىٰ النّضب والنّقص في الأُولىٰ لجريان الماء وإتصاله لا لكثرته بالفعل وفي الثّانية لا جريان في الماء ولا إستسقاء هناك بل يردون علىٰ المناهل والمشارب لِلشرب إلّا أنّ كثرة الماء بحيث لا يُحس منه النّقص كالبحَر مثلاً ووجه الشّبه في المقامين لا يخفىٰ عليك فأنّ العالم المُحقّق وأن بلغَ في علمه ما بلغ لا يقدر علىٰ إستيفاء جميع ما في القرآن علىٰ الأوّل، ولا ينقص منه شيئاً وأن أخذَ منه ما أُخذ من العلُوم علىٰ الثّاني والفرق واضح:

□ قوله ﷺ: **وَمَنَازِلُ لاَ يَضِلُّ نَهْجَهَا الْمُسَافِرُونَ وَأَعْلاَمٌ لاَ يَعْمَىٰ عَنْهَا السَّائِرُونَ....**

أي أنّ للقرآن منازل لا يُضل ولا يُفقد نهجها وطريق الوصول اليها المسافرون الىٰ اللّه والسّالكون اليه فأنّ طُرقها واضحة جليّة لا خفاء فيها أصلاً وأيضاً فيه أعلام أي علامات للوصُول بها الىٰ الحقّ لا يُعمىٰ عنها السّائرون سيراً معنوياً لوضوحها وإرتفاعها وعلىٰ ما ذكرناه فنسبة المنازل والأعلام اليه من باب المُبالغة نحو زيد عَدل فكأنّه صار نفس المنازل والأعلام:

□ قوله ﷺ: **وَآكَامٌ لاَ يَجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ جَعَلَهُ اللّهُ رِيّاً لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ وَرَبِيعاً لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ...**

الآكام جمع أكمة وهي المَوضع المُرتفع بحيث يكون أشدّ إرتفاعاً ممّا حَوله وهو دون الجبل في غلظ لا يبلغ أن يكون حَجراً والمقصود أنّ طُرق الحقّ تنتهي الىٰ أعالي هذا الكتاب وعندها يَنقطع سير السّائرين اليه لا يتجاوزونها والمُتَجاوز هالك والحاصل أنّ مقاصد العلماء تنتهي اليه وليس

وراء القرآن شيّ يقصدونه ففيه كلّ مطلوب وعنده كلّ مقصود والتّجاوز عنه منفورٌ مطرودٌ والمُتّجاوز ملعُون والآخذ به العاكف على بابه مرحومٌ مَحبُوبٌ:

وأمّا أنّ اللّه تعالىٰ جَعَله رَيّاً لِعَطَش العُلماء فالوجه فيه أنّ في القرآن جميع العلوم ولا سيّما عِلم الدّين والعالم لا يطلب إلّا العلم فإذا وصَل الىٰ القرآن وتفكّر فيه حقّ التّفكر يسكن عطشه شبّه علوم القرآن بالماء والخائض فيه بالعطشان ووجه الشّبه ظاهر وأمّا قوله ﷺ: **وَرَبِيعاً لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ** ففيه تشبيهٌ آخر مَرَّ نظيره ووجه الشّبه أيضاً ظاهر وأنّما قال ﷺ في الأوّل رَيّاً وفي الثّاني ربيعاً لأنّ العلماء أعمّ من الفقهاء وغيرهم لصدق العلماء علىٰ علماء الأخلاق والفلاسفة والمؤرخين وأرباب السّير والأُدباء والبُلغاء وغيرهم وأمّا الفُقهاء فهم عبارة عن العلماء بالأحكام الشّرعية الفرّعية عن أدلّتها التّفصِيلية أن كان المراد بهم الفقهاء المُصطلحة في عُرف الأُصوليين.

وأن كان المراد بهم مُطلق الفُقهاء أعني بهم المُتفقهين في الدّين كما قال تعالىٰ: ﴿**فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ**﴾فهو أيضاً أخصّ من العلماء والحاصل أنّ الفقهاء بكلا المَعنيين أخصّ من العلماء واذا كان كذلك فالقرآنُ بالنّسبة الىٰ الفقهاء العالمين بأُمور الدّين بمنزلة الرّبيع أمّا لكونه مُوجباً لحياة قلوبهم كما أنّ الرّبيع يوجب حياة الأرض بعد مَوتها بالشّتاء وأمّا لكون القرآن والتّعمق فيه يوجب نبت الرّياحين من المعارف والحقائق في قلُوبهم كما أنّ الرّبيع أيضاً كذلك وليس كذلك بالنّسبة الىٰ غير الفقهاء من العلماء بل يسكن عطشه به بعد ما وجد فيه مَطلوبه أو نقول أنّ الفقيه يستخرج منه الأحكامُ الشّرعية التّي هي بمنزلة الرّياحين وغير الفقيه يجد مطلوبه فيه أو أنّ القرآن بمنزلة الرّبيع لهم من حيث إعتداله وأمّا غير الفقيه فلا ينظر الىٰ القرآن كذلك أمّا لعدم تدّبره فيه أو لأنّه ليس أهلاً له:

▫ قوله ﷺ: **مَحَاجَّ لِطُرُقِ الصُّلَحَاءِ وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ وَنُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ...**

المحاجّ بتشديد الجيم جمع مَحَجّة وهي الجَادة الواضحة من الطّريق وكون

القرآن محاجّاً لطُرق الصّلحاء معناه أنّ الصّالحين من عباد اللّه يسلكُون به ويَمشُون بقَدم المعرفة في جادّته وطريقه اذ لا طريق غيره للوصُول الىٰ المَقصد والبلُوغ الىٰ المنتهىٰ والغاية وتخصيص الكلام بالصّالحين مع أنّ القرآن يَهدي لكلّ من أراد الهداية به لأنّ شرط الإستفادة منه هو القابليّة والصّلاحية لها وغير الصّالح لا يستفيد منه لعدم لياقته لا لبُخل من القرآن كما أنّ الخفاش لا يستضيئ بنُور الشّمس ألا ترىٰ أنّ أبا سفيان ومعاوية وأمثالهما وأتباعهما لَم يستضيئوا بنُور القرآن ولَم يكن القرآن محاجّاً لهم والآن أيضاً كذلك وقوله ﷺ: **وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ**، لأنّه دواء الجهل والضّلالة ومن إرتفع الجهل عنه بنُور القرآن فلَيس بعد داء الجهل داءٌ حتّىٰ يَحتاج الىٰ الدّواء بخلاف الأدوية الحسّية المادّية فأنّها في الحقيقة مُسكِنةٌ لِلدّاء لا رافعةٌ لها وقوله نُوراً ليس معه ظلمة، إشارة الىٰ كون هذا النّور خالصاً في النّورية والنّورانية من غير شوب الظّلمة فيه بخلاف الأنوار الحسّية فأنّها مشوبة بالظّلمات غير خالصة عنها فلَن تجد في العالم نوراً لا يكون معه ظلمة:

والوجه العقلي في كون نُور القرآن خالصاً هو أنّه كلام اللّه تعالىٰ واللّه هو نُور السّمٰوات والأرض فهو الظّاهر بالذّات والمُظهر للغير وكلامه أيضاً كذلك فكما أنّ نور اللّه لا يأفل ولا يعدم لا يسبقه العَدم ولا يلحقه وهذا معنىٰ كونه غير مَشُوب بالظّلمة فكذلك كلامه فأنّ الصّفات هناك عين الذّات فهو تعالىٰ كلامٌ كلّه وعلم كلّه وإرادةٌ كلّه وحياة كلّه فليس هناك ذاتٌ وكلام وعلم وأمثال ذلك بمعنىٰ عروض التّكلم علىٰ ذاته بعد أن لم يكن واذا كان كذلك فالقرآن نور ليس معه ظلمة كما أنّ اللّه تعالىٰ نور ليس مَعه ظُلمة وقد مرّت الآيات الدّالة علىٰ كونه نوراً.

- قوله ﷺ: **وَحَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ وَمَعْقِلاً مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ وَعِزّاً لِمَنْ تَوَلَّاهُ...**

لقوله تعالىٰ: **﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا﴾**(١)

و: **﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطّاغُوتِ وَ يُؤْمِنْ بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انْفِصَامَ**

١- آل عمران - ١٠٣

لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1] فالقرآن هو الحبل الوَثيق فمن تَمسّك به علماً وعملاً فقد نجىٰ ومن تخلّف عنه غرق والوجه فيه أنّه كلام اللّه فالإعتصام به الإعتصام باللّه والإنقطاع عنه الإنقطاع من اللّه ولا شك أنّ من إعتصم باللّه فقد إعتصم في الحقيقة بالقُدرة المُطلقة الّتي هي القُدرة كلّها ولا قُدرة فوق قُدرة الخالق وأمّا أنّ القرآن معقل مَنيع فلأنّ المَعقل هو المَلجأ والمَنيع الحَصين كالجبل المرتفع وتشبيه القرآن به لأنّه فوق كلام المخلوق فهو في أعلىٰ المقامات من حيث كونه كلام اللّه تعالىٰ فمن أخذ به فقد التجأ بالحِصن الحَصين الّذي لا يقدر أحد علىٰ التّجاوز به وقوله عِزّاً لمن تولاّه، أي أنّ القرآن يوجب العزّ لأوليائه في الدّنيا والآخرة فأنّ العِزّة لِلّه ولرسُوله ولِلمؤمنين والتّولي بالقرآن هو التّولي باللّه تعالىٰ كما أنّ الإعراض عنه إعراضٌ عن اللّه تعالىٰ والوجه في الكلّ هو أنّ اللّه تعالىٰ جمع فيه خير الدّنيا والآخرة فما من شيءٍ يحتاج اليه النّاس إلّا وهو فيه موجُود.

▫ **قوله ﷺ: وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ وَهُدىً لِمَنْ ائْتَمَّ بِهِ وَعُذْراً لِمَنْ انْتَحَلَهُ وَبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ...**

قال البحراني أي أَمَناً لِمن دَخله ودخوله الخوض في تدبّر مقاصده وإقتباسها وبذلك الإعتبار يكون مأمَناً من عذاب اللّه ومن الوقوع في الشّبهات الّتي هي مهاوي الهلاك وقال الخُوئي بعد نقله ما نقلناه عن البحراني، وقيل إستعار لفظ السّلم بإعتبار عدم أذاه لمن دخله فهو كالمُسالم له انتهىٰ:

وأنا أقول، ما ذكراه يتّم بناء علىٰ كون السِلّم وَصفاً وليس كذلك بل الحقّ أنّه مصدر قولك سَلَم سِلماً وسَلَماً كما يقال ربح رَبحاً وربحاً وعليه فالسِلَم بكسر السّين المسالم يقال أنا سلمٌ لمن سالمني وحربٌ لمن حاربني أي صُلح أو مُصالحٌ وفي الحديث في وصف الأئمّة، يطّهر اللّه قلب عبدٍ حتّىٰ يسلم لنا ويكون سِلماً لنا أي يرضي بحكمنا ولا يكون حَرباً علينا ويمكن أن يكون المعنىٰ أي سلامة لمن دَخله، من آفات الدّنيا وعذاب الآخرة وكيف كان لا

---

١ - البقرة -٢٥٦

شّك أنّ القرآن كذلك شبّه عليه السلام القرآن بالبيت المأمون عن الآفات الّذي من دخله يسلم عن جميع الأفات والبلّيات وقوله عليه السلام وهُدىً لِمن إئتم به أي أنّه هادٍ لهم الىٰ الرّشاد كما قال تعالىٰ: ﴿هُدىً للمُتّقين﴾ والمراد بالإئتمام جعل القرآن أمامه والعَمَل بمقتضىٰ أحكامه وتعاليمه وقوله وعذراً لمن إنتَحَله قالوا أي عُذراً مُنجياً من العذاب يوم القيٰمة لمن جَعَله نِحلته والأحسَن حَمل العُذر علىٰ معناه العامّ وأنّه بمعنىٰ اسم المفعول والمعنىٰ أنّ القرآن يجعل مُنتحله مَعذوراً في الدّنيا والآخرة في إستناده ما يفعل أو يقول اليه وفيه إيماء الىٰ كونه حجّة علىٰ الخَلق فلا عُذر لهم في تركه.

وقوله عليه السلام وبُرهاناً لمن تكلّم به، أي حجّةٌ ودليلاً للمتكلم علىٰ المُخالف والمُوافق اذ لا سَنَد في الإسلام أحكم وأتقَن من كلام اللّه المُنزَل فأنّه مَصُون عن الخطأ محفوظٌ عن الإشتباه:

▫ قوله عليه السلام: **وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ وَفَلْجاً لِمَنْ حَاجَّ بِهِ وَحَامِلاً لِمَنْ حَمَلَهُ وَمَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ...**

أي أنّ القرآن دليلٌ مُحكمٌ للمُستَدل به علىٰ خَصمه فيقول مثلاً قال اللّه تعالىٰ كذا وكذا وأي شاهدٍ أكبر وأعظم وأحسَن من كلام اللّه علىٰ صدق المُدّعىٰ وذلك لأنّ كلّ كلام غير القرآن يمكن الخدشة فيه وتضعيفه بل إنكاره ولو من جهة السّند حتّىٰ في الأحاديث المَروية عن النّبي والمَعصُومين بخلاف القرآن فأنّه قطعي السّند والدّلالة إلّا في المتشابهات الّتي لا يعلمها إلّا اللّه والرّاسخون في العلم وأمّا غيرها فلا خفاء في دلالته ومعلوم أنّ المُخاصمة والإستدلال لا تكون بالمُتشابهات واذا كان كذلك فللخصم القبول أن كان يؤمن باللّه وباليوم الآخر وليس له الطّلب بدليلٍ آخر وهو واضح وقوله عليه السلام: **وَفَلْجاً لِمَنْ حَاجَّ بِهِ** به أصل الفَلَج بالفتح الظّفر والفوز أي يظفر علىٰ الخصم من حاجّ بالقرآن لما ذكرناه من عَدم إمكان وجود الخدشة فيه ألا ترىٰ أنّ هارون الرّشيد لمّا سأل مُوسىٰ ابن جعفر عليه السلام وقال كيف قلتم إنّا ذرية النّبي وأولاده والنّبي لم يعقب وأنّما العقب للذّكَر لا لِلأُنثىٰ وأنتم وِلد الإبنة قال

مُوسىٰ ابن جعفر عليه السلام في جوابه أعوذ باللّه من الشّيطان الرّجيم بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم (ومن ذرّيته داوُد وسليمان وأيّوب ويُوسف ومُوسىٰ وهارون وكذلك نجزي المُحسنين وزكريا ويحيىٰ وعِيسىٰ)، ثُمّ قال عليه السلام مُخاطباً لهرون مَن أبو عِيسىٰ قال هارون ليس لعِيسىٰ أب قال عليه السلام أنّما ألحقه اللّه بذراري الأنبياء من طريق مريم وكذلك ألحقنا بذراري النّبي من قبل أُمّنا فاطمة عليها السلام ثُمّ قال عليه السلام وأزيدك قال هارون هات قال عليه السلام قال اللّه تعالىٰ:(فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعُوا أبناءنا وأبناءكُم ونسائنا ونسائكُم وأنفُسنا وأنفُسكم ثُمّ نبتهل فنَجعل لَعنة اللّه علىٰ الكاذبين) ولم يدّع أحد أنّه أدخل النّبي تحت الكساء عند مباهلة النصارىٰ إلّا علّي ابن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين فكان تأويل الآية أنّ أبنائنا الحسن والحسين ونسائنا فاطمة وأنفسنا علّي ابن أبي طالب فلَمّا سمع هارون بذلك الإحتجاج من القرآن سَكَت فبُهت الّذي كفر واللّه لا يهدي القوم الكافرون ومن المعلوم أنّه كان لا يقبل قول الإمام عليه السّلام لو كان من غير القرآن لعدم إعتقاده بإمامته وصدق مقاله ولهذا إحتج عليه السلام عليه بالكتاب الّذي لا يقدر أحد من المُسلمين إنكاره وهذا معنىٰ قوله عليه السلام: **وَفَلْجاً لِمَنْ حَاجَّ بِهِ** وليُعلم أنّ هذا أعني الإحتجاج به أنّما يتّم بالنّسبة الىٰ من كان عالماً بالقرآن لا مُطلقاً فأنّ الجاهل بمُحكمه ومُتشابهه وناسخه ومنسوخه وعامّه وخاصّه لا يصّح له الإستدلال به بل هو ممنوع شرعاً كما وَرَد النّص به في كثير من الأخبار:

وقوله عليه السلام: **وَحَامِلاً لِمَنْ حَمَلَهُ**، قالوا في شرح الكلام يعني أنّ من حَمَل القرآن وحفظه وعمل به واتّبع أحكامه حَمَله القرآن الىٰ دار القدس وغُرفات الجنّان والأخبار الواردة في فضل حَمَلته كثيرة:

روي في البحار بأسناده عن الصّادق عليه السلام قال :الحافظ للقرآن العامل به مع السّفرة الكرام البَرَرة انتهىٰ «ج ١٩ ص ٣٦»...

وبأسناده قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله أشراف أُمتّي حَمَلة القرآن وأصحاب اللّيل

انتهىٰ«ص ۴۶»...

وبأسناده عن أبي سعيد الخدري قال قال رسُول اللّه ﷺ حَمَلة القرآن عرفاء أهل الجنّة انتهىٰ«ص ۴۶»...

وبأسناده عن ابن عامر قال قال رسُول اللّه ﷺ لا يُعذّب اللّـه قلباً وعـي القرآن انتهىٰ « ص ﷺ ۴»...

وأمّا قوله ﷺ: **وَمَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ**، فأنّ المطّية المركَب ومعناه أنّ القرآن مركَبٌ سريع في إيصال صاحبه وحامله الىٰ مقصده وهو خطائر القُدس والمراد بأعماله المُواظبة عليه:

▫ **قوله ﷺ: وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ وَجُنَّةً لِمَنْ اسْتَلْأَمَ وَعِلْماً لِمَنْ وَعَىٰ وَحَدِيثاً لِمَنْ رَوَىٰ وَحُكْماً لِمَنْ قَضَىٰ ...**

ذكر ﷺ في المقام أُموراً خَمسة من أوصاف القرآن مضافاً الىٰ ما ذكره سابقاً:

أحدهما: أنّ اللّه تعالىٰ جعل القرآن لِمن تَوَّسَم به كما قال في كتاب: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾(١) وقد رُوي عن النّبي ﷺ أنّه قال: **اتقُوا فراسة المؤمن فأنّه ينظر بنُور اللّه وقال ﷺ: انّ لِلّه عباداً يعرفون النّاس بالتّوسُم ثُمّ قرا هذه الآية:**

وثانيهما: أنّه جُنّة لمن إستلام أي وقايةٌ وسلاحٌ لطالب الدِرّع والسّلاح والمقصود أنّه يقي حافظه وحامله عن مكاره الدّنيا والآخرة يقال إستلام أي لبس اللامة وهي الدِرّع شبّه ﷺ القرآن بالدِرّع الّذي يُلبس في الحروب لدفع الآفات والجراحات:

وثالثها: قوله ﷺ: وَعِلْماً لِمَنْ وَعَىٰ، أي أنّ القرآن فيه كلّ العلوم لمن حفظه وَوَعاه ففيه علم المَبدء والمَعاد وعلم الإقتصاد والمعاش وعلم الحلال والحرام فمن حَفِظ القرآن وَواظبه فقد حفظ العلم كلّه.

١- حجر-٧٥.

ورابعها: أنّه حديث لمن رُوىٰ، أي فيه القصص والأحاديث قال اللّه تعالىٰ في كتابه: ﴿وَمَنْ اَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَديثاً﴾ (1)

و: ﴿وَهَلْ اَتاكَ حَديثُ مُوسىٰ﴾ (2)

و: ﴿اللّهُ نَزَّلَ اَحْسَنَ الْحَديثِ كِتاباً مُتَشابِهاً﴾ (3)

و: ﴿فَلْيَاْتُوا بِحَديثٍ مِثْلِهِ اِنْ كانُوا صادِقينَ﴾ (4) ولا شك أنّ أحاديث القرآن صحيحة لكونها كلام اللّه ومن أصدق من اللّه قيلاً:

وخامسها: قوله **وَحُكْماً لِمَنْ قَضَىٰ**، والحُكْم بضم الحاء وسكون الكاف هكذا في النُّسخ وعليه فالمعنىٰ أنّ القرآن هو الحُكم لِمن يقضي بين الحقّ والباطل ولا حُكم له غيره وبعبارةٍ أُخرىٰ القاضي يحكم بين الأشخاص بمُقتضىٰ القرآن فأنّه الأصل فيه قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما اَنْزَلَ اللّهُ فَاوُلٰئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ﴾ (5) وفي آيةٍ أُخرىٰ هم الفاسقون وفي ثالثة هم الكافرون هكذا قيل:

أقول: الحُكم بالشيّ أن تقضي بأنّه كذا أو ليس بكذا سواء ألزمت ذلك غيرك أو لم تُلزمه وعليه فالحُكم أمرٌ إنتزاعي يُنتزع من الحكومة والقضاوة وكون القرآن حُكماً بهذا المعنىٰ يَستدعي ضَرباً من التَّجوز فأنّ القرآن يكون مَنشأً لِلحُكم نفس الحُكم اللّهم إلّا أن يقال أنّ القرآن من حيث أنّه كلام اللّه وكلامه تعالىٰ حُكمٌ بالمعنىٰ المذكور فهو أيضاً حكمٌ ولا إشكال فيه هذا والّذي يختلج بالبال هو ضبط كلامه عليه السلام بفتح الحاء والكاف فيقال وحكماً لمن قضىٰ قال تعالىٰ: ﴿اَفَغَيْرَ اللّهِ اَبْتَغي حَكَماً﴾ (6) والقرآن أيضاً حَكَمٌ بين الحقّ والباطل والمآل في القولين واحد اذ لا شك أنّ القرآن هو الأصل في الحُكومة فالحُكم بغيره باطل عاطل ولنختم الكلام في المقام بذكر بعض ما ورد في فضل القرآن والإعتصام به مُضافاً الىٰ ما ذكرناه سابقاً فأنّ البَحث مُفيد والموضوع من أهمّ

1- النساء ـ 87
2- طه ـ 9
3- الزمر ـ 23
4- الطور ـ 34
5- المائده ـ 44
6- الانعام ـ 114

الموضوعات ختامه مِسك وفي ذلك فليتنافس المُتنافسون.

قال رسول لله ﷺ يا سلمان عليك بقراءة القرآن فأنّ قراءته كفّارة لِلذّنوب وسترٌ في النّار وأمانٌ من العذاب ويُكتب لمن يقرأه بكل آيةٍ ثواب مِائة شهيد ويُعطي بكلّ سُورة ثواب نبيّ وينزل علىٰ صاحبه الرّحمة ويستغفر له الملائكة وإشتاقت اليه الجنّة ورضي عنه المولىٰ وأنّ المؤمن اذا قرأ القرآن نظر اللّه اليه بالرّحمة وأعطاه بكل آيةٍ ألف حُورٍ وأعطاه بكلّ حرفٍ نوراً علىٰ الصّراط فاذا خَتم القرآن أعطاه اللّه ثواب ثلاث مِائة وثلاثة عشر نبّياً بلّغوا رسالات ربّهم وكأنّما قُرأ كلّ كتاب أنزل اللّه علىٰ أنبيائه وحرّم اللّه جسده علىٰ النّار ولا يقوم من مقامه حتّىٰ يغفر اللّه له ولأبويه وأعطاه اللّه بكلّ سورةٍ في القرآن مدينة في الجنّة الفردوس كلّ مدينة من دُرّة خضراء في جوف كلّ مدينة ألف دار في كلّ دار مِائة ألف حجرة في كلّ حجرة مِائة ألف بيت من نورٍ علىٰ كلّ بيت مِائة ألف باب من الرّحمة علىٰ كلّ باب مِائة ألف بوّاب بَيد كلّ بوّاب هدية من لَون آخر وعلىٰ رأس كلّ بوّاب منديل من إستبرق خير من الدّنيا وما فيها وفي كلّ بيتٍ مِائة دكّان من العَنبر سعة كلّ دكّان ما بين المشرق والمغرب وفوق كلّ دكّان مِائة ألف سرير وعلىٰ كلّ سرير مِائة ألف فراش من الفراش الفراش ألف ذراع الىٰ أن قال ﷺ يا سلمان المؤمن اذا قرأ القرآن فتح اللّه عليه أبواب الرّحمة وخلق اللّه بكلّ حرفٍ يخرج من فمه مَلكاً يُسَبح له الىٰ يوم القيامة وأنّه ليس شئ بعد تعلّم العلم أحبّ الىٰ اللّه من قراءة القرآن وأنّ أكرم العباد علىٰ اللّه بعد الأنبياء العلماء ثُمّ حَمَلة القرآن يخرجُون من الدّنيا كما يخرج الأنبياء ويُحشرون من قبُورهم مع الأنبياء ويمّرون علىٰ الصّراط مع الأنبياء ويأخذون ثواب الأنبياء فطوبىٰ لطالب العلم وحامل القرآن ممّا لهم عند اللّه من الكرامة والشّرف، قال رسُول اللّه ﷺ فضل القرآن علىٰ سائر الكلام كفضل اللّه علىٰ خلقه وقال ﷺ القرآن غنىٰ لا غنىٰ دونه ولا فقر بعده، وقال ﷺ القرآن مأدبة

اللّه فتعلمُوا مأدبته ما إستطعتم.

أنّ هذا القرآن هو حبل اللّه وهو النُّور المُبين والشّفاء النّافع فإقرؤه فأنّ اللّه عزّ وجلّ يأجركم علىٰ تلاوته بكلّ حرفٍ عَشر حسنات أمّا أنّي لا أقول أَلَم، حرف واحد ولكن الألف ولام وميم ثلاثون حَسَنة، وقال ﷺ القرآن أفضل كلّ شيئ دون اللّه فمن وَقّر القرآن فقد وَقّر اللّه ومن لَم يُوقّر القرآن فقد إستَخَف بحرمة اللّه حُرمة القرآن علىٰ اللّه كحرمة الوالد علىٰ ولده وقال ﷺ حملة القرآن هم المَحفُوفُون برحمة اللّه المُلبَسون نور اللّه عزّ وجلّ، ياحملة القرآن تُحببّوا الىٰ اللّه بتوتير كتابه يزدكم حُبّاً ويُحبّبكم الىٰ خلقه يدفع عن مستمع القرآن شّر الدّنيا ويدفع عن تالي القرآن بلوىٰ الآخرة، وقال ﷺ أن أردتم عيش السّعداء ومَوت الشّهداء والنّجاة يوم الحَسرة والظّل يوم الحَرور والهُدىٰ يوم الضّلالة فإدرسوا القرآن فأنّه كلام الرّحمٰن وحِرزٌ من الشّيطان ورجحان في الميزان وقال ﷺ إقرؤا القرآن وإستظهروه فأنّ اللّه تعالىٰ لايعذب قلباً وعىٰ القرآن، وقال ﷺ من إستظهر القرآن وحفظه وأحلّ حلاله وحرّم حرامه أدخله اللّه به الجنّة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلّهم قد وجب له النّار...

وقال علّي ابن الحسين عليه السلام كتاب اللّه عزّ وجلّ علىٰ أربعة أشياء علىٰ العبادة والإشارة واللّطائف والحقائق فالعبارة لِلعوام والإشارة للخّواص واللّطائف للأولياء والحقائق لِلأبدال وقال ﷺ درج الجنّة عدد آي القرآن فأن أُدخل صاحب القرآن الجنّة قيل أرقاء وإقرأ لكلّ درجة فلا يكون فوق حافظ القرآن درجة والأحاديث في الباب كثيرة والّذي نقلناه نقلناه عن البحار «ج ١٩ ص ٥ الى ص عليه السلام»...

ومن كلام له عليه السلام (١٩٨)

□ قوله عليه السلام: تَعَاهَدُوا وَأَمْرَ الصَّلوةِ وَحَافِظُوا عَلَيْهَا وَاسْتَكْثِرُوا مِنْهَا وَتَقَرَّبُوا بِهَا فَإِنَّهَا كَانَتْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً ألاَ تَسْمَعُونَ إِلَىٰ جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَإِنَّهَا لَتَحُتُّ الذُّنُوب تَعَاهَدُوا وَأَمْرَ الصَّلوةِ وَحَافِظُوا عَلَيْهَا وَاسْتَكْثِرُوا مِنْهَا وَتَقَرَّبُوا بِهَا فَإِنَّهَا كَانَتْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً ألاَ تَسْمَعُونَ إِلَىٰ جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَإِنَّهَا لَتَحُتُّ الذُّنُوبَ حَتَّ الْوَرَقِ وَتُطْلِقُهَا إِطْلاَقَ الرِّبَقِ وَشَبَّهَهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله بِالْحَمَّةِ تَكُونُ عَلَىٰ بَابِ الرَّجُلِ فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَمَا عَسَىٰ أَنْ يَبْقَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لاَ تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ وَلاَ قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلاَ مَالٍ يَقُولُ اللّهُ سُبْحَانَهُ (رِجَالٌ لاَتُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلوةِ وَإِيتَاءِ الزَّكوةِ) وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله نَصِباً بِالصَّلاَةِ بَعْدَ التَّبْشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ لِقَوْلِ اللّهِ سُبْحَانَهُ (﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلوةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[1]) فَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ وَيَصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ.

ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلاَةِ قُرْبَاناً لِأَهْلِ الْإِسْلاَمِ فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً وَمِنَ النَّارِ حِجَازاً وَ وِقَايَةً فَلاَ يُتْبِعَنَّهَا أَحَدٌ

١- طه ـ١٣٢ـ

نَفْسهُ وَلاَ يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهَفَهُ فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ مَغْبُونُ الأَجْرِ ضَالُّ الْعَمَلِ طَوِيلُ النَّدَمِ.

ثُمَّ أَدَاءَ الأَمَانَةِ فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَىٰ السَّمَاوَاتِ الْمَبْنِيَّةِ وَالأَرَضِينَ الْمَدْحُوَّةِ وَالْجِبَالِ ذَاتِ الطُّولِ الْمَنْصُوبَةِ فَلاَ أَطْوَلَ وَلاَ أَعْرَضَ وَلاَ أَعْلَىٰ وَلاَ أَعْظَمَ مِنْهَا وَلَوِ امْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ أَوْ عَرْضٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لاَ مْتَنَعْنَ وَلٰكِنْ اَشْفَقْنَ مِنَ الْعُقُوبَةِ وَعَقَلْنَ مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُنَّ وَهُوَ الإِنْسَانُ (إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً).

إِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ لاَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ لَطُفَ بِهِ خُبْراً وَأَحَاطَ بِهِ عِلْماً أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ وَضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ.

◁ اللغة

(حَتَّ الْوَرَقِ) عن الشَّجرة قشره (الرِّبق) بالكسر حبل فيه عدّة عرىٰ كلّ منها ربقة والرِّبق علىٰ وزن عَنَب جمعه وكلّ عروة ربقة (الْحَمَّة) بفتح الحاء المهملة كلّ عين تَنبع بالماء الحَار يُستشفىٰ بها من العِلل والأمراض (الدَّرَن) محركّة الوَسَخ (نَصِباً) بفتح النّون وكسر الصّاد أي تَعباً (الْمَدْحُوَّةِ) المَبسوطة (خُبْراً) بضّم الخاء العلم والباقي واضح:

◁ المعنىٰ

(تَعَاهَدُوا وَأَمْرَ الصَّلٰوةِ) أي جدّدوا العَهد بها (وَحَافِظُوا عَلَيْهَا) بإتيانها في أوقاتها تامّ الأجزاء والشّرائط (وَاسْتَكْثِرُوا مِنْهَا) فأنّها خير موضوع من شاء إستَقل ومن شاء إستَكثر (وَتَقَرَّبُوا بِهَا) الىٰ الله (فَإِنَّهَا كَانَتْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ) بها (كِتَاباً مَوْقُوتاً) واجبة مفروضة (اَلاَ تَسْمَعُونَ) بسمع القَلب (إِلَىٰ جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا مَا سَلَكَكُمْ) وجعلكم (فِي سَقَرَ) إسم وادٍ من جهنّم (قَالُوا) في الجواب (لَمْ نَكُ) في الدّنيا (مِنَ الْمُصَلِّينَ وَإِنَّهَا) أي

الصَّلٰوة (لَتَحُتُّ الذُّنُوبَ) وتُسقطها (حَتَّ الْوَرَقِ) عن الشجرة (وَتُطْلِقُهَا) وتفكّها منه (إِطْلَاقَ الرِّبَقِ) أي فك الرّبق من الأعناق (وَشَبَّهَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) أي شبه الرّسول الصّلٰوة (بِالْحَمَّةِ) الماء الحار الّذي يُستشفىٰ به من العلل (تَكُونُ) الحمّة (عَلَىٰ بَابِ الرَّجُلِ) أي علىٰ باب داره (فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا) من الحمّة (فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ) والصّلٰوة أيضاً كذلك (فَمَا عَسَىٰ أَنْ يَبْقَىٰ عَلَيْهِ) علىٰ الرّجل المُغتسِل (مِنَ الدَّرَنِ) والوسخ شيئاً (وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا) حقّ الصّلٰوة (رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا تَشْغَلُهُمْ) ولا تمنعهم (عَنْهَا) عن الصّلٰوة (زِينَةُ مَتَاعٍ) الدّنيا وزخرفُها (وَلَا) تمنعهم أيضاً (قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلَا مَالٍ يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلٰوةِ وَإِيتَاءِ الزَّكٰوةِ﴾[1] وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَصِباً) أي تَعباً (بِالصَّلَاةِ بَعْدَ التَّبْشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ) من الله تعالىٰ (لِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلٰوةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[2] علىٰ الصّلٰوة (فَكَانَ) الرّسول (يَأْمُرُ أَهْلَهُ) بالصّلٰوة (وَيَصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ) كما أمره الله به (ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ) في الشّريعة (مَعَ الصَّلَاةِ قُرْبَاناً) أي وسيلة وسبباً للتقرب الىٰ الله (لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فَمَنْ أَعْطَاهَا) أي الزّكٰوة (طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا فَإِنَّهَا) أي عن رغبته وميله (تُجْعَلُ) الزّكٰوة (لَهُ) للمُؤدي (كَفَّارَةً) من الذّنوب (وَمِنَ النَّارِ حِجَازاً) ومانعاً (وَ وِقَايَةً) وحافظاً (فَلَا يُتْبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ) أي من أعطاها فلا تذهب نفسه تعلقاً بها ولهفاً عليها (وَلَا يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا) علىٰ الزّكٰوة (لَهَفَهُ) وحسرته (فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا) الزّكٰوة (غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا) لا عن رغبةٍ (يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا) من الزّكٰوة (فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ مَغْبُونُ الْأَجْرِ ضَالُّ الْعَمَلِ طَوِيلُ النَّدَمِ) اذ لا شئ أفضل منها (ثُمَّ أَدَاءَ الْأَمَانَةِ فَقَدْ خَابَ) وضَل (مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا) ولا يؤدي الأمانات (إِنَّهَا) الأمانة (إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَىٰ السَّمَاوَاتِ الْمَبْنِيَّةِ) علىٰ قدرة الله (وَالْأَرَضِينَ الْمَدْحُوَّةِ) المُنبسطة من تحت الكعبة (وَالْجِبَالِ ذَاتِ الطُّولِ

١- النور- ٣٧ ٢- طه- ١٣٢

الْمَنْصُوبَةِ) المرتفعة **(فَلاَ أَطْوَلَ وَلاَ أَعْرَضَ وَلاَ أَعْلَىٰ وَلاَ أَعْظَمَ مِنْهَا)** من الجبال **(وَلَوِ امْتَنَعَ شَيءٌ بِطُولٍ اَوْ عَرْضٍ اَوْ قُوَّةٍ اَوْ عِزٍّ لاَ مْتَنَعْنَ)** بل هو أولىٰ بالإمتناع **(وَلٰكِنْ اَشْفَقْنَ مِنَ الْعُقُوبَةِ وَعَقَلْنَ مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُنَّ وَهُوَ الْاِنْسَانُ)** فَحَملها مَع ما به من الضَعف **(أنّه)** أنّ الإنسان **﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾**[1] ظالماً علىٰ نفسه جاهلاً بما هو خير له **(اِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ لاَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ)** مُكتسبون **(فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ لَطُفَ بِهِ خُبْراً وعِلماً (وَأَحَاطَ بِهِ عِلْماً)** بعِلمه المُحيط بكلّ شيئ **(أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ وَضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ)**.

◁ الشّرح

إعلم أنّ كلامه ﷺ في هذا الخطبة يَدُور مَدار فصُول فصلٌ في الصَلٰوة وفصلٌ في الزّكٰوة وفصلٌ في أداء الأمانة ونحن أيضاً نتكلم فيها حَسَب شرح كلماته وقبل شرح الكَلمات في كلّ فصل نقَدم لك ما ورد في فضل كلّ منها من الآيات والأخبار فأنّها أي الصَلٰوة والزّكٰوة وأداء الأمانة من أهمّ الواجبات الشّرعية.

الفصل الأوّل في الصّلٰوة وهي لغة الدّعاء علىٰ ماهو المشهور بين الفقهاء وغيرهم وشرعاً العبادة المخصُوصة بكيفياتها المعهُودة وعدّها جماعة من أهل اللّغة من جملة معانيها اللّغوية وفي إثبات الحقيقة بذلك إشكال بل الظّاهر العَدم لحدوث هذه المعاني بعد الشّرع وتحقيق ذلك في علم الأصُول ثمّ أنّه لا خلاف لأحَدٍ في أنّ الصَلٰوة لو أُطلقت تراد بها الأفعال المخصُوصة التّي أوّلها التّكبير وآخرها التّسليم بداعي التّقرب الىٰ اللّه فأن قلنا بثبُوت الحقيقة الشّرعية فالصَلٰوة حقيقة فيها وأن لم نقل بها كما هو الحقّ فالصّلٰوة أُستعملت في معناها الأصلي أعني به الدّعاء وأُريد الأركان المَخصُوصة مَجازاً ونُعبّر عنه بالحقيقة

١- الاحزاب-٧٢.

المتشرعة فأنّ ثبوتها ممّا لا خلاف فيه وقيل إستعمال الصّلوة بهذا المعنىٰ أيضاً حقيقة وأن لم نقل بثبوت الحقيقة الشّرعية بناءً علىٰ أنّ الصّلوة أُريد منها الدّعاء والأفعال والأركان خارجة عن حقيقتها وللبحث فيه مقام آخر:

ثمّ إعلم أنّ الصّلوة من أعظم الواجبات الشّرعية وأشرفها وأفضلها بحيث أن قَبلت قبل ما سواها وأن رُدّت رُدّ ما سواها والآيات والأخبار الواردة في فضلها والحثّ عليها كثيرة نشير الىٰ بعض منها:قال اللّه تعالىٰ:﴿إِنَّ الصَّلٰوةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً﴾(١)

و : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾(٢)

و : ﴿وَاَوْحَيْنَا اِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَاِقَامِ الصَّلٰوةِ﴾(٣)

و : ﴿وَاْمُرْ اَهْلَكَ بِالصَّلٰوةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾(٤)

و : ﴿اَقِمِ الصَّلٰوةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ اِلىٰ غَسَقِ الَّيْلِ﴾(٥)

و : ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلٰوةَ﴾(٦)

و : ﴿إِنَّ الصَّلٰوةَ تَنْهىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾(٧)

و : ﴿قَدْ اَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾(٨) والآيات كثيرة:

ومن الأخبار ماروا‌ه في الحدائق عن الكافي والفقيه عن معاوية بن وهب قال سألت أبا عبد اللّه ﷺ عن أفضل ما يتقرب به العباد الىٰ ربّهم وأحبّ ذلك الىٰ الله تعالىٰ ما هو فقال ﷺ ماأعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصّلوة ألا ترىٰ أنّ العبد الصّالح عيسىٰ بن مريم قال:﴿وَاَوْصَانِي بِالصَّلٰوةِ﴾(٩) انتهىٰ.

ومنها ماروا‌ه بأسناده عن أبي عبد اللّه ﷺ قال قال رسول اللّه مثل الصّلوة مثل عمود الفسطاط إذا ثبت العمود بقيت الأطناب والأوتاد والغشاء وإذا إنكسر لم ينفع طُنبٌ ولا وَتدٌ ولا غَشاء انتهىٰ...

١- النساء ـ ١٠٣
٢- البقرة ـ ٣
٣- الأنبياء ـ ٧٣
٤- طه ـ ١٣٢
٥- الاسراء ـ ٧٨
٦- ابراهيم ـ ٣١
٧- العنكبوت ـ ٤٥
٨- المؤمنون ـ ٢
٩- مريم ـ ٣١

ومنها ما رواه بسنده عن عليٍ قال قال رسول اللّه ﷺ أنّ عَمُود الدّين الصّلٰوة وهي أوّل ما ينظر فيه من عَمَل ابن آدم فأن صَحّت نظر في عَمله وأن لم تصّح لم يُنظر في بقيّة عَمَله انتهىٰ...

وبأسناده عن أبي بصير قال سمعت أبا جعفر يقول كلّ سهوٍ في الصّلٰوة يُطرح منها غير أنّ اللّه تعالىٰ يتّم بالنّوافل أنّ أوّل ما يُحاسب به العَبد الصّلٰوة فأن قُبلت قُبل ماسِواها أنّ الصّلٰوة اذا إرتفعت في وقتها رَجعت الىٰ صاحبها وهي بيضاء مُشرقة تَقول حَفظتني حَفَظك اللّه وإذا إرتفعت في غير وَقتها بغير حدودها رَجعت الىٰ صاحبها وهي سوداء مُظلمة تقول ضيّعتني ضيّعك اللّه انتهىٰ...

ومنها ما رواه بأسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال بينما رسول اللّه ﷺ كان جالساً في المسجد إذ دَخَل رجل فقام يصّلي فلم يتّم ركوعه ولا سجوده فقال ﷺ نَقَر كَنَقَر الغُراب لأن مات هذا وهكذا صلٰوته ليموتنّ علىٰ غير ديني انتهىٰ...

ومنها ما رواه عن أبي جعفر عليه السلام قال لا تَهاون بصّلٰوتك فأنّ النبّي قال عند موته ليس منّي من إستّخف بصّلٰوته ليس منّي من شرب مُسكراً لا يرد علّي الحَوض لا واللّه انتهىٰ...

وأيضاً قال ﷺ لا ينال شفاعتي من إستّخف بصّلٰوته لا يرد علّي الحَوض انتهىٰ....

وقال أبو الحسن عليه السلام لمّا حَضَر أبي الوفاة قال لي يابُنّي لا ينال شفاعتنا من إستّخف بصّلٰوته انتهىٰ...

وبأسناده عن أبان بن تَغلب قال صلّيت خلف أبي عبد اللّه المغرب بالمُزدلفة الىٰ أن قال ثمّ إلتفت الّي فقال ياأبان هذه الصّلٰوة الخمس المَفرضات من أقامهنّ وحافظ علىٰ مَواقيتهنّ لَقي اللّه يوم القيٰمة وله عنده عَهدٌ يدخله به الجنّة ومن لم يُصّلهن لمواقيتهنّ ولم يُحافظ عليهنّ فذلك اليه أن شاء غفر له وأن شاء عذّبه انتهىٰ...

والأحاديث في الباب كثيرة جدًا وكفىٰ في فضلها بعد ماذكرناه من الأخبار وَإجماع الأُمّة علىٰ وجُوبها وأنّ تاركها مُنكراً يُعدّ من الكفّار لِكونها من ضَروريات الدّين مضافاً الىٰ أنّها وصُفت في كتاب اللّه بأنها تنهىٰ عن الفَحشاء والمُنكر وفي الأخبار بأنّها قُربان كلّ تقي وبها تُطفئ النّيران ومِعراج كلّ مؤمن بل هي أصل الإسلام وخير العَمَل وخير موضوع والميزان والمِعيار لسائر أعمال الأنام وقد وَرد أنّ صلٰوة فريضةٍ خير من عشرين حجّة كلّ حُجّةٍ خيرٌ من بيت مملوء ذهباً يتّصدق منه حتّىٰ يُفنىٰ بل وفي بعض الأخبار أنّها أفضل من ألف حجّة كلّ حجّة أفضل من الدّنيا وما فيها الىٰ غير ذلك من الأخبار الواردة ومانقلناه نقلناه عن الحدائق والجواهر كتاب الصّلٰوة.

اذا عرفت ماتلوناه عليك من فضل الصّلٰوة وشرفها فَلنرجع الىٰ المتن:

▫ **قوله ﷺ: تَعَاهَدُوا وَأَمْرَ الصَّلٰوةِ وَحَافِظُوا عَلَيْهَا وَاسْتَكْثِرُوا مِنْهَا وَتَقَرَّبُوا بِهَا فَإِنَّهَا كَانَتْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً...**

ذكر ﷺ أموراً أربعة:

أحدها: التّعاهُد علىٰ الصّلٰوة.

والثّاني: المُحافظة عليها.

والثّالث: إستكثارها.

والرّابع: التّقرب بها الىٰ اللّه وإستدّل علىٰ الكلّ بأنّها كانت علىٰ المؤمنين كتاباً موقوتاً:

أمّا الأوّل: أعني المُعاهدة عليها فالمراد بها مُراقبتها وتجديد العَهد بها وهكذا قيل في شرح العبارة والحقّ أن يقال أنّ قوله ﷺ: **تَعَاهَدُوا** فعل أمرٍ من تَعاهد يتَعاهدُ نحو تضارب يتَضارب والمَصدر التّعاهُد وهو مأخوذ من العَهد وهو حَفظ الشّيء ومراعاته حالاً بعد حال والتّعاهُد العهد من الطّرفين فإذا قيل تَعاهدُوا علىٰ ذلك معناه أنّ كلّ طرفٍ من طَرفي العَهد إلتَزم بمُراعاته وحفظه ثمّ أنّ هذا المعاهدة أو التّعاهُد تارةً يكون بما رَكَزه اللّه في عقُولنا وتارةً يكون

بما أَمَرنا به كتاباً وسنّةً بسبب رسله وأُخرىٰ بما نلتزمه وليس بلازمٍ في أصل الشّرع كالنّذر ومايجري مجراه إذا عرفت هذا فنقول.

قوله عليه السلام: **تَعَاهَدُوا وَأَمْرَ الصَّلٰوةِ** معناه إجعلوا أَمر الصّلٰوة من التّعاهد والمواضعة بينكم وبين اللّه تعالىٰ فلا تغفَلوا عنها وبعبارةٍ أُخرىٰ أوفُوا بالعُقود والعُهُود الثّابتة بينكم وبين اللّه ومن جُملتها بل أهمّها الصّلٰوة حتّىٰ يفي اللّه تعالىٰ أيضاً بعهده من الثّواب والرّحمة والكرامة عليكم ثمّ أنّ هذا التّعاهُد قد ثبت بالكتاب والسّنة أو بالعقل من جهة أنّ شكر المُنعم واجب عقلاً ولا مصداق أتّم وأكمل لِلشّكر العملي والقولي من الصّلٰوة، وهذا واضح:

وأمّا الثّاني: وهو المحافظة عليها فالمراد بها الإتيان بالصّلٰوة في أوقاتها وحفظها عمّا يُبطلها أو يُضّيعها لئلّا تقول الصّلٰوة ضَيّعتَني ضَيّعك اللّه وفيه إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: **﴿حَافِظُوا عَلَىٰ الصَّلَوٰاتِ وَالصَّلٰوةِ الْوُسْطَىٰ﴾**(١) فتأخير الصّلٰوة عن وقتها بلا عُذر موجب لتضيعها والأخبار به مُتظافرة مُتكاثرة نشير الىٰ شطرٍ منها:

روي في الحدائق بأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال عليه السلام من صّلىٰ الصّلوات المَفروضات في أوّل وقتها فأقام حدودها رَفَعها المَلك الىٰ السّماء بيضاء نَقّية وهي تَهّتف به حَفَظك اللّه كما حَفظتَني وأَستودَعك اللّه كما أستودَعتَني ملكاً كريماً ومن صّلاها بعد وقتها من غير عِلّة فلم يُقِم حدودها رفعها المَلك سوداء مظلمة وهي تهّتف به ضيّعتني ضّيعك اللّه كما ضّيعتني ولا رعاك اللّه كما لم ترعني الحديث «الحديث كتاب الصّلٰوة باب المواقيت ص ٢٣»...

وأمّا الثّالث: وهو الإستكثار بها، فالمراد به كثرة التّنفل وإلّا فالصّلٰوة الواجبة محدودة مُعينّة لا تَكثُر فيها وأنّما كان الإستكثار بها ممدوحاً لما وَرد أنّها خير موضوع فمن شاء إستَقل ومن شاء إستَكثر:

ولما رواه في الوسائل بأسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال أتىٰ رسول اللّه

---

١ - البقرة - ٢٣٨

رجل فقال أدع اللّه أن يدخلني الجنّة فقال ﷺ أعني بكثرة السّجود انتهىٰ)

وبأسناده عن الصّادق ﷺ قال جاء رجل الىٰ رسول اللّه ﷺ فقال يارسول كَثُرت ذنوبي وضَعُف عَمَلي فقال رسول اللّه أَكثِر السّجود فأنّه يحطّ الذّنوب كما تُحطّ الرّيح ورق الشّجر انتهىٰ...

وبأسناده عن سلمان الفارسي قال كُنّا مع رسول اللّه في ظل الشّجرة فأخذ غُصناً منها فنفضه فتساقط ورقه فقال ﷺ ألا تسألوني عمّا صنعتُ فقالوا أخبِرنا يارسول اللّه فقال ﷺ أنّ العبد المُسلم إذا قام الىٰ الصّلٰوة تحاطت خطاياه كما تحاطت وَرَق هذه الشَّجرة انتهىٰ «وسائل الشيعة كتاب الصّلٰوة»...

وأمّا الرّابع: وهو التّقرب بها الىٰ اللّه، فلمّا رواه في الوسائل بأسناده عن أبي عبد اللّه حيث سُئل عن أفضل ما يتّقرب به العباد الىٰ ربّهم وأحبّ ذلك الىٰ اللّه ما هو قال ﷺ ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصّلٰوة ألا ترىٰ أنّ العبد الصّالح عيسىٰ إبن مريم قال:(وأوصاني بالصّلٰوة والزّكٰوة ما دُمتُ حياً انتهىٰ...

وبأسناده عنه ﷺ قال أنّ طاعة اللّه عزّ وجلّ خدمته في الأرض وليس شيءٌ من خدمته يعدل الصّلٰوة فمن ثمّ نادت الملائكة زكرّيا وهو قائم يصّلي في المِحراب انتهىٰ) (وبأسناده عنه ﷺ قال أحبّ الأعمال الىٰ اللّه عزّ وجلّ الصّلٰوة وهي آخر وصايا الأنبياء فما أحسن الرّجل يغتسل أو يتّوضأ فيسبغ الوضوء ثمّ يتّنحىٰ حيث لا يراه أنيس فيشرف اللّه عليه وهو راكع أو ساجد أنّ العبد إذا سجد وأطال نادىٰ إبليس يا ويله أطاعوا وعصيتُ وسجدوا وأَبيتُ انتهىٰ...

وقوله ﷺ فأنّها كانت علىٰ المؤمنين كتاباً موقوتاً إستدلال منه ﷺ علىٰ ما ذكره بالآية الشّريفة حيث قال تعالىٰ:﴿إنّ الصَّلٰوةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً﴾ (١)

١- النّساء ـ ١٠٣

روي في الوَسائل بأسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ:(أنّ الصّلوة) الآية قال عليه السلام أي مَوجُباً انتهىٰ...

وبأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال عليه السلام أي كتاباً ثابتاً، وفي حديث آخر عنه عليه السلام أي كتاباً مفروضاً انتهىٰ...

□ قوله عليه السلام: اَلاَ تَسْمَعُونَ إِلَىٰ جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ...

إشارة الى قوله تعالىٰ في سورة المُدّثر:﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ، إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِى جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ، عَنِ الْمُجْرِمِينَ، مَاسَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ، قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ، وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ، وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ، حَتَّىٰ اتيْنَا الْيَقِينُ، فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾(١)

فقوله عليه السلام حين سُئلوا السّائل عنهم أصحاب اليَمين فأنّهم يَتساءلُون عن المُجرمين وفيما ذكره عليه السلام تبعاً لِلآية الشّريفة، إشعار بل تصريح بثبُوت العذاب والعقاب لتارك الصّلوة وهو كذلك:

روي في الوسائل بأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث الكبائر قال عليه السلام أنّ تارك الصّلوة كافر يعني من غير علّة انتهىٰ...

وبأسناده عنه عليه السلام قال جاء رجل الىٰ النبّي فقال يارسُول الله أوصني فقال لا تدع الصّلوة مُتّعمداً فأنّ من تركها مُتّعمداً فقد برئت منه ملّة الإسلام انتهىٰ...

وبأسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال قال رسُول الله ما بين المُسلم وبين أن يكفر أن يترك الصّلوة الفريضة مُتّعمداً أو يتهاون بها فلا يُصّليها انتهىٰ...

وبأسناده عن جابر قال قال رسول الله ما بين الكفر والإيمان إلّا ترك الصّلوة انتهىٰ «وسائل الشّيعة كتاب الصّلوة» ولنعم ما قيل:

خَسِرَ الّذي تَرك الصّلوة وخابا   وأبىٰ معاداً صالحاً ومآباً

١-المدّثر ٤٨=٣٨

إن كان يَجحَدها فَحَسبُك أنّه		أضحىٰ بربّك كافراً مُرتاباً
أو كان يتركها لنوعِ تكاسُلٍ		غطّىٰ علىٰ وجه الصّواب حجاباً

□ قوله ﷺ: **وَأَنْهَا لَتحُتُّ الذُّنوبَ حَتَّ الْوَرَقِ وَتُطْلِقُهَا إِطْلاَقَ الرِّبَقِ...**

أي وأنّ الصّلوٰة لتُحِت وتُسقط الذّنوب عن المُصَلِي كسُقوط الوَرَق عن الشَّجَرة وقد مَرّ الحديث المناسب له وروي في الوسائل بأسناده عن أبي عبد اللّه ﷺ قال لمّا هبط آدم من الجنّة ظهرت به شامّة سوداء من قَرنه الىٰ قَدمه فطال حُزنه وبُكائه علىٰ ما ظهر به فأتاه جبرائيل وقال ما يُبكيك يا آدم فقال من هذه الشّامة الّتي ظهرت بي قال قُم يا آدم فصَل فهذا وقت الصّلوٰة الأُولىٰ فقام وصّلىٰ فإنّحطت الشّامة الىٰ عُنقه فجاءه في الصّلوٰة الثّانية فقال قُم فصّل يا آدم فهذا وقت الصّلوٰة الثّانية فقام وصّلىٰ فإنّحطت الشّامة الىٰ صُرّته فجاءه في الصّلوٰة الثّالثة فقال يا آدم قُم فصّل فهذا وقت الصّلوٰة الثّالثة فقام فصّلىٰ فإنّحطت الشّامة الىٰ ركبَتَيه فجاءه في الصّلوٰة الرّابعة فقال يا آدم قُم فصّل فهذا وقت الصّلوٰة الرّابعة فقام فصّلىٰ فإنّحطت الشّامة الىٰ قدميه فجاءه في الصّلوٰة الخامسة

فقال يا آدم قُم فصّل فهذا وقت الصّلوٰة الخامسة فقام فصّلىٰ فخرج منها فَحَمِد اللّه وأثنىٰ عليه فقال جبرائيل يا آدم مَثَل ولدك في هذه الصّلوٰة كمثلك في هذه الشّامة من صّلىٰ من ولدك في كلّ يوم وليلة خمس صلوات خَرج من ذنوبه كما خرجتَ من هذه الشّامة انتهىٰ...

ومعنىٰ قوله ﷺ: **وَتُطْلِقُهَا إِطْلاَقَ الرِّبَقِ** أي أنَ الصّلوٰة تطلق الذّنوب وتَنفصمها وتفكها عن القيود شبّه ﷺ الذّنوب في الإنسان بالرِّبَق بفتح الرّاء وكسر الباء جمع الرِّبق بكسر الباء وهو حبل فيه عدّة عرىٰ كلّ منها ربقة والمقصود إطلاق الحَبل ممّن ربط به فكأنّ الذّنوب رِبَقٌ في الأعناق والصّلوٰة تفكها منها:

▫ قوله ﷺ: **وَشَبَّهَهَا رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ بِالْحَمَّةِ تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَمَا عَسَىٰ أَنْ يَبْقَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ...**

أي أنّ رسول اللّه ﷺ شبّه الصّلٰوة بالحَمّة وهي كلّ عينٍ تنبع بالماء الحَار يُستشفىٰ بها من العِلل فهو يغتسل منها أي من ماء الحَمّة في اليوم واللّيلة خمس مرّات فما عسىٰ أن يبقىٰ عليه أي علىٰ جَسده وبَدَنه من الدَّرَن والوَسَخ شيئاً بل يُطهر جسده ويَنقىٰ منه قطعاً والصّلٰوة كذلك لكونها توجب تطهير القلب عن الأرجاس وتنظيفه عن الذّنوب وهذا معنىٰ قوله تعالىٰ:**إِنَّ الصَّلٰوةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**﴾ (١) وقوله ﷺ **الصّلٰوة قُربان كلّ تقي، وأنّها معراج المؤمن** وأمثال ذلك من الأوصاف فأنّ لازم حَتّ الذّنوب ذلك:

وقد روي في الوسائل عن الرّضا ﷺ أنّه قال في جواب مسائل مُحمّد ابن سنان، أنّ علّة الصّلٰوة أنّها إقرار بالرّبوبية لِلّه عزّ وجلّ وخلع الأنداد وقيام بين يَدَي الجبّار جلّ جلاله بالذّل والمَسكنة والخضُوع والإعتراف والطّلب للإقالة من سالف الذّنوب ووضع الوجه علىٰ الأرض كلّ يومٍ إعظاماً لِلّه عزّ وجلّ وأن يكون غير ناسٍ ولا بَطر ويكون خاشعاً مُتذلّلاً راغباً طالباً للزّيادة في الدّين والدّنيا مع ما فيه من الإيجاب والمُداومة علىٰ ذكر اللّه عزّ وجلّ باللّيل والنّهار لئلاّ ينسىٰ العَبد سيّده وخالقه فيبطر ويطغي ويكون في ذكر ربّه وقيامه بين يَديه زجراً له عن المعاصي ومانعاً له عن أنواع الفساد انتهىٰ...

▫ قوله ﷺ: **وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ وَلاَ قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلاَ مَالٍ...**

أي وقد عرف حقّ الصّلٰوة وشرفها رجال من المؤمنين باللّه وبرسُوله وبكلّ ما جاء به الّذين هُم لا تَشغلهم ولا تمنعهم عنها أي عن الصّلٰوة زينة متاع أي

١- العنكبوت ٤٥.

زينة الدّنيا ولا أي ولا تشغلهم عن الصّلٰوة أيضاً قرّة عينٍ لهم من ولدٍ ولا مال إشارة الىٰ قوله تعالىٰ:

﴿اَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيا وَالْباقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً وَ خَيْرٌ اَمَلاً﴾(١)

وفي قوله ﷺ: قُرَّةُ عَيْنٍ إشارة الىٰ قوله تعالىٰ:﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ اَزْواجِنا وَذُرِّيَّاتِنا قُرَّةَ اَعْيُنٍ﴾(٢)

وقال تعالىٰ:﴿وَقالَتِ امْرَاَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ﴾(٣) والحاصل أنّ الدّنيا وزخارفها لا تقدر علىٰ مَنعهم عن الصّلٰوة والتّقرب بها الى اللّه كما قال رسول اللّه ﷺ وقرّة عيني الصّلٰوة ولهذا أردف ﷺ كلامه بذكر الآية الشّريفة.

﴿رِجالٌ لاتُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَاِقامِ الصَّلٰوةِ وَايتاءِ الزَّكٰوةِ﴾(٤) وإنّما قيّد الرّجال بالإيمان لأنّ غير المؤمن لا يكون كذلك بل ضعيف الإيمان أيضاً تشغلهم الدّنيا عن ذكر اللّه تعالىٰ فضلاً عن عادميه فأنّ الدّنيا وزخارفها أكبر مانع عن التّوجه الىٰ اللّه تعالىٰ:

▫ قوله ﷺ: وَكَانَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ نَصِباً بِالصَّلاَةِ بَعْدَ التَّبْشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ لِقَوْلِ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ (﴿وَأْمُرْ اَهْلَكَ بِالصَّلٰوةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْها﴾(٥)) فَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ وَيَصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ...

أي وكان رسول اللّه ﷺ نَصباً وتعِباً بالصّلٰوة بعد التّبشير له بالجنّة من ربّه وفيه إشارة الىٰ أنّ صلٰوته لم تكن شوقاً الىٰ الجنّة بل كانت الصّلٰوة منه ﷺ شوقاً الىٰ اللّه وتقرّباً اليه ولأجل هذا لمّا سُئل عنها قال ﷺ ألم أكُن عبداً شاكراً شكوراً) ولقول اللّه سبحانه: ﴿وَأْمُرْ اَهْلَكَ بِالصَّلٰوةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْها لا نَسْاَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعاقِبَةُ لِلتَّقْوىٰ﴾(٦) فكان الرّسول يأمر أهله ويصبر عليها اي

١- الكهف ـ٤٦ | ٢- الفرقان ـ٧٤
٣- القصص ـ٩ | ٤- النور ـ٣٧
٥- طه ـ١٣٢ | ٦- طه ـ١٣٢

علىٰ الصّلوٰة نفسه حتّىٰ أنزل اللّه فيه: ﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقىٰ﴾(١)
وقد روي في تفسير البرهان عند هذه الآية عن الرّيان بن الصّلت (قال حضر الرّضا عليه السلام مجلس المأمون وقد إجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق وخراسان وساق الحديث الىٰ أن قال عليه السلام وأمّا الثّانية عشر فقوله عزّ وجل وأمُر أهلك بالصّلوٰة وأصطبر عليها، فخصّصنا اللّه تعالىٰ بهذه الخصوصية إذ أمرنا مع الأمّة بإقامة الصّلوٰة ثمّ خصّصنا من دون الأمّة فكان رسول اللّه صلى الله عليه وآله يجئ الىٰ باب علّي وفاطمة صلوات اللّه عليهما بعد نزول هذه الآية تسعة أشهر كلّ يومٍ عند حضور كلّ صلوٰة خمس مرّات فيقول الصّلوٰة رحمكم اللّه وما أكرم اللّه أحداً من ذراري الأنبياء بمثل هذه الكرامة الّتي أكرمنا بها وخصّصنا من دون جميع أهل بيتهم فقال المأمون والعلماء جزاكم اللّه أهل بيت نبيّكم عن الأمّة خيراً فما نجد الشّرح والبيان فيما إشتبه علينا إلّا عندكم انتهىٰ) وأيضاً بأسناده عن علي بن الحسين عليه السلام في قول اللّه عزّ وجلّ وأمُر أهلك بالصّلوٰة الآية قال نزلت في علّي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السّلام وكان رسول اللّه صلى الله عليه وآله يأتي باب فاطمة كلّ سحرةٍ فيقول السّلام عليكم أهل البيت ورحمة اللّه وبركاته ﴿الصّلوٰة يرحمكم اللّه انّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ أَهلَ البَيتِ وَ يُطَهِّرَكُم تَطهِيراً﴾(٢) وعن مجموعة ورّام قال يروي عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله اذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا الىٰ الصّلوٰة ويقول بهذا أمرني ربّي قال اللّه تعالىٰ: ﴿وامُر اهلك بالصّلوٰة﴾.

وعن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال عليه السلام وأمُر أهلك بالصّلوٰة الآية أنّ اللّه أمَرَه أن يخصّ أهله دون النّاس ليعلم النّاس أنّ لأهل مُحمّدٍ صلى الله عليه وآله عند اللّه منزلة خاصّة ليست لِلنّاس اذ أمَرهم مع النّاس عامّة ثُمّ أمرهم خاصّة فلمّا أُنزلت هذه الآية كان رسُول اللّه صلى الله عليه وآله يجئ كلّ يومٍ صلوٰة الفجر الىٰ باب علّيٍ فيقول السّلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته فيقول علّي وفاطمة والحسن

١- طه-٢.
٢- الاحزاب-٣٣.

والحسين عليه السلام عليك السّلام يا رسول اللّه ورحمة اللّه وبركاته ثمّ يأخذ بعضادتي الباب يقول الصّلوة يرحمكم اللّه أنّما يُريد اللّه الآية فلم يزل يفعل ذلك كلّ يوم اذا شاهد المدينة حتّىٰ فارق الدّنيا انتهىٰ «تفسير البرهان ج ٢ ص ٦٨٢»...

تنبية: نذكر لك فيه أُموراً لابدّ للمُصّلي مراعاتها لتكُون صلٰوته معراجه وسبباً للتّقرب بها الىٰ اللّه وناهية عن الفحشاء والمُنكر وبالجُملة حاوية لكلّ الأوصاف المشار اليها في الآيات والأخبار ضرورة أنّ مجّرد أفعال الصّلٰوة وأركانها وأن كان مسقطاً للتّكليف إلّا أنّه لا يترتب عليه الآثار المطلوبة فنقول:

أحدها حضور القلب :للمُصّلي ولا نعني بالقلب اللّحم الصنّوبري الشّكل المودّع في الجانب الأيسر من الصّدر وهو لحمٌ مخصوص في باطنه تجويف وفي ذلك التّجويف دمٌ أسود فأنّ القلب بهذا المعنىٰ موجود للبهائم بل للمّيت بل المقصود به اللّطيفة الرّبانية الّتي تَعلّقت بهذا القلب الجسماني تعلّقاً وقد يُعبّر عنها بالنّفس وقد يُعبّر بالرّوح وثالثة بالإنسان وتَعلّقها بالقلب الجسماني بل بكلّ البدن تَعلّق التّدبير كما ثبت في محلّه وهي المُدرك العالم العارف وهي المخاطبة في التّكاليف الشّرعية وقد تحيرت العقُول في إدراك حقيقتها وكُنهها وكيفية تَعلّقها وغير ذلك من الأمور المربوطة بها ولتَحقيقها محلّ آخر:

ثمّ أنّ حضور القلب في حال العبادة ممّا لابدّ منه عقلاً وشرعاً اذ لولا الحضُور فيه فَمن يعبد العابد ولا سّيما الصّلٰوة الّتي عمود الدّين ورأس الأعمال قال اللّه تعالىٰ: ﴿الّذينَ هُمْ في صَلاٰتِهِمْ خاشِعُونَ﴾(١) وقال تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلّينَ، الّذينَ هُمْ عَنْ صَلاٰتِهِمْ ساهُونَ﴾(٢)

ذمّهم علىٰ الغفلة عنها مع كونهم مُصّلين لا لأنّهم سهو عنها وتَركوها بل لأنّهم لم يحضروا قلوبهم في الصّلٰوة وبعبارةٍ أُخرىٰ سَهو عن مَعبُودهم مع تلفّظهم بألفاظ الصّلٰوة وغفلتهم عن أنّ اللّه تعالىٰ يراهم قال الصّادق عليه السلام **أعبُد**

١- المؤمنون ـ٢.
٢-سورة الماعون ـ ٤/٥

اللّه كأنك تراه فأن لم تكن تراه فأنّه يراك، وقال رسُول اللّـه ﷺ أنّ الرّجلين من أُمّتي يقومان في الصّلٰوة وركوعهما وسجُودهما واحد وأنّما بين صّلٰوتيهما ما بين السّماء والأرض، وقال ﷺ أما يخاف الّذي يحوّل وجهه في الصّلٰوة أن يحوّل اللّه وجهه وجه حمار...

وعن أبي حمزة الثّمالي قال رأيت علّي بن الحسين ﷺ يصّلي فسقط ردائه من منكبه فلم يُسَوه حتّىٰ فرغ من صلٰوته قال فسألته عن ذلك فقال ويحك أتدري بين يَدَي من كُنت أنّ العبد لا يقبل منه صلٰوة إلّا ما أقبل فيها بقلب فقلتُ جعلت فداك هلكنا قال كلاّ أنّ اللّه يتّم ذلك بالنّوافل انتهىٰ...

وعن رزاة عن أبي جعفر ﷺ قال اذا أقمتَ بالصّلٰوة فعليك بالإقبال علىٰ صلٰوتك فأنّ لك منها ما أقبلت عليه بقلبك ولا تَعبَث فيها بيدك ولا برأسك ولا بلحيتك ولا تحدّث نفسك ولا تتّثائب فيها ولا تتّمط الحديث...

وروي الحلبي عن الصّادق ﷺ قال إذا كنت في صلٰوتك فعليك بالخشُوع والإقبال علىٰ صلٰوتك فأنّ اللّه تعالىٰ يقول: ﴿الّذينَ هُمْ في صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ﴾ (١) انتهىٰ والأحاديث كثيرة «أسرار الصّلٰوة للشهيد الثّاني»...

وثانيها الطّهارة: ومعناها في الشّريعة الوضوء والغسل والتّيمم المُعبّر عنها بالطّهارات الثلاث وكَيفيّاتها مسطورة في كُتب الفقه والرّسائل العلّمية ولا بحث لنا فيها من هذه الجهة بل نقول أنّ المُصّلي ينبغي له التّوجُه الىٰ طهارة القلب الّذي هو موضع نظر الحقّ فأنّ اللّه لا ينظر الىٰ صُوركم ولكن ينظر الىٰ قلُوبكم فليعلَم من تطهير تلك الأعضاء عند الإشتغال بعبادة اللّه والإقبال عليه والإلتفات عن الدّنيا بالقلب والحّواس لتلقىٰ السّعادة فأنّ الآخرة والدّنيا ضرّتان كلّما قربت من أحداهما بَعُدت عن الأُخرىٰ ولذلك أمَر المكّلف بتغسيل الوّجه لأنّ التّوجه والإقبال بوجه القلب علىٰ اللّه تعالىٰ وهكذا باقي الأعضاء من الرّأس واليَدين والرّجلين فأنّ غسل اليّدين إشارة الىٰ غسلهما عن

١- المؤمنون-٢

الدّنيا وزخارفها ومَسَح الرّأس لأنّ فيه القُوّة المُنكرة الّتي يحصل بسببها القصد الى تناول المرادات الطّبيعية ومَسح الرّجلين لأنّ بهما يتوصل الى مطالبه ويتوسل الى تحصيل مآربه على نحو ما ذكرناه في باقي الأعضاء:

وثالثها سَتر العَورة: ومعناه تغطية مقابح بَدنك عن أبصار الخلق فأنّ ظاهر بَدَنك موقع نظر الخلق فما تظنّ في عورات باطنك ومقابح سرّك الّتي لا يطّلع عليها إلّا ربّك فأخطُر تلك المقابح ببالك وطالب نفسك بسَترها وتعلم أنّ اللّه تعالى لا يخفى عليه شئ فأنّ الإنسان كما يحتاج الى اللّباس في ستر عَورته الظّاهرة كذلك يحتاج الى ستر عورة الباطن قال الصّادق ﷺ **أزيَن اللّباس للمؤمنين لباس التّقوى وأنعَمه الإيمان فأنّ اللّه تعالى عزّ وجلّ يقول: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾**[1] وأمّا النّعمة الظّاهرة من اللّباس فأنّ اللّه يَستُر بها عورات بني آدم وهي كرامة أكرم اللّه بها عباده من ذرّية آدم وخير لباسك ما لا يشغلك عن اللّه عزّ وجلّ بل يُقربك من شكره وذكره وطاعته فأذكر ستر اللّه عليك ذنوبك برحمته وألبِس باطنك كما ألبَستَ ظاهرك بثوبك وليكن باطنك في ستر الرّهبة وظاهرك في ستر الطّاعة وإعتبر بفضل اللّه عزّ وجلّ حيث خلق في أسباب اللّباس لستر العورات الظّاهرة وفتح أبواب التّوبة والإنابة ليستر بها عورات الباطنة من الذّنوب وأخلاق السّوء فإشتغل بعيب نفسك وأصفح عمّا لا يُعنيك حاله وأمره.

ورابعها المكان: الّذي تصّلي فيه بأن لا يكون غَصباً ومالاً لغيرك فإستحضر فيه أنّك كائن بين يدي ملك المَوت تريد مُناجاته والتّضرع اليه وإلتماس رضاه ونظره اليك بعين الرّحمة فأختر مكاناً يصلح لذلك كالمساجد الشّريفة والمشاهد المُطّهرة مع الإمكان ومع عَدمه مكاناً صالحاً للعبادة:

وخامسها الوقت: فإستحضِر عند دُخوله أنّه ميقات جَعَل اللّه تعالى لك لتقوم فيه بخدمته وتتأهّل للمثول في حضرَته والفَوز بطاعته أنّه قد حان وقت

١- الأعراف - ٢٦

الدّخول علىٰ ملك الملوك فأستعد له بالطّهارة والنّظافة ولبس الثّياب الطّاهرة الفاخرة الصّالحة للمُناجاة كما تتأهب للقدوم علىٰ مَلك من ملوك الدّنيا وتلقاه بالوقار والسّكينة والخوف والرّجاء فأنّ الرّحمة عميمة والفضل قديم والأخذ والإستدراج بتّحقيق والطّرد عند التّقصير مُتوجه فكن بين ذلك قواماً وألزم الخشّوع والخضّوع والذّل والإنكسار فأنّ اللّه تعالىٰ عند المَوصُوف بذلك قال أنا عند القلُوب المُنكسرة فأذا سمعت نداء المؤذن فأحضر في قلبك هَول النّداء يوم القيامة وتشّمر بباطنك وظاهرك للمُسارعة والإجابة وإعتبر بفصول الأذان وكلماته كيف إفتتحت باللّه وإختتمت به مشعراً بأنّ اللّه هو الظّاهر والباطن والأوّل والآخر وَوطّن قلبك بتّعظيمه وتكبيره وإستحضر الدّنيا وما فيها لئلّا تكون كاذباً في تكبيرك وأنفِ عن قلبك كلّ معبود سواه وأجعل مبدءك منه وعودك اليه وقوامك به وإعتمادك علىٰ حَوله وقُوّته فأنّه لا حول ولا قُوّة إلّا به.

وسادسها الإستقبال: وهو صرف ظاهر وجهك من سائر الجهات الىٰ بيت اللّه أفترىٰ أنّ صرف القلب عن سائر الأمُور الىٰ أمر اللّه ليس مطلوباً منك هيهات بل لا مطلوب سواه وأنّما هذه الظّواهر مُحرّكات للبواطن ومعارج يتّرقىٰ منها اليها فَليكن وجه قلبك مع وجه بَدنك ومن هنا قال النّبي ﷺ **أما يخاف الّذي يحّول وجهه في الصّلوة أن يحّول اللّه وَجهه وجه حمارٍ** فأنّ ذلك نهيّ عن الإلتفات عن اللّه وملاحظة عظمته حال الصّلوة فأنّ المُلتفت يميناً وشمالاً مُلتفتٌ عن اللّه وغافلٌ عن مُطالعة أنوار كبريائه وقد قال رسول اللّه ﷺ **اذا قام العبد الىٰ صلواته فكان هواه وقلبه الىٰ اللّه ما ينصرف إلّا كيومٍ ولدتّه أُمّه** وقال الصّادق عليه السلام **إذا إستقبلت القبلة فآيس من الدّنيا وما فيها والخلق وما هم فيه وإستفرغ قلبك عن كلّ شاغل يشغلك عن اللّه تعالىٰ وعاين بسّرك عَظمة اللّه وإذكر وقوفك بين يديه (يوم نبلو كلّ نفسٍ ما أسلفت وردّوا الىٰ اللّه موليهم الحقّ) وقِف علىٰ قدم الخَوف والرّجاء فأذا توجّهت**

بالتّكبيرات فأستحضر عَظمة اللّه سبحانه وصغّر نفسك وخِسّة عبادتك في جنب عَظمته وإنحطاط هِمّتك عن القيام بوظائف خدمته ثمّ أنّ ما ذكرناه إجمال من التّفصيل الّذي ينبغي للمُكلّف، التّوجه اليه والمُواظبة عليه قبل الشّروع في الصّلٰوة وبعد الشّروع فيها ينبغي له التّوجه الىٰ أُمورٍ لتكون أفعال الصّلٰوة ومُقارناتها مُنطبقة علىٰ الأسرار المُودّعة فيها فأنّ هذه الأركان المخصُوصة في الصّلٰوة مُحركّات الىٰ الواقعيّات الّتي لأجل الوصول اليها شرعت الصّلٰوة وهذه المُقارنات ثمانية:

أحدها القيام: ووظيفته القَلبية تذّكر أنّك قائم بين يدي اللّه تعالىٰ وهو مطّلع علىٰ سَريرتك عالم بما تُخفي وتُعلن وهو أقرب اليك من حبل الوريد فأعبده كأنك تراه فأن لم تكن تراه فأنّه يراك ودَوامه تنبيه علىٰ إدامة القلب مع اللّه علىٰ نعتٍ واحد من الحضُور قال النّبي ﷺ إنّ اللّه مُقبل علىٰ العبد ما لم يلتفت فكما يجب حِراسة العَين والرّأس من الإلتفات الىٰ غير الصّلٰوة كذلك يجب حِراسة السّر عن الإلتفات الىٰ غير الصّلٰوة فمن يطمئن بين يَدي غير اللّه من ملوك الأرض ثمّ تضطرب أطرافه بين يَدي اللّه فذلك لقصور معرفته عن جلال اللّه فهو الّذي يراك حين تقوم وتقلبك في السّاجدين:

وثانيها النّية: ووظيفتها العزم علىٰ إجابة اللّه في إمتثال أمره بالصّلٰوة وإتمامها والكفّ عن نواقضها ومُفسداتها وإخلاصها من جميع ذلك لوجه اللّه رجاء ثوابه وطلب القُربة منه فأنّك أن عَجزت عن مرتبة عبادته الّتي هو أهلٌ لها وعَجزت أيضاً عن عبادة الأحرار الّتي ليست لأجل الخوف من النّار والطّمع للجنّة فأعبده عبادة التّجار

وهي العَمَل رجاءً للعوض فأن فاتتك هذه المرتبة أيضاً فأجلس مع العبيد في مجالسهم وشاركهم في مقاصدهم وأعبُدهُ خوفاً من العقُوبة فكُن في نيتك مُخلصاً وأعبُده حتّى يأتيك اليقين:

وثالثها تكبيرة الإحرام: الّتي نفتتح الصّلوة بها ومعناها أنّ اللّه أكبر من كلّ شيئ وأكبر من أن يُوصف ويُعرف بكُنهه أو يُدرك بالحَواس أو يُقاس بالنّاس فإذا نطق لسانك بالتّكبير ينبغي أن لا يُكذّبك قلبك فأن كان في قلبك شيئ أكبر منه تعالىٰ فأنت كاذب في قولك قال الصّادق ؈ إذا كبّرت فإستصغر ما بين السّمٰوات العُلىٰ والثّرىٰ دون كبريائه فأنّ اللّه تعالىٰ إذا إطّلع علىٰ قلب العبد وهو يُكبّر وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره قال يا كاذب أتخدعني وعزّتي وجّلالي لأحْرِمَنّك حلاوة ذكري ولأحَجُبنّك عن قُربي فأعتبر قلبك حين صَلٰواتك فأن كنتَ تجد حلاوتها في نفسك وقلبك مسرور بمناجاته فأعلم أنّك قد صدقت في تكّبيرك وأمّا دعاء التّوجه وهو وجّهت وجهي للّذي فطر السّمٰوات والأرض الىٰ آخره فليس المراد بالوجه الوجه الظّاهر فأنّك أنّما وجّهته للقبلة واللّه تعالىٰ لا تحدّه الجهات حتّىٰ تقبل بوجه بدنك اليه وأنّما المراد به وجه القلب فأنظر اليه وأعرف مقامك:

ورابعها القراءة: وليس المقصود منها مجّرد حَرَكة اللّسان بل المقصود التّوجه الىٰ معانيها والتّدبر فيها فإذا قلت أعوذ باللّه من الشّيطان الرّجيم فأعلم أنّه عدّوك ومتّرصدٌ لِصَرف قلبك عن اللّه تعالىٰ حَسداً لك علىٰ منا جاتك وسجودك له مع أنّه مَطرُودٌ مَلعُونٌ بتركه السّجُود لآدم فما ظنّك بتارك السّجود له تعالىٰ فَليقرن قولك بالعزم علىٰ التّعوذ بحصن اللّه من شّر الشّيطان وحصنه تعالىٰ لا إله إلّا اللّه لقوله تعالىٰ: **﴿كلمة لا إله إلّا اللّه حصني فمن دَخل حصني أمِن عذابى﴾** ومن المعلوم أنّ المُتحصن به لا معبُود له سواه وأمّا من إتّخذ إلٰهه هواه فهو في ميدان الشّيطان ومُتعوذٌ به لا في حصن اللّه فكيف يقول أعوذ باللّه منه وقال الشّهيد ؒ النّاس في القراءة علىٰ ثلاثة أقسامٍ نفهم من يحرّك لسانه بها ولا يتّدبر قلبه لها وهذا من الخاسرين الدّاخلين في توبيخ اللّه سُبحانه وتهديده بقوله تعالىٰ: **﴿اَفَلا يَتَدَبَّرُوْنَ القرآنَ امْ عَلَىٰ قُلُوبٍ اَقفَالُهَا﴾**(١) أو دعاء نبّيه ﷺ

١- محمّد -٢٤

حيث قال ﷺ ويلٌ لِمن لاكها بَين لِحيتيه ثمّ لا يتَدبرها ومنهم من يُحرّك لسانه وقلبه يتبع اللّسان فيسمع ويفهم منه كأنّه يسمعه من غيره وهذه درجة أصحاب اليَمين:

ومنهم من يسبق قلبه الىٰ المعاني أوّلاً ثمّ يخدم اللّسان قلبه فيُترجمُه وهذه درجة المُقّربين، وفرق جَلّي بين أن يكون اللّسان ترجمان القلب كما في هذه الدّرجة وبين أن يكون القَلب معلّمه كما في الثّانية:

وخامسها الرّكُوع: فإذا وصَلتُ اليه فجدّد علىٰ قلبك ذكر كبرياء اللّه تعالىٰ وعظمته وخساسة كلّ ما سواه فإرفع يَديك له وقُل اللّه أكبر مُستجيراً في رفعك بعفو اللّه من عقابه ومتّبعاً نبّيه ثمّ تستأنف له ذلولاً وتواضعاً بركُوعك وإجتهد في توفيق قلبك وتجديد خشوعك فَسّبح ربّك ونَزّهه وأشهد له بالعظّمة والكبرياء وأنّه أعظم من كلّ عظيم بقولك سُبحان ربّي العظيم وبحمده وتكّرر ذلك علىٰ لسانك وَقلبك.

فأنّك كلّما أكثرت الذّكر فيه إزددَت خُضوعاً وكلّما إزددَت خُضوعاً زدتَ الرّفعة عند مولاك ثمّ ترتفع من ركُوعك راجياً منه الرّحمة ويؤكدّ الرّجاء قلبك في قولك سمع اللّه لمن حَمده أي أجاب اللّه لِمن حَمده وشكره.

وسادسها السّجود: وهو أعظم مراتب الخُشوع وأحسن درجاته وأحقّ المراتب بإستيجاب القُرب الىٰ اللّه تعالىٰ وتَلقي أنوار رحمته ومعاطف كرمه فإذا أُردتَ السّجود إستحضر عظمة اللّه زيادةً علىٰ ما حضر لك عند الرّكُوع وكَبّره رافعاً يدك وأنت قائم ثمّ أهوي الىٰ السّجود ومكّن أعزّ أعضائك وهو الوجه علىٰ أذّل الأشياء وهو التّراب فأن أَمكَنك أن لا تجعل بينهما حائلاً فَتسجِدُ علىٰ الأرض فأفعل فأنّه أجلب للخُشُوع وأدّل علىٰ الذّل والخُضوع وهذا هو السّر في منع الشّريعة من السّجود علىٰ ما يأكله الآدميّون ويَلبسُونه لأنّه من متاع الدّنيا وأهلها الّذين إغتّروا بغرورها وركَنوا الىٰ زخرفها وإطّمئنوا اليها ثمّ إذا وَضَعت نفسك موضع الذّل بوضع الجبهة علىٰ الأرض فقد ردَدَت

الفرع الىٰ أصله فانّك من التُّراب ورجوعك ايضاً اليه منها خَلقناكم وفيها نُعيدكم ومنها نُخرجكم تارةً أُخرىٰ وعند هذا جدِّد علىٰ قلبك عظمة اللّه وعُلّوه وقُل سُبحان ربّي الأعلىٰ وبِحَمده وأكِدّه بالتّكرار فأنّ المرّة الواحدة ضعيفة الأثر في القلب فإذا رَقَّ قلبك وظَهر ذُلّك فَليصدق رجاءك في رحمة ربّك فأنّها تتسارع الىٰ الضّعف والذّل لا الىٰ التّكبر والبَطَر فأرفع رأسك مُكبّراً وسائلاً حاجتك ومُستغفراً من ذنوبك ثمّ أكّد التّواضع بالتّكرار وعُد الىٰ السّجود ثانياً كذلك فأنّ زيادته وتكراره يزيد القُرب لك قال الصّادق ؛ ما خَسَر واللّه قطّ من أتىٰ بحقيقة السّجود ولو كان في العُمر مرّةً واحدة وما أفلَح من خلّىٰ بربّه في مثل ذلك الحال شبيهاً بمُخادع نفسه غافلاً لاهياً عمّا أعدّ اللّه للسّاجدين من أُنس العاجل وراحَة الأجل ولا بَعُد عن اللّه تعالىٰ أبداً من أحسن تَقَربه في السّجود ولا قرب اليه أبداً من أساء أدبه وضَيع حُرمته:

وسابعها التّشهد: فإذا جَلَست له بعد هذه الأفعال الدّقيقة والأسرار العَميقة فإستشعر الخَوف التّام والرّهبة والحياء والوَجل أن يكون جميع ما سَلَف منك غير واقع علىٰ وجهه ولا مكتوباً في ديوان المقبولين فإجعل يَدك صفراً من فَوائدها إلّا أن يتداركها اللّه برحمته فإرجع الىٰ مبدء الأمر وأصل الدّين وإستمسك بكلمة التّوحيد وحصن اللّه الّذي من دَخَله كان آمناً فأشهد له بالوحدّانية وبرسُوله بالعُبَودية والرّسالة وصَل علىٰ الرّسول ﷺ وعلىٰ آله الطّاهرين فأنهم أوّل الوسائل وأساس الفواضل ولا تقبل الصّلوة إلّا بالصّلوة عليهم.

وثامنها التّسليم: بعد التّشهد فأحضر نفسك بحضرة الرّسول والملائكة المُقربين وقُل السّلام عليك أيّها النّبي ورحمة اللّه وبركاته ثمّ أحضر في بالك ثانياً النّبي وجميع الأنبياء والملائكة والأئمة المعصُومين والحفظة لك من الكرام الكاتبين وقُل السّلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته فأن أطلَقت لسانك بصيغة الخطاب من غير حضور مخاطب في نفسك تكون العابثين واللّاعبين

وأن كُنتَ إماماً لقوم فأقصد القوم أيضاً بالسّلام مع من تـقدّم فأن أتيتَ بـما ذكرناه فأنتَ منَ المُصّلين واقعاً وأمّا التِعْقيبات والأدعية المأثورة بعد الفراغ من الصّلْوة فلا يَسع المقام ذكرها والبَحث عنها وتفصيل الكلام فيها فـي كُتب الأدعية.

هذا تمام الكلام في الصّلْوة وما ينبغي للمكلّف التّوجه اليه فيها وما ذكرناه في المقام منَ الأسرار المُودَعة فيها إجمال من التّفصيل ولأن وَفّقنا اللّه تعالىٰ نتكلم في الصّلْوة وأسرارها في رسالةٍ مُستَقلة إنشاء اللّه تعالىٰ ولكن لمّا رأيت أنّ الميسور لا يترك بالمَعسُور وما لا يُدرك كلّه لا يُترك كلّه ذكرنا من أسرارها نموذجاً وإجمالاً والحمد لِلّه ربّ العالمين.

▫ **قوله ﷺ: ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلاَةِ قُرْبَاناً لِأَهْلِ الْإِسْلاَمِ...**

أي كما أنّ الصّلْوة جُعلت سبباً ووسيلةً للتّقرب الىٰ اللّه تعالىٰ لقوله عليه‌السلام الصّلْوة قربان كلّ تقّي علىٰ ما عرفت تفصيل الكلام فيه كذلك جُعلت الزّكاة أيضاً سبباً للتّقرب الىٰ اللّه لأهل الإسلام وتخصيص الحكم بأهل الإسلام أمّا لأنّ غيرهم لا يؤدّونها أو لأنّ قصد القُربة لا يتمشىٰ من الكافر وكيف كان نتكلم في الزّكاة وآثارها كما تكلمنا في الصّلاة ونقّدم لك ما ورد في الآيات والأخبار في فضلها وشَرفها فنقول: أمّا الآيات:قال اللّه تعالىٰ:**﴿وَاَقيموا الصَّلٰوةَ وَاٰتُوا الزَّكٰوةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرّاكِعينَ﴾**(١)

و : **﴿وَقُولُوا لِلنّاسِ حُسْناً وَاَقيمُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتُوا الزَّكٰوةَ﴾**(٢)

و : **﴿وَاَقيمُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتُوا الزَّكٰوةَ وَما تُقَدِّمُوا لِاَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَاللهِ﴾**(٣)

و : **﴿وَالْمُقيمينَ الصَّلٰوةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ اُولٰئِكَ سَنُؤْتيهِمْ اَجْراً عَظيماً﴾**(٤)

١-البقرة ـ٤٣
٢-البقرة ـ٨٣
٣-البقرة ـ١١٠
٤-النساء ـ١٦٢

و: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَآتَوُا الزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾(١)

و: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾(٢)

و: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَوٰةِ﴾(٣) و ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَوٰةِ﴾(٤):

ومن الأخبار: ما رواه في الحدائق بأسناده عن عبد اللّه بن سنان قال قال أبو عبد اللّه عليه السلام لمّا نزلت آية الزّكوة (خُذ من أموالهم صدقة تُطهّرهم وتُزكّيهم بها) وأُنزلت في شهر رمضان فأمر رسول اللّه صلى الله عليه وآله مناديه فنادىٰ في النّاس أنّ اللّه فرض عليكم الزّكوة كما فرض اللّه عليهم من الذّهب والفضّة وفرض عليهم الصّدقة من الإبل والبقر والغنم والحنطة والشعير والتّمر والزّبيب ونادىٰ فيهم بذلك في شهر رمضان وعفىٰ لهم عمّا سوىٰ ذلك قال عليه السلام ثمّ لم يتعرض بشيئ من أموالهم حتّىٰ حال عليهم الحول من تابل فصاموا وأنظروا فأمّر مناديه أيّها المسلمون زكّوا أموالكم تُقبل صلواتكم قال عليه السلام ثمّ وجّه عمّال الصّدقة وعُمّال الطّق انتهىٰ...

ومنها مارواه أيضاً عن الباقر والصّادق قالا فرض اللّه الزّكوة مع الصّلوة، قال صاحب الحدائق الظّاهر من المعيّة المقارنة في الرّتبة كما يشعر به الحديث الآتي انتهىٰ...

ومارواه عن معروف بن حربوز عن أبي جعفر عليه السلام قال أنّ اللّه عزّ وجلّ قرن الزّكوة بالصّلوة قال وأقيموا الصّلوة وآتوا الزّكوة فمن أقام الصّلوة ولم يؤت الزّكوة فلم يُقم الصّلوة انتهىٰ...

وما رواه عن أبي جعفر عليه السلام قال بينا رسول اللّه في المسجد إذ قال قُم يا فلان قُم يا فلان حتّىٰ أخرج خمسة نفر فقال إخرجوا من مسجدنا لا تصلّوا فيه وأنتم لا تُزكّون انتهىٰ...

١- التوبة ـ٥.
٢- التّوبة ـ٧١.
٣- الأنبياء ـ٧٣.
٤- النّور ـ٣٧.

ومارواه في الكافي عن أبي بصير عن أبي عبد اللّه مَن مَنع قيراطاً من الزّكوة فَليس بمؤمنٍ ولا مُسلم وهو قوله تعالىٰ: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ. لَعَلّي اَعْمَلُ صٰالِحاً فيمٰا تَرَكْتُ﴾ [١] قال وفي رواية أُخرىٰ قال لا تُقبل انتهىٰ...

وبأسناده عن أبي بصير قال سمعت أبا عبد اللّه يقول من مَنع الزّكوة سأل الرّجعة عند المَوت وهو قوله تعالىٰ: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ. لَعَلّي اَعْمَلُ صٰالِحاً فيمٰا تَرَكْتُ﴾ [٢] وأيضاً عنه عليه السلام قال من منع قيراطاً من الزّكوة فَليمت أن شاء يَهودياً أو نصّرانياً انتهىٰ...

وعن عبد اللّه بن سنان قال قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله ما من ذي زّكوة مالٍ نخلٍ أو زَرع أو كرمٍ يمنع زكوة ماله إلّا قلدّه اللّه تعالىٰ تربة أرضه يطّوق بها من سبع أرضين الىٰ يوم القيامة انتهىٰ...

وعن أيوب بن راشد قال سمعت أبا عبد اللّه يقول مانع الزّكوة يُطوّق بحَيّةٍ قَرعاء تأكل من دماغه وذلك قوله تعالىٰ: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مٰا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾ [٣] انتهىٰ...

(القرعاء، من الحيّات ما سقط شعر رأسها من كثرة سمّها)

وبأسناده عن مُحمّد ابن مسلم قال سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن قول اللّه: ﴿سَيُطَوّقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾ فقال يا مُحمّد ما أحدٌ يمنع من زكوة ماله شيئاً إلّا جعل اللّه تعالىٰ ذلك يوم القيامة ثُعباناً من نار مُطوّقاً في عُنقه يَنهش من لحمه حتّىٰ يفرغ من الحساب وهو قول اللّه: ﴿سَيطَوّقون) انتهىٰ... والأحاديث كثيرة «الحدائق كتاب الزكّوة»...

□ قوله عليه السلام: **فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً وَمِنَ النَّارِ حِجَازاً وَ وِقَايَةً...**

أي فمن أعطىٰ الزّكوة بطيب نفسه أي عن ميله ورغبته إمتثالاً لأمر اللّه تعالىٰ

١- المؤمنون- ١٠٠
٢- المؤمنون- ١٠٠
٣- آل عمران- ١٨٠

فأنّها أي فأنّ الزّكٰوة تجعل له كفّارة من ذنوبه وحجازاً أي حاجزاً ومانعاً من النّار وقد عرفت من الأخبار ما دّل عليه:

▫ قوله ﷺ: **فَلاَ يُتْبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسِهُ وَلاَ يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهَفَهُ فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ مَغْبُونُ الأَجْرِ ضَالُّ الْعَمَلِ طَوِيلُ النَّدَمِ...**

أي إذا كانت الزّكٰوة كذلك فلا يُتبع أحدٌ في تأديته نفسه ولا يكثّر ألبتة أدائها لَهفه وحَسرَته وفيه إشارة الىٰ أنّ النّفس الأمارّة تمنع الإنسان عن إيتاء الزّكٰوة وهو كذلك وتكثّر عليها الحَسرَة فينبغي للمكلّف المُلتفت أن لا يتبع النّفس لمنافاته الإمتثال والتّقرب الىٰ اللّه كما قال ﷺ فأنّ من أعطاها أي أعطىٰ الزّكٰوة من غير طيب النّفس بها والحال أنّه يرجو أن يَعمَل عَمَلاً أفضل منها فهو جاهل بالسُّنة مغبُون الأجر ضَال العَمَل لا يدري أي عَمَل أفضل عند اللّه طويل النّدم علىٰ ما فاته من أداء الزّكٰوة فلو كان عالماً بالسُّنة يعلم أنّ الزّكٰوة بعد الصّلٰوة أفضل ما يتقرب به الىٰ اللّه وليس لها من بَديل ولنذكر لك من أحكام الزّكٰوة وعلّة جعلها والأثار والفوائد المُترتبة عليها إجمالاً من التّفصيل تكميلاً للبحث وزيادةً للبَصيرة كما ذكرناه في الصّلٰوة ليكون البحث كاملاً فنقول في المقام فوائد يجب التّنبيه عليها:

الفائدة الأُولىٰ: في معنىٰ الزّكٰوة لغةً وإصطلاحاً أمّا في اللّغة بينهم في مَصدريتها وأنّما الخلاف في أنّها هل هي مصدر زَكىٰ إذا نَمىٰ أو مصدر زَكىٰ إذا طُهر فأنّ الفعل أعني به (زَكىٰ) جاء بالمعنيين وعلىٰ الأوّل يصير معناها إستجلاب البَركة في المال وتَنمّيه وتفيد النّفس فضيلة الكرم وعلىٰ الثّاني تطهير المال بها من الخبث والنّفس البَخيلة ومن البُخل ومن أجل هذا ترىٰ بعضهم يقول الزّكٰوة في الأصل النّمو وآخر يقول أنّها في الأصل التّزكية والطّهارة قال الرّاغب في المفردات أصل الزّكٰوة النّمو الحاصل عن بركة اللّه تعالىٰ يقال زكا الزّرع يزكُو إذا حَصَل منه نموٌ وبَركة هذا بحسب اللّغة:

وأمّا بحسب الإصطلاح فهي القدر المُخرج من المال على ما قرّره الشّرع والبحث فيها من جهة ثبوت الحقيقة الشّرعية وعدمه فيها كالبحث عن الصّلٰوة على ما مضىٰ الكلام فيه والحقّ عدم ثبوتها كما مرّ:

الفائدة الثّانية: في علّة وجوبها وتشريعها في الشّريعة المقدّسة:

روي الصّدوق ﵀ في العِلَل بأسناده عن مبارك العقرقوقي قال سمعت أبا الحسن ﵇ يقول أنّما وضعت الزّكوة قوتاً للفقراء وتوفيراً لأموال الأغنياء انتهىٰ « ص ٣٦٨»...

وبأسناده عن عبد اللّه بن سنان عن أبي عبد اللّه ﵇ قال أنّ اللّه تعالىٰ فَرض الزّكاة كما فَرض الصّلٰوة فلو أنّ رجلاً حَمل الزّكاة فأعطاها علانيةً لم يكن عليه في ذلك عتب وذلك أنّ اللّه عزّ وجلّ فَرض للفقراء في أموال الأغنياء ممّا يكتفون به ولو علم اللّه أنّ الّذي فَرض لهم لم يكفهم لَزادهم فأنّما يؤتىٰ الفقراء فيما أُوتوا من منع من منعهم حقوقهم لا من الفريضة انتهىٰ « ص ٣٦٩»...

وبأسناده عن محمّد ابن سنان أنّ أبا الحسن الرّضا ﵇ كتب اليه فيما كتب عن جواب مسائله أنّ علّة الزّكاة من أجل قوت الفقراء وتحصين أموال الأغنياء ولأنّ اللّه تعالىٰ كلّف أهل الصّحة القيام بشأن أهل الزّمانة من البلوىٰ كما قال: ﴿لَتُبْلَوُنَّ في أَمْوٰالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ (١) في أموالكم إخراج الزّكاة وفي أنفسكم توطين النّفس علىٰ الصّبر مع ما في ذلك من أداء شكر نعم اللّه عزّ وجلّ والطّمع في الزّيادة مع ما فيه من الزّيادة والرّأفة والرّحمة لأهل الضّعف والعطف علىٰ أهل المَسكنة والحثّ لهم علىٰ المُساواة وتقوية الفقراء والمعونة لهم علىٰ أمر الدّين وهي عِظةٌ لأهل الغنىٰ وعبرةٌ لهم لِيستدّلوا علىٰ فقر الآخرة بهم ومالهم من الحثّ في ذلك علىٰ الشكر لِلّه تبارك وتعالىٰ لما خوّلهم وأعطاهم والدّعاء والتّضرع والخوف أن يصيروا مثلهم في أُمور

١-آل عمران ـ ١٨٦

كثيرة في أداء الزّكاة والصّدقات وصلة الأرحام وإصطناع المعروف انتهىٰ» ص ٣٦٩»...

وأمّا الكلام فيمن تجب عليه الزّكوة وما تجب فيه من الأموال والقدر المُخرَج منهما بعد بلوغ الأموال حدّ النّصاب ومن تُصرف اليه الزّكوة من أصناف النّاس وغيرها فهو مسطور في الكتب الفَقهية والرّسائل العلّمية وكتابنا هذا ليس موضوعاً لهذه المباحث ومن أراد الوقوف بها فعليه بها:

▫ قوله ﷺ: **ثُمَّ أَدَاءَ الْأَمَانَةِ فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا...**

قال اللّه تعالىٰ: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾**(١)

و: **﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**(٢)

و: **﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾**(٣)

و: **﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾**(٤)

ومن الأخبار الواردة: فيها ما رواه في مشكاة الأنوار من كتاب المحاسن عن أبي عبد اللّه ﷺ قال أدّوا الأمانة ولو الىٰ قاتل الحسين بن علّي انتهىٰ «ص ٥٢»...

ومنها- ماروا‌ه أيضاً عنه قال ﷺ إتقوا اللّه وعليكم بأداء الأمانة الىٰ من إئتّمنكم فلو أنّ قاتل علّي إئتمنني علىٰ الأمانة لأدّيتها اليه انتهىٰ «ص ٥٢»...

وعن عبد اللّه بن سنان قال دَخلت علىٰ أبي عبد اللّه ﷺ وقد صّلىٰ العصر وهو جالس مُستقبل القِبلة في المسجد فقلت يابن رسول اللّه أنّ بعض السّلاطين يأمننا علىٰ الأموال يستودعناها وليس يدفع اليكم خُمسكم أفَنؤدّيها اليهم قال ﷺ وربّ هذه القبلة (ثلاث مرات) لو أنّ ابن مُلجم قاتل علّي (أبي) فأنّي أطلبه يتّستر لأنّه قتل أبي إئتمنني علىٰ الأمانة لأدّيتها اليه انتهىٰ « ص ٥٢»...

١- النساء ـ٥٨
٢- الانفال ـ٢٧
٣- المؤمنون ـ٨ والمعارج ـ٣٢
٤- البقرة ـ٢٨٣

وقال الكاظم عليه السلام أنّ أهل الأرض لمرحومون ما تحابّوا وأدّوا الأمانة وعملوا بالحقّ انتهىٰ «ص ٥٢»...

وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله ليس منّا من خان بالأمانة انتهىٰ وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال مابعث اللّه نبيّاً قطّ إلّا بصدق الحديث وأداء الأمانة انتهىٰ...

وعن بعض أصحابه رفعه قال قال عليه السلام لإبنِه يابُنّي أدّ الأمانة تسلم لك دنياك وآخرتك وكُن أميناً تكُن غنيّاً انتهىٰ...

وقال علّي ابن الحُسين عليه السلام لِشيعته عليكم بأداء الأمانة فوالّذي بعث مُحمّداً بالحقّ نبيّاً لو أنّ قاتل أبي الحُسين بن علّي عليه السلام إئتمنني علىٰ السّيف الّذي قتله به لأدّيته اليه انتهىٰ...

وقال الصّادق عليه السلام أحبّ العباد الىٰ اللّه عزّ وجلّ رجل صُدوقٌ في حديثه مُحافظٌ علىٰ صلواته وما إفترض اللّه عليه مع أداء الأمانة ثمّ قال عليه السلام من إئتمن علىٰ أمانةٍ فأدّاها فقد حلّ ألف عُقَدة من عُنقه من عُقد النّار فبادروا بأداء الأمانة فأنّ من إئتمن علىٰ أمانةٍ وكلّ به إبليس مِائة شيطان من مَردة أعوانه لَيضلّوه ويُوسوسوا اليه حتّىٰ يُهلكوه إلّا من عَصَم اللّه عزّ وجلّ انتهىٰ« ص ٥٣»...

وقال النبّي صلى الله عليه وآله لا تنظروا الىٰ كثرة صلاتهم وصومهم وكثرة الحجّ والمعروف وطَنطَنتهم باللّيل إنظروا الىٰ صدق الحديث وأداء الأمانة انتهىٰ...

وقال الصّادق عليه السلام ثلاثة لابدّ من أدائهن علىٰ كلّ حالٍ الأمانة الىٰ البّر والفاجر والوفاء بالعَهد للبّر والفاجر وبّر الوالدين برّين كانا أو فاجرين انتهىٰ «ص ٥٣»...

قوله عليه السلام - أنّها عُرضت علىٰ السّموات المَبْنية والأرضين المَدحُوة والجبال ذات الطّول المنصُوبة...

اي أنّ الأمانة عُرضت علىٰ السّموات المُبْنية لقوله تعالىٰ: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا

بناها﴾[1] والأرضين المدْحُوة لقوله تعالى: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾[2] والدَّحو البَسط أي الأرضين المَبسُوطة وقال الرّاغب أي أزالها عن مَقرّها و قوله ﷺ والجبال ذات الطّول المَنصُوبة أي الجبال الرّاسيات الطّوال المرفُوعات على الأرض:

▫ قوله ﷺ: **إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَىٰ السَّمَاوَاتِ الْمَبْنِيَّةِ وَالْأَرَضِينَ الْمَدْحُوَّةِ وَالْجِبَالِ ذَاتِ الطُّوْلِ الْمَنْصُوبَةِ فَلاَ أَطْوَلَ وَلاَ أَعْرَضَ وَلاَ أَعْلَىٰ وَلاَ أَعْظَمَ مِنْهَا وَلَوِ امْتَنَعَ شَئٌ بِطُولٍ اَوْ عَرْضٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لاَ مْتَنَعْنَ وَلٰكِنْ اَشْفَقْنَ مِنَ الْعُقُوبَةِ وَعَقَلْنَ مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُنَّ وَهُوَ الْإِنْسَانُ (اِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً...**

والمقصود أنّ الجبال مع أنّها أعظَم الخلق في عالم العناصر فلا أطوَل ولا أعرَض ولا أعلَىٰ ولا أعظَم منها أي من الجبال امتنعن من هذا التكليف أي تكليف الأمانة لا عن إستكبارٍ بل عن خوفٍ واشفاقٍ ولو إمتنع عن حمل التكليف شئ بطولٍ أي لو إمتَنع عنه بسبب طوله أو عرضه أو قوتّه أو عزّه لإمتنعن بل كُنّ أولىٰ بالإمتناع ولكن أشفَقن من العقوبة وعقلنَ ما جهل من هو أضعف منهنّ وهو الإنسان أي فَهِمن ما لم يفهمه الإنسان بل جهل به لأنّه كان ظلوماً جَهُولاً أي كثير الظّلم والجهل وخلاصة الكلام أنّ الجبال مع طولها وعرضها وعظمتها لم تقبل الأمانة والإنسان قَبلها وفيما ذكره ﷺ إشارة الىٰ قوله تعالىٰ حيث قال: ﴿إنّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[3] ولابدّ لنا من البَحث في الآية والمراد من الأمانة فيها فأنّ الآية الشّريفة من الآيات الّتي عَسُر علىٰ أكثر المُحقّقين فهمها والمقصود منها فضلاً عن القَشريّين الّذين لا يفهمُون إلّا الظّواهر من الألفاظ من غير أن يقدروا علىٰ التّدبر فيها فنقول:

١- الشمس ـ٥.
٢- النازعات ـ٣٠
٣- الاحزاب ـ٧٢

قال الطّبرسي في تفسيره، إختلف في معنىٰ الأمانة فقيل هي ما أمَر اللّه به من طاعته ونهىٰ عنه من معصيته عن أبي العالية وقيل هي الأحكام والفرائض الّتي أوجبها اللّه علىٰ العباد عن ابن عبّاس ومجاهد، وقيل هي أمانات النّاس والوفاء بالعهُود ما دلّهما إئتمان آدم ابنه قابيل علىٰ أهله وولده حين أراد التّوجه الىٰ مكّة فخان قابيل إذ قَتَل هابيل عن السّدي والضّحاك وإختلف في معنىٰ عرض الأمانة علىٰ هذه الأشياء وقيل فيه أقوال أحدها أنّ المراد العَرض علىٰ أهلها فحُذف المُضاف وأُقيم المضاف اليه مقامه وعرضها عليهم هو تعريفه أيّاهم أنّ في تضييع الأمانة الأثم العظيم وكذلك في ترك أوامر اللّه وأحكامه فبيّن سُبحانه جرأة الإنسان علىٰ المعاصي وإشفاق الملائكة من ذلك فَيكون المعنىٰ **﴿عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾**[1] من الملائكة والجنّ والإنس فَأَبين أن يحملنّها أي فَأبىٰ أهلُهن أن يحملوا تركها وعقابها والمآثم فيها وأشفقَن منها أي وأَشفقَن أهلهنّ من حملها، **﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً﴾**[2] لنفسه بإرتكاب المعاصي، جهولاً، بموضع الأمانة في إستحقاق العقاب علىٰ الخيانة فيها، عن الجبائي.

وثانيها: أنّ معنىٰ عَرَضنا عَارضنا وقابَلنا فأنّ عَرض الشّئ ومعارضته به سواء والأمانة ما عَهد اللّه بها الىٰ عباده من أمره ونَهيه وأَنزَل فيها الكتب وأَرسَل الرّسل وأَخَذ عليها الميثاق والمعنىٰ أنّ هذه الأمانة مع جلالة موقعها وعظم شأنها لو قيست بالسّموات والأرض والجبال وعُورضت بها لكانت الأمانة أَرجَح وأَثقل وزناً ومعنىٰ قوله وأبَين أن يحملنها، ضَعُفن عن حملها، وأشفَقن منها، لأنّ الشّفقة ضعف القلب ولذلك صار كناية عن الخوف الّذي يضعف عنده القلب ثمّ أنّ هذه الأمانة الّتي من صفتها أنّها أعظم من هذه الأشياء العظيمة تقلّدها الإنسان فلم يحفظها بل حَملها وضَيّعها الظّلمة علىٰ نفسه.

١- الاحزاب ـ٧٢

٢- الاحزاب ـ٧٢

وثالثها: أنّه على وجه التّقدير إلّا أنّه أجرىٰ عليه لفظ الواقع لأنّ الواقع أبلغ من المقدّر ومعنىٰ الآية لو كانت السّموات والأرض والجبال عاقلة ثمّ عُرضت عليها الأمانة وهي وظائف الدّين أُصولاً وفُروعاً بما فيها من الوَعد والوَعيد عَرض تخيير لإستثقلت ذلك مع كِبر أجسامها وشدّتها وقوّتها ولإمتنّعت من حملها خوفاً من القصُور عن أداء حقّها ثمّ حَملها الإنسان مع ضعف جسمه ولم يَخف الوَعيد لظلمه وجهله.

ورابعها: أنّ معنىٰ العَرض والإباء ليس ما يفهم من ظاهر الكلام بل المراد تعظيم شأن الأمانة لا مخاطبة الجماد والعَرب تقول سُئلت الدّار فإمتنعت عن الجواب وأنّما هو إخبار عن الحال عبّر عنه بذكر الجواب والسّؤال وتقول أتىٰ فلان بكذبٍ لا تحمله الجبال وقال سُبحانه: ﴿**فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾[1] وخطاب من لا يفهم لا يصّح فالأمانة علىٰ هذا ما أودَع اللّه السّموات والأرض والجبال من الدّلائل علىٰ وحدّانيته وربوبيّته فأظهرتها والإنسان الكافر كتَمها وجَحَدها لِظلمه وجَهله ولم يرد بقوله الإنسان جميع النّاس بل هو مثل قوله:﴿**إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾[2] ، ﴿**إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ**﴾[3] وهكذا انتهىٰ ماذكره الطّبرسي من الأقوال في تفسيره.

وقال الزّمخشري في الكشاف ما لَفظه – وهو يريد بالأمانة الطّاعة فعظّم أمرها وفَخم شأنها وفيه وجهان.

أحدهما: أنّ هذه الأجرام العظام من السّموات والأرض والجبال قد إنقادت لأمر اللّه عزّ وعالىٰ إنقياد مثلها وهو ما يتأتىٰ من الجمادات وأطاعت له الطّاعة الّتي تصّح منها وتليق بها حيث لم تمنع علىٰ مشيئته وإرادته إيجاداً وتكويناً وتسويةً علىٰ هيئات مختلفة وأشكال متنوعة كما قال: ﴿**اتينا طائعين**﴾وأمّا الإنسان فكم تكن حاله فيما يصّح منه من الطّاعات ويليق به من الإنقياد لأوامر

١- فصّلت ـ ١١
٢- العصر ـ ٢
٣- العاديات ـ ٦

اللّه ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتّكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الإنقياد وعدم الإمتناع والمراد بالأمانة الطّاعة لأنّها لازمة للوجود كما أنّ الأمانة لازمة لأداء وعرضها على الجمادات وإبائها وإشفاقها مجاز وأمّا حمل الأمانة فمن قولك فلان حامل الأمانة ومحتمل لها تريد أنّه لا يؤديها الى صاحبها حتّى تزول عن ذمّته ويخرج عن عهدتها الى أن قال فمعنى فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان فأبين إلّا أن يؤدّينها وأبى الإنسان إلّا أن يكون محتملاً لها لا يؤدّيها ثمّ وصفه بالظّلم لكونه تاركاً لأداء الأمانة وبالجهل للإخطائه ما يسعده مع تمكّنه منه وهو أداؤها هذا هو الوجه الأوّل.

وثانيهما: أنّ ما كلفه الأنسان بلغ من عظمه وثقل محمله أنّه عرض على أعظم ما خلق اللّه من الأجرام وأقواه.

وأشدّه أن يتحمله ويستقل به فأبى حمله والإستقلال به وأشفقن فيه وحملها الإنسان على ضعفه ورخاوة قوته أنّه كان ظلوماً جهولاً، حيث حمل الأمانة ثمّ لم يف بها وضمنها ثمّ خان بضمانه فيها انتهى.

٣ـ وقال ابن كثير الشّامي في تفسير الآية ما حاصله أنّ المراد بالأمانة الطّاعة الّتي عرضها عليهم قبل أن يعرضها على آدم فلم يطقنها فقال سبحانه لآدم أنّي قد عرضت الأمانة على السّموات والأرض والجبال فلم يطقنها فهل أنت آخذ بما فيها قال يا ربّ وما فيها قال إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت فأخذها آدم فتحملها فذلك قوله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً﴾ (١) ثمّ نقل عن ابن عبّاس أنّه قال في هذه الآية عرضت الأمانة على آدم فقال خذها بما فيها فأن أطعت غفرت لك وأن عصيت عذّبتك قال آدم قبلت فما كان إلّا مقدار ما بين العصر الى اللّيل من ذلك اليوم حتّى أصاب الخطيئة، ثمّ نقل قولاً آخر عن أبي ابن كعب أنّ المراد من الأمانة المرأة أوتمنت على فرجها، وقال

١ـ الاحزاب ـ٧٢.

بعض آخر أنّ الأمانة الغسل من الجنابة وقال مالك عن زيد بن أسلم أنّ الأمانة ثلاثة الصّلٰوة والصّوم والإغتسال من الجنابة ونقل أيضاً أقوالاً كثيرة في معنىٰ الأمانة كلّها نظير ما ذكرناه ونقلناه عنه:

٤ – وقال البيضاوي في تفسير الآية تقريرٌ للوعد السّابق بتعظيم الطّاعة وسَماها أمانة من حيث أنّها واجبة الأداء والمعنىٰ أنّها لعظمة شأنها بحيث لو عُرضت علىٰ هذه الأجرام العظام وكانت ذات شعورٍ وإدراك لأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان مع ضعف بُنيته ورخاوة قوّته لا جرم فاز الرّاعي لها والقائم بحقوقها بخير الدّارين أنّه كان ظلوماً حيث لَم يَفِ ولم يراع حقّها جَهولاً بكُنه عاقبتها وقيل المراد بالأمانة الطّاعة الّتي تعَم الطّبيعية والإختياريّة الىٰ آخر ماقال وأنت خبير بأنّ تفسير البيضاوي لهذه الآية قريب ممّا ذكره الزّمخشري في الكشّاف.

٥ – وقال الرّازي في تفسيره الكَبير المسئلة الأولىٰ في الأمانة وجوه كثيرة منهم من قال هو التّكليف وسُمّي أمانة لأنّ من قصر فيه فعليه الغرامة ومن وفر فله الكرامة ومنهم من قال هو قول لا إله إلّا اللّه وهو بعيد ومنهم من قال هو الأعضاء فالعين أمانة ينبغي حفظها والأذن واليَد والرّجل والفرج واللّسان كذلك ومنهم من قال معرفة اللّه بما فيها واللّه أعلم المسئلة الثّانية في العَرض وجوه منهم من قال المراد العَرض ومنهم من قال الحشر ومنهم من قال المقابلة وقال في قوله تعالىٰ: ﴿انّه كان ظلوماً جهولاً﴾ فيه وجوه، أحدها أنّ المراد منه آدم ظلم نفسه بالمخالفة ولم يعلم ما يُعاقب عليه من الإخراج من الجنّة، وثانيها المراد الإنسان يظلم بالعصيان ويجهل ما عليه من العقاب وثالثها أنّه كان من شأنه الظّلم والجهل، ورابعها أنّه كان ظلوماً جهولاً في ظنّ الملائكة حيث قالوا ﴿اَتَجْعَلُ فيهَا مَنْ يُفْسِدُ فيهَا﴾[1] الىٰ آخر ما قال وقال الآلوسي في تفسيره المسّمىٰ بُروح المعاني نظير ما قاله الرّازي والزّمخشري وغيرهما من

١- البقرة ـ ٣٠

العامّة وهكذا غيره من مُفسّري العامّة فأنّ كلماتهم قريبة المأخذ مع إختلاف في ألفاظها وغرضنا من ذكر كلماتهم هو تفسيرهم القرآن بآرائهم وأنّهم يقولون ما لا يفهمون ويتكلمون بما لا يَعنُون.

فهذه الأقوال نقلناها عن أساطينهم وجهابذتهم في العلم فأنّ الزّمخشري والرّازي والبَيضاوي من الّذين إتّفقوا علىٰ فَضلهم ولم ينكرهم أحد من العامّة فإذا كانوا هؤلاء الأساتيذ بزعمهم هكذا فما ظنّك بغيرهم من الّذين لا يعلمون الحّر من البرد ومع ذلك يدّعون العلم والفَضل وأنت ترىٰ أنّ كلّ هذه الأقوال من المُستّخرجات الظّنية والخرافات الوّهمية والتّفسير بما لا يرضىٰ به صاحبه وقد ورد أنّ من فسّر القرآن برأيه فليَتّبوء مقعده من النّار ولا سيّما فيهم خرافات ابن كثير الشّامي في كتابه الّذي سمّاه بالتّفسير وهو في الحقيقة تفسير كلمات الشّيطان لا تفسير كلمات اللّه ألا ترىٰ أنّه عدّ من معاني الأمانة الفَرج وغَسل الجنابة وأمثالهما من المَوهومات أيجُوز للعاقل أن يعتقد أنّ الأمانة الّتي عرضها اللّه علىٰ السّمٰوات والأرض و الجبال هي الفَرج أو غسل الجنابة فَأبين أن يَحملنها أي فَأَبين السّمٰوات والأرض والجبال أن تكون ذات فرج مثلاً وحملها الإنسان أي قبل الإنسان الفرج أو غسل الجنابة وهو دليل علىٰ ظلمه وجَهله ومَن قِبل ذلك في تفسير الآية فَعليه لعنةَ اللّه كائناً من كان والحاصل أنّ ما قالوه وسمّوه تحقيقاً وسَوّدُوا به صحائف الأوراق وسمّوه تفسيراً ليس بتَحقيقٍ ولا تفسير وإذا وَقفت علىٰ هذه الخُرافات لعَلمت سّر قوله تعالىٰ حيث قال: **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ﴾**(١)

وحيث كان كذلك وصارت الآية من المُتّشابهات فلا محيص لنا من التّمسك بذيل عناية المَعصوم الّذي هو من أهل البَيت أدرىٰ بما في البيت وقد أَرجَعنا الرّسول اليهم في تفسير القرآن ولا سيّما المُتّشابهات منه وما نحن فيه

١- آل عُمران ـ٧

من هذا القبيل فنقول:

الحقّ أنّ الأمانة في الآية الشريفة الولاية لأهل البيت الّذين أذهب اللّه عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً بالعقل والنّقل أمّا العقل فلأنّ الطّاعة لِلّه الّتي حملوا الأمانة عليها أن كان مرادهم بها الطّاعة التّكوينية فلا شكّ أنّ السّموات والأرض والجبال وغيرها لم تمتنع عنها لإستحالة تخلف الإرادة عن المراد في الطّاعة التّكوينية وذلك لأنّها عبارة عن قبولها الوجود وأي شيئ إمتنع عن الوجود بعد إرادة الإيجاد منه تعالىٰ وأن كان المراد بالطّاعة الطّاعة الشّرعية من إتيان الواجبات وترك المحرّمات مثلاً فلا شكّ أنّ الطّاعة بهذا المعنىٰ لا يعقل عرضها علىٰ السّموات والأرض والجبال إذ الطّاعة بعد التّكليف وهو موقوف علىٰ العَقل وحيث أنّ المَجنون لا تكليف ولا طاعة له ولا يُعرض التّكليف عليه فَكيف عُرض علىٰ الجمادات وإذا ثبت هذا أنّ عرض الأمانة بهذا المعنىٰ علىٰ ما لا عقل له لا يستقيم وهو المطلوب:

وثانياً إنّ الطّاعة لِلّه تعالىٰ أنّما جُعلت لإستكمال النّفوس بها في الدّنيا وتوقف الجزاء عليها في الآخرة ولا شكّ أنّها لا تفيد إلّا إذا صدرت عن إختيار المكّلف والجبال والأرض لا إرادة لها ولا إختيار فلا تحصل الطّاعة لها بهذا المعنىٰ وعليه فلو فرضنا قبولها في حقّ الجبال لِلزَم أن لا تكون الجبال مثلاً من الجمادات الّتي لا عقل لها ولا شعُور وكانت من ذوي العقول وحينئذٍ نقول لو كان عرض الأمانة عليها قبل وجودها وبعبارةٍ أُخرىٰ قبل صيرورتها جماداً فأَبين أن يحملنها وأشفَقن منها فهو ممّا لا معنىٰ له لكون الآية دَالة علىٰ خلافه وأنّ عرضها عليها كان بعد وجودها لقوله تعالىٰ: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ**﴾(1) وإن كان بعد وجودها كما هو كذلك يلزم خطاب الجماد بشيئ لا يتُصور له فأنّ الجماد لا شعور له وما كان كذلك كيف يُعرض عليه الطّاعةَ الموقُوفة علىٰ العقل أن كانت الطّاعة تشريعية وأن كانت

1- الاحزاب-72.

التّكوينية فالجمادات لم تمنع عن قبولها بل لا يمكن لها ولغيرها المنع عنها تكويناً كما عرفت فثبت أنّ المراد بالأمانة المعروضة عليها غير الطّاعة وهو المطلوب وأن شئت قلت أنّ الأمانة المبحوثة عنها في الآية الشّريفة لا محالة أمرٌ مرتبط بالدّين الحقّ ولأجل هذا عَرَضها اللّه تعالىٰ علىٰ الجبال والأرض والسّمٰوات وهذا الأمر لا يخلو من وجهين، أحدهما الطّاعة والإنقياد بالمعنىٰ المقرّر في الشّريعة من فعل الواجبات وترك المحرّمات وثانيهما الطّاعة والإنقياد الموصلة الىٰ الكمال من جهة التّلبس بالإعتقاد الصّحيح وسلوك الكمال بالإرتقاء من حضيض المادّة الىٰ أوَج الإخلاص والتّقرب الىٰ اللّه في كلّ موجودٍ بِحَسَبه وحيث أنّ العقل يحكم بإستحالة الأوّل في حقّ الجمادات فلا محالة يكون الوجه الثّاني هو الحقّ ولا نعني به إلّا الولاية الإلٰهية الّتي بمصداقها في عالم الوجود هو الولاية لأوليائه فأنّ الولاية لِللّه تعالىٰ أوّلاً ولرسُوله ثانياً ولوصّي الرّسُول ثالثاً لا نقول أنّ الولاية ثلاثة بل هي واحدة لا ثاني لها وهي الولاية الإلٰهية إلّا أنّها تثبت لرسوله وأوصياء الرّسول تبعاً لولاية اللّه ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ (١) وهذا هو المراد بقولنا في صدر المبحث أنّ الأمانة هي الولاية لأهل البيت:

وأمّا النّقل – فلِما رواه في تفسير البرهان بأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام في قول اللّه عزّ وجلّ: **﴿إنّا عرضنا الأمانة﴾** قال عليه السلام هي ولاية أمير المؤمنين انتهىٰ «ص ٨٦٤ ج ٢»...

وبأسناده عن أبي بصير عن أبي عبد اللّه عليه السلام في قول اللّه عزّ وجلّ: **﴿إنّا عرضنا الأمانة﴾** قال عليه السلام الأمانة الولاية والإنسان هو أبو الشّرور المنافق انتهىٰ « ص ٨٦٥ ج ٢»...

وبأسناده عن الحُسين بن خالد قال سألت الرّضا عليه السلام عن قول اللّه عزّ وجلّ **﴿إنّا عرضنا الأمانة﴾** فقال عليه السلام الأمانة الولاية من إدّعاها بغير حقٍّ كفر

١- آل عمران-٣١

انتهى «ص ٨٦٥ ج ٢»....

وبأسناده عن جابر عن أبي جعفر ﷺ في قول اللّه ﴿إنّا عَرضنا الأمانة﴾ قال ﷺ هي الولاية انتهى «ص ٨٦٥ ج ٢»...

٥ - (وبأسناده عن إسحق بن عمّار عن أبي عبد اللّه ﷺ في قول اللّه :﴿إنّا عَرضنا الأمانة﴾ قال ﷺ يعني بها ولاية علّي بن أبي طالب انتهى)« ص ٨٦٥ ج ٢»... إذا عرفت معنى الأمانة والمراد بها في الآية نَرجع الى تفسير الآية الشّريفة فنقول:

معنى الآية أنّ السّموات والأرض والجبال لو كُنّ ممّا يأبى ويُشفق وعَرضنا عليهنّ الأمانة لأبين وأشفَقن من قبُولها لعَظم قَدرها وشَرف منزلتها وخَطرها فجُعل المعلُوم في الآية بمنزلة الواقع فقال عَرضنا من حيث أنّه سُبحانه عَلِم أنّ ذلك المشروط لو وقع شرطه لَحَصَل هو فكأنّه حَصَل:

أن قلت ـ فهلّا تقول هذا بناءً على كون المراد بالأمانة الطّاعة وأيّ فرقٍ بين المقامين:

قلت ـ الفرق أنّ الولاية أمرٌ فوق الطّاعة وأعظم وأشكل منها بمراتب كثيرة فأنّ الطّاعة لكلّ موجودٍ بحَسبه وهي قد تحصل له بمُقتضى شأنه قلّت أو كثُرت وأمّا الولاية فهي أصل الطّاعة ولُبّها وبها تصح الطّاعة وتفسد وقلّما يُوجد من إلتَزم بها بشرائطها ولهذا قال تعالى:﴿ وحَمَلها الإنسان﴾من بين المخلوقين لكونه أشرف من غيره وأفضل فَحَملها الإنسان دليل على شَرفه وفضله ووفُور كماله وإستعداده وقابليّته لا على ذَمّه وإنحطاطه كما تُوّهم وقوله تعالى: ﴿ إنّهُ كانَ ظلُوماً﴾[1] معناه أنّ الإنسان من شأنه الإتّصاف بهما كما أنّ الجبال والسّموات مثلاً من شأنهنّ عدم الإتّصاف بهما فهو حكمٌ مستقل في حقّ الإنسان لا أنّ الإنسان بقبوله الأمانة ظَلم على نفسه بالفعل وبعبارةٍ أُخرى أنّ الإنسان في حدّ ذاتِه يتّصف بالظّلم والجَهل وهو ممّا لا كلام فيه إذ لم يقل

١ ـ الاحزاب ـ ٧٢

أحَدٌ بأنّه لا يتّصف بهما فالآية خَرَجت مَخرج المَدح في حقّ الإنسان لا الذّم كما قيل:

هذا كلّه بناءً على الأخبار والآثار ولنا بحثٌ عرفاني نذكر لك فيه معنىً آخر فأستمع له أن كُنت من أهله:

وحاصله أنّ الأمانة التّي عَرضها على السّموات والأرض هي الأسرار المودّعة في الإنسان الّذي هو أشرف المخلوق وأكمله لقوله تعالى:﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾وقوله: ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ اَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[1] وتوضيح الكلام في المقام هو أنّ اللّه تعالى من حيث أنّه خالق ومُوجِد عَلِم إستعداد كلّ مَوجُوداً وقابلّيته فأطّلَع على إستعداد أهل السّموات وأهل الأرض وأهل الجبال من الملائكة والجنّ والحَيوانات والوحوش والطّيور وغير ذلك أو على إستعداد كلّ من السّموات والأرض والجبال بنفسها لأنّها عند الأكثر شاعرة بذاتها وأراد بذلك إيداع أمانته التّي هي سّره فما وجدها أهلاً لها ومُستّعدين لحملها لهدم قابليتها وضعف إستعدادها ووَجَد الإنسان أهلاً لها ومُستّعداً لحملها فأمَره بحملها وأشار اليه بقبولها وذلك لكونه ظَلوماً جَهولاً أي أنّه بظّلوميته وجهولّيته كان مستحقاً لحملها ومُستّعِداً لقبولها وعليه فالسّبب في أهلّيته لها كان وجود هاتين الصّفتين فيه إذ لو لم يكن موصوفاً بهما لكان مثل غيره من الموجودات في عَدم الإستحقاق واللّياقة لِحَمل هذه الأمانة والمراد بالإنسان في الآية نوعه وبالحمل إستعداده وقابليته له.

فالغرض أنّ اللّه تعالى مع عِظَم شأنه وجلالة قدره إذا لم يودع الأمانة إلّا عند أهلها ولم يأذن بها إلّا صاحبها فلا ينبغي أن يفعل غيره بخلاف ذلك وإلّا يكون مُخالفاً لأمره سالكاً غير طريقه كما قال تعالى: وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[2] وقال تعالى:(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى

١- المؤمنون-١٤.

٢-المعارج-٣٢.

أهلها﴾[1] وهذه الأسرار بعينها هي أسرار الولاية التي، نُهينا عن إفشائها والتّقية من هذا القَبيل والىٰ هذا المعنىٰ أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله إندَمجت علىٰ مكنون علمٍ لو أبحت به لأضطربتم إضطراب الأرشية في الطّوىٰ البعيدة والىٰ ثَمرة الطّهارة أعني من الفساد قال عليه السلام والله لو شئت أن أخبر بكلّ رجلٍ منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لَفعلت ولكنّي أخاف أن يكفروا برسول الله، وهذا أمرٌ ضِمنيّ منه عليه السلام بإخفاء أسرار الولاية وأيضاً الىٰ هذا المعنىٰ أشار صلى الله عليه وآله بقوله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان من الحكمة لكفّره، أو لَقتله، أو يقول رَحم الله قاتل سلمان فأنظر الىٰ عظمة السِّر المُودع عند سلمان وعلىٰ المبالغة في كتمان أسرار الولاية والكلام في المقام طويل والأحاديث في الباب كثيرة وللبحث فيه وفي أمثاله مقام آخر فتحَصل ممّا ذكرنا أنّ الأمانة في الآية الكريمة هي الأسرار الإلٰهية التي بعينها أسرار الولاية فأنّ الولّي بنفسه سَرٌ من أسرار الله كما قال أمير المؤمنين أنا سّر الله وهذه الأمانة هي التّي حَملها الإنسان وعَجَز وضَعُف عن حَملها غيره من أصناف الموجودات والحمد لِلّه ربّ العالمين.

- قوله عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لاَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ لَطُفَ بِهِ خُبْراً وَأَحَاطَ بِهِ عِلْماً أَعْضَاؤُكُمْ...

أشار عليه السلام الىٰ علمه تعالىٰ وإحاطته بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها فقال أنّه تعالىٰ لا يخفىٰ عليه ما يَكتمُون العباد من الأعمال خيرها وشّرها في ليلهم ونهارهم وقوله عليه السلام: لَطُفَ بِهِ خُبْراً، بضّم الخاء وسكون الباء أي علماً والمعنىٰ أنّه تعالىٰ لطيف العلم بما يكسبه النّاس ولطافة العلم كناية عن دقّته كأنّه ينفذ في سرائرهم كما يَنفذ الهواء في الأجسام لدّقته ولطافته وقوله عليه السلام: وَأَحَاطَ بِهِ عِلْماً أي يكون المُكتَسَب والمُكتسِب محاطَين وهو تعالىٰ محيط بهما علماً

1- النّساء ـ58.

قال اللّه تعالیٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً﴾ (١)

و: ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (٢)

و: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (٣)

و: ﴿فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (٤)

و: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ (٥)

و: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (٦)

و: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً﴾ (٧)

و: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً﴾ (٨) وغيرها من الآيات.

▫ **قوله ﷺ: شُهُودُهُ وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ وَضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ...**

أي أعضاؤكم شهود اللّه علیٰ ما فعلتم بها في الدّنيا من المَعاصي والطّاعات كما قال تعالیٰ: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩)

و: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٠)

وأمّا قوله ﷺ: **وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ** أي جنُود اللّه في الإعانة عليهم فأنّ جنُود الملك عبارة عن أعوانه وأنصاره علیٰ أعداءه والجَوارح جمع جارحة والفرق بين الأعضاء والجَوارح هو الفرق بين العامّ والخاصّ فأنّ الأعضاء جمع عضُو وهو كلّ عظمٍ وافر من الجِسم والجارحة عبارة عن العُضو الّذي يكتسب بها كاليَدين والرّجلين فالجوارح هي الأعضاء الكاسبة وقوله ﷺ: **وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ** معناه أنّ الأعضاء التّي تكتسبُون بها من اليَد والرّجل فهي جنُود اللّه في

١- الاحزاب-٣٤
٢- المُلك-١٤
٣- الانعام-١٠٣
٤- الحجّ-٦٣
٥- الطّلاق-١٢
٦- آل عمران-١٢٠
٧- النّساء-١٠٨
٨- النّساء-١٢٦
٩- النّور-٢٤
١٠- يس-٦٥

الحقيقة لا جنُودكم ولأجل هذا تَشهد عليكم لا لكم فلو كانت جنوداً لكم لكانت مُعنية لكم بالشّهادة وليس كذلك والحاصل أنّ الأيدي والأرجل فيكم التي تَكتسبُون بها ما تعملون وتظنّون أنها جنودكم ومُعينكم غداً يوم القيامة فهي جنود اللّه وقوله عليه السلام: **وَضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ**، اي جَواسيسُه فما تَضمرون في قلوبكم يَعلمه اللّه تعالىٰ ولا يخفىٰ عليه شيٌ من الضَمائر كما يخفىٰ عليه من الظَواهر وقوله عليه السلام: **وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ**، معناه أنّ ما تفعلون في الخَلَوات بزعمكم فأنّها بالنّسبة الىٰ علاّم الغيُوب عَيانٌ وذلك لأنّ اللّه تعالىٰ في كلّ مكانٍ فلا يخلُو عنه مكان وأمّا الخَلوة وعَدمها لا معنىً لها بالنّسبة اليه تعالىٰ فاتّقوا اللّه في الخَلَوات والعَيان:

ومن كلام له عليه السلام (١٩٩)

▫ قوله عليه السلام: وَاللَّهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَىٰ مِنِّي وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ وَلَوْ لاَ كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ وَلَكِنْ كُلُّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٌ وَكُلُّ فُجَرَةٍ كُفَرَةٌ (وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَاللَّهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ وَلاَ أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ.

◁ اللّغة

(بأدهىٰ) الدهْي ساكنة الهاء الفكر وجودة الرّأي وأدهىٰ أفعل التّفضيل منه (يَغْدِرُ) الغَدْر بفتح الغين وسكون الدّال المكر والحيلة وقيل نقض العهد (وَيَفْجِرُ) الفجر الكذب والخيانة والميل عن الصِّدق يقال فَجر العَبد فجُوراً أي كذب والفاجر المائل عن الحقّ (أُسْتَغْمَزُ) بالزّاء المُعجمة من الغَمز وهو العصر باليَد:

◁ المعنىٰ

(وَاللَّهِ)أي أُقسم بالله (مَا مُعَاوِيَةُ) أي ليس معاوية (بِأَدْهَىٰ) وأجود رأياً وَمكراً (مِنِّي) بل أنا أجود رأياً منه (وَلَكِنَّهُ) معاوية (يَغْدِرُ) أي يَمكُر ويَنقض العهُود (وَيَفْجِرُ) ويَميل عن الحقّ اذ لا دين له ولا يخاف يوم المعاد (وَلَوْ لاَ كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ) عقلاً وشرعاً (لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ) وأسيَسَهم (وَلَكِنْ كُلُّ غُدَرَةٍ) أي كلّ من يَغدر في الدّنيا (فُجَرَةٌ) أي يَفجر في الحقيقة (وَكُلُّ فُجَرَةٍ)

أي وكلّ من يفجر (كُفَرَةٌ) فهو كافر بالله وباليوم الأخر (وَلِكُلِّ غَادِرٍ) يَغدر في الدّنيا (لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) وهو لواء الغَدر (وَاللَّهِ مَا أُسْتَغْفَلُ) أي لست بغافلٍ ولا أُغفَل (بِالْمَكِيدَةِ) والحيلة سواء كان الكائد هو معاوية أم غيره (وَلاَ أُسْتَغْمَزُ) مبنّي للمجهول اي لا أُستَضعف (بِالشَّدِيدَةِ) من القُوّة.

◁ الشرح

إعلم أنّ هذا الكلام أنما صَدَر عنه في جواب من قال أو يقول بأنّ معاوية كان أدهى منه أي كان معاوية في تدبير الأمُور أجوَد رأياً منه ﷺ وهذه العقيدة لم تكن مُختَصة بصدر الإسلام بل في زماننا هذا يقول بهذه المقالة كثير من النّاس ممَن لا خبرة له بحقيقة الأمر فلابدّ لنا أوّلاً من توضيح الدّهاء والمراد الأصلي منه ثمَ التّكلم في شرح كلماته ﷺ فنقول:

الدّهاء كما مَرّ الفكر وجودة الرّأي وهو المُعبّر عنه بالسّياسة في زماننا هذا فيعبّرون عن الرّجال السّياسي بالمُتفكرين والمُدبرين وأمثال ذلك من العناوين وتوضيحه أنّ الدّهاء يتّصور على أقسام أحدها جودة الرّأي بالنّسبة الىٰ تحصيل الدّنيا والوصول الىٰ زخارفها وحكُوماتها وما يَرتبط بها وثانيها، جَودة الرّأي بالنّسبة الىٰ الآخرة والوصول الىٰ ما أعدّ الله فيها من الجنّة ومقاماتها ونعمها وثالثها جَودة الرّأي بالنّسبة الىٰ الدّنيا والآخرة معاً والبلُوغ الىٰ ما فيهما من النِّعم ونحن نتكلم فيها إجمالاً:

أمّا القسم الأوّل: فلا إشكال في قبحه وذمّه عقلاً وشرعاً وذلك لعدم خلُوّه عن الغدر والمكر ونقض العهد والخيانة والقتل والهتّك وأمثال ذلك وما يلزم منه القبيح فهو قبيح وصُورة القياس هكذا، السّياسة لأجل الوصول الىٰ الدّنيا وحُطامها تستلزم القبائح، وكلّ مُستلزم لها فهو مذمُوم قبيح عقلاً فالسّياسة بهذا المعنىٰ مذموم قبيح عقلاً وهو المطلوب:

أمّا إثبات الصّغرىٰ فلأنّ الدّهاء لأجل الوصُول الىٰ ما ذكرناه من غير مكرٍ وغَدرٍ وإيذاء النّاس وإغفالهم وقَتلهم وحَبسهم وغيرها من القبائح لن يوجد

أبداً ولم يوجد لأحدٍ من أوّل الدّنيا أيضاً والسّر فيه أنّ المتصدّي لهذا الأمر أو من بصدد التّصدي له أمّا أن يكون لائقاً قابلاً للحكومة علىٰ النّاس مثلاً وأمّا أن لا يكون كذلك فعلىٰ الأوّل لا يحتاج الىٰ إجراء السّياسة بهذا المعنىٰ ضرورة أنّ النّاس من حيث إحتياجهم اليه بعد معرفتهم أيّاه يجعلونه حاكماً رئيساً علىٰ أنفسهم وعلىٰ فرض عدم معرفتهم له أو وجود فردٍ آخر غيره أيضاً لا يجري السّياسة بهذا المعنىٰ لأنّ اللّائق القابل لا إعتناء له بشيءٍ من أُمور الدّنيا وعلىٰ الثّاني أي في صُورة عَدم اللّياقة فيحتاج في وصوله الىٰ ما أراد التّثبت بكلّ ما يعلم أو يظنّ أنّه يوصله اليه وذلك لأنّ المفروض عدم لياقته بحسب ذاته لما أراده وقَصَده والنّاس يتّبرؤن منه ولا يَعتنُون به ومن كان كذلك فأمره يدور بين أمرين، الإعراض عمّا ليس بقابلٍ له، والتّمسك بالحِيَل وكلّ ما يحتمل أنّه لموصله الىٰ مقصده وحيث أنّ الأوّل مُنتفٍ فالثّاني ثابت وهو المطلوب وعليه فجميع الحكّام والأُمراء والسّلاطين غير الأنبياء والأوصياء ومن حَذىٰ حَذوهم من أوّل التّاريخ الىٰ زماننا هذا كانوا كذلك:

لوجود الملاك وهو عدم اللّياقة فيهم ومقاصدهم أيضاً كانت الدّنيا وزخارفها فإذا كان المقصد الدّنيا والقاصد غير قابلٍ في نفسه لِما أراد ومع ذلك وَصَل الىٰ مقصده أو تصَدىٰ للوصول اليه فهو غادر ظالم خائنٌ لا كلام فيه لأحدٍ من العقلاء ولا يمكن له التّخلص من القبائح في طريقه وسلُوكه والمُنكر معاند مكابر عقله من غير إستثناء لأحدٍ لعدم جَواز التّخصيص في العقّليات:

وأمّا الكبرىٰ أعني مُستلزم القبيح قبيح فهو غنّي عن البُرهان وينتج أنّ هذا القسم مذمُوم عقلاً وهو المطلوب وأمّا القسم الثّاني وهو جودة الرّأي لتّحصيل الآخرة ومقاماتها مع الإعراض عن الدّنيا فهو مَمدوح عقلاً وشَرعاً ضرورة أنّ الآخرة خير من الدّنيا لبقائها وفنائها ومن ترك الفاني وأَخَذ بالباقي فهو عاقل وذلك كمن زَهِد في الدّنيا وترك لذّاتها وإرتاض فيها كما هو شأن الزّهاد في كلّ عصرٍ وزمان:

وأمّا القسم الثّالث: وهو جودة الرّأي بالنّسبة الىٰ الدّنيا والآخرة فهو أعلىٰ وأحسَن من الثّاني لكونه أجمع وأشمَل فانّ من جمع الدّنيا والآخرة خيرٌ ممّن حَصل له الدّنيا فقط أو الآخرة فقط وهذا أيضاً ممّا لا كلام فيه اذا عَرفت هذه الأقسام فنقول لا شكّ أنّ معاوية وأمثاله كانوا من القِسم الأوّل ولأجل هذا غدروا وفَجروا وظَلموا في الوصول الىٰ مقاصدهم والبلُوغ الىٰ آمالهم وذلك لعدم أهَلية معاوية للخلافة والحكومة علىٰ المُسلمين في حدّ نفسه ألا ترىٰ أنّه تمَسك تارةً بقميص عثمان وإصبعه المقطوعة لتّحريك الأراذل علىٰ قتال الحقّ وأُخرىٰ بأنّ أمير المؤمنين هو الّذي قتل عثمان أو أمَر بقتله وثالثة بأنّه ليس بمُسلم ولا يُصَلي ولا يَصُوم ورابعة بأنّه مستَحق للسّب واللّعن وهكذا مع علمه بأنّ عليّاً لم يقتل عثمان ولم يأمر بقتله وأنّه أوّل من آمن بالرّسول كلّ ذلك للوصول الىٰ الخلافة والإمارة علىٰ النّاس والبلُوغ الىٰ الأماني والمشّتهيات النّفسانية وبعد وصوله اليها أيضاً إستّمر علىٰ كفره وإلحاده وغدره فقتل من قتل ونَهب ما نَهب وهتَك ما هتَك لعلمه بأنّ خيار الصّحابة لا يُوافقوه ولا يعاونوه في حكومته الباطلة بل يُخالفوه حتّىٰ الإمكان فهُم مُضرون لدُنياه ومُنتقدون أيّاه وهذه الرّؤية الخبيثة هي الّتي سمّاها من لا خبرة له بالدّهاء وجودة الرّأي لأنّه غَصب بذلك الخلافة وقتل به خيار الصّحابة وأضر بالدّين بما لم يضّر به أحد من المُشركين فضلاً عن غيرهم وكُتب السّير والتّواريخ بذكر جناياته حاكية ولسان النّاس بها ناطقة بل الحقّ أنّ المؤرّخين لم يقدروا علىٰ ذكر جناياته كلّها أو لم يصلوا اليها لكثرتها بل لعدم حصرها وإحصائها.

▫ قوله ﷺ **وَاللّٰهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَىٰ مِنِّى وَلٰكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجِرُ وَلَوْ لاٰ كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ...**

أي أُقسم باللّه أنّ معاوية ليس بأدهىٰ وأجود رأياً منّي في تدبير الأمور ولكنّه يغدر ويفجر أي لا يُبالي من الغَدر والفَجر لعدم إعتنائه بالدّين ولولا كراهية الغَدر عقلاً وشَرعاً لكُنتُ من أدهىٰ النّاس أي أنّي أعلم طُرق الوصول

الىٰ المقاصد الدّنيوية وأعرف المَكر والغَدر كاملاً وأنّما يَمنَعني منه قُبحه وخُبثه:

روي أنّه لما بُويَع علّي عليه السلام بالمدينة جاء اليه المُغيرة بن شعبة فقال أنّ معاوية قد علمت وقد ولاّه الشّام من كان قبلك فوَلّه أنت كيما تَنسَّق عُرىٰ الإسلام ثمّ أعزله أن بدا لك فقال أمير المؤمنين عليه السلام أتَضمن لي عمري يا مُغيرة فيما بينَ توليته الىٰ خلعه قال لا، قال عليه السلام لا يسألني الله عن توليته علىٰ رجلين من المُسلمين ليلة سوداء أبداً وما كنت مُتخذ المضّلين عضداً الخبر...

أقول: هذا الخبر وأمثاله أدّل دليل علىٰ ما ذكره عليه السلام وذلك لأنّ مُغيرة بن شعبة علم ذلك بل علم ذلك آحاد النّاس فضلاً عن المُغيرة أفتظنّ أنّ عليّاً لم يعلم به هيهات ثمّ هَيهات أنّه كان يعلم بهذه الدّسائس والحَيل لتشيّيد مباني الحكومة فأنّ الّذي ذكره المُغيرة كان غير خفّي علىٰ كلّ من له عَقل فضلاً عنه عليه السلام وأنّما لم يفعل به لقوله وما كنت متّخذ المضّلين عَضّداً، فأنّه اذا تعارض الدّين مع الدّنيا فالمؤمن لا يأخذ بالدّنيا بترك دينه وهذا هو الّذي سمّاه كثير من أهل الدّنيا بالسّفاهة تارةً وبالضّعف أُخرىٰ وبقلة التّدبير ثالثاً وفي ذلك قال بن شعبة:

نَصحتُ عليّاً في ابن هندٍ مقالةً   فردّت ولم يسمع لها الدّهر ثانية

فقلتُ له أرسِل اليه بَعهده   علىٰ الشّام حتّىٰ يَستّقر معاوية

فلم يقبل النّصح الّذي جئته به   وكانت له تلك النّصيحة كافية

□ قوله عليه السلام: **وَلٰكِنْ كُلُّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٌ وَكُلُّ فُجَرَةٍ كُفَرَةٌ (وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...**

أي أنّ الغَدر يُلازم الفجر فكلّ غادرٍ فاجرٍ وكلّ فاجرٍ كافر ينتج كلّ غادرٍ كافرٍ فنقول:

معاوية كان غادراً وكلّ غادرٍ فاجر فهو أي معاوية فاجر ثمّ نقول معاوية فاجر وكلّ فاجر كافر فهو أي معاوية كافر والكافر حسابه علىٰ الله يوم القيامة

وقوله ﷺ: **لكلّ غادرٍ لواء يُعرف به يوم القيامة** إشارة الىٰ إفتضاحه في المَحشر وحيث أنّه ﷺ أثبت في الجملة السّابقة أنّ معاوية يغدر ويفجر فهذه التّبعات تلحقه لا محالة وقوله ﷺ هذا دليل علىٰ قوله ولولا كراهيّة الغَدر فكأنّه قيل له ولِمَ تكره الغَدر فقال ﷺ في الجواب ولكن كلّ غَدرةٍ فَجرة الىٰ آخر ما قال واذا كان الدّهاء عاقبته هكذا فحاله معلوم.

▫ **قوله ﷺ: وَاللّهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ وَلاَ أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ...**

بعد ما أثبت ﷺ لمعاوية المكر والخُدعة والغَدر أفاد في المقام أنّ مَكر معاوية وأصحابه لا يؤثر فيه ﷺ ولا يوجب إستغفاله فأنّ عدم إجراء المكر والغفلة شيئ آخر وهو ﷺ كان لا يُجريه لا أنّه كان غافلاً عنه فأنّ المؤمن فَطِنٌ كَيّس وقوله لا أُستغمز أي أنّي لا أُستضعف بالقُوّة الشّديدة فأنّ الضّعف ليس من شئون المؤمن بل هو قوي بقوة الإيمان وحاصل هذه الكلمات أنّي وإن لا أغدر ولا أمكُر ولكنّي لستُ بغافلٍ عن مَكر الماكرين وخُدعة الخادعين وفيه إيماء الىٰ أنّ المؤمن ينبغي أن يكون مُواظباً فأنّ أعداءه كثيرة في كلّ عصر وزمانٍ والمُسامحة والغفلة عن مكر الأعداء ليست من شأن المؤمن واللّه تعالىٰ هو المُوّفق والمُعين وما النّصر إلّا من عنده:

و من كلام له عليه السلام (٢٠٠)

▫ قوله عليه السلام: أَيُّهَا النَّاسُ لاَ تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَىٰ لِقِلَّةِ أَهْلِهِ فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ مَائِدَةٍ شِبَعُهَا قَصِيرٌ وَجُوعُهَا طَوِيلٌ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَاءُ وَالسُّخْطُ وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمُّوهُ بِالرِّضَا فَقَالَ سُبْحَانَهُ (فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ) فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ خُوَارَ السِّكَّةِ الْمُحْمَاةِ فِي الْأَرْضِ الْخَوَّارَةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَ الْمَاءَ وَمَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي التِّيهِ!

◁ اللغة

(**السُّخط**) بضّم السّين ضدّ الرّضا (**عَقَرَ**) العقر قطع عرقوب النّاقة (**خَارَتْ**) أي صوّتت (**الْخَوَّارَةِ**) أي السّهلة اللّينة (**التِّيهِ**) بكسر التّاء المشدّدة المفازة الّتي لا علاقة فيها:

◁ المعنىٰ

(**أَيُّهَا النَّاسُ لاَ تَسْتَوْحِشُوا**) أي لا تكونوا علىٰ وحشةٍ وخوفٍ (**فِي طَرِيقِ الْهُدَىٰ**) والصّراط المُستقيم (**لِقِلَّةِ أَهْلِهِ**) أي لأجل قلّة أهل الهُدىٰ (**فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا**) في الدّنيا (**عَلَىٰ مَائِدَةٍ**) وهي الدّنيا ونعمها (**شِبَعُهَا قَصِيرٌ**) أي

قليل المُدّة (**وُجُوعُهَا**) بعد المَوت (**طَوِيلٌ**) في الآخرة، (**أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ**) في الدّنيا (**الرِّضَاءُ**) بشئٍ (**وَالسُّخْطُ**) عنه لعدم خلُو النّاس عنهما، (**وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ**) من قوم صالح النّبي لا كلّهم (**فَعَمَّهُمُ اللّٰهُ بِالْعَذَابِ**) أي إبتلاهم الله جميعاً به (**لَمَّا عَمُّوهُ بِالرِّضَا**) أي لمّا رضوا بعقر ناقة (**فَقَالَ سُبْحَانَهُ فَعَقَرُوهَا**) النّاقة (**فَأَصْبَحُوا**) في ديارهم (**نَادِمِينَ**) ولم ينفعهم النّدم (**فَمَا كَانَ اِلَّا أَنْ خَارَتْ**) وصوّتت (**أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ خُوَارَ السِّكَّةِ الْمُحْمَاةِ فِى الْأَرْضِ الْخَوَّارَةِ**) السّهلة اللّينة (**أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ**) التّي لا خفاء فيها ولا إعوجاج لها (**وَرَدَ الْمَاءَ**) لا محالة فلا يضّل فيها (**وَمَنْ خَالَفَ**) الطّريق (**وَقَعَ فِى التِّيهِ**) أي الأرض التّي لا علاقة فيها لِلإهتداء بها:

◁ الشرح

▫ **قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ لاَ تَسْتَوْحِشُوا فِى طَرِيقِ الْهُدَىٰ لِقِلَّةِ أَهْلِهِ...**

الوَحشة، الخلوة، الخَوف، (أو إنقباض القلب من الخلوة) الإنقطاع، بُعد القلب عن المَوَدّات:

والمعنىٰ لا تَستَوحشُوا أي لا تجعلوا الوحشة والخوف في قلوبكم اذا كنتم فِي طريق الهُدىٰ لأجل قلّة أهله وأنّما قال ﷺ ذلك لأنّ العادة جارية بإستيحاش النّاس من الوَحدة ألا ترىٰ أنّ من يقصد السّفر الىٰ مكانٍ آخر يستوحش منه إذا كان وَحده ولا سيّما الأسفار البعيدة ولأجل ذلك قيل الرّفيق ثمّ الطّريق .

وهكذا يكون حال أكثر النّاس في السّفر المعنَوي أعني به الدّين أيضاً فاذا رأوا أكثر النّاس يمشون علىٰ خلافهم يقولون لو كنّا علىٰ الحقّ لما تركونا وحيث أنّ النّاس تركوا مَسلَكنا وأخذوا مَسلَكاً آخر فيُعلَم منه أنّهم علىٰ الحقّ ونحن علىٰ الباطل وهذا من إستدلال العوام الّذين يعرفون الحقّ بالرّجال.

وأمّا الخَواص فيَعلمون أنّ الحقّ لا يعرف بالرّجال بل ينبغي أن يُعرَف

الحقّ أوّلاً ثمّ يُعرَف به الرّجال والىٰ هذا المعنىٰ أشار ﷺ في المقام فقال لا تَستَوحشُوا ولا تَضطربوا في دينكم لقلّة أهله:

▫ قوله ﷺ: **فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ مَائِدَةٍ شِبَعُهَا قَصِيرٌ وَجُوعُهَا طَوِيلٌ ...**

إستَدل ﷺ علىٰ ما ذكره بما حاصله أنّ عمل النّاس ومَسلَكهم ليس بحُجَّة لا عقلاً ولا شرعاً وذلك لأنّهم إجتمعُوا علىٰ مائدةٍ وطعام شبعها قصير وجوعها طويل أي قصير مُدّته كثير بعدها نَدمه وهذا شأن الدُّنيا قال مولانا الحُسين ﷺ النّاس عبيد الدّنيا والدّين لَعقٌ علىٰ ألستهم فإذا مُحصّوا بالبلاء قلّ الدّيانون ومن كان هذا شأنه فلا يُعتَنىٰ بِعَمله وحيث أنّ أهل الدّنيا كانوا عبيد الدّنيا فلا محالة يَمشون خَلفها ويأخذون بحطامها أينما وُجدت ولا إعتناء لهم بالدّين إلّا بظاهره لِيَحقنُوا به دمائهم ويحفظوا به أموالهم وأعراضهم فإذا تعارض الدّين والدّنيا يأخذون بها ويتركون الدّين فلا جرم يكون أهل الحقّ قليلاً وأهل الباطل كثيراً ولم يَعلموا أنّ الإلتّذاذ بالدّنيا لا دوام له بل هو قَصير المُدّة جدّاً ثمّ بعدها النّدم والحَسرة الىٰ ما شاء اللّه.

روي مُسلم بن قيس قال سمعت عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب قال قال لي معاوية ما أشدّ تعظيمك للحسن والحُسين ماهما بخير منك ولا أبوهما بخيرٍ من أبيك ولو لا أنّ فاطمة بنت رسُول اللّه لَقلت ما أُمّك أسماء بنت حُميس بدونها قال فَغضبتُ من مقالته وأَخذني ما لا أملك فقلت أنك قليل المعرفة بهما وبأبيهما وبأُمّهما بلىٰ واللّه هما خيرٌ منّي وأبوهما خيرٌ من أبي وأُمّهما خيرٌ من أُمّي ولقد سمعتُ رسول اللّه فيهما وفي أبيهما وأنا غلام فَحفظته منه ووَعيتُه فقال معاوية وليس في المجلس غير الحسن والحُسين وابن جعفر وابن عبّاس وأخيه الفضل هات ما سمعت فَواللّه ماأنت بكَذّاب فقال أنّه أعظم ممّا في نفسك قال وأن كان أعظم من أُحُد وحَراء فأنّه ما لم يكن أحد من أهل الشّام لا أُبالي عمّا اذا قتل اللّه طاغيتكم وفَرّق جَمعكم

وصار الأمر في أهله ومَعدنه فلا نُبالي ما قُلتم ولا يضّرنا ما إدّعيتم قال عبد الله بن جعفر:

سمعتُ رسُول اللّه ﷺ يقول أنا أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم ومن كُنت أولىٰ به من نفسه فأنت يا أخي أولىٰ به من نفسه وعليٌّ بَين يَديه وفي البيت فاطمة وأُمّ أيمن وأبو ذر والمقداد والزّبير وضَرب رسول اللّه علىٰ عضده وأعاد ما قال فيه ثلاثاً ثمّ نصّ علىٰ الأئمّة تمام الأثني عشر إمام كلّهم ثُمّ قال ﷺ ولأمّتي إثني عَشر إمام ضالّ مضّل عشرة من بني أُمَية ورجلان من قُرَيش وِزر جميع الإثني عشر وما أضّلوا في أعناقهم ثمّ سمّاهما رسول اللّه وسَمّىٰ العشرة معهما قال معاوية فَسَمّهم لنا قال فلان وفلان وفلان وصاحب السِلسِلة وإبنه من آل أبي سُفيان وسبعة من ولد الحكم بن أبي العاص أوّلهم مروان قال معاوية لأن كان ما قلت حقّاً لقد هَلَكتُ وهَلكت الثّلاثة قبلي وجميع من تولاّهم من هذه الأُمّة ولقد هَلَك أصحاب رسول اللّه ﷺ من المُهاجرين والأنصار والتّابعين غيركم أهل البيت وشيعتكم قال بن جعفر أنّ الّذي قلت واللّه حقّ سمعته من رسول اللّه.

قال معاوية للحسن والحُسين وابن عبّاس ما يقول ابن جعفر قال ابن عبّاس ومعاوية بالمدينة أوّل سنةٍ إجتَمع عليه النّاس بعد قتل علّي أرسِل الىٰ الّذي سمّىٰ فأرسل الىٰ عُمر بن أُمّ سلمة وأُسامة فَشهدوا جميعاً أنّ الّذي قال ابن جعفر حقّ قد سمعوا من رسول اللّه كما سَمِعه ثمّ أقبل معاوية الىٰ الحسن والحُسين وابن عبّاس والفضل وابن أُمّ سلمة وأُسامة فقال كُلّكم علىٰ ماقال ابن جعفر قالوا نعم قال معاوية فأنّكم يابني عبد المُطّلب لتّدعُون أمراً عظيماً وتَحتّجُون بحُجّةٍ قوّية أن كانت حقّاً وأنّكم لتَصبرون علىٰ أمرٍ تَسّرونه والنّاس في غَفلةٍ وعمىٰ ولأن كان ماتقولون حقّاً لقد هَلكت الأُمّة ورَجعت عن دينها وكَفرت بربّها وجَحدت نبيّها إلّا أنتم أهل البيت ومن قال بقولكم وأُولئك قليل في النّاس فأقبل ابن عبّاس علىٰ معاوية فقال قال

اللّه: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[1] وقال وقليل ما هم وما تعجب منّي يامعاوية أعجب من بني إسرائيل أنّ السّحرة قالوا لفرعون فَأقض ماأنت قاض فآمنوا بمُوسىٰ وصدّقوه ثمّ سار بهم ومن إتّبعهم من بني إسرائيل فأقطعهم البحر وأراهُم العَجائب وَهُم مُصّدقون بمُوسىٰ وبالتّوارة يُقرّون له بدينه ثمّ مَرّوا بأصنام تُعبد فقالوا يامُوسىٰ إجعَل لنا إلٰهاً كما لهم آلهة قال أنكم قوم تَجهلون وعَكفوا علىٰ العجل جميعاً غير هٰرون فقالوا هذا إلٰهكم وإله مُوسىٰ وقال لهم مُوسىٰ بعد ذلك إدخلوا الأرض المُقدّسة فكان من جوابهم ماقصّ الّه عزّ وجلّ عليهم فَقال موسىٰ: ﴿رَبِّ إِنّي لا أَمْلِكُ إلاّ نَفْسي وَأَخي فَافْرُقْ بَيْنَنا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفاسِقينَ﴾[2] فما أتباع هذه الأُمّة رجالاً سوّدوهم وأطاعوهم لهم سوابق مع رسول اللّه ومنازل قريبة منه وأصهار مقّرين بدين مُحمّد وبالقرآن حَمَلهم الكِبر والحَسَد أن خالفوا إمامهم ووليهم، بأعجب من قوم صاغوا من حلّيهم عجلاً ثمّ عَكفوا عليه يعبدونه ويسجدون له ويزعمون أنّه ربّ العالمين وإجتمعوا علىٰ ذلك كلّهم غير هٰرون وحده وقد بقىٰ مع صاحبنا الّذي هو من نبّينا بمنزلة هٰرون من موسىٰ من أهل بيته ناس سلمان وأبو ذرّ والمقداد والزّبير ثمّ رجع الزّبير وثبت هؤلاء مع إمامهم حتّىٰ لَقُوا اللّه الحديث «بحار الأنوار ج ١٠ ص ١٢٣»...

أقول: غَرضنا من ذكر الحديث بطوله هو إثبات أنّ أهل الحقّ قليل في كلّ زمان فإذا كان هذا حال النّاس في صدر الإسلام وقد رأوا نَبّيهم بأعينهم وشاهدوا مُعجزاته وكراماته وهكذا في قلّة الإيمان والإعتقاد بالحقّ فما ظنّك بالنّاس في القرون التّالية الىٰ زماننا هذا وأنّي أظنّ ظنّاً قريباً بالعلم أنّ غَرض الإمام عليه السلام في هذا المقام من قوله لا تَستَوحشُوا في طريق الهُدىٰ الخ هو هذا المعنىٰ اي لا تَستَوحشُوا في طريق الإمامة والوصاية لقلّة أهله فأنّ النّاس كما قال الصّادق عليه السلام إرتدّوا ورجعوا الىٰ القَهقري إلّا ثلاثة أو سَبعة وقد رأيت أنّ

١- السباء- ١٣ — ٢- المائده ٢٥.

ابن عبّاس أيضاً صرح به حيث قال وثبت هؤلاء الثّلاثة وحاصل الكلام هو أنّ الملاك هو الحقّ لا الأفراد والحقّ كان مظلوماً مقهوراً والباطل منصوراً والوجه ماقاله الإمام عليه السلام وهو أنّ الدّنيا قد غرّتهم وقد خاب من إفترىٰ.

▫ قوله عليه السلام: **أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَاءُ وَالسُّخْطُ وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ اللّٰهُ بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمُّوهُ بِالرِّضَا فَقَالَ سُبْحَانَهُ (فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ) فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ خُوَارَ السِّكَّةِ الْمُحْمَاةِ فِي الْأَرْضِ الْخَوَّارَةِ ...**

ثمّ خاطبهم ثانياً تأييداً لما ذكره أوّلاً من قلّة رجال الحقّ بقوله أيّها النّاس أنما يَجمع النّاس في شيءٍ واحدٍ الرّضا والسّخط أي رضاهم به وسَخطهم له وذلك لأنّ النّاس لا يخلو حالهم من هذين الأمرين فإذا حدث حادث فأمّا أن يكون النّاس راضينَ به أو ساخطين له أو بعضهم راضون وبعضهم ساخطُون والأوّلين محال عادةً إذ لم يتّفق رضاية كلّ النّاس في موردٍ أو سخطهم كذلك لتفاوت النّيات وإختلاف الطّبائع في الرّضا والسّخط فيبقىٰ في المقام رضا بعض وسخط بعضٍ وهذا هو مورد إجتماع كلّ النّاس فيه ولأجل هذا قال عليه السلام أنّما يجمع النّاس الرّضا والسّخط وكلمة أنّما تفيد الحَصر وقد أثبتنا أنّ الحَصر عقلي ولا تجد مورداً جامعاً بين النّاس غير الرّضا والسّخط والمقصود من هذا الكلام الإشارة الىٰ دقيقةٍ وهي أنّ أهل الحقّ لقلّتهم في النّاس وظيفتهم الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر في صُورة وجود الشّرائط لا أن يسكتُوا بزعم أنّهم علىٰ الحقّ فلا يصل اليهم العذاب وذلك لوجهين:

أحدهما: أنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر من الواجبات الشّرعية الّتي يجب على كلّ مكلّفٍ القيام به بشرائطه وحيث أنّ أهل الباطل يحتاجون اليه فيجب علىٰ العارفين بالحقّ إيقاظهم عن نوم الغَفلة ومن ترك الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر بعد وجود شرائطه فقد أثم وأخطأ هذا بالنّسبة الىٰ الأخرة والتّكاليف الشّرعية.

وثانيهما: أنّهم أي أهل الحقّ لو تركوه وعَطّلوه لم يأمنوا عن العَذاب النّازل من اللّه تعالىٰ في الدّنيا أيضاً فهُم مع أهل الباطل يعذّبون بعذابهم ويهلكون بهلاكهم وليس ذلك إلّا لسكُوتهم من غير مُجَوزٍ عقليٍ أو شَرعي والىٰ هـذا المعنىٰ أشار ﷺ بقوله وأنّما عَقر ناقة ثَمُود رجل من قوم صالح النّبي لا كلّهم فَعمّهم وشملهم العذاب جميعاً لمّا عمّوه بالرّضا أي لمّا صار أهل الحقّ راضياً بفعل أهـل الباطل فَمن رضـي بـفعل قـومٍ فـهو مـنهُم فـقال سُبحانه فـي كتابه: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ (١) ولم يقُل وعَقَرها فنسبة الفعل الىٰ الكلّ ليست إلّا لرضاهم به فما كان أي لم يطل الزّمان إلّا أن خارت وصوّتت أرضهم بالخسفة فَخَسَفت بهم خوار السّكة المحمّاة، اي كَصَوت السّكة المحمّاة في النّار أو في الأرض الخّوارة أي السّهلة اللّينة والحاصل مالَبَثُوا إلّا قليلاً ثمّ أُخِذوا بذنبهم أَخذ عزيزٍ مُقتدر:

وأمّا كيفية القصّة: فإعلم أنّ ثَمُود بفتح الثّاء إسم قبيلة وهو فَعول من الثّمْد بسكُون الميم وهو الماء القليل الّذي لا مادّة له ومنه قيل فلان مَثمود وثَمدته النّساء أي قَطعت مادّة ماءه لكثرة غشيانه لهنّ وأيضاً يقال مثمود اذا كثر عَليه السّؤال حتّىٰ فَقَد مادّة ماله وقيل هو عجمي وقيل هو عربي ومنع صَرفه لكونه إسم قبيلة قاله الرّاغب في المُفردات وعليه فقوم ثمود أي قـوم قـبيلة ثـمود ورسُولهم الّذي أُرسل اليهم كان يُسمّىٰ بالصّالح. وهو أيضاً كان منهم كما قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢)

و: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٣)

١- الشعراء ـ١٥٧
٢- الاعراف ـ ٧٣
٣- الاعراف ـ٧٤

و : ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ، قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ، فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَاصَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ. فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ. فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ (١)

قال الله تعالى الى في موضع آخر: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ (٢)

و : ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ، فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ (٣)

و : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ، فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ (٤)

و : ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ (٥)

و : ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ (٦)

و : ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ﴾ (٧) فهذه الآيات وغيرها ممّا لم نذكره مُصّرحة بأصل القصّة وما شهد القرآن بوجوده لا كلام في صحّته مضافاً الى أنّ هذه القصّة وأمثالها لو لم تؤخذ من القرآن وكلمات المعصومين لا يُعتمد عليها فأنّ التّاريخ قاصرٌ عن نقلها لكونها قبل التّاريخ وكيف كان إذا عرفت أصل وجودها بشهادة الكتاب نذكر لك تفصيلها عن الأخبار لعرف حقيقّتها وما وقع بهم من العذاب فنقول:

روي في البحار أنّ الله تبارك وتعالى بعث صالحاً الى ثمود وهو ابن ستة عشر سنة لا يجيبُونه الى خير وكان لهم سبعون صنماً يعبدونها من دون الله فلما رأى ذلك منهم قال لهم يا قوم بُعثت اليكم وأنا ابن ستة عشر سنة وقد بلغت عشرين ومائة سنة وأنا أعرض عليكم أمرين أن شئتم فأسئلوني حتّى

١- الاعراف ـ ٧٩=٧٥
٢- القمر ـ ٢٣
٣-الحاقة ـ ٤/٥
٤- البروج ـ ١٨
٥- الفجر ـ٩
٦- الشّمس ـ ١١
٧- الذّاريات ـ ٤٣

أسْئل إلٰهي فيُجيبكم وأن شئتم سألت آلهتكم فأن أجابتني خرجت عنكم فقالوا أنصَفتَ فأمهلنا فأقبلوا يتَعبدون ثلاثة أيّام ويتَمسحون الأصنام ويذبّحون لها وأخرجوها الىٰ سفح الجبل وأقبلوا يتّضرعون اليها فلّما كان يومِ الثّالث قال لهم صالح قد طال هذا الأمر فقالوا له سَل ما شئت فدَنىٰ الىٰ أكبر صنمٍ لهم فقال ما إسمكَ فلم يُجيبه فقال لهم ماله لا يُجيبني قالوا له تنّح عنه فتنَحىٰ عَنه فأقبلوا اليه ينُضرعون ووضَعوا علىٰ رؤوسهم التّراب وضَجُّوا وقالوا فَضَحتَنا ونكَّست رؤوسنا فقال صالح قد ذهب النّهار فقالوا سَله فَدنا منه فكلّمه فلم يُجيبه فبَكوا وتضَّرعوا حتّىٰ فعلوا ذلك ثلاث مرّات فلم يُجيبه بشيٍ فقالوا أنّ هذا لا يُجيبكَ ولكنّا نسئل إلٰهَكَ فقال لهم سلُوه ما شئتم فقال سَله يَخرج لنا من هذا الجبل ناقة حمراء شقراء عشراء أي حاملة تضرب مَنكبيها طَرَفي الجَبل (الجَبلين) .

وتُلقي فصيلتها من ساعتها وتدَر لَبنها فقال صالح أنّ الّذي سألتموني عندي عظيم وعند اللّه هيّن فقام وصلّىٰ رَكعتين ثمّ سَجد وتضَرع الىٰ اللّه فما رفَع رأسه حتّىٰ تصَدع الجبل وسمعوا له دوّياً شديداً فَزعوا منه وكادوا أن يَموتوا منه فطَلَع رأس النّاقة فلمّا خرجت ألَقت فصيلها ودرّت بلَبنها فَبُهتوا وقالوا قد علمنا يا صالح أنّ ربّك أعزّ وأَقدر من آلهتنا الّتي نعبدها وكان لقريتهم ماءٍ وهي الحجِر الّتي ذكرها اللّه في كتابه وهو قوله تعالىٰ: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾[1] فقال لهم صالح لهذه النّاقة شربٌ أي تشرب ماءٌكَم يوماً وتدَر لَبنها عليكم يوماً وهو قوله عزّ وجلّ:﴿لها شربٌ ولكم شربُ يوم معلوم ولا تمسّوها بسُوء فياخذكم عذاب يومٍ عظيم﴾ فكانت تشرب ماؤهم يوماً واذا كان من الغَد وقفَت وَسَط قَريتهم فلا يبقىٰ في القرية أحد إلّا حلب منها حاجته وكانت فيهم تسعة من رؤسائهم كما ذكر اللّه في النّمل: ﴿وَكَانَ فِى الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾[2] فعقروا النّاقة ورموها حتّىٰ قتلوها وقتلوا الفصيل فلمّا عقروا النّاقة قالوا لصالح (ائتنا بما تعدنا ان كنت من

١- الحجر ـ ٨٠
٢- النمل ـ ٤٨

الصّادقين، قال صالح ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾[1] ثمّ قال لهم وعلامة هلاككم أنه تبيض وجوهكم غداً وتحمّر بعد غدٍ وتسوّد يوم الثّالث فلمّا كان من الغد نظروا الى وجوههم قد إبيَضّت مثل القطن فلمّا كان يوم الثّاني إحمرّت مثل الدّم فلّما كان يوم الثّالث إسودّت وجوههم فبعث الله عليهم صَيحة وزلزلَة فهلكوا وهو قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾[2] فما تخلّص منهم غير صالح وقوم مستضعفين مؤمنين وهو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ، وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ، كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْداً لِثَمُودَ﴾[3] انتهى« ج ٥ ص ١٠٦»...

وفي حديثٍ آخر عن أبي عبد الله عليه السلام بعد ما ذكر فيه قصّة صالح وخرُوج النّاقة عن الصّخرة قريباً ممّا ذكرناه الى آخر الحديث قال عليه السلام فيمن عقر النّاقة ما لفظه فمكثوا بذلك ما شاء الله ثمّ أنّهم عتوا على الله ومشى بعضهم الى بعضٍ وقالوا أعقروا هذه النّاقة وإستريحوا منها لا نرضى أن يكون لنا شرب يوم ولها شرب يوم ثمّ قالوا من الّذي يلي قتلها ونجعل له ما أحبّ فجاءهم رجل أحمر أشقر أزرق ولد زنا لا يُعرف له أبٌ يقال له (قِدار) شقّي من الأشقياء فَجَعلوا له جعلاً فلمّا توجّهت النّاقة الى الماء الّذي كانت ترده تركها حتّى شَرِبت الماء وأقبلت راجعة فقَعدَ لها في طريقها فضربها بالسّيف ضربة فلم تعمل شيئاً فضربها ضربةً أُخرى فقتلها وخرّت الى الأرض على جَنبها وهرب فصيلها حتّى صعد الى الجَبَل فَرغاً ثلاث مرّات الى السّماء وأقبل قوم صالح فلم يبق أحد إلّا شركه في ضربته وإقتسموا لَحمَها فيما بينهم فلم يبق منهم صغير ولا كبير إلّا أكل منها فلمّا رأى ذلك صالح أقبل اليهم فقال يا قوم ما

١- هود ـ ٦٤

٢- الاعراف ـ ٧٨

٣- هود ـ ٦٨/٦٧/٦٦

دعاكم الىٰ ما صَنعتم أعَصيتم ربّكم فأوحىٰ اللّه تعالىٰ الىٰ صالح أنّ قومك قد طَغوا وبَغوا وقتلوا ناقة بَعثها اللّه اليهم حجّة عليهم ولم يكن عليهم فيها ضَرر وكان لهم أعظم المنفعة فقل لهم أنّي مُرسل اليكم عذابي الىٰ ثلاثة أيّام فأن هم تابوا ورجعوا قبلت توبتهم وصددتُ عنهم وأن هم لم يتوبوا ولم يرجعوا بَعثت عليهم عذابي في اليوم الثّالث فأتاهم صالح فقال لهم يا قوم أنّي رسول ربّكم اليكم وهو يقول لكم أن أنتم تُبتم ورجعتم وإستغفرت غفرت لكم فلمّا قال لهم ذلك كانوا أعتىٰ ما كانوا وأخبث وقالوا يا صالح أئتنا بما تعدنا أن كنت من الصّادقين قال يا قوم أنكم تصبحون غداً ووجوهكم مُصفَرة وساق الحَديث الى أن قال فلمّا كان نصف اللّيل أتاهم جبرئيل فصرخ بهم صرخة خرقت تلك الصّرخة أسماعهم وفَلقت قلوبهم وصدعت أكبادهم وقد كانوا في تلك الثّلاثة أيّام قد تحنّطوا وتكفّنوا وعلموا أنّ العذاب نازل بهم فماتوا أجمعين في طرفة عينٍ صغيرهم وكبيرهم فلم يَبق لهم ناعقة ولا راعية ولا شيٌ إلّا أهلكه اللّه فأصبحوا في ديارهم ومضاجعهم مَوتىٰ أجمعين ثمّ أرسل اللّه عليهم مَعَ الصّيحة النّار من السّماء فأحَرقتهم أجمعين وكانت هذه قصّتهم انتهىٰ«ص ١٠٨»...

وفي روايةٍ أُخرىٰ لمّا عقروا النّاقة ندموا علىٰ ما فعلوا وخرجوا يعتذرون الىٰ صالح وقالوا أنّما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح أنظر وهل تدركون فصيلها فأن أدركتموه فعسىٰ أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه في الجبل فلم يجدوه وكانوا عقروها ليلة الأربعاء فقال لهم صالح تمتّعوا في داركم يعني في محلّتكم في الدّنيا ثلاثة أيّام فأنّ العذاب نازل بكم ثمّ قال يا قوم أنكم تصبحون غداً ووجوهكم مُصفَرة «الحديث ص عليه السلام ١٠»...

أقول: هذا الحديث الأخير أوفق وأنسب بكلام أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال فعقروها فأصبحوا نادمين، وأمّا الحديثان المتقدمان فلم يذكر فيهما من ندامتهم شيئاً وكيف كان فالأمر سهل والمهّم في المقام إثبات عقرهم النّاقة وأنّ

العاقر رجل واحد وهو ممّا لا خلاف فيه وليس في الأحاديث ما نسب العقر فيه الىٰ الجميع بل الكلّ مُصَرح بأنّ العاقر كان شَخصاً واحداً والباقين رضوا بفعله ولأجل هذا الرّضا عمّهم العذاب فأصبحوا في ديارهم جاثمين هذا:

بقىٰ في المقام شيئ لا بأس بالإشارة اليه وهو أنّه لِمَ أَشار عليه السلام الىٰ قصّة صالح لإثبات مُدّعاه والقِصص في الباب كثيرة مُضافاً الىٰ أنّ الحكم أعني من رضي بفعل قومٍ فهو منهم، مسلّم لا شكّ فيه فهل كانت الإشارة الىٰ قصّة صالح علىٰ سبيل الإتفاق أو ليس الأمر كذلك بل فيها سرٌ لا يوجد في غيرها من القصص المُتشابهة لَعلَ أكثر العقول علىٰ الأوّل والحقّ خلافه وأنّ في ذكره عليه السلام قصّة صالح إشارة الىٰ حقيقة خُفيت علىٰ جميع الشّراح وهي أنّه عليه السلام شبّه نفسه الشّريفة في الأُمّة بعد الرّسول بصالح النّبي وفِعل قوم صالح بفعل الأُمّة ويدّل علىٰ ما ذكرناه (ما رواه في البحار بأسناده قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله لعلي ابن أبي طالب من أشقىٰ الأوّلين قال عليه السلام عاقر النّاقة قال صدقت فمن أشقىٰ الآخرين قال قلت لا أعلم يا رسُول اللّه قال صلى الله عليه وآله الّذي يضربك علىٰ هذه أشار الىٰ يافوخه.

وعن عمّار بن ياسر قال كنت أنا وعلّي ابن أبي طالب في غزوة العشيرة نائمين في صور من النّخل ودقعاء من التّراب فواللّه ما أهبّنا إلّا رسول اللّه يحركّنا برجله وقد تتربنا من تلك الدّقعاء فقال ألا أحدثّكما بأشقىٰ النّاس رجلين قلنا بلىٰ يا رسول اللّه قال صلى الله عليه وآله أحمر ثمود الّذي عقر النّاقة والّذي يضربك يا علّي علىٰ هذه ووضع يده علىٰ قرنه حتّىٰ يبلّ منها هذه وأخذ بلَحيته انتهىٰ «بحار الأنوار ج ٥ ص ١٠٤»...

وبأسناده عن ابن عبّاس قال خرج رسُول اللّه صلى الله عليه وآله ذات يومٍ وهو آخذ بيد علّي وهو يقول يامعشر الأنصار يامعشر بني هاشم يامعشر بني عبد المُطّلب أنا مُحمّد أنا رسُول اللّه ألا أنّي خُلقتُ من طينةٍ مرحومةٍ في أربعة من أهل بيتي أنا وعلّي وحمّزة وجعفر فقال قائل يا رسول اللّه هؤلاء معَك ركبان

يوم القيامة فقال ثكلتك أُمّك لن يركب يومئذٍ إلّا أربعة أنا وعلّي وفاطمة وصالح نبّي اللّه فأمّا أنا فعلى البراق وأمّا فاطمة ابنتي فعلى ناقتي النّبضاء وأمّا صالح فعلى النّاقة التّي عُقرت وأمّا علّي فعلى ناقة من نوق الجنّة زمامها من ياقوت عليه حلّتان خضراوان فيقف بين الجنّة والنّار وقد ألجم النّاس العرق يومئذ فتّهب ريح من قِبل العرش فتنشّف عنهم عرقهم فتقول الملائكة والأنبياء والصّديقون ما هذا إلّا ملك مُقرّب أو نبّي مُرسل فينادي مناد ما هذا مَلك مُقرّب ولا نبّي مُرسل ولكنّه علّي بن أبي طالب أخو رسُول اللّه في الدّنيا والآخرة انتهى «ص ١٠٥»...

وفي حديث آخر عن الصّادق عليه السلام قال عليه السلام وأنّما مثَل علّي والقائم صلوات اللّه عليهما في هذه الأُمّة مثَل صالح انتهى«ص ١٠٦»... وقد ظَهر من الأحاديث المرّوية سّر إستدلاله عليه السلام بقصّة صالح وعقرقَومه النّاقة مع كونها من آيات اللّه وكانت لهم مُفيدة لا مُضرة وأنّما دعاهم الى عقرها حَسَدهم عليها أو خُبث طينتهم وسُوء سريرتهم وقد فَعلوا في هذه الأُمّة بعلّي وأولاده مثل ما فعلوه بها فقوم صالح عقروا النّاقة وهذه الأُمّة قتلت أولاد الرّسُول وقوم صالح لم يَسمعوا ما أوصاهم به في حقّ النّاقة والأُمّة لم تسمع بما أوصاهم الرّسول في أهل بيته وهكذا:

▫ قوله عليه السلام: **أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَ الْمَاءَ وَمَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي التِّيهِ...**

الطّريق الواضح عبارة عن الدّين والمقصود أنّ من سلك الدّين ولا ينحرف منه وَرَد الماء الحياة شبّه عليه السلام ما يحصل لِلإنسان في متابعة الدّين من المعارف والحقائق والوصول الى مقام القُرب الّذي فيه الحياة الأبدية بالماءِ الّذي به حياة كلّ موجود حيٍ والسّالك في طريق الدّين بالسّالك الماشي الى المَشرَب لشرب الماء فكما أنّ العطشان لا يصل الى الماء وشربه في صُورة الإنحراف عن الطّريق ويقع في التّيه أعني به المفازة الخالية من الماء والكلأ ويهلك من

العطش كذلك من خالف الجّادة الوسطىٰ والطّريق المُستقيم في دينه فهو يهلك لا محالة ولا يصل الىٰ الماء الحقيقي الّذي به يَسكن عطش الجهل والضّلالة أبداً والتّعبير بالتّيه إشارة بقوم موسىٰ عليه السلام حيث وقعوا في التّيه بعدم مُتابعتهم لمُوسىٰ في قوله وفعله وفي كلامه عليه السلام هذا إيماء الىٰ أنّ الأُمّة بعد الرّسُول بعدم متابعتهم له وقعوا في التّيه مع أنّ عليّاً عليه السلام كان فيهم كما أنّ قوم موسىٰ وقعوا فيه ومُوسىٰ معهم والوجه أنّهم تابعوا أهوائهم وأنفسهم ومُجّرد كون مُوسىٰ معهم لا يفيد اذا لم يقبلوا قوله وهكذا كان علّي عليه السلام في الأُمّة فانّهم وقعوا في تيه الضّلالة اذ لم يقبلوا قوله عليه السلام ولم يُراعوا فيه ما أوصاهم الرّسول به:

والطّريق الواضح طريق علّي عليه السلام فَمن تخلّف عن طريقه وقع في الضّلالة:

وقد روي في المناقب عن الباقر عليه السلام في قوله تعالىٰ:﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾(١) قال، التّسليم لعلّي بن أبي طالب عليه السلام بالولاية وعن الباقر والصّادق عليه السلام في قوله تعالىٰ:﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾(٢) قالا الدّين علّي ابن أبي طالب...

وعن الباقر عليه السلام في قوله تعالىٰ:﴿ أنّ الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات لهم أجرٌ غير ممنون﴾ علّي بن أبي طالب قلت ﴿فما يكذبك بعد بالدّين﴾ قال عليه السلام الدّين أمير المؤمنين، وفي قوله تعالىٰ:﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾(٣) علّي عليه السلام وروي أنّه نَزل فيه ﴿ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾(٤)

وعن زين العابدين وجعفر الصّادق عليه السلام قالا: ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾(٥) أي أدخلوا في الإسلام كافّة في ولاية علّي، ولا تتّبعوا خطُوات الشّيطان، أي لا تتّبعوا غيره والأحاديث كثيرة ولنعم ما قيل:

١- آل عمران- ١٩
٢- الذّاريات ـ ٥/٦
٣- البقرة ـ ١٣٢
٤- التوبه ـ ٣٦
٥- البقرة ـ ٢٠٨

تولّىٰ الشّباب وجاء المَشيب فأيقظني فعرفتُ الطّريقا
فتمّمته قاصداً لِلّذي له أخذَ اللّه أخذاً وَثيقاً
وأكدّه المُصطفىٰ مُوجباً له كلّ وقتٍ عليه حقوقاً
وواخاه من دون أصحابه وكان بذلك منه حقيقاً
وزوجّه المُصطفىٰ فاطما وكان عليه عطُوفاً شفيقاً

قال الصّادق عليه السلام في قوله تعالىٰ أفَمن يمشي مكّباً علىٰ وجهه أهدىٰ أي أعداؤهم أم من يمشي سوّياً علىٰ طراطٍ مستقيم قال عليه السلام سلمان والمقداد وعمّار وأصحابه، وأنّ هذا صراطي مستقيماً، يعني القرآن وآل مُحمّد...

وعن علّي بن الحسين عليه السلام في قوله واللّه يدعوا الىٰ دار السّلام، يعني به الجنّة ويهدي من يشاء الىٰ صراطٍ مُستقيمٍ يعني بولاية علّي بن أبي طالب، وقال جابر بن عبد اللّه أنّ النبّي هَيأ أصحابه عنده إذ قال وأشار بيده الىٰ علّيٍ عليه السلام هذا صراطٌ مستقيم فإتّبعوه الآية فقال النّبي كفاك ياعَدوي، وقال بن عبّاس كان رسُول اللّه يحكم وعلّي بين يديه مقابله ورجل من أصحابه عن يمينه ورجل عن شماله فقال صلى الله عليه وآله اليمين والشّمال مضّلة والطّريق المستوي الجادّة ثمّ أشار بيده الىٰ علّيٍ وقال أنّ هذا صراط علّيٍ فإتّبعوه...

قال الحميرى:

سمّاه جبّار السّماء صراط حقٌ فسما
فقال في الذّكر وما كان حديثاً يُفترىٰ
هذا صراطي فإتّبعوا وعنهم لا تتخدعُوا
فخالفوا ما سمِعُوا والخلف ممّن شرعوا
وإجتمعوا وإتّفقوا وعاهدوا ثمّ إتّقوا
أن مات عنهم وبقوا أن يهدموا ما قد بنوا

وله أيضاً:

وأنت صراطه الهادي اليه وغيرك ما ينّجي السّالكينا

وأيضاً:

ولـه صـــراط اللّــه دون عــباده　　مــن يـهده يُـرزق تـقىً ووقـاراً
في الكُتب مسطُور مجّلىً بإسمه　　وبـنعته فـإسأل بـه الأحــبارا

وقال العَوني:

إمـــامي صـــراط اللّــه مــنهاج قـصده
إذا ضّل من أخـطأ الصّـواب عـن السّبل

ولأجل هذا قال عليّ عليه السلام في بعض كلماته في قوله وإبتغوا اليه الوسيلة، أنـا وسيلته ووُلدي ذرّيته:

ومن كلام له عليه السلام (٢٠١)

عند دفن الزهراء عليها السلام

▫ قوله عليه السلام: اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَارَسُولَ اللَّهِ عَنِّى وَعَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِى جِوَارِكَ وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ قَلَّ يَارَسُولَ اللَّهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِى وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِى اِلَّا أَنَّ فِى التَّأَسِّى بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ مَوْضِعَ تَعَزٍّ فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِى مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِى وَصَدْرِى نَفْسُكَ ﴿اِنَّا لِلّهِ وَاِنَّا اِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ فَلَقَدْ اِسْتَرْجِعَتِ الْوَدِيعَةُ وَأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ أَمَّا حُزْنِى فَسَرْمَدٌ وَأَمَّا لَيْلِى فَمُسَهَّدٌ اِلىٰ أَنْ يَخْتَارَ اللَّهُ لِى دَارَكَ الَّتِى أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ وَسَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ بِتَظَافُرِ أُمَّتِكَ عَلىٰ هَضْمِهَا فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ وَاسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ هٰذَا وَلَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمَا سَلاَمَ مُوَدِّعٍ لاَ قَالٍ وَلاَ سَئِمٍ فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلاَ عَنْ مَلاَلَةٍ وَأَنْ أُقِمْ فَلاَ عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ الصَّابِرِينَ .

◁ اللّغة

(تَجَلُّدِي) التّجلد على وزن التّفعّل القّوة والشدّة (فَادِحِ) الفادح الثّقل (تعَزٍ) التّعزي التّصبر (فَمُسَهَّد) فمُؤرّق وهو السّهر ضدّ النوم (هَضْمِهَا) أي ظُلمها (فَأَحْفِهَا) إحفاء السّؤال الإستقصاء فيه (قال) القالّي المُبغض (ولا سأم) والسّأم من السّأمة وهي الملالة:

◁ **المعنىٰ**

(**اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَارَسُولَ اللّهَ عَنِّى**) أي عن قِبلي (**وَعَنْ ابْنَتِكَ**) وعن قِبل إبنتك (**النَّازِلَةِ فِي جَوارِكَ**) بالمَوت (**وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ**) لقلّة مدّة حياتها بعد الرّسول ﷺ (**قَلَّ**) وقصر (**يَارَسُولَ اللّهَ عَنْ صَفِّيَتِكَ**) أي عن موتها وفراقها (**صَبْرِى وَرَقَّ**) وضعف (**عَنْهَا تَجَلُّدِى**) وقوّتي.

(**اِلَّا أَنَّ فِى التَّأَسِّى**) والإقتداء (**بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ**) وموتك (**وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ**) ولعلّها (**مَوْضِعَ تَعَزٍّ**) أي تَصَبُّرٍ (**فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ**)ووضعتك بيدي (**فِى مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ وَفَاضَتْ**) وسالت (**بَيْنَ نَحْرِى وَصَدْرِى نَفْسُكَ**) وذلك لمّا مرّ أنّه ﷺ مات ورأسه علىٰ صدره ﴿**إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾[1] **فَلَقَدْ اِسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَةُ**) وهي فاطمة عليها السلام الىٰ الرّسول فأنّها كانت وديعة عنده. (**وَأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ**) أخذها راهنها (**أَمَّا حُزْنِى**) وهمي (**فَسَرْمَدٌ**) لا نهاية له (**وَأَمَّا لَيْلِى فَمُسَهَّدٌ**) فلا نوم لي فيه (**اِلىٰ أَنْ يَخْتَارَ اللّهُ لِى دَارَكَ الَّتِى أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ**) وهي الجنّة والمقصود الىٰ أن يختار الله لي المَوت (**وَسَتُنَبِّئُكَ**) وتخبرك (**ابْنَتُكَ بِتَظَافُرِ أُمَّتِكَ عَلىٰ هَضْمِهَا**) وظُلمها (**فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ**) وإستقصي فيه (**وَاسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ**) أي طلب منها الخَبَر (**هٰذَا وَلَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ**) بينك وبينها(**وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ**) فأنّ موتها كان قريباً بموتك (**وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمَا سَلاَمَ مُوَدِّعٍ لاَ قَالٍ**) أي لا سلام المُبغض (**وَلاَ سَئِمٍ**) أي ولا سلام الملالة والسّأم (**فَإِنْ أَنْصَرِفْ**) عن جوار قبركما (**فَلاَ عَنْ مَلاَلَةٍ**) أي ليس إنصرافي عنها (**وَإِنْ أُقِمْ فَلاَ عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللّهُ الصَّابِرِينَ**) بل نقول به ونعتقده:

١- البقرة-١٥٦.

◁ الشرح

إعلم أنّ هذا الكلام قد صَدر عنه عليه السلام عند دَفن فاطمة الزَهراء سَلام اللّه عليها وقبل الخوض في شرح كلماته عليه السلام نقدّم لك أُموراً ينبغي التّنبيه عليها في معرفة الزّهراء فنقول:

الأمر الأوّل – في ولادتها عليها السلام ومبلغ عمرها وما يلحق بها الىٰ وفاتها، وُلِدَت فاطمة عليها السلام بمكّة بعد ما أظهر اللّه نبوة نبّينا بخمس سنين وقُريش تبني البيت أبوها رسُول اللّه صلى الله عليه وآله وأُمّها خديجة بنت خُويلَد وكانت ولادتها في العشرين من جمادي الآخرة يوم الجمعة سنة خمس من المَبعث وقيل سنة إثنتين (روي في البحار بأسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال وُلدت فاطمة بنت مُحمّد بعد مبعث رسُول اللّه بخمس سنين وتوفّيت ولها ثماني عشر سنة وخمسة وسبعون يوماً وكان عمرها مع أبيها بمكّة ثماني سنين وهاجرت الىٰ المدينة مع رسُول اللّه صلى الله عليه وآله وأقامت بها عشر سنين مع رسُول اللّه ثمّ أقامت بعد وفاة أبيه مع أمير المؤمنين عليه السلام خمسة وسبعين يوماً وفي روايةٍ أربعين يوماً والأوّل أشهر فكان عُمرها حين وفاتها ثماني عشرة سنة وخمسة وسبعين يوماً وقُبضت في جمادي الآخرة يوم الثّلاثاء لثلاث خَلون منه سنة إحدىٰ عشرة من الهجرة صلوات اللّه عليها...

روي في البحار بأسناده عن المفضل بن عمر قال قلت لأبي عبد اللّه الصّادق عليه السلام كيف كانت ولادة فاطمة قال عليه السلام نعم أنّ خديجة لمّا تزوّج بها رسُول اللّه صلى الله عليه وآله هجرتها نسوة مكّة فكنّ لا يدخلنّ عليها ولا يسلمنّ عليها ولا يتركنّ إمرأة تدخل عليها فإستوحشت خديجة لذلك وكان جزعها وغمّها حذراً عليها فلمّا حملت بفاطمة كانت تحدّثها من بطنها وتصّبرها وكانت تكتُم ذلك من رسُول اللّه فدخل رسُول اللّه يوماً فسمع خديجة تحدّث فاطمة فقال لها يا خديجة من تحدّثين قالت الجنين الّذي في بطني يُحدّثني ويؤنسني قال يا خديجة هذا جبرائيل يخبرني أنّها أُنثىٰ وأنّها النّسلة الطّاهرة الميمونة وأنّ الّه تبارك وتعالىٰ سَيجعَل نَسلي منها وسيجعل من نَسلها أئمّة ويَعلهم

خُلفائه في أرضه بعد إنقضاء وحيه فلم تَزل خديجة علىٰ ذلك الى أن حَضرت ولادتها فَوجّهت الىٰ نساء قُريش وبني هاشم أن تَعالين ليَتلين منّي ما تلي النّساء من النّساء فأرسلن اليها أنت عَصيتنا ولم تَقبلي قَولنا وتَزوّجت مُحمّداً يتيم أبي طالب فقيراً لا مال له فلسنا نَجئ ولا نلي من أمرك شيئاً فإغتّمت خديجة لذلك فَبينا هي كذلك إذ دَخل عليها أربع نُسوة سمر طوال كأنّهن من نساء بني هاشم فَفزعت منهنّ لمّا رأتهنّ فقالت أحدّيهن لا تَحزني ياخديجة إنّا رُسل ربّك اليك ونحن أخواتك أنا سارة وهذه آسية بنت مُزاحم وهي رفيقتك في الجنّة وهذه مريم بنت عمران وهذه صفوراء بنت شُعيب... وفي رواية أُخرىٰ هذه كلثوم أُخت موسىٰ) بَدل صَفورا بنت شُعيب بَعثنا اللّه اليك لنلي منك ما تلي النّساء فَجلست واحدة عن يمينها وأُخرىٰ عن يسارها والثّالثة بين يديها والرّابعة من خَلفها فَوضعت فاطمة طاهرة مطّهرة فلمّا سقطت الىٰ الأرض أشرق منها النّور حتّىٰ دَخل بيوتات مكّة ولم يبق في شرق الأرض ولا غَربها موضع إلّا أشرق فيه ذلك النّور ودَخل عشر من الحُور العين كلّ واحدة معها طشت من الجنّة وإبريق من الجنّة وفي الإبريق ماء من الكوثر فَتَناولتها المرأة الّتي كانت بين يديها فَغسلتها بماء الكوثر وأخرجت خرقتين بيضاوين أشدّ من اللّبن وأطيب ريحاً من المِسك والعَنبر فَلّفتها بواحدة وقنّعتها بالثّانية ثمّ إستَنطقتها فَنطقت بالشّهادتين وقالت أشهدُ أن لا إله إلّا اللّه وأنّ أبي رسُول اللّه سيّد الأنبياء وبعلّي سّيد الأوصياء وولدي سادة الأسباط ثمّ سلّمت علّيهن وسمّت كلّ واحدة بأسمها وأقبَلن يَضحكنّ اليها وتَباشرت الحُور العين وبشّر أهل السّماء بعضهم بعضاً بولادة فاطمة وحدث في السّماء نور زاهر لن تَره الملائكة قبل ذلك وقالت النّسوة خُذيها ياخديجة طاهرة مطّهرة ميمونة زكّية بُورك فيها وفي نَسلها فَتَناولتها فرحةً مُستبشرة وألقمتها ثَديها فَدّر عليها فكانت فاطمة تُنمي في اليوم كما يَنمُىٰ الصّبي في الشّهر وتنمي في الشّهر كما ينمي في السّنة انتهىٰ« بحار الأنوار ج ١٠ ص ١»...

وروي بأسناده عن الهروي عن الرّضا عليه السلام قال قال النبي صلى الله عليه وآله لمّا عُرج بي الىٰ السّماء أَخذ بيدي جبرئيل فأدخلني الجنّة وناولني من رطبها فأكلته فتّحول ذلك نُطفة في صُلبي فلمّا هبطتُ الىٰ الأرض واقعتُ خديجة فحملت بفاطمة ففاطمة حوراء أُنسية فكلّما إشتقت الىٰ رائحة الجنّة شُممتُ رائحة إبنتي فاطمة انتهىٰ« ص ٢»...

ثمّ أنّ ما ذكرناه من كيفيّة ولادتها وإنعقاد نُطفتها أنّما هو بحسب الظّاهر في عالم المادّة وإلّا فنُور فاطمة خَلقت قبل إيجاد العالم كما أنّ نور النبّي وأوصيائه أيضاً كذلك والدّليل عليه:

مارواه في البحار عن سدير الصيرفي عن أبي عبد اللّه عليه السلام عن آبائه قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله خُلق نور فاطمة قبل أن يخلُق الأرض والسّماء فقال بعض النّاس يانبيّ اللّه فَلَيسَت هي إنسّية فقال فاطمة حوراء إنسّية قالوا يانبّي اللّه وكيف حوراء إنسّية قال خلق اللّه عزّ وجلّ نورها من نُوره (خلقها عزّ وجلّ) قبل أن يَخلق آدم إذ كانت الأرواح فلمّا خَلق اللّه عزّ وجلّ آدم وعَرضت علىٰ آدم قيل يانبّي اللّه وأين كانت فاطمة قال كانت في حُقّةٍ تحت ساق العَرش قالوا يانبّي اللّه فما كان طعامها قال التّسبيح والتّقديس والتّهليل والتّمجيد فلمّا خَلق اللّه عزّ وجلّ آدم أخرجني من صُلبه وأحبّ اللّه عزّ وجلّ أن يخرجها من صُلبي جعلها تفّاحة في الجنّة وأتاني بها جبرئيل فقال لي السّلام عليك ورحمة اللّه وبركاته يامُحمّد قُلت وعليك السّلام ورحمة اللّه وبركاته حبيبي جبرئيل فقال يامُحمّد إنّ ربّك يَقرؤك السّلام قُلت منه السّلام واليه يعود السّلام قال يا مُحمّد أنّ هذه تفّاحة أهدايها اللّه عزّ وجلّ اليك من الجنّة فَأخذتها وضَممتها الىٰ صدري قال يامُحمّد يقول اللّه جلّ جلاله كُلها فَفلقتها فرأيت نوراً ساطعاً وفَزعت منه فقال يامُحمّد مالك لا تأكل كُلها ولا تَخف فأنّ ذلك النّور للمنصُورة في السّماء وهي في الأرض فاطمة قُلت حبيبي جبرئيل ولِم سُمّيت في السّماء المنصُورة وفي الأرض فاطمة قال سُمّيت في الأرض فاطمة لأنّها فُطمت شيعتها من النّار وفُطم أعدائها عن

حُبّها وهي في السّماء المنصُورة وذلك قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ ﴾[1] ينصر من يشاء يعني نصر فاطمة لمُحبّيها انتهىٰ « ص ٢»....

أقول: ومن هذا الحديث ظَهر لك وجه تسميتها بفاطمة أيضاً وفي هذا المعنىٰ وَرَدت أحاديث كثيرة:

كما روي في البحار أيضاً بأسناده عن جعفر بن مُحمّد بن علّي عن أبيه قال قال رسول اللّه ﷺ يافاطمة أَتَدرين لِمَ سُمّيتِ فاطمة فقال علّي يارسول اللّه لِمَ سُمّيت قال لأنّها فُطمت هي وشيعتها من النّار انتهىٰ« ص ٦»...

ومن طرق العامّة مارواه في الفضائل الخَمسة من الصّحاح السّتة بأسناده عن ابن عبّاس عن رسول اللّه ﷺ قال وأنّما سمّاها فاطمة لأنّ اللّه فَطمها ومُحبّيها عن النّار انتهىٰ «ج ٣ ص ١٢٩»...

وعن ذخائر العقبي عن علّي قال قال رسول اللّه ﷺ لفاطمة يافاطمة أَتَدرين لِمَ سُمّيتِ فاطمة قال علّي عليه السلام يارسول اللّه لِمَ سُمّيت فاطمة قال أنّ اللّه عزّ وجلّ قد فَطَمها وذُرّيتها عن النّار يوم القيامة انتهىٰ «ص ١٢٩»...

وفيه أيضاً بأسناده عن علّي بن موسىٰ الرّضا قال قال رسول اللّه أنّ اللّه عزّ وجلّ فطم إبنتي فاطمة وولدها ومن أحبّهم من النّار فلذلك سميّت فاطمة انتهىٰ) (وعن كنز العمّال أنّما سميّت فاطمة لأنّ اللّه فطمها ومحبّيها عن النّار انتهى «ص ١٢٩»... والأحاديث بهذا المضمون كثيرة من الطّرفين ويظهر من بعض الأخبار وجه آخر في تسميتها بها:

روي في البحار بأسناده عن الصّادق عليه السلام قال أتدري أي شيئ تفسير فاطمة لأنّها فُطمت من الشّر وأنّما سُمّيت فاطمة لأنّها فُطمت عن الطّمث انتهىٰ «ص ٤»...

وبأسناده عن أبي جعفر قال لمّا ولدت فاطمة أوحىٰ اللّه عزّ وجلّ الىٰ مَلَكٍ فأنطَق به لسان مُحمّدٍ فَسماها فاطمة ثمّ قال أنّي فطمتكِ بالعلم وفطمتكِ عن

---

[1] - الروم-٤.

الطّمث ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام والله لقد فطمها الله تبارك وتعالىٰ بالعلم وعن الطّمث بالمثياق انتهىٰ «ص ٤»...

أقول: لا تُنافي الأخبار واقعاً إذ لا إشكال في كونها فُطمت عن العلم والطّمث والشّرور والآفات والنّار وغير ذلك لدخول كلّ المعاني تحت الفَطم وهو ظاهر كما أنّ أسمائها وألقابها وكُناها كثيرة ولكلٍّ وجهٍ وجيه:

أمّا أسماؤها وألقابها:

اولها فاطمة: وقد مرّ الكلام فيها ووجه تسميتها بها.

وثانيهاالبَتول: سُمّيت بها لإنقطاعها عن نساء زمانها فضلاً وديناً وَحَسباً قاله ابن الأثير في النّهاية مادّة (تَبل) عن أبي صالح المؤذن في الأربعين سُئل رسُول الله صلى الله عليه وآله ما البتول قال الّتي لم تَر حمرة قطّ ولم تَحض:

وثالثها الحصان: ولعلّ الوجه فيه أنّها حصن حصين لمن تولّاها ولاذ بها من نار جهنّم:

ورابعها الحُرّة: لكونها مَصُونة عن العَذاب مأمونة عن النّار:

وخامسها السّيدة: لكونها سيّدة نساء العالمين بنصّ الرّسول فيها فهي السّيدة علىٰ الإطلاق.

وسادسها العذْراء: ولأجل ذلك حرّم الله النّساء علىٰ عليٍّ مادامت حيّة كما في بعض الأخبار.

وسابعها المباركة: لكونها مباركة علىٰ أبيها وعلىٰ اُمّته في الدّنيا والآخرة:

وثامنها الطّاهرة: لكونها طاهرة مطّهرة من حين ولادتها كما عرفت الكلام فيها ولآية التّطهير.

وتاسعها الزّكية: لأنّها كانت زكيّة عن الأرجاس والخَبائث باطناً:

وعاشرها الرّاضية: لكونها راضية برضاء الله وقَدره وهو أيضاً واضح.

وحادي عَشرها المرْضية: فأنّ الله ورسوله كانا راضين عنها فهي مرْضية:

وثاني عشرها المُحدّثة: لكونها عالمة غير مُتعلمة وكانت تحدّث كما في الرّوايات:

وثالث عشرها ورابع عشرها مريم الكُبرىٰ والصّديقة الكُبرىٰ: والوجه فيهما أيضاً واضح وكُنيتها، أُمّ الحسن، أُمّ الحسين، أُمّ الأئمّة، أُمّ أبيها، أُمّ السّبطين والوجوه ظاهرة إذا عَرفت هذه الأُمور فنذكر شطراً مما وَرد في فَضلها تيمّناً وتبَركاً به وإلّا فذكر فضائلها ومناقبها وماوَرد في شأنها خارج عن وظيفة الكتاب بل عن طاقة البَشَر فنقول:

فَمن طريق الخاصّة: **ماروا في البحار بأسناده عن ابن عبّاس عن النبّي قال ﷺ لن يركب يومئذٍ إلّا أربعة أنا وعلّي وفاطمة وصالح النبّي فأمّا أنا فعلىٰ البَراق وأمّا فاطمة إبنتي فعلىٰ ناقتي الغَضباء الخبر...**

ومنها- مارواه أيضاً بأسناده عن الباقر ؑ عن أبيه عن جدّه قال رسول الله ﷺ أنّ الله لِيَغضب لِغَضب فاطمة ويَرضىٰ لِرضاها انتهىٰ...

ومنها- مارواه عن أبي الحسن الأوّل قال قال رسول الله ﷺ أنّ الله إختار من النّساء أربعاً مريم وآسية وخديجة وفاطمة الخبر...

ومنها- مارواه عن الرّضا عن آبائه قال النبّي أنّ فاطمة أحصَنت فرجها فَحرّم الله وذرّيتها علىٰ النّار والحَسَن والحُسين خير أهل الأرض بعدي وبعد أبيهما وأُمّها أفضل نساء أهل الأرض انتهىٰ...

ومنها- مارواه بأسناده عن الحَسَن بن زياد العطّار قال قلت لأبي عبد الله قول رسول الله فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة أي سيّدة نساء عالَمها قال ؑ تلك مريم وفاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة من الأوّلين والآخرين الحديث...

ومنها - مارواه بأسناده عن سعد بن مالك يعني ابن أبي وقاصّ قال سمعت رسول الله يقول فاطمة بضعة منّي مَن سَرّها فقد سَرّني ومن سَاءَها فقد سَاءَني فاطمة أعَزّ النّاس إلّي انتهىٰ...

ومنها- مارواه بأسناده عن جميع بن عُمير قال قالت عمّتي لعائشة وأنا أسمَع لها أنت سِيرك الىٰ علّي ماكان قالت دَعينا منك أنّه ماكان من الرّجال أحَبّ الىٰ رسول الله من علّي ولا من النّساء أحَبّ من فاطمة انتهىٰ...

ومنها- بالأسناد عنها قالت أقبلت فاطمة بمشي لا والله الّذي لا إله إلّا هو

مامشيها يخرم من مشية رسول الله ﷺ فلمّا رأها قال ﷺ مرحباً بأبنتي مرّتين قالت فاطمة ۳ فقال لي أما تَرضين أن تأتي يوم القيامة سيّدة نساء العالمين انتهىٰ...

ومنها۔ مارواه بأسناده عن ابن عبّاس عن النبّي ﷺ قال أنّ فاطمة شجنة منّي يؤذيني ما أذاها ويسّرني ما سّرها وأنّ اللّه تبارك وتعالىٰ لِيغضب لِغَضب فاطمة ويَرضىٰ لِرضاها انتهىٰ...

وفيما أَوصىٰ النبّي عليّاً ﷺ قال ياعلّي أنّ اللّه عزّ وجلّ أشرف علىٰ الدّنيا فإختارني منها علىٰ رجال العالمين ثمّ إطّلع الثّانية فإختارك علىٰ رجال العالمين بعدي ثمّ إطّلع الثّالثة فإختار الأئمّة من ولدك علىٰ رجال العالمين بعدك ثمّ إطّلع الرّابعة فإختار فاطمة علىٰ نساء العالمين انتهىٰ« بحار الأنوار ج ١٠ ص ﷺ الى ص ١٠ » والأحاديث كثيرة .

ومن طرق العامّة : مارواه في فضائل الخمسة من الصّحاح السّتة عن خصائص النّسائي عن أبي هريرة قال أبطأ علينا رسول اللّه ﷺ يوماً صبور النّهار فلمّا كان العشّي قال له قائلنا يارسول اللّه قد شقّ علينا لم نرك اليَوم قال ﷺ أنّ مَلَكاً من السّماء لم يكن زارني فإستأذن اللّه في زيارتي فأَخبَرني وبشّرني أنّ فاطمة بنتي سيّدة نساء أُمّتي وأنّ حسناً وحُسيناً سيّدا شباب أهل الجنّة انتهىٰ «ج ٣ ص ١٤١ فضائل الخَمسة ص ١٤١ ج ٣»...

وأيضاً في هذا الكتاب عن تفسير ابن جرير ج ٣ ص ١٨٠ عن أبي موسىٰ الأشعري قال قال رسول اللّه ﷺ كَمُل من الرّجال كثير ولَم يكمل من النّساء إلّا مريم وآسية إمرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمّد ﷺ انتهىٰ « ص ١٤٥»...

وعن السّيوطي في الدّر المنثور في ذيل تفسير قوله تعالىٰ: (يامريم أنّ اللّه إصطفيٰك) قال وأخرج ابن مردويه عن أَنس قال قال رسول اللّه ﷺ أنّ اللّه إصطفىٰ علىٰ نساء العالمين أربعة، آسية بنت مزاحم، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمّد ﷺ انتهىٰ « ص ١٤٥»...

وعن تاريخ بغداد للخطيب ج ١ ص ٢٥٩ روي بسنده عن ابن عبّاس قال قال رسول اللّه ﷺ ليلة عَرج بي الىٰ السّماء رأيت علىٰ باب الجنّة مكتوباً لا إله إلّا اللّه مُحمّد رسول اللّه علّي حِبّ اللّه والحسن والحسين صفوة اللّه وفاطمة خيرة اللّه علىٰ باغضهم لعنة اللّه انتهىٰ « ص ١٤٨»...

وعن ذخائر العقبي ص ٤٨ بسنده عن علّي قال قال رسول اللّه ﷺ تُحشر إبنتي فاطمة يوم القيامة وعليها حلّة الكرامة قد عَجنت بماء الحيوان فَتَنظر اليها الخَلائق فيتَعجّبون منها ثمّ تُكسىٰ حلّة من حِلل الجنّة علىٰ ألف حِلّة مكتوب بخطّ أخضر أدخلوا إبنة مُحمّد ﷺ الجنّة علىٰ أحسَن صُورةٍ وأكمَل هَيبة وأَتمّ كرامة وأوَفر حَظّ فَتُزّف الىٰ الجنّة كالعروس حولها سبعون ألف جارية انتهىٰ« ص ١٦٦»...

أقول: الأخبار في الباب كثيرة من الطّريقين وفيما نقلناه كفاية إذ ليس غَرضنا من ذكر الأخبار الواردة في فضلها الإستقصاء فيها فأنّ كتابنا لَيس مَوضوعاً له والغَرض التّبرك بها فقط:

اذا فَخرت بَنُو الإسلام يوماً — علىٰ من ليس من آل الرّسول
قَضيت لها كما أقضي عليها — بأنّ خيارها وَلد البتُول

قال الصّاحب :

قَد قُلت صادقاً نَبّياً — وليست النّفس به آثمة
لكلّ شيءٍ فاضل جَوهر — وجوهر النّاس بنو فاطمة

وأمّا كراماتها وخوارق عاداتها فَكثيرة ولِنَذكر لك شطراً منها:

روي في المناقب عن أبي علي الصّولي في أخبار فاطمة وأبي السعادات في فضائل العشرة بالأسناد عن أبي ذَر الغفاري قال بَعثني النبّي أدعوا علّياً فأتيت بيته وناديته فلم يُجبني فأخبرت النبّي قال عُد اليه فأنّه في البيت فأتيت ودخلت عليه فَرأيت الرّحىٰ تَطحن ولا أحَد عندها فقلت لعّلي أنّ النبّي يَدعوك فَخرج متَوشحاً حتّىٰ أتىٰ النبّي ﷺ فأخبرت النبّي بما رأيت فقال يا أبا ذَر لا تَعجب فأنّ لِلّه ملائكة سيّاحون في الأرض موكّلون بمعونة آل مُحمّد...

الحسن البَصري وابن إسحاق عن عمّار وميمونة أنّ كليهما قالا وجدت فاطمة نائمة والرّحىٰ تدور فأخبرت رسول اللّه بذلك فقال أنّ اللّه علم ضَعف أَمَته فأوحىٰ الىٰ الرّحىٰ أن تَدور فَدارت، وروي أنّها ربما إشتغلت بصلاتها وعبادتها فربّما بكىٰ ولدها فرُؤي المَهد يتحرك وكان مَلَكٌ يُحرّكه انتهىٰ...

وأيضاً في هذا الكتاب عن محمّد ابن علي بن الحُسين ﷺ قال بعث رسول اللّه سلماناً الىٰ فاطمة قال فَوقفتُ بالباب وقفة حتّىٰ سلمت فَسَمعت فاطمة تقرأ القرآن من جوا وتدور الرّحىٰ من برا ما عندها أنيس وقال في آخر الخبر فتّبسم رسول اللّه وقال ياسلمان إبنتي فاطمة ملأ اللّه قلبها وجوارحها إيماناً الىٰ حشاشتها تفرّغت لطاعة اللّه فبَعث اللّه مَلَكاً إسمه زوقابيل وفي آخر جبرئيل فَأدار لها الرّحىٰ وكَفاها اللّه مؤنة الدّنيا ومؤنة الآخرة انتهىٰ) وقال ابن صمّاء:

وقالت أُمّ أيمن جئت يوماً ... الىٰ الزّهراء في وقت الهَجير
فلمّا أن دَنوتُ سَمعتُ صوتاً ... وطحناً في الرّحاء له الهَدير
فَجئتُ الباب أَقرَعه مليّاً ... فما من سامع أو من مُجيرِ
إذ الزّهراء نائمة سكوت ... وطحن لِلرّحىٰ بلا مُدبرِ
فَجئتُ المُصطفىٰ وقَصصت شأني ... وما عاينت من أمرٍ ذعُورِ
فقال المُصطفىٰ شكراً لربّي ... بإتمام الحبّاء لها جديرِ
رأها اللّه مُتعبَةً فألقىٰ ... عليها النّوم ذو المَن الكبير
وَوكلّ بالرّحىٰ مَلكاً مُديراً ... فَعدت ومُلأت من السّرور

وعن علي معمر قال خرجت أمّ أيمن الىٰ مكّة لمّا تَوفيت فاطمة وقالت لا أرىٰ المدينة بعدها فَأصابها عطش شديد في الجحفة حتّىٰ خافت علىٰ نفسها فَكسرت عينيها نحو السّماء ثمّ قالت ياربّ أتعطشني وأنا خادمة بنت نبيّك فَنزل اليها دلو من السّماء من ماء الجنّة فَشَربت ولم تَجع ولم تَطعم سنين).

(وعن الثّعلبي في تفسيره وابن المؤذن في الأربعين بأسنادهما عن محمّد بن المُنكدر عن جابر بن عبد اللّه أنّ النّبي ﷺ أقام أيّماً لم يُطعم طعاماً وجاء

الىٰ منازل أزواجه فلم يُصيب شيئاً فَجاء الىٰ فاطمة القصّة بطولها فإذا جَفنته تفور فيها طعام فقال أنّىٰ لكِ هذا قالت هو من عند اللّه أنّ اللّه يرزق من يشاء بغير حساب فقال النّبي الحَمدُ لِللّه الّذي لم يُمتني حتّىٰ رأيت في إبنتي ماراه زكَريا لِمَريم كان إذا دَخَل عليها وجد عندها رزقاً فيقول يامَريم أنّىٰ لكِ هذا فَتقول هو من عند اللّه يرزق من يشاء بغير حساب.

ورَهنت كسوة لها عند إمرأة زيد اليهودي في المدينة وإستَقرضت الشّعير فلمّا دَخل زيد داره قال ماهذه الأنوار في دارنا قالت لِكسوة فاطمة فَأسلم في الحال وأسلمت إمرأته وجيرانه حتّىٰ أسلَم ثمانون نَفساً انتهىٰ) .

وما نقلناه نقلناه عن المناقب ج ٣ ص ٣٣٧ الى ص ٣٤٠ .

وأمّا تزويجها بعلّيٍ عليه السلام:

فقد روي المجلسي عن المُفيد رحمه الله أنّه قال كان تزويجها ليلة إحدىٰ وعشرين من المُحرّم وكانت ليلة خميس سنة ثلاث من الهجرة ونقل عن المُصباح أنّه كان في أوّل يومٍ من ذي الحجّة ورُوي أنّه كان يوم السّادس وقيل غير ذلك)، وأمّا كيّفية التّزويج...

فقد روي المجلسي بأسناده عن الرّضا عليه السلام عن آبائه قال قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله ياعلّي لقد عاتبني رجال من قُرَيش في أمر فاطمة وقالوا خَطبناها اليك فَمنعتَنا وزَوجتها عَلّياً فقُلت لهم واللّه ما أنا مَنعتَكم وزوّجتها بل اللّه مَنعكم وزوّجها فَهَبط عَلَّي جبرئيل فقال يامُحمّد أنّ اللّه جلّ جلاله يقول لو لم أَخلُق عَلّياً لما كان لِفاطمة إبنتك كفو علىٰ وجه الأرض فَمن دُونه «ج ١٠ ص ٢٧»...

وبأسناده عن الضّحاك بن مُزاحم قال سمعت علّي بن أبي طالب يقول أتاني أبو بكر وعُمر فقالا لو أتَيت رسول اللّه فَذكرت له فاطمة قال فَأتيته فلمّا رآني رسول اللّه ضَحك ثمّ قال ما جاءك ياأبا الحَسَن قال عليه السلام فَذكرت له قَرابتي وقِدمي في الإسلام ونُصرتي له وجهادي فقال ياعلّي صَدقت فَأنت أَفضل ممّا تَذكُر فقُلت يارسول اللّه فاطمة زَوّجنيها فقال ياعلّي قد ذَكرها قبلك رجال فَذكرتُ ذلك لها فَرأيت الكَراهة في وجهها ولكن علىٰ رسلك حتّىٰ

أخرج اليك فَدَخل عليها فقامت فَأخَذت رداءه ونَزعت نَعليه وأَتَتْه بالوضوء فَوضأته بيدها وغَسّلت رجليه ثمّ قَعدت فقال لها يافاطمة فقالت لبّيك لبّيك حاجتك يارسول اللّه قال أنّ علّي بن أبي طالب من قد عَرفت قرابته وفضله وإسلامه وأنّي قد سألت ربّي أن يُزّوجك خير خَلقه وأَحَبّهم اليه وقد ذكر من أمركِ شيئاً فما تَرين فَسَكت ولم توّل وجّهها ولم يَر فيها رسول اللّه كراهة وهو يَقول اللّه أكبر سكوتها إقرارها فأتاه جبرئيل فقال يامُحمّد زوّجها علّي بن أبي طالب فأنّ اللّه قد رضيها له ورضيه لها قال علّي فزّوجني رسول اللّه ثمّ أتاني فَأخذ بيدي فقال قُم بسم اللّه وقُل علىٰ بَركة اللّه وماشاء اللّه ولا حول ولا قوّة إلّا باللّه توكّلت علىٰ اللّه ثمّ جاءني حتّىٰ أقعَدني عندها ثمّ قال اللّهم أنّهما أحَبّ خَلقك إلّي فَأحبّهما وبارك في ذرّيتهما وإجعل عَليهما منك حافظاً وأنّي أُعيذهما بك وذرّيتهما من الشّيطان الرّجيم انتهىٰ« ج ١٠ ص ٢٧»...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال لمّا زوّج رسول اللّه علّياً فاطمة دَخل عليها وهي تبكي فقال لها ما يُبكيك فوَاللّه لو كان في أهل بيتي خير منه زوّجتك وما أنا زوّجتك ولكنّ اللّه زوّجك وأصدق عنك الخمس مادامت السّموات والأرض قال علّي قال رسول اللّه قُم فَبع الدرّع فقُمت فَبعته وأَخَذتُ الثّمن ودَخلتُ علىٰ رسول اللّه مَسكت الدّراهم في حجره فلم يسألني كم هي ولا أنا أخبرته ثمّ قبض قبضته ودعا بلالاً فأعطاه فقال أبتع لفاطمة طيباً ثمّ قبض رسول اللّه من الدّراهم بكلتا يديه فأعطاه أبا بكر وقال أبتع لفاطمة ما يصلحها من ثياب وأساس البيت وأردفَه بعمّار بن ياسر وبعَدةٍ من أصحابه فحضروا السّوق وكانوا يعرضون الشّيْ ممّا يصلح فلا يشترونه حتّىٰ يعرضوه علىٰ أبي بكر فأن إستصلحه إشتروه فكان ممّا إشتروه، قميص بسبعة دراهم، وخمار بأربعة دراهم، وقطيفة، سوداء خيبّرية، وسرير فرمّل بشريط، وفراشين من خيش مصر حشو أحدهما ليف وحشو الآخر من جزّ الغنم وأربع مرافق من أدم الطّائف حشوها أذخر، وستر من صوف،

وحصير هجري، ورَحىً لليد، ومُخضب من نحاس، وسقاء من أدَم، وقعب للّبن، وشنّ للماء، ومَطهَرة من فتة وجزء خضراء، وكيزان خزف حتّىٰ إذا استكمل الشّراء حَمل أبو بكر بعض المتاع وحَمل أصحاب رسول اللّه الّذين كانوا معه الباقي فلمّا عرض المتاع علىٰ رسُول اللّه جعل يقلّبه بيده ويقول بارك اللّه لأهل البيت «الحديث ص ٢٨»...

وبأسناده عن أبي أيّوب الأنصاري قال أنّ رسول اللّه مرض مرضته فأتته فاطمة تعوده وهو فاقد من مرضه فلّما رأت ما برسول اللّه من الجهد والضّعف خنقتها العبرة حتّىٰ جرت علىٰ خدّها فقال النبّي لها يا فاطمة أنّ اللّه جلّ ذكره إطلع الىٰ الأرض إطلاعة فإختار منها بعلك فأوحىٰ إلّي فأنكحتكه أما علمت يا فاطمة أنّ لكرامة اللّه أيّاك زوجّك أقدمهم سلماً وأعظمهم حلماً وأكثرهم علماً قال فسّرت بذلك فاطمة وإستبشرت بما قال لها رسول اللّه فأراد رسول اللّه أن يزيدها مزيد الخير كلّه من الّذي قسّمه اللّه له ولمُحمّدٍ وآل مُحمّد فقال يا فاطمة:

لعلّي ثمان خصالٍ، إيمانه باللّه وبرسوله، وعلمه وحكمته وزوجته وسبطاه الحسن والحسين وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وقضاؤه بكتاب اللّه يا فاطمة إنّا أهل بيت أُعطينا سبع خصال لم يعطها أحد من العالمين قبلنا ولا يدركها أحد من الآخرين بعدنا، نبيّنا خير الأنبياء وهو أبوكِ، ووصّينا خير الأوصياء وهو بَعلكِ، وشهيدنا خير الشّهداء وهو حمزة عمّ أبيكِ، ومنّا من له جناحان يطير بهما في الجنّة، وهو جَعفر ومنّا سبطا هذه الأُمّة وهما إبناكِ انتهىٰ« ص ٢٩»...

وفي المناقب إنّ النّسوة قلنّ يا بنت رسول اللّه خَطبك فلان وفلان فردّهم أبوك وزوجّك عائلاً فدخل رسول اللّه فقالت يا رسول اللّه زوجتّني عائلاً فهزّ رسول اللّه بيده مِعصمها وقال لا يا فاطمة لكن زوجتّك أقدمهم سلماً وأكثرهم علماً أعظمهم حلماً أما علمت يا فاطمة أنّه أخي في الدّنيا والآخرة فضحكت وقالت رضيت يا رسول اللّه وفي رواية أبي قبيل لم أزوجّك حتّىٰ

أمَرني جبرئيل وفيه قال العبدي:

إذ أتـته البـتول فـاطم تـبكي ... وتـوالىٰ شـهيقها والزّفـيرا
إجتمعن النّسـاء عنـدي وأقبلن ... يـطلن التّـقريع والتّـعييرا
قـلن إنّ النـبّي زوجّك اليـوم ... عـليّاً بَـعلاً مـعيلاً فـقيراً
قال يا فاطم إصبري وإشكري الله ... فـقد نـلتِ مـنه فـضلاً كـبيراً
أمَـر اللّـه جـبرئيل فـناديٰ ... مُعلناً في السّماء صوتاً جهيراً
إجتمعن الأمـلاك حتّىٰ إذا مـا ... وردوا بـيت ربّـنا المـعمُورا
قام جبرئيل خاطباً يكثر التّحميد ... لِـلّه جـلّ والتّكـبيرا
خمس أرضي لها حلال فصّيره ... عـلىٰ الخـلق دونـها مـبرورا
نثرت عند ذلك طوبىٰ وللحُور ... مـن المسك والعَـبير نـثيرا

وقال ديك الجنّ :

أوّل خـلقٍ فـيها خـاطباً ... الىٰ النـبّي جـاءياً وذاهـباً
جبرئيل حتّىٰ تمّ تَزويج النبّي ... بـقدرة اللّـه العظيم من علىٰ
فَلاحت الأنـوار مـنه السّـاطعة ... وصَّف أمـلاك السّـماء السّـابعة
وقـام جـبرئيل عليهم يخطب ... فَـتَمّم اللّـه لهـم مـا طـلبوا
ثـمّ قـضىٰ اللّـه الىٰ الجـنّان ... أن عَـجن مـن دانية الأغـصان
مـاخَطرتهم حـللاً وحـلياً ... حـتّىٰ وعـىٰ ذلك مـنها وعـيا
فَمَن حَوىٰ الأكثر منهم إفتَخَر ... ما عاش في عالمه علىٰ الأرض

أشار الشّاعر الىٰ ماروواه في المناقب عن الصّادق ﷺ أنّه دعا عليّاً رسول الله وقال له أبشر ياعلّي فأنّ اللّه قد كفاني ما كان من همّتي تزويجك أتاني جبرئيل ومَعه من سُنبل الجنّة وقُرنفلها فَتناولتها وأُخَذتها فَشممتها فقلت ما سبب هذا السّنبل والقُرنفل قال أنّ اللّه أمَر سكّان الجنّة من الملائكة ومن فيها أن يزّينوا الجنّان كلّها بمغارسها وأشجارها وثمارها وقصُورها وأَمَر ريحها فَهبّت بأنواع العطر والطّيب وأَمَر حُور عينها بالقراءة فيها طه ويس وطواسين وحم عسق ثمّ نادىٰ مناد من تحت العَرش ألا أنّ اليوم وليمة ألا أنّي أشهدكم أنـي زَوجتُ

فاطمة من علّي رضىً منّي ببعضهما لِبعض ثمّ بَعث اللّه بيضاء فَقطَرت من لؤلؤها وزبرجدها ويواقيتها وقامت الملائكة فَنَشَرن من سنبلها وقُرنفلها وهذا ممّا نَثَرت الملائكة الخبر ص ٣٤٧ ج ٣.

قال وفي خبرٍ آخر أنّه كان الخطيب راحيل في البيت المعمور في جمع من أهل السّموات السّبع فقال:

الحَمد لِللّه الأوّل قبل أولّيته الأوّلين الباقي بعد فناء العالمين نحمُده إذ جعلنا ملائكة روحانيين وبربُوبيته مذعنين وله على ماأنعم علينا شاكرين حَجبنا من الذّنوب وسَترنا من العيُوب أسكننا في السّموات وقَربنا الىٰ السّرادقات وحَجَب عنا التّهم للشّهوات وجَعل نَهمتنا وشهوتنا في تقديسه وتسبيحه الباعث رحمته الواهب نعمته جلَ عن إلحاد أهل الأرض من المُشركين وتعالىٰ بعظمته عن إفك المُلحدين ثمّ قال إختار المَلك الجبّار حَنوة كرمه وهبه عظمته لأمَته سيّدة النّساء بنت خير النّبيين وسيّد المُرسلين وإمام المُتّقين فَوصل حبله بحبل رجل من أهله وصاحبه المصّدق دعوته المُبادر الىٰ كلمته علىٰ الوصُول بفاطمة البتُول إبنة الرّسُول.

وروي أنّ جبرئيل روي عن اللّه تعالىٰ عقيب قوله عزّ وجلّ: الحمد رِدائي والعَظمة كبريائي والخَلق كلّهم عبيدي وإمائي زوّجت فاطمة أَمتي من علّي صَفوتي أشهد وملائكتي انتهىٰ والىٰ هذا المعنىٰ أشار بن حماد:

وجاء جبرئيل والأملاك قال له	جئنا نهينك أطناباً وأصهاباً
وكُنت فاصلها واللّه واليها	وشاهدوها كرام الغر أحساباً
وصيّر الطّيب من طوبىٰ نثارهما	أكرم بذاك نثاراً ثمر أنهاباً
وأقبل الحور يَلقّطن النّثار معاً	فهُنّ فيه فَخراً وتحبابا

وقال الحميري :

نَصب الجليل لجبرئيل منبراً	في ظلّ طوبىٰ من متون زبرجدٍ
شهد الملائكة الكرام وربّهم	وكفىٰ بهم وبربّهم من مَشهدٍ
وتَناثرت طوبىٰ عليهم لؤلؤةً	وزمُرداً مُتتابعاً لم يفقد

لا ملاك فاطمة الّذي ما مثله ... في متهم شرفٍ ولا في مُنجدٍ

وله أيضاً:

واللّـه زوّجـه الزّكـية فـاطماً ... في ظلّ طوبىٰ مشهداً محضورا
كان الملائك ثَمَّ في عدد الحصىٰ ... جبرئيل يخطبهم بها مَسرُورا
يدعو الإلٰه ولها وكان دعاءه ... لهـما بخيرٍ دائماً وذكورا
حتّىٰ إذا فَرغ الخَطيب تتابعت ... طوبىٰ تُساقط لؤلؤاً منثورا
وتَـهيل يـاقوتاً عـليهم مـرّةً ... وتَـهيل درّاً تـارةً وشـذورا
فـترىٰ نسـاء الحُور يَنتهبونه ... دونَ بـذلك تَـهدين البـحورا
فـإلىٰ القـيامة بـينهنّ هـدّية ... ذاك النّـثار عشـية وبكـورا

ولآخر:

مـلاكُ كـانت الأمـلاك فـيه ... لِـتزويج الزّكـية شـاهدينا
وكـان ولّـيها جـبرئيل مـنهم ... ومـيكائيل خـير الخـاطبينا
وزخـرفت الجـنان فَظلّ منها ... لهـا ولدانـها مـتبزّنينا
وكـان نـثارها حُـللاً وحـلّياً ... ويـاقوتاً ومـرجـاناً ثـمينا
وعـقياناً وحـور العَـين فـيها ... وولّـدان كـرام لاقـطّونا
وكـان مـن النّثار كما روينا ... صكـاك يـنتثرن ويـنطوينا
بـها للشّـيعة الأبـرار عـتق ... حـرىٰ من عند ربّ العالَمينا

قيل وكان بين تزّويج أمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام في السّماء الىٰ تزّويجهما في الأرض أربعين يوماً زوّجها رسول اللّه من علّيٍ أوّل يوم من ذي الحجّة وروي أنّه كان يوم السّادس منه فقالت أُمّ سَلمة فيه:

سِـرن بـعون اللّـه جـاراتـي ... وأشكـرنّه فـي كـلّ حـالاتٍ
وأذكُـرنّ مـا أنـعم ربّ العُلىٰ ... مـن كشـف مكـروبٍ وآفـاتٍ
فـقد هَـدانـا بـعد كـفرٍ وقـد ... أنـعشنا ربّ السّـمٰوات
وسِـرن مـع خـير نسـاء الورىٰ ... تُـحذي بـعمّات وخـالاتٍ
يـابنت مـن فَـضّله ذو العُـلىٰ ... بـالوَحي مـنه والرّسـالات

إذا عَرفت ماتلوناه عليك من ولادتها وتَزويجها بعلَي عليه السلام فأعلم أنّها كانت بعد أبيها مُعصبة الرّأس ناحلة الجسم مُنهدة الرّكن باكيةَ العَين مُحترقة القلب يغشي عليها بعد ساعة ساعة ثمّ مَرضت ومَكثت أربعين ليلة أو أكثر علىٰ إختلاف الرّوايات فيه فعلىٰ القول بأنّها توفّيت لثالث من جمادي الآخرة سنة إحدىٰ عشرة من الهُجرة تكون مدّة حياتها بعد مَوت النبّي خمسة وتسعين يوماً وقيل أربعة أشهر وقيل خمسة وسبعون يوماً وقيل غير ذلك وقال الطَبرسي في أعلام الهُدىٰ الأظهر في روايات أصحابنا أنّها ولدت سنة خمس من المبعث بمكّة في العشرين من جمادي الآخرة وأنّ النبّي قُبض ولها ثماني عشرة سنة وسبعة أشهر وتحقيق الكلام فيه خارج عن طَور الكتاب وكيف كان لا شكَ عند العامّة والخاصّة أنّها مابقيت بعد أبيها إلّا مدّةً قليلة لا تتجاوز عن أربعة أشهر أو ستّة أشهر والمشهور عندنا أنّها أقامت مع أمير المؤمنين بعد وفاة رسول الله خَمسة وسبعين يوماً والله أعلم بحقائق الأُمور:

وأمّا وفاتها: روي في المناقب عن البخاري ومُسلم والحلّية ومسند أحمد بن حنبل روت عائشة أنّ النبّي دعا فاطمة في شكواه الّذي قُبض فيه فَسارها بشئٍ فَضَحكت فَسألت عن ذلك فقالت أخبَرني النبّي أنّه مقبوض فَبَكيت ثمّ أخبَرني أنّي أوّل أهله لحوقاً به فَضَحكتُ، وعن كتاب ابن شاهين قالت أمّ سلمة وعائشة أنّها لمّا سُألت عن بكاءها وضحكها قالت أخبَرني النبّي أنّه مَقبوض ثمّ أخبر أنّ بنّي سيصيبهم بعدي شدّة فَبكيت ثمّ أخبَرني أنّي أوّل أهله لحوقاً به فَضَحكتُ وفيه قال الحميري:

أنّها أسرع أهل بيته ولحاقاً بي فلا تفشي الجَزَع

فَمضىٰ وإتبعته والهاً بعد غَيض جَرعته وَوَجَع

ثمّ أنّه لا خلاف بين الفَريقين أنّها كانت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله باكية العَين مُحترقة القَلب الىٰ أن توفّيت ولَحِقَت بأبيها وستأتي الإشارة في شرح الخطبة الىٰ بعض ماوَرد عليها ولِنَرجع الىٰ الشّرح:

- **قوله عليه السلام: اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَارَسُولَ اللّٰهَ عَنِّى وَعَنْ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِى جَوارِكَ...**

إتفقوا أنّ هذا الكلام قاله عليه السلام عند دفنه الصّديقة الطّاهرة فَسَّلم على رسول الله عن قِبَل نفسه أولاً وعن قِبَل فاطمة ثانياً وأنّما لم يصّرح بإسمها وقال عن إبنتك لأنّ الرّسول صلى الله عليه وآله كان في حياته يقول هكذا وكان هذا التّعبير أحبَ اليه ألا ترىٰ أنّه قال لها قولي ياأبا فأنّه أحبّ الىٰ القَلب وأمّا غير فاطمة فكان يقول يارسول الله:

- **قوله عليه السلام: وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ...**

فيه إشارة الىٰ أنّها لَحِقَت برسول الله سَريعاً كما عَرفت الكلام فيه.

- **قوله عليه السلام: قَلَّ يَارَسُولَ اللّٰهَ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِى وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِى ...**

أشار عليه السلام بهذا الكلام الىٰ عظم المصيبة وكثرة المِحنَة الّتي حَصَلت له عليه السلام بمَوت فاطمة فأنّ قلّة الصّبر علىٰ فراقها ورَق التّجلد كَنايتان عمّا ذكرناه وذلك لأنّ أصل الجلد جلد البوء تحشىٰ تماماً ويَخيّل للنّاقة فتعطف بذلك علىٰ ولد غيرها وعليه فإطلاقه علىٰ الصّبر مجاز لعلاقة السّببيّة والتّجلد عبارة عن تكلّف الجلاده وهي القوّة والشدّة وحاصل المعنىٰ أنّ فراقها قد قلّ صبري ورقَ أي ضعف قوتّي وشدّتي كما قال عليه السلام :

الأهـل الىٰ طـول الحـياة سـبيل ... وأنّي وهذا المـوت ليس يَحوُل
وأنّى وأن أصبحت بالمَوت مُوقِناً ... فلي أمـلي من دون ذاك طـويل
وللـدّهر ألوان تـروح وتـغتدي ... وأنّ نـفوساً بـينهنّ تسـيل
ومـنزل حـقّ لا مـعّرج دونـه ... لكـلّ أمـرئ مـنها اليه سـبيل
قـطعتُ بأيّـام التّـعزز ذكـره ... وكـلّ عـزيزٍ مـا هـناك ذليـل
أرىٰ عِـلل الدّنـيا عـلّيَ كـثيرة ... وصـاحبها حتّىٰ الممات عليل
وأنّـي لمشـتاق الىٰ مـن أُحبّه ... فهَل لي الىٰ من قد هويت سَبَيلُ
وأنّي وأن شطّت بي الدّار نازحاً ... وقد مات قـبلي بـالفراق جـميل
لكلّ إجتماع من خليلين فُرقة ... وكـلّ الّـذي دون الفـراق قـليل

وأنّ إفتقادي فاطماً بعد أحمدٍ		دليل على أن لا يدوم خليل
وكيف هناك العيش من بعد فقده		لعمرك شيئ ما اليه سبيل
إذا إنقطعت يوماً من العيش مدّتي		فانّ بكاء الباكيات قليل
يريد الفتىٰ أن لا يموت حبيبه		وليس الىٰ ما يبتغيه سبيل

ونُسب اليه أيضاً :

مالي وقفت علىٰ القبور مسّلماً		قبر الحبيب فلَم يرّد جوابي
أَحَبيب مالك لا تَرّد جوابنا		أنسيت بعدي خلّة الأحباب

وأيضاً :

حبيبٌ ليس يعد له حبيبٌ		وما لسواه في قلبي نصيبُ
حبيبٌ غاب عن عيني وجسمي		وعن قلبي حبيب لا يغيبُ

وأيضاً :

وما الدّهر والأيّام إلّا كما ترىٰ		رزّية مالٍ أو فراق حبيبِ
وأنّ إمرؤقد جرّب الدّهر لم يخف		تقلّب حاليه لغير لبيبِ

□ قوله عليه السلام: **إِلَّا أَنَّ فِي التَّأَسِّي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ مَوْضِعَ تَعَزٍّ...**

لمّا بيّن عليه السلام في الجملة السّابقة قلّة صبره علىٰ فراقها أفاد في المقام ما أوجب إطّمئنان قلبه به وهو مَوت الرّسول صلى الله عليه وآله فانّ مَوت فاطمة وأن كان عظيماً عليه عليه السلام بحيث قال قلّ عن صفيّتك صَبري ورّق عنها تجلّدي إلّا أنّ مَوت الرّسول صلى الله عليه وآله كان أعظم مصيبةً منه ومن كلّ مُصيبةٍ حَدَثت الى يوم القيمة ولا شكّ أنّ الأقرب الىٰ الرّسُول ديناً وإيماناً يكون أشدّ مصيبةً بموته صلى الله عليه وآله وحيث أنّ أمير المؤمنين كان أقرب النّاس اليه صلى الله عليه وآله بسبق الإسلام والإيمان والعَمَل بمقتضىٰ دينه وشريعته والإقتفاء بكتابه وسنّته فلا محالة كان مَوته صلى الله عليه وآله عليه أشدّ وأَفجَع من غيره وأيضاً كلّ مصيبةٍ وردت عليه عليه السلام بالنّسبة الىٰ تلك المُصيبة سَهلٌ هَيّنٌ ولأجل هذا قال عليه السلام إلّا أنّ لي في التّأسي والإقتداء بعظيم فرقتك ومَوتك وشدّة مُصيبتك الّتي حَدثت لي بعد مَوتك موضع تعزٍ فكما أنّي صبرت في مصيبتك لِللّه تعالىٰ كذلك أصبر علىٰ هذه المُصيبة لعلمي بأنّ

اللّه تعالىٰ يحبّ الصّابرين ثمّ قال عليه السلام توضيحاً لما أفاد:

▫ قوله عليه السلام: **فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ...**

أي فلقد إتّخذت لك وسادة في قبرك وهو كناية عن دفنه له فيها بيده وفاضت أي خرجت وعَرَجت الىٰ الملكوت الأعلىٰ عن جَسدك الشّريف نفسك وقد مضىٰ الكلام فيه في شرح قوله عليه السلام ولقد قُبض رسول اللّه وأنّ رأسه لعلىٰ صَدري ولقد سالت نفسه في كفّي الىٰ آخر ما قال هناك« خطبة (١٩٨)»...

▫ قوله عليه السلام: **﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ فَلَقَدْ اِسْتَرْجَعَتِ الْوَدِيعَةُ وَأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ...**

ذكر عليه السلام كلمة الإسترجاع وقال إنّا لِلّه وإنّا اليه راجعون، في مقام تسليته نفسه بالمُصيبة وقد أمَرنا اللّه بها حيث قال: **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾**(١)

وقد وَرَد في الخبر عن الباقر عليه السلام قال ما من عبدٍ يصاب بمُصيبة فيسترجع عند ذكر المُصيبة ويصبر حين تَفجعه إلّا غفر اللّه ما تقدّم من ذنبه وكلّما ذكر مصيبته فإسترجع عند ذكره المُصيبة غُفر له كلّ ذنبٍ إكتَسبه فيما بينهما انتهىٰ « مشكاة الأنوار ص ٢٧٨»...

وقال الباقر عليه السلام أن أصَبتَ بمُصيبةٍ في نفسك أو مالك أو ولدك فأذكر مُصابك برسُول اللّه فأنّ الخلائق لم يُصابوا بمثله قطّ انتهىٰ« ص ٢٧٩»...

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال قال رسُول اللّه قال اللّه تبارك وتعالىٰ أنّي جعلتُ الدّنيا بين عبادي قرضاً فمن أقرضني منها قرضاً أعطيته بكلّ واحدةٍ منهنّ عشراً الىٰ سبع مِائة ضعف وما شئت من ذلك ومن لم يقرضني منها قرضاً وأخذتُ شيئاً منه قسراً أعطيته ثلاث خصال لو أعطيت واحدة منهنّ

١- البقرة- ١٥٥

ملائكتي لرضُوا بها منّي ثمّ قال أبو عبد اللّه عليه السلام أنّ اللّه عزّ وجلّ يقول:(الّذين اذا أصابتهم مُصيبة قالوا إنّا لِلّه وإنّا اليه راجعون أُولئك عليهم صلوات من ربّهم) فهذه واحدة من ثلاث خصال، ورحمة، إثنتان (وأُولئك هُم المهتدون) ثلاث قال عليه السلام هذا لمن أخذ اللّه فيه شيئاً قسراً انتهىٰ « ص ٢٧٩»...

ثمّ أنّه في الآية نكتةٌ أُخرىٰ وهي أنّ اللّه تعالىٰ بيّن فيها المَبدء والمعاد فهي مشعرة بأنّ الوجود منه تعالىٰ والمعاد اليه فقوله تعالىٰ إنّا لِلّه، إشارة الىٰ مَبدَئيته لِلكلّ وأنّ المَخلوق له وُجد وقوله وإنّا اليه راجعون، إشارة الىٰ أنّ الخَلق الموجود بإيجاده يرجع اليه لا محالة اذ كلّ شئٍ يرجع الىٰ أصله واللّه تعالىٰ هو أصل الموجودات ومُوجدها واليه رجوعها كما قيل بالفارسيّة:

آب اين جُو بسُوى دريا مَرود   از همانجا كآمد آنجا مَرود

وحيث أنّ القاعدة كلّية تشمل الكلّ ولا تَخصيص في العقّليات فالكلّ يرجع اليه

﴿ إنَّكَ مَيتٌ وإنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (١) و : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيها فانٍ وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرامِ﴾ (٢) فذكر في هذه الآية مايُوجب سكون القَلب وطمأنينة النَفس والرّضا بقضاء اللّه وقَدره من حيث أنّ المَوت لا يختص بشخصٍ دون شخصٍ أو مخلوقٍ دون مخلوقٍ وإذا كان كذلك فلا إشكال فيه وأمّا قوله عليه السلام فلقد إستُرجعت الوديعة وأُخذت الرّهينة فقالوا أنّ المراد بالوديعة والرّهينة هو النّفس فأنّها وديعة من ودائع اللّه ورهينة في الأبدان والأجساد أو أنّ النّساء كالودائع والرّهائن عند الأزواج ولا بأس بهما إلّا أنّ الأوّل أولىٰ فأنّ الفاء في قوله عليه السلام فَلقد إستُرجعت، للتّفريع أي إذا كان كلّ شئٍ يرجع اليه تعالىٰ لا محالة فما نحن فيه من هذا القبيل وليس المقام نقضاً للقاعدة الأصليّة قال اللّه تعالىٰ: ﴿يا أيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعي إِلىٰ رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴾ (٣)

١- الزمر - ٣٠   ٢- الرحمن - ٢٦/٢٧
٣- الفجر - ٢٧=٣٠

هوالمَوت لا مُنجى من المَوت والّذي
نُحاذر بعد المَوت أدهىٰ وأفظَع

وقال الشّافعي :

إنّا نُعزّيك لا إنّا علىٰ ثقةٍ — من الحياة ولكن سنّة الدّين
فما المُعزّي بباقٍ بعد مَيّتة — ولا المعَزّي ولو عاشا الىٰ حينِ

ولآخر:

ألَيس لهذا صار آخر أمرنا — فلا كانت الدّنيا القليل سُرورها
فلا تَعجبي يانفس ممّا ترينه — فكلّ أُمور النّاس هذا مَصيرها

ولآخر :

وتجلّدي للشّامتين أزيهم — أنّي لريب الدّهر لا أتَضعضع
وإذا المّنية أنشبت أظفارها — ألفيت كلّ تميمية ٍ لا تَنفع

وفي المقام إحتمال ثالث هو أقوىٰ عندي وأثبت في نفسي وهو أنّ المراد بالوديعة والرّهينة في المقام هو فاطمة عليها السلام وذلك لأنّها كانت وديعة اللّه ورسُوله عنده ويؤيّده بعض الأخبار والعقل أيضاً يحكم به وذلك لأنّ فاطمة لم تكن كغيرها من النّساء لكونها طاهرة مُطّهرة مَعصومة عن الأرجاس الظّاهرية والباطنية كما عرفت من الأخبار كيف وأنّ اللّه يغضب لغضبها ويرضىٰ لِرَضاها وأية وديعة أعظم وأكبر منها واذا كان الأمر علىٰ هذا المنوال فالمقصود من كلامه عليه السلام أنّ الوَديعة قد إستُرجعت الىٰ صاحبها وأنّي لم آل جهداً في حِفظها وصَونها عن الآفات وهو كذلك:

▫ قوله عليه السلام: **أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ اِلىٰ أَنْ يَخْتَارَ اللّٰهُ لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ...**

أي أمّا حُزني علىٰ فاطمة بمَوتها وفراقها عنّي فَسَرمد دائم ولا أنساه أبداً ولا أغفل عنه أصلاً وأمّا ليلي ففي فراقها مُسَهَد فلا نَوم لي فيه الىٰ أن يَختار اللّه تعالىٰ لي دارك وهي دار الآخرة الّتي أنت فيها مُقيم والحاصل أنّي مَحزون عليها حتّىٰ أموت وألحَقّ بها وبك ونُسب اليه أنه قال علىٰ شفير قبرها:

ذكرتُ أبا ودّي منبتُ كأنّني | بـرّد الهُموم الماضيات وكـيل
لكلّ إجتماعٍ من خليلين فُرقة | وكـلّ الّـذي دون الفراق قـليل
وأنّ إفتقاديَ فاطماً بعد أحمد | دليـل عـلىٰ أن لا يـدوم خـليل

فأجابه هاتف:

يريد الفَتىٰ أن لا يـدوم خَـليله | وليس له إلّا المـمات سـبيل
فلابدّ من موتٍ ولابـدّ مـن بـلىٰ | وأنّ بـقائي بـعدكم لقـليل
إذا إنقطعت يوماً من العَيش مدّتي | وأنّ بكـاء البـاكيات قـليل
ستَعرض عن ذكري وتنسىٰ مَودّتي | ويـحدث بـعدي للـخليل بـديل

□ قوله عليه السلام: **وَسَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ بِتَظَافُرِ أُمَّتِكَ عَلىٰ هَضْمِهَا فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ وَاسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ...**

التّظافر التّعاون وفي بعض النّسخ (تضافر) بالضّاد والمعنىٰ واحد قال في المُنجد تضافروا علىٰ الأمر تعاونوا، وقـال فـي مـادّة ظَـفَر، تَـظافر القـوم أي تضافروا وتعاونوا والهَضم بفتح الهاء الكَسر وقيل الظّلم وقال بعضهم هَضَمه أي دَفَعه عن مَوضعه، وهَضَمه حَقّه نقصه والكلّ صحيح:

إعلم أنّ هذا الكلام فيه عليه السلام في هذا المقام نصّ علىٰ أنّها كانت فـي مـدّة حياتها بعد رسُول اللّه صلى الله عليه وآله مظلُومة مقهُورة مَكسُورة مَضروبة مغصُوبة الحَقّ أو ماشئت قَسمّه والجامع أنّها كانت مَظلُومة هذا أوّلاً وثانياً أنّ الكلام يصّرح بأنّ الأُمّة ظلمتها وقَهرتها لقوله عليه السلام: **بِتَظَافُرِ أُمَّتِكَ** وهو كذلك علىٰ ما يُستفاد من الأخبار والآثار من العامّة والخاصّة ولابدّ لنا من التّكـلم فـيه إجـمالاً ليـتّضح الحال:

بعد شرحنا الخطبة إنشاء اللّه تعالىٰ وقوله عليه السلام: **فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ وَاسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ** معناه أن لم تسأل عنها ولم تَستخبرها فهي لا تُخبرك حياءً مـنها كـما كانت كذلك بالنّسبة الّي وستَعرف الحقّ فيه:

□ قوله عليه السلام: **هٰذَا وَلَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمَا سَلاَمَ مُوَدِّعٍ لاَ قَالٍ وَلاَ سَئِمٍ...**

أي فَعلت الأُمّة بها ما فَعلت والحال أنّه لم يَطل العَهد بين ما أوصَيت وعَهدت اليهم لها وبين ظُلمهم عليها ونسيانهم عَهدك في حقّها ولم تخل الدّنيا من ذكرك فأنّ ذكرك باق فيهم وهُم يدّعون الإسلام ويَذكُرونك بالذّكر الجَميل وفعلُوا ما فعلُوا ثمّ قال ﷺ والسّلام عليكما أي عليك وعلىٰ فاطمة لا قال أي أُسلّم عليكما لا عن بُغضٍ ومَلالة منّي بل عن طيب النّفس:

▫ قوله ﷺ: **فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلاَ عَنْ مَلاَلَةٍ وَإِنْ أَقُمْ فَلاَ عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللّهُ الصَّابِرِينَ...**

أي فأن أرجع عن مقامي هذا وهو جوار قبر سيّدة النّساء الىٰ منزلي فَليس رجوعي هذا عن ملالتي وأن لم أرجع وأبيت عنده فليس هذا عن سُوء ظنّي بما وَعَد اللّه الصّابرين فأنّي أعلم علماً قطعياً أنّ الصّابر مأجور عنده كما نصّ اللّه عليه في كتابه:

تنبيه يُذكر فيه بعض الأمور الّتي لابدّ من ذكرها:

أحدها: أنّ الأُمّة بعد رسول اللّه ﷺ قد تظافرت وتعاونت علىٰ ظُلمها وأنّها كانت مظلُومة مقهُورة بعد أبيها الىٰ أن توفّيت هذا هو المشهُور بين العامّة والخاصّة وكلام أمير المؤمنين في المقام نصّ فيما ذكرناه ونحن نذكر في المقام ما يُؤيّد كلامه ﷺ من أخبار الطّرفين مُعرضاً عن التّعصب فَنقول:

روي في البحار بأسناده عن عبد اللّه بن العبّاس قال لمّا حضرت رسُول اللّه الوَفاة بكىٰ حتّىٰ بَلت دمُوعه لحيَته فقيل له يارسُول اللّه ما يُبكيك فقال لِذرّيتي وما يُصنع بهم شرار أُمّتي كأنّي بفاطمة بضعتي وقد ظُلمت بعدي وهي تُنادي ياأبتاه فلا يُعينها أحَد من أُمّتي فَسمعت ذلك فاطمة فَبكت فقال رسول اللّه ﷺ لا تَبكين يابُنّية فقالت لستُ أبكي لما يُصنع بي من بعدك ولكنّي أبكي لِفُراقك يارسول اللّه فقال لها أبشري يابنت مُحمّد بسُرعة اللّحاق بي فأنك أوّل من يَلحَق بي من أهل بيتي انتهىٰ«ج ١٠ ص ٤٥»...

وبأسناده عن أُم سلمة أنّها دخلت علىٰ فاطمة فقالت لها كيف أصبحتِ عن ليلتك يا بنت رسُول اللّه قالت أصبحتُ بين كمد وكرب فقد النبّي وظلم

الوصّي هتك والله حجابه من أصبحت إمامته مقتضية على غير ما شرع الله في التّنزيل وسنّها النبّي في التّأويل ولكنّها أحقاد بدّرية وتراث أُحدّية كانت عليها قلُوب النّفاق مُكتمنة لا مكان الوشاة فلمّا إستهدف الأمر أرسلت علينا شأبيب الآثار من مُخيلة الشّقاق فيقطع وتر الإيمان من قسّي صدورها ولبئس على ما وعد الله من حفظ الرّسالة وكفالة المؤمنين أحرز وعائدتهم غرور الدّنيا بعد إستنصار (إنتصار) ممّن فتك بآبائهم في مواطن الكرب ومنازل الشّهادات انتهى قال المجلسي بعد نقله الخبر ما لفظه كان الخبر في المأخوذ منه مُصحفاً محّرفاً ولم أجده في موضع آخر أُصحّحه به انتهى «ص ٤٥»...

وروي في البحار بأسناده عن ابن عبّاس قال دَخلن نسوة من المُهاجرين والأنصار على فاطمة بنت رسول الله ﷺ يَعدُنها في علّتها فقلنّ السّلام عليكِ يا بنت رسول الله كيف أصبحتِ فقالت أصبحتُ والله عايفة لدُنياكم قالية لرّجالكم لفظتهم بعد اذ عجمتهم وشمئتهم (وشنئتم) بعد اذ سبَرتهم فقُبحاً لافون الرّأي وخطل القول وخور القَناة ولبئس ما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون، لا جرم والله لقد قلدتهم ربقتها وشنّت عليهم غارها فجدعاً ورغماً للقوم الظّالمين ويحهم أنّى أنّي زحزحوها عن أبي الحسن ما نقموا والله منه إلّا نكير سيفه ونكال وقعه وتنّمره في ذات الله وتالله لو تكافؤا عليه عن زمام نبذه اليه رسول اللّه لأعتلقه ثمّ لسار بهم سيرة سجحاً فأنّه قواعد الرّسالة ورواسي النّبوة ومَهبَط الرّوح الأمين والبطّين بأمر الدّين والدّنيا والآخرة ألا ذلك هو الخُسران المُبين والله لا يكتلم خشاشة ولا يتعتع راكبه ولا وردهم منهلاً رّوياً فضفاضاً تَطفح ضفته ولا صدرهم بطاناً قد فشربهم (يختبرهم) الرّأي (الرّي) غير متحل بطائل ألا تغمر النّاهل وردعِ سُورة سغب ولفتحت عليهم بركات من السّماء والأرض وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبُون فهلّم فأسمع فما عشتُ أراك الدّهر عجبا وأن تَعجب بعد الحادث فما بالهم بأيّ سندٍ

إستندوا أم بأيّ (بأيّة) عروةٍ تَمسكوا لبئس المَولىٰ ولبئس العَشير ولبئس الظّالمين بدلاً إستبدلوا الذّما بالقوادم والحرون بالقلعم والعجز بالكاهل فتُعساً لقومٍ ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ (١) و: ﴿أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ (٢) و: ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (٣) لقمت فنظرة ريث ما تنتج ثمّ إحتلبوا إطلاع العقب دماً عبيطاً وذعافاً ممّضاً (ممقراً) هنالك يخسر المُبطلون ويعرف التّالون غبّ ما أسكن الأوّلون ثمّ طيّبوا بعد ذلك عن أنفسكم لفتنها ثمّ إطمأنوا للفِتنة جأشاً وأبشروا بسيف صارم وهرج دائم شامل وإستبدادٍ من الظّالمين فزرع فيكم زهيداً وجمعكم حصيداً فيا حسرة لهم(وقد عميت لهم الأنباء أنلزمكموها وأنتم لها كارهُون) انتهىٰ) أقول وقد روي المجلسي هذا الخبر بسند آخرٍ عن فاطمة بنت الحسين، وثالثاً عن سُويد بن غفلة بأدنىٰ تفاوت في عباراته والكلّ مغلوط مَخطوط مُحرّف وأكثر عبارات الحديث لا يُقرأ وكما لا يخفىٰ علىٰ النّاظر ومع ذلك كلّه لا خفاء في مظلّوميتها بعد النبّي والأحاديث بها كثيرة فقد أخرج البخاري في باب فرض الخمس ج ٥ ص ٥ عن عائشة أنّ فاطمة عليها السلام إبنة رسول اللّه سألت أبا بكر الصّديق رضي اللّه عنه بعد وفاة رسُول اللّه أن يقسم لها ميراثها ما ترك رسُول اللّه ممّا أفاء اللّه عليه فقال لها أبو بكر أنّ رسُول اللّه قال لا نورث ما تركناه صدقة فغضبت فاطمة بنت رسول اللّه فَهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرة حتّىٰ توفيّت انتهىٰ «الغدير ج ٧ ص ٢٢٦»...

وأخرج في الغزوات باب غزوة خيبر ج ٦ ص ١٩٩ وعن عائشة قالت أنّ فاطمة الىٰ أن قالت فأبىٰ أبو بكر أن يدفع الىٰ فاطمة منها شيئاً فوجدت فاطمة علىٰ أبي بكر في ذلك فَهجرته فلم تُكلّمه حتّىٰ توفيّت وعاشت بعد النّبي ستّة أشهر فلمّا توفيّت دَفَنها زوجها عليّ ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر وصّلىٰ عليها

١- الكهف ـ ١٠٤
٢) البقرة ١١ و ١٢
٣) يونس ٣٥

انتهىٰ الغدير ج ٧ ص ٢٢٧ ثمّ قال في الكتاب المذكور:

ويوجد الحديث في «صحيح مُسلم ج ٢ ص ٧٢» و«مسند أحمد ج ١ ص ٩٦٦» «و تاريخ الطَّبري ج ٣ ص ٢٠٢» «مشكل الآثار للطَّحاوي ج ١ ص ٤٨» «سنن البهيقي ج ٦ ص ٣٠٠ وص ٣٠١» «كفاية الطَّالب ص ٢٢٦» «تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٨٥» وقال في «ج ٦ ص ٣٣٣» لم تزل فاطمة تبغضه مدّة حياتها وذكره بلفظ الصّحيحين الدّيار بكري في «تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٩٣»

ولأيّ الأمـــور تُـــدفن ليـــلاً بضعة المُصطفىٰ ويُعفى ثراها

بلغت من موجدتها أنّها أوصت بأن تُدفن ليلاً وأن لا يدخل عليها أحد ولا يُصّلي عليها أبو بكر فدُفِنت ليلاً ولم يَشعر بها أبو بكر وصّلىٰ عليها عليّ وهو الّذي غسّلها مع أسماء بنت عميس:

وقال الواقدي كما في السّيرة الحَلبية ج ٣ ص ٣٩٠ ثبت عندنا أنّ عليّاً كرّم اللّه وجهه دفنها رضي اللّه عنها ليلاً وصّلىٰ عليها ومعه العبّاس والفضل ولم يَعلموا بها أحد انتهىٰ أقول الأخبار الدّالة علىٰ أنّها أوصَت الىٰ علي عليه السلام ما أوصت من الدّفن باللّيل وأن لا يعلم بمَوتها مَن ظَلمَها وإخفاء قبرها وغير ذلك كثيرة جدّاً في الكُتب من العامّة والخاصّة ولا سيّما المُطوّلات منها ولسنا بصدد إستقصائها في هذا الكتاب والّذي نحن بَصدد إثباته هو مظلُوميتها بعد أبيها وقد ثبتت والدّفن باللّيل وخفاء القبر وعَدم إعلام النّاس بمَوتها من أوضح الدّلائل علىٰ صدق المُدّعىٰ مضافاً الىٰ إحراق بيتها وكسر ضلعها وغير ذلك من الأمُور الفَجيعة المُؤلمة المُفظعة الّتي ثبتت عند الفريقين ولا سيّما إحتجاجاتها والخُطب الّتي خطبت بها في حضُور المُهاجر والأنصار بل نقول إنكار المُدّعىٰ أقبح وأسَوء من إنكار الشّمس والأمَس والمُعاند المُخالف لو وجد فهو مُكابر عقله أو مُتعصّبٌ عَنيد ولا كلام معه وقد رُوي أنّها قالت عند قبر أبيها يا أبتاه بقيتُ والهة وحيدةٌ وحيرانةٌ فريدة فقد إنخَمَد صَوتي وإنقطع ظهري وتنّغص عيشي وتكدّر دهري فما أجد يا أبتاه بعدك أنيساً لوحشتي ولا راداً لدَمعتي ولا مُعيناً لضَعفي فقد فنىٰ بعدك محكم التّنزيل ومَهبط جبرائيل

ومحلّ ميكائيل إنقلبت بعدك يا أبتاه الأسباب وأغلقت دوني الأبواب فأنا للدّنيا بعدك قالية وعليك ما تردّدت أنفاسي باكية لا ينفد شوقي اليك ولا حُزني عليك ثمّ نادت يا أبتاه واربّاه وقالت:

أنّ حُزني عليك حُزنٌ جديد وفؤادي واللّه صيّبٌ عتيدُ
كلّ يوم يزيد فيه شجوني وإكتئابي عليك ليس يَبيد
جلّ خَطبي فبان عَنّي عزائي فبُكائي كلّ وقتٍ جديد
إنّ قلباً عليك يألف صبراً أو عزاءً فأنّه لَجليدُ

وفاتها: وأمّا سبب وفاتها فقد روي المجلسي في البحار عن كتاب دلائل الأمانة للطّبري بأسناده عن أبي بصير عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال عليه السلام قُبضت فاطمة في جمادي الآخرة يوم الثُلاثاء لثلاث خلون منه سنة أحدىٰ عشر من الهجرة وكان سبب وفاتها أنّ قُنفذ مولىٰ عُمر نكزها بنصل السَيف بأمره فأسقطت مُحسناً ومَرضت من ذلك مَرضاً شديداً ولم تَدع أحداً ممّن آذاها يدّخل عليها وكان الرّجلان من أصحاب النّبي سألا أمير المؤمنين أن يَشفع لهما اليها فسألها أمير المؤمنين فلمّا دخلا عليها قالا لها كيف أنتِ يا بنت رسول اللّه قالت بخير بحَمد اللّه ثمّ قالت لهما ما سَمعتما قول النّبي يقول فاطمة بضعةٌ منّي فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذىٰ اللّه قالا بلىٰ قالت، فواللّه لقد آذيتماني فخرجا من عندها وهي ساخطة عليهما انتهىٰ ج ٨ ص ٤٩

ولنعم ما قيل:

يانفس أن تلتقى ظلماً فقد ظُلمت بنت النّبي رسول اللّه وإبناها
تلك الّتي أحمد المُختار والدها وجبرئيل أمين اللّه ربّاها
اللّه طهّرها من كلّ فاحشةٍ وكلّ ريبٍ وصفّاها وزكّاها

ولآخر:

حرّ صدري وإشتياقي والأسىٰ وإحتراقي وإكتئابي والحَرَب
لإبنة الهادي الرّضي فاطمة حقّها بعد أبيها يُغتصب
بل لِما قال بنّي فاطمة من بني الطّمث الملاعين العَيب

يـا لقـومي مـا أتـىٰ الدّهـر بـهم　　　مـن ضـطوبٍ مُـفظعات ونُـوب

وفي المناقب عن الأصبغ بن نباتة أنّه سأل أمير المؤمنين عن دفنها ليلاً فقال أنّها كانت ساخطة علىٰ قوم كَرهت حضُورهم جنازتها وحرام علىٰ من يتّولاهم أن يصّلي علىٰ أحَد من ولدها وروي أنّه سَوّىٰ قبرها مع الأرض مستوياً وقالوا سَوّىٰ حواليها قبوراً مزوّرة مقدار سبعة حتّىٰ لا يُعرف قبرُها وروي أنّه برش أربعين قبراً لا يبيّن قبرها من غيره فيصّلوا عليها، قال الشّاعر:

لمّا قضت فاطم الزّهـراء غسّلها　　　عنأمرها بعلها الهادى وسبطاها

وقام حتّى أتـىٰ بـطن البـقيع بـها　　　ليـلاً فـصّلىٰ عـليها ثـمّ واراهـا

ولم يـصّل عـليها مـنهم أحـدُ　　　حاشالها من صلٰوة القَوم حاشاها

وقال الحميرى:

وفاطم قـد أوصَت بأن لا يـصّليا　　　عليها وأن لا ينو من رجا القبر

عَلّياً ومُقداداً وأن يـخرجـوا بـها　　　رويداً بليلٍ في سكونٍ وفي سّرٍ

وقال بن حماد:

وقـد أوصَت أبـا حسـنٍ عـلّياً　　　بحقّي أن علىٰ الأرمـاس تـغشي

فـغّسلها الوصّـي أبـو حسـينٍ　　　وواراهـا وجـنح اللّـيل مُـغشٍ

ونسب الىٰ أمير المؤمنين ﷺ أنّه قال بعد دفنها:

وأنّ حياتي مـنك يـابنت أحـمد　　　بـإظهار مـا أخـفيته لشـديد

ولكـنّ لأمـر اللّه تـعنوا رقـابنا　　　وليس عـلىٰ أمـر الإلٰـه جـليد

أحّر علىٰ صبر وأقوىٰ علىٰ منىٰ　　　اذا صـبر خـوّار الرّجـال لعـبيد

وفـي هـذه الحمّىٰ دليـل بأنّـها　　　لمَـوت البـرايـا قـائد وبـريد

ولنختم الكلام في هذا الباب ونُحيل تفصيل الكلام الىٰ موضعه إنشاء اللّه تعالىٰ سلام اللّه عليها وعلىٰ أبيها وبعلها وبَنيها ونسأل اللّه تعالىٰ أن يجعلنا من شيعتها ومُحبّيها في الدّنيا والآخرة بحقّ مُحمّد وعترته الطّاهرة آمين:

ومن كلام له عليه السلام (٢٠٢)

▫ قوله عليه السلام: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ وَالآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ وَلاَ تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ وَأَخْرِجُوا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدانُكُمْ فَفِيهَا أُخْتُبِرْتُمْ وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ مَا تَرَكَ وَقَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ مَا قَدَّمَ لِلَّهِ آباؤكم فَقَدَّمُوا بَعْضاً وَلاَ تُخَلِّفُوا كُلاً فَيَكُونَ فَرْضاً عَلَيْكُمْ.

◁ اللغة

(مَجَازٍ) بفتح الميم مصدرٌ من جاز يَجوز اذا عَبَر (قَرَارٍ) بفتح القاف إسم من قَرّ الشَيْ ومعناه إستَقَر بالمكان (أُخْتُبِرْتُمْ) الإختبار الإمتحان (هَلَكَ) مات والباقي واضح.

◁ المعنىٰ

(أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الدُّنْيَا) الّتي تَعيشون فيها وتعتمدون عليها (دَارُ مَجَازٍ) لأن تعبروا عليها كالجسر (وَالآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ) وثبات (فَخُذُوا) من الزّاد (مِنْ مَمَرِّكُمْ) وهو الدّنيا (لِمَقَرِّكُمْ) وهو الآخرة (وَلاَ تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ) أي لا تُجاهروا بالمعاصى والعدوان (عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ) وهو الواجب تعالىٰ فأنّه يعلم السّر كما يعلم العَلَن (وَأَخْرِجُوا) بالمَوت الإرادي (قُلُوبَكُمْ) من الدّنيا

(مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا) من الدّنيا (اَبْدانُكُمْ) بالمَوت الطَبيعي (فَفِيهَا) أي ففي الدّنيا (أُخْتُبِرْتُمْ) بأنواع البلايا (وَلِغَيْرِهَا) أي ولغير الدّنيا (خُلِقْتُمْ) وهو الآخرة (اِنَّ الْمَرْءَ اِذَا هَلَكَ) ومات (قَالَ النَّاسُ مَا تَرَكَ) للنّاس أو لورثته من المال (وَقَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ مَا قَدَّمَ) من الأعمال الصّالحة لِلآخرة (لِلَّهِ آباؤكم) إستِعظمهم حيث نَسَب آباؤهم الى الله (فَقَدِّمُوا) لآخرتكم (بَعْضاً) من الأعمال لآخرتكم (وَلاَ تُخَلِّفُوا) في الدّنيا (كُلاً) أي كلّ ما حَصَلْتُموه (فَيَكُونَ فَرْضاً عَلَيْكُمْ) في الدّنيا لا لكم:

◁ الشّرح

▫ قوله عليه السلام: اَيُّهَا النَّاسُ اِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ ....

أفاد عليه السلام في المقام أنّ الدّنيا ليست بدار القرار بل هي بمنزلة الجسر الّذي يعبر عليه العابر للبلُوغ الىٰ ماوراءه فلا ينبغي لِلعابر أن يَعتمد عليه ويقوم فيه وأمّا الآخرة فهي علىٰ خلاف الدّنيا من هذه الجهة فهي دار قرارٍ وثبات وحاصل الكلام أنّ الدّنيا خُلقت لأجل العُبور عليها والتّجاوز عنها والآخرة خُلقت لأجل الخلُود فيها والعاقل لا يترك الباقي لأجل الإعتماد علىٰ الفاني ألا ترىٰ أنّ الله تعالىٰ قد ذمّ في كتابه من إختار الدّنيا علىٰ الآخرة حيث قال: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُولٰئِكَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ﴾[1]

و: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللّٰهِ خَيْرٌ وَاَبْقىٰ اَفَلاَتَعْقِلُونَ. اَفَمَنْ وَّعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاَقِيهِ، كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾[2]

و: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَاَبْقىٰ﴾[3] وقد تكلّمنا في الدّنيا

١- ابراهيم ـ٣
٢- القصص ـ٦١/٦٠
٣- الاعلى ـ١٦

وحقيقتها ومضارها غير مرّة في هذا الكتاب:

□ **قوله ﷺ: فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ وَلاَ تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ...**

الفاء للتّفريع أي اذا كانت الدّنيا دار مجاز والآخرة دار قرارٍ فخُذوا من ممّركم أعني به الدّنيا من الزّاد لمقّركم وهو الآخرة وفيه إشارة الى أنّ الزّاد الّذي ينبغي أن يُحصّله المُسافر لِسَفره لابدّ من حصوله قبل السّفر وأمّا بعده فلا يمكن له تحصيل الزّاد وعليه فالإنسان الّذي لابدّ له من سفر الآخرة ينبغي أن يحصّل زاده قبل مَوته اذ بعده لا يمكن له تحصيل الزّاد فأنّ اليوم عَملٌ ولا حساب وغداً حسابٌ ولا عَمَل ولا شك أنّ خير الزّاد فيها التّقوىٰ فأنّ زاد كلّ سفرٍ بَحسبه ولذلك أمرنا اللّه بها قال اللّه تعالىٰ في كتابه:﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوىٰ﴾(١) وأمّا قوله ﷺ ولا تهتكوا أستاركم الخ المراد بالأستار المعاصي فأنّها حُجبٌ بين العبد وبين اللّه تعالىٰ وهتكها إرتكابها والمعنىٰ لا ترتكبوا المعاصي الّتي تُوجب هتككم عند ربّكم الّذي يعلم أسراركم فأنّه عالم بالأسرار الّتي في قلوبكم فضلاً عمّا تَرتكبونها من الأفعال في خلواتكم﴿اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾(٢):

□ **قوله ﷺ: وَأَخْرِجُوا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدانُكُمْ...**

أي أخرجوا من قلوبكم حبّ الدّنيا فأنّ حُبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة من قبل أن تخرج من الدّنيا أبدانكم بالمَوت الطّبيعي الّذي لا محيص عنه لكلّ أحدٍ وإخراج حبّ الدّنيا عن القلب هو الّذي قد يُعبّر عنه بالمَوت الإرادي كما يُعبّر عن خروج الأبدان من الدّنيا بالمَوت الطّبيعي والىٰ هذا المعنىٰ أشار الرّسُول ﷺ بقوله **مُوتوا قبل أن تَموتوا**، أي مُوتوا في الدّنيا بالمَوت الإرادي قبل أن تموتوا فيها بالمَوت الطّبيعي فكأنّه قال أقطعوا علائقكم عن الدّنيا قبل قطعها بالمَوت وهذا المقام لا يمكن البلُوغ اليه بسهولةٍ فأنّه صَعبٌ عَسيرٌ جدّاً لأنّ

١-البقرة-١٩٧.

٢-آل عمران-١٠٢.

الدّنيا بحرٌ عميق قد غرق فيها خلق كثير بل أكثر.

ثمّ أنّ المراد بالإخراج ليس ترك الدّنيا بالمرّة والإقبال الىٰ الآخرة بالكلّية بل المراد به إخراج حُبّها عن القلب فأنّ ترك الدّنيا شيءٌ وترك حُبّها شيءٌ آخر والأوّل يساوق الرّهبانية المَمنوعة في الشّريعة المُقدسَة والثّاني ليس كذلك إذ لا مُنافاة عقلاً وشرعاً وعُرفاً بين أن يكون الإنسان واجداً لشيءٍ وهو لا يُحبّه والىٰ هذا المعنىٰ أشار أمير المؤمنين عليه السلام في بعض كلماته حيث قال **كُن في الدّنيا ولا تكُن معها، أو كُن فيهم ولا تكُن مَعهم** فأنّ الكون في الشّيءِ لا يلازم حُبّه والمؤمن الكامل العارف يكون كذلك بل نقول من كان في الدّنيا مُتنّعماً بنعمها مُلتذاً بلذائذها حائزاً لمقاماتها وحكوماتها وهو مع ذلك يُبغضها ولا يَعتمد عليها ولا يُدخل حُبّها في قلبها يكون أعلىٰ مقاماً وأرفع درجةً مِمّن تَركها بالمرّة سواء كان التّرك من جهة عدم إمكان الوصول اليها أو أمكَنَ ولكنّه تركها بطيب نفسه وذلك لأنّه فرقٌ واضح بين عدم الدّخول في شيءٍ أصلاً وبين الدّخول فيه وحِفظ النّفس عن خَطراته فَمن ظنّ أنّ الزّهد في الدّنيا معناه الفقر والإنعزال عن النّاس، وأنّ حبّ الدّنيا معناه المال والمقام فقد أخطأ خطأً فاحشاً والحاصل أنّ الملاك هو الحُبّ وعَدَمه هذا:

تحقيق عرفاني، وهو أنّ الأنسان الواقعي يكون مَيتاً بالإرادة وحيّاً بالطّبيعة قطعاً ومن ليس كذلك فهو ليس بإنسانٍ حقّاً بل هُو هو صُورةً ولتوضيح المدّعىٰ نقول:

قد ثبت أنّ الإنسان إنسان بالعقل فلو كان العقل عنه مرتفعاً فليس هو بإنسانٍ واقعاً بل هو مثل البَهائم ولأجل هذا لا يُعبأ بقوله ولا بفعله ولا يُعاقب عليهما أيضاً في الدّنيا والآخرة وهذا ممّا لا شكّ فيه فأنّ المجنون لا يكون إنساناً إلّا بالصّورة ولذلك رُفع القلم عنه:

ثمّ أنّ العَقل الّذي هو ملاك الأنسانية في الأنسان لا يكمل بل لا يكون عقلاً إلّا بعد الإهتداء بالشّرع كما أنّ الشّرع لا يتّبين إلّا بالعَقل فالعقل كالأسّ والشّرع

كالبناء ولن يغني أسّ مالم يكن بناء ولن يثبت بناء مالم يكن أسّ أو أنّ العَقل كالبَصر والشّرع كالشّعاع ولن يغني البَصر مالم يكن شعاع من خارج ولن يغني الشّعاع ما لم يكن بصروا الى هذا المعنىٰ أُشير بقوله تعالىٰ حيث قال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَّ كِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللّٰـهُ مَنِ اتَّـبَعَ رِضْـوَانَـهُ سُـبُلَ السَّـلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَ يَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [(١)].

و: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللّٰهُ لَهُ نُوراً فَمَالَهُ مِنْ نُـورٍ﴾ [(٢)] أو أنّ العـقل كـالسّراج والشّرع كالزّيت الّذي يمدّه فما لم يكن زيت لم يشتعل السّراج ومالم يكن السّراج لم يضيء الزّيت وعلىٰ هذا نبّه بقوله تعالىٰ: ﴿اللهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكٰوةٍ﴾ [(٣)]

أو أنّ العَقل شرعٌ من داخل والشّرع عَقل من خارج وهما يتعاضدان بـل يتّحدان ولكون الشّرع عقلاً من خارج سلب اللّٰه إسم العَقل من الكافر في غير موضع من القرآن كما قال تعالىٰ: ﴿صُمٌ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَايَعْقِلُونَ﴾ [(٤)]

ولكون العَقل شرعاً من داخل قال تعالىٰ في صفة العقل: ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [(٥)]

فسمّىٰ العقل ديناً ولكونهما متّحدين قال تعالىٰ: ﴿نُورٌ عَلىٰ نُورٍ﴾ [(٦)] أي نور العقل ونور الشّرع ثمّ قال: ﴿يَهْدِى اللّٰهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [(٧)] فجعلهما نوراً واحداً فالعقل اذا فقد الشّرع عَجَز عن أكثر الأمور كما عجزت العين عند فقد النّور فالعقل بنفسه قليل الغناء لا يكاد يتوصل الىٰ معرفة الجزئيات فيما يتطرق اليه من الحُسن والقُبح فهو يدرك أنّ العَدل حَسن والظّلم قبيح وأمّا موارد العَدل والظّـلم وأنّـه فـي أيّ مـورد صـدقهما وبـعبارةٍ أُخرىٰ تشـخيص المـوارد والمَصاديق الجُزئية فَتبيانه بالشّرع فالشّرع يعرف الكلّيات والجُزئيات والعقل

---

١ - المائدة ـ ١٥/١٦
٢ - النّور ـ ٤٠
٣ - النّور ـ ٣٥
٤ - البقرة ـ ٢١٧
٥ - الرّوم ـ ٣٠
٦ - النّور ـ ٣٥
٧ - النّور ـ ٣٥

يعرف الكلّيات فقط وأمّا فيما عدا المَحسُوسات ومايتنهي اليها فلا سبيل له اليه ولأجل هذا نقول أنّ العَقل يحتاج الىٰ الشّرع:

فالإنسان في الحقيقة هو الّذي يعبد الله ويتّشرع بالشّريعة كما قال الصّادق عليه السلام العَقل ما عُبد به الرّحمٰن وإكتَسَب به الجنّان، فالإنسان يحصل له من الإنسانية بقدر ما يحصل له من العبادة الّتي خُلق لأجلها فَمن قام بها حقّ القيام فقد إستكمل الإنسانية ومن رَفَضها فقد إنسَلَخ عن الإنسانية وصار حيواناً أو دونه: ﴿إنّ شَرّ الدّوابّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ البُكمُ الّذينَ لا يَعقِلُونَ﴾[1] فلم يرض الله تعالىٰ بجعلهم أنعاماً ودواباً حتّىٰ جَعَلهم أضَلّ منها وجَعَلهم من أشرارها وأخرج كلامهم من جملة البيان حيث قال: ﴿وَمَا كانَ صَلاتُهُمْ عِندَ البَيْتِ إلاّ مُكاءً وَتَصْدِيَةً﴾[2] تنبيهاً علىٰ أنّهم كالطّيور في المكاء والتّصدية وقد نبّه الله تعالىٰ علىٰ ما ذكرناه من أنّ الإنسان لا يكون إنساناً إلّا بالدّين ولا ذا بيان إلّا بقُدرته علىٰ الإتيان بالحقائق الدّينية قال تعالىٰ:

﴿الرَّحمٰنُ، عَلَّمَ القُرآنَ خَلَقَ الإنسانَ ،عَلَّمَهُ البَيانَ﴾[3] فإبتدء بتَعليم القرآن أوّلاً ثمّ بخَلق الإنسان ثانياً، ثمّ بتعليم البيان ثالثاً ولم يدخل الواو بينها، وكان الوجه علىٰ تعارف النّاس أن يقول، خَلق الإنسان وعَلّمه البيان وعَلّم القرآن وذلك لأنّ إيجاد الإنسان في نَظرنا مُقدّم علىٰ تعليم البيان وهو علىٰ تعليم القرآن ولكن لمّا لم يعدّ الإنسان إنساناً مالم يتَخصص بالقرآن إبتدء بالقرآن ثمّ قال خَلَق الإنسان تنبيهاً علىٰ أنّ بتعليم القرآن جَعله إنساناً علىٰ الحقيقة ثمّ قال علّمه البيان تنبيهاً علىٰ أنّ البيان الحقيقي المُختَص بالإنسان يحصل بعد مَعرفة القرآن فنبّه بهذا التّرتيب المَخصُوص وترك حرف العطف منه وجعل كلّ جملةٍ بَدلاً ممّا قبلها لا عطفاً علىٰ أنّ الإنسان مالم يكن عارفاً برسوم العبادة متَخصصاً بها لا يكون إنساناً وأنّ كلامه مالم يكن علىٰ مُقتضىٰ الشّرع لا يكون بياناً:

١- الانفال ـ٢٢ ٢- الانفال ـ٣٥

٣- الرّحمٰن ١/٢

وحاصل الكلام أنّ إسم الشّيْ اذا أطلقه الحكيم علىٰ سَبيل المَدح يتناول الأشرف فقوله تعالىٰ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكْ﴾ (١) يُحمل علىٰ المَدح وأنّ المراد بالذّكر المَحمُود منه وأن كان في الأصل يقال للمَحمُود والمذمُوم ومن هذا القبيل قولهم في العُرف زيد إنسان وهذا السّيف سيف وهو ظاهر وقال بعض الحُكماء في قولهم (انّ الإنسان هو الحيّ النّاطق المايت).

ليس معناه ما توهمه كثير من النّاس من أنّ المراد بالحيّ الحياة الحَيَوانية وبالنّاطق النّطق الّذي هو فيه بالقوّة وبالمايت المَوت الحيواني، بل المراد بالحيّ من كانت له الحياة المذكورة في قوله تعالىٰ: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (٢) وبالمايت من جعل قوىٰ النّفس الشّهوانية والغَيضية مقهورتين علىٰ مُقتضىٰ الشّريعة فَحينئذٍ يكون الإنسان لا محالة ميّتاً بالإرادة حيّاً بالطّبيعة وكيف لا يكون ميّتاً بالإرادة مع أنّ الميّت فَصله المُميّز الّذي هو ذَاتي له كما أنّ النّاطق أيضاً كذلك فكما أنّ الإنسان لا يَنفك عن النّطق كذلك لا يَنفك عن المَوت الإرادي الّذي هو فصله وإلّا فالمايت بمعنىٰ المَوت الحيواني ليس فصلاً لِلإنسان اذ لا يُميّزه عن غيره بل هو من لوازم المخلوق كائناً من كان اذ كلَ مخلوق فهو يَموت لا محالة ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٣) فإذاً ثبت أنّ المراد بالمايت الّذي هو أحد الفصول لِلإنسان المَوت الإرادي وهو المطلوب فكلّ إنسان مايت أي يَموت بالمَوت الإرادي وينعكس بعكس النّقيض الىٰ أنّ كلّ من ليس بمايت ليس بإنسان حقّاً وهذا معنىٰ قولهم أنّ المَوت الإرادي لا يَنفك عن الإنسان الحقيقي ومن ليس كذلك فهو إنسان مجازاً لا حقيقةً فكلامه ﷺ في المقام إرشاد لهم الىٰ فطرتهم الأصلية لو كانوا يعقلون هذا ما فهمناه من كلامه فاغتنمه أن كنت أهلاً له وكُن من الشّاكرين:

١- الانشراح - ٤
٢- الرّحمن - ١/٢/٣/٤
٣- الرحمن - ٢٦/٢٧

▫ **قوله ﷺ: فَفِيهَا اُخْتُبِرْتُمْ وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ اِنَّ الْمَرْءَ اِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ مَا تَرَكَ وَقَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ مَا قَدَّمَ...**

أي ففي الدّنيا أُختبرتم ولغير الدّنيا أعني به الآخرة خُلقتم.

والأوّل: إشارة الىٰ أن الدّنيا دار بليّة وإمتحانٍ وهذا ممّا لاشك فيه قال اللّه تعالىٰ: ﴿**الم اَحَسِبَ النَّاسُ اَنْ يُتْرَكُوا اَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَيُفْتَنُونَ**﴾(١)

و: ﴿**اِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْاَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ اَيُّهُمْ اَحْسَنُ عَمَلاً**﴾(٢)

و: ﴿**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَاِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾(٣)

و: ﴿**اَلَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيٰوةَ لِيَبْلُوَكُمْ اَيُّكُمْ اَحْسَنُ عَمَلاً**﴾(٤) ثمّ أنّ هذا الإختبار والإمتحان تارة يكون بالمال وأُخرىٰ بالفقر وثالثةٍ بالعلم ورابعة بالرّئاسة وخامسة بالصّحة وسادسة بالمَرض وهكذا والمؤمن الحقيقي من كان راضياً برضاء اللّه تسليماً بقضاءه وقَدَره غير مغرورٍ بالدّنيا وزخارفها وقد مَرّ الكلام في الباب غير مرّةٍ.

والثاني: وهو قوله ﷺ: **وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ** إشارة الىٰ عدم بقاء الدّنيا وما فيها وأنّها في معرض الفناء والزّوال وعليه فكلّ مَن فيها أيضاً كذلك فالإنسان لم يُخلق لها بل خُلق لغيرها وهو الآخرة فهي دار البقاء والدّوام والثّبات واذا كان كذلك فَينبغي له تحصيل الزّاد فيها لها ولعلّه الىٰ هذا المعنىٰ أشار النبي ﷺ حيث قال **خُلقتم للبقاء لا للفناء** أي خُلقتم لِلآخرة لا لِلدّنيا قال اللّه تعالىٰ: ﴿**وَالْاٰخِرَةُ خَيْرٌ وَاَبْقىٰ**﴾(٥)

و: ﴿**وَاِنَّ الدَّارَ الْاٰخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾(٦)

و: ﴿**يَاقَوْمِ اِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَاِنَّ الْاٰخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ**﴾(٧)

١- العنكبوت ـ٢ ٢- الكهف ـ٧
٣- الانبياء ـ٣٥ ٤- الملك ـ٣
٥- الاعلىٰ ـ١٧ ٦- العنكبوت ـ٦٤
٧- الغافر ـ٣٩

وأمّا قوله عليه السلام: إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ مَا تَرَكَ أي ما ترك من الأموال والأولاد وقالت الملائكة ماقدّم أي ما قدّم لِنفسه من الأعمال الصّالحة ﴿يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مالٌ وَ لابَنُونَ، إلاّ مَنْ اَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(1)

و : ﴿يُنَبَّؤُا الإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ بِما قَدَّمَ وَاَخَّرَ﴾(2).

و : ﴿يا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾(3)

و : ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ ما قَدَّمَتْ يَداهُ﴾(4)

و : ﴿ذالِكَ بِما قَدَّمَتْ يَداكَ وَاَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾(5) وغيرها من الآيات ومن المعلوم أنّ خير الأعمال في الدّنيا الأعمال الصّالحة النّاشئة عن العَبد علىٰ وفق الكتاب والسّنة:

▫ قوله عليه السلام: لِلّهِ آباؤكم فَقَدِّمُوا بَعْضاً وَلاَ تُخَلِّفُوا كُلاًّ فَيَكُونَ فَرْضاً عَلَيْكُمْ...

قوله عليه السلام: لِلّه آباؤكم من قبيل قول العَرب لِلّه دُرّكـم والغَـرض أنّ هـذا الكلام أُوتي به لِلإستعظام وطلب الخير والرّحمة فالمعنىٰ أطلب الخير من الله لآبائكم مثلاً حيث ولدوا مثلكم في طريق الحقّ والإستقامة علىٰ الخير فقدّموا لآخرتكم بعضاً من الأعمال أو الأموال يكن لكم أي لِتنتفعوا به في القيامة ولا تخلّفوا الأموال كلّها للورّاث فيكون وزرها عليكم ونفعها لِغيركم هذا اذا قرأنا قوله عليه السلام: كُلّه، بضّم الكاف كما هو الظّاهر ويظهر من الشّارح الخوئي أنّه قَرأه بفتح الكاف بمعنىٰ الثّقل وعليه فالمعنىٰ ولا تَخلّفوا أي ولا تتركوا في الدّنيا جميع أموالكم فيكون عليكم كَلاً أي ثَقيلاً لا خير فيه والأوّل أظـهر وأَوفـق بسياق العبارة فأنّ مقابل البعض الكُلّ بضّم الكاف لا بفتحها وكيف كان فكلامه عليه السلام مشعر بأنّ الإنسان ينبغي أن يُصرف بعض أمواله في حوائجه في الدّنـيا

1- الشعراء- 89
2- القيامة- 13
3- الحشر- 18
4- النبأ- 40
5- الحج- 10

وبعضاً آخر منها يُنفقه في طاعة الله ومَرضاته جمعاً بين الدّنيا والآخرة ومُراعاةً لحدِّ الوَسط فأنّ طريق الوسطى هي الجادّة كما قال الله تعالى: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾[1] أي لا تُبخل فيما أتاك الله بأن لا تعطي أحداً شيئاً في طريق الحقّ ولا تُعطي الأموال كلّها في سبيل الله بأن لا يبقى لك منها شيئاً فتقعد ملوماً محسُوراً لكون الأوّل من التّفريط والثّاني من الإفراط وكلاهما مذمُومان عقلاً وشرعاً.

١ - الاسراء - ٢٩

ومن كلام له عليه السلام (٢٠٣)

▫ قوله عليه السلام: تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللّهُ فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ وَأَقِلُّوا الْعُرْجَةَ عَلَى الدُّنْيَا وَانْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَؤُوداً وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً لاَبُدَّ مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا وَالْوُقُوفِ عِنْدَهَا وَاعْلَمُوا أَنَّ مَلاَحِظَ الْمَنِيَّةِ نَحْوَكُمْ دَانِيَةٌ وَكَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَقَدْ نَشِبَتْ فِيكُمْ وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْظِعَاتُ الأُمُورِ وَمُعْضِلاَتُ الْمَحْذُورِ فَقَطِّعُوا عَلاَئِقَ الدُّنْيَا وَاسْتَظْهِرُوا بِزَادِ التَّقْوَى.

قال السيّد رحمه الله: وقد مضى شيءٌ من هذا الكلام فيما تقدم بخلاف هذه الرّواية:

◁ اللّغة

(تَجَهَّزُوا) فعل أمر من تَجَهز وجهاز المسافر ما يحتاج اليه في سفره والمعنى أعدّوا الجهاز لسفر الآخرة **(الْعُرْجَةَ)** بضم العين إسم من التّعريج بمعنى حبس المطيّة على المَنزل **(كَئوداً)** الكئود بفتح الكاف على وزن كَفور الصّعبة الشّاقة **(دانية)** أي قريبة **(نَشِبَتْ)** أي عَلَقت **(وَاسْتَظْهِرُوا)** أي إستَعينوا.

◁ المعنى

(تَجَهَّزُوا) أي إستعدوا للمَوت بتهيئ ماتحتاجون اليه من الزّاد **(رَحِمَكُمْ اللّهُ فَقَدْ نُودِيَ)** من ملك المَوت **(فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ)** والخروج عن هذه الدّنيا

(وَأَقِلُّوا الْعُرْجَةَ) أي إجعلوا ركونكم اليها قليلاً (عَلَى الدُّنْيَا) لِعَدم الإعتماد عليها (وَانْقَلِبُوا) الى الآخرة (بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ) والعَمل الصَالح (فَإِنَّ اَمَامَكُمْ) بعد خروجكم عن الدنيا (عَقَبَةً كَؤُوداً) أي صَعبةً شَاقَةً (وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً لاَبُدَّ) لكم (مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا) كالقَبر والعبُور عن الصَراط والحساب وغير ذلك (وَالْوُقُوفِ عِنْدَهَا) للحساب (وَاعْلَمُوا اَنَّ مَلاَحِظَ الْمَنِيَّةِ) والمَوت (نَحْوَكُمْ دَانِيَةٌ) قريبة ليست بـبعيدة (وَكَاَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا) أي مخالب المَوت وأظفارها (وَقَدْ نَشِبَتْ) وعَلَّقت (فِيكُمْ) فلا يمكن لكم الفِرار منها (وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ) وغشَيتكم (فِيهَا) في المنيّة، (مُفْظِعَاتُ الأُمُورِ) وشنائعها (وَمُعْضِلاَتُ الْمَحْذُورِ) أي المشاكل الّتي ينبغي الحَذر منها (فَقَطِّعُوا عَلاَئِقَ الدُّنْيَا) عن قلُوبكم (وَاسْتَظْهِرُوا) وإستَعينوا (بِزَادِ التَّقْوىٰ) في الآخرة.

◁ الشَرح

▫ قوله ﷺ: تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللّٰهُ فَقَدْ نُودِىَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ ...

أي إستَعدوا للمَوت فقد نُودي فيكم بالرَحيل والخروج عن الدّنيا والإقبال علىٰ الآخرة وهذا النّداء إمّا من قبل اللّٰه تعالىٰ كما قال في كتابه:﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاَقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(١)

و: ﴿وَ جَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَالِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾(٢)

و: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَانَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾(٣)

و: ﴿وَ اَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَأْتِىَ اَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾(٤)

١- الجمعة ـ ٨ ٢- ق ـ ١٩
٣- الواقعة ـ ٦٠ ٤- المنافقون ـ ١٠

و : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (١) وغيرها من الآيات.

له مَــلَك يُــنادي كــلّ يــومٍ لِـدُوا للـموت وأبـنوا للـخراب

روي أنّ أُسامة بن زيد إشترىٰ وليدة بمِائة دينار الىٰ شهر فَسَمع رسول اللّه ﷺ فقال ألا تَعجبون من أُسامة المشتري الىٰ شهر أنّ أُسامة لطويل الأمل والّذي نفسي بيده ماطرفت عيناي إلّا ظَنَنت أنّ شفري لا يلتَقيان حتّىٰ يَقبض اللّـه روحي ولا رفعت طرفي وظَنَنت أنّي خافضه حتّىٰ أُقبض ولا لَقمت لُـقمة إلّا وأنّي ظَنَنت لا أُسيغها أنحصر بها من المَوت ثمّ قال ﷺ يابني آدم أن كنتم تَعقلون فعدّوا أنفسكم من المَوتىٰ والّذي نفسي بيده :﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (٢)

وقال أبو جعفر عليه السلام أنّ مَلَكاً يُنادي في كلّ يومٍ ابن آدم لِد للمَوت وإجمع للفناء وأبن للخَراب انتهىٰ...

وعن الصّادق عليه السلام قال عيسىٰ بن مريم عليه السلام هَولٌ لا تدري متىٰ يغشاك مـا يمنعك أن تستَعد له قبل أن يُفاجئك انتهىٰ...

وقال رسول اللّه ﷺ لو تَعلم البهائم من المَوت ما تعلمون ماأكلتم مـنها سَميناً أَبَداً انتهىٰ...

وقال أبو عبد اللّه عليه السلام أتىٰ جبرئيل رسول اللّه فقال يامُحمّد أنّ اللّه يقرؤك السّلام ويقول إعمل ماشئت فأنّك لاقيه وأحبب من شئت فأنّك مُفارقه وعش ماشئت فأنّك مَيّت الحديث «مشكاة الانوار ص ٣٠٢ و ٣٠٤»...

هو المَوت لا مُنجي من المَوت والّـذي
نُـحاذر بـعد المَـوت أدهَـىٰ وأَفـظَع

وقال الآخر :

إعمَل وأنت صحيحٌ مُطلقٌ فَرِحٌ مادُمتَ ويحك يامغرور في مَهَلٍ
يرجو الحياة صحيحٌ ربّما كَمُنت له المـنّية بـين الزّبـد والعَسَـل

١-الزمر ـ ٣٠ ٢-الانعام ـ ١٣٤

ولآخر:

اذا ما حمام المَرء كان ببلدةٍ   دَعَته اليها حاجةٌ فيطير

وحُكي أنّ شاباً تَقياً من بني إسرائيل كان يجتمع مع سليمان عليه السلام ويحضر مجالسه فَبينما هو عند سُليمان في مجلسه اذ دَخل مَلك المَوت عليه فلمّا رأه الشّاب إصفر لَونه وإرتَعدت فَرائصه وقال يانبي الله أنّي خِفتُ من هذا الرّجل فمِر الرّيح أن يذهب بي الىٰ الهِند فأَمَر سليمان الرّيح فَذهَبت به فما كان إلّا قليل حتّىٰ دَخل مَلك المَوت علىٰ سليمان وهو متعجب فقال له سُليمان مِمَّ تعَجَبت قال أعجب أنّي أُمرت بقبض روح الشّاب الّذي كان عندك بأرض الهِند ودَخلت عَليك فَوجدته عندك فَصرتُ مُتعجّباً ثمّ توجّهت الىٰ الهِند فَرأيته هناك وقَبضت روحه فهذا عَجبي فقال له سليمان أنّه لمّا رآك خاف وإنزَعج وطَلب منّي أن تَحمله الرّيح الىٰ الهِند فَأمَرتها فَحملته وفي ذلك المعنىٰ قيل:

ومُتعبُ الرّوح مُرتاح الىٰ بلدٍ   والمَوت يَطلبه في ذلك البَلد

- **قوله عليه السلام: وَأَقِلُّوا الْعُرْجَةَ عَلَى الدُّنْيَا وَانْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ...**

أي اذا كانت الدّنيا كذلك فأَقِلّوا العُرجة أي إجعلوا ركُونكم الىٰ الدّنيا قليلاً فلا تَعتمدوا ولا تَطمِأنوا بها وأمّا قوله عليه السلام: **وَانْقَلِبُوا** الىٰ آخر كلامه فقالوا في شرحه أي إنصَرفوا الىٰ وَطنكم الأصلي الّذي منه خَرجتم وهو الدّار الآخرة والجنّة وذلك بإعتبار كونهم ذَراً في صلب أبيهم آدم منه خَرج واليه عاد أو المراد إنصرافهم الىٰ الحقّ الأوّل عزّ وجلّ فأنّه تعالىٰ منه المَبدء واليه الإنتهاء هذا خلاصة ما أفاده والّذي يقتضيه النّظر أنّ كلامه عليه السلام لا يدّل عليه إلّا علىٰ وجهٍ بعيد وظاهر الكلام يأباه والحقّ أنّ المراد بالإنقلاب في المقام الإنقلاب في الأعمال والمعنىٰ بَدِلُوا الأعمال السّيئة القَبيحة بالأعمال الحَسَنة الّتي يُعبر

عنها بالزّاد في قوله تعالىٰ:﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾[1] وذلك لأنّ الأعمال الّتي تصدر من الإنسان لا تخلو أمّا أن تكون حَسنة أو سَيّئة وكلاهما تحت إختيار المُكلّف وعليه فترك السّيئات والأخذ بالحَسنات لا محذور فيه وهو الإنقلاب فأنّ الإنقلاب قلب شئ بشئ آخر والحاصل أنّه ينبغي قلب السّيئات بالحَسنات الّتي هي خير الزّاد ليوم المعاد:

▫ قوله ﷺ: **فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَؤُوداً وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً لَابُدَّ مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا وَالْوُقُوفِ عِنْدَهَا...**

المراد بالعَقَبة المَوت ووَصفها بكونها كَئُوداً يدّل علىٰ شدّتها وصَعبها فأنّ الموت حقّاً كذلك والمنازل المخُوفة المَهُولة الّتي لابدّ من الورود عليها والوقوف عندها عبارة عمّا يلي المَوت من القبر والعُبور عن الصّراط والقيامة وبالجُملة المواقف فأنّها كثيرة مَخُوفة وقد مَرّ الكلام فيها إجمالاً وتفصيلها، يطلب من كُتب الأخبار ولا سيّما البحار والآيات الكريمة قد صَرحَت بها كما لا يخفي وحيث إنّا قد تكلّمنا في المَوت وما بعده الىٰ الوقوف في المَحشَر في ما مضىٰ فلا نعيد الكلام منه ثانياً أعاذنا اللّه تعالىٰ منها .

▫ قوله ﷺ: **وَاعْلَمُوا أَنَّ مَلَاحِظَ الْمَنِيَّةِ نَحْوَكُمْ دَانِيَةٌ وَكَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَقَدْ نَشِبَتْ فِيكُمْ...**

الملاحظ جمع مَلحَظ بمصدر مسّمىٰ بمعنىٰ اللّحظ والمعنىٰ أنّ المنّية والمَوت تنظر اليكم باللّحظ والشّزر بمؤخّر عَينها كأنّها غضبان مُجدّةٌ فيه وهي قريبة اليكم وكأنّكم قد وقعتم في مخالبها وقد نشبت المخالب فيكم بحيث لا يمكن لكم الفرار منها كما قيل:

وإذا المنّية أنشبت أظفارها ألفيت كلّ تميمة لا تنفع

شبّه ﷺ المنّية بالسّبع الفتّاك علىٰ سبيل الإستعارة وأثبت لها المخالب والنّشوب تخييلاً وترشيحاً ووجه الشّبه ظاهر فكما لا يمكن الفرار عن مخالب

1- البقرة-١٩٧

السّبع كذلك لا يمكن الفرار عن المَوت:

▫ **قوله ﷺ: وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْظِعَاتُ الْأُمُورِ وَمُعْضِلاَتُ الْمَحْذُورِ...**

أي وقد غَشيتكم من المنّية الأمُور الشّنيعة والدّواهي الشّديدة الّتي تُحذَر منها وتُحتَرز وبعبارةٍ أوضح هذه الأمور صارت بمنزلة السّتر والحجاب بينكم وبين المَوت وأن شئت قلت شغلتكم عن المَوت اللّذات والمشتهيات النّفسانية والإنغمار في المعاصي:

▫ **قوله ﷺ: فَقَطِّعُوا عَلاَئِقَ الدُّنْيَا وَاسْتَظْهِرُوا بِزَادِ التَّقْوَى...**

أي اذا كان الأمر على هذا المنوال فقطّعوا عن قلوبكم علائق الدّنيا فأنّ حبّها رأس كلّ خطيئة وإستظهروا أي وأستعينوا بزاد التّقوى في الوصول الى المَدارج العالية والبلُوغ الى الجنّة الّتي عرضها السّموات والأرض فأنّ خير الزّاد التّقوى كما مرّ الكلام فيه غير مرّة اللّهم إجعلنا من المُتّقين وإحشرنا مع الأبرار والصّالحين بحقّ مُحمّدٍ وآله الطّاهرين:

ومن كلام له عليه السلام (٢٠٤)

□ قوله عليه السلام: لَقَدَ نَقَمْتُمَا يَسِيراً وَارْجَأْتُمَا كَثِيراً الاَ تُخْبِرَانِي اَيُّ شَيْءٍ كَانَ لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُمَا عَنْهُ وَاَيُّ قَسْمٍ بِسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمَا بِهِ أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ اِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ أَمْ جَهِلْتُهُ اَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ!

وَاللّٰهِ مَا كَانَتْ لِي فِي الْخِلاَفَةِ رَغْبَةٌ وَلاَ فِي الْوِلاَيَةِ اِرْبَةٌ وَلٰكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي اِلَيْهَا وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا فَلَمَّا أَفْضَتْ اِلَيَّ نَظَرْتُ اِلَىٰ كِتَابِ اللّٰهِ وَمَاوَضَعَ لَنَا وَأَمَرَنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ وَمَا اسْتَسَنَّ النَّبِيُّ فَاقْتَدَيْتُهُ فَلَمْ اَحْتَجْ فِي ذٰلِكَ اِلَىٰ رَأْيِكُمَا وَلاَ رَأْيِ غَيْرِكُمَا وَلاَ وَقَعَ حُكْمٌ جَهِلْتُهُ فَأَسْتَشِيرَكُمَا وَإِخْوَانِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَوْ كَانَ ذٰلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا وَلاَ عَنْ غَيْرِكُمَا وَأَمَّا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الْأُسْوَةِ فَإِنَّ ذٰلِكَ أَمْرٌ لَمْ اَحْكُمْ اَنَا فِيهِ بِرَأْيِي وَلاَ وَلِيتُهُ هَوىً مِنِّي بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا مَاجَاءَ بِهِ رَسُولُ اللّٰهِ صلى الله عليه وآله قَدْ فَرَغَ مِنْهُ فَلَمْ أَحْتَجْ اِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَغَ اللّٰهُ مِنْ قَسْمِهِ وَأَمْضَىٰ فِيهِ حُكْمَهُ فَلَيْسَ لَكُمَا وَاللّٰهِ عِنْدِي وَلاَ لِغَيْرِكُمَا فِي هٰذَا عُتْبَىٰ أَخَذَ اللّٰهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ اِلَىٰ الْحَقِّ وَأَلْهَمَنَا وَاِيَّاكُمْ الصَّبْرَ.

ثُمَّ قَالَ عليه السلام: رَحِمَ اللّٰهُ رَجُلاً، رَأَىٰ حَقّاً فَأَعَانَ عَلَيْهِ اَوْ رَأَىٰ جَوْراً فَرَدَّهُ وَكَانَ عَوْناً بِالْحَقِّ عَلَىٰ صَاحِبِهِ.

◁ **اللغة**

(نَقَمْتُمَا) يقال نَقَمته أي عِبتُه وكَرِهته أشدَ الكراهة وجاء بمعنى العصيان أيضاً أي عَصيتما (اسْتَأْثَرْتُ) إستأثر بالشئ إستبَد به (إِرْبَةٌ) بكسر الألف الطّلبة (الْأُسْوَةِ) بضَم الألف وبكسرها القُدوة والتّأسي:

◁ **المعنى**

(لَقَدَ نَقَمْتُمَا) وعَتَبتُما والخَطاب الى الزّبير وطَلحة (يَسِيراً) قليلاً (وَارْجَأْتُمَا كَثِيراً) أي أخرتما كثيراً من الحقُوق الواجبة الثّابتة لي عليكم (الَا تُخْبِرَانِي اَيُّ شَيْءٍ كَانَ لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُمَا عَنْهُ) أي أيَ حقٍّ لكما مَنعتكما عنه (وَاَيُّ قَسْمٍ) أي قسمةٍ وسَهم ونَصيبٍ (اسْتَأْثَرْتُ) وإنفَردت (به) ولم أُشارككم فيه (أَمْ اَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ اِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ) وكنت محتاجاً فيه الى المُعين (اَمْ جَهِلْتُهُ) حتى أسأله (اَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ) ليكون ذلك مُوجباً لعصيانكم (وَاللّٰهِ مَا كَانَتْ لِي فِي الْخِلاَفَةِ رَغْبَةٌ) ومَيل (وَلاَ فِي الْوِلاَيَةِ) عَليكم (إِرْبَةٌ) وطَلَبة (وَلٰكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي اِلَيْهَا) الى الخلافة (وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا) على الخلافة (فَلَمَّا أَفْضَتْ) الخلافة أي وَصَلت (إِلَيّ) بدعوتكم (نَظَرْتُ اِلَىٰ كِتَابِ اللّٰهِ وَمَاوَضَعَ) وجَعَل الله من الأحكام (لَنَا وَأَمَرَنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ) ولم أُخالفه (وَمَا اسْتَسَنَّ النَّبِيُّ) وجَعَله من السُنّة (فَاقْتَدَيْتُهُ) لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ في رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[1] (فَلَمْ اَحْتَجْ فِي ذٰلِكَ اِلَىٰ رَأْيِكُمَا وَلاَ رَأْيِ غَيْرِكُمَا) لعلمي به (وَلاَ وَقَعَ حُكْمٌ) من أحكام الله (جَهِلْتُهُ فَأَسْتَشِيرَكُمَا) فيه فأنَ المَشورة في موارد الجَهل والشّك (وَإِخْوَانِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَوْ كَانَ ذٰلِكَ) أي لو كُنت جاهلاً بالحُكم أو شاكّاً فيه.

(لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا وَلاَ عَنْ غَيْرِكُمَا) أي لم أعرض عنكما وعن غيركما في الإستشارة (وَأَمَّا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الْأُسْوَةِ) والإقتداء بالشّيخين في تقسيم الأموال (فَإِنَّ ذٰلِكَ أَمْرٌ لَمْ اَحْكُمْ اَنَا فِيهِ) من عندي (بِرَأْيِي وَلاَ وَلِيتُهُ هَوىً

١- الاحزاب- ٢١

مِنِّي) اي لم يكن عدم الإقتداء بهما بمُقتضىٰ هوىٰ النفس (بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا) لو أنصفتما (مَاجَاءَ بِهِ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ قَدْ فَرَغَ مِنْهُ) وعمل به غير مرّة (فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَغَ اللّٰهُ مِنْ قَسْمِهِ وَأَمْضَىٰ فِيهِ حُكْمَهُ) وهو التّسوية بين المُسلمين في تقسيم الأموال (فَلَيْسَ لَكُمَا وَاللّٰهِ عِنْدِي وَلاَ لِغَيْرِكُمَا) من المُسلمين (فِي هٰذَا عُتْبَىٰ) لكونه ممّا حكم الله به (أَخَذَ اللّٰهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَىٰ الْحَقِّ وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ) علىٰ الحقّ فأنّه مُرّ جداً، ثمّ قال ﷺ (رَحِمَ اللّٰهُ رَجُلاً، رَأَىٰ حَقّاً فَأَعَانَ عَلَيْهِ) بقلبه ولسانه ويده (أَوْ رَأَىٰ جَوْراً) وظُلماً (فَرَدَّهُ وَكَانَ عَوْناً بِالْحَقِّ عَلَىٰ صَاحِبِهِ) كما هو شأن المؤمن:

◁ الشّرح

إعلم: أنّ هذا الكلام أنما صَدر عنه ﷺ بعد بيعته النّاس له ونكث الزّبير وطلحة بيعته وعَتَبهما أيّاه في تركه المشورة لهما في الأمور وتفضيلهما علىٰ غيرهما في العَطاء فكلّمهما بهذا الكلام إتماماً للحُجّة في الدّنيا والآخرة ومشعراً بأنّ مخالفتهما له كانت لأجل الدّنيا الدّنية:

▫ قوله ﷺ: **لَقَدْ نَقَمْتُمَا يَسِيراً وَأَرْجَأْتُمَا كَثِيراً الاَ تُخْبِرَانِي اَيُّ شَيْءٍ كَانَ لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُمَا عَنْهُ وَاَيُّ قَسْمٍ اسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمَا بِهِ أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ اِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ أَمْ جَهِلْتُهُ اَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ...**

أي لقد عَتبتما علّي يسيراً وهو ترك المَشورة لكما أو عدم تفضيلكما علىٰ غيركما في تقسيم الأموال وأخّرتما عنّي أو عن الحقّ كثيراً حتّىٰ إنجر الىٰ نكث البيعة ومخالفتكما لي وأنّما وَصَفَ ﷺ النّقمة منها باليَسير والإرجاء بالكثير مع أنّ النّقمة عندهما كانت كثيرة عظيمة، لانّ ما عَتَبا ونقما عليه ﷺ لم يكن في الواقع بشيءٍ لكون عمله ﷺ مُوافقاً للكتاب والسُّنة ولم تكن لهما علىٰ ما عتبا عليه حجّةٌ واضحةٌ وما كان كذلك فهو يسير واقعاً وأن كان بزعم العاتب كثيراً عظيماً وأمّا وصف الأرجاء منهما بالكثرة فلأنّ الرّد عليه هو الرّد علىٰ الرّسول والرّد علىٰ الرّسول رّد علىٰ الله تعالىٰ ففيه تأخير عن الحقّ وأيّ تأخير أكبر وأعظم منه، أو أنّ المعنىٰ أنّ هذه الأمور الّتي كان منشأها الخطأ أو حُبّ الدّنيا لا

تليق ولا تصلح لمخالفة الله ورسوله وفي قوله ﷺ: **ألا تُخبراني** الى آخر ما قال أبطَل ما نَقما عليه وأخَرا عنه وحاصله أنّ المُوجب لإرجائهما عنه ومخالفتهما أيّاه بعد بيعتهما لا يخلو عن أحد هذه الأمُور الثلاثة:

أحدها: أن يكون المُوجب دفعهما عن حقّهما الثّابت لهما فأنّ هذا ظُلم وللمظلوم أن يأخذ بحقّه بأيّ طريق كان ولو لم يقدر عليه فلا محالة ينقم ويعتب على الظّالم ولا يُلام عليه قال الله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ (١) فأنّها قد دلّت على أنّ الجَهر بالسُّوء من القول من المظلوم لا منع فيه كما أنّ الزّهراء عليها السّلام كانت كذلك بعد مظلوميتها وعدم القدرة على أخذ حقّها وإحتجاجاتها ومُناشداتها تدلّ عليه والأصل فيه أنّ الظّلم قبيح من أيّ شخصٍ صدر ومنع الظّالم عن ظُلمه واجب على كلّ من يقدر عليه وهو ممّا لا إشكال فيه عقلاً وشَرعاً ومن المعلوم أنّ للظّلم أنواعاً وأقساماً فهو مقول بالتّشكيك على أنواعه ومصاديقه ومن جملتها دفع الحقّ عن صاحبه وحيث أنّ أمير المؤمنين ﷺ لم يدفع عنهما حقّهما الثّابت لهما فلم يظلم عليهما من هذه الجهة فلا موقع، لنقمتهما وعَتبهما عليه والدّليل على ما قلناه قوله أيّ شيٍ لكما فيه حقّ دَفعتكما عنه وحيث أنّهما لم يَقدرا على الجواب فيُعلم أنّه لم يكن هناك شيئاً فكان نَقمهما عليه ظُلماً منهما عليه وهو المَطلوب:

وثانيهما: أن يكون المُوجب هو الإستئثار والإستبداد وأن شئت قُلت الإنفراد من غير مشارك فيه وهذا كما اذا فَرضنا تقسيم المال بين الشّركاء وعدم مشاركة أحَدهما فيه بسبب إستبداد المقَسم وتَفرّده به فيضبط حقّه ولا يُؤدّيه اليه وهذا أيضاً ظُلم لأنّه من أكل المال بالباطل وما نحن فيه لم يكن من هذا القبيل أيضاً لقوله ﷺ: **وَأَيُّ قَسْمٍ إِسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمَا بِهِ** والفَرق بينه وبين الشّق الأوّل ظاهر على المُتأمّل لكون الأوّل من دَفع الحقّ عنه والثّاني وأن كان كذلك ألا أنّه أخصّ من الأوّل فأنّ فيه يضبط المُقَسم سهم الشّريك لِنَفسه بخلاف الأوّل فدفع الحقّ عن صاحبه أعمّ من إستئثاره والإنفراد به وعليه فكأنّه قال

١-النساء-١٤٨

عليه السلام وأيّ قسم من الأموال ضَبَطتُه لِنَفسي:

وثالثهما: أن يكون المُوجب ضَعف الحاكم أو جَهله أو خطأه في الأحكام وإدارة الأمُور ومع ذلك كان الحاكم مُصراً علىٰ عَمَله مُستَبداً برأيه من غير إلتفات الىٰ أصحاب الحلّ والعَقد والمَشورة معهم فهذا هو الإستبداد الّذي هو الدّاهية الكُبرىٰ في الحُكومات والإمارات ولا شكّ أنّه لا يجب عقلاً وشرعاً علىٰ الرّعية تَحمُّله والسّكُوت والإطاعة في أوامره ونواهيه بل يجب عليهم دفع الظّالم عن مقامه لِيَستريح النّاس عن شَره فأنّ دفع الظّلم واجب علىٰ كلّ من قدر عليه وحيث أنّ علياً عليه السلام في حكُومته لم يكن ضعيفاً ولا جاهلاً بالأحكام ولا مُخطأً في إدارة الأمور لِعصمته عن الخَطأ فلا مجال لمُخالفة الزّبير وطلحة وغيرهما له والىٰ المعنىٰ أشار عليه السلام بقوله **أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ أَمْ جَهِلْتُهُ أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ** فتَحصل ممّا ذكره عليه السلام أنّه لم يدفع عنهما حقّاً لهما ولا إستَأثر عليهما في القسمة ولا ظَهر منه الضّعف في الأمور والجَهل والخَطأ في الأحكام واذاكان الأمر علىٰ هذا المنوال فَلِمَ نقما وعَتَبا عليه والحقّ أنّهما قد نَقَما عليه ثمّ نَكثا بيعته وقاتلاه لوجهين أحَدهما الحَسَد وثانيهما حُبّ الدّنيا وأن كان مَنشأ الأوّل أيضاً هو الثّاني أعني حُبّ الدّنيا فأنّ من لا يَحبّ الدّنيا وما فيها لا يَحسَد ولا يَبخَل ولا يَظلم وهكذا لأنّ حُبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة والدّليل علىٰ ما ذكرناه مارواه غير واحدٍ من المُؤرّخين في كُتبهم:

فمنه ما ذكره ابن قُتيبة في كتابه الإمامة والسّياسة ما لفظه وذكروا أنّه لَما كان في الصّباح إجتمع النّاس في المسجد وكثر النّدم والتّأسف علىٰ عثمان وسَقَط في أيديهم وأكثَر النّاس علىٰ طلحة والزّبير واتّهموهما بقتل عثمان فقال النّاس لهما أيّها الرّجلان قد وَقعتما في أمر عثمان فخلّيا عن أنفسكما فقام طلحة فَحمد اللّه وأثنىٰ عليه ثمّ قال أيّها النّاس إنّا واللّه ما نَقول اليوم إلّا ما نقول (ما قلناه بالأمس) أنّ عثمان خَلط الذّنب بالتّوبة حتّىٰ كرهنا ولايته وكرهنا أن نَقتله وسرّنا أن نَكفاه وقد كثر فيه اللّجاج وأمره الىٰ اللّه، ثمّ قام الزّبير فحَمد اللّه وأثنىٰ عليه ثمّ قال أيّها النّاس أنّ اللّه قد رضىٰ لكم الشّورىٰ فأذهب بها الهَوىٰ

وقد تشاورنا فرضينا عليّاً فبايعوه الىٰ آخر ما قال « ص ـ٤٦» ثمّ قال صاحب الكتاب في سبب إختلاف الزّبير وطلحة علىٰ علّي ما لفظه:

وذكروا أنّ الزّبير وطلحة أتيا عليّاً بعد فراغ البيعة فقالا هل تدري علىٰ ما بايعناك يا أمير المؤمنين قال علّي نعم علىٰ السّمع والطّاعة وعلىٰ ما بايعتم عليه أبا بكر وعُمر وعثمان فقالا ولكنّا بايعناك على إنّا شريكاك في الأمر قال علّي ولكنكما شريكان في القول والإستقامة والعَون علىٰ العَجز وكان الزّبير لا يشّك في ولاية العراق وطلحة في اليَمن فلَما إستبان لهما أنّ عليّاً غير مُوليهما شيئاً أظهرا الشّكاة فتكلّم الزّبير في ملاءٍ من قُريش فقال هذا جزاؤنا من علّي قُمنا له في أمر عُثمان حتّىٰ أثبتنا عليه الذّنب وسَبّبنا له القتل وهو جالس في بيته وكفىٰ الأمر فلَما نال بنا ما أراد جَعل دوننا غيرنا، فقال طلحة ما اللّوم إلّا إنّا كنّا ثلاثة من أهل الشّورىٰ كرهه أحدنا وبايعناه وأعطيناه ما في أيدينا ومَنَعنا ما في يده فأصبحنا قد أخطأنا ما رَجونا قال فإنتهىٰ قولهما الىٰ علّي فدعا عبد اللّه بن عبّاس وكان إستوزَره فقال له بَلغك قول الرّجلين قال نعم بلغني قولهما قال فما ترىٰ قال أرىٰ أنهما أحبّا الولاية فوَل البَصرة الزّبير وَوَلِ طلحة الكُوفة فأنهما ليسا بأقرب اليك من الوليد وابن عامر من عُثمان فَضَحِك علّي عليه السلام ثمّ قال ويحَك أنّ العراقيين بهما الرّجال والأموال ومتىٰ تَملكا رقاب النّاس يستميلا السّفيه بالطّمع ويَضربا الضّعيف بالبلاء ويقويان علىٰ القَوي بالسّلطان ولو كنت مُستعملاً أحداً لضَره ونفعه لإستعملت معاوية علىٰ الشّام ولو لا ما ظهر لي من حِرصهما علىٰ الولاية لكان لي فيهما رأي قال ثمّ أتىٰ طلحة والزّبير الىٰ علّي فقالا يا أمير المؤمنين أئذن لنا في العُمرة فأن تقم الى إنقضائها رَجعنا اليك وأن تَسِر نتَبعك فنظر اليهما علّي وقال نعم واللّه ما العُمرة تريدان وأنّما تريدان أن تمضيا الىٰ شأنكما فَمَضيا انتهىٰ« ص ٥١ ثمّ قال في ص ٦١» ثمّ قال في« ص ٦١» أنّ طلحة والزّبير لمّا نزلا البَصرة قال عُثمان بن حنيف نعذر اليهما برَجلين فدعا عمران بن الحصين صاحب رسول اللّه وأبا الأسود الدئلي فأرسلهما الىٰ طلحة والزّبير فذهبا اليهما فناديا يا طلحة فأجابهما فتكلم أبو الأسود الدّئلي فقال يا أبا محمّد أنكم قتلتم عثمان غير مُؤامرين لنا في قتله

وبايَعتم عليّاً غير مُؤامرين لنا في بيعته فلم نَغضب لعثمان إذ قتل ولم نغضب لعلّي إذ بُويع ثمّ بدا لكم فأردتم خلع علّي ونحن على الأمر الأوّل فعليكم المخرج ممّا دَخلتم فيه ثمّ تكلّم عُمران فقال:

ياطلحة أنّكم قتلتم عُثمان ولم نغضب له إذ لم تغضبوا ثمّ بايعتُم عليّاً وبايعنا من بايعتُم فأن كان قَتل عثمان صواباً فمسيَركم لماذا وأن كان خطأ فحظّكم منه الأوفر ونصيبكم منه الأوفى فقال طلحة يا هذان أنّ صاحبكما لا يرى أنّ مَعَه في هذا الأمر غيره وليس على هذا بايَعناه وأيّم اللّه ليَسفكَن دَمه فقال أبو الأسود يا عمران أمّا هذا فقد صرّح أنّه أنما غضب لِلملك انتهى ما أردنا ذكره، أقول ما ذكرناه ممّا لا خلاف فيه وقد صرّح بذلك جميع أهل العلم فقد ظهر أنّهما أنّما بايعاه على المُلك ولِنعم ما قيل بالفارسّية:

مَقصُودِ من از كعبة وبتخانه توئي تو

مقصود توئي كعبة وبتخانه بهانة

□ قوله ﷺ: **وَاللّهِ مَا كَانَتْ لِي فِي الْخِلاَفَةِ رَغْبَةٌ وَلاَ فِي الْوِلاَيَةِ إِرْبَةٌ وَلٰكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا...**

الواو للقسم أي أُقسم باللّه أنّي لم أرغب في خِلافتكم ولم أطلب الولاية عليكم ولكنّكم دَعوتموني الى الخلافة وقُلتم لا نُبايع غيرك وأنتم حَملتموني على الخلافة بالإصرار والإلتماس والآن لا تطيقُون عَدلي:

أن قلت ـ أَليس قوله ﷺ هذا مخالفاً لما رَوته الشّيعة من كونه خليفة رسول اللّه ووصّي بلا فصله بنصٍّ من الرّسول في غدير خمّ وغيره وما إحتّج به عليه السّلام على أبي بكر وعُمر وعُثمان على ما هو مَنقول في الكتب من أنّ الخلافة كانت له لا لغيره بعد رسول اللّه ﷺ وإذا كان الأمر على هذا المنوال فكيف صَرّح ﷺ في كلامه هذا بعدم رغبته في الخلافة والولاية وأقسم عليه:

قلتُ ـ كلامه هذا في الخلافة بعد قتل عُثمان وبيعة النّاس له وإدّعائه الخلافة كان بعد رسول اللّه ﷺ بلا فصل بينه وبين الرّسول وبين المقامين بَونٌ بعيد ولا إشكال في كون الشّيئ ممدُوحاً مُرغباً اليه أوّلاً وكونه مَذموماً مَنفوراً بعد مدّةٍ ثانياً وذلك لِعروض بعض العَوارض اللاّحقة بالشّيئ وصيرورته مَنفوراً بعد ما

كان مَمدوحاً وما نحن فيه من هذا القبيل فأنّ الخلافة بعد الرّسول كانت مَمدُوحة مُستَحسنة لائِقة بمقامه وأمّا بعد مُضّي خمس وعشرين سَنة فلم تكن مَمدُوحة ولا مُستَحسنة ولا لائِقة بمقامه الشّامخ وذلك لما ذكرناه من عروض العَوارض من وجود البِدَع المُحدِثة الّتي لم يمكن له ﷺ إخراجها عن الدّين أو منع المُسلمين عن إرتكابها والعمل بها ألا ترىٰ أنّه ﷺ لَم يقدر علىٰ عَزل شُريح القاضي في حكومته مع أنه كان من أسهَل الأمور فضلاً عن الأمور المُهَمة الّتي كانت مُتداولة بين المُسلمين بعد رسول اللّه الىٰ زمان خلافته وإذا كان كذلك فصّح قوله ﷺ: **وَاللّٰهِ مَا كَانَتْ لِي فِي الْخِلاَفَةِ رَغْبَةٌ** لعلمه بما ذكرناه من بدو الأمر وحيث أنه ﷺ لم يكن غرضه من الخلافة إلّا إقامة الحقّ وإماتة الباطل لا الوصول الىٰ المُشتهيات النَفسانية والبلوغ الىٰ الآمال الدّنيوية وعلم أنّه لم يقدر علىٰ إيجاد ما أراد فقال ﷺ ماقال وقد مرّ الكلام فيه عند قوله ﷺ: **دَعُوني وإلتّمسُوا غيري** الىٰ آخر الخطبة ولِنعم ما قال الشّاعر:

إذا وَقَع الذّباب علىٰ طعام　　　رفعتُ يدي ونفسي تشتهيه

وثانياً نقول أنّ الخلافة والإمارة ولاّ سيّما بعد عُثمان لم تكن تزيد علىٰ شأنه ومَقامه لِيَرغب اليها بل كانت دون شأنه ومُوجباً لِتنَزّل شخصّيته لكونها باعثة علىٰ مُعاشرته ومُجالسته مع هؤلاء الأشرار وأيّ عذابٍ لِلرّوح أصعب ممّا وقع ﷺ فيه حتّىٰ قال النّاس علّيٌ ومعاوية أو علّي وطلحة، ولا شكّ أنّ هذه العُويصات من تَبعات خلافتهم وأيّ عاقلٍ يَرغب في هذه الحكومة القَذرة (الكثيفة) فضلاً عنه ﷺ وأمّا قوله ﷺ: **وَلٰكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إلَيْهَا وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا** فهو إشارة الىٰ إلحاحهم والتماسهم بعد قتل عثمان منه ﷺ في قبُول الخلافة وكان الزّبير وطَلحة من أشدّ النّاس علىٰ هذا الأمر بحيث قد قيل أنهما كانا أوّل من بايعه كما إعترف به أبن الصّباغ المالكي وهو من مشاهير علماء العامّة في كتابه الفصول المهّمة في معرفة أحوال الأئمة فقال في« ص ٦٣ »ما لفظه فَخرج ﷺ الىٰ المسجد فقام اليه النّاس فبايعوه وكان أوّل من بايَعه طَلحة، فنظر اليه رجل يُقال له حبيب بن ذويب وقال ﴿**إنّا لِلّه وإنّا اليه راجعون**﴾ أوّل يد بايَعت يَد شَلاء لا يتّم هذا الأمر ثمّ بايَعه الزّبير ثمّ الصّحابة من

المهاجرين والأنصار انتهى.

□ قوله عليه السلام: **فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَمَاوَضَعَ لَنَا وَأَمَرَنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ وَمَا اسْتَسَنَّ النَّبِيُّ فَاقْتَدَيْتُهُ....**

أي فلمّا أفضت الخلافة إليّ نظرت الىٰ كتاب الله وأوامره فيه فأتّبعت الكتاب ولم أُخالفه ونظرتُ الىٰ سُنّة الرّسول صلى الله عليه وآله فإقتديته فلم أُخالف كتاب الله ولا سُنّة نبيه وأنتم لا تحتاجون الىٰ أزيد من كتاب الله وسُنّة رسوله وليس علىٰ الحاكم في الإسلام إلّا متابعة الكتاب والسُنّة وقد فعلتُ.

□ قوله عليه السلام: **فَلَمْ أَحْتَجْ فِي ذٰلِكَ إِلَىٰ رَأْيِكُمَا وَلاَ رَأْيِ غَيْرِكُمَا وَلاَ وَقَعَ حُكْمٌ جَهِلْتُهُ فَأَسْتَشِيرَكُمَا وَإِخْوَانِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَوْكَانَ ذٰلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا وَلاَ عَنْ غَيْرِكُمَا...**

أي بعد رجُوعي الىٰ الكتاب والسُنّة لَم أحتج في ذلك الىٰ رأيكما ولا رأي غيركما من المُسلمين وذلك لعلمي بالكتاب والسُنّة وأنتم أيضاً لا تحتاجون الىٰ غيرهما لو كنتم مُسلمين نعم لو وَقَع لي حكم من الأحكام وكنت جاهلاً به لأستشيركما أو غيركما قطعاً ولم يقع هذا أصلاً وحاصل الكلام أنّ الإستشارة أنّما تصّح في مورد الجهل أو الشّك وأمّا مورد القطع واليَقين فهي لا موقع لها لكونها من تحصيل الحاصل والقطع حجّة علىٰ القاطع ولأجل هذا قال عليه السلام ولو كان ذلك لم أرغب عنكما ولا عن غيركما أي ولو كنت جاهلاً بالحكم فإستشرت غيري والسّالبة تنتفي بإنتفاء الموضوع وبما ذكرناه يظهر أنّ قوله تعالىٰ مخاطباً لنبية:﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ (١) ليس في الأحكام كما ظنّ من لا خبرة له فقال أنّ المشورة لازمة في جميع الأمور بل هي في الموضوعات والعُرفيات فإفهم.

□ قوله عليه السلام: **وَأَمَّا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الأُسْوَةِ فَإِنَّ ذٰلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي وَلاَ وَلِيتُهُ هَوىً مِنِّي...**

الأُسوة بضّم الألف التّأسي قال الله تعالىٰ:﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ

١-آل عمران ـ ١٥٩

﴿حَسَنَةٌ﴾[1] والمقصود منها في المقام في كلام طلحة والزّبير حيث نَقَما بها عليه عليه السلام هو التّأسي بالخُلفاء قبله في أمر التّسوية بين المُسلمين في قسمة الأموال وذلك لأنّ عُمر بن الخطاب أوّل من عَدَل عنها بعد الرّسول وتبعه عليه عُثمان فقسّما الأموال بين المُسلمين علىٰ سبيل الأهواء والأميال بتفضيل الأشراف علىٰ غيرهم وحيث أنّ عليّاً عليه السلام قسّم الأموال علىٰ سُنّة الرّسول ولم يفضّل أحداً علىٰ غيره نقما عليه وقالا فيه ما قالا وأجاب عنهما بأنّ التّسوية بين المُسلمين ليست ممّا حكم بها من قِبل نفسه كما حكم عُمر بعدمها من عند نفسه بمقتضىٰ هواه وأنّما فَعَل مافَعل عليه السلام للتأسي بالنّبي صلى الله عليه وآله كما قال عليه السلام.

□ **قوله عليه السلام: بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا مَاجَاءَ بِهِ رَسُولُ اللّٰهِ صلى الله عليه وآله قَدْ فَرَغَ مِنْهُ فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَغَ اللّٰهُ مِنْ قَسْمِهِ وَأَمْضَىٰ فِيهِ حُكْمَهُ فَلَيْسَ لَكُمَا وَاللّٰهِ عِنْدِي وَلاَ لِغَيْرِكُمَا فِي هٰذَا عُتْبَىٰ...**

بعد ما قال عليه السلام لم أحكم في أمر التّسوية بمُقتضىٰ الرّأي والهَوىٰ قال بل وجدتُ أنا وأنتما ما جاء به رسول اللّه من عند اللّه تعالىٰ وقد فرغ الرّسول من هذا الأمر في حياته عَملاً فلم أحتج فيما قد فرغ اللّه بسبب رسوله من قسمة الأموال بين المُسلمين بالسّوية وأمضىٰ فيه حكمه الّذي لا مرّد له اليكما لوضوح الأمر فليس لكما واللّه عندي ولا لغيركما من المُسلمين في هذا أي في تقسيم الأموال بالسّوية عُتبي لكونه علىٰ مقتضىٰ العدل والإنصاف:

□ **قوله عليه السلام: أَخَذَ اللّٰهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَىٰ الْحَقِّ وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمْ الصَّبْرَ...**

ثمّ دعا عليه السلام لهما وله وقال أرجُوا من اللّه تعالىٰ أن يجعلنا علىٰ الحقّ وألهَمَنا الصّبر علىٰ العَدل وأنّما أشرك عليه السلام فيما قال نفسه الشّريفة تواضعاً وإلّا فهو كان علىٰ الحقّ دائماً لقول الرّسول صلى الله عليه وآله عليّ مع الحقّ والحقّ مَع عليّ يدور حيثما دار وأمّا طلب الصّبر فلأنّ الصّبر علىٰ العدالة مشكل إلّا للمؤمن الواقعي الّذي إمتحن قلبه بالإيمان فأنّ الحقّ والعَدل مُرٌّ فقبول الحقّ يستلزم الصّبر ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُور﴾[2] ألا ترىٰ أنّ طلحة والزّبير مع سابقتهما في

1- الاحزاب- ٢١ 2- السباء- ١٣

الإسلام كيف زلاّ بعد ظهور الحقّ وإجراء العَدل ولم يطيقاه:

▫ **قوله ﷺ: ثُمَّ قَالَ ﷺ: رَحِمَ اللّٰهُ رَجُلاً، رَأَىٰ حَقّاً فَأَعَانَ عَلَيْهِ اَوْ رَأَىٰ جَوْراً فَرَدَّهُ وَكَانَ عَوْناً بِالْحَقِّ عَلَىٰ صَاحِبِهِ...**

ثمّ دعا وترحّم ثانياً علىٰ من رأىٰ الحقّ فأعان عليه لكونه من المعروف أو رأىٰ جوراً فَردّه لكونه من المُنكر وكان عوناً بالحقّ علىٰ صاحبه لا عوناً بالباطل كما أنّ الكفّار والمُنافقين كذلك بل هذا هو الفرق بين المؤمن وغيره، غرضه ﷺ من هذا الكلام هو الإشارة الىٰ أنّ الزّبير وطلحة لو كانا صادقين مؤمنين باللّه وبرسوله لما نَقما عَلَي في إجراء العَدل والإنصاف بين المُسلمين بل كانت وظيفتهما الإعانة علىٰ الحقّ كما هو شأن المؤمن فَمن نَقم وعَتب علىٰ الحقّ ورضي بالباطل كيف يكون مؤمناً وهما كانا كذلك إذ لم ينقما ولم يعتبا علىٰ عُمر وبعده عثمان علىٰ تقسيمهما الأموال بين المُسلمين علىٰ غير السّوية مع علمهما بأنّ ذلك خلاف سُنّة الرّسول ونَقِما عَلَيّ في تقسيمي الأموال بالسّوية وفيه رضىٰ اللّه ورضىٰ رسوله فَهما نَقَما علىٰ الحقّ وأمضيا الباطل ورضيا به ومع ذلك كانا يدّعيان الإيمان وأعجب منه أنّهما علىٰ زعم العامّة من العشرة المبشرة بالجنّة علىٰ لسان رسول اللّه ﷺ ولم يعلموا أنّ الرّسول كيف بشّر بالجنّة من كان مخالفاً له في سيرته وهو عجيب:

وأنا أقول: ما أسّسه عُمر بن الخطاب في تقسيم الأموال وعمل به في خلافته ثمّ تبعه عليه عثمان، هو أصل الشّر في الإسلام ومادّة الإختلاف بين المسلمين الىٰ زماننا هذا وذلك لإنّ النّاس في كلّ زمان عبيد الدّنيا ومع ذلك تكون نخوة الجاهليّة وحميّة العصَبية في قلوبهم ثابتة وكان الرّسول ﷺ قد أتعب نفسه في إخراج النّخوة عن قلوب الأعراب في صدر الإسلام بأمرٍ من اللّه تعالىٰ حيث قال في كتابه: **﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثَىٰ وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَ قَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّٰهِ أَتْقَيكُمْ﴾**(1) وقوله ﷺ **لا فخر للعَرب علىٰ العَجم ولا للأبيض علىٰ الأسود** الحديث وذلك لأنّ تعالىٰ قد علم بما في

١- الحجرات ـ ١٣

صدور النّاس من هذه الرّذائل وعلم أيضاً أنّ وحدة الإسلام وإتّحاد المُسلمين لا تتّحقق إلّا بعد إجراء العدالة بين النّاس ولا سيّما في الأموال الّتي هم عبيدها فأمر رسوله بالتّسوية في تقسيم الأموال بين المُسلمين من الأبيض والأسود ليُعلمهم بذلك أنّه لا فرق بينهم من هذه الجهة فلا فخر لأحدٍ علىٰ غيره وهذا قانون عقليّ شّرعي بلا كلام:

وأمّا عُمر بن الخطاب حيث قسّم الأموال علىٰ سبيل التّفاضل القَومي وبذلك فرّق بين المُسلمين صار ذلك مَنشأ بُغضهم وعداوتهم فإضطربت أركان الدّين ولم يقدر أحد بعده علىٰ جمع شملهم وإماتة هذه البِدعة من بينهم لكونها موافقة لغرائزهم الحَيَوانية ومطابقة لشهواتهم النّفسانية فكلّ حاكم من حكّام المُسلمين لم يكن له بدّ من إجراء هذه الرّوَية الخَبيثة أو ترك الحكوَمة من رأسها وحيث أنّ عليّاً عليه السلام غيّر هذا القانون صار طلحة والزّبير وغيرهما مُخالفين له مُتجاهرين عليه بسيوفهم ومن المعلوم أنّه لم يكن له عليه السلام ذنبٌ إلّا هذا وأمّا بعده من خُلفاء الجَور لم يكن لهم دين ولا إيمان بل ولا شَرف ولا إنسانيّة فلم يخالفوا النّاس فيه بل أعطوهم أكثر ممّا كانوا طلبوا منهم وهذا هو السّر في عَدم مخالفة النّاس لهم ومخالفتهم له عليه السلام.

وقد روي أنّ أمير المؤمنين بعث الىٰ طلحة والزّبير وقال لهما أَلَم تأتياني وتُبايعاني طائعين غير مُكرَهين فما أنكرتم أَجَورٌ في حكمٍ أو إستئثارٍ في نبّي قالا لا...

قال عليه السلام أو في أمرٍ دعوتماني اليه في أمر المسلمين فقّصرت عنه قالا معاذ اللّه...

قال عليه السلام فما الّذي كرهتما في أمري حتّىٰ رأيتما خلافي...

قالا خلافك لعُمر بن الخطاب في القسم وإنتقاصنا حقّنا من الفَيْ جعلت حظّنا في الإسلام كَحظّ غيرنا ممّا أفاء اللّه علينا بسيُوفنا فسّويت بيننا وبينهم...

فقال عليه السلام اللّه أكبر اللّهم أنّي أُشهدك وأُشهد من حضر عليهما الحديث...

ومن كلام له عليه السلام (٢٠٥)
وقد سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين

▫ قوله عليه السلام: إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ وَلٰكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ اللَّهُمْ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنِهِمْ وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلاَلَتِهِمْ حَتَّىٰ يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ وَيَرْعَوِيَ عَنِ الْغَيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ.

◁ اللغة

(السَّب) بفتح السين الشتم (أحقَن) بفتح الهمزة فعل أمرٍ من أحقَن والحِقن الحِفظ (يَرْعَوِيَ) فعل مضارع من الإرعواء وهو النزوع عن الغَي والرجوع عن الخطأ (لَهِجَ) أي أولَع.

◁ المعنىٰ

(إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ) أي لا أُحبّ (أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ) شاتمين لكون الشتم قبيحاً لا يليق أن يصدر عن المؤمن (وَلٰكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ) أي أعمال المُخالفين (وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ) من النفاق والعناد (كَانَ أَصْوَبَ) وأحقّ (فِي الْقَوْلِ وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ) لكونه من باب الأمر بالمعروف والنَهي عن المُنكر

(وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ اللَّهُمْ احْقِنْ) وأحـفظ (دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ وَاصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنَهُمْ وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلاَلَتِهِمْ) الى طـريق الهـدىٰ (حَتَّىٰ يُعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ) فيتبعه (وَيَرْعَوِىَ) ويرجـع (عَنِ الْغَيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ) وأولَع به:

◁ الشرح

إعلم أنّ هذا الكلام أنّما صدر عنه لمّا سمع أنّ أصحابه يسبّون أهل الشّام أيّام حربهم بصّفين وذلك لأنّهم أي معاوية وأصحابه كانوا قـد أوقـدوا نـار الحَرب بين المُسلمين فقُتل كثير من الطّرفين ولأجـل هـذا كـانوا يسَـبُّونهم ويشتمونهم ولكنّه ﷺ مَنعهم عن السّب .

قوله ﷺ: **إِنِّي اَكْرَهُ لَكُمْ اَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ** والوجه فيه أنّ السّب قـبيح عقلاً وشَرعاً:

امّا عقلاً: فلأنّه يحكم بأنّ السّب والشّتم خروج عن طَور الإنسـانيّة ومـع ذلك لا يفيد ولا يُثمر بل يَضّر بالمقصود وما كان كذلك ينبغي تركه ولذلك ترىٰ العقلاء بأجمعهم يحكمون بقُبحه.

وأمّا شرعاً: فلقوله تعالى:**﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّـهِ فَـيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾**(١)

وقال رسـول اللّه ﷺ ليس المؤمن بالطّعان ولا اللّـعان ولا الفـاحش ولا البذيّ انتهىٰ...

وقال ﷺ -أيّاكم والفحش فأنّ اللّه لا يحبّ الفحش والتّفحش انتهىٰ...

وقال ﷺ أنّ الفحش والتّفحش ليسا من الإسلام في شئ انتهىٰ...

وقال ﷺ الجنّة حرام علىٰ كلّ فاحش أن يدخلها انتهىٰ...

١-الانعام-١٠٨

وقال ﷺ أربعة يؤذون أهل النّار على ما بهم من الأذى وعدّ منهم رجلاً يسيل فوه قيحاً وهو من كان في الدّنيا فاحشاً انتهى...

وقال ﷺ لا تسّبوا النّاس فتكسبُوا العداوة منهم انتهى...

وقال ﷺ المُتسابان شيطانان متعاديان متهاتران انتهى« جامع السعادات ج ١ ص ٣١٦»...

□ قوله ﷺ: وَلكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ اَعْمَالَهُم وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ كَانَ اَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ وَاَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ ...

أي لو وَصَفتم مكان سبّهم أعمالهم الشّنيعة من الكذب والخيانة والنّفاق وغير ذلك ممّا هو موجود فيهم كان أصوَب أي أقرب الى الصّواب وأبلَغ في العُذر عند اللّه وعند الخلق وذلك لأنّ وصف الأعمال وبيان الحال يُوجب تَنبه المخاطب ومعرفته بأوصاف المخالف فيحترز عنه وأمّا سَبه فليس كذلك لأنّ المُستمع يظنّ أنّ منشأ السّب هو الغضب المُفرط فلا يعتمد عليه وبعبارةٍ أُخرى وصف الأعمال يوجب تعريف الموصوف بها أن خيراً فخيراً وأن شرّاً فشرّاً والسّب ليس كذلك بل يُحمل كثيراً على الأعراض الشّخصية النّاشئة من الحِقد والحَسد والرّذالة وغيرها:

□ قوله ﷺ: وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ اِيَّاهُمْ اللّهُمْ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ وَاصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنِهُمْ وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلاَلَتِهِمْ...

أي وقلتم مكان السّب الّذي لا نفع فيه بل فيه الضّرر قطعاً اللّهم أحقن وأحفظ دمائنا ودماؤهم أي إجعل بيننا وبينهم مودّة ورَحمة تحت لواء الإسلام وأصلح بيننا وبينهم وأهدهم الى طريق الهُدى من غيّهم وضلالتهم فأنّ الأمر بيدك وأنت على ما تشاء قدير ووجه كون هذا الكلام أحسَن هو أنّ المُشاجرة والمُنازعة والمقاتلة مطرودة منفورة عقلاً ولا سيّما بين المُسلمين فتركها حتّى الإمكان أولى من إرتكابها والإتّصاف بها، وحيث أنّ المُعاند المُخالف لو لم

يرجع عن غيّه وضلالته له خَطر عظيم فالصّحيح أوّلاً إرشاده الىٰ الحقّ فأن لم يقبل لا مَحيص عن محاربته وقتله لو أمكن كما هو شأن الأنبياء في دعوتهم النّاس فأنّ اللّه تعالىٰ أرسَلهم بالهُدىٰ ودين الحقّ ولم يأمرهم بالقتال في بادئ الأمر.

▫ قوله ﷺ: **حَتَّىٰ يُعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ وَيَرْعَوِىَ عَنِ الْغَيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ...**

وذلك لأنّ من عرف الحقّ لا يُخالفه في الأكثر ويَرجع عن الغَي والعدوان من لَهَج وأولَع به وأن كان بعض النّاس مع معرفته الحقّ لا يقبله ولا يرجع عن ضلالته وذلك مثل معاوية وابن العاص وأمثالهما مِمّن عرف الحقّ وأنكره حُبّاً للدّنيا.

وأمّا أهل الشّام فأكثرهم كانوا جاهلين بالحقّ بسبب عَدم وقوفهم علىٰ الكتاب والسُنّة وما وَرَد من الرّسول في لعن بني أُمَية ومَدح أهل البيت وأنّ عليّاً مع الحقّ والحقّ معه يَدور حيثما دار وغيره من الأخبار.

تنبيهٌ – إعلم أنّ مَنشأ السّب والشّتم والفُحش وغيرها هو العداوة الظّاهرة وهي من لوازم الحِقد لأنّه إذا ترىٰ قوّة لا يقدر معها علىٰ المجاملة أظهر العداوة بالمُكاشفة وطريق العلاج فيها أن يتذكر أنّ هذه العداوة الباطنة تؤلمه في العاجل إذ الحَقُود لا يخلو عن التّألم والتّأثر لحظة ويُعذّبه في الأجل ومع ذلك لا يضّر الحقود أصلاً والعاقل لا يدوم علىٰ حالة تكون مضّرة لِنفسه ونافعة لِعدّوه وبعد هذا التّذكر فَليجتهد في أن يُعامله معاملة أحبّائه من مُصاحبة بالإنبساط والرِفق والقيام بحوائجه بل يخصّه بزيادة البّر والإحسان مجاهدة للنّفس دار عاماً للشّيطان ولا يزال يكّرر ذلك حتّىٰ ترتفع عن نفسه آثار هذه الرّذيلة بالكلّية ثمّ لمّا كان الحقد عبارة عن العداوة الباطنة وحقيقتها إضمار الشّر وكراهة الخير لمن يُعاديه فضّده النّصيحة الّتي هي قصد الخير وكراهة

الشّر لا المحبّة كما يترآىٰ في بادي الرّأي إذ هي ضدّ الكراهة دون العداوة فمن مُعالجات الحقد أن يتّذكر فوائد النّصيحة ومَدحها إذا عرفت هذا فَنقول:

لا ريب في كون هذه الأُمور مذمومة محرّمة في الشّريعة موجبة لحبط الأعمال وخُسران المال وجميع ما يدّل علىٰ ذمّ الأضرار والإيذاء يدّل علىٰ ذمّها لكونها بعض أفرادهما والعقل والشّرع مُتطابقان في قبح كلّ واحد منها بخصوصه وإيجابه للهلاك أمّا الضّرب والإيذاء فَمعلوم:

وأمّاً الفُحش والسّب وبذاءة اللّسان فلا ريب في كونه صادراً عن خباثة النّفس وحقيقة الفُحش والسّب هي التّعبير عن الأُمور المُستَقبحة بالعبارة الصّريحة وألفاظها لا تنحصر كمّاً وكيفاً لإختلافها بحسب المقامات والأشخاص وكيف كان فهي قَبيحة جدّاً كما عرفت من الآيات والأخبار وهذا ممّا لا كلام فيه:

وأنّما الكلام في اللّعن هل هو داخل في السّب فيكون مذموماً أوّلاً والحقّ أنّه ليس داخلاً فيه ومع ذلك فهو أيضاً مذموم لأنّه عبارة عن الطّرد والإبعاد من اللّه تعالىٰ وهذا غير جائز إلّا علىٰ من إتّصف بصفة تَبعده بنصّ الشّريعة فيه وقد ورد عليه الذّم الشّديد في الأخبار وهذا أيضاً ممّا لا خلاف فيه بقي في المقام شيئ وهو أنّه قد تمّسك بعض العامّة في عدم جواز اللّعن علىٰ أحدٍ بالأخبار الّتي وَردت في ذمّه وأُخرىٰ يقول بأنّه داخل في السّب والفُحش فكما لا يجوز السّب لا يجوز اللّعن ولم يعلم أنّ اللّعن غير السّب والدّليل عليه أنّ السّب ممنوع بقول مطلق واللّعن ليس كذلك ولأجل هذا ترىٰ في الكتاب والسُّنة أنّ اللّه ورسوله لَعنا كثيراً من النّاس ولَم يَسُبّا أَحَداً أمّا عَدم السّب من اللّه ورسوله فهو واضح لا خفاء فيه وعلىٰ المدّعِي الإثبات وإذ ليس فَليس وأمّا اللّعن فلا شكّ أنّ اللّه تعالىٰ لَعَن الكافرين والمُنافقين والشّيطان والظّالمين وغيرهم وهكذا رسول اللّه ﷺ ولأجل هذا ترىٰ أمير المؤمنين عليه السلام نَهاهم عن

سَبِّ أهل الشّام ولم يَنهيٰهم عن لَعنهم وذلك لأنّهم من حيث نفاقهم وظلمهم بل وكُفرهم كانوا مُستَحقين لِلّعن والطَّرد ألا ترىٰ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كـان يَلعَن معاوية وابن العاص وغيرهما من خواصّ أصحاب معاوية.

ونحن أيضاً مأمورون بلَعنه ولَعن غيره من الظّالمين تَبعاً للكتاب والسُّنة ومن خالف ذلك فَعليه لَعنة اللّه ﴿أولٰئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ اللاّعِنُونَ﴾[1] فقد ظَهر ممّا ذكرناه أنّ اللّعن غير السَّب وهو المطلوب:

---

١ ـ البقرة ـ ١٥٩

(٢٠٦) ومن كلام له ﵇

□ قوله ﵇: اَمْلِكُوا عَنِّى هٰذَا الْغُلاَمَ لاَ يَهُدَّنِى فَإِنَّنِى أَنْفَسُ بِهٰذَيْنَ يَعْنِى الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَى الْمَوْتِ لِئَلَّا يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ...

قَالَ الرَّضِى أَبُو الْحَسَنِ ﵁: قَوْلُهُ «اِمْلِكُوا عَنِّى هٰذَا الْغُلاَمَ» مِنْ اَعْلَى الْكَلاَمِ وَأَفْصَحِهِ.

◁ اللّغة

(أَمْلِكُوا) بفتح الألف أمرٌ من أَملَك أي أمسِكوا (يَهُدّني) من هدّ يَهدّ والهَدّ في اللّغة الهَدم بشدَةٍ (أَنفَس) أَبخَل يقال نَفّس به إذا ضَنن وبَخَل (نَسل) النّسل الأولاد:

◁ المعنىٰ

(اَمْلِكُوا عَنِّى) أي خُذُوه بالشّدة وأمسَكوه (هٰذَا الْغُلاَمَ) يعني الحَسَن ﵇ (لاَ يَهُدَّنِى) أي لئلا يَهُدّني ويقوض أركان قوّتي بموته (فَإِنَّنِى أَنْفَسُ) وأبخَل (بِهٰذَيْنَ) (يَعْنِى الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَى الْمَوْتِ) من نفسي وذلك (لِئَلَّا يَنْقَطِعَ) أي بموتهما (بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ) في العالم فأنّ نَسله منهما:

◁ **الشرح**

▫ **قوله ﷺ: أَمْلِكُوا عَنِّي هٰذَا الْغُلَامَ لاَ يَهُدَّنِي فَإِنَّنِي أَنْفَسُ بِهٰذَيْنَ يَعْنِي الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَى الْمَوْتِ لِئَلَّا يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللّٰهِ...**

روي أنّ هذا الكلام أنما قاله حين رأىٰ ابنه الحَسن ﷺ وقد يتسرع الىٰ الحَرب في بعض أيّام صفّين فقال ﷺ مُخاطباً لأصحابه أملِكُوا عنّي أي أمسِكوه عن قِبلي بشدّةٍ لئلا يَهدّني ويَهدمني بموته في الحَرب وذلك لأنّي أنفس وأبخَل بهذين يعني الحَسَنين علىٰ المَوت من نَفسي لئَلا يَنقطع بموتهما نَسل رسول الله ﷺ وقال السّيد ﷺ بعد نَقله هذا الكلام عنه قوله ﷺ: **أَمْلِكُوا عَنِّي هٰذَا الْغُلَامَ** من أعلىٰ الكلام وأفصَحه، وقال الشّارح المُعتزلي في وجه ذلك أنّه لمّا كان في أملِكُوا معنىٰ العبد أعقبه بعَن وذلك أنّهم لا يملكونه دون أمير المؤمنين إلّا وقد أبعَدوه عنه ألا ترىٰ أنّك إذا حَجرت علىٰ زيد دون عمرو فقد باعدت زيداً عن عمرو فلذلك قال أملكُوا عنّي هذا الغلام واستَفصَح الشّارحون قول أبي الطَّيب:

إذا كان شمّ الرّوح أدنىٰ اليكم فلا بَرَحتني روضةٌ وقبولُ

واستشكل عليه الخوئي بما حاصله أنّه أنّما يحسن لو كان الحسن ﷺ مُتابعاً لأبيه في تسّرعه الىٰ الحَرب مُعاقباً له ولا دلالة في كلامه ﷺ عليه ثمّ قال والأوجه عندي أنّه لمّا شاهد مُسارعة إبنه الىٰ الحَرب ولم يتّمكن بنفسه من حفظه لمكان إشتغاله بكريهة الحَرب والقَتل أمَر أصحابه بمحافظته بأحسن تعبير بلفظ المنع والضّبط والحفظ وماضاها الىٰ التّعبير بلفظ الملك لما فيه من الدّلالة علىٰ التّسلط والإستيلاء والمعنىٰ أمنعُوه وأحفظوه منع المالك لِملكه وحفظه أيّاه انتهىٰ ماذكره مُلَخصاً:

وأنا أقول ما ذكراه لا بأس به والّذي يختلج بالبال هو أنّ مقصوده ﷺ من هذا الكلام شئ آخر وهو الإشارة الىٰ مقام الحَسَنين بعد رسول الله وبعبارة أُخرىٰ أنّه ﷺ عرّفهما بهذا الكلام للنّاس وأعلَمهم وظيفتهم بالنّسبة اليهما

ولأجل هذا إستَدل علىٰ ما قال:

بقوله لئلّا يَنقطع بهما نَسل رسول اللّه فأنّ الحَسن والحُسين إذا كانت وظيفة أمير المؤمنين حفظهما وحراستهما عن الصّدمات واللّطمات والقَتل وأمثال ذلك فما ظنّك بوظيفة الغير في حقّهما وحيث أنّ أكثر النّاس لم يَفهمُوا هذه الدّقيقة وظنّوا أنّهما كغيرهما من المُسلمين فقال عليه السلام ماقال لِيُثبت شأنهما في النّاس والتّعبير بقوله أملِكُوا، للدّلالة علىٰ أنّ النّاس كما يَحفظون أموالهم وأملاكهم يجب عليهم حفظهما أي إجعلوهما بمنزلة الملك في الحفظ والحراسة عنه فقوله عليه السلام هذا عبارة أُخرىٰ لقول الرّسول صلى الله عليه وآله حيث قال أنّي تارك فيكم الثّقلين كتاب اللّه وعترتي الحديث وهذا هو السّر في قوله عليه السلام: **فَإِنَّنِي أَنْفَسُ بِهٰذَيْنَ** علىٰ المَوت لئلّا يَنقطع بهما نَسل رسول اللّه فكأنّه عليه السلام قال بموتي لا ينقطع نَسل رسول اللّه أمّا بموتهما ينقطع فَحفظهما أوجَب عَلَيّ وعليكم من حِفظي والسّر فيه أنّ إنقطاع النّسل من رسول اللّه صلى الله عليه وآله يُوجب إنقطاع الدّين فَحفظ الدّين لا يمكن بحفظ نسله وذلك لأنّ الأئمّة المَعصومين من ذَرية الحُسين واحداً بعد واحدٍ كالعلّة المُبقية للدّين ضرورة أنّه لولا الأئمّة لم يكن من الدّين الحقيقي عين ولا أثر مضافاً الىٰ كونهم حُجج اللّه علىٰ خَلقه وقد ثبت أنّه لولا الحجّة لَساخت الأرض بأهلها وقال رسول اللّه من مات ولم يَعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهليّة ولا شك أنّ الحُجّة والإمام في كلّ زمان من نَسل الرّسول وأن شئت قلت الدّين أعني به الأحكام من الوجوب والحُرمة وغيرهما بمنزلة القشر والإمام بمنزلة اللّب فيه لا نفع فيه كذلك الدّين الّذي لا إمام فيه لا نفع فيه وحيث أنّ الحسن والحُسين كانا سَبَبين لوجود الأئمّة بعدهما تكويناً فكان حفظهما علىٰ الكلّ واجباً ولأجل هذا وَرَد كثير من الأحاديث في شأنهما ونحنُ نَذكر شطراً منها تيمّناً وتبرّكاً وأداءً لبعض ما وجب علينا من الحقوق تبعاً لغيرنا من الشّراح فنقول:

منها- مارواه في كشف الغُمة عن التّرمذي بسنده عن أبي سعيد قال قال

رسول اللّه الحسن والحُسين سيّدا شباب أهل الجنّة انتهىٰ...

وعن ابن عُمر قال سمعت النّبي يقول هما ريحانتاي من الدّنيا انتهىٰ «ج ١ ص ٥٢١»...

ومنها – مارواه عن التّرمذي في صحيحه مرفوعاً الىٰ أُسامة بن زيد قال طرقت النّبي ذات ليلة في بعض الحاجة فَخرج وهو مشتمل علىٰ شئ ما أدري ماهو فلّما فَرغت من حاجتي قلت ماهذا الّذي أنت مُشتمل عليه فكشفه فإذا حسن وحسين علىٰ وركيه فقال هُما إبناي وإبنا إبنتي الّلهم أنّي أُحبّهما فأحبّهما وأحبّ من يُحبّهما انتهىٰ «ص ٥٢١»...

ومنها – ماروا‌ه عنه أيضاً من صحيحه يرفعه بسنده الىٰ أنس بن مالك قال سُئل رسول اللّه ﷺ أيّ أهل بيتك أحَبّ اليك قال الحسن والحسين وكان يقول لفاطمة أدُعي الّي إبنَّيَ فَيشمّهما ويَضّمهما اليه انتهىٰ «ص ٥٢٠»...

ومنها – ماروا‌ه عن أبي عمرو الزّاهد في كتاب اليواقيت قال زيد بن أرقم كُنت عند رسول اللّه في مسجده جالساً فمّرت فاطمة صلوات اللّه عليها خارجة من بيتها الىٰ حجرة رسول اللّه ومعها الحسن والحسين ثمّ تبعها علّي فَرفع رسول اللّه رأسه إلّي فقال من أحَبّ هؤلاء فقد أحَبّني ومن أبغَض هؤلاء فقد أبغَضني انتهىٰ «ص ٥٢٦»...

وبأسناده عن ابن عبّاس قال قال رسول اللّه ليلة عُرج بي الىٰ السّماء رأيت علىٰ باب الجنّة مكتوباً لا إله إلّا اللّه محمّد رسول اللّه ﷺ علّيّ حبيب اللّه الحسن والحسين صفوة اللّه فاطمة أَمّة اللّه علىٰ باغضهم لعنة اللّه انتهىٰ «ص ٥٢٦»...

وعن زيد بن أرقم أنّ النّبي قال لعلّي وفاطمة والحسن والحسين أنا سلم لِمن سالمتم وحَرب لِمن حاربتم انتهىٰ «ص ٥٢٨»...

ومَن له سبطان سيّدان	شهمان قرمان مُهذّبان
بحراهما بحران ذاخران	وماهما بحران يبغيان

بـــل مـــنهما مــعرفة الدّيــان أُمّـــهما ســيّدة النّســوان

ولآخر:

وأبناء قد قوىٰ الجنان عليها فـــهما لدار مـــقامه ركـــنان

وهــما مـعاً لو يـعلمون لعرشه وزن المــلائك كـلّهم شـنفان

والدّر والمرجان قد نَحلاهما مــثلاً مــن البــحرين يـلتقيان

ولأبي العلاء:

جـاز النّـبي سـبطاه وزوجـته مكان ما أفنت الأقلام والصُّحفا

والفخر لوكان فيهم صورةً جسداً عادت فضائلهم في أُذنـه شـنفا

وقال ابن دريد:

أنّ النّــــبي مــــحمّد ووصـــيّه وابــنيه وإبـــنته البـــتول الطّـــاهرة

أهـــــل العــــباء فأنّـــني بـولائهم أرجـو السّــلامة و النّـجاة فى الآخـرة

وأرىٰ مــحبّة مــن يــقول بفـضلهم سـبباً يـجير مــن السّـبيل الحـائرة

أرجـو بـذاك رضـىٰ المُـهيمن وحـده يـوم الوقـوف علىٰ ظـهور السّـاهرة

وقال الصّاحب:

لآل مـــحمّدٍ أصـــبحتُ عـبداً وآل مـــحمّدٍ خـــير البــريّة

أُنــاسٌ حــلّ فـيهم كـلّ خـيرٍ مـــواريث النّــبوة والوصّـية

وأمّا قـوله: **لِئَلَّا يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللّهِ** فـهو صـريح فـي كـونهما وأولادهما أولاد رسول اللّه وقد إعترف بذلك الشّارح المُعتزلي أيضاً حيث قال في المقام ما لفظه:

فأن قُلت ـ أيجوز أن يُقال للحسن والحسين وولدهما أبناء رسـول اللّـه وولد رسول اللّه وذُرية رسول اللّه ونَسل رسول اللّه.

قُلت ـ نَعم لأنّ اللّه تعالىٰ سمّاهم أبناؤه في قوله تعالىٰ: **﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾**(١) وانّما عُني الحسن والحسين ولو أوصىٰ لولد فلان بمال دخل فيه

١- آل عمران: ٦١.

أولاد البنات وسمىٰ اللّه تعالىٰ عيسىٰ ذُرية إبراهيم في قوله: ﴿ومن ذرّيته داود وسليمان﴾ الىٰ أن قال ﴿يحيىٰ وعيسىٰ﴾ ولَم يختلفُ أهل اللّغة في أنّ ولد البنات من نَسل الرّجل الىٰ أن قال:

فأن قلت ـ أنّ إبن البنت إبنٌ علىٰ الحقيقة الأصْلية أم علىٰ سبيل المجاز:

قُلت لذاهب أن يذهب الىٰ أنّه حقيقة أصْلية لأنّ أصل الإطلاق الحقيقة ولذاهب أن يذهب الىٰ أنّه حقيقة عُرفية ولذاهب أن يذهب الىٰ كونه مجاز قد إستعمله الشّارع فجاز إطلاقه في كلّ حال وإستعماله كسائر المجازات المُستعملة ثمّ قال:

وممّا يدّل علىٰ إختصاص ولد فاطمة دون بني هاشم كافّة بالنّبي ﷺ أنّه ما كان يحلّ له أن يَنكح بنات الحَسن والحُسين ولا بنات ذُرّيتهما وأن بَعُدن وطال الزّمان ويحلّ له بنات غيرهم من بني هاشم من الطّالبين وغيرهم وهذا يدّل علىٰ مزيد الأقْربية وهي كونهم أولاده الىٰ آخر ما قال:

أقول ماذكره في المقام وحقّقه في إثبات المدّعىٰ هو الحقّ الحقيق بالإتّباع وليس لنا شيئاً آخر نزيد عليه، والّذي ذكره في آخر كلامه من عدم جواز نكاح بنات الحسن والحسين وبنات ذرّيتهما لرسول اللّه ﷺ قد أَخَذه من إستدلال موسىٰ ابن جعفر علىٰ هرون العبّاسي حين سأله عن هذه المسئلة وإستدعىٰ الدّليل علىٰ المدّعىٰ وماذكره المُعتزلي من الإستدلال بالآيات أيضاً مذكور في كلامه عليه السلام وأمّا بين الخاصّة فلا خلاف في المسئلة أصلاً والمشهور بين العامّة أيضاً كذلك والمخالف قليل ودليله بقصّه وعناده:

ومن كلام له عليه السلام (٢٠٧)

قاله عليه السلام لمّا إضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة

▫ قوله عليه السلام: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَىٰ مَا أُحِبُّ حَتَّىٰ نَهَكَتْكُمُ الْحَرْبُ وَقَدْ وَاللّٰهِ أَخَذَتْ مِنْكُمْ وَتَرَكَتْ وَهِيَ لِعَدُوِّكُمْ أَنْهَكَ...

لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيراً فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُوراً وَكُنْتُ أَمْسِ نَاهِياً فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَنْهِيّاً وَقَدْ أَحْبَبْتُمُ الْبَقَاءَ وَلَيْسَ لِي أَنْ أَحْمِلَكُمْ عَلَىٰ مَا تَكْرَهُونَ!

◁ **اللّغة**

(نَهَكَتْكُمُ) النَهَك الضَعف يقال نَهَكته الحمىٰ أي أضعفته.

◁ **المعنىٰ**

(أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَىٰ مَا أُحِبُّ) من قتال أهل البَغي وإستئصالهم (حَتَّىٰ نَهَكَتْكُمُ) وأضعفتكم (الْحَرْبُ) بطول مدّتها (وَقَدْ وَاللّٰهِ أَخَذَتْ) الحَرب (مِنْكُمْ وَتَرَكَتْ) الحَرب لكم شيئاً آخر أي أَخذت منكم شيئاً وتركت آخر (وَهِيَ) الحَرب (لِعَدُوِّكُمْ) معاوية وأصحابه (أَنْهَكَ) وأضعف فلم يبق منهم إلّا حشاشة (لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيراً فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُوراً) لكم (وَكُنْتُ أَمْسِ نَاهِياً) لكم (فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَنْهِيّاً وَقَدْ أَحْبَبْتُمُ الْبَقَاءَ) في الحياة الدّنيا فكَرهتم الحَرب (وَلَيْسَ لِي أَنْ أَحْمِلَكُمْ عَلَىٰ مَا تَكْرَهُونَ) من الحَرب والشّهادة والإرتحال الىٰ دار البَقاء.

◁ **الشّرح**

▫ **قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَىٰ مَا أُحِبُّ حَتَّىٰ نَهَكَتْكُمُ الْحَرْبُ .**

أي كنتُ أنا وأنتم بعد بيعتكم لي الىٰ قصّة الحَكمين الّتي وقعت بصِفين بعد رفع أهل الشّام المَصاحف علىٰ أمرٍ واحد وهو المُحاربة والمُقاتلة مَع أعداء الدّين وقَطع دابر الظّالمين وكان الأمر علىٰ هذا المنوال حتّىٰ نَهكتكم أي ضعفتكم وأذابتكم الحَرب فسَلمتم لمكائدها وقُلتم بالأجابة لهم ولم يكن هذا إلّا لضعفكم وقلّة إيمانكم وعَدم مُبالاتكم بأمر الدّين فصار هذا الأمر سبباً للإختلاف ومنشأ للتّشتت والنّفاق:

قال ابن قُتيبة في كتاب الإمامة والسّياسة ما هذا لفظه:

وذكروا أنّ أهل العسكرين باتوا بشدّةٍ من الألم ونادىٰ علّي أصحابه فأصبحوا علىٰ راياتهم ومصَاحفهم فلمّا رآهم معاوية وقد برزوا للقتال قال لعمرو بن العاص ياعمرو ألم تَزعم أنّك ما وقعت في أمرٍ قطّ إلّا خَرجت منه قال بلىٰ قال أفلا تَخرج ممّا ترىٰ قال واللّه لأدعونهم أن شئت الىٰ أمرٍ أُفَرق به جمعهم ويزداد جَمعك اليك إجتماعاً أن أعطوكه إختلفوا وأن منعوكه إختلفوا قال معاوية وما ذلك قال عمرو تأمر بالمصاحف فتُرفع ثمّ تَدعوهم الىٰ ما فيها فَواللّه لأن قبله لتَفرقن عنه جماعته ولأن ردّه ليكفّرنه أصحابه فَدعا معاوية بالمصحف ثمّ دعا رجلاً من أصحابه يقال له ابن هند فَنَشره بين الصّفين ثمّ نادىٰ اللّه اللّه في دمائنا ودمائكم الباقية بيننا وبينكم كتاب اللّه فلمّا سمع النّاس ذلك فَأمروا:

الىٰ علّي فقالوا قد أعطاك معاوية الحقّ ودعاك الىٰ كتاب اللّه فاقبل منه ورفع صاحب معاوية المصحف ويقول بيننا وبينكم هذا المَصحف ثمّ تلىٰ:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّـهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾(١)

١- البقرة ـ ٢٣

ثمّ نادىٰ من لِفارس مَن لِروم فقال الأشعث والله لا نأتي هذه أبداً ونرضىٰ معك أو نُقاتل معك وتابعه أشراف أهل اليمن وركنوا الىٰ الصُلح وكَرهوا القتال وقال رأس من أهل العراق أنّ هذه الحَرب قد أكَلتنا وأذهَبت الرّجال والرّأي المُوادعة وقال بعضهم لا بل نُقاتلهم اليوم علىٰ ما قاتلناهم عليه أمس وكانت الجماعة قد رضيت المُوادعة وجُنحت الىٰ الصُّلح والمُسالمة فقام عليٍ خطيباً فقال عليه السلام: **أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَىٰ مَا أُحِبُّ حَتَّىٰ نَهَكَتْكُمُ الْحَرْبُ وَقَدْ وَاللَّهِ أَخَذَتْ مِنْكُمْ وَتَرَكَتْ وَهِيَ لِعَدُوِّكُمْ أَنْهَكَ** الىٰ آخر الخطبة إنتهىٰ.

ماأردنا ذكره ولا نحتاج الىٰ أكثر منه لوضوح الأمر وقد تحصّل ممّا ذكرناه لك أنّهم لمكان عجزهم وضعفهم وحُبّهم الدّنيا جَنحوا الىٰ المُوادعة الّتي أعقَبت لهم الذّلة والحقارة ولم يسمعوا كلام أمير المؤمنين عليه السلام واتّبعوا أهوائهم فوقَعوا فيما وَقَعوا ثمّ بعد ذلك نَقموا علىٰ أمير المؤمنين وعاتبوه وقالوا لِمَ رَضيت بالحكمين وأنّ هذا لشيءٌ عجاب:

▫ قوله عليه السلام: **وَقَدْ وَاللَّهِ أَخَذَتْ مِنْكُمْ وَتَرَكَتْ وَهِيَ لِعَدُوِّكُمْ أَنْهَكَ...**

أي لو كنتم صادقين في قولكم في الحال ووَقفتم علىٰ عصيانكم فقُوموا لِلّه وقاتلوا أهل الشّام فأنّ الوقت باق ويمكن لكم إدراك ما فات عنكم بسهولة فأنّ الحَرب قد أَخَذت منكم فرصة وتَركت لكم فرصة أُخرىٰ أو أنّها أَخَذت منكم قوّة وتَركت لكم قوّة ولم تأخذ عنكم قُدرتكم بالكلّية حتّىٰ لاتقدرون علىٰ الحَرب بل الحَرب أو المُوادعة لعدّوكم أنهَك وأَضعَف منكم وبعبارة أُخرىٰ أنتم في أوّل المُوادعة وأن نَهَكتكم الحَرب إلّا أنّها كانت أنهَك بالنّسبة الىٰ عدّوكم والآن أيضاً كذلك فأنتم أقوىٰ منهم وهم أضعف منكم فَلِمَ تقولون ما لا تفعلون:

▫ قوله عليه السلام: **لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيراً فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُوراً وَكُنْتُ أَمْسِ نَاهِياً فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَنْهِيّاً...**

وهذا الكلام منه ﷺ من ثمرات أفعال المُنافقين حيث لم يقبلوا قوله وخالفوه في ساعة الفَتح ولَحظَة النَصر وأقبل الأشعث بن قيس في أُناس كثير من أهل اليمن فقالوا لعلّي لا ترّد ما دعاك القوم اليه قد أنصَفك القَوم واللّه لأن لم تَقبل هذا منهم لا وفاء معك ولا نرمي معك بسهم ولا حَجر ولا نقف معك موقفاً ثمّ قام الىٰ علّي ﷺ أُناس وهم القُرّاء بزعمهم منهم عبد اللّه بن وَهب الرّاسي في أُناس كثير قد إخترطوا سيوفهم ووضعوها علىٰ عَواتقهم فقالوا لعلّي إتّق اللّه فأنّك قد أُعطيت العَهد وأخَذته مِنّا لِنَفنين أنفسنا أو لِنَفنيَن عدّونا أو يفيَ الىٰ أمر اللّه وإنّا نراك قد ركبت الىٰ أمرٍ فيه الفُرقة والمَعصية لِللّه والذّل في الدّنيا فأنهض بنا الىٰ عدّونا فلنُحاكمه الىٰ اللّه بسيوفنا حتّىٰ يحكم اللّه بيننا وبينهم وهو خيرُ الحاكمين لا حكومة للنّاس:

أقول: وهذا الإختلاف بين أصحابه هو الّذي صار سبباً لضعفهم وقوّة عدّوهم وحيث أنّ عليّاً ﷺ لم يجد بُدّاً من موافقتهم لقولهم نُقاتلك كما قاتلنا عثمان ومعاوية فلا محالة وافقهم جبراً وإضطراراً لا مَيلاً وإختياراً فصار أمير المؤمنين بذلك مأموراً لهم ومَنهياً لكون الأمر والنّهي لهم لا له ﷺ إذ لو كان الأمر والنّهي له لم يخالفوه ويمكن أن يكون المراد أنّهم بسبب مخالفتهم له ﷺ جعلوا الأمر والنّهي في الحقيقة بيد معاوية وأصحابه والأوّل أوَضح والثّاني أدّق:

▫ قوله ﷺ: **وَقَدْ اَحْبَبْتُمْ الْبَقَاءَ وَلَيْسَ لِي اَنْ اَحْمِلَكُمْ عَلَىٰ مَا تَكْرَهُونَ...**

أي أنّ القتال في سبيل اللّه أو في طريق كسب الإستقلال والحَرية لا يمكن لمن يحبّ البقاء في الدّنيا ويكره الشّهادة فمن أحبّ البقاء في الدّنيا لا يجاهد ولا يقاتل وأنتم كذلك وليس لي ولا لغيري أن يحملكم عليه وذلك لأنّ المقاتل إذا لم يكن فيه رغبة ولا شوق الىٰ الحَرب فتَركه لها أولىٰ من الوقوع فيها لأنّه مغلوب قطعاً كما أنّ أصحابه كانوا كذلك وهو واضح:

(٢٠٨) ومن كلام له عليه السلام

□ قوله عليه السلام: مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسِعَةِ هٰذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ كُنْتَ أَحْوَجَ وَبَلَىٰ إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ وَتُطْلِعَ مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا فَإِذَا أَنْتَ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ.

فَقَالَ لَهُ العَلَاءِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَشْكُو إِلَيْكَ أَخِي عَاصِمَ بْنِ زِيَادِ. قَالَ: وَمَالَهُ؟ قَالَ: لَبِسَ العَبَاءَةَ وَتَخَلَّىٰ عَنِ الدُّنْيَا. قَالَ عليه السلام: عَلَيَّ بِهِ. فَلَمَّا جَاءَ قَالَ:

يَا عُدَيَّ نَفْسِهِ لَقَدْ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ أَتَرَىٰ اللّٰهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللّٰهِ مِنْ ذٰلِكَ!

قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هٰذَا أَنْتَ فِي خُشُونَةِ مَلْبَسِك وَجُشُوبَةِ مَاكَلِكَ قَالَ عليه السلام وَيْحَكَ إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ إِنَّ اللّٰهَ فَرَضَ عَلَىٰ أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ كَيْلَا يَتَبَيَّغَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ!

◁ اللغة

(تَقْرِي) من قري يقري والقري ما يقدّم للضيف (عُدّي نفسه) تصغير عَدُو وأصله عَديوو فحُذفت أحدىٰ الواوين وقلّبت الثّانية واواً تخفيفاً (اسْتَهَامَ) أي جعلك هائماً لا تدري أين تروح من هام يَهيم إذا خرج علىٰ وجهه لا يدري أيْنَ يتّوجه (جُشُوبَةِ) يقال طعام جشب ومجشوب أي غليظ وقيل الّذي لا أدام مَعه (يَتَبَيَّغَ) البيغ ثوران الدّم وتبيّغ عليه إختلط:

◁ **المعنىٰ**

(**مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسِعَةِ هٰذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا وَاَنْتَ اِلَيْهَا**) وأنت مرتحلٌ عنها لا محالة بعد مدّةٍ قليلة (**فِي الْآخِرَةِ كُنْتَ احْوَجَ**) لدوام البقاء فيها فأنّها دار بقاءٍ (**وَبَلىٰ**) لا بأس بهذه الدّار في الدّنيا أيضاً (**اِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ**) لكونها حينئذٍ وسيلة وسبباً للوصول اليها مثل أن (**تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ وَتُطْلِعَ**) وتظهر (**مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا**) ومَظاهرها بإخراج الحقوق الماليّة الواجبة والمَندوبة فيها (**فَإِذَا**) أي فإذا فعلتَ كذلك (**اَنْتَ بَلَغْتَ بِهَا**) بهذه الدّار (**الْآخِرَةَ، فَقَالَ لَهُ الْعَلاَءُ يَا اَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اَشْكُو اِلَيْكَ اَخِي عَاصِمَ بْنَ زِيَادٍ قَالَ** عليه السلام **وَمَالَهُ**) أي أيّ شيءٍ فَعَل فتشكو منه (**قَالَ لَبِسَ الْعَبَاءَةَ**) وترك الدّنيا بالمرّة ولم يأخذ سواها (**قَالَ** عليه السلام **عَلَيَّ بِهِ**) أي أحضروه (**فَلَمَّا جَاءَ**) عاصم بن زياد (**قَالَ**) عليٌ عليه السلام (**يَا عُدَيَّ نَفْسِهِ**) عُدَي تصغير عَدو والمعنىٰ يا ظالم نفسه (**لَقَدْ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ**) أي الشّيطان وجعلك هائماً حائراً لا تدري أين تَروح (**اَمَا رَحِمْتَ اَهْلَكَ وَوَلَدَكَ**) في هذه الرّؤية المَذمومة. (**اَتَرَىٰ اللّٰهَ اَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ**) من المأكول والمَلبوس (**وَهُوَ يَكْرَهُ اَنْ تَاْخُذَهَا**) وتلتذ بها (**اَنْتَ اَهْوَنُ عَلَى اللّٰهِ مِنْ ذٰلِكَ، قَالَ**) عاصم في جوابه عليه السلام (**يَا اَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هٰذَا**) أي تقول هذا لنا (**اَنْتَ فِي خُشُونَةِ مَلْبَسِكَ وَجُشُوبَةِ مَاكَلِكَ**) أي تقول هذا وأنت كذلك (**قَالَ** عليه السلام **وَيْحَكَ اِنِّي لَسْتُ كَاَنْتَ اِنَّ اللّٰهَ فَرَضَ عَلَىٰ اَئِمَّةِ**) الحقّ (**الْعَدْلِ اَنْ يُقَدِّرُوا اَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ**).

أي أَوجَبَ عليهم أن يضيّقوا علىٰ أنفسهم في المأكل والمَلبَس كالفقراء الّذين لا مال لهم (**كَيْلاَ يَتَبَيَّغَ**) ويغلب (**بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ**) فيقلّ صبره فيعطب.

◁ **الشرح**

▫ **قوله** عليه السلام: **مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسِعَةِ هٰذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا وَاَنْتَ اِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ كُنْتَ احْوَجَ...**

رُوي أنّ أمير المؤمنين ﷺ دخل على العَلاء بن زياد الحارثي وهو من أصحابه يعوده في مرضه فلمّا رأى سعة داره قال ﷺ: **مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسِعَةِ هٰذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ كُنْتَ أَحْوَجَ**، كلمة (ما) استفهامية بمعنى اىُّ شيئٍ تصنع سبعة الدّار والحال انت اليها فى الاخزء احوج ثمّ أنّ الوجه فيما ذكره ﷺ وهو أنّ الدّنيا دار مجازٍ والآخرة دار قرارٍ وثبات وصريح العقل يحكم بأنّ العاقل لا يتّزود ولا يأخذ فيما لا بقاء له إلّا بقدر الحاجة وأنّ ما زاد عليها لا نفع في ضبطه وحَبسه فأنّ المأكولات والمَلبوسات والمَساكن كلّها لرفع الإحتياج ما دام الإنسان في الدّنيا وأمّا بعد موته فأيّ نفع فيها له وعليه فلا يأخذ العاقل من الدّنيا إلّا بقدر الضّرورة كما أنّ الأنبياء والأوصياء والصُّلحاء والعُقلاء كانوا كذلك ولأجل هذا قال ﷺ **مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسِعَةِ هٰذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ**.

تعلم أنّك مرتحلٌ عنها لا محالة وأمّا الآخرة فليست كذلك لكونها دار بقاءٍ وثبات فينبغي للعاقل من التّزود من الدّنيا لها وحيث أنّه الى الأبد مُقيم فيها فهو فيها الىٰ هذه الدّار أحوج:

▫ قوله ﷺ: **وَبَلَىٰ إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ وَتُطْلِعَ مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا فَإِذَا أَنْتَ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ...**

ثمّ قال ﷺ: وبلىٰ أي ولا بأس بِسَعة هذه الدّار أن أردت بها الآخرة فتقري فيها أي في هذه الدّار الضّيف وتصل فيها الرّحم وتخرج منها الحقوق علىٰ وجوهها الشّرعية المتّعلقة به كالزّكاة والصّدقات وقيل معناه أَن تخرج فيها الحقوق الماليّة الواجبة والمندُوبة والجامع وضع الحقوق في محالّها ومواضعها فإذا كُنتَ كذلك فقد بلغت بها الآخرة وتنفعك سَعَة الدّار هذا:

أقول فيما ذكره ﷺ من قوله ماكُنتَ تَصنَع بِسَعة هذه الدّار الىٰ هنا إشارة الىٰ أنّ الدّار وسَعتها بما هي هي لا إشكال فيها وأنّما الإشكال في كيفيّة الإستفادة منها في الدّنيا فأن إستفدت منها للدّنيا فهو مذموم وأن إستَفدت منها للآخرة

فهو مَمدُوح وجميع النِّعم الدنَيوية كذلك فأنَّ الدّنيا وما فيها لا عيب فيها ولا ذَم لها وأنّما الذّم في كَيفيَة إستعمالها والإستفادة منها فأنَّ المال مثلاً أن انتَفعت به لآخرتك فهو ممدوح عقلاً وشرعاً وإلّا فهو مذموم وهكذا المقام والصّحة والحياة وغيرها والأصل فيه أنَّ كلَّ مخلوق بما هو هو خير لأنّه موجود والوجود خير محض والشّر طارٍ عليه بالعنوان الثّانوي وأن شئت قلت كلّ نعمةٍ من نِعَم اللّه تعالىٰ:

فهي خير لا شَر فيها لو أُستعملت أو صُرفت فيما جُعلت له وأنّما الشّر يعرض عليها من ناحية إستعمالها وصَرفها ألا ترىٰ أنّ السّكين مثلا نِعمة في حدّ ذاته بشرط إستعماله فيما هو له وأمّا لو أُستُعمل في قتل المؤمن فيصير شَرّاً وهكذا ولأجل هذا نقول أنّ الذّم عقلاً وشرعاً يرجع الىٰ المستعِمل لا الىٰ المُستَعمل والدّنيا بأسرها كذلك فَمن زعم أنَّ الدّنيا ومافيها مَذمُومة بنفسها فقد أخطأ ضرورة أنّها بالنّسبة الىٰ المؤمن العارف الّذي ينتفع بها لآخرته ويجعلها جسراً للعبُور عليها والبلوغ الىٰ مَقصدها المَعنوي خيرٌ محض لا ذَمّ فيها أصلاً عقلاً وشرعاً وأمّا بالنّسبة الىٰ مَن ليس كذلك ليست كذلك وهو واضح لا خفاء فيه:

□ **فَقَالَ لَهُ الْعَلاَء يَا اَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اَشْكُو اِلَيْكَ اَخِي عَاصِمَ بْنَ زِيَادٍ قَالَ ؑ وَمَالَهُ قَالَ لَبِسَ الْعَبَاءَةَ وَتَخَلَّىٰ عَنِ الدُّنْيَا قَالَ ؑ عَلَيَّ بِهِ فَلَمَّا جَاءَ قَالَ...**

أقول وفي أكثر النّسخ (لَبس العَباء) والعَباء جمع عَباءة وهي الكساء قال المعتزلي وقد تلّين كما قالوا غَطاءة وغطاية وصلاءَة وصلاية انتهىٰ أقول غَرضه أنّ مانحن فيه أيضاً كذلك فقد يقال عَباءَة وقد يقال عَباية ثمّ أنّ المراد بها كما قِلنا الكَساء وقيل المراد به لَبس الصّوف في الصّيف والشّتاء كالصُّوفية وقوله تَخلّىٰ عن الدّنيا أي تَركها بالمّرة ولم يأخذ منها سواها قال أمير المؤمنين عَلّي به أي أحضُروه وقال المعتزلي والأصل أعجل به عَلّي فَحُذف فعل الأمر ودلّ الباقي عليه:

- قوله ﷺ: يَا عُدَيَّ نَفْسِهِ لَقَدْ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ...

المراد بالخَبيث هو الشّيطان وعُدَي بضَم العَين وفتح الدّال تـصغير عَـدّو وأنّما صغّره للإشارة الىٰ أنّ الإنسان لا يكون عدّواً لنفسه واقعاً فلا يَفعل مـا يضّر بها عَمداً نعم قد يُقدم علىٰ ضرر نفسه سهواً أو نسياناً أو جهلاً أو خَطأً وهذه العَداوة ضَعيفة جدّاً بحيث لو تّوجه أدرك ما فات منه وما نحن فيه من هذا القبيل فأنّ التّخلي عن الدّنيا ولَبس العَباءة وغيرها ممّا فَعله عاصم وأن كان تعَدياً علىٰ نفسه إلّا أنّه بزعمه لم يكن كذلك وكان سببه الجَـهل بـالأحكام الشّرعية ولمّا علِم بذلك تَرك ما كان فيه فهو لم يكن لِنفسه عدّواً كاملاً بل كان عدّواً ضعيفاً وهذا هو الوجه في تصغيره والمعنىٰ يامن يفعل ما يضّر بنفسه من غير عِلم به لقد إستَهام بك الشّيطان أي جَعَلك هائماً ضَالاً لا تدري أين تَروح الىٰ الجنّة أو الىٰ النّار أما رَحمتَ أهلك ووُلدك في ما كُنتَ فيه من تَرك الدّنيا والإنعزال فيها أما تَدري أنّ لأهلك وَوُلدك عليك حُقوقاً لابدّ لك من الإتيان بها وليس الدّين مـجّرد الصّـوم وأمثالهما ولا طـريق الوصُـول الىٰ الكـمالات مُنحصرة فيها:

- قوله ﷺ: أَتَرَىٰ اللَّهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذٰلِكَ...

أمّا أنّ اللّه تعالىٰ أحلّ الطّيبات من الرّزق فلقوله في كتابه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (١)

و : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لايُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (٢)

و : ﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ (٣)

١- البقرة - ١٧٢
٢- المائدة - ٨٧
٣- المائدة - ٨٨

و : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(١)

والمعنىٰ أَتَرىٰ اللّه كذلك وهو يَكره أن تأخذها أي تَأخذ الطَّيبات في الأكل والشّرب واللّبس، والإستِفهام في المقام إنكَاري أي أنَّ الَّذي أَحلَّ لك الطَّيبات لا يَكره أن تَأخذها قطعاً إذ لو كَره ذلك فَكيف أَحلّها لك وهل هذا إلّا التّناقض وذلك لأنَّ حلّيتها ناشئة عن وجود المَصلحة فيها وكراهتها ناشئة عن وجود المفسدة فيها والمَصلَحة والمفسدة لا تجتمعان في شيْ واحدٍ من جهة واحدة وهي الأكل أو مطلق الإستفادة فَمن زعم أنَّ اللّه تعالىٰ يَكره الأخذ بها قد أنكر حلّيتها من حيث لا يعلم وحيث أنّها ثابتة بنصّ الكتاب فالإكراه من أخذها في حقّه تعالىٰ لا معنىٰ له وعليه فَعدم الأخذ بها بزعم أنّ اللّه تعالىٰ شاء كذلك إنكارٌ لنصّ الكتاب وهو كما ترىٰ ولأجل هذا قال ﷺ أنت أهوَن علىٰ اللّه من ذلك أي أنت أضعف وأَعجز من هذا الظّن الفاسد إذ لا مجاملة ولا مُصانعة فيما أعطاه اللّه لِمخلوقه نعم الإعطاء مع الكُره قد يتّفق بالنّسبة الىٰ المخلوق مثل أن يعطي أحداً مالاً علىٰ كُرهٍ مع عدم طيب نَفسه به لأجل بعض الأُمور مثل الخَوف والطَّمع وكسب الشّهرة وأمثال ذلك وهذا في حقّ اللّه تعالىٰ مُحال فَكلّ ما أُعطي المخلوق أعطاهم بمُقتضىٰ جوده وكرمه بل ويحبّ أن يرىٰ نعمته في خَلقه كما قال:﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾(٢) وقد مرّت:

▫ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هٰذَا أَنْتَ فِي خُشُونَةِ مَلْبَسِك وَجُشُوبَةِ مَأكَلِكَ...

أي قال عاصم بن زياد في جواب أمير المؤمنين تقول هذا وأنت في خشونة مَلبَسك أي تَلبس الخَشن من اللّباس وتَأكل الغَذاء الّذي لا أُدام مَعه كما قال ﷺ في بعض كلماته قَنعتُ من اللّباس بطَمريه ومن الطّعام بقُرصيه وأذا كان الإمام كذلك في مَلبَسه ومَأكله فالمأموم ينبغي أن يقتدي به.

▫ قوله ﷺ: وَيْحَكَ إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ إِنَّ اللّٰهَ فَرَضَ عَلَىٰ أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ كَيْلاَ يَتَبَيَّغَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ...

---

١ - الاعراف - ٣٢ ٢- الاعراف - ٣٢

لمّا قال له عاصم ما قالَ أجاب ﷺ عنه بما حاصله أنّي لستُ كأنت من حيث الوظيفة الإجتماعية الّتي هي شَرعية أيضاً في حقّي وحقّ من كان كذلك وأن كان جميع المُسلمين في أصل الدّين والعَمل بالأحكام الشّرعية الأصلية من الواجبات والمندوبات والأخلاقيات علىٰ حدٍّ سواء مثل الصّلوٰة والصّوم والحجّ والزّكوٰة وغيرها فأنّها تَجب علىٰ جميع المُسلمين حتّىٰ النّبي ﷺ وهكذا في المندوبات، والفارق في المقام هو الإمامة والحكومة فَيَنبغي للإمام أن يُراعي في حكومته أُموراً تختّص به وذلك لأنّ اللّه تعالىٰ فَرَض علىٰ أئمّة الحقّ أن يقدّروا أنفسهم بِضَعَفة النّاس في المأكل والمَلبس والمَسكن وغيرها لئلّا يتَبيغ ويَغلب بالفقير فقره فيقّل صبره ويَهلك.

وأمّا أنت ففي راحةٍ عن هذا الأمر وينبغي التّنبيه على أُمورٍ تستفاد من هذه الخطبة:

أحدها: أنّ الدّنيا ومافيها أذا كانت في طريق الآخرة لا بأس بها شرعاً وعقلاً وقد مرّ الكلام فيها غير مرّةٍ ويدّل عليه قوله ﷺ: **وبلىٰ أن شئت بَلغت بها الآخرة تقري فيها الضّيف** الىٰ آخر كلامه.

وثانيها: أنّ التّخلي عن الدّنيا بالكلّية مذموم فأنّه الرُهبانية المذمومة في الشّريعة المقدّسة وقد دّل عليه قوله ﷺ **ياعُدّي نفسه لقد إستَهام بك الخَبيث الىٰ قوله أنت أهَون علىٰ اللّه من ذلك.**

وثالثها: أنّ أئمة الحقّ ينبغي لهم أن يقدّروا أنفسهم بِضَعَفة النّاس لئلّا يَصعَب علىٰ الفُقَراء فَقَرهم وهو ظاهر وتخصيص الأئمة بالحقّ أو العَدل كما في بعض النّسخ لا يدّل علىٰ أنّ هذا الحكم مُختَصّ بهم بحيث لا يجوز لغيرهم أن يكونوا كذلك بل المَقصود أنّهم لكونهم علىٰ الحقّ أولىٰ بإتّصافهم لهذا الحكم كما يقال المُسلم لا يَكذب فأنّ معناه أنّه لكونه مُسلماً لا ينبغي له الكَذب فهو من غيره قبيح ومنه أقبَح والحاصل أنّ هذه الرّؤية من كلّ الحكّام ممدوحة مُستَحسنة ومن حكّام الإسلام أحسَن:

إعلم: أنّ الشّارح المعتزلي قد أنكر وجود هذا الرّجل أعني العلاء بن زياد وقال أنّ الّذي رويته عن الشّيوخ ورأيته بخطّ عبد الله بن أحمد الخشّاب أنّ الرّبيع بن زياد الحارثي أصابته نشّابة في جبينه فكانت تنتقص عليه في كلّ عام فأتاه عليّ عليه السلام عائداً فقال كيف تجدك يا أبا عبد الرّحمن قال أجدني يا أمير المؤمنين لو كان لا يذهب ما بي إلّا بذهاب بصري لتمنيت ذهابه قال وما قيمة بصرك عندك قال لو كانت لي الدّنيا لفديته بها قال لا جرم ليُعطينّك الله على قدر ذلك أنّ الله تعالى يُعطي على قدر الألم والمُصيبة وعنده تضعيف كثير قال الرّبيع يا أمير المؤمنين ألا أشكو اليك عاصم بن زياد أخي قال ما له قال لَبس العباء وترك الملاء وغَمّ أهله وحزن ولده فقال عليّ عليه السلام **أدّعوا لي عاصماً فلمّا أتاه عبس في وجهه وقال ويحك يا عاصم أترى أنّ الله أباح لك اللّذات وهو يكره ما أخذت منها لأنت أهون على الله من ذلك أَوَ ما سمعته يقول: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ ثمّ يقول: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾**(١) وساق الحديث الى أن قال والرّبيع بن زياد هو الّذي إفتتح بعض خُراسان وفيه قال عُمر دلّوني على رجل إذا كان في القوم أميراً فكأنّه ليس بأمير وإذا كان في القوم ليس بأمير فكأنّه الأمير بعينه وكان خَيِّراً متواضعاً وهو صاحب الوقعة مع عُمر لما أحضر العمّال فتَوحش الرّبيع وتَقشف وأكل مَعَه الجَشب من الطّعام فأقرّه على عمله وصرف الباقين وقد ذكرنا هذه الحكاية فيما تقدم، الى أن قال الشّارح في نَسَبه وهو الرّبيع بن زياد بن أنس بن ديان بن قطر بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن مالك بن كعب بن الحارث بن عمرو بن وَعلة بن خالد بن مالك ابن أُدد، وأمّا العلاء بن زياد الّذي ذكره الرّضي رَحِمه الله فلا أعرفه لعلّ غيري يعرفُه انتهى.

وقال الخوئي بعد نقله ما نقلناه عنه ما هذا لفظه:

أقول: ويؤيّد ما ذكره الشّارح رواية الكُليني فأنّه روي في الكافي في باب

١- الرحمن ١٩و٢١

سيرة الإمام عن علّي بن محمّد عن صالح بن أبي حمّاد وعدّة منْ أصحابنا عن أحمد بن مُحمّد وغيرهما بأسانيد مختلفة في إحتجاج أمير المؤمنين علىٰ عاصم بن زياد حين لبس العباء وترك الملاء وشكاه أخوه الرّبيع بن زياد الىٰ أمير المؤمنين أنّه قد غَم أهله وأحزَن ولده بذلك فقال أمير المؤمنين عَلّي بعاصم بن زياد فجيئ به فلمّا رأه عَبَس في وجهه فقال أما إستحييت من أهلك أما رحمتَ وُلدكَ الىٰ آخر الحديث علىٰ نحو ما ذكره المعتزلي بأدنىٰ تَفاوت في العبارات وتأييد الخوئي له مشعر برضايته بمقالته وأنّ الصّحيح هو الرّبيع بن زياد لا العَلاء كما ذكره الرّضي وضَبَطه وجميع نُسَخ النّهج أيضاً كذلك فإنّا لم نجد نُسخة فيما تفحصّنا من الرّبيع عين ولا أثر:

والّذي نقول في المقام أمّا أوّلاً فهو أنّ هذا البحث لا طائل تحته أذ البحث في هذا الكتاب في شرح كلماته عليه السلام لا فيمن خاطبه بكلامه وحيث أنّ الجميع يعتقدون بأنّ الكلام له عليه السلام فالبحث في أنّ هذا الكلام قاله عليه السلام لِلعلاء أو لِلرّبيع لا فائدة فيه والشّارح المعتزلي أيضاً لا ينفي الكلام بل ينفي العلاء المخاطب به ويثبته للرّبيع نعم صدر الكلام يَتفاوت علىٰ الرّوايتين فالرّواية علىٰ قول الرّضي غيرها علىٰ قول المعتزلي حيث لم يَذكر فيها علىٰ نقل المعتزلي ما ذكر فيها علىٰ نقل الرّضي من سَعَة الدّار بل ذكر فيها أنّه أصاب الرّبيع نشّابة في جَبينه فأتاه علّي عليه السلام عائداً فقال كيف تجدك أبا عبد اللّه الخ.

وأمّا ما تكّلم عليه السلام به لعاصم بن زياد فلا فرق فيه علىٰ الرّوايتين في الأصول وأنّما الفَرق في الزّيادات من الآيات وغيرها وبعبارةٍ اخرىٰ الرّواية علىٰ قول الرّضي أجمل وأخصّ وعلىٰ قول المعتزلي أبسَط وهكذا في الكافي فأنّ ما ذكره فيه يُغاير ماذكره المُعتزلي من حيث الصّدر وأن وافقه في الذّيل إذ لم يذكر في الكافي من سِعة الدّار ولا من غيرها شيئاً كما هو ظاهر وكيف كان فلا خلاف بينهم في عاصم وأنّه عليه السلام مَنَعه عن التّخلي وترك الدّنيا والّذي يخلصّنا من هذه الأقوال هو أن نقول أمّا أوّلاً فلا يبعد أن يكون المنقول علىٰ رواية

الرّضي غير المنقول على رواية المعتزلي وصاحب الكافي ولا دليل على إتحاد الرّوايتين حتّى نبحث في سندهما فأنّ مدلول أحديهما غير مدلول الآخر كما عرفت، وثانياً أنّ عدم وقوف المعتزلي على العَلاء لا يدَل على عدم وجوده كما هو إعترف به أيضاً فلعلّ الرّضي عَرفه والمعتزلي لم يعرفه إذ عدم الوجدان لا يدَل على عدم الوجُود والرّضي ﷺ كان أعرف وأعلم بهذه الأمور من المعتزلي وشيخه إبن الخشاب وثالثاً، أنّ الرّبيع بن زياد على ما فَحَصنا حاله لم يكن ساكناً بالبَصرة ولا بالكوفة بل هو كان من عُمّال زياد بن أبيه أيّام معاوية في خُراسان وبعد اللّتيا واللّتي ما ذكره الرّضي في الكتاب هو المُعتمد حتّى يثبت خلافه وعليه كانت السّيرة من عهد الرّضي الى زماننا هذا فلا عبرة بهذه الأقاويل مضافاً الى أنّ البحث في كلامه ﷺ لا فيمن خاطبه به كما ذكرناه في صَدر البحث ومن كان عارفاً بأساليب الكلام لا يشك في أنّ الكلام كلامه ﷺ وهو يكفينا في المقام:

ثمّ أنّ الشّارح الخوئي ﷺ ذكر في المقام فصلاً مفصّلاً في أحوال الصّوفية وأذكارهم وأورادهم وما يتّعلق بهم وأطال الكلام في الباب بما لا مزيد عليه شكر اللّه سعيه وأفاض عليه شآبيب رحمته وحيث أنّ أمير المؤمنين ﷺ أشار في كلامه الى ذَم التّخلي عن الدّنيا والإعراض عنها بالكلّية فصار هذا هو الباعث على ما ذكره الخوئي ﷺ من الإنتقادات والإشكالات على هذه الطّائفة وتبعه عليه غير واحدٍ من العُلماء بعده كما سَبَقه أيضاً غير واحدٍ منهم حتّى أفرد كثير منهم كتاباً مستقلاً في مَدحهم وَذَمّهم كما أنّ بعضاً آخر مَدَحهم بل تَبَعهم في مَسلَكهم ومرامهم ولأجل هذا لا يصّح مَدحهم بالكلّية وطردهم عن المذهب بالمرّة كما أنّه لا يصّح مدحَهم وجَعلهم من الأخيار والصّلحاء كذلك فأنّ في كلّ صنفٍ من أصناف النّاس ترى أخياراً وأشراراً فلابدّ لنا من بيان معنى التّخلي وترك الدّنيا أوّلاً ثمّ بيان المقصد والغاية منه هل هو الدّنيا أو الآخرة ثانياً ثمّ التّفحص في كلماتهم وفهم مقاصدهم وإصطلاحاتهم ثالثاً وأمّا

مُجرد لبس الصُّوف وجشُوبة المَأكَل والتّمسك ببعض الأذكار والأوراد والإنعزال عن الخلق وغير ذلك من الأمور فلا يدُل علىٰ ذمّهم وطَردهم عن الدّين أذا لم تكن هذه الأمور للدّنيا والوصول اليها ومن المَعلوم أنّ إثبات الحكم علىٰ الموضوع فرع معرفة الموضوع وتشخيصه وكتابنا هذا ليس مناسباً لهذه الأبحاث علىٰ سَبيل التّفصيل بل البحث فيه وفي نظائره يقتضي تأليف كتاب مُستَقلٍ نعم المَيسُور لا يُترك بالمَعسُور وما لا يُدرك كلّه لا يُترك كلّه وحيث أنّ أمير المؤمنين أشار في المقام الىٰ هذا البحث علىٰ سبيل الإجمال فنحن أيضاً نشير الىٰ توضيح كلامه إجمالاً ليرتفع الإلتباس ويتّضح الحال فنقول:

إعلم: أنّ الإسلام دينٌ وَضَعه اللّه تعالىٰ لتأمين سعادة الإنسان في الدّارين وبلوغه الىٰ الكمال المُترقب له في النّشأتين ولأجل هذا قال رسول اللّه ﷺ **أنا ذُو العَينَين** ومعناه أنّه ﷺ كان يَنظر بعينٍ الىٰ الدّنيا وبعينٍ الى الآخرة والمُسلم الكامل من كان واجِداً لهذين المقامين بالغاً الىٰ هاتين السّعادتين فمن أخذ بأحدهما وترك الآخر فهو ناقص ومن تركهما معاً فهو أنقص وأضَل من الحيوان ومن جَمَعهما معاً هو كامل لا كمال فوقه فهذا هو الأصل في الإسلام ولأجل هذا مَنَع الشّارع عن الرُهبّانية في الإسلام وأنت إذا نَظرت الىٰ حالات الرّسول ﷺ لَعَلِمتَ أنّه ﷺ لم يكن تاركاً لِلدّنيا بالكلّية وهكذا الأئمّة والعُلماء والصّلحاء من الأُمّة بل قَنَعُوا منها بأقَلِ ما يمكن وهذا ممّا لا بأس به:

ثمّ أنّ الوصُول الىٰ المقامات الأُخروية والبلوغ الىٰ الكمالات المعنَوية لا يمكن إلّا بالتّعبّد بالأحكام الشّرعية والعَمل بها علىٰ النّهج المقرر في الشّريعة فأنّ اللّه تعالىٰ هو الّذي أسّسَ أساس الدّين وأوجب علىٰ كلّ المكلّفين الىٰ يوم القيٰمة.

الأخذ به والتّقرب الىٰ اللّه بسببه فلا مُحالة هو أعلم بكيفية الأخذ وطُرق العَمَل به فمن شاء أن يتّخذ الىٰ ربّه سبيلاً يجب عليه التّدين بدينه والعَمَل بما

قرّره في الشّريعة فكما أنّ الأحكام توقَيفيّة لا يمكن لأحدٍ التّصرف فيها زيادةً ونقصاناً كذلك كيفية العَمَل بها تَوقِيفَيِة لا يجوز لأحدٍ أن يعمل بها من عند نفسه من غير توجّه الىٰ ما قرّره صاحب الشّريعة فالصّلٰوة مثلاً من الأحكام الواجبة وهي قربان كلّ تقّي وتنهىٰ عن الفَحشاء والمُنكر ومِعراج المؤمن وغيرها من الأوصاف المُترَتِّبة عليها وهذا ممّا لا كلام فيه وأنما الكلام في أنّ هذه الأوصاف والآثار مترتبة علىٰ نفس الإذكار والأفعال من الحَمد والسّورة والقيام والرّكوع والسّجود والتّشهّد وغيرها بمعنىٰ أنّ المكّلف إذا أتىٰ بها علىٰ أيّ وجهٍ شاء وصل الىٰ مراده وتَرتَّبَت عليها آثارها أو ليس كذلك بل الآثار مترتبة عليها إذا أتىٰ بها علىٰ وجه المقرَر في الشّريعة بلا زيادةٍ ونقيصة ولا شكّ لأحدٍ أنّ الحقّ هو الثّاني وأنّ الكَيَفية ملحوظة في العَمَل وهكذا الكلام في جميع الأحكام ولا أظّن مخالفاً فيه إذا عرفت هذا:

فأعلم: أنّ الأحكام في الشّريعة المقدّسة خمسة الوجوب والندب والحرمة والكراهة والإباحة علىٰ ما هو المشهور بين المُسلمين ويُعبّر عنها بالأحكام الخمسة التّكليفية ويجمعها الوجوب والحُرمة علىٰ مراتبهما فأنّ الحُكم إن كان مانعاً من النّقيض في الإذن فهو الوجوب وإلّا فهو النّدب فالنّدب المرتبة الضّعيفة من الُوجوب أو الإذن وأن كان الحكم في عدم الإذن مانعاً من النّقيض فهو الحُرمة وإن لم يمنع منه مع الجواز فيه فهو الكراهة وإلّا فهو الإباحة وبعبارةٍ أخرىٰ حكم المولي لا يخلو عن الجواز في الفعل وعدم الجواز أو الإذن وعَدَمه، فالإذن إذا كان مانعاً عن النّقيض فهو الوجوب وإلّا فهو النّدب والإباحة والمَنع أن كان مانعاً من النّقيض فهو الحُرمة وإلّا فهو الكراهة وعليه فالأحكام تدور مدار الإذن والمَنع بالمعنىٰ العامّ:

ولا شكّ أنّ الأحكام المذكورة بأسرها تَوقيفيّة بمعنىٰ عدم جواز التّصرف فيها نفياً وإثباتاً وزيادةً ونقيصةً لأحدٍ من النّاس فكما أنّ الواجبات والمحرّمات لا يمكن التّصرف فيها كذلك المندوبات والمُباحات والمكروهات لا يجوز

التَصرف فيها فأنّ حلال محمّد حلالٍ الىٰ يوم القيامة وحرامه كذلك والمراد بالحلال والحرام معناهما العامّ الشّامل لِلكراهة والإباحة والنّدب فَحلاله يعني الواجب والنّدب والإباحة وحرامه يعني الحرمة والكراهة وبالجملة معنىٰ الحديث أنّ الأحكام الخمسة التّكليفية الّتي أتىٰ بها الرّسُول ﷺ من اللّه تعالىٰ ثابتة الىٰ يوم القيامة لا تتَغير ولا تتَبدل فتغيرها بدعة لأنّه من جعل ما ليس من الدّين في الدّين أو إخراج ما في الدّين من الدّين ولا نعني بالبدعَة إلّا هذا المعنىٰ وكلّ صاحب بدعة فهو في النّار اذا عَرفت هذا فنقول من جملة الأحكام الخمسة المُباحات وهي الّتي أجاز الشّارع فِعلها فمن حَرّمها علىٰ نفسه فقد غَيَّرها عمّا كانت هي عليه من قِبل صاحب الشّرع فقد أخرج من الدّين ما كان فيه وأدخل فيه ما لم يكن فيه وهو بدعة وكلّ بدعةٍ ضلالة وصاحبها في النّار كائناً من كان:

توضيحه – أنّ أكل الطّيبات أعنّي بها الأغذية اللّذيذة مباح في أصل الشّريعة ومعنىٰ المُباح أنّ الشّارع لم يمنع الإنسان عن أكلها اذا حَصَلت له من طريق المشّروع فإذا فرضنا أنّ الإنسان حَرّمها علىٰ نفسه من حيث أنّها كذلك بأيّ قصدٍ كان فهو قَلّب الحُكم أي قلّب الإباحة بالحُرمة وهو بدعة والبدعة حالها معلوم وأمّا إذا لم يحرّمها علىٰ نفسه بل كان لا بشرط بالنّسبة الىٰ أكلها وعدمه فلا إشكال فيه فأنّه لا يُعدّ بدعة فأنّ الإنسان فاعل مختار أن شاء أكل وأن لم يشاء فلا:

وبعبارةٍ أوضح أنّ منع الإنسان نفسه عن أكل شيٍ من المُباحات يتصور علىٰ قسمين، لا بشرط، وبشرط لا فالأوّل لا إشكال فيه عقلاً وشرعاً اذ ليس هو من قلب الحكم والثّاني ممنوع لدخوله فيه إذ ليس له أن يُحرّم شيئاً علىٰ نفسه بعد كونه حلالاً شرعاً بعنوانه الأُوّلي فأنّ جعل الحكم من وظائف الشّارع وأمّا العبد فوظيفته الإطاعة والإنقياد ومن كان كذلك فهو خارج عن الدّين من حيث لا يحتسب علم به أو لا يعلم عالماً كان أو جاهلاً شيخاً كان أو شاباً إماماً كان أو

مأموماً وذلك لأنّ الملاك هو التّصرف في الدّين وهو موجود وقد ثبت شَرعاً أنّ العبد إذا أراد أن يعبد اللّه ويتقرب اليه فلابدّ له من العَمَل بالعبادات المجعولة في الشّريعة بجميع آدابها وشرائطها كمّاً وكيفاً ووقتاً وعدداً وأن يأكل من نِعم اللّه كلّ ما أحلّه اللّه له فكما لا يجوز له قلب إذكار الصّلوة وكيفيتها بغيرها كذلك لا يجوز له قلب المُباح بالحرام ولأجل هذا إستدّل أمير المؤمنين في كلامه بقوله تعالىٰ وقال أترىٰ اللّه أحلّ لك الطّيبات وهو يكره أن تأخذها ففي قوله عليه السلام: وهو **يكره أن تأخذها** إشارة الىٰ أنّ عدم أكل الطّيبات إذا لم يكن بهذه الدّاعية لا إشكال فيه وأنّما الإشكال في عدم الأكل بزعم أنّ اللّه يكره الأكل وهذا بعينه معنىٰ تحريمه علىٰ نفسه ضرورة أنّ الإنسان إذا علم كراهة اللّه بمعناها العامّ في شئ لا يُقدم علىٰ أكله والكراهة في كلامه بمعناها العامّ الصّادق علىٰ الحُرمة والكراهة المُصطلحة ومن كان سالكاً زاهداً كيف يأكل كذلك ولازم ذلك جواز ترك الأكل اذا لم يكن بهذا القصد وهو ظاهر وهذا الّذي ذكرناه هو الملاك ولا فَرق فيه بين الصّوفي وغيره فأنّ مُجرد لَبس الصّوف وعدم أكل الطّيبات من الرّزق والإنعزال عن الخَلق وغير ذلك من الأمور لا دلالة فيها علىٰ المَدح والذّم إذا لم يكن مُحلاً لما حَرّمه اللّه أو محرّماً لما أحلّه اللّه في قَصده ونيّته فلا يجوز لأحدٍ مَدح شخصٍ أو صنفٍ من الأشخاص والأصناف الّذين إتّصفوا بلبس الصّوف وجشُوبة المأكل بمُجّرد الظّاهر اذا لم يعلم قصده ومقصده ألَيس الأنبياء والأوصياء والصُّلحاء كلّهم أو جَلّهم كذلك هذا معنىٰ كلامه عليه السلام في المقام وأمّا المتّصوفة وأقوالهم وحالاتهم وغير ذلك من شئونهم فهو خارج عن موضوع البحث فعلاً وللبحث فيهم مقام آخر والملاك فيهم وفي غيرهم ما ذكرناه.

ومن كلام له عليه السلام (٢٠٩)

□ قوله عليه السلام: إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَبَاطِلاً وَصِدْقاً وَكَذِباً وَنَاسِخاً وَمَنْسُوخاً وَعَامّاً وَخَاصّاً وَمُحْكَماً، وَمُتَشَابِهاً وَحِفْظاً وَوَهْماً وَلَقَدْ كُذِبَ عَلَىٰ رَسُولِ اللّٰهِ عَلَىٰ عَهْدِهِ حَتَّىٰ قَامَ خَطِيباً فَقَالَ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ وَإِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ:

رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلإِيمَانِ مُتَصَنِّعٌ بِالْاسْلاَمِ لَا يَتَأَثَّمُ وَلاَ يَتَحَرَّجُ يَكْذِبُ عَلَىٰ رَسُولِ اللّٰهِ مُتَعَمِّداً فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ وَلٰكِنَّهُمْ قَالُوا صَاحِبُ رَسُولِ اللّٰهِ رَآهُ وَسَمِعَ مِنْهُ وَلَقِفَ عَنْهُ فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللّٰهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ فَتَقَرَّبُوا إِلَىٰ أَئِمَّةِ الضَّلاَلَةِ وَالدُّعَاةِ إِلَىٰ النَّارِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ فَوَلَّوْهُمُ الْأَعْمَالَ وَجَعَلُوهُمْ حُكَّاماً عَلَىٰ رِقَابِ النَّاسِ فَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَالدُّنْيَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللّٰهُ فَهٰذَا أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ!

وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللّٰهِ شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَوَهِمَ فِيهِ وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً فَهُوَ فِي يَدَيْهِ وَيَرْوِيهِ وَيَعْمَلُ بِهِ وَيَقُولُ أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللّٰهِ فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهِمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذٰلِكَ لَرَفَضَهُ. وَرَجُلٌ ثَالِثٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللّٰهِ شَيْئاً يَأْمُرُ بِهِ ثُمَّ نَهَىٰ عَنْهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَىٰ عَنْ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ فَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ وَلَمْ يَحْفَظِ

النَّاسِخَ فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ.

وَآخَرُ رَابِعٌ لَمْ يَكْذِبْ عَلَىٰ اللّٰهِ وَلاَ عَلَىٰ رَسُولِهِ مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفاً مِنَ اللّٰهِ وَتَعْظِيماً لِرَسُولِ اللّٰهِ وَلَمْ يَهِمْ بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَجَاءَ بِهِ عَلَىٰ سَمْعِهِ لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ فَحَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ وَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَتَجَنَّبَ عَنْهُ وَعَرَفَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ وَالْمُحْكَمَ وَالْمُتَشَابِهَ فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ.

وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللّٰهِ الْكَلاَمُ لَهُ وَجْهَانِ فَكَلاَمٌ خَاصٌّ وَكَلاَمٌ عَامٌّ فَيَسْمَعُهُ مَنْ لاَ يَعْرِفُ مَا عَنَى اللّٰهُ بِهِ وَلاَ مَا عَنَىٰ رَسُولُ اللّٰهِ فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ وَيُوَجِّهُهُ عَلَىٰ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ وَمَا قُصِدَ بِهِ وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ وَلَيسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّٰهِ مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ حَتَّىٰ إِنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيَ الْأَعْرَابِيُّ وَ الطَّارِئُ فَيَسْأَلَهُ حَتَّىٰ يَسْمَعُوا وَكَانَ لاَ يَمُرُّ بِي ذٰلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ وَحَفِظْتُهُ فَهٰذِهِ وُجُوهُ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي اخْتِلاَفِهِمْ وَعِلَلِهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ

◁ **اللغة**

(**التّأثم**) خوف الإثم (**التّحرج**) خوف الوقوع في الحَرَج (**لَقِف**) أي تناول واخذ عنه بسرعةٍ (**لَرَفَضه**) الرَفض التَرك (**لَمْ يَهِمْ**) أي لم يُخطِئ (**جَنَّبَ**) إحترَز (**الطَّارِئُ**) من طَرَء يَطرء أي جاء بَغتَةً من بلدٍ آخر فهو طاريٌ بالهمز:

◁ **المعنىٰ**

(**إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ**) من الأخبار (**حَقًّا وَبَاطِلاً وَصِدْقاً وَكَذِباً وَنَاسِخاً وَمَنْسُوخاً وَعَامّاً وَخَاصّاً وَمُحْكَماً. وَمُتَشَابِهاً وَحِفْظاً وَوَهْماً**) أي لا يخلو من أحد هذه الأمور (**وَلَقَدْ كُذِبَ عَلَىٰ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ عَلَىٰ عَهْدِهِ**) وحياته فضلاً من بعد موته (**حَتَّىٰ قَامَ**) رسول الله (**خَطِيباً**) بين النّاس (**فَقَالَ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ**

مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) أي منزله غداً يوم القيامة فيها (وَإِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ) عن النبي (أَرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ) أي رواة الحديث لا تخلو عن هذه الأقسام الأربعة:

أحدها: (رَجُلٌ مُنَافِقٌ) في دينه بقلبه (مُظْهِرٌ لِلإِيمَانِ) بلسانه (مُتَصَنِّعٌ بِالإِسْلاَمِ) بظواهر أعماله وأفعاله، (لاَ يَتَأَثَّمُ وَلاَ يَتَحَرَّجُ) أي لا يخاف الإثم ولا يخشى الوقوع في الحَرَج لقلّة دينه ونفاقه (يَكْذِبُ عَلَىٰ رَسُولِ اللّٰهِ مُتَعَمِّداً) لعداوته (فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ) في حديثه (لَمْ يَقْبَلُوا) الحديث (مِنْهُ) لا محالة (وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ) لعلمهم بنفاقه وكذبه (وَلٰكِنَّهُمْ) أي الناس (قَالُوا صَاحِبُ رَسُولِ اللّٰهِ رَآهُ) النبي (وَسَمِعَ مِنْهُ) الحديث (وَلَقِفَ) وأخذ عَنْهُ (فَيَأْخُذُونَ) النّاس (بِقَوْلِهِ) أي بقول الرّاوي (وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللّٰهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ) في كتابه العزيز من أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم (ثُمَّ بَقُوا) هؤلاء (بَعْدَهُ) بعد الرسول (فَتَقَرَّبُوا إِلَىٰ أَئِمَّةِ الضَّلاَلَةِ وَالدُّعَاةِ إِلَىٰ النَّارِ) من الظّالمين الغاصبين (بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ) أي بسبب الكذب والطُّغيان النّاشئين عن النّفاق (فَوَلَّوْهُمْ) أي أنّ الخلفاء ولّوا المُنافقين (الأَعْمَالَ وَجَعَلُوهُمْ حُكَّاماً عَلَىٰ رِقَابِ النَّاسِ فَأَكَلُوا بِهِمُ) بسببهم (الدُّنْيَا) وحُطامها (وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ) غالباً (وَالدُّنْيَا) فأنّ النّاس عبيد الدّنيا (إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللّٰهُ) وحفظه عن هذه الآفات (فهو) الّذي ذكرناه بالوصف (أَحَدُ الأَرْبَعَةِ) الّتي أشرنا اليها في صدر الكلام:

وثانيها: (وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللّٰهِ شَيْئاً) من الأحاديث إلّا أنّه (لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَوَهِمَ فِيهِ) أي غلط وأخطأ في الحديث (وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً) علىٰ الرّسول (فَهُوَ فِي يَدَيْهِ وَيَرْوِيهِ وَيَعْمَلُ بِهِ) لظنّه أنّه الصّحيح (وَيَقُولُ أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللّٰهِ) ولا يعلم أنّه وَهَم فيه (فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ)المُستمعون منه الحديث (أَنَّهُ) أي الرّاوي (وَهِمَ فِيهِ) في الحديث (لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ) لا محالة كما أنّ الرّاوي أيضاً (وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذٰلِكَ) أي لو

علم أنّ الحديث موهوم (لَرَفَضَهُ) وتَركه:

ثالثها: (وَرَجُلٌ ثَالِثٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللّٰهِ شَيْئاً يَأْمُرُ بِهِ) الرّسول (ثُمَّ نَهَىٰ) الرّسول (عَنْهُ وَهُوَ)الرّاوي (لَا يَعْلَمُ) أي لا يعلم نهيه بعد أمره (أَوْ سَمِعَهُ) أي سمع الرّسول (يَنْهَىٰ عَنْ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ) بعد نهيه عنه (وَهُوَ) أي الرّاوي (لاَ يَعْلَمُ) أي بالنّهي بعد الأمر (فَحَفِظَ) الرّاوي (الْمَنْسُوخَ وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ فَلَوْ عَلِمَ) الرّاوي (أَنَّهُ) أي الحديث (مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ) بمقتضى دينه (وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ) وتَركوه ولكنّهم حيث لم يعلموا به أخذوا به:

ورابعها: (وَآخَرُ رَابِعٌ لَمْ يَكْذِبْ عَلَىٰ اللّٰهِ وَلاَ عَلَىٰ رَسُولِهِ) لِكونه مؤمناً صالحاً (مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفاً مِنَ اللّٰهِ وَتَعْظِيماً لِرَسُولِ اللّٰهِ ﷺ) كما هو شأن المؤمن. (وَلَمْ يَهِمْ) أي لم يُخطِئ ولم يظنّ خلاف الواقع (بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ) من الرّسول (عَلَىٰ وَجْهِهِ) كما كان بلا زيادةٍ ونَقيصة (فَجَاءَ بِهِ) بالحديث (عَلَىٰ سَمِعَهُ لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ) من الحديث (فَحَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ وَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَتجَنَّبَ) واحترَز (و عَرف الْخَاصَّ وَالْعَامَّ فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ) أي العَام في موضعه والخاصّ في موضعه (وَعَرَفَ وَالْمُحْكَمَ وَالْمُتَشَابِهَ) فجعل كلّ واحدٍ منهما أيضاً في موضعه (وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللّٰهِ الْكَلاَمُ لَهُ وَجْهَانِ فَكَلاَمٌ خَاصٌّ وَكَلاَمٌ عَامٌّ فَيَسْمَعُهُ) أي يسمع الكلام (مَنْ لاَ يَعْرِفُ مَا عَنَى) وقصد (اللّٰهُ بِهِ وَلاَ مَا عَنَىٰ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ) لعدم علمه به (فَيَحْمِلُهُ) أي الكلام (السَّامِعُ وَيُوَجِّهُهُ عَلَىٰ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ وَمَا قُصِدَ بِهِ وَمَا خَرَجَ) الكلام (مِنْ أَجْلِهِ وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّٰهِ مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ حَتَّىٰ إِنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِئَ الْأَعْرَابِيُّ وَ الطَّارِئُ) الّذي يجيئ بغتةً (فَيَسْأَلَهُ حَتَّىٰ يَسْمَعُوا وَكَانَ لاَ يَمُرُّ بِي ذٰلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ) عن الرّسول (وَحَفِظْتُهُ فَهٰذِهِ وُجُوهُ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي اخْتِلاَفِهِمْ.

◁ الشّرح

إعلم: أنّ هذا الكلام قد تكلّم ﷺ به حين سأله سُلَيم بن قيس الهلالي عن إختلاف الرّواة بعد رسول اللّه ﷺ وكان سُلَيم من أصحاب أمير المؤمنين ﷺ وقد رواه الخوئي في شرحه عن البحار من خصال الصّدوق بأسناده عن سُلَيم بن قيس الهلالي زيادةً علىٰ ما ذكره الرّضي في المقام والّذي يُعلم من كلام الخوئي أنّ أصل الكتاب لم يكن موجوداً عنده وأنّما نقل ما نقل عن البحار وهو كذلك فأن كتاب سُلَيم بن قيس طُبع أخيراً في زماننا وهو كتاب نفيس ومع ذلك هو أوّل كتابٍ صُنّف للشّيعة قال ابن النّديم في الفهرست هو أوّل كتاب ظَهَر للشّيعة وقد روي عن الصادق ﷺ أنّه قال من لم يكن عنده من شيعتنا ومُحبّينا كتاب سُليم بن قيس الهلالي فليس عنده من أمرنا شيءٌ ولا يعلم من أسبابنا شيئاً وهو ﷺ بَجل الشّيعة وهو سّر من أسرار آل محمّد ﷺ ونحن نشّرح أوّلاً ما نقله الرّضي في الكتاب ثمّ ننقل الخطبة من كتاب سُلَيم بتمامها في آخر الشّرح لما في زيادتها علىٰ ما ذكره الرّضي من الفائدة ولعلّ الرّضي لم يظفر علىٰ أصل الكتاب ولأجل هذا لم ينقلها بتَمامها واللّه أعلم:

▫ قوله ﷺ: **إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَبَاطِلاً وَصِدْقاً وَكَذِباً وَنَاسِخاً وَمَنْسُوخاً وَعَامّاً وَخَاصّاً وَمُحْكَماً، وَمُتَشَابِهاً وَحِفْظاً وَوَهْماً...**

أي أنّ الأحاديث الّتي في أيدي النّاس لا تخلو من هذه الأُمور:

أحدها: أن تكون الأحاديث المرّوية عن النّبي حقّاً مطابقاً للواقع فأنّ الحقّ في الأصل المطابقة والمُوافقَة كمُطابقة رجل الباب في حقّه لِدَورانه علىٰ إستقامةٍ والحقّ يقال علىٰ أوجُه:

الأوّل: يقال لِمُوجد الشّيْ بسبب ما تقتضيه الحكمة ولهذا قيل في اللّه تعالىٰ هو الحقّ قال تعالىٰ: ﴿فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ (١)

١- يونس ـ ٣٢

الثاني: يقال للمُوجَد بفتح الجيم بحسب مقتضى الحكمة ولهذا يقال فعل اللّه تعالى كلّه حقّ قال تعالى: ﴿مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾(١)

الثّالث: الإعتقاد للشّئ المُطابق لما عليه ذلك الشّئ في نفسه كقولنا إعتقاد فلان في الجنّة والنّار حقٌّ.

الرابع: لِلفعل والقول الواقع بحَسب ما يجب وبقدر ما يجب وفي الوقت الّذي يجب كقولنا فعلك حقّ والمراد به في المقام هو الثّالث والرّابع فإذا قلنا أنّ الحديث حقّ معناه أنّه مطابق للواقع وهو قول الرّسول مثلاً وعليه فأن كان قول الرّاوي مطابقاً لما قاله الرّسول فهو حقّ وإلّا فلا.

وثانيهما: أن يكون الحديث باطلاً والباطل نقيض الحقّ وهو ما لا ثبات له عند الفحص قال اللّه تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾(٢) فلا محالة يكون غير مطابقٍ للواقع والحقّ أنّ الباطل أيضاً تأتي فيه الوجوه الأربعة المذكورة في الحقّ قال الشّاعر:

الأكل شئٍ ما خلا اللّه باطل وكلّ نعيمٍ لا محالة زائل

وثالثها: أن يكون الحديث صِدقاً ولا فرق بينه وبين الحقّ إلّا بالإعتبار فالكلام من حيث أنّه مطابق للواقع يقال له حقٌّ صدق ومن حيث أنّ الواقع مطابقٌ له بصيغة إسم المفعول يقال له صدقٌ حقٌّ قال اللّه تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً﴾(٣) وذلك لأنّ الصّدق والكذب أصلهما في القول ماضياً كان أو مستقبلاً وعداً كان أو غيره وهو من أحسن الصّفات.

ورابعها: أن يكون كذباً وهو نقيض الصّدق فهو الخبر الّذي لا يكون مطابقاً للواقع فانّ صدق الخبر من تَبعته للواقع وكذبه عَدمها وهو من الصّفات المذمُومة كما لا يخفى.

١- اليونس ـ٥.
٢- الحج ـ ٦٢
٣- النساء- ١٢٢

وخامسها: أن يكون الحديث ناسخاً والنّسخ في الأصل إزالة شئٍ بشئٍ يتعقبه كنسخ الشّمس الظّل والظّل والشّيب الشّباب فتارة يفهم منه الإزالة وتارة يفهم منه الإثبات وتارةً يفهم منه الأمران ونسخ الكتاب أو الحديث ازالة الحكم بحكم يتعقبه كما قال تعالى: ﴿وَمَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾(١)

والنّسخ الشّرعي إزالة ما كان ثابتاً من الحُكم بنصٍ شرعيٍ ويكون في اللّفظ والحكم وفي أحدهما سواء فعل كما هو في أكثر الأحكام أو لم يفعل، وهو اي النّسخ في القرآن والحديث النبّوي إجّماعي من أهل الإسلام وآية القبلة والعِدة والصّدقة تشهد لذلك وقد ينسخ من الكتاب التّلاوة لا الحكم كآية الشّيخ والشّيخة إذا زنيا فأنّ حكم الرّجم باقٍ إذا كانا مُحصنين.

وسادسها: أن يكون مَنسوخاً وقد عَلِم معنى المنسُوخ من النّسخ أي محكوماً بالإزالة.

وسابعها: أن يكون عامّاً وهو كلّ لفظٍ يشمل بمفهومه جميع ما يصلح إنطباق عنوانه عليه في ثبوت الحكم له.

و قد يقال للحكم أنّه عامّ أيضاً بإعتبار شموله لجميع أفراد الموضوع أو المتّعلق أو المكّلف وقال بعض العلماء العامّ هو اللّفظ الدّال على إستغراق أجزائه أو جُزئياته نقله صاحب القوانين عن شيخنا البهائي وإرتضاه والحقّ أنّه من المفاهيم الواضحة التّي لا تحتاج الى التّعريف وما قيل أو يقال فيه فهو من شرح اللّفظ وتقريب المعنى الى الذّهن وليس من التّعاريف الحقيقية وكيف كان فهو على أقسام:

أحدهاـ العموم الإستغراقي وهو أن يكون الحكم شاملاً لكلّ فردٍ فردٍ فيكون كلّ فردٍ وَحده موضوعاً للحكم ولكلّ حكمٍ متعلّق بفردٍ من الموضوع عصيان خاص نحو أكرم كلّ عالم:

وثانيهاـ العموم المجموعي وهو أن يكون الحكم ثابتاً للمجموع بما هو

١-البقرة-١٠٦

مَجمُوع فيكون المَجمُوع موضوعاً واحداً كوجوب الإيمان بالأنبياء والأئمّة حيث لا يتحقّق إلّا بالإيمان بالجميع:

وثالثها- العموم البدلي وهو أن يكون الحكم لواحدٍ من الأفراد علىٰ البَدل فيكون فرد واحد فقط علىٰ البَدل موضوعاً للحكم فإذا امتُثل في واحدٍ سقط التّكليف نحو أعتق أيّة رقبةٍ شئت.

ثمّ أنّ الألفاظ الدّالة عليه أمّا أن تكون مفردة مثل (**كلّ**) وما في معناها ومثل (**جميع**) و(**تمام**) و(**أيّ**) و(**دائماً**) وأمثالها وأمّا أن تكون هيئات لفظية كوقوع النّكرة في سياق النّفي أو النّهي كقولك لا رجل في الدّار ولا تضرب أحداً ومثل اللّفظ المحلّي باللّام الجنس جمعاً كان أو مفرداً كقولك الحمد لِلّه ربّ العالمين وتفصيل الكلام في الباب خارج عن طَور الكتاب.

وثامنها: الخاصّ وهو الحكم الّذي لا يشمل إلّا بعض أفراد موضوعه أو المتّعلق أو المكلّف أو انّه اللّفظ الدّال علىٰ ذلك كقولك أكرم العلماء إلّا الفُساق منهم وقسّموا التّخصيص الىٰ المُتّصل والمنفصل فأن كان الّذي يخص العام متّصلاً به يسّمىٰ التخصيص متّصلاً كما مثلناه وأن كان مُنفصلاً عنه يسّمىٰ بالمُنفصل كقولك أكرم العلماء ولا تكرم الفُسّاق منهم وفائدة الخاصّ تضييق دائرة العامّ:

وتاسعها: أن يكون مُحكماً وهو في اللّغة المضبوط المُتقن وفي الإصطلاح يطلق علىٰ ما إتّضح معناه وظَهر لكلّ عارفٍ باللّغة وقد يطلق علىٰ ما كان محفوظاً من النُّسخ أو التّخصيص أو منهما معاً، وثالثاً علىٰ ما كان نظمه مستقيماً خالياً عن الخِلل، ورابعاً علىٰ ما لا يحتمل من التّأويل إلّا وجهاً واحداً قال تعالىٰ: ﴿**مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾ (١)

وعاشرها: أن يكون مُتشابهاً أعني ما لا يكون معناه واضحاً وهكذا وهو خلاف المُحكم ولا واسطة بينهما وقد نُصّ اللّغويون علىٰ أنّ المُتشابهات هي

١- آل عمران - ٧

المُتماثلات يقال هذا شبه هذا أي شبيهه ومثله قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[1] فالمحكم مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَآتُوا الزَّكَوٰةَ﴾[2] وأمثالهما والمتشابه نحو قوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[3] وأمثالها.

أحَد عشرها: أن يكون الحديث حفظاً أي محفوظاً عن الوهم والإلتباس ومصوناً عن الكذب والخَطأ.

وثاني عشرها: أن يكون الحديث وهماً أي مَوهوماً غير مَصونٍ عن الغلط والإشتباه والخَطأ والكَذب.

□ **قوله ﷺ: وَلَقَدْ كُذِبَ عَلَىٰ رَسُولِ اللّهِ عَلَىٰ عَهْدِهِ حَتَّىٰ قَامَ خَطِيباً فَقَالَ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ...**

أي ولقد كذب بعض المُنافقين علىٰ رسول اللّه ومعناه أنّه نسب اليه ما لم يقله، علىٰ عهده أي في حياته ﷺ فضلاً عن بعد مَوته حتّىٰ قام رسول اللّه خطيباً في النّاس فقال: مَن كَذب علّي مُتعمداً أي عن علمٍ وعمدٍ فَليتبوء مَقعده من النّار غداً يوم القيامة والوجه فيه هو أنّ الكذب عليه ﷺ هو الكذب علىٰ اللّه تعالىٰ بعينه فأنّ الرّسول لا يقول إلّا عن اللّه لقوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[4] وأمثالها.

أخرج الطّبراني عن رافع بن خديج قال قال رسول اللّه ﷺ : لا تكذبوا علّي فأنّه ليس الكذب علّي كالكذب علىٰ أحَدٍ، وفي رواية للأحمد عن عمر مرفوعاً، قال ﷺ من كذب علّي فهو في النّار، وعن عثمان بن عفان أنّه قال سمعته يقول من قال عَلّيَ ما لم أقُل فقد تَبَوء مقعده من النّار...

وروي أحمد والدّارمي وابن ماجة وآخرون من حديث أبي قتادة عن النبّي أنّه قال أيّاكم وكثرة الحديث عنّي فمن قال عنّي فلا يقولَن إلّا حقّاً

١- آل عمران ـ ٧
٢- البقرة ـ ٨٣
٣- القيمة ـ ٢٢/٢٣
٤- النجم ـ ٣/٤

وصدقاً فَمَن قال علّي ما لَم أقُل فَلْيَتَبَّوء مقعده من النّار...

وروي البخاري عن عامر بن عبد الله بن الزبير أنّه قال أمّا أنّي لم أُفارقه ولكنّي سمعته يقول ومن كذب علّي فَلْيَتَبَوء مقعده من النّار...

وعن واثلة بن الأشفع عن النبّي أنّ أفرىٰ الفَري من قَولّني ما لَم أقُل الحديث....

وعن ابن عمر أنّ النبّي قال أنّ الّذي يكذب علّي يبني له بيتاً في النّار انتهىٰ...

والأحاديث في الباب كثيرة أُنظر الأضواء علىٰ السُنَة المُحمّدية لمُؤلفه، المَحمُود أبو رّية وغيرها من المآخذ وأمّا قوله ﷺ: **وَلَقَدْ كُذِبَ عَلىٰ رَسُولِ اللّهِ عَلَىٰ عَهْدِهِ** وحياته فقد روِي في الكتاب المذكور عن كتاب الأحكام في إصول الأحكام لابن حزم الظّاهري« ص ٥٨٢ ج ٣»...

عن عبد اللّه بن بريدة عن ابن الخطيب الأسلمي قال كان حَيٌ من بني ليث علىٰ مَيلَين من المدينة فَجاءهم رجل وعَليه حلّة فقال أنّ رسول اللّه ﷺ كساني هذه الحِلّة وأمَرني أنّ أحكم في دمائكم وأموالكم بما أرىٰ وكان قد خطب منهم إمرأة في الجاهلية فلم يزوجّوها فإنطلق حتّىٰ نزل علىٰ تلك المرأة فأرسلوا الىٰ رسول اللّه فقال كذب عدّو اللّه ثمّ أرسل رجلاً فقال أن وجدته حيّاً ولا أراك تجده فإضرب عُنقه وأن وَجدته ميّتاً فأحرقه بالنّار انتهىٰ« ص ٦٧» وأخرج ابن سعد في الطّبقات والطّبراني عن المقنع التميمي قال أتيت النّبي بصَدَاقة إبلنا فأمر بها فقبضت فقلت أنّ فيها ناقتين هدية لك فأمر بعزل الهدية عن الصّدقة فمكثت أيّاماً وخاض النّاس أنّ رسول اللّه باعث خالد بن الوليد الىٰ رقيق مضر فمصدقهم فقلت واللّه ما عند أهلنا من مالٍ فأتيت النّبي ﷺ أنّ النّاس خاضوا في كذا وكذا فرفع النّبي يديه حتّىٰ نظرت الىٰ بياض إبطه وقال اللّهم لا أحلّ لهم أن يكذبوا علّي انتهىٰ« ص ٦٥»...

▫ قوله ﷺ: **وَإِنَّمَا أتَاكَ بِالْحَدِيثِ أرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ...**

أي أنّ رواة الحديث عن رسول الله ﷺ أربعة لا خامس لهم فقوله عليه السلام لا خامس لهم يدّل على أنّ هذا الحصر عقلي لا يوجد له خامساً والظّاهر أنّه كذلك ولتقريره نقول:

الرّاوي للحديث أمّا أن يكذب على الرّسول متّعمداً لكفره باطناً أو لا يكون كذلك فهذا الحصر عقّلي دائر بين النّفي والإثبات والأوّل هو الأوّل من الأقسام الأربعة المذكورة في الكتاب وعلى الثّاني أعني من لا يكذب عليه متّعمداً معناه أنّه يكذب عليه من غير عمدٍ فهو لا يخلو أمّا أن يكون مَنشأ كذبه عليه ﷺ عَدم حفظه الحديث على وجهه أو لا يكون والأوّل هو الثّاني من الأقسام المذكورة في الكتاب وأمّا الثّاني أعني من لا يكون مَنشأ كذبه عليه عدم حفظه فلا محالة يكون المنشأ فيه غفلته عن نهي الرسّول بعد أمره وبالعكس أو عدم علمه بالنّاسخ بعد حفظه المنسوخ وأمثال ذلك من الأُمور فهو الثّالث من الأقسام وأمّا أن لا يكذب عليه ﷺ أصلاً وهو رابع الأقسام فهذه هي الأقسام الأربعة:

وبوجهٍ أخص نقول الرّاوي أمّا أن يكذب على الرّسُول أو لا يكذب عليه، والأوّل أمّا أن يكون عن عَمدٍ أو ليس كذلك والثّاني أمّا أن يكون بسبب عَدم حفظ الحديث على وجهه أو لا يكون بل لجهات أُخرى من عَدم العلم بالنّاسخ بعد العلم بالمنسوخ وعدم العِلم بالنّهي بعد العلم بالأمر قبله وبالعكس وهكذا، فأنّ لا يكذب فهو القسم الرّابع، وأن كذب متّعمداً فهو القسم الأوّل، وأن كذب بسَبب عَدم الحفظ فهو الثّاني أو لشئ آخر فهو الثّالث:

▫ قوله عليه السلام: **رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلْإِيمَانِ مُتَصَنِّعٌ بِالْاسْلاَمِ لَا يَتَأَثَّمُ وَلاَ يَتَحَرَّجُ يَكْذِبُ عَلَىٰ رَسُولِ اللّٰهِ مُتَعَمِّداً...**

شَرع عليه السلام في بيان أوصاف الأربعة وأنّه لِمَ يكذب على رسول الله ﷺ فأنّه عليه السلام قال أمّا الأوّل من الأربعة فهو رجل منافق الى آخر ما قال فذكر عليه السلام من أوصافه ثلاثة:

أحدها: أنّه منافق مظهرٌ للإيمان مُتصنع بالإسلام وهذا هو معنىٰ النّفاق فأنّ المُنافق يُظهر الإيمان ويُبطن الكفر فيقول بلسانه ما ليس في قلبه ينطبق أعماله ظاهراً علىٰ الإسلام من غير أن يعتقد به وهذا معنىٰ التّصنع فكأنّه جَعل الدّين لنفسه صَنعَة وحِرفة ووسيلة للوصول به الىٰ الدّنيا فيقول بلسانه حقّاً ويعمل أيضاً كذلك في أنظار العوام وهو يريد شيئاً آخر والنّاس في غفلةٍ عنه ولأجل هذا إتّفقوا علىٰ أنّ المنافق أضَرّ علىٰ الدّين من الكافر وذلك لأنّ الكافر يتظاهر بكفره والنّاس يعرفونه كذلك فلا يَسمعون كلامه ولا يقتدون به في دنياهم ودينهم وأمّا المُنافق فليس كذلك لأنّه يُظهر الإيمان والإسلام وهو في قلبه كافر مُلحِد والنّاس لا يمكن لهم الإطّلاع علىٰ ضميره وقلبه وهذا هو الدّاء الّذي لا دَواء له:

قال اللّه تعالىٰ في ذَمّ المنافقين: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِى الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ (١)

و: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ (٢)

و: ﴿وَ عَدَاللهُ الْمُنَافِقِينَ وَ الْمُنَافِقَاتِ وَ الكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ (٣)

و: ﴿ يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ (٤)

و: ﴿وَ اللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (٥) ويكفيك في ذمّهم أنّ اللّه تعالىٰ سمّىٰ سُورةً من القرآن بهم وصريح العقل أيضاً يحكم بذَمّ النّفاق وقد صَرّح اللّه في كتابه بكونهم في درجة الكُفّار في نار جّهنم حيث قال: ﴿إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَ الْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾ (٦) وصَرّح في آيةٍ أُخرىٰ بكون المُنافقين في أَصفل السّافلين فقال:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِى الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ (٧) وهي تدلّ علىٰ أنّ ذَنبَهم كان أكثر من ذنب الكافر حيث جَعل مَثواهم أَسفَل من مثواهم وبعد دلالةٍ صريح

١- النّساء ـ ١٤٥
٢- النساء ـ ١٤٢
٣- التّوبة ـ ٦٨
٤- التّوبة ـ ٧٣
٥- المنافقون ـ ١
٦- النّساء ـ ١٤٠
٧- النّساء ـ ١٤٥

القرآن على المدّعىٰ لا نحتاج الىٰ ذكر الأخبار الواردة في الباب ولنُشر الىٰ بعضها تَيمناً وتَبَركاً فنقول:

روي في البحار عن محمّد بن الفضيل عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام قال كتبت اليه أسأله عن مسئلة فكتب إلّي أنّ الله يقول: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ (١) الىٰ قوله سبيلاً ليسوا من عترة الرّسول وليسُوا من المؤمنين وليسُوا من المسلمين يظهرون الإيمان ويسّرون الكفر والتّكذيب لَعنهم الله انتهىٰ« ج ١٥ الجزء الثالث من الايمان والكفر ص ٢٣»...

وبأسناده قال رسول الله صلى الله عليه وآله خلّتان لا تجتمعان في منافق فقه الإسلام وحسن سمة الوجه انتهىٰ « ص ٢٣»...

وقال الصّادق عليه السلام أربع علامات للنّفاق، قساوة القلب، وجمود العين والإصرار علىٰ الذّنب والحرص علىٰ الدّنيا انتهىٰ« ص ٢٣»..

وعن عباد ابن صهيب قال سمعت أبا عبد الله يقول لا يجمع الله لمنافقٍ ولا لفاسقٍ حسن السّمة والفقر وحسن الخلق أبداً انتهىٰ « ص عليه السلام ٢»...

والرّوايات في الباب كثيرة وقد أشرنا الىٰ كثير منها فيما مضىٰ:

وثانيها: أنّه لا يتأثم أي أنّ المُنافق لا يخاف الإثم والوجه فيه ظاهر فأنّ المُنافق لم يؤمن بالله وبرسُوله واقعاً وأنّما أظهر الإسلام والإيمان ظاهراً ومن كان كذلك كيف يخاف الإثم وبعبارةٍ أُخرىٰ الخوف من الإثم فرع معرفة الله ومن لم يعرفه لا يخافه أصلاً:

وثالثهما: أنّه لا يتّحرج أي لا يخشىٰ الوقوع في الحَرج وهو الجُرم والوجه فيه أيضاً ظاهر وحيث كان كذلك فهو يكذب علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله مُتعمداً.

وغرضه منه هَدم الدّين وتخريب أركان الشّريعة لأنّ المفروض أنّه معاند للدّين مخالف له وإذ لم يقدر علىٰ إطفاء نور الله بالسّيف والسّنان وألات الحرب أقدَم علىٰ إطفاءه بآلات النّفاق وفي رأسها الكذب علىٰ الرّسول لأنّه

١- النساء ـ ١٤٢.

يوجب تضعيف إيمان المؤمنين به وترديدهم في حقّانيته فيقولون لو كان هذا الدّين من عند اللّه والرّسول رسُوله لما قال هذا أو لما فعل هكذا ولم يعلموا أنّه ﷺ لم يقل هذا ولم يفعله أبداً فإذا قيل لهم ذلك يقولون قال فلان وهو صادق مثلاً:

▫ قوله ﷺ: **فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ اَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ وَلٰكِنَّهُمْ قَالُوا صَاحِبُ رَسُولِ اللّٰهِ رَاٰهُ وَسَمِعَ مِنْهُ وَلَقِفَ عَنْهُ فَيَاْخُذُونَ بِقَوْلِهِ وَقَدْ اَخْبَرَكَ اللّٰهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا اَخْبَرَكَ وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ...**

قوله ﷺ هذا كأنّه جواب عن سؤالٍ مقدّر وهو أنّه لقائل أن يقول إذا كان المُنافق كذلك فكيف يُقبل قوله بل ينبغي للنّاس تركه وعدم قبولهم وقوله فقال ﷺ في الجواب أنّ النّاس لا يعلمون به فلو علم النّاس أنّه منافق كاذب في قوله علىٰ رسول اللّه لم يقبلوا قوله ولم يصّدقوه قطعاً وذلك لأنّ المسلمين أنّما أسلموا بالطّوع والرّغبة لا بالجبر والكراهة وقد علموا في أصول إعتقاداتهم أنّ الرّسول صادق في قوله وفعلِه عادل كذلك فإذا سمعوا منه بواسطة الغير حديثاً غير مناسبٍ لشأن النبّي فأن كانت الواسطة فاسقاً منافقاً في نظرهم فلا محالة لم يقبلوا قوله وأمّا لو كان مُظهراً للإيمان كافراً في القلب فمن أين يمكن لهم الإطّلاع علىٰ ضميره ولا سيّما إذا كانت القرائن الدّالة علىٰ إيمانه وصدقه موجودة مثل أن يكون المُنافق من أصحاب رسول اللّه وأقربائه معاشراً مجالساً له في سَفره وحضره رأىٰ الرّسول وسمع منه الحديث وأخذ عنه فيأخذون بقوله لا محالة لأنّ ظواهر الأمر تقتضي كذلك والأصل علىٰ البراءة والحال أنّ اللّه تعالىٰ قد أخبرك عن المنافقين في كتابه ووصَفهم لك بما وَصف وقد مرّت الآيات:

▫ قوله ﷺ: **ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ فَتَقَرَّبُوا اِلَىٰ اَئِمَّةِ الضَّلاٰلَةِ وَالدُّعَاةِ اِلَىٰ النَّارِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ فَوَلَّوْهُمُ الْاَعْمَالَ وَجَعَلُوهُمْ حُكَّاماً عَلَىٰ رِقَابِ النَّاسِ**

فَاَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيا وَاِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَالدُّنْيا اِلَّا مَنْ عَصَمَ اللّٰهُ فَهٰذَا اَحَدُ الْأَرْبَعَةِ...

أي ثُمّ أنّ المنافقين الّذين كذبوا علىٰ رسول اللّٰه في حياته قد بقوا في الدّنيا بعد الرّسول وذلك لأنّ النّفاق والمنافق لم يمُت بموته ﷺ فتقربوا هؤلاء الأشرار الىٰ أئمّة الضّلالة وخلفاء الجور الّذين دعوا النّاس الىٰ النّار وأنّما كان تقرُبهم اليهم بجعل الأحاديث المَوضوعة في شأن الخلفاء لتصحيح أعمالهم وأقوالهم وإذاكانوا كذلك فوّلوهم الأعمال وجعلوهم حكّاماً علىٰ رقاب النّاس وأكَلوا بهم أي بمعونة هؤلاء الأشرار الدّنيا ومن المعلوم أنّ عوام النّاس مع الملوك والدّنيا لا أمن عَصم اللّٰه وحفظه عن هذه المَهلَكة فيَنتُج أنّ قوام حكُومة الغاصبين ودوام شوكتهم وخلافتهم أنّما هو ببركة وجود المنافقين.

أقول: ما ذكره عليه السلام حقّ لا مرية فيه فأنّ الإسلام في حياة الرّسول وخصوصاً بعده قد إبتلىٰ بهذا الدّاء ولم يمكن له التّخلص عنه الىٰ الآن.

ونحن نشير الىٰ شطرٍ ممّا صَدَر عنهم بعد الرّسول توضيحاً لكلامه عليه السلام وقبل الخَوض في الموضوع نذكر لك الأسباب الّتي دَعت الوّضاعين الىٰ وضع الحديث والكذب علىٰ رسول اللّٰه ﷺ بعد مَوته:

أحدها: إفساد الدّين وإيقاع الخلاف والإفتراق بين المسلمين ومن المعلوم أنّ واضع الحديث لهذا القصد لا يكون إلّا زنديقاً مُلحداً كافراً باللّٰه وبرسوله واقعاً وأن أظهر الإسلام ظاهراً كما نقل أنّ الزّنادقة وَضَعت أربعة ألاف حديث قالوا لما أُخذ ابن أبي العوجاء ليضرب عُنقه قال وضعت فيكم أربعة ألاف حديث.

وثانيها: الوضع لنصرة المذاهب في أُصول الدّين وفروعه و ليس الوضع لنصرة المذاهب محصوراً في المبتدعة وأهل المذاهب في الأُصول بل أهل السُّنّة المختلفين في الفروع وَضعوا أحاديث كثيرة لنصرة مذهبهم أو تعظيم إمامهم مثل مارَووا في مَدح الشّافعي وأبي حنيفة وابن حنبل ومالك فأنّ إتباع

كلّ واحدٍ منهم قال في مدحه إمامه ماقال ونسبه الىٰ الرّسول وفي ذمّ الآخر كذلك فقد رُوي منهم في ذمّ الشّافعي قال رسول اللّه ﷺ يكون في أمّتي رجل يقال له محمّد ابن ادريس أضر علىٰ أمّتي من إبليس وفي مَدح أبي حنيفة قال ويكون في أمّتي رجل يقال له أبو حنيفة وهو سراجُ أمّتي، وقالوا في إسناد الحديثين وضّاعان أحدهما مأمون بن أحمد السّلمي والآخر أحمد بن عبد اللّه الخُونباري:

وثالثها: قصد التّقرب الىٰ الملوك والسّلاطين والأُمراء وهو أيضاً ظاهر.

ورابعها: الظّهور علىٰ الخصم في المناظرة طلباً للرّئاسة وفراراً من الفَضيحة فيقول قال رسول اللّه كذا:

وخامسها: إرضاء النّاس وإبتغاء القبول عندهم وإستمالتهم لحضور مجالسهم الوَعظية طلباً للشّهرة وغير ذلك من الأُمور الّتي يطول الكلام بذكرها والجامع في الكلّ حبّ الدّنيا وعدم الإيمان إذا ظهر هذا لك فقد علمت أنّ المؤمن باللّه وباليوم الآخر بمعزلٍ عن هذه الأراجيف وحيث أنّ الإسلام كان مخالفاً لآراء أكثر النّاس وأهوائهم وأكثر المُسلمين في صدر الإسلام لَم يَقبَلُوه بالطّوع والرّغبة كما هو ظاهر علىٰ المتّتبع الخبير بل كان الوجه في إسلامهم الوصول الىٰ الآمال الدّنيوية من المال والرّئاسة والحكُومة وغير ذلك أو هَدم الإسلام وتضعيفه وتخريبه به فَدَخلوا فيه وتظاهروا به وتلّبسوا بلباس الإسلام وصَلوا وحجّوا وصامُوا بل عملوا بالمُستّحبات أيضاً وبالجملة صاروا مُتظاهرين به بحيث لم يحتمل أحدٌ من العَوام أنّهم من المنافقين المُلحدين فضلاً عن علم العَوام به ثمّ بعد موت الرّسول أظهروا نيّاتهم بجعل الأحاديث الموضوعة ونسبوها الىٰ رسول اللّه ليَنكسُروا بها ظهر الدّين ويهدموا بها قوائم شريعة سيّد المرسلين ونص (متن) الأحاديث يُنادي بأعلىٰ صَوته أنّها موضوعات وأنّ إنتسابها الىٰ الشّيطان أولىٰ وأحقّ من إنتسابها الىٰ رسول اللّه الّذي لا ينطق عن الهَوىٰ.

فمنها – حديث المشهور بين العامّة عن النّبي ﷺ أنّه قال نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة وقد فرغنا عن البحث فيه في المجلد الأوّل من هذا الكتاب.

ويكفي في كذبه وأنّه من الموضوعات كونه مخالفاً لنَص الكتاب حيث قال تعالىٰ:﴿وَوَرِث سليمان داوُد﴾ وغيرها من الآيات علىٰ ما مَرّ شرحه وأنّما وَضَعُوا هذا لِغصب حقّ فاطمة بضعة الرّسول وشَهد به بعض المُنافقين تقرّباً لمقام الخلافة وأظنّ أنّ هذا الحديث أوّل الموضُوعات بعد النّبي وواضعها أسَّسَ أساس الوضع في الإسلام فهو أوّل الواضعين وأَسبَق الكذّابين ثمّ بعد ذلك شرعوا في الوَضع والجَعل الىٰ ما لا يُحصىٰ:

قال الأميني ﷺ في المُجلد الخامس من كتابه الغَدير عند بحثِه في سلسلة المَوضوعات علىٰ النّبي الأمين ما هذا لَفظه، يهمّنا هاهنا ذكر نماذج ممّا وضعته يد أُولئك الكذّابين الوضّاعين المذكُورين أو من يُشاكلهُم في الإفتِعال في باب الفَضائل فَحسبُ قال:

عن ابن عبّاس قال قال رسول اللّه ﷺ ما في الجنّة شَجرة إلّا مَكتُوب علىٰ كلّ ورقةٍ منها لا إلٰه إلّا اللّه محمّد رسول اللّه أبو بكر الصّديق عمر الفاروق عثمان ذو النُورّين انتهىٰ...

قال – من موضوعات علّي بن جميل الرّقي أخرَجه الطَبراني وقال موضوع وعلّي بن جميل وضّاعَ الىٰ أن قال رواه الخطيب البغدادي في تاريخه« ج ٥ ص ٤ و ج ٧ ص ٢٣٧» وقال الذهّبي في ميزانه « ج ١ ص ٢٥٣» بعد ذكره من هذا الطّريق هذاباطل وقال في« ج ٣ ص ١٨٤ » أنّه موضوع وذكَره ابن كثير في تاريخه « ج ٧ ص ٢٠٥ » من طريق الطّبراني فقال أنّه حديث ضعيف:

وعن ابن عبّاس مرفُوعاً إذا كان يوم القيامة نادىٰ مُناد تحت العَرش هاتوا أصحاب مُحمّد فيؤتىٰ بأبي بكر وعُمر وعثمان وعلّي فيقال لأبـي بكر قف علىٰ باب الجنّة فأدخل فيها من شئت وَرّد مَن شئت ويقال لعُمر قف عند

الميزان فثقّل من شئت برحمة اللّه وخفّف من شئت ويُعطي عثمان غُصن شجرة من الشّجرة الّتي غرسَها اللّه بيده فيقال ذُد بهذا عن الحَوض من شئت ويُعطي عليٌ حليتّين فيقال له خُذهما فأنّي أدخرتّهُما لك يوم أنشأت خلق السّموات والأرض انتهىٰ «الغدير ج ٥ ص ٢٩٨»...

وعن أنس مرفُوعاً قال رسُول اللّه ليلة أُسرىٰ به دخلت الجنّة فإذا أنا بتقاحة تعلقت عن حوراء قالت أنا للمقتول ظُلماً عُثمان انتهىٰ ص ٢٩٩.

وعن عبد اللّه بن عمرو مرفُوعاً عنه ﷺ لّما وُلد أبو بكر في تلك اللّيلة أطلع اللّه علىٰ جنّته عدنٍ فقال وعزّتي وجَلالي لا أدخلك إلّا من أحبّ هذا المولود انتهىٰ« ص ٣٠٠»...

وعن أبي هريرة مرفوعاًأنّ في السّماء الدّنيا ثمانين ألف مَلَك يستغفرون اللّه لمن أحبّ أبا بكر وعُمر وفي السّماء الثّانية ثمانون ألف مَلَك يلعنُون من أبغض أبا بكر وعُمر انتهىٰ« ص ٣٠٠»...

وعن أنس أنّ يهودياً أتىٰ أبا بكر فقال والّذي بعث مُوسىٰ وكلّمه تكليماً أنّي لأحبّك فلم يرفع أبو بكر رأساً تَهاوناً باليهّودي فَهبط جبرئيل علىٰ النبّي ﷺ وقال يا محمّد أنّ العلّي الأعلىٰ يقرأ عليك السّلام ويقول لك قُل لليهودي أنّ اللّه قد أحاد عنك النّار فأحضر اليهودي فأسلم، وفي لفظٍ، قد أحاد عنه في النّار خلّتين لا تُوضع الأنكال في عُنقه ولا الأغلال في عُنقه لِحُبّه أبا بكر فأخبره انتهىٰ« ص ٣٠١»...

وعن البَراء مرفُوعاً أنّ اللّه إتّخَذ لأبي بكر في أعلىٰ علّيين قُبّة من ياقوتة بَيضاء مُعَلّقة بالقدرة تَخترقها رياح الرّحمة لِلقُبّة أربعة آلاف باب كلّما إشتاق أبو بكر الىٰ اللّه إنفتَح منها باب يَنظر الىٰ اللّه انتهىٰ« ص ٣٠١»...

وعن أنس قال لمّا خَرج رسُول اللّه ﷺ من الغار أخَذ أبو بكر بغرزة فنظر النبّي الىٰ وجهه فَقال يا أبا بكر ألا البّشرك قال بلىٰ فَداك أبي وأُمّي قال أنّ اللّه يتجلّىٰ يوم القيامة لِلخلائق عامّة ويَتجلّىٰ لك خاصّة انتهىٰ« ص ٣٠١»...

وعن أبي هُريرة مرفُوعاً، عُرج بي الىٰ السّماء فما مَررت بسّماءٍ إلّا وَجدت فيها مكتُوباً محمّد رسّول اللّه وأبو بكر الصّديق في خلقي انتهىٰ « ص ٣٠٢»...

وعن أنس قال آخىٰ النبّي ﷺ بين كَتفي أبي بكر وعمر فقال لهما أنتُما وزيراي في الدّنيا والآخرة ما مثلي ومثلكُما في الجنّة إلّا كمثال طائر يَطير في الجنّة فأنا جؤحوء الطّائر وأنتُما جناحاه وأنا وأنتُما نَسرح في الجنّة وأنا وأنتُما نَزور ربّ العالمين وأنا وأنتما نقعد في مجالس الجنّة الحديث « ص ٣٠٣»...

وعن أنس مرفُوعاً، أنّ لِلّه تعالىٰ سَيفاً مغمُوداً في غَمده ما دام عُثمان بن عفان حيّاً فأذا قُتل جُرّد ذلك السّيف فلم يُغمد الىٰ يوم القيامة انتهىٰ « ص ٣٠٤»...

وعن إبن عبّاس مرفُوعاً، هَبطَ إلّي جبرئيل وعليه طنفته وهو متّخلل بها فقُلت يا جبرئيل ما نَزلت إلّي في مثل هذا الّذي قال أنّ اللّه تعالىٰ أمَرَ المَلائكة أن تتّخلل في السّماء لِتخلّل أبي بكر في الأرض انتهىٰ« ص ٣١٠»...

وعن أبي هُريرة قال ﷺ لكلّ نبّيٍ خَليلاً من أُمّته وأنّ خليلي عُثمان انتهىٰ « ص ٣١١»...

وفي حديث آخر لو كنتُ مُتّخذاً خليلاً من هذه الأمّة لإتّخذتُ أبا بكر خَليلاً انتهىٰ« ص ٣١١»... فتأمّل.

وعن زيد ابن ثابت قال قال رسّول اللّه ﷺ أوّل من يُعطي كتابه بيَمينه من هذه الأُمّة عمر بن الخطاب وله شعاع كشّعاع الشّمس قيل فأين أبو بكر قال تزفه المَلائكة الىٰ الجنّان انتهىٰ« ص ٣١٢»...

وعن معاذ بن جبل أنّ اللّه عزّ وجّل يَكره في السّماء أن يُخطأ أبو بكر الصّديق في الأرض انتهىٰ« ص ٣١٢»...

وعن بلال بن رباح مرفُوعاً قال ﷺ لو لم أُبعَث فيكم لَبُعث عمر انتهىٰ

«ص ٣١٢»...

وأخرَجه ابن عساكر في تاريخه «ج ٣ ص ٢٨٧» بلفظ، لو كان بَعدي نبّي لكان عُمر بن الخَطاب:

وعن أبي هُريرة مرفُوعاً - تَفاخرت الجنّة والنّار فقالت النّار للجنّة أنا أعظم مِنك قدراً قالت ولِمَ قالت لأنّ في الفراعِنة والجبابِرة والملُوك وأبناؤها فأوحىٰ اللّه تعالىٰ الىٰ الجنّة أن قُولي بل لِي إذ زَيَنّني اللّه لأبي بكر وعُمر انتهىٰ «ص ٣١٣»...

وعن أبي هُريرة قال خَرج رسول اللّه مُتكئاً علىٰ علّي ابن أبي طالب فإستَقبله أبو بكر فقال له يا علّي أتُحبّ هذين الشّيخين قال نعم يا رسول اللّه قال أَحبّهُما تَدخل الجنّة انتهىٰ «ص ٣١٣»...

وعن سَهل بن سَعد قال وَصف لنا رسول اللّه ذات يوم الجنّة فقام اليه رجل فقال يا رسول اللّه أَفي الجنّة بَرق قال نعم والّذي نَفسي بيده أنّ عثمان ليَتحول من منزلٍ الىٰ منزلٍ فَتَبرق له الجنّة انتهىٰ «ص ٣١٣»...

قال المؤلف، الأحاديث في الباب كثيرة جداً إن أردت الإطّلاع علىٰ تَفصيلها فَعليك بالمُطَولات ولا سيّما الغدير فأنّه بحرٌ لا يُدرك ساحله في فَنّه ضاعف اللّه أجر مُؤلّفه فقد ذكر العلاّمة الأميني فيه فَصلاً مُشبِعاً في الأحاديث الموضُوعة في حقّ الخُلفاء الثّلاثة ثمّ أنّ الوضّاعين لم يَقنعُوا بما ذَكروه في أبي بكر وعُمر وعُثمان بل وضعُوا لِمعاوية أيضاً أحاديث كَثيرة:

فمنها- ما رواه أنس مرفوعاً عن النبّي ﷺ قال هَبَط عَلّي جبرئيل ومَعه قلم من ذَهَب أبريز فقال أنّ العَلّي الأعلىٰ يَقرُئك السّلام ويَقول لَك حبيبي قد أهدَيت هذا القَلم من فوق عَرشي الىٰ معاوية ابن أبي سفيان فَأوصله اليه ومُره أن يَكتُب آية الكُرسي بخَطّه بهذا القَلم ويشّكله ويعجّمه ويعرضه عليك فأنّي قد كتبيت له من الثّواب بِعَدد كلّ من قرأ آية الكُرسي من ساعة يَكتُبها الىٰ يوم القيامة فقال رسول اللّه من يأتيني بأبا عبد الرّحمٰن فقام أبو بكر

الصّديق ومضىٰ حتّى أَخَذ بيده وجاءا جميعاً الىٰ النبّي فَسّلموا عليه فَرّد عليهم السّلام ثمّ قال لِمعاوية أَدنُ منّي يا أبا عبد الرّحمٰن فَدنا من رسول اللّه ﷺ فَدفع اليه القلم ثّم قال له يا معاوية هذا قلمٌ أَهداه اليك ربّكَ من فوق العَرش لِتَكتُب به آية الكُرسي بِخَطّك وتشّكله وتعجّمه وتعرضه عَلّي فأحمد اللّه وأشكره علىٰ ما أعطاك فأنّ اللّه قد كتب لك من الثّواب من قرأ آية الكُرسي من ساعة تكتبها الىٰ يوم القيامة فأَخَذ القَلم من يد النبّي فَوَضعه فوق أُذنه فقال رسول اللّه ﷺ اللّهم أنّك تعلم أنّي قد أُوصلته اليه ثلاثاً فَجثىٰ معاوية بينَ يدي النبّي ولم يَزل يحمد اللّه علىٰ ما أَعطاه من الكَرامة ويشكره حتّىٰ أتىٰ بطرس ومَحبَرة فَأَخَذ القَلم ولَم يَزل يَخطّ به آية الكُرسي أحسن ما يَكون من الخطّ حتّىٰ كتَبها وشكلّها وعرضها علىٰ النبّي قال رسول اللّه يا معاوية أنّ اللّه قد كَتب لك من الثّواب بعدد كلّ من يقرأ آية الكُرسي من كَتبتها الىٰ يوم القيامة انتهىٰ« ج ٥ص ٣٠٥»...

ومنها- ماروأه أبو هُريرة مرفُوعاً، قال ﷺ الأمناء ثلاثة عند اللّه، أنا وجبرئيل، ومعاوية انتهىٰ« ص ٣٠٦»...

أقول وعليه فَيكون معاوية أَفضَل من أبي بكر وعُمر وعُثمان:

ومنها – ما رَووه عن يزيد محمّد المروزي عن جدّه عن علّي عليه السلام قال بينا أنا جالس بينَ يدي رسول اللّه إذ جاء معاوية فَأَخَذ رسول اللّه القَلم من يَدي فَدَفعه الىٰ معاوية فما وَجدت في نَفسي إذ عَلمت أنّ اللّه أَمَره بذلك انتهى « ص ٣٠٧»....

ومنها – ما عن أنس مرفُوعاً، الأُمناء سبعة اللّوح والقَلم وإسرافيل وميكائيل وجبرئيل ومُحمّد ومعاوية انتهىٰ« ص ٣٠٨»...

ومنها – ما عن واثلة مرفُوعاً، أنّ اللّه إئتمن علىٰ وحيه جبرئيل وأنا ومعاوية وكاد أن يبعث معاوية نبّياً من كثرة عِلمه وإئتمانه علىٰ كلام ربّي يغفر اللّه لِمعاوية ذنُوبه وَوَقاه حِسابه وعلّمه كتابه وجَعَله هادياً مهّدياً

وهدیٰ به انتهیٰ« ص ٣٠٨»....

ولِنعم ما قال الأميني ما هذا لَفظه - هكذا يُحرّفون الكلم عن مواضِعه ونسوا حظّاً ممّا ذكّروا به وهكذا لَعبت أَيدي الهَوىٰ بالكتاب والسُّنة وهذا مَبلغ إستِفادة القَوم منهما وأَنّ ربّك لِيَحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفُون انتهىٰ....

أقول: وأَعجَب من هذا كلّه ما رواه عبد اللّه بن عُمر قال كنت عند النبّي وعنده أبو بكر الصّديق عليه خلّها علىٰ صدره بخلال قال ﷺ أنفق ماله عَلَّي قبل الفَتح قال فإقرأه عن اللّه السّلام وقل له يقول لك ربّك يا أبا بكر أَراضٍ أنت عنّي في فقرك هذا أم ساخط قال فإلتَفَت النبّي الىٰ أبي بكر فقال يا أبا بكر هذا جبرئيل يَقرأُك عن اللّه السّلام ويقول لك أَراضٍ أنت عنّي في فقرك هذا أم ساخط قال فَبَكىٰ أبو بكر وقال أَعَلىٰ ربّي أَسخُط أنا عن ربّي راض أنا عن ربّي راض، أنا عن ربّي راض « ج ٥ ص ٣٢١»...

وأَخرَج الخطيب البَغدادي في تاريخه « ج ١١ ص ٢٢٢» عن عائشة قالت أتىٰ جبرئيل النبّي بسرقة من حَرير فيها صورة عائشة فقال هذه زوجتك في الدّنيا والآخرة انتهىٰ « ص ٣٢١»...

وعن أبي هُريرة موفُوعاً لمّا أن دخل النبّي المدينة وإستَوطنها طَلب التَّزويج فقال لهم أنكحُوني فَأتاه جبرئيل بِخرقةٍ من الجنّة طولها ذراعان في عرض بَشر فيها صُورة لَم يَر الرّاؤن أَحسن منها فَنشرها جبرئيل فقال له يا محمّد أنّ اللّه يَقول لَك أن تزّوج علىٰ هذه الصُّورة فقال له النبّي أنا من أين لي مثل هذه الصُّورة يا جبرئيل فقال له جبرئيل أنّ اللّه يقول لك تزّوج بنت أبي بكر الصّديق فَمضىٰ رسول اللّه الىٰ منزل أبي بكر فَقَرع الباب ثمّ قال يا أبا بكر أنّ اللّه أَمَرني أن أُصاهرك وكان له ثلاث بنات فَعَرضهنّ علىٰ رسول اللّه فقال رسول اللّه أنّ اللّه أَمَرني أن أَتَزّوج هذه الجارية وهي عائشة فَتَزوجها رسول اللّه انتهىٰ« ص ٣٢١»...

وعن جابر بن عبد اللّه أنّ النبّي أُتي بجنازة فلم يصّل عليها وقال أنّه كان يَبغض عُثمان فَأبغضه اللّه انتهىٰ «ص ٣٢٤»....

وعن عبد اللّه بن عُمر أنّ جعفر بن أبي طالب أهدَىٰ الىٰ النبّي سفرجلاً فَأعطىٰ معاوية ثلاث سفرجلات وقال تلقّاني بهنّ في الجنّة انتهىٰ «ص ٣٢٩»...

والأحاديث كثيرة جداً في فَضائل أبي بكر وعُمر وعُثمان وعائشة ومعاوية وفيما ذكرناه كفاية لأُولي الدّراية ولِنُشر الىٰ شطرٍ ممّا وَضعُوه في الخلافة:

قال صاحب الغَدير أهّم موضوع لَعَبت به أيدي الهَوىٰ وعَبثت به العَواطف المُضّلة هو موضُوع الخَلافة في السُّنة والخديث وضع القَوم فيها أَحاديث مكذُوبة علىٰ اللّه وعلىٰ أمين وحيه ونبّيه الطّاهر ﷺ وبثّهما في الملاء أرباب التّأليف المزّورة روماً لِطمس الحقّ وتَمويهاً علىٰ الحقيقة وتَعميةً علىٰ الجاهل المسكين عالمين بأنّها آثار مُفتَعلة تضّاد مباني الإسلام عند جميع فِرقه ولا توافق أيّاً من المذاهب الإسّلامية بل لازمها إجتماع الأُمّة علىٰ الخطأ في رفض تلكم النّصوص والصّفح عنها واليك نماذج ممّا وقفنا عليه من تلكم المخاذي:

عن أنس بن مالك قال جاء النبّي ﷺ فَدخل الىٰ بستان فأتىٰ آت فدّق الباب فقال ﷺ يا أنس قُم فافتَح له وبشّره بالجنّة وبشّره بالخلافة من بَعدي قال قلت يا رسول اللّه أعلمه قال أعلمه فاذا أبو بكر قلت أبشر بالجنّة وأَبشر بالخلافة من بعد رسول اللّه...

ثمّ جاء آت فَدّق الباب فقال يا أنس قُم فافتَح له وبشّره بالجنّة وبشّره بالخلافة من بَعد أبي بكر قلت يا رسول اللّه أعلمه قال أعلمه فَخرجت فإذا عُمر قال قلت له أبشر بالجنّة وأَبشر بالخلافة من بعد أبي بكر ثمّ جاء آتٍ فَدّق الباب فقال قُم يا أنَس وإفتح له وبَشّره بالجنّة وبالخلافة من بعد عُمر وأنّه مقتول قال فَخرجت فإذا عُثمان قلت أبشر بالجنّة وبالخلافة من بَعد عُمر وأنّك مقتول فدخل الىٰ النبّي فقال يا رسول اللّه واللّه ما تغنّيت ولا تنيت

ولا مَسَست ذَكَري بيميني منذ بايعتك قال هو ذاك يا عثمان انتهى «ج ٥ ص ٣٣٣»...

أقول: على هذا الحديث فالخلفاء هؤلاء الثلاثة وأمّا علّيٌ عليه السلام فخلافته كانت غير مَشروعة ولا صَحيحة وهم لا يقولون به فإعتَبروا يا أُولي الأبصار.

وعن عائشة قالت كانت ليلتي من رسول اللّه فلمّا ضمّني وأيّاه الفراش قلت يا رسول اللّه أَلستُ أكرمِ أَزواجك عَليك قال بلىٰ يا عائشة قلت فَحدّثني عن أبي بفضيلة قال حدّثني جبرئيل أنّ اللّه تعالىٰ خلق الأرواح وإختار روح أبي بكر الصّديق من بين الأرواح وجَعل ترابها من الجنّة وماؤها من الحيوان وجَعل له قصراً في الجنّة من درّة بيضاء مقاصيرها فيها من الذّهب والفِضّة البيضاء وأنّ اللّه تعالىٰ آلىٰ علىٰ نفسه أن لا يَسلبه حسنةٍ ولا يسأله عن سيئةٍ وأنّي ضمنتُ علىٰ اللّه كما ضَمن اللّه علىٰ نفسه أن لا يكون لي ضَجيعاً في حُفرتي ولا أنَيساً في وحدتي ولا خَليفة علىٰ أُمّتي من بعدي إلّا أَبوكِ يا عائشة بايع علىٰ ذلك جبرئيل وميكائيل وعقدت خلافته بِراية بيضاء وعَقد لِوائه تحت العَرش قال اللّه لِلملائكة رضيتم ما رضيت لِعبدي فَكفىٰ بأبيكِ فخراً أن بايع له جبرئيل وميكائيل وملائكة السّماء وطائفة من الشّيطان يَسكنُون البحر فمن لَم يقبل هذا فَليس منّي ولست منه قالت عائشة فَقبلّتُ أَنفه وما بين عينيه فقال حسبك يا عائشة فمن لستِ بأُمّه فو اللّه ما أنا بِنَبيه فمن أراد أن يَتَبرأ من اللّه ومنّي فَليَتَبرأ مِنك يا عائشة انتهى« ص ٣٣٤»...

أقول: علىٰ هذا الحديث يلزم أن يكون الرّسول قبل موت أبي بكر بلا ضجيع في قَبره فكان لازماً عليهم أن يدفنوه مع الرّسول لئلاّ يكون الرّسول كاذباً في كلامه وثانياً يلزم أن يكون روح أبي بكر أشرَف وأفضَل من أرواح جَميع الأنبياء لأنّ اللّه إختاره من بين الأرواح وعليه فَتقديم الأنبياء عليه بِجَعلهم أنبياء دونه من تَقديم المفضُول علىٰ الفاضل وهو ظلمٌ في حقّ أبي بكر نعم بيعة طائفةٍ من الشّياطين له لا بأس به.

وعن عائشة قالت أوّل حجرٍ حمَله النبّي لِبناء المَسجد ثمّ حَمل أبـو بكـر حجَراً آخر ثمّ حَمل عُمر ثمّ حَمل عُثمان حَجراً آخر فقلت يـا رسـول اللّـه ألا ترىٰ الىٰ هؤلاء كيف يُساعدُونك فقال يا عـائشة هـؤلاء الخـلفاء مـن بـعدي انتهىٰ «ص ٣٣٥»...

وعن عبد اللّه بن عُمر قال قال رسول اللّه ﷺ يـابلال أذّن فـي النّـاس أنّ الخَليفة بَعدي أبو بكر، يا بلال نادِ في النّاس أنّ الخَليفة بعد أبي بكر عُمر يـا بلال نادِ في النّاس أنّ الخَليفة من بعد عُمر عثمان يا بلال أمض أبىٰ اللّـه إلّا ذلك ثلاث مرّات انتهىٰ «ص ٣٣٦»...

أقول: فالخلافة كانت مُنحصرة فيهم واأسفاه:

وعن الزّبير بن العوام قال سمع النبّي يقول الخليفة بعدي أبو بكر وعُمر ثمّ يقع الإختلاف فقمنا الىٰ علّي فأخبرناه فقال صدق الزّبير سمعت رسـول اللّه يقول ذلك انتهىٰ «ص ٣٣٦»....

أقول: ولم يُعيّن فيه رسول اللّه الخليفة بعده هل هو أبو بكر أم عُمر وعليه فكانا شريكين فيها أو غَصب أحدهما حقّ الآخر والأوّل أقوىٰ وأمّا عثمان فهو خارج عن البحث فضلاً عن علّي:

عن أبي سعيد الخَدري مرفُوعاً قال ﷺ لمّا عـرج بـي قـلت اللّـهم إجـعل الخليفة من بَعدي علّياً قال فإرتّجت السّماوات وهتف بي الملائكة يا مـحمّد إقرؤا ما تشاؤن إلّا أن يشاء اللّه وقد شاء اللّه أبا بكر انتهىٰ «ص ٣٣٧»...

وعن علّي مرفُوعاً قال ﷺ يا علّي سألت اللّه ثلاثاً أن يقدّمك فأبـىٰ إلّا أن يقدّم أبو بكر انتهىٰ «ص ٣٣٧»....

ذكَر صاحب الغدير ﷺ في الباب أربعين حديثاً إن شئت الإطّلاع عليها راجع الغدير«ج ٥ ص ٣٣٣ الى ص ٣٧٥»...

قال صاحب كتاب الأضواء علىٰ السُّنة المحمّدية عند قوله الإسرائيليات في الحديث ما لفظه:

لَما قَويت شوكة الدّعوة المحمّدية وإشتّد ساعدها وتَحطَمت أمامها كلّ قوّة تُنازعها لَم يرض كانوا يَقفون أمامها ويصّدون عن سبيلها إلّا أن يَكيدوا لها من طريق الحيلة والخِداع بعد أن عَجَزوا عن النّيل منها بصَدد القوّة والنّزاع ولمّا كان أشَد النّاس عداوةً للّذين آمنوا اليهود لأنّهم بزعمهم شعب اللّه المختار فلا يَعترفُون لأحدٍ غيرهم بفضلٍ ولا يقرّون لنبّي بعد مُوسىٰ برسالةٍ فأنّ رهبانهم وأحبارهم لم يَجدوا بدّاً بعد أن غَلبوا علىٰ أمرِهم وأُخرجُوا من ديارهم من أن يُستعينُوا بالمكرِ ويتّوسلوا بالدّعاء لكي يَصلوا الىٰ ما يبتغُون فَهداهم المكر اليهودي الىٰ أن يتظاهروا بالإسلام ويطووا نفوسهم علىٰ دينهم حتّىٰ يخفي كَيدهم وقد كان أقوىٰ هؤلاء الكهان دهاءً وأشَدّهم مَكراً كعب الأحبار ووَهب بن منبه وعبد اللّه بن سلام ولمّا وجدوا أنّ حيلهم قد راجت بما أظهروه من كاذب الوَرع والتّقوىٰ وأنّ المُسلمين قد سكنوا اليهم وإغتّروا بهم جَعلوا أوّل همّهم أن يضربوا المُسلمين في صميم دينهم وذلك بأن يدّسُوا الىٰ أُصوله الّتي قام عليها ما يريدون من أساطير وخرافات وأوهام وترهات ولمّا عجزوا عن أن ينالوا القرآن لأنّه قد حُفَظ بالتّدوين وإستظهروه ألاف من المُسلمين إتّجهوا الىٰ التّحدث عن النّبي فإفترّوا ما شاؤوا وأن يفتروا عليه أحاديث لم تصدر عنه وقال صاحب الكتاب في نَسب كعب الأحبار هو كَعب بن مانع الحميري من آل ذي رعين وقيل من ذي الكلاع ويُكنىٰ أبا إسحاق من كِبار أحبار اليَهُود وأسلم ظاهراً في عهد عُمر وسَكن المدينة في خلافته ثمّ تحَول الىٰ الشّام في زمن عُثمان فإستَصفاه معاوية وجَعله من مُستَشاريه لِكثرة عِلمه كما كانوا يَفهمُون الىٰ آخر ما قال في حالاته ثمّ نَقل عن أبي حَجر في الإصابة أنّه روي عن النّبي مرسلاً وروي عنه الصّحابة ابن عُمر وأبي هُريرة ومعاوية وغيرهم انتهىٰ.

أقول: وأنت إذا نَظرت الىٰ كتب العامّة ترىٰ جُل رواياتها عن كعب الأحبار وتلاميذه أبي هُريرة وأنس وعبد اللّه بن عُمر ومعاوية وغيرهم من المنافقين

وذلك لأنّ البخاري روي عن أبي هُريرة ٤٤٦ حديثاً أَخَذها عن مسند بقي بن مخَلد وهو قد إحتوىٰ من حديثه ٥٣٧٤ حديثاً مع إتفاقهم علىٰ أنّ أبا هُريرة لم يُصاحب النبّي إلّا عاماً وتسعة أشهر.

ويكفيك أنّه قد أفزع عُمر بن الخَطاب من كثرة روايته حتّىٰ ضَرَبه بالدُّرة وقال له أكثرت يا أبا هُريرة من الرّواية وأحربك أن تكون كاذباً علىٰ رسول اللّه ﷺ ثمّ هدّده وأوعَده أن لم يترك الحديث عن رسول اللّه فأنّه ينفيه الىٰ بلاده وقال ابن عساكر قال له عُمر لتَترّكن الحديث عن رسول اللّه أولألحقّنك بأرض دوس ومن أجل ذلك كثُر حديثه بعد وفاة عُمر إذ أصبح لا يخشىٰ أحداً بعده ومن قوله أنّي أُحدثُكم بأحاديث لو حدّثت بها زمن عُمر لضَرَبني بالدُّرة وفي رواية لَشَّج رأسي وقال السّيد رشيد رضا في ذلك لو طال عمر عُمر حتّىٰ مات أبو هُريرة لما وَصَلت الينا تلك الأحاديث الكثيرة وقد إشتهر عند العلماء أنّ أبا هُريرة كان مُدلِساً وقال أمير المؤمنين ؑ فيه أنّه أكذَب النّاس وفي آخر أنّه أكذَب الأحياء علىٰ رسول اللّه، ولمّا سُمع أنّه يقول حدّثني خليلي قال ؑ له متىٰ كان النبّي خليلك، وقال أبو حنيفة أُقلّد جميع الصّحابة ولا أستجيز خلافهم برائي إلّا ثلاثة نفر أنس ابن مالك وأبو هريرة وسمرة بن جندب، والكلام فيه وأمثاله كثيرة والمقصود أنّ الإسلام بعد رسول اللّه صار كالمَلعَبة في أيدي هؤلاء الأشرار فقالوا فيه ما شاؤوا وأرادوا (أفمن هذا الحديث تعجُبون أم تضحكون ولا تبكّون):

أخرج البخاري ومُسلم عن أبي هريرة قال أُرسلَ ملك المَوت الىٰ مُوسىٰ فلمّا جاءَهُ صَكّه فَرجعَ الىٰ ربّه فقال أرسلتني الىٰ عبدٍ لا يريد المَوت فرَد اللّه عليه عَينيه وقال إرجع فقل له يَضع يَده علىٰ مَتن ثُور فله بكلّ ما غَطتّ يده وبكلّ شعرة سنة قال أي ربّ ثمّ ماذا قال ثمّ المَوت قال فالآن فَسأل اللّه أن يدنيه من الأرض المُقدسة رمية حجر قال رسُول اللّه فلو كنت ثمّة لأريتكُم قبره الىٰ جانب الطّريق عند الكثيب الأحمر انتهىٰ الأضواء «الأضواء ص ٢٢٢»...

وفي روايةٍ لِمُسلم قال فلطم موسىٰ عين ملك المَوت ففقئها:

وفي تاريخ الطَبري عن أبي هريرة أنّ مَلك الموت كان يأتي النّاس عياناً حتّىٰ أتىٰ موسىٰ فَلَطَمه ففقأ عينه ومن بعد حادثة موسىٰ يأتي النّاس خفياً انتهىٰ« ص ٢٢٢»...

وأيضاً أخرج البخاري والمسلم في صَحيحهما عن أبي هريرة قال النبّي ﷺ تحاجت الجنّة والنّار فقالت النّار، وثرت بالمتكبرين والمتّجبرين وقالت الجنّة مالي لا يدخلني الاّ الضّعفاء من النّاس وسقطتهم قال اللّه تبارك وتعالىٰ للجنّة أنتِ رحمتي أرحم بكِ من أشاء من عبادي وقال لِلنّار أنّما أنتِ عذاب أُعذّب بكُ من أشاء من عبادي ولكلّ واحدةٍ يَلزما فأمّا النّار فلا تمتلئ حتّىٰ يضع اللّه تبارك وتعالىٰ رِجله فيها فتقول قطّ قطّ مهنالك تمتلئ ويزوي بعضها الىٰ بعض انتهىٰ «ص ٢٢٣»...

وروي البخاري عنه – ما بين منكَبي الكافر مسير ثلاثة أيّام للرّاكب المُسرع، وأخرج مُسلم عنه هذا الحديث أيضاً وزاد فيه وغلُظ جلده مسير ثلاثة أيّام انتهىٰ.

وروي البخاري وابن ماجة عنه عن النبّي ﷺ أنّه قال إذا وقع الذّباب في أناء أحدكم فليَغمسه كلّه ثمّ يطرحه فأنّ في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء انتهىٰ.

وروي الطّبراني في الأوسط عنه عن النبّي قال أتاني ملك برسالة من اللّه عزّ وجلّ ثمّ رفع رِجله فوضعها فوق السّماء والأخرىٰ في الأرض لم يرفعها انتهىٰ.

وروي الحاكم وابن ماجة من حديثه بسندٍ صحيح عن النبّي قال خمرّوا الآنية وأوكئوا الأسقية وأجيفوا الأبواب وأكفأوا صبيانكم عن النّساء فأنّ لِلجنّ إنتشاراً وخطفة وأطفأوا المصابيح عند الرّقاد فأنّ الفويقة (أي الفارة) ربما إجترت الفتيلة فأحَرَقت أهل البيت انتهىٰ « الأضواء ص ٢٢٣»...

أُنظر الىٰ هذه التّرهات والمزّخرفات الّتي حَكَموا بصّحتها مع أنّها بكلام الشّيطان أشبه منها بكلام الرّسول الأمين فأن سألتهم كيف أخذتم بها وكتبتمُوها في صحاحكم يقولون في الجواب رواها أبو هريرة وهو من أصحاب النبّي ولم يعلموا أنّ مجرّد كون الشّخص صحابيّاً لا يوجب الإعتماد علىٰ حديثه مع وجود المنافقين في أصحابه أليسّ هذه الأحاديث تُوجب تضعيف الدّين بل هَدم أساس شَريعة سيّد المُرسلين أليسّ اللّه تبارك وتعالىٰ مُنزّهاً عن الجِسمية والتّركيب فكيف أثبت له رجل وضعها اللّه في النّار فتقول قطّ قطّ ثمّ أليسّ هذا والإعتقاد به من الكُفر وصحاحهم مملؤة بهذه الأراجيف والأسناد تنتهي الىٰ أبي هريرة وأمثاله من الكذّابين فهذا صحيح البخاري وهو عند العّامة أصّح الستّة بل قال بعضهم أنّه يتلُو القرآن في الصّحة والإعتبار وقد روي البخاري فيه عن أبي هريرة وغيره من المُلحدين أكثر أحاديثه لولا كلّها ولم يرووا عن أهل البيت فيه شيئاً يُعبأ به مع أنّه كان معاصراً للصّادقين وكأنّه هذا هو ملاك صحّة كتابه هذا حال البخاري فما ظنّك بغيره وأعجب من ذلك كلّه أنّهم ذكروا في كُتبهم أنّ أبا بكر الّذي هو بزعمهم شيخ الصّحابة وقضىٰ مع النبّي ما قضىٰ بمكّة والمدينة وكان نسابّة العرب قد روي عن النبّي في المَجمُوع ١٤٢ حديثاً، وعمر بن الخطّاب أسلم سنة سّت وكان مع النبّي الىٰ آخر حياته خمسين حديثاً، وعلّي ابن أبي طالب ٥٨ حديثاً وعثمان تسعة أحاديث والزّبير تسعة أحاديث وطلحة أربعة أحاديث وزيد بن ثابت ثمانية وهكذا وأمّا أبو هريرة مع أنّه لم يصاحب النبّي إلاّ عاماً وتسعة أشهر روي عنه ﷺ ٥٣٧٤ حديثاً وعائشة روت عنه قريباً من عشرة آلاف علىٰ ما قيل وما يذّكر إلاّ أُولوا الألباب ولو لا مخافة الإطناب لذكرت لك من موضوعاتهم أكثر ممّا ذكرت ولأجل هذه الموضوعات في مدح الخلفاء وقلب الأحكام الشّرعية وتضعيف الدّين وغير ذلك ممّا هو كان منتهىٰ آمال المُنافقين وغاية أغراض المُعاندين كان أبو هريرة وأمثاله في حكوماتهم معزّزاً مكّرماً ألا ترىٰ أنّ أبا

هريرة لمّا مات في سنة ٥٩ بقعرة بالعقيق وحُمل الىٰ المدينة ودُفن بالبقيع أمَرَ معاوية الوليد بن عُتبة أن يدفع من بيت المال الىٰ كلِّ واحدٍ من ورثة أبي هريرة عشرة ألاف درهم وأن يحسن جوارهم وأن يفعل بهم معروفاً وهكذا يترادف رفدهم له حتّىٰ بعد وفاته فضلاً عن حياته فأنّه كان والياً علىٰ الكوفة تارةً وعلىٰ المدينة أُخرىٰ والمغيرة كان والياً علىٰ الكوفة في عهد عُمر ثمّ في عهد عثمان الىٰ أن قتل عثمان وسمرة بن جندب كان والياً علىٰ البَصرة مدّة عن قبل معاوية وعمر بن العاص والياً علىٰ مِصر في عهد عُمر ومعاوية، وابن عامر علىٰ البَصرة من قِبل عثمان وابن أبي سرح علىٰ مِصر ومعاوية علىٰ الشّام وهكذا وذلك لأنّ الكلّ قد إرتَضَعوا من لبنٍ واحدٍ وكانوا في المقصد مُشتركين: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا اَىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾(١)

□ قوله ﷺ: **وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللّٰهِ شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَوَهِمَ فِيه...**

وهذا هو الرّجل الثّاني من الأربعة وهو أنّه سمع من رسول اللّه حديثاً ولم يحفظه علىٰ وجهه أي بتمامه وكماله فَوَهم فيه أي غلط وأخطأ لا عن عَمَدٍ:

□ قوله ﷺ: **وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً فَهُوَ فِى يَدَيْهِ وَيَرْوِيهِ وَيَعْمَلُ بِهِ وَيَقُولُ اَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ...**

أي أنّه لَم يتعمد الكذب علىٰ رسول اللّه ﷺ في حديثه لأنّه يرويه ويعمل به وينسبه اليه ﷺ.

□ قوله ﷺ: **فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ اَنَّهُ وَهِمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ وَلَوْ عَلِمَ هُوَ اَنَّهُ كَذٰلِكَ لَرَفَضَهُ...**

وذلك لأنّه ليس من المُنافقين الكذّابين ولا عناد له في حديثه فلو علم المُسلمُون أنّه وَهَم فيه أي أخطأ فيه لم يقبلوا منه الحديث لا محالَة وهو أيضاً لو علم به لتَركه فهذا الرّجل ليس له كثير ذنبٍ في حديثه وأنّما ذنبه عدم حفظه

١-الشعراء- ١٢٧

الحديث وإنتسابه الىٰ رسُول اللّه نعم لَو علم هو بذلك فهو أيضاً متّعمد في الكِذب وإذ ليسَ فليسَ:

□ **قوله ﷺ: وَرَجُلٌ ثَالِثٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللّٰهِ شَيْئاً يَأْمُرُ بِهِ ثُمَّ نَهَىٰ عَنْهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَىٰ عَنْ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ فَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ...**

أي ثالث الأربعة من سمع من رسول اللّه ﷺ شيئاً من أوامره فحفَظه ثمّ نهىٰ الرّسول عنه ثانياً فلم يحفظه أو بالعكس أي حفظ النّهي ولم يحفظ الأمر فهو قد حفظ المَنسُوخ ولم يحفظ النّاسخ فيقول أمَرَ الرّسول بكذا أو نهىٰ عن كذا وغفل عن نسخه وهذا أيضاً ليس فيه من الذّنب مثل الأوّل ومع ذلك فهو مقصّر مسئول لِتقصيره عن أداء وظيفته في دينه فأنّ من يروي الحديث عن النّبي ﷺ لا يجوز له الإهمال في ضبطه وعدم الإلتفات الىٰ ناسخه ومنسوخه فأنّ ذلك يدّل علىٰ قلة مُبالاته في أمر دينه ولا سيما إذا روىٰ الحديث ونسبه الىٰ الرّسول لغيره من المُسلمين إذ لا مَحيص له عن تحمّل وزره فأنّ المقصّر في حكم العَامد وقد ورد في الحديث أنّ أمر النبّي ﷺ مثل القرآن ناسخ ومَنسُوخ كما أنّ المُسلم لا يجوز له الإستدّلال بالآية من غير علم بناسخها ومنسوخها كذلك لا يجوز له الإستدلال بالحديث النبَوي من غير علم بهما وهو ظاهر:

□ **قوله ﷺ: فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ...**

أي فلو علم الرّاوي للحديث أنه منسوخ لَتركه ولم يحدّث به وكذلك المُسلمون لو علمُوا به لتَركُوه وذلك لأنّ المُسلم إذا كان مسلماً واقعاً لا يحدّث بالكذّب ولا يأخذ به:

□ **قوله ﷺ: وَآخَرُ رَابِعٌ لَمْ يَكْذِبْ عَلَىٰ اللّٰهِ وَلاَ عَلَىٰ رَسُولِهِ مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفاً مِنَ اللّٰهِ وَتَعْظِيماً لِرَسُولِ اللّٰهِ وَلَمْ يَهِمْ...**

أي ورجل آخر وهو الرّابع منهم من لم يكذب على اللّه ولا على رسوله لأنّه مُبغض لِلكذب وأنّه من القبائح ولا سيّما الكذب على اللّه ورسوله فهو يخاف اللّه ويعظّم الرّسول فلا يكذب عليهما ولا أنّه يهم ويغلط في الحديث كما في القسم الثّاني بل يحتاط في دينه فلا يَنسب الى الرّسول ما لا يعلم صحّته وأنّه منه ﷺ حتّى أنّه في موارد المَشكوكة لا يحدّث وهذا هو المُحدِث الصّحيح الّذي لا كلام فيه.

▫ قوله عليه السلام: **بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَجَاءَ بِهِ عَلَىٰ سَمِعَهُ لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ فَحَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ وَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَتجَنَّبَ عَنْهُ وَعَرَفَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ وَالْمُحْكَمَ وَالْمُتَشَابِهَ فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ...**

أي بل حفظ الحديث على ما سمعه من الرّسول على ما كان وحدّث به بلا زيادة ونقيصة فحفظ النّاسخ وعمل به وحفظ المنسوخ المتروك وأحترز عنه وعرف الخاصّ والعامّ فوضع كلّ واحدٍ منهما في موضعه وعرف المتشابه ومحكمه فأخذ بالمُحكم وعمل به وردّ المُتشابه الى أهله:

▫ قوله عليه السلام: **وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللّٰهِ الْكَلاَمُ لَهُ وَجْهَانِ فَكَلاَمٌ خَاصٌّ وَكَلاَمٌ عَامٌّ فَيَسْمَعُهُ مَنْ لاَ يَعْرِفُ مَا عَنَى اللّٰهُ بِهِ وَلاَ مَا عَنَىٰ رَسُولُ اللّٰهِ فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ وَيُوَجِّهُهُ عَلَىٰ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ وَمَا قُصِدَ بِهِ وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ...**

قد عرفت معنى الخاصّ والعامّ والمقصود أنّ كلام الرّسول ﷺ لا يخلو منها والمحدّث به ينبغي له العلم بهما ووضع كلّ واحدٍ منهما مَوضعه فربّما يسمع المخاطب الكلام ولا يعرف فيُوجّهه على غير معرفةٍ بمعناه وأنّه هل أُريد به الخاصّ أو العامّ وغير ذلك من الأُمور فيحمل الكلام على ما لا يرضى به صاحبه وفيه خطرٌ عظيم:

▫ قوله عليه السلام: **وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّٰهِ مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ حَتَّىٰ إِنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيَ الْأَعْرَابِيُّ وَ الطَّارِئُ فَيَسْأَلَهُ حَتَّىٰ يَسْمَعُوا وَكَانَ لاَ**

يَمُرُّ بِي ذَلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ وَحَفِظْتُهُ فَهَذِهِ وُجُوهُ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي اخْتِلَافِهِمْ وَعِلَلِهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ...

والمقصود من هذا الكلام هو عدم الإعتماد على حديث كلٍّ من صاحب رسول الله كما عليه العامّة وذلك لأنّ أصحاب الرّسول ﷺ كانوا على أصنافٍ كما علمتَ إجمالاً وليس كلَ من كان يسأله عن شيءٍ بصدد الإستفهام واقعاً فأنّ سماع الحديث شيءٌ وفَهمه شيءٌ آخر فمنهم من كان بصدد أَخذ الحديث عنه ﷺ من غير أن يفهم معناه حتّىٰ أنّ كثيراً منهم كانوا ليُحبّون أن يجيَ الأعرابي من البادية والغريب من بلده الىٰ المدينة فيسأل رسولَ اللّه عن مسألةٍ فَيسمَعوا كلامه ﷺ وأمّا أنا فلم أقنع به بل بعد ذلك سألت عن الرّسول وَحَفظته ليكون الحفظ مع الفَهم فهذه الوجوه الأربعة المذكورة هي أُصول ما عليه النّاس في اختلافهم في الحديث وعِللهم في رواياتهم:

تذنيب – نذكر فيه بعض الأخبار الواردة في آداب الرّواية:

روىٰ في البحار بأسناده عن أبي بصير عن أحدهما في قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [1] قال ﷺ هم المُسلّمُون لآل مُحمّد إذا سَمعُوا الحديث أَدّوه كما سَمعُوه لا يَزيدون ولا ينقصُون انتهىٰ « ج ١ ص ١١١»...

وعن مُنية المريد عن أبي عبد اللّه قال ﷺ من أراد الحديث لِمنفعة الدّنيا لم يكن له في الآخرة نَصيب ومن أراد به خير الآخرة أَعطاه اللّه خير الدّنيا والآخرة انتهىٰ « ص ١١١»...

وبأسناده قال رسول اللّه ﷺ من روي عنّي حديثاً وهو يرىٰ أنّه كذب فهو أحد الكاذبين انتهىٰ « ص ١١١»...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه ﷺ قال أيّاكم والكذب المُفترع قيل له وما الكذب المُفترع قال ﷺ أن يحدّثك الرّجل بالحديث فترويه عن غير الّذي

١- الروم ـ ١٧

حدّثك به انتهىٰ «ص ١١١»...

وبأسناده عن عبد الأعلىٰ بن أعين قال قلت لأبي عبد اللّه جعلت فداك حديث يَرويه النّاس أنّ رسول اللّه ﷺ قال حدث عن بني إسرائيل ولا حرج قال نعم قلت فتّحدث عن بني إسرائيل بما سمعناه ولا حَرَج علينا قال ؏ أما سمعت كفىٰ بِالمرء كذباً أن يحدّث بكلّ ما سمع فقلت وكيف هذا قال ما كان في الكتاب أنّه كان في بني إسرائيل فحدّث أنّه كان في هذه الأُمّة ولا حَرَج لأنّه أخبر النبّي أنّه كلّ ما وقع في بني إسرائيل يقع في هذه الأُمّة ويدّل علىٰ أنّه لا ينبغي نقل كلام لم يوثق بهِ انتهىٰ «ص ١١١»....

وبأسناده عن أبي عبد اللّه عن أبائه قال قال رسول اللّه ﷺ من كَذِب علينا أهل البيت حشره اللّه يوم القيامة أعمىٰ يهّودياً وأن أدرك الدّجال آمن به في قبره انتهىٰ« ص ١١٢»...

وقال أمير المؤمنين فيما كتب الىٰ الحرث الهمداني ولا تحدّث النّاس بكلّ ما سمعت فكفىٰ بذلك كذباً ولا تَرّد علىٰ النّاس كلّما حدّثوك به فكفىٰ بذلك جهلاً انتهىٰ « ص ١١٢»...

وقال رسول اللّه ﷺ نَضَر اللّه إمرءً سمع منّا حديثاً فأدّاه كما سمِع فربّ مبلّغ أوعىٰ من سامع، وقال علّي ؏ عليكم بالدّرايات لا بالرّوايات، وقال ؏ همّة السّفهاء الرّواية وهمّة العلماء الدّراية انتهىٰ« ص ١١٢»....

وعن منية المريد عن طلحة بن زيد قال قال أبو عبد اللّه رواة الكتاب كثير ورعاته قليل فَكم من مُستَنصحٍ للحديث مُستَغِشٍ للكتاب والعلماء تحزنهم الدّراية والجّهال تحزنهم الرّواية انتهىٰ « ص ١١٢»...

هذا خلاصة ما أردنا إيراده في شرح كلامه ولِتفصيل الكلام فيه موضعاً آخر والآن ننقل الخطبة كتاب سليم بن قيس الهلالي بوجهٍ أبسَط كما وَعَدنا في صدر البحث وهذا لَفظه:

أبان عن سليم قال قلت لأمير المؤمنين أنّي سمعت بن سلمان والمقداد

وأبي ذر شيئاً من تفسير القرآن ومن الرّواية عن النبّي ﷺ ثمّ سمعت منك تصديق ما سمعتُ منهم ورأيت في أيدي النّاس أشياء كَثيرة من تَفسير القرآن ومن الأحاديث عن النبّي تخالف الّذي سَمعتُه منكم وأنتم تَزعمُون أنّ ذلك باطل إفترىٰ يكذبون علىٰ رسول اللّه ﷺ مُعتدين ويفسرون القرآن برأيهم قال فأقبل عليّ ﷺ فقال لي يا سُليم قد سألت فافهم الجواب أنّ في أيدي النّاس حقّاً وباطلاً وصدقاً وناسخاً ومنسُوخاً وعامّاً وخاصّاً ومحكماً ومُتشابهاً وحفظاً ووَهماً وقد كذِب علىٰ رسول اللّه ﷺ علىٰ عهده حتّىٰ قام خَطيباً فقال أيّها النّاس قد كثرت عليّ الكذّابة فمن كذب عليّ متعمداً فَليتَبوء مَقعده من النّار ثّم كذب عليه من بعده حين توفىٰ رحمة اللّه علىٰ نبّي الرّحمة وصلّىٰ اللّه عليه وآله وأنّما يأتيك بالحديث أربعة نفر ليس لهم خامس:

رجل مُنافق مظهرٌ للإيمان متّصنع بالإسلام لا يتأثم ولا يتحرج أن يكذب علىٰ رسول اللّه فلو عَلم المُسلمون أنّه منافق كذّاب لم يقبلوا منه ولم يصّدقُوه ولكنّهم قالوا هذا صاحب رسُول اللّه رآه وسمع فيه وهو لا يكذب ولا يستّحل الكذب علىٰ رسول اللّه ﷺ وقد أخبر اللّه عن المُنافقين بما أخبروا ووَصَفهم فقال اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ (١) ثمّ بَقوا بعده وتقّربوا الىٰ أئمّة الضّلال والدّعاة الىٰ النّار بالزّور والكذب والبُهتان فولّوهم الأعمال وحَملوهم علىٰ رقاب النّاس وأكلوا بهم الدّنيا وأنّما النّاس مع الملوك الدّنيا إلّا من عَصم اللّه فهذا أوّل الأربعة:

ورجلٌ سمع من رسول اللّه ﷺ فلم يحفظه علىٰ وجهه ووَهَم فيه ولم يعتمد كذباً وهو في يَده يرويه ويعمل به ويقول أنا سمعته من رسول اللّه فلو علم المُسلمون أنّه وَهَم لم يقبلوا به ولو علم هو أنّه وَهَم لَرَفَضه...

ورجل ثالث سَمع من رسول اللّه شيئاً أَمَر به ثمّ نهي عنه وهو لا يعلم أو سَمعه نهىٰ عن شيّ ثمّ أَمَر به وهو لا يعلم حَفَظ المنسوخ ولم يَحفظ النّاسخ

١- المنافقون - ٤

فلو علم أنّه منسوخ لرَفَضه ولو علم المُسلمون أنّه منسوخ لرفَضوه:

ورجل رابع لم يَكذب علىٰ اللّه ولا علىٰ رسول اللّه ﷺ بغضاً لِلكذب وتَخَوّفاً من اللّه وتَعظيماً لرسول اللّه ﷺ ولم يوهم به بل حفظ ما سمع علىٰ وجهه فجاء به ولم يزد فيه ولم ينقص وحفظ النّاسخ من المنسُوخ.

فَعمِل بالنّاسخ ورفض المنسُوخ وأنّ أمْر رسول اللّه ﷺ ونهيه مثل القرآن ناسخ ومنسوخ وعامّ وخاصّ ومحكم ومتشابه وقد كان يكون من رسول اللّه ﷺ الكلام له وجهان كلام خاصّ وكلام عامّ مثل القرآن يسمعه من لا يعرف ما عني اللّه به وما عني به رسول اللّه وليس كلّ أصحاب رسول اللّه كان يسأله فيفهم وكان منهم من يسأله ولا يَستفهم حتّىٰ أن كانوا يَحبّون أن يَجيئ الطّارئ والأعرابي فيسأل رسول اللّه حتّىٰ يَسمعُوا منه وكنت أدخل علىٰ رسول اللّه كلّ يوم دَخلة وكلّ ليلة دَخلة فيخليني فيها أدور معه حيث دار وقد علم أصحاب رسول اللّه أنّه لم يكن يصنع ذلك بأحدٍ غيري وربّما كان ذلك في منزلي فإذا دخلت عليه في بعض منازله خلىٰ بي وأقام نسائه ولم يَبق غيري وغيره واذا أتاني للخلوة في بيتي لم تَقُم من عندنا فاطمة ولا أحد من إبنّي اذا سأله أجابني واذا سكتُ أو نفَذت مسائلي إبتدأني فما نزلت عليه آية من القرآن إلّا أقرأنيها وأملاها علّي فكتبتها بخطي ودعا اللّه أن يُفهّمَني أيّاها ويحفظني فما نسيت آية من كتاب اللّه منذ حَفظتها وعلّمني تأويلها فحفظته وأملىٰ علّي فكتبته وما ترك شيئاً علّمه اللّه من حلال وحرام أو أمرٍ ونهيٍ أو طاعةٍ ومعصيةٍ كان أو يكون الىٰ يوم القيٰمة إلّا وقد علّمنيه وحَفظته ولم أنس منه حرفاً واحداً ثمّ وَضع يَده علىٰ صدري ودعا اللّه أن يَملأ قلبي عِلماً وفهماً وفقهاً وحكماً ونُوراً وأن يعلمني فلا أجهل وأن يحفظني فلا أنسىٰ فقلت له ذات يوم يا نبّي اللّه أنك منذ يوم دعوت اللّه لي بما دعوت لم أنس شيئاً ممّا علّمتني فلم تمليه علّي وتأمرني بكتابته أتتخوف علّي النّسيان فقال يا أخي لست أتخوف عليك النّسيان ولا الجَهل وقد أخبرني اللّه أنّه قد

استجاب لي فيك وفي شركاءك الّذين يكونون من بعدك قلت يا نبّي اللّه ومن شُركائي قال الّذين قرنهم اللّه بنفسه وبي مَعَه الّذين قال في حقّهم: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾(١) فأرجعوه الىٰ اللّه والىٰ الرّسول والىٰ أُولي الأمر منكم قلت يا نبّي اللّه ومن هم قال الأوصياء الىٰ أن يرّدوا علّي الحوض كلّهم هادٍ مهتدٍ لا يضّرهم كيد من كادهم ولا خذلان من خَذلهم هم مع القرآن والقرآن معهم لا يُفارقونه ولا يُفارقهم بهم ينصر اللّه أُمّتي وبهم يمطرون ويدفع عنهم بمُستجاب دعوتهم فقلت يا رسّول اللّه سمّهم لي فقال إبني هذا ووضع رأسه علىٰ رأس الحسن ثمّ إبني هذا ووضع يَده علىٰ رأس الحُسين ثمّ إبن له علّي ثمّ إبن له إسمه مُحمّد باقر علمي وخازن وحي اللّه وسيولد علّيٌ في حياتك يا أخي فإقرأه منّي السّلام ثمّ أقبل علىٰ الحُسين فقال سيولد لك مُحمّد بن علّي في حياتك فإقرأه منّي السّلام ثمّ تكملة الإثني عشر إماماً من ولدك يا أخي فقلت يا نبّي اللّه سمّهم لي رجلاً رجلاً منهم واللّه يا نبّي هلال مهدي هذه الأُمّة الّذي يملأ الأرض قسطاً وعَدلاً كما مُلئت ظُلماً وجوراً واللّه أنّي لأعرف جميع من يبايعه بين الرّكن والمقام وأعرف أسماء الجميع وقبائلهم قال سليم، ثمّ لقيتُ الحسن والحسين صلوات اللّه عليهما بالمدينة بعد ما قُتل أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه فحدّثتهما بهذا الحديث عن أبيهما فقالا صدقت قد حدّثك أبونا بهذا الحديث ونحن جُلوس وقد حفظنا ذلك عن رسول اللّه كما حدّثك أبونا سواء لم يَزد ولم يَنقص قال سليم، ثمّ لقيت علّي بن الحسين عليه السلام وعنده إبنه مُحمّد بن علّي فحدّثته بما سمعت من أبيه ومن عمّه وما سمعتُ عن علّي فقال علّي بن الحسين قد أقرأني أمير المؤمنين عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وهو مريض وأنا صبّي ثمّ قال مُحمّد بن علّي عليه السلام وقد أقرأني جدّي الحسين من رسول اللّه وهو مريض السّلام انتهىٰ« كتاب مُسلم بن قيس الهلالي

١- النساء ـ ٥٩

ص ١٠٣»...

أقول: وأنت ترىٰ أنّ الحَديث أبسَط وأَطول ممّا ذكره الرّضي ﵀ ولعلّه ﵀ لم يَظفر بأصل النَسخة أو أنّه ذكر موضع الحاجة منه وكَيف كان فالمقصود من ذكر الحديث بطوله مضافاً الىٰ ما ذكرناه هو بيان الفوائد المَوجُودة في ذيل الحديث من النّص علىٰ الأئمّة وأنّ علمهم عِلم الرّسُول ولا سيّما الإشارة الىٰ وجود المهدي ﵇ وظُهوره إذا أراد اللّه والحَمد لِلّه ربّ العالمين .

الفهرس

ومن خطبة له عليه السلام (١٩١) **٥**

قوله عليه السلام: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذي لَبِسَ الْعِزَّ وَالْكِبْرِياءَ الى عَلَى الْعَالَمِينَ **متن** .. ٦

اللّغة ٦

المعنىٰ ٦

الشّرح ٨

قوله عليه السلام: وَجَعَلَهُمَا حِمىً وَحَرَماً عَلَىٰ غَيْرِهِ وَاصْطَفَاهُمَا لِجَلالِهِ........ ١١

قوله عليه السلام: وَجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَىٰ مَنْ نازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبادِهِ........ ١١

قوله عليه السلام: ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذٰلِكَ مَلائِكَتَهُ لِيَميزَ الْمُتَوَاضِعِينَ و........ ١١

قوله عليه السلام: فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ و........ ١٢

قوله عليه السلام: إِعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَافْتَخَرَ عَلَىٰ آدَمَ بِخَلْقِهِ و........ ١٢

قوله عليه السلام: فَعَدُوُّ اللّٰهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ و........ ١٣

قوله عليه السلام: أَلاَ تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللّٰهُ بِتَكَبُّرِهِ وَوَضَعَهُ بِتَرَفُّعِهِ و........ ١٣

قوله عليه السلام: وَلَوْ أَرادَ اللّٰهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الأَبْصارَ و........ ١٤

قوله عليه السلام: وَلٰكِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ و........ ١٨

قوله عليه السلام: فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللّٰهِ بِإِبْلِيسَ إِذْ أَحْبَطَ و........ ١٩

قوله عليه السلام: فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللّٰهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ و........ ٢٨

الفصل الثاني **٢٨**

قوله عليه السلام: فَاحْذَرُوا عِبادَ اللّٰهِ أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدائِهِ الى إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ **متن** . ٢٩

اللّغة ٢٩

المعنىٰ ٣٠

الشرح........................ ٣٢
قوله عليه السلام: فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللّٰهِ اَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ وَاَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ و........ ٣٢
قوله عليه السلام: فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوَّقَ لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ وَاَغْرَقَ لَكُمْ و........ ٣٢
قوله عليه السلام: قَذْفاً بِغَيْبٍ بَعِيدٍ وَرَجْماً بِظَنٍّ مُصِيبٍ........ ٣٣
قوله عليه السلام: صَدَّقَهُ بِهِ اَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ وَإِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ وَفُرْسَانُ و........ ٣٤
قوله عليه السلام: حَتَّىٰ إِذَا انْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ وَاسْتَحْكَمَتْ و........ ٣٦
قوله عليه السلام: فَنَجَمَتِ الْحَالُ مِنَ السِّرِّ الْخَفِيِّ اِلَى الْأَمْرِ الْجَلِيِّ........ ٣٦
قوله عليه السلام: اِسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ وَدَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ و........ ٣٧
قوله عليه السلام: وَأَوْطَأُوكُمْ إِثْخَانَ الْجِرَاحَةِ طَعْناً فِي عُيُونِكُمْ و........ ٣٨
قوله عليه السلام: لَكُمْ فَاَصْبَحَ اَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ حَرْجاً وَاَوْرَىٰ فِي و........ ٣٩
قوله عليه السلام: فَلَعَمْرُ اللّٰهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَىٰ اَصْلِكُمْ وَوَقَعَ فِي و........ ٣٩
قوله عليه السلام: لَا تَمْتَنِعُونَ بِحِيلَةٍ وَلَا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ فِي و........ ٤٠
قوله عليه السلام: فَاَطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ و........ ٤٠
قوله عليه السلام: فَاِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ و........ ٤٠
قوله عليه السلام: وَاعْتَمِدُوا وَضْعَ التَّذَلُّلِ عَلَىٰ رُؤُسِكُمْ وَاِلْقَاءَ و........ ٤٠
قوله عليه السلام: وَاتَّخِذُوا التَّوَاضُعَ مَسْلَحَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ و........ ٤١
قوله عليه السلام: فَاِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُوداً وَأَعْوَاناً وَرَجِلاً وَفُرْسَاناً........ ٤١
قوله عليه السلام: وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَىٰ ابْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا و........ ٤١
قوله عليه السلام: سِوَىٰ مَا اَلْحَقَتِ الْعَظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ و........ ٤١
الفصل الثالث........ **٤٣**
قوله عليه السلام: اَلَا وَقَدْ اَمْعَنْتُمْ فِي الْبَغْيِ وَاَفْسَدْتُمْ الي لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ متن.. ٤٤
اللغة........ ٤٤
المعنىٰ........ ٤٥
الشرح........ ٤٨

قوله عليه السلام: اَلاَ وَقَدْ اَمْعَنْتُمْ فِى الْبَغْىِ وَاَفْسَدْتُمْ فِى الْأَرْضِ و........... ٤٨
قوله عليه السلام: فَاللّٰهِ اللّٰهِ فِى كِبْرِ الْحَمِيَّةِ وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ و.......... ٥٠
قوله عليه السلام: حَتّىٰ اَعْنَقُوا فِى حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ وَمَهَاوِى ضَلاَلَتِهِ و.......... ٥٠
قوله عليه السلام: اَمْراً تَشَابَهَتِ الْقُلُوبُ فِيهِ وَتَتَابَعَتِ الْقُرُونُ و.......... ٥١
قوله عليه السلام: اَلاَ فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ و.......... ٥١
قوله عليه السلام: وَاَلْقَوُا الْهَجِينَةَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَجَاحَدُوا اللّٰهَ عَلَىٰ و.......... ٥٢
قوله عليه السلام: فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ اَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ وَدَعَائِمُ اَرْكَانَ و.......... ٥٣
قوله عليه السلام: فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَلاَ تَكُونُوا لِنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ اَضْدَاداً و.......... ٥٣
قوله عليه السلام: وَلاَ تُطِيعُوا الْأَدْعِيَاءَ الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ و.......... ٥٤
قوله عليه السلام: وَاَدْخَلْتُمْ فِى حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ وَهُمْ اَسَاسُ الْفُسُوقِ و.......... ٥٥
قوله عليه السلام: اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلاَلٍ وَجُنْداً بِهِمْ يَصُولُ و.......... ٥٦
قوله عليه السلام: إِسْتِرَاقاً لِعُقُولِكُمْ وَدُخُولاً فِى عُيُونِكُمْ وَنَفْثاً فِى اَسْمَاعِكُمْ... ٥٦
قوله عليه السلام: فَجَعَلَكُمْ مَرْمَىٰ نَبْلِهِ وَمَوْطِئَ قَدَمِهِ وَمَأْخَذَ يَدِهِ.......... ٥٧
قوله عليه السلام: فَاعْتَبِرُوا بِمَا اَصَابَ الْأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ و.......... ٥٧
قوله عليه السلام: وَاتَّعِظُوا بِمَثَاوِى خُدُودِهِمْ وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ و.......... ٥٩
قوله عليه السلام: فَلَوْ رَخَّصَ اللّٰهُ فِى الْكِبْرِ لِأَحَدٍ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ و.......... ٦٠
قوله عليه السلام: وَلٰكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ وَرَضِىَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ.......... ٦٠
قوله عليه السلام: فَاَلْصَقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ وَعَفَّرُوا فِى التُّرَابِ و.......... ٦٠
قوله عليه السلام: قَدِ اخْتَبَرَهُمُ اللّٰهُ بِالْمَخْمَصَةِ وَابْتَلاَهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ و.......... ٦١
قوله عليه السلام: فَلاَ تَعْتَبِرُوا الرِّضَىٰ وَالسُّخْطَ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ جَهْلاً و.......... ٦٢
قوله عليه السلام: فَإِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ و.......... ٦٣
قوله عليه السلام: وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَىٰ ابْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ اَخُوهُ هَارُونُ و.......... ٦٣
قوله عليه السلام: وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِىُّ و.......... ٦٥
قوله عليه السلام: فَقَالَ اَلاَ تَعْجَبُونَ مِنْ هٰذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِى دَوَامَ الْعِزِّ و.......... ٦٦

الفصل الرابع ٧٢
قوله عليه السلام: وَلَوْاَرَادَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ الى وَاَسْبَاباً ذُلَلاً لِعَفْوِهِمتن ٧٣
اللّغة ٧٤
المعنىٰ ٧٤
الشّرح ٧٧
قوله عليه السلام: وَلَوْاَرَادَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ اَنْ يَفْتَحَ و..... ..... ٧٧
قوله عليه السلام: وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلاَءُ وَبَطَلَ الْجَزَاءُ وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ و...... ٨٠
قوله عليه السلام: وَلٰكِنَّ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي و............ ٨٥
قوله عليه السلام: وَلَوْ كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ اَهْلَ قُوَّةٍ لاَ تُرَامُ وَعِزَّةٍ لاَ تُضَامُ و....... ٩٠
قوله عليه السلام: وَتُشَدُّ اِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ لَكَانَ ذٰلِكَ أَهْوَنَ عَلَى و........... ٩٠
قوله عليه السلام: وَلٰكِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ اَرَادَ اَنْ يَكُونَ الإِتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ و..... ..... ٩١
قوله عليه السلام: وَكُلَّمَا كَانَتِ الْبَلْوَىٰ وَالإِخْتِيَارُ اَعْظَمَ كَانَتِ الْمَثُوبَةُ و....... ٩٢
قوله عليه السلام: أَلاَ تَرَوْنَ أَنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ و....... ٩٣
قوله عليه السلام: ثُمَّ وَضَعَهُ بِاَوْعَرِ بِقَاعِ الْأَرْضِ حَجَراً وَأَقَلِّ نَتَائِقِ و......... ٩٥
قوله عليه السلام: بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ وَرِمَالٍ دَمِثَةٍ وَعُيُونٍ وَشِلَةٍ وَقُرىً و...... ٩٥
قوله عليه السلام: ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ وَوَلَدَهُ اَنْ يَثْنُوا اَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ و........... ٩٦
قوله عليه السلام: تَهْوِىٰ اِلَيْهِ ثِمَارُ الْأَفْئِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ و........ ٩٧
قوله عليه السلام: حَتَّىٰ يَهُزُّوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلاً يُهَلِّلُونَ لِلّٰهِ حَوْلَهُ و........... ٩٩
قوله عليه السلام: قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَشَوَّهُوا بِاِعْفَاءِ و....... ٩٩
قوله عليه السلام: اِبْتِلاَءً عَظِيماً وَامْتِحَاناً شَدِيداً وَاخْتِبَاراً مُبِيناً و....... ١٠٠
قوله عليه السلام: جَعَلَهُ اللّٰهُ سَبَباً لِرَحْمَتِهِ وَوُصْلَةً اِلَىٰ جَنَّتِهِ و.......... ١٠٠
قوله عليه السلام: اَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ بَيْنَ جَنَّاتٍ و....... ١٠١
قوله عليه السلام: وَلَوْ كَانَ الْأَسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا وَالْأَحْجَارُ و......... ١٠٢
قوله عليه السلام: وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ و............. ١٠٣

قوله عليه السلام: وَلِيَجْعَلْ ذٰلِكَ اَبْوَاباً فُتُحاً اِلَىٰ فَضْلِهِ وَاَسْبَاباً ذُلُلاً لِعَفْوِهِ ١٠٤

الفصل الخامس ١٠٥

قوله عليه السلام: فَاللّٰهَ اللّٰهَ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ وَآجِلِ الى عِبَراً لِلْمُعْتَبِرِينَ متن .. ١٠٦

اللّغة ١٠٧

المعنىٰ ١٠٧

الشّرح ١١١

قوله عليه السلام: فَاللّٰهَ اللّٰهَ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ وَآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ و........ ١١١

قوله عليه السلام: فَإِنَّهَا مَصْيَدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَىٰ وَمَكِيدَتُهُ الْكُبْرَىٰ الَّتِي و..... ١١٢

قوله عليه السلام: فَمَا تُكْدِي أَبَداً وَلاَ تَشْوِيَ أَحَداً لاَ عَالِماً لِعِلْمِهِ و......... ١١٣

قوله عليه السلام: وَعَنْ ذٰلِكَ مَا حَرَسَ اللّٰهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ و.............. ١١٣

قوله عليه السلام: وَلِمَا فِي ذٰلِكَ مِنْ تَعْفِيرِ عِتَاقِ الْوُجُوهِ و.............. ١١٩

قوله عليه السلام: اُنْظُرُوا اِلَىٰ مَا فِي هٰذِهِ الْأَفْعَالِ مِنْ قَمْعِ نَوَاجِمِ و........ ١٢١

قوله عليه السلام: وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ و........ ١٢١

قوله عليه السلام: فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرٍ مَا يُعْرَفُ لَهُ سَبَبٌ ١٢١

قوله عليه السلام: أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَىٰ آدَمَ لِأَصْلِهِ وَطَعَنَ عَلَيْهِ و........ ١٢٢

قوله عليه السلام: وَأَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ الْأُمَمِ فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ و.......... ١٢٢

قوله عليه السلام: وَأَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ الْأُمَمِ فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ و.......... ١٢٢

قوله عليه السلام: فَتَعَصَّبُوا لِخِلاَلِ الْحَمْدِ مِنَ الْحِفْظِ لِلْجِوَارِ وَالْوَفَاءِ و....... ١٢٣

قوله عليه السلام: وَاحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثُلاَتِ بِسُوءِ و....... ١٣٢

قوله عليه السلام: فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ وَاحْذَرُوا أَنْ و....... ١٣٣

قوله عليه السلام: فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَالَيْهِمْ فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ و........ ١٣٣

قوله عليه السلام: مِنَ الْاِجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ وَاللُّزُومِ لِلْأُلْفَةِ وَالتَّحَاضِّ و......... ١٣٣

قوله عليه السلام: وَاجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ وَأَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ مِنْ و....... ١٣٤

قوله عليه السلام: وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ كَيْفَ و..... ١٣٥

قوله ﷺ: أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ الْخَلائِقِ أَعْبَاءً وَأَجْهَدَ الْعِبَادِ بَلاَءً و...... ١٣٥
قوله ﷺ: اتَّخَذَتْهُمُ الْفَرَاعِنَةُ عَبِيداً فَسَامُوهُمْ سُوءِ و..... ١٣٦
قوله ﷺ: فَلَمْ تَبْرَحِ الْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ الْهَلَكَةِ وَقَهْرِ الْغَلَبَةِ و...... ١٣٧
قوله ﷺ: جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَايِقِ الْبَلاءِ فَرَجاً فَأَبْدَلَهُمُ الْعِزَّ و...... ١٣٨
قوله ﷺ: فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ الْأَمْلاَءُ مُجْتَمِعَةً و...... ١٣٩
قوله ﷺ: أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَاباً فِي أَقْطَارِ الْأَرَضِينَ وَمُلُوكاً و..... ١٣٩
قوله ﷺ: فَانْظُرُوا إِلَىٰ مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ حِينَ و..... ١٣٩
قوله ﷺ: قَدْ خَلَعَ اللّهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ وَسَلَبَهُمْ و...... ١٤٠
الفصل السّادس ١٤٠
قوله ﷺ: فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي الى لَهُمْ صَفاةٌ**متن**..... ١٤١
اللّغة ١٤١
المعنىٰ ١٤١
الشّرح ١٤٣
قوله ﷺ: فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ و...... ١٤٣
قوله ﷺ: تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ و...... ١٤٧
قوله ﷺ: فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوانَ دَبَرٍ وَوَبَرٍ أَذَلَّ و..... ١٤٨
قوله ﷺ: لَا يَأْوُونَ إِلَىٰ جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا وَلاَ إِلَىٰ و..... ١٤٨
قوله ﷺ: فَالْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ وَالْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ وَالْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ ١٤٨
قوله ﷺ: فِي بَلاَءِ أَزْلٍ وَأَطْبَاقِ جَهْلٍ مِنْ بَنَاتٍ مَوْءُدَةٍ و..... ١٤٨
قوله ﷺ: فَانْظُرُوا إِلَىٰ مَوَاقِعِ نِعَمِ اللّهِ عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ و..... ١٤٩
قوله ﷺ: فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ وَجَمَعَ عَلَىٰ دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ و..... ١٥٠
قوله ﷺ: فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ وَفِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ ... ١٥١
قوله ﷺ: قَدْ تَرَبَّعَتِ الْأُمُورُ بِهِمْ فِي ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ وَآوَتْهُمُ و...... ١٥٢
قوله ﷺ: فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ وَمُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الْأَرَضِينَ ... ١٥٢

قوله ﷺ: يَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَىٰ مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ و...... ١٥٣
قوله ﷺ: لاَ تُغْمَزُ لَهُمْ قَنَاةٌ وَلاَ تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ ١٥٣
الفصل السّابع ١٥٤
قوله ﷺ: اَلاَ وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ الى وَاَمْتُّمْ أَحْكَامَهُ متن ١٥٥
اللّغة ١٥٥
المعنىٰ ١٥٥
الشّرح ١٥٦
قوله ﷺ: اَلاَ وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ و...... ١٥٦
قوله ﷺ: فَإِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ قَدْ اَمْتَنَّ عَلَىٰ جَمَاعَةِ هٰذِهِ الْأُمَّةِ فِيمَا و...... ١٥٨
قوله ﷺ: لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ ١٥٩
قوله ﷺ: وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ أَعْرَاباً و...... ١٥٩
قوله ﷺ: مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْإِسْلاَمِ إِلَّا بِاسْمِهِ وَلاَ تَعْرِفُونَ و...... ١٦٠
قوله ﷺ: تَقُولُونَ النَّارَ وَلاَ الْعَارَ كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا و...... ١٦١
قوله ﷺ: الَّذِي وَضَعَهُ اللّٰهُ لَكُمْ حَرَماً فِي أَرْضِهِ وَأَمْناً و...... ١٦٢
قوله ﷺ: وَإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَىٰ غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ و...... ١٦٣
قوله ﷺ: وَإِنَّ عِنْدَكُمْ الْأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللّٰهِ وَقَوَارِعِهِ و...... ١٦٤
قوله ﷺ: فَإِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقَرْنَ الْمَاضِي و...... ١٦٦
قوله ﷺ: أَلاَ وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الْإِسْلاَمِ وَعَطَّلْتُمْ حُدُودَهُ و...... ١٧٠
الفصل الثّامن ١٧١
قوله ﷺ: اَلاَ وَقَدْ أَمَرَنِيَ اللّٰهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ الى وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَيْرٍ متن ١٧١
اللّغة ١٧٢
المعنىٰ ١٧٢
الشّرح ١٧٤

قوله عليه السلام: اَلاَ وَقَدْ أَمَرَنِىَ اللّٰهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغِى وَالنَّكْثِ و...... ١٧٤
قوله عليه السلام: فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَقَدْ و...... ١٧٦
قوله عليه السلام: وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ وَلَئِنْ أَذِنَ اللّٰهُ فِى و...... ١٧٧
قوله عليه السلام: أَنَا وَضَعْتُ فِى الصِّغَرِ بِكَلاَكِلِ الْعَرَبِ وَكَسَرْتُ و...... ١٧٧
قوله عليه السلام: وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِى مِنْ رَسُولِ اللّٰهِ صلى الله عليه وآله و...... ١٨١
قوله عليه السلام: وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّئَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيه وَمَا وَجَدَ لِى و...... ١٨٤
قوله عليه السلام: وَلَقَدْ قَرَنَ اللّٰهُ بِهِ ٩ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ و...... ١٨٥
قوله عليه السلام: وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ اَثَرَ أُمِّهِ يَرْفَعُ لِى و...... ١٨٦
قوله عليه السلام: وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِى الْإِسْلاَمِ غَيْرَ و...... ١٨٧
قوله عليه السلام: أَرَىٰ نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ...... ١٩٠
قوله عليه السلام: وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْىُ و...... ١٩١
قوله عليه السلام: إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَىٰ مَا أَرَىٰ إِلَّا أَنَّكَ و...... ١٩٢
الفصل التاسع...... ١٩٤
قوله عليه السلام: وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَلأُ **الى فِى الْعَمَلِ متن**...... ١٩٤
اللّغة...... ١٩٥
المعنىٰ...... ١٩٥
الشّرح...... ١٩٧
قوله عليه السلام: وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَلأُ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالُوا لَهُ و...... ١٩٧
قوله عليه السلام: وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَجَبْتَنَا اِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ عَلِمْنَا و...... ١٩٧
قوله عليه السلام: فَقَالَ ٩ وَمَا تَسْأَلُونَ قَالُوا تَدْعُو لَنَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّىٰ و...... ١٩٨
قوله عليه السلام: فَقَالَ ٩ إِنَّ اللّٰهَ عَلَىٰ كُلِّ شَئٍ قَدِيرٌ فَإِنْ فَعَلَ اللّٰهُ و...... ١٩٨
قوله عليه السلام: قَالَ ٩ فَإِنِّى سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ وَإِنِّى لَأَعْلَمُ و...... ١٩٨
قوله عليه السلام: ثُمَّ قَالَ ٩ يَا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللّٰهِ و...... ١٩٩
قوله عليه السلام: وَالَّذِى بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لاَنْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا وَجَاءَتْ و...... ٢٠١

قوله عليه السلام: فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَىٰ ذٰلِكَ قَالُوا عُلُوّاً وَاسْتِكْبَاراً و........ ٢٠٣
قوله عليه السلام: فَأَمَرَهَا بِذٰلِكَ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ و........ ٢٠٣
قوله عليه السلام: فَقَالُوا كُفْراً وَعُتُوّاً فَمُرْ هٰذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَىٰ و........ ٢٠٣
قوله عليه السلام: فَقُلْتُ أَنَا لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهِ إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللّٰهِ.... ٢٠٣
قوله عليه السلام: فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ عَجِيبُ السِّحْرِ و........ ٢٠٤
قوله عليه السلام: يَعْنُونَنِي وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لاَ تَأْخُذُهُمْ فِي اللّٰهِ و........ ٢٠٤
قوله عليه السلام: عُمَّارُ اللَّيْلِ وَمَنَارُ النَّهَارِ مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ و........ ٢٠٤
قوله عليه السلام: لاَ يَسْتَكْبِرُونَ وَلاَ يَعْلُونَ وَلاَ يَغُلُّونَ وَلاَ يُفْسِدُونَ و........ ٢٠٦
ومن خطبة له عليه السلام (١٩٢)........ ٢٠٩
قوله عليه السلام: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الي بِمَكرٍ وَخَدِيعَةٍ **متن**........ ٢١١
اللغة........ ٢١١
المعنىٰ........ ٢١١
الشّرح........ ٢١٥
قوله عليه السلام: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ و........ ٢١٦
قوله عليه السلام: لِأَنَّهُ لاَ تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ وَلاَ تَنْفَعُهُ طَاعَةُ و........ ٢١٧
قوله عليه السلام: فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ مَنْطِقُهُمْ و........ ٢٢٠
قوله عليه السلام: قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ وَأَجْسَادُهُمْ و........ ٢٢٨
قوله عليه السلام: يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَثِيرُونَ دَوَاءَ دَائِهِمْ و........ ٢٣٩
قوله عليه السلام: وَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ لاَ يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ و........ ٢٤٨
قوله عليه السلام: فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ و........ ٢٤٨
قوله عليه السلام: فَمِنْ عَلاَمَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَىٰ لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ و........ ٢٤٩
قوله عليه السلام: وَحِرْصاً فِي عِلْمٍ وَعِلْماً فِي حِلْمٍ وَقَصْداً فِي غِنىً و........ ٢٥٠
قوله عليه السلام: وَتَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ وَصَبْراً فِي شِدَّةٍ وَطَلَباً فِي حَلاَلٍ و........ ٢٥٤
قوله عليه السلام: يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَىٰ وَجَلٍ يُمْسِي و........ ٢٥٨

قوله عليه السلام: إِنْ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ تَكْرَهُ لَمْ يُعْطِهَا و........ ٢٦٠
قوله عليه السلام: قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لاَ يَزُولُ وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لاَ يَبْقَىٰ و......... ٢٦٢
قوله عليه السلام: تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ قَلِيلاً زَلَلُهُ خَاشِعاً قَلْبُهُ قَانِعَةً نَفْسُهُ و...... ٢٦٣
قوله عليه السلام: سَهْلاً أَمْرُهُ حَرِيزاً دِينُهُ مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ مَكْظُوماً و...... ٢٦٦
قوله عليه السلام: إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ وَإِنْ و...... ٢٦٨
قوله عليه السلام: يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ وَيَصِلُ مَنْ و........ ٢٦٩
قوله عليه السلام: بَعِيداً فُحْشُهُ لَيِّناً قَوْلُهُ غَائِباً مُنْكَرُهُ حَاضِراً و...... ٢٧٢
قوله عليه السلام: فِي الزَّلاَزِلِ وَقُورٌ وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ وَفِي الرَّخَاءِ شَكُورٌ.. ٢٧٥
قوله عليه السلام: لاَ يَحِيفُ عَلَىٰ مَنْ يُبْغِضُ وَلاَ يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ........ ٢٧٥
قوله عليه السلام: يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ لاَ يُضِيعُ و...... ٢٧٦
قوله عليه السلام: وَلاَ يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ وَلاَ يُضَارُّ بِالْجَارِ وَلاَ يَشْمَتُ و...... ٢٧٧
قوله عليه السلام: وَلاَ يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ و...... ٢٨٠
قوله عليه السلام: وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّىٰ يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي و...... ٢٨٢
قوله عليه السلام: أَتْعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ وَأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ و...... ٢٨٤
قوله عليه السلام: وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ لَيْسَ تَبَاعُدُهُ و...... ٢٨٤
ومن خطبة له عليه السلام (١٩٣)........ ٢٨٧
قوله عليه السلام: نَحْمَدُهُ عَلَىٰ مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ الى هُمُ الْخَاسِرُونَ متن .. ٢٨٧
اللّغة........ ٢٨٨
المعنىٰ........ ٢٨٨
الشّرح........ ٢٩٠
قوله عليه السلام: نَحْمَدُهُ عَلَىٰ مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ وَذَادَ عَنْهُ و...... ٢٩٠
قوله عليه السلام: وَنَسْأَلُهُ لِمِنَّتِهِ تَمَاماً وَبِحَبْلِهِ اعْتِصَاماً و...... ٢٩١
قوله عليه السلام: خَاضَ إِلَىٰ رِضْوَانِ اللَّهِ كُلَّ غَمْرَةٍ وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ ... ٢٩٢
قوله عليه السلام: وَقَدْ تَلَوَّنَ لَهُ الْأَدْنَوْنَ وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْأَقْصَوْنَ و...... ٢٩٢

قوله عليه السلام: وَضَرَبَتْ اِلَىٰ مُحَارَبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَاو...... ٢٩٣
قوله عليه السلام: أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللّٰهِ بِتَقْوَىٰ اللّٰهِ وَأُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ...... ٢٩٨
قوله عليه السلام: فَإِنَّهُمُ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ وَالزَّالُّونَ الْمُزِلُّونَ و..... ٣٠٠
قوله عليه السلام: وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ وَيَرْصُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ ٣٠٢
قوله عليه السلام: قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ وَصِفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ يَمْشُونَ الْخَفَاءَ و..... ٣٠٢
قوله عليه السلام: حَسَدَةُ الرَّخَاءِ وَ مُؤَكِّدُ والْبَلاَءِ وَمُقْنِطُوا الرَّجَاءِ ٣٠٣
قوله عليه السلام: لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيعٌ وَاِلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ و..... ٣٠٣
قوله عليه السلام: يَتَقَارَضُونَ الثَّنَاءَ وَيَتَرَاقَبُونَ الْجَزَاءَ اِنْ سَأَلُوا و..... ٣٠٤
قوله عليه السلام: قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلاً وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلاً و..... ٣٠٤
قوله عليه السلام: يَتَوَصَّلُونَ اِلَىٰ الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ و..... ٣٠٥
قوله عليه السلام: يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ وَيَصِفُونَ فَيُمَوِّهُونَ قَدْ هَوَّنُوا و..... ٣٠٦
قوله عليه السلام: فَهُمْ لُمَّةُ الشَّيْطَانِ وَحَمَةُ النِّيرَانِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ و..... ٣٠٦
ومن خطبة له عليه السلام (١٩٤)...... ٣٠٩
قوله عليه السلام: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ وَلاَ مَعْذِرَةٌ تَدْفَعُ متن. ٣١٠
اللّغة...... ٣١٠
المعنىٰ...... ٣١٠
الشّرح...... ٣١٢
قوله عليه السلام: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ وَجَلاَلِ و..... ٣١٢
قوله عليه السلام: وَرَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ النُّفُوسِ عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ ٣١٣
قوله عليه السلام: وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ اِلٰهَ اِلاَّ اللّٰهُ شَهَادَةَ اِيمَانٍ و..... ٣١٥
قوله عليه السلام: وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ اَرْسَلَهُ و..... ٣١٦
قوله عليه السلام: فَصَدَعَ بِالْحَقِّ وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ وَهَدَىٰ اِلَىٰ و..... ٣١٧
قوله عليه السلام: وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللّٰهِ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً وَلَمْ و..... ٣١٨
قوله عليه السلام: فَاسْتَفْتِحُوهُ وَاسْتَنْجِحُوهُ وَاطْلُبُوا اِلَيْهِ و..... ٣١٩

قوله عليه السلام: وَأَنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ وَفِي كُلِّ حِينٍ وَ أَوَانٍ و.......... ٣٢١
قوله عليه السلام: لاَيَثْلِمُهُ الْعَطَاءُ وَلاَ يَنْقُصُهُ الْحِبَاءُ و.......... ٣٢٧
قوله عليه السلام: وَلاَ يَلْوِيهِ شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ وَلاَ يُلْهِيهِ و.......... ٣٢٧
قوله عليه السلام: وَلاَ يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ وَلاَ تُولِهُهُ و.......... ٣٢٨
قوله عليه السلام: عَنِ الظُّهُورِ وَلاَ يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبُطُونِ و.......... ٣٢٩
قوله عليه السلام: أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللّهِ بِتَقْوَىٰ اللّهِ فَإِنَّهَا و.......... ٣٣١
قوله عليه السلام: تَؤُلُ بِكُمْ إِلَىٰ اَكْنَانِ الدَّعَةِ وَأَوْطَانِ السَّعَةِ و.......... ٣٣١
قوله عليه السلام: فِي (يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارِ) وَتُظْلِمُ لَهُ و.......... ٣٣٢
قوله عليه السلام: وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَزْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ وَتَبْكَمُو.......... ٣٣٢
قوله عليه السلام: فَيَصِرُ صَلَدُهَا سَرَاباً رَقْرَقاً وَمَعْهَدُهَا قَاعاً و.......... ٣٣٣
ومن خطبة له عليه السلام (١٩٥).......... **٣٤٣**
قوله عليه السلام: بَعَثَهُ حِينَ لاَ عَلَمٌ قَائِمٌ وَلاَ مَنَارٌ سَاطِعٌ الى وَلاَ تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ متن ٣٤٣
اللّغة.......... ٣٤٣
المعنىٰ.......... ٣٤٤
الشّرح.......... ٣٤٤
قوله عليه السلام: بَعَثَهُ حِينَ لاَ عَلَمٌ قَائِمٌ وَلاَ مَنَارٌ سَاطِعٌ وَلاَ مَنْهَجٌ وَاضِحٌ ٣٤٤
قوله عليه السلام: أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللّهِ بِتَقْوَىٰ اللّهِ وَأُحَذِّرُكُمْ الدُّنْيَا و.......... ٣٤٥
قوله عليه السلام: سَاكِنُهَا ظَاعِنٌ وَقَاطِنُهَا بَائِنٌ تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مَيَدَانٌ و.......... ٣٤٥
قوله عليه السلام: فَمِنْهُمْ الْغَرِقُ الْوَبِقُ وَمِنْهُمْ النَّاجِي عَلَىٰ بُطُونٍ و.......... ٣٤٥
قوله عليه السلام: فَمَا غرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرَكٍ وَمَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَىٰ مَهْلَكٍ ٣٤٦
قوله عليه السلام: عِبَادَ اللّهِ الآنَ فَاعْلَمُوا وَالأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ وَالأَو.......... ٣٤٨
قوله عليه السلام: وَالْمُنْقَلَبُ فَسِيحٌ وَالْمَجَالُ عَرِيضٌ قَبْلَ إِرْهَاقِ و.......... ٣٤٨
قوله عليه السلام: فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ وَلاَ تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ.......... ٣٤٨

ومن كلامٍ له عليه السلام (١٩٦)........................ ٣٥١
قوله عليه السلام: وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفِظُونَ مِنْ الى اللّهَ لِى وَلَكُمْ **متن**......... ٣٥١
اللّغة.............................. ٣٥١
المعنىٰ.............................. ٣٥٢
الشّرح.............................. ٣٥٢
قوله عليه السلام: وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفِظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله و...... ٣٥٢
قوله عليه السلام: وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِى الْمَواطِنِ الَّتِىٰ و...... ٣٥٣
قوله عليه السلام: وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللّهِ ٩ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَىٰ و...... ٣٦٨
قوله عليه السلام: وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ ٩ وَالْمَلائِكَةُ أَعْوَانِى و...... ٣٧٢
قوله عليه السلام: وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِى هَيْنَمَةٌ مِنْهُمْ يُصَلُّونَ و...... ٣٧٢
قوله عليه السلام: فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّى حَيّاً وَمَيّتاً فَانْفُذُوا عَلَىٰ و...... ٣٧٣
قوله عليه السلام: فَوَالَّذِى لاَ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ إِنِّى لَعَلَىٰ جَادَّةِ الْحَقِّ و...... ٣٧٣
ومن خطبةٍ له عليه السلام (١٩٧)........................ ٣٧٩
قوله عليه السلام: يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِى الْفَلَوَاتِ الى لِمَنْ قَضَىٰ **متن**.... ٣٨١
اللّغة.............................. ٣٨١
المعنىٰ.............................. ٣٨٢
الشّرح.............................. ٣٨٧
قوله عليه السلام: يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِى الْفَلَوَاتِ وَمَعَاصِىَ و...... ٣٨٧
قوله عليه السلام: وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً نَجِيبُ اللّهِ وَسَفِيرُ وَحْيِهِ و...... ٣٨٧
قوله عليه السلام: أَمَّا بَعْدُ أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىَ اللّهِ الَّذِي ابْتَدَأَ و...... ٣٨٨
قوله عليه السلام: فَإِنَّ تَقْوَى اللّهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ وَبَصَرُ عَمَىٰ و...... ٣٨٩
قوله عليه السلام: فَإِنَّ طَاعَةَ اللّهِ حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفَ مُكْتَنِفَةٍ و...... ٣٩٥
قوله عليه السلام: فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَىٰ عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوِّهَا و...... ٣٩٦
قوله عليه السلام: وَانْفَرَجَتْ عَنْهُ الْأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاكُمِهَا وَأَسْهَلَتْ لَهُ و...... ٣٩٦

قوله عليه السلام: وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النِّعَمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا وَوَبَلَتْ عَلَيْهِ و........ ٣٩٧
قوله عليه السلام: فَاتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِي نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ وَوَعَظَكُمْ بِرِسَالَتِهِو...... ٣٩٧
قوله عليه السلام: ثُمَّ إِنَّ هٰذَا الْإِسْلَامَ دِينُ اللّٰهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِو........ ٣٩٨
قوله عليه السلام: أَذَلَّ الْأَدْيَانَ بِعِزَّتِهِ وَوَضَعَ الْمِلَلَ بِرَفْعِهِ وَأَهَانَ و........ ٣٩٩
قوله عليه السلام: وَخَذَلَ مُحَادِّيهِ بِنَصْرِهِ وَهَدَمَ أَرْكَانَ الضَّلَالَةِ و...... ٤٠٠
قوله عليه السلام: وَأَثَاقَ الْحِيَاضَ بِمَوَاتِحِهِ ثُمَّ جَعَلَهُ لَا انْفِصَامَ و...... ٤٠٠
قوله عليه السلام: وَلَا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ وَلَا انْقِلَاعَ لِشَجَرَتِهِ وَلَا و...... ٤٠١
قوله عليه السلام: وَلَا ضَنْكَ لِطُرُقِهِ وَلَا وُعُوثَةَ لِسُهُولَتِهِ وَلَا و...... ٤٠١
قوله عليه السلام: وَلَا عَصَلَ فِي عُودِهِ وَلَا وَعَثَ لِفَجِّهِ وَلَا انْطِفَاءو...... ٤٠٢
قوله عليه السلام: فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاخَ فِي الْحَقِّ أَسْنَاخَهَا وَثَبَّتَ و...... ٤٠٢
قوله عليه السلام: وَمَصَابِيحُ شَبَّتْ نِيرَانُهَا وَمَنَارٌ اقْتَدَىٰ بِهَا و...... ٤٠٣
قوله عليه السلام: جَعَلَ اللّٰهُ فِيهِ مُنْتَهَىٰ رِضْوَانِهِ وَذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ وَسَنَامَ طَاعَتِهِ.. ٤٠٣
قوله عليه السلام: فَشَرِّفُوهُ وَاتَّبِعُوهُ وَأَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ...... ٤٠٤
قوله عليه السلام: ثُمَّ إِنَّ اللّٰهَ بَعَثَ مُحَمَّداً ٩ بِالْحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ و...... ٤٠٤
قوله عليه السلام: وَأَظْلَمَتْ بَهْجَتُهَا بَعْدَ إِشْرَاقٍ وَقَامَتْ بِأَهْلِهَاو...... ٤٠٥
قوله عليه السلام: فِي انْقِطَاعٍ مِنْ مُدَّتِهَا وَاقْتِرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا و...... ٤٠٦
قوله عليه السلام: وَانْتِشَارٍ مِنْ سَبَبِهَا وَعَفَاءٍ مِنْ أَعْلَامِهَا وَتَكَشُّفٍو...... ٤٠٦
قوله عليه السلام: ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُوراً لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ و...... ٤٠٨
قوله عليه السلام: وَمِنْهَاجاً لَا يَضِلُّ نَهْجُهُ وَشُعَاعاً لَا يُظْلِمُ و...... ٤٠٩
قوله عليه السلام: وَشِفَاءً لَا تُخْشَىٰ أَسْقَامُهُ وَعِزّاً لَا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُو...... ٤٠٩
قوله عليه السلام: فَهُوَ مَعْدِنُ الْإِيمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ و...... ٤١٠
قوله عليه السلام: وَأَثَافِيُّ الْإِسْلَامِ وَبُنْيَانُهُ وَأَوْدِيَةُ الْحَقِّ وَغِيطَانُهُو...... ٤١٠
قوله عليه السلام: وَعُيُونٌ لَا يُنْضِبُهَا الْمَاتِحُونَ وَمَنَاهِلُ لَا يَغِيضُهَا الْوَارِدُونَ .. ٤١١
قوله عليه السلام: وَمَنَازِلُ لَا يَضِلُّ نَهْجَهَا الْمُسَافِرُونَ وَأَعْلَامٌ لَا يَعْمَىٰ و...... ٤١١

قوله عليه السلام: وَأَكَامٌ لاَ يَجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ جَعَلَهُ اللّهُ رِيّاًو........... ٤١١
قوله عليه السلام: مَحَاجٌ لِطُرُقِ الصُّلَحَاءِ وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ و.............. ٤١٢
قوله عليه السلام: وَحَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ وَمَعْقِلاً مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ وَعِزّاً لِمَنْ تَوَلاَّهُ... ٤١٣
قوله عليه السلام: وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ وَهُدىً لِمَنْ ائْتَمَّ بِهِ وَعُذْراً و........ ٤١٤
قوله عليه السلام: وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ وَفَلْجاً لِمَنْ حَاجَّ بِهِ و........ ٤١٥
قوله عليه السلام: وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ وَجُنَّةً لِمَنْ اسْتَلأَمَ وَعِلْماًو........ ٤١٧
ومن كلام له عليه السلام (١٩٨)........................ ٤٢١
قوله عليه السلام: تَعَاهَدُوا وَأَمْرَ الصَّلوةِ وَحَافِظُوا الى وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُمتن.. ٤٢٢
اللّغة........................ ٤٢٢
المعنىٰ........................ ٤٢٢
الشّرح........................ ٤٢٤
قوله عليه السلام: تَعَاهَدُوا وَأَمْرَ الصَّلوةِ وَحَافِظُوا عَلَيْهَا وَاسْتَكْثِرُوا و........ ٤٢٧
قوله عليه السلام: اَلاَ تَسْمَعُونَ اِلَىٰ جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ و.............. ٤٣٠
قوله عليه السلام: وَإِنَّهَا لَتَحُتُّ الذُّنُوبَ حَتَّ الْوَرَقِ وَتُطْلِقُهَاو............. ٤٣١
قوله عليه السلام: وَشَبَّهَهَا رَسُولُ اللّهِ ٩ بِالْحَمَّةِ تَكُونُ عَلىٰ بَابٍو........ ٤٣٢
قوله عليه السلام: وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَو............. ٤٣٢
قوله عليه السلام: وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ ٩ نَصِباً بِالصَّلاَةِ بَعْدَ و................ ٤٣٣
قوله عليه السلام: ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلاَةِ قُرْبَاناً لأَهْلِ الإِسْلاَمِ....... ٤٤٣
قوله عليه السلام: فَمَنْ أُعْطَاهَا طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ و............ ٤٤٥
قوله عليه السلام: فَلاَ يُتْبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ وَلاَ يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا و.............. ٤٤٦
قوله عليه السلام: ثُمَّ أَدَاءَ الأَمَانَةِ فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْو.............. ٤٤٨
قوله عليه السلام: إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَىٰ السَّمَاوَاتِ الْمَبْنِيَّةِ و.............. ٤٥٠
قوله عليه السلام: إِنَّ اللّهَ سُبْحَانَهُ لاَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مَا الْعِبَادُ و.............. ٤٦٠
قوله عليه السلام: شُهُودُهُ وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ وَضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ و.......... ٤٦١

ومن كلامٍ له عليه السلام (١٩٩) ٤٦٣
قوله عليه السلام: وَاللّٰهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهىٰ مِنّى وَلٰكِنَّهُ الى أَسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ متن. ٤٦٣
اللّغة ٤٦٣
المعنىٰ ٤٦٣
الشَرح ٤٦٤
قوله عليه السلام: وَاللّٰهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهىٰ مِنّى وَلٰكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجِرُ و..... ٤٦٦
قوله عليه السلام: وَلٰكِنْ كُلُّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٌ وَكُلُّ فُجَرَةٍ كُفَرَةٌ و..... ٤٦٧
قوله عليه السلام: وَاللّٰهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ وَلاَ أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ........ ٤٦٨
ومن كلامٍ له عليه السلام (٢٠٠) ٤٦٩
قوله عليه السلام: أَيُّهَا النَّاسُ لاَ تَسْتَوْحِشُوا فِى طَرِيقِ الى وَقَعَ فِى التِّيهِ متن .. ٤٦٩
اللّغة ٤٦٩
المعنىٰ ٤٦٩
الشَرح ٤٧٠
قوله عليه السلام: أَيُّهَا النَّاسُ لاَ تَسْتَوْحِشُوا فِى طَرِيقِ الْهُدىٰ لِقِلَّةِ و..... ٤٧٠
قوله عليه السلام: فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلىٰ مَائِدَةٍ شِبَعُهَا و..... ٤٧١
قوله عليه السلام: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَاءُ وَالسُّخْطُ و..... ٤٧٤
قوله عليه السلام: أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَ الْمَاءَ و..... ٤٨١
ومن كلامٍ له عليه السلام (٢٠١) ٤٨٥
قوله عليه السلام: اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَارَسُولَ اللّٰهِ عَنّى الى وَعَدَ اللّٰهُ الصَّابِرِينَ متن ٤٨٥
اللّغة ٤٨٥
المعنىٰ ٤٨٦
الشرح ٤٨٧
قوله عليه السلام: اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَارَسُولَ اللّٰهِ عَنّى وَعَنْ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ و..... ٥٠٣
قوله عليه السلام: وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ........ ٥٠٣

قوله ﷺ: قَلَّ يَارَسُولَ اللّٰهَ عَنْ صَفُيَّتِكَ صَبْرِى وَرَقَّ و........... ٥٠٣
قوله ﷺ: اِلَّا أَنَّ فِى التَّأَسِّى بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ وَفادِحِ و...... ٥٠٤
قوله ﷺ: فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِى مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ وَفَاضَتْ بَيْنَ و...... ٥٠٥
قوله ﷺ: (اِنَّا لِلّٰهِ وَ اِنَّا اِلَيْهِ راجِعُونَ) فَلَقَدْ اِسْتَرْجِعَتِ و..... ٥٠٥
قوله ﷺ: أَمَّا حُزْنِى فَسَرْمَدٌ وَأَمَّا لَيْلِى فَمُسَهَّدٌ اِلىٰ أَنْ يَخْتَارَو...... ٥٠٧
قوله ﷺ: هٰذَا وَلَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ و...... ٥٠٨
قوله ﷺ: فَاِنْ أَنْصَرِفْ فَلاَ عَنْ مَلاَلَةٍ وَأَنْ أَقِمْ فَلاَ عَنْ و...... ٥٠٩

ومن كلام له ﷺ (٢٠٢) ٥١٥

قوله ﷺ: اَيُّهَا النَّاسُ اِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ الى فَرْضاً عَلَيْكُمْ متن ٥١٥
اللّغة ٥١٥
المعنىٰ ٥١٥
الشّرح ٥١٦
قوله ﷺ: اَيُّهَا النَّاسُ اِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ وَالآخِرَةُ دَارُ و...... ٥١٦
قوله ﷺ: فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ وَلاَ تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْو...... ٥١٧
قوله ﷺ: وَأَخْرِجُوا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَاو...... ٥١٧
قوله ﷺ: فَفِيهَا اُخْتُبِرْتُمْ وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ اِنَّ الْمَرْءَ اِذَا هَلَكَ قَالَ و...... ٥٢٢
قوله ﷺ: لِلّٰهِ آباؤكم فَقَدِّمُوا بَعْضاً وَلاَ تُخَلِّفُوا كُلاًّ فَيَكُونَ و...... ٥٢٣

ومن كلام له ﷺ (٢٠٣) ٥٢٥

قوله ﷺ: تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللّٰهُ فَقَدْ نُودِىَ الى بِزَادِ التَّقْوىٰ متن ٥٢٥
اللّغة ٥٢٥
المعنىٰ ٥٢٥
الشّرح ٥٢٦
قوله ﷺ: تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللّٰهُ فَقَدْ نُودِىَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ ٥٢٦
قوله ﷺ: وَأَقِلُّوا الْعُرْجَةَ عَلَى الدُّنْيَا وَانْقَلِبُوا بِصَالِحِ و...... ٥٢٨

قوله عليه السلام: فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَؤُوداً وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً و...... ٥٢٩
قوله عليه السلام: وَاعْلَمُوا أَنَّ مَلاَحِظَ الْمَنِيَّةِ نَحْوَكُمْ دَانِيَةٌ و...... ٥٢٩
قوله عليه السلام: وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْظِعَاتُ الْأُمُورِ وَمُعْضِلاَتُ الْمَحْذُورِ ٥٣٠

ومن كلام له عليه السلام (٢٠٤) ٥٣١

قوله عليه السلام: لَقَدْ نَقَمْتُمَا يَسِيراً وَأَرْجَأْتُمَا كَثِيراً الى بِالْحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ **متن** ٥٣١
اللّغة ٥٣٢
المعنى ٥٣٢
الشّرح ٥٣٣
قوله عليه السلام: لَقَدْ نَقَمْتُمَا يَسِيراً وَأَرْجَأْتُمَا كَثِيراً أَلاَ تُخْبِرَانِي و...... ٥٣٣
قوله عليه السلام: وَاللَّهِ مَا كَانَتْ لِي فِي الْخِلاَفَةِ رَغْبَةٌ وَلاَ فِي و...... ٥٣٧
قوله عليه السلام: فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَمَا وَضَعَ و...... ٥٣٩
قوله عليه السلام: فَلَمْ أَحْتَجْ فِي ذٰلِكَ إِلَى رَأْيِكُمَا وَلاَ رَأْيِ غَيْرِكُمَا و...... ٥٣٩
قوله عليه السلام: وَأَمَّا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الْأُسْوَةِ فَإِنَّ ذٰلِكَ أَمْرٌ لَمْ و...... ٥٣٩
قوله عليه السلام: بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَدْ و...... ٥٤٠
قوله عليه السلام: أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ وَأَلْهَمَنَا و...... ٥٤٠
قوله عليه السلام: ثُمَّ قَالَ عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً، رَأَى حَقّاً فَأَعَانَ عَلَيْهِ و...... ٥٤١

ومن كلام له عليه السلام (٢٠٥) ٥٤٣

قوله عليه السلام: إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ الى مَنْ لَهِجَ بِهِ **متن** ٥٤٣
اللّغة ٥٤٣
المعنى ٥٤٣
الشّرح ٥٤٤
قوله عليه السلام: إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ و...... ٥٤٤
قوله عليه السلام: وَلٰكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ و...... ٥٤٥
قوله عليه السلام: وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ اللَّهُمَّ احْقِنْ و...... ٥٤٥

قوله عليه السلام: حَتَّىٰ يُعْرَفَ الْحَقُّ مَنْ جَهِلَهُ وَيَرْعَوِيَ عَنِ و....... ٥٤٦
ومن كلام له عليه السلام (٢٠٦) ٥٤٩
قوله عليه السلام: اَمْلِكُوا عَنِّي هٰذَا الْغُلَامَ لاَ يَهُدَّنِي الى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله **متن** ... ٥٤٩
اللّغة ٥٤٩
المعنىٰ ٥٤٩
الشّرح ٥٥٠
قوله عليه السلام: اَمْلِكُوا عَنِّي هٰذَا الْغُلَامَ لاَ يَهُدَّنِي فَإِنَّنِي اَنْفَسُ و....... ٥٥٠
قوله عليه السلام: لِئَلَّا يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللهِ فهو صريح في كونهما .. ٥٥٣
ومن كلام له عليه السلام (٢٠٧) ٥٥٥
قوله عليه السلام: اَيُّهَا النَّاسُ اِنَّهُ لَمْ يَزَلْ اَمْرِي الى عَلَىٰ مَا تَكْرَهُونَ **متن** ٥٥٥
اللّغة ٥٥٥
المعنىٰ ٥٥٥
الشّرح ٥٥٦
قوله عليه السلام: اَيُّهَا النَّاسُ اِنَّهُ لَمْ يَزَلْ اَمْرِي مَعَكُمْ عَلَىٰ مَا و....... ٥٥٦
قوله عليه السلام: وَقَدْ وَاللهِ اَخَذَتْ مِنْكُمْ وَتَرَكَتْ وَهِيَ لِعَدُوِّكُمْ اَنْهَكَ ٥٥٧
قوله عليه السلام: لَقَدْ كُنْتُ اَمْسِ اَمِيراً فَاَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَاْمُوراً و..... .... ٥٥٧
قوله عليه السلام: وَقَدْ اَحْبَبْتُمُ الْبَقَاءَ وَلَيْسَ لِي اَنْ اَحْمِلَكُمْ عَلَىٰ مَا تَكْرَهُونَ .. ٥٥٨
ومن كلامٍ له عليه السلام (٢٠٨) ٥٥٩
قوله عليه السلام: مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسِعَةِ هٰذِهِ الدَّارِ فِي الى بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ **متن** ... ٥٥٩
اللّغة ٥٥٩
المعنىٰ ٥٦٠
الشّرح ٥٦٠
قوله عليه السلام: مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسِعَةِ هٰذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا وَاَنْتَ و....... ٥٦٠
قوله عليه السلام: وَبَلَىٰ اِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ و...... ٥٦١

قوله عليه السلام: يَا عُدَيَّ نَفْسِهِ لَقَدْ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ أَمَا و...... ٥٦٣
قوله عليه السلام: أَتَرَىٰ اللّٰهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ و...... ٥٦٣
قوله عليه السلام: وَيْحَكَ إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ إِنَّ اللّٰهَ فَرَضَ عَلَىٰ و...... ٥٦٤
ومن كلام له عليه السلام (٢٠٩) ٥٧٣
قوله عليه السلام: إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَبَاطِلاً وَصِدْقاً الى رِوَايَاتِهِمْ متن .. ٥٧٤
اللّغة ٥٧٤
المعنىٰ ٥٧٤
الشّرح ٥٧٧
قوله عليه السلام: إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَبَاطِلاً وَصِدْقاً وَكَذِباًو...... ٥٧٧
قوله عليه السلام: وَلَقَدْ كُذِبَ عَلَىٰ رَسُولِ اللّٰهِ عَلَىٰ عَهْدِهِ حَتَّىٰ و...... ٥٨١
قوله عليه السلام: وَإِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ...... ٥٨٢
قوله عليه السلام: رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلإِيمَانِ مُتَصَنِّعٌ بِالْاسْلاَمِ و...... ٥٨٣
قوله عليه السلام: فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا و...... ٥٨٦
قوله عليه السلام: ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ فَتَقَرَّبُوا إِلَىٰ أَئِمَّةِ الضَّلاَلَةِ و...... ٥٨٦
قوله عليه السلام: وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللّٰهِ شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ و...... ٦٠٢
قوله عليه السلام: وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً فَهُوَ فِي يَدَيْهِ وَيَرْوِيهِ وَيَعْمَلُ بِهِ و...... ٦٠٢
قوله عليه السلام: فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهِمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ و...... ٦٠٢
قوله عليه السلام: وَرَجُلٌ ثَالِثٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللّٰهِ شَيْئاً يَأْمُرُ بِهِ ثُمَّ و...... ٦٠٣
قوله عليه السلام: فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ و...... ٦٠٣
قوله عليه السلام: وَآخَرُ رَابِعٌ لَمْ يَكْذِبْ عَلَىٰ اللّٰهِ وَلاَ عَلَىٰ و...... ٦٠٣
قوله عليه السلام: بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَجَاءَ بِهِ عَلَىٰ و...... ٦٠٤
قوله عليه السلام: وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللّٰهِ الْكَلاَمُ لَهُ و...... ٦٠٤
قوله عليه السلام: وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّٰهِ مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ و...... ٦٠٤

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ١٠٧٥٤٥
التاريخ / ٩ / ٨ / ١١ ق